

المسرح المحمل

غفر الله له ولوالديه

2009-05-11

ذخائر العرب

هـ

ديوان أبي نمام

بشرح الخطيب الثبري

تحقيق

محمد عبده عزام

المجلد الأول

الطبعة الخامسة



دار المعارف

ديوان أبي تمام

بشرح الخطيب النبري

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج ٢٠٠٤ ع

مقدمة

بدء الطريق :

كنت أقدر أنى سوف أمضى حتى نهاية الطريق ، فإذا ما تمَّ طبع ديوان أبى تمام جلست وصحبي نستروح ، ونفضت عنى غبار السفر ، وأخذت فى الحديث والسمر ، حديث من قرت عينه بعد غياب طويل . . .

غير أنى ما كدت أبلغ هذه المرحلة من نشر هذا الديوان ، حتى استوقفتنى بعض صحبى ، وهو الأستاذ الفاضل شفيق مبرى صاحب « دار المعارف » ، وطلب إلى أن أقف وقفة لن تطول ريثما نخرج هذا القدر من ديوان أبى تمام ، بعدها نستأنف السير ، ونمضى إلى الغاية .

والحق أنى كدت لا أستجيب له ! كنت أقول لنفسى : ما دام المرء قادراً على السير فلماذا يقف وقفة قد تطول ، وقد تقصر ، وهو لم يبلغ من الطريق بعد إلا أقله ! إنَّ أخشى ما يخشاه المتعب المكدود فى سيره راحة تشعره بتعبه وكده ! ومن يدرى إذا جلس هذا المتعب المكدود واستمرأ الراحة ، واستشعر حلاوة الغفوة ، متى ينهض من مكانه ويعاود سيره ؟ !

غير أن الطريق ليست لى وحدى ، فألقيت عصاى ، وجلست قليلاً ريثما نتأهب للمرحلة الثانية من طريقنا الشاق الطويل . وما أكاد أتلفت خلفى ، وأرنبو إلى بعيد بعينى ، حتى أرى أول ما أرى صديقى الدكتور خليل محمود عساكر المدرس الآن بكلية الآداب بجامعة القاهرة . نعم ، فلقد بدأنا تلك الطريق معاً ، لكننا ما كدنا نخطو فيها خطوات قليلة حتى بدأنا فوقفنا . ذلك أن كتاباً آخر عن أبى تمام عنَّ لنا ، هو كتاب « أخبار أبى تمام » لأبى بكر الصولى ، فتحتنا الديوان ريثما نخرج هذا الكتاب ، ونشرناه سنة ١٩٣٧ . بعدها أردنا أن نعاود السير فى الديوان ، لكن صاحبى سافر إلى براغ ليدرس هناك ، فكان

على أن أبدأ الطريق وحدى . والحق أنى أحسست بعض الوحشة حين هممت
لأسير وحدى ! ذلك لأنى إنسان أخشى نفسى قبل أن أخشى غيرى . ولولا
أن مؤنساً آنسى ، وأستاذاً حبيباً إلى نفسى أذهب عنى وحشتى ، لكنت
الآن — كما أظن — ما زلت أتلفت فى بدء تلك الطريق ! ذلك المؤنس ، وهذا
الأستاذ ، هو الدكتور طه حسين . فلطالما كان يحثنى على السير والدأب كلَّما
ادعيت الإعياء والنَّصب ! وإن أنس فلن أنسى هذا الذى كان منه حين جئته
يوماً من الأيام فى العام الماضى ، وكان هذا الديوان لا يزال فى طريقه إلى المطبعة ،
وقلت له : انظر ياسيدى ، فلانى ذاهب إلى لندن ، لأمكث سنوات ثلاثاً مدرساً
بالجامعة هناك ، فكيف إذن يطبع هذا الديوان ، ومن عساه يقوم على الإشراف
عليه ؟ فابتسم أستاذى فى رفق ، وكأنه عرف ما فى نفسى ثم قال : أهذا كل
ما تخشاه ؟ لا عليك ، فلانى آخذ مكانك . أى رجل هذا الرجل ، وأى أستاذ
هذا الأستاذ ؟ ! لقد كان فى ذلك الوقت — إذا سمح لى أن أذكر هذا الذى
أذكره — فى حاجة ماسة لكل دقيقة من وقته ، لأنه كان يعيش على ما يكتبه ،
فكيف إذن أراد أن يحل محل تلميذه فى مثل هذا العمل الذى يستنفد الوقت
والجهد . إنما أقول هذا ليدكر بعض الأساتذة الذين توفر لهم الدولة ما تستطيع أن
توفره لهم من خصب العيش ، ورغد الحياة ، وهم مع ذلك لا يقدرّون ما ينبغى عليهم
نحو أبنائهم وأصدقائهم من تلاميذهم !

غير أن سفرى إلى لندن أرجئ عاماً ، فبقيت بالقاهرة وبدأت المطبعة تطبع
وتبعث لى بالتجارب ، وبدأت أراجع هذه التجارب على الأصل الذى كتبت به ، وعلى
الأصول المخطوطة أيضاً زيادة فى الحيلة . لكنى رأيت أنى فى حاجة لمن يعاونى
على المقابلة ، فطلبت ذلك إلى صديقى الأستاذ رشاد عبد المطلب الموظف بالإدارة
الثقافية بالجامعة العربية ، فلبى وهو سعيد مغتبط ، واحتمل فى ذلك كثيراً من
الجهد والنصب . وكان العمل يسير على النحو الآتى : تبعث المطبعة بالتجربة
الأولى فراجعها معاً ، ثم تبعث بالثانية إلى فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر ، فينظر
فيها ويبدى ما يعن له من الملاحظات عليها ، ثم تعود فتبعث بها لى ، فأنظر فيها
لأقر ما أقر منها ، ثم أعطى إذن الطبع عليها . والحق أنى مدين للشيخ أحمد محمد

شاكر بكثير من ملاحظاته القيمة التى أخذت بها فى مواضع من هذا الكتاب .
لكنى ما كدت أصل إلى حوالى صفحة أربعمائة ، حتى دعا داعى السفر
إلى لندن ، فحزمت متاعى وأنا لا أدرى من يأخذ مكانى . أهو أستاذى وقد
أصبح على كفيه مسئولية جسيمة أدعو الله أن يمكن له فى النهوض بها ؟ ! كان
واجبى أن أعفيه من وعده السابق . ووصلت إلى لندن بمخطوطاتى وأنا لا أدرى
ما أصنع ؛ لكنى ما كدت أستقر حتى ذكرت صديقى وزميلي الأستاذ مصطفى
السقا الأستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، فكتبت له فى ذلك ، فإذا هو
يسرع فيقوم مقامى فى النظر إلى تجارب المطبعة ، وتقويم النص ، وإعطاء إذن الطبع ،
ثم يكتب إلى ليخبرنى أنه مغتبط بهذا التكليف . . .

فأى شكر يستحقه منى هؤلاء الصحب الذين أنفقوا وسينفقون من وقتهم
وجهدهم الشئ الكثير . . . ! وأى دين لهم فى عنى ؟ ! ألا إن صداقة الأصدقاء
وزمالة الزملاء خليفة أن تثمر ثمرة من الثمرات التى يستفيد منها الناس إذا غُرست
فى مثل هذه التربة الخصبة ، وسقيت مثل هذه الروح الطيبة ! !

* * *

وبعد : فهذا هو المجلد الأول من ديوان أبى تمام وعليه شرح الخطيب التبريزى ،
ينشر لأول مرة عن أصوله المخطوطة . فلعله أن يجيء محققاً طلبه الذين طال تنظرهم
لإخراج هذا الديوان منشوراً نشرة علمية صحيحة ، فإن ديوان أبى تمام المطبوع
ناقص ملء بالأخطاء ، فضلاً عن أنه خال من الشرح ، وكان لا بدّ لشعر هذا
الشاعر من شرح يجلى غامضه ، ويبين عن مستغلقه ، وقد أحسن القدماء هذه
الحاجة ، فشرحه العلماء شروحاً كثيرة ، فما بالك بهذا الشعر فى أيامنا ؟ !

ولعل الناظر فى هذا الديوان يلاحظ كثرة ما جاء فى هوامشه من الروايات
المختلفة والشروح المتباينة ، وربما تشابه بعض الشروح ، وتقارب بعض
الروايات ، وربما خاض شراح أبى تمام فيما لا يتصل بشعره فى قليل ولا كثير ،
مثل اللغة والنحو والأخبار وغير ذلك مما تعود الشراح المتقدمون أن يخوضوا فيه ،
ويمثلوا شروحهم الأدبية به ، فهذه الظاهرة نلاحظها على شروحنا الأدبية المتقدمة
بصفة عامة ، فلنلق إذن هنا نظرة سريعة ، لنرى كيف جمع الرواة المتقدمون شعرنا

العربي ، وكيف شرحوه ، وماذا كانت طريقتهم في ذلك حتى جاءت دواوين الشعراء التي عملوها وعليها هذا الطابع ؟ ثم لنرى لماذا اختص شعر هذا الشاعر بكثرة الروايات والشروح ؟ ونذكر بعد ذلك شيئاً عن شراحه الذين اعتمد عليهم التبريزي ، ثم نتحدث أخيراً عن النسخ التي اعتمدنا عليها .

جمع الشعر وشرحه :

كان الشعراء في الجاهلية والإسلام يُروون شعرهم طائفة من الشبان يتعلمون عليهم الفن ، ويعتمدون في هذا التعليم على الحفظ والنقد الذي يوجهه أساتذتهم إلى ما يحدثون من آثار . وكان هؤلاء الرواة - أو حملة الشعر وحافظة - من بين أقرباء الشعراء عادة ، أو من تلاميذهم المقربين إليهم ، فقد كان راوية زهير الخطيئة وابنه كعب ، وكان زهير نفسه راوية أوس بن حجر التميمي ، والذي روى النقائض مسحل بن كسيب بن عمارة بن عكابة بن الخطيئة وكان كثير من هؤلاء الرواة شاعراً ، فالخطيئة راوية زهير وآل زهير ، وهذبة بن خشرم راوية الخطيئة ، وجميل راوية هذبة هذا ، وكثير راوية جميل ، والسائب بن الحكم السدوسي راوية كثير ، وذو الرمة راوية الراعي وهكذا .

اتصلت هذه العادة في الإسلام واستمرت ، كما اتصلت عادة أخرى واستمرت ، عادة إنشاد الشعر للجماعات وفي المجالس ، وإظهار ما يثيره الشعر من إعجاب أو سخط ، وتعليل هذا السخط وهذا الإعجاب ، فيظهر النقد ، ويظهر معه شرح لما قد يشتمل عليه الشعر من الأخبار والأنساب ، وربما وقف الناقد عند الكلمة الغريبة ، أو عند وجه غريب من أوجه الإعراب .

على أن العصر الأموي يشهد تطوراً آخر في رواية الشعر ، إذ يفرغ بعض الأفراد لروايته عن أصحابه ، فيتصلون بهم ويلازمونهم ، ويأخذون عنهم ما يقولون ، ويدونون لهم ، إذ كان كثير منهم لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يحسن صناعة التدوين على كل حال . وربما اتصل غير واحد من هؤلاء الرواة بشاعر بعينه ، وربما قام هؤلاء الرواة من الشاعر مقام المصلح لشعره والناقد له ، مع أن كثيراً منهم لم يكن شاعراً . وقد كان الشعراء يرتجلون أحياناً ، ويندفعون في الارتجال ،

فيتورطون في بعض الخطأ الذى يتصل بالوزن والقافية والإعراب ، فكان الرواة يقومون لهم ذلك قبل أن يذيعوا شعرهم في الناس .

ومنذ أواخر القرن الأول تنشأ طائفة جديدة من الرواة العلماء ، لا يتصلون بالشاعر ولا يلازمونه ، ولكنهم يطوفون في أحياء البادية والأمصار يروون الشعر ويروونه الناس ، ويتخذون هذا صناعة ، شأنهم في ذلك شأن القصاص والمحدثين في رواية الأخبار والحديث ، مثل حماد والمفضل وخكّاف وأبي عبيدة والأصمعي وغيرهم . وهؤلاء الرواة هم العلماء الذين حفظوا لنا الشعر واللغة والأدب بوجه عام . وقد كانوا رواة ومفسرين حين يحتاج الأمر إلى تفسير ، وكان تفسيرهم لغويًا أحيانًا ، ومتصلا بالقصص والنسب أحيانًا أخرى ، وربما ألموا بالنقد الأدبي إلمامًا خفيفًا ، كالأصمعي الذى كان يدعو الرشيد شيطان الشعر .

نرح بعض هؤلاء الرواة المحترفين إلى البادية ، يأخذون الشعر من أفواه الأعراب ، ويعودون به تجارة وابحة في الحواضر . واعتمد بعض على من كان يلقاه من الأعراب في هذه الحواضر ، كما روى بعضهم عن بعض آخر ، فالأصمعي جلس إلى أبي عمرو عشر حجج ، ويونس أخذ عن أبي عمرو ، وأبو عبيدة وخلف أخذًا عن يونس ، وسمع خلف من حماد ، وأخذ أبو زيد عن المفضل ، والكسائي عن يونس ، وكان ابن الأعرابي ربيبًا للمفضل ، سمع منه الدواوين وصحّحها ، وأملى أبو عمران موسى أحد رواة الأصمعي كتب الأصمعي ببغداد ، وحملها الناس عنه .

واعتمد بجل هؤلاء الرواة على الذاكرة والحفظ ، فكانوا ينشدون الأشعار أو يملونها دون الرجوع إلى مصدر مكتوب ، ولهم في كتب الآداب نوادر فيها كثير من المبالغات ، فعمرو بن شبة يروى أنه سمع الأصمعي يقول أحفظ عشرة آلاف أرجوزة ، وكان أبو عبيدة مغيطًا من دعوى الأصمعي من أنه ما قرأ كتابًا قط فاحتاج أن يعود إلى ما فيه ، ولا دخل قلبه شيء قط وخرج منه ، وقالوا إن الأصمعي يحفظ نصف اللغة ، وقالوا إن الأحمر صاحب الكسائي ومؤدّب الأمين يحفظ أربعين ألف بيت شاهد في النحو . سوى ما كان يحفظ من القصائد وأبيات الغريب . وقالوا إن الفراء أملى كتبه كلها حفظًا ، لم يأخذ بيده نسخة إلا في كتابين ، ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة ،

ومع ذلك فإنه يقال إن الأحمر كان أحسن حفظاً منه ! وقال ابن الإعرابي لثعلب :
أملت قبل أن تجيئني يا أحمد حمل بعير ، وكان الرياشي يحفظ كتب الأصمعيّ
كلها وأبي زيد كلها^(١) :

على أن بعض هؤلاء الرواة كان لا يكتفى بالسماع والحفظ ولكنه كان يلوّن .
فقد كان أبو عمرو الشيباني يخرج إلى البادية ومعه الورق والمداد فيلون ما يسمعه ،
وقد قيل إنه جمع أشعار نيّف وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل شعر قبيلة وأخرجه إلى
الناس ، كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة ، حتى كتب نيّفاً وثمانين مصحفاً
بخطه^(٢) . وقد أخذ عن المفضل الضبيّ دواوين العرب وسمّعها منه أبو حسّان وابنه
عمرو بن أبي عمرو الشيباني .

جمع هؤلاء الرواة ما استطاعوا جمعه من الشعر ، بعضهم غنى بجمع غريبه
كما فعل المفضل في « المفضليات » ، وبعضهم غنى بجمع أراجيزه ، كما فعل
الأصمعيّ ، والبعض جمع ديوان شاعر بعينه ، أو شعر قبيلة من القبائل . وقد
اشتهر بجمع الدواوين جماعة كالأصمعيّ ، وأبي سعيد السكّريّ ، وابن السكّيت ،
وأبي عمرو الشيباني ، والطوسي ، وابن حبيب ، وابن الأعرابي ، وأبي عبيدة ،
وأبي الأسود الدؤليّ ، وخلف الأحمر ، وحمام الراوية^(٣) .

ولم يكن يهمهم شرح الشعر أو العناية بنقده بقدر ما كان يهمهم الإكثار من
روايته ، فقد روى حمّاد « المعلقات » دون تفسير ، وروى خلف « لامية العرب »
من غير تفسير أيضاً ، والأصمعيّ جمع « الأراجيز » و « الأصمعيّات » من غير
تفسير كذلك ؛ ذلك لأن تهافتهم على جمع الشعر كان قبل كل شيء لتلوين اللغة ،
والاستشهاد به على مسائل النحو ، وكان هذان العلمان يدرسان في بدء الأمر لأجل
القرآن الكريم والحديث الشريف . يقول ابن قتيبة في مقدمة كتابه « الشعر
والشعراء » : « وكان أكثر قصدى للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلّ أهل
الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب ، وفي النحو ، وفي كتاب

(١) انظر في هذا نزعة الألبا صفحات : ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٦٨ ، ٢٠٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٣ .

(٢) الفهرست : ص ٦٨ والمراد بالمصحف هنا : المجلد .

(٣) الفهرست : ص ١٥٨ .

الله عز وجل ، وفي حديث رسوله صلى الله عليه وسلم . وكان ابن عباس يقول :
إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر ، فإنه ديوان العرب .

وقد يكون الأدب نفسه أغراهم بجمعه ؛ وربما خافوا من ضياعه لكثرة الموالي
وتفشي الانتحال ، وقد كان المؤدّبون في حاجة إليه لمحاضراتهم ، وكان الأمراء
ووجوه الناس في حاجة إليه ليثبّتوا ، وليروّحوا عن أنفسهم ، كما احتاج إليه
أصحاب العلوم الأخرى ليأخذوا منه شواهدهم . على أن كثيراً من النحاة والفقهاء
والمحدثين وأصحاب اللغة كانوا يطلبون الشعر ويروونه ويتناشدونه لا من أجل علومهم
ولكن حباً فيه واستجماماً لنفوسهم من مسائل الفقه وعلوم الحديث واللغة وشواهد
النحو . حدث شعبة قال : سمعت قتادة يحدث عن مطرّف بن الشّخير قال :
صحبت عمران بن الحصين من الكوفة إلى البصرة ، فما أتى علينا يوم إلا أنشدنا فيه
شعراً^(١) . وضجر شعبة من إملاء الحديث ، فرأى أبا زيد الأنصاري في أخريات
الناس فقال : يا أبا زيد :

استعجمت دارُ ميّ ما تكلمنا والدّارُ لو كلّمتنا ذات أخبار

إلى يا أبا زيد ! فجاءه فجعلاً يتناشدان الأشعار . فقال له بعض أهل الحديث :
يا أبا بسطام ، نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع منك حديث النبي صلى الله عليه
وسلم ، فتدعنا وتقبل على الأشعار ؟ ! فغضب شعبة غضباً شديداً وقال : يا هؤلاء !
أنا والله في هذا أعلم مني في ذاك^(٢) .

وفي القرن الثالث تُولف الكتب الأدبية التي تجمع أطرافاً من الأدب شعراً أو
نثراً ، ويطيل المؤلفون في كثير من الأحيان الوقوف عند الشروح النحويّة واللغويّة
والتاريخية ، وعند النقد الفني لما يرون ، كما فعل ابن سلام وابن قتيبة في
طبقاتهما .

فأمّا الرواة الذين كانوا يتصلون بالشعراء ، فقد كانوا يجمعون ما يأخذون
عنهم ، ويذيعونه في الناس ، إما لأدائه إلى العلماء الذين يحترفون التعليم ، وإما
بإذاعته في الناس كتباً منسوخة بأيدي الوراقين ، وعلى هذا النحو ظهرت

(١) الزبيدي : ص ٦ .

(٢) مقدمة نوادر أبي زيد .

المجموعات الشعرية التي سُمّيت فيما بعد بالدواوين .
وهناك مجموعات شعرية أخرى أنشأها علماء الرواية الذين أشرنا إليهم ،
رَوَوْها عن العرب في باديتهم وحاضرتهم ، ودونوها كتباً ، وألقوها على الطلاب
درساً ، كالذي جمع الأصمعي من الأراجيز ، والذي جمع المفضل للمهدى ،
والذي جمع حماد وخلف ورواه أولهما للكوفيين والآخر للبصريين ، والذي
صنّفه أبو عمرو الشيباني من جمع أشعار العرب ، والذي جمع أشعار النقائض
بين الفرزدق وجرير ، والذي صنّفه أبو تمام في نقائض جرير والأخطل .

ويشهد القرن الثالث ظاهرة أخرى ، هي نشأة المجموعات التي لا يروى فيها ،
ديوان شاعر بعينه ، ولا قبيلة بعينها ، وإنما يختار فيها من الشعر على اختلاف أبوابه
وموضوعاته ، لتيسير المحاضرة والحديث على المثقفين والمؤدّين ، الذين يتصلون بالملوك
والأمراء والوزراء وأصحاب المكاّنة ، كالأشعار التي قيلت في الحمر والميسر ، كما
فعل ابن قتيبة في كتاب « الأشربة » ، وأبو تمام والبحري في حماسيتهما .

وأخيراً تظهر في أواخر القرن الثالث وفي أثناء القرن الرابع ظاهرة التيسير على
الناس ، وذلك بترتيب الدواوين وجمعها على حروف المعجم ، كما فعل الصولي
في جمع ما جمع من دواوين الشعراء ، ولا نعرف أحداً قبل أبي بكر الصولي جمع
الدواوين ورتّبها على حروف المعجم .

فأما عمل الشعر شروحاً فلا نعرف هذه الظاهرة إلا في القرن الرابع ، ولا نعرف
كذلك شروحاً ظهرت على هذا النحو قبل شرح الصولي لديوان أبي تمام ،
وشرح ابن جني لديوان المتنبي ، ذلك لأنه عند ما استغلق شعر هذين الشاعرين
وكثر الخلاف فيهما ، لخروجهما عن عمود الشعر المألوف ، ظهرت الحاجة إلى
الشرح الطويل الشامل ، واستمرت هذه العادة متبعة حتى شرح الأدباء من الشعر
ما ليس في حاجة إلى شرح . فأما هذه الشروح المتقدمة كشرح ثعلب لديوان
زهير ، وما رواه أبو حاتم من نوادر أبي زيد ، فليست في الحقيقة شروحاً بهذا
المعنى الاصطلاحي الذي عرفت به الشروح الأدبية فيما بعد ، وإن رأينا البيت
يذكر وتحتّه تفسير له من اللغة والنحو وغير ذلك ، وأغلب الظن أن ما ذكر
في صلب هذه الدواوين من الشرح كان على هوامش بعض النسخ تعليقاً لبعض

العلماء ، ثم نقله تلاميذهم إلى هوامش من نسخهم ، ثم انتقلت هذه الهوامش إلى المتن بعد ذلك .

ولم تكن عاداتهم الوقوف عند كل بيت لشرحه ، وإنما كانوا ينشدون القصيدة أو المقطعة جملة ، ثم يعودون إلى بعض أبياتها بالتعليق ، وقد قيل إن الأخفش هو أول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها جملة^(١) وأغلب الظن أيضاً أن الأخفش لم يقصد إلى أن يكون للشعر شرح بمعناه المعروف ، ولكنه كان أول من قطع الشعر بالوقوف عند كل بيت ، لغلبة النحو واللغة ، فاستمرت هذه عادة الشراح بعده .

وقد أراد الخطيب التبريزي صاحب هذا الشرح الرجوع إلى الطريقة القديمة قبل الأخفش وهي إنشاد الشعر جملة ثم الرجوع بعد ذلك إلى ما فيه من لغة أو نحو أو أخبار أو تفسير لمعنى ، غير أن نظر المتأدبين من تلاميذه إلى الشعر كان لا يزال من أجل استخدامه لتثقيفهم بهذه العلوم ، فأبوا عليه ذلك ، واضطر أن يعود إلى طريقة الأخفش . يقول لصاحبه الذى قدم له شرح الحماسة : « وأنا كنت شرحته شرحاً مستوفى ، غير أنى كنت أوردت كل قطعة من الشعر جميعها ، ثم شرحتها مجملاً ، ولم أفصل بين أبياتها بالتفسير ، فرأيت من يقرأ على هذا الكتاب يرغب فى شرح كل بيت بعده ، ويميل إلى ذلك ، ليسهل عليه معرفة ما يشكل فى كل بيت منه ، ويبين له غرض الشاعر بالكشف عنه ، فاستعنت بالله تعالى على شرحه ، من أوله إلى آخره ، شرحاً شافياً ، بيتاً بيتاً على الولاء » . وكذلك نرى الخطيب التبريزي يشكو من كثرة ما أخذ شراح الشعر أنفسهم به ، من الخوض فى اللغة والنحو والأخبار وغير ذلك ، ويحاول أن يقلل من ذلك ما وسعه التقليل ، فيقول لصاحبه الذى قدم له شرح المفضليات : « سألت ، أدام الله توفيقك ، أن أشرح لك القصائد المفضليات بعد فراغى من شرح كتاب الحماسة ، فعرفتك أنها شرحت ، وفيما شرحه العلماء المتقدمون كفاية ، وفيه متقنع ، فذكرت أن بعض الشروح قد طال لكثرة ما ذكر فيه من اللغة الغريبة والاستشهادات عليها ، ومع طوله فكثير من معانى الشعر غير معلوم منه ، وبعض الشروح

(١) المزمع : ص ٢٤٨ .

يذكر فيه تفسير البيت مما يتعلق به وما لا يتعلق له به ، وإيراد ما يحتاج إليه البيت يطول به الكتاب ، والغرض من شرح هذه القصائد الإيجاز والاقتصار على ما يُعرف به ما في الشعر من الغريب والإعراب والمعاني ، دون ما يتشعب من اللغة والإعراب ، لئلا يشغل القارئ له ، والناظر فيه ، عن الغرض المقصود . فأجبتك إلى ملتصك ، توخياً لموافقتك . . . » فلم يستطع الخطيب التبريزي الذي توفي في أوائل القرن السادس الهجري أن يشرح الشعر جملة ، وإن كان قد استطاع إلى حد أن يقتصد من مسائل النحو واللغة والأخبار ، التي طبعت شروحنا الأدبية المتقدمة بطابعها ، ويظهر هذا في شرحه على الحماسة والمفضليات ، كما يظهر في شرحه على ديوان أبي تمام هذا .

هذه نظرة عامة في ظهور دواوين الشعراء وجمعها وشرحها ، أردنا أن نقدم بها لهذا الديوان . وهكذا قدر للشعر العربي أن يتولى جمعه وشرحه ، حين ظهرت الحاجة لجمعه وشرحه ، جماعة من النحاة وأصحاب اللغة ، ربما خلا بعضهم أو كثير منهم من ملكة الذوق الأدبي ، التي تلزم لمن ينظر في الشعر بنقد أو شرح ، حتى قال الجاحظ : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فسألت الأخفش فلم يعرف إلا إعرابه ، فسألت أبا عبيدة فأبته لا ينفذ إلا فيما اتصل بالأخبار ، ولم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب ، كالحسن بن وهب وغيره .

أثر مذهب أبي تمام في رواية شعره وشرحه :

كان لهذا الاتجاه القديم أثره الظاهر في كثرة ما امتلأت به شروحنا الأدبية من الروايات المختلفة ، والتكلف لتخريج أوجه المعاني المتباينة نتيجة استخدام الشعر في هذه العلوم التي أشرنا إليها . وكانت اللغة لهؤلاء النحاة وأصحاب اللغة ينبوعاً لا ينضب معينه ، وكذلك ساعدت الحروف العربية النساخ على الوقوع في أخطاء كثيرة ، نتيجة تشابه كثير من حروفها ، ولا نعرض لهذا الآن ، فهو أشهر من أن يذكر ، وإنما الذي نريد أن نذكره هنا هو أن مذهب أبي تمام في الشعر كان هو الآخر معيناً للشرح والنساخ على تحريف شعره وتصحيحه ، لأن شعر هذا الشاعر جاء على غير ما ألف القوم ، جاء بعيد المعاني ، غريب

الاستعارات ، مليئاً بالطباق والجناس ، فتعثرت به الأفهام والأقلام ، وكثر فيه التأويل ، وزاد فيه التصحيف والتحريف ؛ فقد اجتمع لإذن على هذا الشعر تلك الآفات العامة التي أشرنا إليها ، وآفات خاصة من هذا الشعر نفسه ساعدت عليها ؛ وقد أشار التبريزي في مقدمته لهذا ، فجاء ديوانه مليئاً بالشروح والروايات ، أبعد هذا الشاعر في معانيه ، فأبعد شراحه في تأويلاتهم وتخريجاتهم ، وتشابه كثير من ألفاظه لكثرة جناسه ، فتشابه كثير من رواياته ، وكان رأساً للمذهب جديد في الشعر العربي ، فاختلف فيه الأدباء بين متعصب عليه ومتعصب له ؛ وكان لهذه الخصومة أثرها في تناول شعره والنظر إليه ، وكان لهذه الضجة التي أحدثها هذا الشعر أثرها أيضاً في كثرة ما طرأ عليه من تصحيف وتحريف . وقد كنت أحب أن أورد بعض الأمثلة على ما أصاب شعر أبي تمام من تصحيف وتحريف ، نتيجة استغلاق هذا الشعر على كثير من الناس ، ونتيجة عصبية القوم له أو عليه ، ونتيجة استخدامه لجناسه ، حتى تشابه كثير من ألفاظه ، لولا أن المقام لا يسمح لنا بذلك ، ولعل النظر في هذا الديوان وهوامشه يغنيننا عن ذكر بعض الأمثلة .

أثر آخر للمذهب أبي تمام :

ومع ذلك فقد أحدثت هذه الضجة الأدبية التي قامت حول هذا المذهب صدى آخر ؛ إذ خلف من ورائه ثروة أدبية قيّمة ، خلف هذه الشروح الكثيرة لشعره ، كما خلف هذه الكتب النفيسة في نقله .

فقد جمع شعره ورتبه على الحروف وشرحه أبو بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) ، كما جمعه على بن حمزة الأصفهاني ورتبه على الأنواع ، لا على الحروف ، وشرحه أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) ، وحسين بن محمد الرافعي المعروف بالخالع (ت ٣٨٠ هـ) ، وأبو الريحاني محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٤٠ هـ) ، وشرح جزءاً منه أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) ، وشرحه أيضاً أبو حامد أحمد بن الخارزنجي ، وأبو العلاء المعري ، والخطيب التبريزي ، وكذلك شرحه فصيح الدين الحيدري البغدادي ، والمبارك بن

أحمد الإربلي^(١) ، المعروف بابن المستوفى^(١) . هذا عدا ما خلف غير هؤلاء من أقوال منشورة في ثنايا الكتب ، وعدا ما ضاع من شروحه ونقده . والذي عثرنا عليه من هذه الشروح عدا شرح التبريزي هذا ، شرح الصولي^(٢) ، وكتاب للمرزوقي باسم « شرح مشكل أبياته » ، ونقول من كتاب المرزوقي المسمى « بالانتصار » ، وكتاب ابن المستوفى المسمى « بالنظام » ، في شرح شعر المتنبي وأبي تمام ، وهو ناقص من آخره ، وسنخصص بعض هؤلاء الشراح بالحديث ، بعد أن نذكر كتب النقد التي خلفها مذهب هذا الشاعر .

كتب ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) كتابه « البديع » الذي ذكر فيه أنواع هذا الفن الذي اختص به أبو تمام ، وهو مطبوع وليس بنا حاجة للتعريف به . وكتب ابن المعتز أيضاً كتاباً في سرقات الشعراء ، تحامل فيه كثيراً على أبي تمام ، وفي كتاب الآمدي « الموازنة » نقول^(٣) منه . قال ابن المعتز في هذا الكتاب : « وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات ، متفرقة في أشعار القدماء . كما عرفتكم ، لا تنتهي في البعد إلى هذه المنزلة فاحذوها ، وأحب الإبداع والإغراق في إيراد أمثالها ، واحتطب واستكثر منها^(٢) . ويذكر المَرزُبانِي في كتابه « الموشح » أن لابن المعتز رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساويه^(٣) .

وكتب أبو بكر الصولي^(٢) كتابه « أخبار أبي تمام » ، وقد دافع فيه كثيراً عن أبي تمام ، ورد بعض أقوال خصومه فيه ، كما ذكر جملة من أخبار هذا الشاعر ؛ وهو مطبوع .

وكتب الآمدي (ت ٣٧١ هـ) كتابه « الموازنة » ، وهو غني عن التعريف . وللآمدي كتاب آخر يذكره ابن المستوفى في كتابه « النظام » باسم « الأبيات المفردة » . كما يذكر له كتاباً آخر باسم « معاني شعر أبي تمام » . وله أيضاً كتاب في « الرد على ابن عمار ، فيما خطأ فيه أبا تمام » ، ويذكر هذا في « الموازنة » فيقول :

(١) راجع كشف الظنون لحاجي خليفة (ج ١ نهر ٧٧٠ ، ٧٧١ طبعة إستانبول سنة ١٩٤١) في ذكر من تعرض له بالشرح .

(٢) الموازنة : ص ١١١ .

(٣) الموشح : ص ٣٠٧ .

« وتجاوز ذلك بعضهم إلى القدح في الحيتد من شعره ، وطن فيما لا يطعن عليه ، واحتج بما لا تقوم حجة به ، ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قولاً حتى ألتف في ذلك كتاباً ، وهو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمار القطرُبلى المعروف بالفريد ، ثم ما علمته وضع يده من غلظه وخطئه إلا على أبيات يسيرة ، ولم يقم على ذلك الحجة . ولم يهتد لشرح العلة ، ولم يتجاوز فيما نعاها بعدها عليه ، الأبيات التي تتضمن بُعد الاستعارة وهجين اللفظ ، وقد بينت خطأه فيما أنكره من الصواب في جزء مفرد ، إن أحب القارئ أن يجعله من جملة هذا الكتاب « الموازنة » ويصله بأجزائه ، فعل إن شاء الله (١) . »

وكتب المرزوقي كتابه « الانتصار » ، ولدنا في كتاب ابن المستوفى وفي شرح التبريزي هذا نقول منه .

وكتب أحمد بن أبي طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ هـ كتاباً في سرقات أبي تمام من البحرى ، وقد أشار إليه الآمدى في مواضع من كتابه (٢) .

وكتب أبو الضياء بشر بن تميم كتاباً في سرقات البحرى من أبي تمام ، وقد ذكره الآمدى كذلك في كتابه . قال : قال صاحب البحرى : ولكن ليس كما ادعى وادعى أبو الضياء بشر بن تميم ، وحشا كتابه به (٣) .

وقال الآمدى أيضاً : وقد استقصى في هذا الكتاب سرقات البحرى استقصاء بالغ فيه حتى تجاوز إلى ما ليس بمسروق (٤) .

وكتاب « أخبار أبي تمام والمختار من شعره » لأبي الحسن على بن محمد العدوى السَّمْسِيَّاطي البغدادى المتوفى سنة ٣٨٠ هـ (٥) .

(١) الموازنة : ص ٥ ، ص ٨ ، وانظر الفهرست ص ١٥٥ ، وفي ص ١٠٥ من كتاب الفهرست ذكر ابن النديم أن للآمدى كتاباً في أخطاء أبي تمام .

(٢) الموازنة : ص ٤٧ وفي فهرست ابن النديم ص ١٤٦ بعد أن ذكر مصنفاته ذكر ضمنها كتاب سرقات النحويين من أبي تمام . ومعجم (الأدباء ١ : ١٥٥) .

(٣) الموازنة : ص ٢٢ ، ص ٢٣ .

(٤) الموازنة ص ١٢٩ .

(٥) الفهرست : ص ١٥٤ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٤١ ، وقد ذكر ياقوت أن له كتاباً آخر في تفضيل أبي نواس على أبي تمام .

وكذلك كتاب « أخبار أبي تمام ومحاسن شعره » لأبي عثمان الخالدي سعيد بن هاشم بن وعلة العلوي الموصلي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ^(١) .

وكتاب أبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح الذي ذكر فيه أخبار أبي تمام مع غيره من الشعراء^(٢) .

وكتاب أخبار أبي تمام ومحاسن شعره ، عمله الخالديان^(٣) .

وكتاب « هبة الأيام » فيما يتعلق بأبي تمام » للشيخ يوسف البديعي الموصلي المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ ، وهو مطبوع .

وربما ألفت غير هؤلاء كتباً في نقد أبي تمام ، ولكنها لم تذكر ، وهذا القدر نفسه يرينا أن شعر هذا الشاعر كان باعثاً على ظهور النقد العربي وبعثه ، غير أنه لم يبق لنا من هذا الكتب إلا « البديع » و « الموازنة » و « أخبار أبي تمام » و « هبة الأيام » .

بعض شراحه :

أبو بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) ويرمز إليه التبريزي بالحرف (ص) .
والصولي أشهر من أن نعرف به هنا ، فكثير من كتب الأدب - ومنها الأغاني -
مدين له برواياته . وله تأليف كثيرة طبع منها كتاب : « أدب الكتاب » ،
و « الأوراق » و « أخبار أبي تمام »^(٤) . وقد جمع الصولي دواوين عدة شعراء كان
السابق فيها على هذا الترتيب المعروف ، أعنى ترتيبها على الحروف^(٥) .

وهو أقرب الشراح - الذين وصلت إلينا شروحهم - عهداً بأبي تمام ، وقد
كان كما ذكرنا ، أول من عمل شعر هذا الشاعر ، وألف في أخباره . وقد أخذ رواية
هذا الديوان عن أبي مالك عوف بن محمد الكندي الذي عاصر أبا تمام ، واتصل

(١) ذيل كشف الظنون (٢) الموازنة : ص ٥ ، ص ٨ (٣) الفهرست : ص ١٦٩ .

(٤) له كتاب الوزراء ، وكتاب الورقة ، وكتاب الأنواع ، وأخبار القرامطة ، وكتاب

الفرر ، وأخبار أبي عمرو بن العلاء ، وكتاب العبادة ، وأخبار ابن هرمة ، وأخبار السيد الحميري ،
وأخبار إسحق بن إبراهيم ، وكتاب رمضان ، وكتاب الشامل في علم القرآن ، وكتاب مناقب علي بن
الفرات ، وكتاب أخبار الجبائي أبي سعيد (ابن خلكان ١ : ٦٤٣ بولاق والفهرست ص ١٥٠) .

(٥) جمع ديوان أبي تمام ، وابن الرومي ، وأبي نواس ، والبحترى ، والعباس بن الأحنف ،

وعلى بن الجهم ، وابن طباطبا ، وإبراهيم بن العباس ، وابن عيينة ، وابن شراقة .

به وروى عنه^(١). واتصاله بهذا الرجل كان له أثر ملحوظ في تحقيق روايته وشرح شعره. وكثيراً ما نقرأ له هذه العبارة: «سألت أبا مالك». ويقول في موضع من كتابه الأخبار: حدثني أبو مالك عون بن محمد الكندي كاتب حُجْر بن أحمد، وما رأيت أعلم بشعر أبي تمام منه، وكان قد قرأ على أبي تمام عشرين قصيدة من شعره، وقرأتها عليه سنة خمس وثمانين ومائتين^(٢).

وهو يرى نفسه أقدر الناس على النهوض بشعر أبي تمام وتفسيره، حتى ليقول لصاحبه الذي قدم له الديوان: «ولو أنصف من يقرأ هذا وأشباهه من تفسيرنا، علم أن أحداً لم يستقل بمثله، ولا علم حقيقة الكلام كما علمناه، إلا أن يتعلمه من هذه الجهة متعلم ذكي فيبلغ فيه^(٣)». كما يقول له في موضع آخر: «ولما حدثني عليه، وجذبني إليه، علمك بأن كل متسع يضيق عنه، وكل كثير يقلّ دونه، وكل كبير يصغر عنده (يريد أبا تمام)، فوهبت أخذ ما لا يستحقه ولا تقر لي بالفائدة فيه لك — أعزك الله — لمن يشكرني عليه، ويقر لي بالفضل فيه، ويعلم أن أحداً ما تضمن القيام بقصائده، فضلاً عن جميعه، ونعوذ بالله من العُجْب بما نعلمه، والادّعاء لما لا نحسنه، وإياه نسأل ألا يؤاخذنا بما نشغل به الفكرة، ونصرف إليه المهمة، ونقف عليه الخاطر». ثم يقول في موضع آخر، وكأنه عرف أن قوماً سيدّعون شرحه لأنفسهم: «وكأني — أعزك الله — بأشد الناس حاجة إلى ما أولفه مما تقدمت فيه، وأجهلهم به، قد ادّعاه بعد إملائي له، وأجاب فيه بعد شرحي لمعانيه، لا ينسب ذلك إليّ، ولا يعترف به لي، ولست أبالي ذلك في سبيل رضاك، ولا أحفل به مع بلوغ مرادك، وعلمك بعجز المدعين عما كلفتنه، وأن أحداً منهم لم يجسر على أن يُنشد قصيدة واحدة من شعر هذا الرجل، ضامناً القيام بما فيها، فضلاً عن إيراد أخباره والاحتجاج لما عيب عليه، والتضمن لجميع شعره، والنضح عنه، والذب عن حريمه، والتنبيه على جيده، ليعلم علوه في الشعر، وتقدمه في الفهم^(٤)».

(١) لأبي مالك عون بن محمد الكندي هذا كتاب «التشبيات المشرقية» مخطوط بمكتبة تيمور بدار الكتب المصرية.

(٢) الأخبار ص ٣١ وشرح الديوان المخطوط ورقة ٣.

(٣) الأخبار ص ٢١٨ وشرح الديوان المخطوط ورقة ١١.

(٤) الأخبار: ص ١١، ١٢.

ولا شك أن أبا بكر الصولى كان له الفضل ، لأنه أول من عمل شعر أبى تمام ، وألّف فى أخباره ؛ وروايته لهذا الديوان عن أبى مالك عون هذا تجعل لروايته قيمة ؛ وغير خاف أن أبا بكر الصولى من أئمة الأدب ، وقد رأينا مدى اعتزازه بمنزلته . وقد كان شرحه لشعر أبى تمام حلقة أولى فى سلسلة طويلة من الشروح ، ولا شك أن كثيرين قد اعتمدوا على أقواله . لكن الصولى مع هذا كله لم يخل من نقد وتجريح . وكما طعن الصولى فى كتابه على الذين يدعون علم الشعر لأنفسهم وهم ليسوا من أهله ، واتهمهم بالعجز ، وأظهر نفسه بمظهر العالم الذى يجب أن يقر له بالتقدم والفضل ، نجد أن غيره من العلماء قد حقّره هو الآخر وغض منه ، وعاب بعض تفاسيره لشعر أبى تمام . والآمدى فى « الموازنة » والمرزوقى فى كتابه « الانتصار » كثيراً ما نعى عليه ما ادّعاه لنفسه ، وكثيراً ما سلقاه بألسنة حداد ، يشير إليه الآمدى فيقول : وبعد ، فلم لا تصدق نفسك أيها المدعى ، وتعرفنا من أين طرأ لك الشعر ؟ أمن أجل أن عندك خزانة كتب تشتمل على عدة دواوين وأنت ربما قلّبت ذلك أو صحفته ^(١) ؟ ! وكذلك كثيراً ما نقده المرزوقى وطعن عليه .

والصولى متعصب لأبى تمام ، وكتابه « الأخبار » فى الدفاع عنه ، وفى شروحه ، نراه دائماً يحاول ألا يغض له من معنى . وهذه العلاقة بين الشارح والشاعر لها — كما نعلم — أثر فى توجيه شرح الشعر ونقده . ولسنا الآن فى صدد هذا الخلاف القوى الذى قام بين علماء الشعر فى تفضيل أبى تمام على البحرى أو العكس ، ولكن الظاهر أن الصولى والآمدى كانا فى هذا على طرفى نقيض ، الصولى مناصر لأبى تمام مبغض للبحرى ، والآمدى على خلاف ذلك ، وإن دارى تعصبه بطرق خفية .

وشرح الصولى شرح مختصر يكاد يكون خالياً من مسائل النحو واللغة ، وإنما يقتصر على معانى الشعر ، فإن كان هناك خبر يتصل بالشعر ذكره مفصلاً ، لعلمه بأخبار هذا الشاعر كما قال . ويكاد يكون شرحه منقسماً قسمين ، الأول منهما مليء بالشرح ، والنصف الثانى من الديوان يكاد يكون خلوّاً من الشرح ، كأنما بدأ شرح الديوان ليكون القسم الذى شرحه معيناً يهدى لسائر ما فيه كما يقول .

(١) الموازنة : ص ١٦٩ .

هذا هو الشارح الأول من شراح أبي تمام ، وأحد الذين اعتمد عليهم الخطيب التبريزي في شرحه ، ولندكر الآن شارحاً آخر لم يكثر التبريزي الأخذ عنه ، ولكنه مع ذلك يحتل مكانة أدبية رفيعة ، وأقواله في أبي تمام لا يزال يتأثر بها المتأدبون ، ذلك هو الآمدي صاحب كتاب « الموازنة » .

الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) :

وهو متهم بالتعصب على أبي تمام ، وكتابه « الموازنة » قد يشهد بذلك ، وقد لاحظ عليه بعض المتقدمين هذه العصبية ، قال ياقوت في معجم الأدباء : « وله كتاب " الموازنة " في عشرة أجزاء ، وهو كتاب حسن وإن كان قد عيب عليه في مواضع منه ، ونسب إلى الميل إلى البحرى فيما أورده ، والتعصب على أبي تمام فيما ذكره ، والناس فيه بعد على فريقين ، فرقة قالت برأيه حسب رأيهم في البحرى وغلبة حبهم لشعره ، وطائفة أسرفت في التقييح لتعصبه ، فإنه جد واجتهد في طمس محاسن أبي تمام ، وتزيين مردول البحرى ، ولعمري إن الأمر كذلك ، وحسبك أنه بلغ في كتابه إلى قول أبي تمام :

« أصم بك الناعى وإن كان أسمعا »

وشرع في إقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين ، فتارة يقول هو مسروق ، وتارة يقول هو مردول ، إلى غير ذلك من تعصباته ، ولو أنصف وقال في كل واحد بقدر فضائله ، لكان في محاسن البحرى كفاية عن التعصب بالوضع من أبي تمام ^(١) .

وعلي حين نجد الصولى يجعل صاحبه أبا تمام رأساً في هذا المذهب البديع فيقول : « ولو عرف هؤلاء ما أنكره الناس على الشعراء الخذاق ، من القدماء والمحدثين ، لكثرت حتى يقل عندهم ما عابوه على أبي تمام ، إذا اعتقدوا الإنصاف ونظروا بعينه . ومنزلة عائب أبي تمام — وهو رأس في الشعر ، مبتدئ لمذهب سلكه كل محسن بعده ، فلم يبلغه فيه ، حتى قيل : مذهب الطائي ، وكل حاذق بعده ينسب إليه : ويقفى أثره — منزلة حقيرة بضمان عن ذكرها الذم ، ويرتفع عنها

(١) معجم الأدباء لياقوت (٨ : ٨٧ - ٨٨ دار المأمون) .

الوهند ، وقد كان الشعراء قبل أبي تمام يبدعون في البيت والبيتين من القصيدة ، فيعتدّ بذلك لهم من أجلّ الإحسان ؛ وأبو تمام أخذ نفسه ، وسام طبعه ، أن يبدع في أكثر شعره ، فلعمري لقد فعل وأحسن ، ولو قصر في قليل — وما قصر — لغرق ذلك في بحور إحسانه ، ومنّ الكامل في شيء حتى لا يجوز عليه خطأ إلا ما يتوهمه من لا عقل له ؟ . . . »^(١) على حين يقول الصوليّ هذا ، نجد الآمدى يقول ردّاً عليه : « ولا هو بأول فيه — يريد أبا تمام — ولا سابق إليه ، بل سلك في ذلك سبيل مسلم ، واحتذى حذوه ، وأفرط وأسرف ، وزال عن النهج المعروف ، والسنن المألوف ؛ وعلى أن مسلماً أيضاً غير مبتدع لهذا المذهب ، ولا هو أول فيه ، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسم البديع ، وهو الاستعارة والطباق والتجنيس ، منثورة متفرقة في أشعار المتقدمين ، فقصدها وأكثر منها »^(٢) .

وقد كان الآمدى تلميذاً لأبي موسى الحامض الذي كان يكره الصوليّ ، ويكثر من التشنيع عليه ، وربما كان لهذه التلمذة أثر فيما كان بين هذين الرجلين : الصوليّ والآمدى ، من عداوة ، حتى لكأنما اتخذا من أبي تمام ميداناً للجدال والمحاصمة .

يقول الصوليّ لصاحبه في مقدمة كتابه الأخبار : « وأنت — أعزك الله — تشهد لي من بين الناس أن أبا موسى الحامض كان يشليني عندك وتنهائ ، ويكثر من عيبي ، والظعن على سائر ما أملتته ؛ وأنه لا فائدة في شيء منه ؛ فلما توفيتي وحملت كتبه إليك ، وجدت أكثر ما أملتته من كتاب ” الشامل في علم القرآن “ ، وكتاب ” الشبان والنوادر “ ، وما مر من شعر أبي نواس ، قد كتبه كله بخطه ، واتخذته أصولاً يتفق منه تفاريق على من كان يقصده ، ويطلب فائدته ، فأكبرت ذلك ، وكثر منه عجبك »^(٣) .

ومهما يكن الرأي في موقف الآمدى من أبي تمام . وموقفه من أبي بكر الصوليّ ، فإن الذي لا شك فيه ، هو أن العلاقة بين الشارح أو الناقد ، وبين شارح آخر

(١) الأخبار : ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) الموازنة : ص ٦ .

(٣) الأخبار : ص ١٠ ، ١١ .

أو ناقد ، وبينهما معاً وبين الشاعر ، لها أثر في توجيه معاني الشعر والحكم على الشاعر ، بل لها أثر في رواية شعره ، وقد رأينا بعض أصدقاء أبي تمام يغيرون رواية بعض شعره ، ليقوموه له حسب رأيهم ، كما رأينا بعض المتعصبين عليه يغير من الرواية ، قصد النكابة به ، والتشنيع عليه ، ومن هؤلاء الآمدى نفسه ، ولعل بعض ما ذكرناه في الهوامش يغنينا عن الأمثلة .

والآمدى رجل جليل ، كثيراً ما يقيس الشعر على أقيسة من المنطق ، حتى يذهب للدرجة التعسف ، وأحياناً نراه يدعى الرجوع إلى النسخ القديمة لديوان أبي تمام ، كنسخة أبي سعيد السكري وغيره ، ويقول إن هذه النسخ القديمة التي يرجع إليها لم تقع في يد الصولي وأضرابه^(١) ، ولكن رجلاً كابن المستوفى يذهب إلى أن هذا محض اختلاق من الآمدى ، وأنه يغير رواية الشعر عمداً ، ليحدث ثغرة في شعر أبي تمام .

ولنمض الآن إلى المرزوقي صاحب كتاب « الانتصار » ، وأحد الذين اعتمد عليهم التبريزي في شرحه مشيراً إليه بالحرف (ق) .

المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) :

قال ياقوت : « قال الصاحب بن عباد : فاز بالعلم من إصبهان ثلاثة : حائك ، وحاتج ، وإسكاف . فالحائك : هو المرزوقي ، والحاتج : أبو منصور ابن باشده ، والإسكاف : أبو عبد الله الخطيب صاحب التصانيف في اللغة »^(٢) . والمرزوقي صاحب شروح كثيرة ؛ شَرَحَ « الحماسة » ، و « المفضليات » ، و « أشعار هذيل » ، و « الفصيح » لثعلب . وله كتاب « الأزمنة والأمكنة » المطبوع . وليس لدينا مخطوطة من كتابه « الانتصار » ، وربما ضاع هذا الكتاب فيما ضاع من تراثنا الأدبي القديم ، لكن لدينا نقول كثيرة منه ، تعطينا صورة عنه ، نقول أوردها ابن المستوفى في كتابه « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام » . وقد أثبتنا في هوامشنا كثيراً منها ، أما ما نقله التبريزي عنه فليس كما جاء في مقدمته من أنه نقل من كتاب « الانتصار » ، لأن معظم ما ذكره التبريزي في كتابه عنه ،

(١) انظر الموازنة : ص ٨٩ ، ٩٤ ، ١٦٥ .

(٢) المعجم (٥ : ٣٥ دار المأمون) .

أخذه من كتاب المرزوقي « المشكل من أبياته المفردة » ؛ وستحدث عن هذا الكتاب فيما ستحدث عنه من شروحه . وإنما يهمننا من المرزوقي في هذه العجالة لون شرحه ، والصفة الغالبة عليه — كما لاحظنا — محاولته الدائبة ليستقل برأيه ، في رواية الشعر وفي شرحه ، لذلك كثيراً ما نراه يخالف شراح أبي تمام المتقدمين ، وخاصة أبا بكر الصولي ، وكثيراً ما عرّض به هو الآخر ، ونعى عليه بعض تفاسيره ، وله عليه مأخذ كثيرة ، فحين يقول المرزوقي : « وذكر هذا الإنسان » نعلم أنه إنما يريد الصولي .

والمرزوقي موفق في أغلب شرحه ، إلا أنه هو الآخر يسرف ، فيظهر في أقواله العسنت ، وأحياناً الخطأ . وشرحه يمتاز بأسلوب قوى رصين ، ولعله أكثر شراح أبي تمام عناية بأسلوبه ، وهو متعصب لأبي تمام ، كما يظهر من كتابه « الانتصار » وحين تشبه الرواية نرى المرزوقي لا يعمد إلى النسخ القديمة ، ولكننا نراه يقيم الحجة على روايته من مذهب الشاعر نفسه ، أو طريقته في أدائه ، وأحياناً نراه يقوم الرواية قياساً على معاني الشعر ومذاهب الشعراء .

ولنمض الآن إلى رجل آخر لم يذكره التبريزي في مقدمته ، ولكنه ذكره في آخر كتابه ضمن من أخذ عنهم ، ونعني به الإمام الحارزنجي .

الحارزنجي (٣٤٨ هـ) :

وقد رمز إليه التبريزي بالحرف (خ) وربما لاحظ القارئ كثرة ترداد اسم الحارزنجي في هوامشنا ، وإنما نقلنا أقواله التي أثبتناها من كتاب ابن المستوفى . وأهميته أنه يعتبر من شراح أبي تمام المتقدمين ، وهو فوق ذلك عالم فاضل ، مشهود له بالعلم والدراية ، ترجم له صاحب البغية ، فقال : أحمد بن محمد البستي . يعرف بالحارزنجي . قال ابن السمعاني : إمام أهل الأدب بخراسان بلا مدافعة ، يشهد له أبو عُمَرَ الزاهد ومشايخ الطرق بالتقدم ، ودخل بغداد ، فعجب أهلها من تقدمه في معرفة اللغة . سمع الحديث من أبي عبد الله البوشنجي ، وعنه أخذ أبو عبد الله الحاكم . وصنف كتاب « تكملة العين » . وشرح أبيات « أدب الكاتب » ، وله كتاب التفضلة ^(١) .

(١) بغية الوعاة ص ١٧٠ .

وليس للخارزنجي لون خاص يميزه كثيراً ، وإن كانت اللغة غالبية عليه ، وحين كنا نراه يتفرد بشرح أو رواية ، كنا نثبت كلامه في هوامشنا ، لمكانته وتقدمه أولاً ؛ ولما أخذنا أنفسنا به من جعل هوامشنا مكملة لمتن الكتاب أحياناً ، أو مبينة لوجه مخالف من الرواية والشرح أحياناً أخرى .

أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) :

وهو أستاذ الخطيب التبريزي ، ويرمز إليه الخطيب بالحرف (ع) ، وهو أكثر الرموز ذكراً في هذا الديوان ، حتى يكاد يطالعنا في كل صفحة . ونسأل ما لون أسلوب أبي العلاء في شرحه على أبي تمام ؟

الظاهرة الغالبة التي لا تحتاج في تجليتها إلى كبير عناء ، والتي تسرعي انتباه كل من نظر في هذا الشرح ، هي اللغة . نعم ، فلقد صبغت أقوال أبي العلاء في أبي تمام بصبغة لغوية قوية ، حتى لينسى المعري في كثير من الأحيان تفسير البيت ، وتلخيص معناه ، لما هو مأخوذ به من اللغة .

والصفة الثانية التي يمكن أن يتسم بها شرحه كثرة رواياته ، فأبو العلاء أكثر الشراح ذكراً لرواية أخرى ، وأكثرهم كذلك احتيالا على وجه آخر في تخريج المعنى ، حتى الكائنما كان قصده من هذا الشرح إظهار قدرته اللغوية في تجويز ما لم يستطع غيره تجويزه . وكثيراً ما رأيناه يفعل ذلك بعد أن يذكر رواية الشاعر الصحيحة المعروفة ، يقول بعدها : فإن رويت كذا فالمعنى كذا ، وإن رويت كذا فالمعنى كذا . وكان لأبي العلاء لا شك مندوحة عن هذا الاتجاه لولا أنه جعل من اللغة مظهرًا لفلسفته .

وأبو العلاء يميل إلى أبي تمام كثيراً ، فما لم يصحّ عنده على السماع ، فهو يصحّ على القياس ، وما لم يصحّ على القياس نزه يقول فيه : ولا يجوز هذا على الطائي ، فلا بد أن يكون سمعها في شعر قديم ، لأنه كان متبحراً في الرواية . وهكذا لا يخطئه في شيء .

فأما كتابه « ذكرى حبيب » فليس إلا أبياتاً اختارها من شعر أبي تمام ، وفسرها على طريقته ^(١) . وكتابه « عبث الوليد » كان سبب إنشائه فيما يقال أن بعض

(١) معجم الأدباء (٣ : ١٥٦ دار المأمون) .

الرؤساء أنفذ إليه نسخة من شعر البحتريّ ليقابل له بها ، فأثبت ما جرى من الغلط فيها .

ولقد كان في معاني أبي تمام مرّاد خصب لفلسفة أبي العلاء ، ولو أنه خاض في معاني الشعر كما خاض في اللغة ، إذن لظفرنا في هذا الشرح بأقوال كانت جديدة بتقل شروحنا الأدبية من طابعها اللغوي المألوف ، إلى المعاني العقلية البحتة ، وإلى هذا الأفق الذي يظهرنا على روح الشاعر وفلسفته .

ولم تخل أقوال أبي العلاء من مأخذ أخذها عليه غيره ، وهوامشنا فيها أمثلة على ذلك .

التبريزي (ت ٥١٢ هـ) :

وهو صاحب هذا الشرح وصاحب شروح كثيرة ، فقد شرح « الحماسة » ، و « الفضليات » ، و « سقط الزند » .

والسّمة التي يصح أن تتسم بها شروحه هي النقل من غيره . فطريقته أن يذكر البيت ، ويذكر ما قال فيه بعض المتقنين ، ثم يكمل الشرح من عنده أحياناً ، أو يقتصر على ما قال غيره أحياناً أخرى . وشرحه على « سقط الزند » إنما نقله عن أستاذه أبي العلاء ، ومع ذلك فقد وقع فيه تقصير ، إذ أهمل الخطيب أكثر المشكلات كما يقول صاحب « التنوير » : « فجاء الشرح لُمعاً من مواضع شتى ، لم يشف به الغليل » . وكذلك شرحه على « الحماسة » المطبوع ، إذا قابلناه على شرح المرزوقي المخطوط ^(١) ، نرى الشرحين متشابهين بأكثر ألفاظهما في كثير من المواضع ، وقد يكون التبريزي نقل من كلام المرزوقي كثيراً من مادة شرحه ، مع رمزه إلى مصدره . ثم سقط ذلك الرمز من النسخة ؛ وقد يكون تصرف في النقل عنه ، من غير رمز إليه .

فأما في شرحه هذا على أبي تمام فقد اعتمد على من ذكرهم في مقدمته ، فأقوالهم ، لكننا نلاحظ أن أقواله في بعض المواضع التي لم يعين فيها تتضمن من أقوال هؤلاء أشياء ربما كانت بأكثر لفظها ومعظم معناها ، دون أن يشير إلى ذلك ،

(١) منه صورة بمكتبة جامعة القاهرة .

وفي بعض هوامشنا أمثلة على ذلك . وقد ذكر التبريزي في آخر شرحه هذا من اعتمد عليهم ، فقال :

« هذا آخر شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وجمع ما اتفق لإثباته من التفاسير والإعراب ، مما ذكره أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخي المعري في كتابه الموسوم بـ ” ذكرى حبيب “ ؛ وما ذكره أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي في تفاسيره وفي كتابه الموسوم بـ ” الانتصار من ظلمة أبي تمام “ في الرد على من رد على أبي تمام ، وعابه في مواضع من شعره ؛ وما ذكره أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب صاحب كتاب ” مبادئ اللغة “ ؛ ومن كلام الصولي وغيره . وعلامة أبي العلاء (ع) في بعض المواضع ، وعلامة المرزوقي (ق) ، وعلامة الخطيب (الشيخ) اتباعاً للنسخة المقررة عليه ، فإن وُجد فيما كتبه سهو أو تحريف ، وظهر فيه وجه الصواب أصلح ، لأن القليل إلى جنب الكثير مغفوّ عنه ، والكتب القديمة عن الأئمة الذين يُقَسَّدَى بهم قلما تخلو من ذلك ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين » .

والخطيب شرح مختصر على ديوان أبي تمام ، نقل فيه كثيراً من شرح الصولي حتى أوقع النسخ في خطأ ، إذ ظنوا مختصره هذا شرح الصولي ، فنقلوا مقدمة الصولي إليه . قال صاحب كشف الظنون : والخطيب التبريزي مختصر على أبي تمام ، أوله « الحمد لله الذي جعل معرفة العارفين التقصير عن شكره ... » إلخ ^(١) . وهي نفس مقدمة الصولي التي يذكر فيها أنه وفي بما وعد تلميذه به من عمل « أخبار أبي تمام » ، ثم يقول الصولي بعد ذلك فيها : وبقي شعره الذي سألتني عمله ... إلخ . ومهما يكن الرأي في الخطيب التبريزي ، فإنه بهذا الشرح قد قدم للمتأدبين عملاً جليلاً خالداً ؛ إذ جمع شعر أبي تمام من أوله إلى آخره . ثم نظر في شروح شراحه ، ثم اختار من هذه الشروح وضمّنها كتابه ، ناسباً كل قول لقائله غالباً ، فجاء شرحه حاوياً لآراء هؤلاء الشراح جميعاً ، ولا شك أن الاختيار والتضمين عمل شاق في نفسه ، فضلاً عن جهده هو في شرحه الكثير من شعر هذا الشاعر . وقد قرأ هذا الديوان ، كما قال في مقدمته ، على الشيخ أبي القاسم الفضل بن محمد

(١) كشف الظنون (١ : نهر ٧٧١) . طبع الآستانة سنة ١٩٤١ .

القَصَبَانِي ، الذي قرأه على عبد الكريم السكري ، عن الآمدي ، عن السجستاني ، عن أبي سعيد السكري ، عن أبي تمام . فروايته إذن تنتهي إلى أبي سعيد السكري عن أبي تمام . وهذه أسانيد كلها موثوق به .

ولا يتسع المقام في هذه المقدمة لذكر أكثر من هذا الذي ذكرناه ، وإنما أردنا أن تأتي بطرف من ذكر هؤلاء الشراح الذين تضمنهم شرح التبريزي هذا ، على ما نظنهم عليه في شروحهم لأبي تمام . وبقي أن نذكر شيئاً عن تحقيق هذا الديوان ، وعن النسخ التي اعتمدنا عليها في ذلك .

تحقيق هذا الديوان :

اعتمدت في تحقيق هذا الديوان على :

- ١ - النسخ المخطوطة التي حصلت عليها من شرح التبريزي على ديوان أبي تمام .
 - ٢ - النسخ المخطوطة من شرح الصولي لتحقيق أقواله التي أوردها التبريزي .
 - ٣ - كتاب المرزوقي « المشكل من أبياته المفردة » .
 - ٤ - كتاب ابن المستوفي المسمى بـ « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام » ، الذي جمع فيه أقوال شراح أبي تمام وفيهم التبريزي .
 - ٥ - النسخ المخطوطة من ديوان الشاعر لتحقيق رواية التبريزي وإثبات الاختلافات في الهوامش .
- هذه أهم الأصول التي اعتمدت عليها ، ولنخص الآن بعضها بالذكر .

١ - نسخ التبريزي :

لدينا من هذا الشرح مخطوطات ، بعضها قديم ، وبعضها الآخر حديث ، بعضها مليء بالخطأ ، وبعضها الآخر صحيح في معظمه مستقيم .

وأول ما يجب على ناشر الكتب القديمة الجمع والانتقاء ، وذلك بمعارضة ما يجتمع إليه من النسخ المخطوطة للكتاب الذي ينشره ، حتى يبين له التابع منها من المتبوع ، فإذا عرف الأصل الذي يجب أن يجعله عمدته واطمأن إليه . نظر بعد

ذلك فيما يمكن أن يستفيد منه مما اجتمع لديه من الأصول ، وذلك بمعرفة علاقات بعضها ببعض .

ولقد جمعت من مخطوطات هذا الشرح ما أمكنني جمعه ، وفاضلت بينها ، فوجدت أنها لا تكاد تختلف اختلافاً له شأن يذكر ، في رواية الشعر أو في مادة الشرح ، عدا نسختي (ب ، ن) اللتين يصح أن نقول إنهما من أسرة واحدة ، على حين أن بقية الأصول من أسرة أخرى ، ولكنها مع ذلك من صلب هذه الأسرة الأولى .

وجعلت النسخة التي رمزت إليها بالحرف (ش) الأصل الأول ، ولم أحد عنها إلا في مواضع قليلة جداً لسبب من الأسباب ، وهي أم هذه الأسرة من النسخ الكثيرة العدد . ولا بد لنا هنا أن نخصصها بشيء من الذكر .

نسخة ش :

وهي مصورة عن الأصل المخطوط المحفوظ بمكتبة شهيد على باشا بإستانبول . نسخة تامة في مجلدين ، الأول منهما في ٢٤٨ ورقة ، والثاني في ٢٢٩ من القطع المتوسط^(١) . على الورقة الأولى منها ختم مكتبة شهيد على باشا ، وشرط صاحب النسخة ونصه : « (كلمة بمعنى وقف) هذا الكتاب لله ، أبو عبد الله ، ولي الدين جار الله ، بشرط ألا يخرج من خزنة . . . جامع القسطنطينية (ثم تاريخ غير ظاهر) .

وعلى هذه الورقة الأولى تملك بتاريخ سنة ٩٨١ هـ ونصه : « الحمد لله ، ملك العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير ، أحمد بن حسن الحقيير ، عفا عنهما اللطيف الخبير ، بحرمه البشير النذير ، في شهر ذي القعدة الحرام ، المنخرط في سلك سنة إحدى وثمانين وتسعمائة » . . . سنة ٩٨١ هـ .

وهي مكتوبة بخط النسخ ، ومشكولة نصف شكل وعدد سطورها ١٩ سطراً ، ولم يتغير خطها إلا في موضع نبهنا عليه (من ص ١٤٠ إلى ص ١٥١) من المجلد الأول . وليس على هوامشها تعليقات أو تصحيحات ، وهي نسخة تدل على أن

(١) مسجلة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٦٠ .

كاتبها كان قليل السهو أو الإهمال ، وهى فوق ذلك قليلة التصحيح والتحريف ، جيدة النقط والإعجام ، صحيحة النص بالقياس إلى غيرها .

ومن تاريخها القديم ومن المقابلة ، ظهر لنا أنها نسخة أصلية ، لهذا جعلناها أصلاً ثابتاً لنا ؛ فثلاً حين كنا نقابل ما نقله التبريزى عن الصولى فيها ، بما جاء فى كتاب الصولى ، أو ما نقله عن المرزوقى ، بما جاء فى كتاب المرزوقى ، أو ما نقله من الخارزنجى ، بما نقله ابن المستوفى عن الخارزنجى ، أو غير هؤلاء من الشراح - حين كنا نقابل أقوالهم بما ورد فى نسخة ش منها ، كنا نجد مطابقة كل المطابقة لها لا تكاد تختلف إلا اختلافاً ليس ذا شأن .

فهذا إذن أصل يدعو إلى الطمأنينة ، وما جاء على هوامش النسخ الأخرى من تصحيحات يدل على صحتها وعتمتها ، لأن هذه التصحيحات ترجع إلى ما جاء فى متنها .

نسختنا (ن ، ب) :

كثيراً ما ذكرنا فى هوامشنا نسختى (ن ، ب) لأنهما كما قلنا من أسرة أخرى ، وإن كانتا ترجعان فى أصلهما إلى الجدة الأولى الذى انحدرت منه نسخة ش . فأما نسخة (ن) فهى جزء واحد من الديوان فى مجلد واحد ، مصورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة بنى جامع بإستامبول^(١) ، عدد لوحاتها ٢٤٥ لوحة ، وتنتهى عند قافية الفاء ، عند القصيدة التى يمدح بها أبو تمام الوزير ابن الزيات ، ومطلعها :

دَنِفٌ بِكِي آيَاتِ رِيعٍ مُدْنَفٍ لَوْلَا نَسِيمُ تَرَابِهَا لَمْ يُعْرِفِ
وهو ما يقابل الورقة ١٦ من المجلد الثانى من نسخة ش .

وليس عليها تاريخ نسخ ، أو اسم لناسخ ، وعلى الصفحة الأولى تملك يرجع تاريخه لسنة ١١٣١ هـ ، وعلى الورقة الثانية دعاء للسلطان عثمان خان وخانم المكتبة . وهى بخط فارسى صغير ، ومسطرها ٢١ سطراً ، غير مشكولة ، وكثير من ترقيمها مضطرب أو ساقط ، وعلى هوامشها تفسيرات من اللغة ، معظمها من صحاح

(١) وهى مسجلة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٧ .

الجوهري ، كما أن عليها تصحيحات وتعقيبات ، وكثير من هذه التفسيرات المكتوبة بهوامشها منقول من متن التبريزي بحرفه ، وبنفس الخط ، كأنما أراد كاتبها أن يجمع بعض المفردات اللغوية ومساائل في الصرف مما جاء في شرح الديوان ، فنجد قبالة بيت أبي تمام مثلاً :

عَوْدٌ تساجله أيامه فيها من مسّه وبه من مسّها جلّلبُ

بالهامش : « العود » : المسنّ من الإبل ، ويقال للسودد القديم عود ، على الاستعارة ، ويقال طريق عود أى قديم . وكل هذا جاء في شرح التبريزي على هذا البيت .

على أن هذه النسخة قد عورضت فيما يظهر بنسخة أخرى يرمز إليها الكاتب بالحرف « س » ويثبت على الهامش روايات (س) المغايرة ، ففي هذه القصيدة عند البيت :

• يعشو إليك وضوء الرأي قائده •

نجد على الهامش : س : « عشا » كما نجد : وفي بعض النسخ « يعشى » ، والوجه « يعشو » ، وهذا يدل على أنها عورضت بنسخ أخرى غير نسخة س .

فأما نسخة (ب) فهي عن الأصل الموجود بمكتبة بروصه بقرب إستامبول وهي شقيقة نسخة (ن) وتنتهي نفس الانتهاء ، وما في هوامش (ن) منقول عنها بزيادات في اللغة أو الصرف ، وعدد لوحاتها ٢٨٠ لوحة ، في جزء واحد ، كتبت بخط النسخ ، ومشكولة شكلاً تاماً ، وعدد سطورها ١٩ سطراً ، جاء على الورقة الأولى منها : « الجزء الأول من كتاب الإيضاح في فسر شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، مما جمعه الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي الملقب بالخطيب التبريزي رحمه الله » . وبهامش هذه الورقة الأولى بخط مخالف يظهر عليه القدم بعض الشيء : « يعتمد على الله تعالى على بن عيسى بن أبي الفتح ، في رجب المبارك برسم جمال الدين بن بقيّ بن الحاج محمد بن عمر الواسطي ، عفا الله عنه . . . (كلام مقطوع مطموس) ، ثم تاريخ سنة ٥٤٠ هـ .

وفي صلب هذه الورقة من أسفل تملك بخط فارسي حديث ، نصه : « من

مستوعبات الدهر لدى الفقير إلى من لا إله سواه ، شيخ محمد بن شيخ لطف الله ،
عنى عنهما » .

فإذا صح تاريخ هذه النسخة أى سنة ٥٤٠ هـ ، فهى إذن أقدم أصول التبريزى
التي بين أيدينا لولا أنها جزء واحد ، وخطها يرجح قدمها .

وقد جعلناها هى ونسخة (ن) أصليين لنسخ أخرى تبعتهما ، وأثبتنا فى هوامشنا
رواياتهما المخالفة لنسخة (ش) .

ولا يتسع المقام هنا لذكر سائر النسخ من شرح التبريزى ، فهى فى مجموعها
يصح أن تنقسم إلى أصليين : أصل (ش) وأصل (ب ، ن) ، والنسخ جميعاً
فيها نقص مشترك ، وهو سقوط الرموز التي وضعها التبريزى (ص) للصولى و (ع)
لأبى العلاء و (ق) للمرزوقى ، وهكذا ، فمعظم هذه الرموز ساقط من النسخ
جميعاً ، وقد كلفنى هذا عناء يعلم الله كم آذى ، إذ كنت أقرأ شرح البيت ،
فأحسب الكلام للتبريزى ، فأرجع إلى كتاب الصولى ، وكتاب المرزوقى ، أو كتاب
ابن المستوفى ، فأجد أن بعض هذا الكلام للصولى مثلاً ، فأضع من عندى حرف
[ص] بين قوسين مربعين ، لأفرق بهذا بين هذا الرمز والرمز الذى لم يسقط من
النسخ ، والذي جعلناه بين قوسين معقوفين ، وهكذا دواليك فى غيره من الشراح
الذين أوردتهم التبريزى .

٢ - شرح الصولى :

ولدينا بعد أصول التبريزى ، أصول أخرى يصح أن نطلق عليها الأصول
المساعدة ، وهى أقوال هؤلاء الشراح فى كتبهم ، وفيما نقله غير التبريزى عنهم ،
للتثبت من النص بهذه الطريقة ، وأولها شرح الصولى الذى نقل عنه التبريزى ولدينا
مخطوطات منه .

وقد حققت ما نقله التبريزى عن الصولى على أصليين من أصول شرح الصولى ،
هما ما أشرت إليه بالحرفين (م) ، (ل) أى نسخة المدينة ونسخة ليدن . وبين
أيدينا أصول أخرى من شرح الصولى ، منها نسخة أخرى من ليدن ، ونسخة
عن الأصل الموجود بدار الكتب المصرية ، كانت ملكاً للمرحوم محمود سامى

البارودي ، ولكنها الجزء الثالث من الديوان فقط ، وتبتدئ بقافية الفاء ، ولا نطيل الوقوف عند هذه الأصول المساعدة ، لأن وظيفتها إنما كانت إعانتنا على تحقيق نص التبريزي ، وإثبات ما ضاع من الرموز التي أشار بها إلى أصحابها ، وإثبات بعض الاختلاف الذي يستحق الذكر في رواية الشعر أو شرحه ، وربما قصر التبريزي في شرح بيت من الأبيات ، أو جاء تفسيره ناقصاً ، فأثبتنا في هوامشنا شرحاً آخر له ، وهكذا كانت أصول الصوليّ تحقق نص التبريزي ، كما كانت أصول التبريزي تحقق نص الصوليّ .

٣ - كتاب المرزوقي :

ذكر التبريزي في آخر شرحه أنه أورد في كتابه ما اتفق لإثباته من كلام الصوليّ وغيره ، وما ذكره المرزوقي في تفاسيره ، وفي كتابه « الانتصار » ، فكان علينا أن نقابل ما نقله التبريزي من كلام المرزوقي في كتب المرزوقي إن وجدت : كتباً أو نقولاً نقلها عنه غير التبريزي .

وقد عثرنا على كتاب المرزوقي « المشكل من أبياته المفردة » مصوراً من إحدى مكتبات إستانبول في ١٠٥ ورقة . وهو الذي يشير إليه التبريزي بقوله « تفاسيره » ، كما عثرنا على نقول كثيرة من كتاب « الانتصار » ، نقلها ابن المستوفى عنه ، فاستطعنا بذلك أن نقابل ما نقله التبريزي عن المرزوقي على هذين الأصلين .

فأما كتاب « المشكل من أبياته المفردة » فهو عبارة عن بعض أبيات من شعر أبي تمام ، اختارها المرزوقي لشرحها على طريقته ، غير متبع في اختياره قاعدة معينة ، فليس هذا الكتاب — كما يفهم من عنوانه — بعض عويصات أبي تمام ، ولا هو بعض أبياته المشهورة بمعانيها الحسان ، ولكنه اختار من بعض القصائد بعض الأبيات ، يختار من القصيدة البيتين أو الثلاثة أو فوق ذلك بقليل ، ثم يشرحها ، ليجعل ذلك كما يقول ، معيناً يهدي لسائر ما في شعر أبي تمام . يقول في مقدمته :

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد وآله أجمعين ، جاريتني — أيدك الله — أمر شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وما فيه من عويصات

الآيات ، وبتدع المعاني والألفاظ ، إلى غير ذلك مما يستبد به فنه ولا يساهم ، ويختص به نهجه فلا يقاسم ، ثم سألت أن أتبع مشاهير كلماته ، فالتقطت من فقرها ما يفتقر إلى تبين ، ومن بيوتها ما يحوج إلى تفسير ، ثم أتبع كلا منه بما يحتمل من تلخيص ، بأوجز ما أمكن من لفظ ، وأقرب ما أعرض من بسط ، لتجعل ذلك دليلاً يهدي إلى الأغمض من باقيه ، ومعيناً يُعدي على أطف ما فيه . وقد نظرت في عظم ديوانه ، وجمعت منه جُلّ ما يلقي في المجالس من أبياته ، ثم تحرّيت في شرحها مسارك ، وتوخيّت فيما سهل منه أو توعّر تحصيل مرادك ، غير محتفل بما يلحق من كد ، ولا مفكر فيما يعرض من تعب ، حتى حصل على حدّ يملك الناظر فيه مع أدنى تأمل ، عنان هذا الشعر وزمامه ، ويخبر المذاكر بعد أيسر تمرّس به ، غرض هذا الشاعر وسهامه ، فتي جارٍ فيه سبق ، وإذا ناضل له قَرطَس ، والله أسأل التوفيق ، وإياه أعبد وأستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وقد كان هذا الكتاب نافعاً كل النفع في المقابلة وفي إثبات الرمز (ق) الساقط من النسخ . فأما ما نقله التبريزي من كتاب « الانتصار » فقد قابلته بما نقله ابن المستوفى عنه ، وألحق أن كتاب ابن المستوفى هذا ، كان أكبر معين لي على تحقيق نص التبريزي نفسه ، ونص ما نقل عنهم من شرح أبي تمام ، وسنخصه بالذكر هنا ، لأنه ملأ هوامش كتابنا .

٤ - كتاب ابن المستوفى المسمى بالنظام ، في شرح المتنبي وأبي تمام (١) :

هذا الكتاب يجمع شعر المتنبي وأبي تمام وشروح الشراح عليهما ، كتبه المبارك بن أحمد الإربلي المعروف بابن المستوفى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ . ترجم له ابن خلكان فقال : كان رئيساً جليل القدر ، ماهراً في فنون الأدب ، عارفاً بعدة علوم أخرى ، كالحدِيث وأسماء رجاله ، وكان بارعاً في النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان ، وأشعار العرب وأخبارها وأيامها وأمثالها ، وكان ذا خبرة في علم الديوان

(١) هكذا ذكره ابن خلكان في الوفيات والذي على الورقة الأولى من نسخة إستانبول : « النظام شرح المتنبي وأبي تمام » .

وحسابه ، وضبط قوانينه على الأوضاع المعتمدة عندهم . . . وله عدة تأليف منها تاريخ لإربل^(١) . . . وكتاب النظام هذا الذى جمع فيه كل ما وصل إليه من أقوال الشُّراح فى هذين الشاعرين .

وقد وصل إلى أيدينا منه جزآن من نسختين مختلفتين :

الأول : مصور فى ثلاثة مجلدات ، عن نسخة مصورة فى مجلدين محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٦٤٠ ز ، وأصلها المخطوط بمكتبة سوهاج ، برقم ١٣٥ أدب ، وهو مما كانت احتوته مكتبة آل رفاعة الطحطاوى ، ثم أهدى أخيراً إلى تلك المكتبة .

وهذا الجزء فى ٧٧٢ صفحة ، فى كل منها ٢٩ سطراً ، مكتوب بقلم تعليق (فارسيّ) جميل ، من القرن الحادى عشر تقريباً . وينتهى بآخر شرح قصيدة أبى الطيب المتنبي ، التى قالها فى صباه ، ومطلعها :

كم قَتِيلٍ كما قَتِلْتُ شهيدٍ بياض الطلّى وورد الحدود
وفى آخر هذا الجزء ما نصه :

تم الجزء الأول ، والحمد لله رب العالمين ؛ يتلوه فى الجزء الثانى : وقال أبو الطيب يمدح على بن إبراهيم التنوخى ، ولم يذكر الشعر الذى فى أول الجزء التالى ؛ وقد بينه الكاتب على الهامش بقوله : ويتلوه فى المجلد الثانى :

* أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فى أَحَادٍ *

والثانى : من نسخة أخرى فى مجلدين ، صورت عن النسخة التى صورتها بعثة الإدارة الثقافية ، بجامعة الدول العربية ، إلى إستانبول عام ١٩٤٩ من الأصل المحفوظ بمكتبة بنى جامع برقم ١٠١٥ .

وهذا الجزء فى ٥٤٤ صفحة ، بكل صفحة ٢٧ سطراً . وهو يتبدى بقوله :

قال أبو الطيب يمدح على بن إبراهيم التنوخى :

أَحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فى أَحَادٍ لَيْسَلْتَنَا المنوطة بالتَّنَادِ
وينتهى بشرح القصيدة اللامية التى قالها أبو تمام فى ابن الزيات ، ومطلعها :

(١) ابن خلكان ١ : ٥٦٠ طبع بولاق .

متى أنت عن ذُهِليَّةِ الحى ذاهلٌ وقلبك منها مدة الدهرِ أهيلُ
وفى آخره ما نصه : « تم الجزء الثانى ، ويتلوه فى الجزء الثالث إن شاء الله تعالى : وقال أبو تمام يمدح المعتصم ، ويمدح فتح الخرمية » . وهو بخط نسخى جميل مشكول [كتبه محمد بن إسماعيل بن حسن بن أبى الحسين بن على الهِرَقلى] ، عفا الله عنه وعن جميع المسلمين . ووافق الفراخ من كتابته ضلحى نهار الأحد حادى عشر شهر شعبان من سنة ثمان وسبعين وستمائة الهلالية .

ومن جميل الاتفاق أن الجزء الثانى وإن كان من نسخة أخرى ، فهو يتم الجزء الأول بلا فاصل بينهما ، ولم نعثر إلى الآن على الجزء الثالث الذى يتم به الكتاب ، فلعل من يعثر عليه من العلماء يتفضل مشكوراً بإرشادنا إليه حتى يخرج جميع الديوان كامل الشروح التى التزمناها فى هذا المجلد .

ويهمنا هنا بيان أهمية هذا الكتاب فى تحقيق شرح التبريزى على أبى تمام . أول ما يمتاز به كتاب النظام هذا أنه جامع لأقوال كل شراح أبى تمام منذ بدأ الصولى شرحه إلى ابن المستوفى فى القرن السابع الهجرى ، وكذلك فعل فى المتن . ثم إن ابن المستوفى عالم محقق ، ينسب كل قول إلى قائله ، بحيث إذا رجعنا مثلاً إلى قول التبريزى فى كتابه وجدناه مطابقاً له ، أو إذا رجعنا لما ينسبه إلى المرزوقى فى كتابه ، وجدناه مطابقاً كذلك ، وهكذا .

ولقد بهرنا هذا الرجل حقاً وملأنا إعجاباً ، لدقته وأمانته العلمية ، وكذلك لنقده الصائب فى أكثر الأحيان ، وتعقيباته على بعض من يورد لهم فى كتابه ، وقد أثبتنا فى هوامشنا كثيراً من هذه التعقيبات . ولنتظر كيف قدم لكتابه ، لنرى منهجه فيه . قال فى المقدمة : . . . وإنما اعتمدت فى شرح ديوان أبى تمام الطائى على كتاب أبى بكر محمد بن يحيى الصولى ؛ وعلى « ذكرى حبيب » كتاب أبى العلاء أحمد بن سليمان المعرى ؛ وعلى ما ذكره أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، وعلى كتابى أبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى ، أحدهما فى شرح مشكل أبياته المفردة ، والآخر فى الانتصار لأبى تمام من ظلمته ، وعلى قطعة من كلام أبى حامد أحمد بن محمد الحارزنجى ، ومعه من غير كلامه ، ووقع إلى كلام أبى تمام ، وعلى حواشيه جملة من تفسير ، وفى أوله فوق البسملة : « قال الصاحب الأجل ،

عين الكُفَاة ، تاج الوزراء ، صدر الإسلام والمسلمين ، ناصح الملوك ، وليّ النعم ، أبو القاسم عبد الحميد بن أكفي الكفاة رحمه الله ، سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، قال : قرأت على أبي الحسين بن أحمد النوزازي ، قال قرأت على أبي محمد الحسن ابن محمد صاحب المرزبان ، قال قرأت على أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبان ، قال قرأت على أبي بكر محمد بن يحيى الصوليّ ، وذكر الخطبة . . . » ، ثم جاء بعقب ذلك : وهذه النسخة من نسخ العجم ، وربما وقع في حواشيها شرح يسير بالعجمية ، فإذا عينت : « وفي النسخة العجمية » أو : في طرة النسخة العجمية ، أينما ذكرت فإنما أعنى إياها ، وإذا كانت رواية مجهول نسبها ذكرتها على ما وجدتُها .

ووقع إلى نسخة لديوان شعر أبي تمام شرح الصوليّ ، وعلى أول طرة منها ما حكايته : هذه النسخة صحّحها إبراهيم بن أحمد بن الليث ، نسخة كانت لأحمد بن بكر العبدىّ . وكان كتب على حاشية الورقة الأولى : « يقول محمد بن جعفر التيميّ : قرأ على هذا الديوان الشيخ أبو طالب أحمد بن بكر العبدىّ ، أيدّه الله ، ورويته له عن أبي بكر الصوليّ ، وعن أبي مالك صاحب أبي تمام » . قال إبراهيم بن الليث : العبارات المنقولة إلى الحواشي هي منقولة عن هذه النسخة على اختلافها وتقارب ألفاظها ، وإن كانت المعاني صحيحة .

كانت مصادر ابن المستوفى كتاب الصوليّ ، وذكرى حبيب ، لأبي العلاء ، وأقوال الآمدىّ ، وكتابي المرزوقى ، وقطعة من كلام الخارزنجيّ ، وشرح التبريزيّ ، وهذه النسخ التي أشار إليها ، والنسخة العجمية ونسخة العبدىّ . وقد كان يشير في كتابه إلى هذه المصادر بدقة وأمانة . يقول ابن المستوفى : « ألزمت نفسى أن أورد في هذا الكتاب كل ما وقع ، من بيان مشكل ، أو تقييد مهمل ، وألاّ أتجاوز شيئاً منه ، ولا أضرب صفحاً عنه ، فربما توافق القولان أو أكثر في معنى ، وإن اتسع الزمان ، وساعد الإمكان ، عدت على ما فيه من التطويل فاقتصرته ، ورجعت إلى ما فيه من إسهاب فاختصرته » . وكثيراً ما نبه ابن المستوفى في كتابه على تداخل أقوال شراح أبي تمام بعضها في بعض ، فهو في موضع مثلاً يورد كلام أبي زكريا التبريزيّ ويقول بعقبه : (الذى ذكره أبو زكريا كلام المرزوقى ووضع

موضع « قلبه » « نفسه » ، فغيره بما لو نقله على وجهه كان أجود . وفي موضع آخر بعد أن يذكر شروح الشراح وينقل كلاماً سمعه أو قرأه ولكنه لا يدري قائله نراه يقول : (وأظن هذا القول من كلام الآمدى ، فإن عثرت عليه له أو لغيره نسبته فيما بعد) ولقد بلغ من دقته العلمية أنه كان أحياناً ينقل بعض الهوامش الغامضة ، يوردها كما وجدها ، وينبه على أنه لم يفهمها . وينقل شرحاً للصولي مثلاً ، ثم يعقب عليه بقوله : « الذى ذكره الصولي يحتاج إلى إيضاح » ، أو يقول : وفي النسخة العجمية كذا ولا أعلم صحته . وأكثر من ذلك نراه عند ما يشرح بيتاً من الأبيات . ويجد أن غيره قد تقدمه بمثل ما قال ، لا يتأخر أن يعلن هذا في صراحة علمية محبة ، فيقول : « كتبت ولم أنظر — علم الله تعالى — ما ذكره أبو العلاء إلا بعد فراغى منه » .

ويطول بنا الحديث لو ذكرنا هنا ما أخذنا من كتاب ابن المستوفى هذا ، ويكفى أنه كان مفتاح هذه الرموز التى سقطت من نسخ التبريزى ، وما أثبتناه فى هوامشنا من كتابه من تعقيبات وروايات ، يعطينا فكرة عن قيمة هذا الكتاب .

٥ - متن الديوان :

بقى أن نتحدث عن بعض نسخ ديوان أبى تمام التى بين أيدينا ، فقد كان متن الديوان نفسه يساعدنا على تقويم الشعر ، كما كان نافعاً فى إثبات بعض الروايات المختلفة فى هوامشنا . وأهم أصل يصح أن نخصه بالذكر هنا ، هو نسخة الإسكوريال ، التى أشرنا إليها فى الهوامش بالحرف (س) . فأما نسخة (د) التى يرد ذكرها معها ، فهى آخذة عن أصل (س) هذا ومن أحفادها ، لذلك آثرنا إثبات رواياتها معها ، وهى نسخة عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية .

فأما نسخة (س) فتعتبر مصدرًا ممتازًا لديوان أبى تمام ، لأنها نسخة قديمة ، وهى منقولة عن القراطيس التى كتبها أبو تمام بخطه . كما ذكر ذلك أبو على التالى ، وكانت معه فى رحلته إلى بلاد الأندلس ، وقد صورت عن الأصل الموجود بالإسكوريال^(١) مخطوطة بخط كوفى دقيق جداً ، حتى ليصعب قراءته ، ومرفقة

(١) الصورة مسجلة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٣٠٤٣ .

ترقيماً قديماً ، وهى تامة غير ناقصة ، تشتمل على ديوان أبى تمام جميعه ، عدد أوراقها ١٣٦ ورقة ، ومسطرتها ١٩ سطراً ، وعلى هامشها تعليقات وروايات . وجاء فى آخرها ما نصه : (كمل جميع شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، رواية أبى على إسماعيل بن القاسم البغدادى ، وذلك فى الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وخمسمائة ، والحمد لله على ذلك كثيراً ، وصلى الله على محمد نبيه وسلم تسليماً » .

ثم جاء بعقب ذلك : « كتبه لنفسه بخط يده على بن محمد بن عيسى القسّى نفعه الله به ، انتسخه من كتاب الشيخ الأجل الوزير الأستاذ أبى القاسم إبراهيم ابن محمد بن زكريا الزبيرى المعروف بابن الإقليل ، المكتوب بخط يده ، المنقول من القراطيس التى اجتلبها أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادى ، وذكر أنها بخط أبى تمام حبيب بن أوس الطائى » .

ثم جاء أيضاً : « وألفيت فى آخر الأصل المذكور بخط الشيخ الأستاذ أبى القاسم المذكور رحمه الله : كمل فى هذا السفر جميع ما تضمنته القراطيس التى اجتلبها أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادى من شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، وذكر أبو على أنها بخط يد أبى تمام ، واستقرت عند صاحب الشرطة الكاتب أبى القاسم بن سيد ، وصارت إلى من جهته ، وبذلك كمل فيه جميع ما قيده أبو على من شعر أبى تمام فى سفر الكاغد ، الذى قرأ فيه على أبى محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه ، وأقرأه ذلك رواية عن على بن مهدى الكسروى ، عن أبى تمام حبيب بن أوس ، واستقر السفر الكاغد عند الحاجب جعفر بن عثمان ، وصار من جهته إلى صاحب الشرطة الكاتب أبى جعفر بن مضاء ، واستعرتة وأضفت إلى ذلك ما ألفيته زائداً فى الكتب التى استقرت بخط أبى على وروايته فى خزانة المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر ، وأخرج إلى الكتب المذكورة أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف ، رحم الله جميع المذكورين وعفا عنهم » .

ثم جاء أخيراً قوله : « وأضفت إلى ما نقلته من الأصول المذكورة ما لقيته زائداً فى رواية محمد بن يحيى الصولى ، مما أشبه ما تقدم فى حسن الصناعة ،

واختيار الألفاظ ، والحمد لله على عونه وجميل تأييده كثيراً ، كما هو أهله ،
وصلى الله على محمد وسلم » .

ثم عقب الناسخ بقوله : « نقلته كما ألفيته في الأصل المذكور حرفاً بحرف » .
فهذه إذن نسخة حسية نسبية من ديوان أبي تمام ، فإذا صح ما قاله أبو علي
القالى ، وهو ثقة ، تكون هذه النسخة إذن أول مصدر وآخره شعر أبي تمام ، لأنها
منقولة عن القراطيس التى كتبها هذا الشاعر بخط يده ، والأيدى التى تداولتها
جميعاً لأصحابها مكانتهم العلمية .

ونجد على رأس معظم القصائد هذه العبارة « صحت من خطه » ، أى خط
أبي تمام ، أو « صحت من خط القراطس » ، وليس لها ترتيب متبع ، فلا هى على
الحروف ، ولا هى على أبواب الشعر المعروفة ، مما يدل على أنها نقلت حقاً من
القراطيس كما وجدت . وفى هوامشها روايات الصولى التى قيدها عليها صاحبها ابن
الإفليلي ، فهى إذن تجمع طريقين من طرق رواية هذا الشاعر ، لعالمين كبيرين :
القالى والصولى ؛ ونجد فيها من حين لآخر لحقاً يشير إلى تصحيح ، فهى إذن
نسخة مقابلة .

وقد أثبتنا فى هوامشنا كثيراً مما جاء فى هذا المصدر ، ليكون شرح التبريزي
جامعاً فى هوامشه فوائد أخرى ، لأن نشر الديوان عن طريق واحد من طرق الرواية
قد يكون فيه بعض الافتئات على الشاعر .

وبعد ، فهذه بعض الأصول التى اعتمدت عليها فى نشر شرح الخطيب
التبريزي على ديوان أبي تمام ، ذكرتها مجعلاً ، لأن المقام لا يتسع لأكثر من ذلك ،
ولكن قبل أن أختم حديثي يلزمني أن أقول : إننى فى بعض المواضع اضطررت أن
أضع الرمز فاصلاً بين أجزاء الكلام ، وذلك لأن كثيراً من أقوال هؤلاء الشراح قد
تداخل بعضها فى بعض ، فكنت أضع الرمز أمام قول الواحد منهم إذا ما وجدت
القول له ، ثم إذا رأيت التبريزي وصل ما نقله عنه بكلام آخر من عنده ، أو من
عند غيره ، وضعت نجماً ، إشارة إلى انتهاء قول الأول .

وأخيراً ، فإنى أكتب هذه المقدمة وأنا بلندن بعيداً عن كثير من المصادر التى

كنت أحب أن أكون قريباً منها ، وربما أجملت مواضع يخلّ بها الإجمال ،
ولكنني مع ذلك أشعر بسعادة حين أرى المجلد الأول من هذا الكتاب قد مثّل للظهور ،
سعادة تحفزني على استئناف السير ومتابعة الرحلة ، مهما بعدت المسافة وشق الطريق .
والحمد لله الذي وفقني لكي أوفّي بعض ما علىّ لهذا الشاعر الكبير .

لندن في ٢٦ من مارس سنة ١٩٥١ .

محمد عبده عزام

رموز شرح التبريزي

- (ع) - أبو العلاء .
- (ص) - الصوليّ .
- (ق) - المرزوقيّ .
- (خ) - الخارزنجي .
- « الشيخ » : أبو عبد الله الخطيب صاحب مبادئ اللغة .

رموز النسخ

- ش - نسخة شهيد علي باشا من شرح التبريزيّ .
- ن - « نور عثمانية » « » « »
- ب - « بروصه » « » « »
- م - « المدينة من شرح الصوليّ .
- ل - « ليدن » « » « »
- س - « الإسكوريال من متن الديوان .
- د - « دار الكتب المصرية .
- ق - « دار الكتب المصرية .
- ظ - « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام .

مقدمة الشارح

قال الشيخ الأجلّ الإمام أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي :
الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على سيّدنا محمد النبي وآله الطاهرين . وبعد :
فإني نظرت في شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وفيما ذكر فيه من التفاسير ،
فرأيت بعضهم ينحى عليه ، ويُهَجِّن معانيه ، ويُزَيِّف استعاراته ، وبعضهم
يَتَعَصَّب له ، ويقول من جهل شيئا عابه ، كما أن من اعتسف طريقا ضلّ
فيه ؛ وقال أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخي المعري في كتابه المعروف بذكري
حبيب^(١) : « إِنَّمَا أَغْلَقَ شِعْرَ الطَّائِي أَنَّهُ لَمْ يُؤَثِّرْ عَنْهُ ، فَتَنَاقَلَتْهُ الضَّعْفَةُ مِنْ
الرَّوَاةِ ، وَالْجَهْلَةِ مِنَ النَّاسِخِينَ ، فَبَدَّلُوا الْحَرَكَةَ بِالْحَرَكَةِ ، فَأَوْقَعُوا النَّاطِلَ بِمَا جَنَّوْهُ
فِي أُمِّ أَدْرَاصٍ وَتَغْلَسَ^(٢) ، وَغَيَّرُوا بَعْضَ الْأَحْرَفِ بِسُوءِ التَّصْحِيفِ ، فَغَادَرُوا
الْفَهْمَ خَاطِبًا فِي عَشَوَاءَ ؛ لِأَنَّ تَغْيِيرَ الضَّمَّةِ إِلَى الْفَتْحَةِ وَالْكَسْرِ يُنْشِبُ
الْفُطْنَ فِي الْحَيَالَةِ^(٣) ، فَأَمَّا نَقْلُ الْحَاءِ إِلَى الْخَاءِ ، وَالذَّالِ إِلَى الذَّالِ ،
فَيَحْدُثُ عَنْهُ إِبْسَاسٌ ، تُقْرَنُ بِهِ بِلَادَةٌ وَانْتِكَاسٌ . وهو كما ذكره أبو العلاء^(٤) ،
لأنّ في شعره صنعة لا يكاد يخلو منها ، ومواضع مشككة تصعب على كثير
من الناس ، لا سيما على من لا يستأنس بطريقته ، فيقع لذلك فيه خلل ،

(١) مر التعريف في المقدمة بهذا الكتاب وبالكتب التي ذكرها الشارح .

(٢) « وقع في أم أدراص وتغلس » أي في داهية - اللسان مادة غلس ودرص ، جمع الأمثال
١ : ٢٢٣ ، ٢ : ٢١٧ ، أساس البلاغة ١ : ٢٦٨ - ٢ : ١٦٩ ، قال : ووقعوا في أم أدراص
أي في مهلكة ، وأصله جرة الفار ، قال طفيل :

وما أم أدراص بأرض مضلة
بأغدر من قيس إذا الليل أظلم

(٣) الحيلة ، ككتابة : المصيدة .

(٤) من قوله « وهو كما ذكره أبو العلاء » إلى قوله « لم يطل فيمل » لم يرد في نسخة ش وأثبتناه
من نسختي ب ، ن .

لأنَّ شعرَ غيره يقرَّبُ مُتناوَلَهُ ، ويسهِّلُ على القارىِّ التوصلَ إلى معرفة معانيه وأغراضه .

ولأنما حتَّى على الاشتغال به ، وتمييز ما ذكره العلماء فيه ، من معنى أو إعراب ، واختلفوا فيه ، ميلُ المولى أبى نصر محمد بن عماد الدين - مولى أمير المؤمنين - إلى شعره ، ورغبته فيه دون سائر دواوين المُحدِّثين . فلمَّا رأيت كثرةَ مَبْلِهِ إليه ، وصدقَ رغبته فيه ، استعنتُ الله تعالى على شرحه ، وذكَّرتُ الغريبَ والمعاني والإعراب فيه ، وترجيحَ بعضِ أقوالِ العلماء فيه على بعض ، لأنَّ منهم مَنْ أنصفه ، ومنهم مَنْ أنحى عليه . وربما احتملَ البيتُ معنيين ويكونُ أحدُ المعنيين أقوى من الآخر ، فلا يُمَيِّزُ بينهما إلَّا مَنْ حَسَّنَ فهمه ، وصفا ذهنه ، لأنَّ نقدَ الشعرِ أصعبُ مِنْ نظمه ؛ فأوضحتُ ذلك بإيرادِ ما لا مَحِيدَ عنه للقارىِّ منه ، والناظرِ فيه ، بلفظٍ مُوجِزٍ ، قليله يَدُلُّ على الكثير ، وقصيره يُغْنِي عن التطويل ، فخيرُ الشروحِ ما قَلَّ ودلَّ ، ولم يَطُلْ فيمَلَّ .

وذكر أبو العلاء في هذا الكتاب الأبياتَ المشكَّلةَ من شعر أبى تمام متفرقةً ، وأنا إن شاء الله أكتبُ شعره من أوَّله إلى آخره ، وأذكرُ من غريبه وإعرابه ، ومعانيه وأخباره ، ما لا بُدَّ منه . وأشيرُ إلى ما ذكره أبو العلاء من الأبياتِ المُشكَّلةِ في مواضعها ، وإلى ما ذكره أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوق في كتابه المعروف بالانتصار من ظَلَمَته أبى تمام ، وإلى ما ذكره أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى في معاني شعره ، وما ذكره أبو بكر محمد بن يحيى الصَّولى ، وما وقعَ إلىَّ مما رَوَى عن أبى على المعروف بالقالى وغيره من شيوخ المغرب ، وأجتهد في التلخيص والاختصار من غير إخلالٍ بالغرض إن شاء الله ، وبه أستعين وعليه أتوكل .

وكنْتُ قرأت من شعر أبي تمام سنة أربع وخمسين وأربعمائة بالبصرة
على الشيخ أبي القاسم الفضل بن محمد بن عليّ بن الفضل القصباني النحويّ
البصريّ ، وروى لنا هذا الديوان عن أبي عليّ عبد الكريم بن الحسن بن الحسين بن
حكيم السُّكُريّ النحويّ اللغويّ ، عن أبي القاسم الحسن بن بشر الآمديّ ، عن
أبي عليّ محمد بن العلاء السجستانيّ ، عن أبي سعيد السُّكُريّ ، عن أبي تمام ؛
بعضه قراءة عليه ، وبعضه سماعاً منه وبعضه إجازة ، والله المنة .

مكتبة

باب المديح

١

قال أبو تمام يمدح خالد بن يزيد الشيباني^(١) :

١ يا مَوْضِعَ الشَّدْنِيَّةِ الْوَجْنَاءِ^٢ وَمُضَارِعِ^٣ الْإِدْلَاجِ وَالْإِسْرَاءِ^٤

الثاني من الكامل والقافية متواتر .

(ع) : الوَضْعُ ضرب من السير ، يقال وَضَعَ البعيرُ يَضَعُ وضْعاً إذا سار ذلك الضرب من ضروب السير ، وأوضعه صاحبه إذا حمّله على الوضع ، ثم استغنوا عن المفعول فقالوا أَخْبَ فلان وأَوْضَعَ إذا حمل مطيته على الحَبِّ والْوَضْعُ . فأما الرجز الذي يروى عن دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ :

يا ليتني فيها جَذَعٌ
أَخْبُ فيها وَأَضَعُ^(٥)

(١) جاء في نسختي م ، د على رأس هذه القصيدة : « يمدح خالد بن يزيد الشيباني ويذكر منع الخليفة إياه من الحج » . وجاء في نسخة س : « وكان وجدّ عليه المعتصم وأراد نفيه ، فرغب خالد أن يكون خروجه إلى مكة ، فأجيب إلى ذلك ، ثم شفع فيه ابن أبي دؤاد فشفعه المعتصم ، وأعطى خالد من الخروج واستقر على حاله » . وقال أبو العلاء في شرح البيت الثالث : « وكان المعتصم ولأه الحرميين ثم عزّل » .

(٢) س : « الخرقاء » .

(٣) ظ : قال أبو العلاء : ومن روى « ومضارع الإِدْلَاجِ » فهو مصحّف ، لأن المضارعة مقاربة الشيء وموافقته ، وإن ساء ذلك على معنى فلا وجه له . وقال ابن المستوفى تعقيباً عليه : هذا كلامه إذ جعله سائفاً على معنى فقد وجد له وجه وإن كان ضعيفاً ، على أن الرواية قد جاءت به .

(٤) س : « والإسماء » .

(٥) قاله يوم حنين حين رأى نفسه عاجزاً عن القتال وقد خرج مع قومه مظاهراً ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجوه معهم تيمناً به وليقتبسوا من رأيه ، فقتل فيمن قتل من المشركين في هذا اليوم . قال :

يا ليتني فيها جَذَعٌ
أَخْبُ فيها وَأَضَعُ
أَقْدُ وطفاء الزمِعِ
كانها شاة صَدَعُ

والجذع : الصغير السن ، والخبب والوضع : ضربان من السير معروفان ، وقوله : « أقود وطفاء

الزعم » كناية عن فرس طويلة شعر الرسخ كأنها شاة قوية فتية .

الأغاني (دار الكتب) ١٠ : ٣١ ، شعراء النصرانية ٥ : ٧٧٢ ، الشعر والشعراء ٢ : ٧٢٦

واللسان مادة وضع .

فإنه يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون لما شبه نفسه بالجندع من الخيل استعار لها الحبس والوضع ، والآخر أنه أراد : « أضع » معنى أوضع ، ويكون من نحو قولهم قتل الأمير الجاني إذا أمر بقتله ولم يل ذلك بيده . ولهم ضرب من السير يُسمونه الرفع ، فكأنه والوضع نقيضان . فأما قولهم ضع في زجر البعير فليس من السير ، وإنما المعنى ضع يا بعير عنقك ليركب الراكب ، قال الشاعر :

فلما استقل الحى جاءت سريعةً إلى جمل وهم فقالت له : ضع
ويقولون : اتضع الرجل واتضعت المرأة إذا قالا للبعير ضع ، قال الشاعر :
فلن : اتضعت ، فقالت : لا ، فقلن لها : فكيف تقوين يأسك على الحمل ؟!

والشندنية ناقة منسوبة إلى شدن ، وقيل إنه رجل أو موضع ^(١) . وقال ابن فارس في المجل : يقال إن الشندنية من النوق منسوبة إلى موضع باليمن . وقال غيره : شندنية منسوبة إلى فحل معروف ^(٢) . والوجناء فيها قولان : أحدهما أنها الغليظة التي تشبه بالوجين من الأرض وهو غليظ منقاد ، والآخر أنها يراد بها عظم الوجنة وهي عظم الخد . [ع] و « مصارع الإدلاج والإسراء » من المستعار ، لأن الإدلاج والإسراء لا يصارعان في الحقيقة ، وإنما الصراع لذوات الشخص ، وكأنه أراد بالمصارع المقاسى والمحاول بجهد . [ص] والمعنى : أنه لا يفتقر من الإدلاج والإسراء فهو موصل لهما * والإدلاج سير الليل كله ، والإسراء نحو منه إلا أنه كرر لاختلاف اللفظين . وقيل الإدلاج سير الليل كله ، والإسراء يكون في جميعه وفي بعضه ، وسرى وأسرى بمعنى واحد .

٢ أَقْرِى السَّلامَ مَعْرِفًا وَمُحْصَبًا ^(٣) مِنْ خَالِدِ الْمَعْرُوفِ وَالْهَيْجَاءِ ^(٤)

(ع) : هذا البيت يروى على وجوه ، أجودها وأليقها باللفظ أن يقال : « أَقْرِى السَّلامَ مَعْرِفًا وَمُحْصَبًا » ، ويكون من قرأت على فلان السلام وأقرأته غيرى ، وتخفف الهمزة ، فإن خُفِّفَتِ للضرورة أثبت الياء في الخط ، كأن

(١) انظر مادة « شدن » في اللسان ومعجم البلدان ففيهما الوجهان .

(٢) قاله الصولي في شرحه .

(٣) م ، ل ، س : « أقر » .

(٤) ه م : وفي نسخة « بالهيجاء » .

القائل أراد أن يقول : أقرئ السلام ، فحُفِّفَ وَبَقِيَ الياء . وإن كانت الهزرة حُفِّفَتْ قبل أن يُرامَ نظمُ الكلمة فلا ضرورةَ فيها ، وينبغي أن يكتبَ « أقر » بغير ياء لأنها في لغة مَنْ يقول قَرَرَى في وزن سَقَى . و« مُعَرَّف » في هذين الوجهين منصوب به قوع الفعل عليه . والمُعَرَّفُ الموضع الذي يقف فيه الناسُ يومَ عَرَفةَ . والمُحَصَّبُ الموضع الذي تُرمى فيه الجمارُ ، ولو أنه بالألف واللام كان أوجبَ لأنه كذلك يُستعمل فيقال المُعَرَّفُ والمُحَصَّبُ ، وإنما هما بمكة دون غيرها من البلاد ؛ قال الشاعر :

عَفَا بَطِيحَانٌ مِّنْ قَرِيشٍ فَيُثْرِبُ فَبَطْنُ الْجَمَارِ مِنْ مِّنَى فَالْمُحَصَّبُ^(١)
وقال الهذلي :

أُظَنُّكُمْ مِنْ أُسْرَةٍ قَمْعِيَّةٍ إِذَا نَسَكُوا لَا يَشْهَدُونَ الْمُعَرَّفَا^(٢)
فليس حذف الألف واللام من « المُعَرَّف » كحذفهما من العباس والضحاك ، لأن العرب تستعمل بعض الأسماء مرةً بالألف واللام ، ومرةً بغير ألف ولام ، ولم يَجِئْ في أشعارهم مثل هذا مُتَكَرِّراً إلاَّ أن يكون شاذّاً ، وليس امتناعه من الجبىء أنه غير جائز ، ولكنه اتفاق يقع في اللفظ . ومن أنشد « أقر السلام مُعَرِّفاً وَمُحَصَّباً » بكسر الرَّاء والصاد فالمعنى أقرَّ أيها الرجل السلام في حال تعريفك وتحصيبك ، والمقروء عليه السلامُ محذوف من اللفظ لعلم السامع ، وذلك مثل قولهم إذا بلغت حلبَ فأقرئ السلام ، فيحتمل اللفظ المذكورُ عموماً وخصوصاً ، ويحتمل أن يكون « مُعَرِّفاً » منصوباً بوقوع الفعل عليه ، يُراد به مَنْ حَضَرَ عَرَفةَ . ومن أنشد « إقرأ السلام » وجب أن يكسر الرَّاء في « مُعَرِّفاً » والصاد في « مُحَصَّباً » لأنَّ المراد هو الإنسانُ القارئُ فنصبَ الكلمتين على الحال .

(١) البيت لابن مقبل في رثاء الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه . وفي معجم البلدان : بَطِيحَان بالضم ثم السكون كذا يقوله المحدثون أجمعون ، وحكى أهل اللغة بطحان بفتح أوله وكسر ثانيه وكذلك قيده أبو على القالي . وفي معجم ما استعجم للبكري بطحان بفتح أوله وكسر ثانيه وبالحاء المهملة على وزن فعلان لا يجوز غيره .

(٢) قاله الممثل أحمد بن رهم بن سعد بن هذيل لعامر بن سدوس الحناعي وكان يمزى . قال أبو سعيد السكري : قَمْعَةٌ بن جندب من خزاعة إذا نسكوا للحج لا يشهدون المُعَرَّفَ يعني عرفة . انظر مجموع أشعار الهذليين ص ١١٠ (مصورة بدار الكتب) .

ولو رويت « اقرا السلامَ معرفًا ومحصبًا » لحاز ذلك على بُعد ، ويكون النصب على الظرف ، كما يُقال فرّقَ المالَ يمينًا وشمالًا . [ع] والكلام في إثبات الألف في « اقرا » مثله في إثبات الياء في « أقرى » ، إن كان خففَ بعد النظم وجب أن يثبت ، وإن كان التخفيفُ والكلمة منثورةٌ حُذفتِ الألفُ كما تُحذف من قولك « اخش » . وقوله : « مِن خالِدِ المعروف » أضافه إلى ما جرت عادته بفعله ، كما قالوا : عُرُوهُ الصعاليك ، لأنه كان يُكرمهم وبألفهم ، وكذلك قولهم : فلان مأوى الصعاليك ، ومن ذلك قولهم : زيدُ الخليل ، وزيدُ الفوارس ، وعمرو القنا . والهجاء اسم مُشتقٌ من الهيج ، ويُمدُّ ويُقصرُ (١) .

٣ سَيْلٌ طَمًا لَوْلَمْ يَذُدْهُ ذَائِدٌ لَتَبَطَّحَتْ أُولَاهُ بِالْبَطْحَاءِ

(ع) : يعنى به معروف خالده ، ولا يمتنع أن يعنى به خالد نفسه . أى هذا المذكور سيلٌ طما - أى ارتفع - لو لم يَعْقُهُ عائق . وكان المعتصم ولأه الحرميين ثم عُرِل . يقول : لولا حادث العزل لامتألت بهباته وجوده بطحاء مكة .

(١) استشهد الصولي برجز لبيد في قوله :

يا رب هيجاً هي خيرٌ من دعة
أكلٌ يوم هاتى مفزعه
نحن بنو أم البنين الأربعة
ومن خيار عامر بن صعصعة

فجاء بها مقصورة ، وفي الممدودة ذكر قول الشاعر :

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيفٌ مهند

انظر الأغاني ١٤ : ٩٢ - ١٦ : ٢٣ (ط الساسي) الميداني ٢ : ٢٣ ، أمالي المرتضى ١ : ١٣٦ ، المقصور والممدود : ١١٧ ، وابن يعيش : ٢٢٥ ، دون عزو فيها . وأورد القالي في الأمالي ٢ : ٢٦٢ « إذا كانت الهيجاء » البيت ولم يعزه ، وفي الذيل : ١٤٠ نسبة لجرير ، وقال البكري في شرحه على الذيل ٣ : ٦٥ وبيت جرير لم يعزه له أحد ولا وجد في شعره ، وإنما هو من عابر الشعر ، وأخاف أن أبا على وهم فيه هنا . وأورده صاحب اللسان في مادة « هيج » ولم ينسبه .

(٢) م ، ل : « حادث » . وقال ابن المستوفى : قال الصولي : ويروى « لو لم يذُدْ خالده » و « حادث » ، ولا أرى لرواية « خالده » معنى مثل معنى قوله « ذائد » و « حادث » ، لأن خالد لم يذد السيل على ما قالوا إنه عُرِل ، إنما ذادَ ذائدٌ من غيره وحادث عرض له ، إذ لا حكم لخالده في ذلك ، سواء جعل السيل جود خالده أو معرفه ، أو جعل نفس خالده . وكلام الصولي هذا لم يرد فيما لدى من نسخ شرحه .

والبطحاء بطن الوادى إذا كان فيه رمل ، وقالوا فى المثل : خُذْ ما قطعَ البطحاء ^(١) .
ويُسمى بطنُ مكةَ بطحاءها ، ويقال للساكين بها قريش البطحاء وقريش
الأبطح . وقوله : « لَتَبَطَّحَتْ » أى لانْبَسَطَتْ ، وإنما جاء بهذه اللفظة لمجانستها
البطحاء . ويحتمل أن يكون قوله تَبَطَّحَتْ أى حَلَّتْ بالأبطح ، كما يقال تَبَصَّرَ
إذا أتى البصرة أو أقام بها أو انتسب إلى أهلها . وأصلُ البطحِ فى بنى آدم أن
يُلْقَى الرجل على وجهه ، يقال بَطَّحَ القَتِيلُ .

٤ غَدَتْ بَطُونٌ مِّنْى مِّنْى مِنْ سَيْبِهِ وَغَدَتْ حَرَّى مِنْهُ ظُهُورُ حِرَاءِ

(ع) : إن ضُمَّتِ الميمَ من « مِّنْى » فهو جمع مُنية والمعنى يصح على
ذلك ، وإن رويته « مِّنْى » فهو حَسَنٌ ، من قولهم أصابه مِّنْى أى مقدار ، أى
غدتْ بطون مِّنْى مُقدَّرَةٌ لِسَيْبِهِ أى عطائه . ويُحتمل أن يكون من قولهم :
دارى بِمَنِّى داره أى بحدائثها ، كأنَّ المعنى بالموضع الذى قُدِّرَ لها أن يَقْرُبَ
إليها . و « حَرَّى مِنْهُ ظُهُورُ حِرَاءِ » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من قولهم
هو حَرَّى بكذا أى خَلِّيق ، والآخر أن يكون من قولهم هو بِحَرِّ الدارِ أى
بِفنائها ، ويقال لأدْحَى النعامة حَرّاً لأنه كالفناء لها ، قال الشاعر :

بَيْضَةٌ ذَادَ هَيْقُهَا عَنْ حَرِّهَا كُلُّ طَائِرٍ عَلَيْهِ أَنْ يَطْرَاهَا ^(٢)

ويكون معنى حَرّاً أى أفنية مسكونة . يقول : غَدَتْ ظُهُورُ حِرَاءِ - وهو
جبل بمكة - على أنها غير مسكونة مسكونة من تأميل الناس له .

٥ وَتَعَرَّفَتْ عَرَفَاتُ زَاخِرِهِ وَلَمْ يُخَصِّصْ كَدَاءٌ مِنْهُ بِالْإِكْدَاءِ

« تَعَرَّفَتْ » أى تَحَقَّقَتْ عَرَفَاتُ عِظَمِ زَاخِرِهِ . وزاخره كثيره وجائشه ،
من قولهم زَاخَرَتِ القِدَرُ إذا غَلَّتْ وَجَاشَتْ . [ص] و « كدَاء » جبل يُدْخَلُ
منه إلى مكة ومنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح * قيل يُمَدُّ إذا فُتِحَتْ
الكاف ، وَيُقَصَّرُ إذا ضُمَّتْ كأنه جمعُ كَدْيَةٍ . (ع) كدَاءُ موضع بمكة

(١) المثل فى الميدانى ١ : ١٥٦ : « خذ منها ما قطع البطحاء » أى من الإبل ، أى خذ منها ما
كان قوياً ، ويضرب فى الاستعانة بأولى القوة .

(٢) فى الأصول « أو بَيْضَةٌ » والتصحيح عن اللسان مادة حرا .

وثنية كدَاءَ هنالك ، والغالبُ على كدَاءِ التأنيث ، قال ابن قيس الرقيات :
أفقرتُ بعدَ عبدِ شمسٍ كدَاءً فكُدَيْ فالرَّكنُ فاليطحاءُ (١)

والإكدَاءُ مصدرُ أكدَيْ إذا قلَّ خيرُه ، وأكدَى المكانُ إذا جحدَ نباتُه ، يقال كدَأَ النباتُ إذا وقفَ ضعفاً فلم يَطُلْ لأنَّ عِرْقَه يَبْلُغُ إلى كُدَيْةٍ صلبةٍ . و«عَرَقات» تُصرف ولا تُصرف .

٦ وَلَطَابُ مُرْتَبِعٍ بِطَيِّبَةٍ وَاكْتَسَتْ بُرْدَيْنِ بُرْدَ ثَرَى (٢) وَبُرْدَ ثَرَاءٍ

يقول : لو أقرتُ على نظره لطاب العيشُ بطَيِّبَةٍ وهى المدينة ، واسمُ الأرضِ يثرب . (ع) : « المُرْتَبِعُ » منزل القوم فى الربع ، وطَيِّبَةُ اسم لمدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنه اسم حدث فى الإسلام ، وفى كلام لبعضهم « فأتينا طَيِّبَةً ونحن نَشْرُ » . وكان بعض أهل اللغة يزعم أن الاختيار فيها طَيِّبَةً بالتشديد ، ولا ريبَ أنْ ذاك هو الأصل ، وطَيِّبَةُ اسم من أسماء النساء أيضاً مُخَفَّف من طَيِّبَةٍ . فأمَّا قولُ العامة : الطَيِّبَةُ فى مصدر الشئ الطيب ، فأهلُ اللغة ينكرون ذلك ويختارون حذفَ الهاء فيقولون : هذا شئٌ طَيِّبٌ بَيْنَ الطَيِّبِ . و« الثَّرَى » يعنى به الترابُ النَّدَى ، و« الثَّرَاءُ » كثرة المال . ويروى « بُرْدَ نَدَى » و« بُرْدَ ثَرَاءٍ » أى لا اكتست أرضها نباتُ النَّدَى دُونَ المطرِ على المبالغة . أى لو سارَ خالدٌ إلى هذه المواضع لأخصبت .

٧ لَا يُحَرِّمُ الْحَرَمَانِ خَيْرًا إِنَّهُمْ حُرِّمُوا بِهِ نَوًى مِنَ الْأَنْوَاءِ

دعا لأهل الحرمين ، أى لا يُحَرِّمُ أهلُ الحرمين ، وهذا كما يقال هلكَت اليامةُ يُراد أهلُ اليامة . وإنما دعا لهم تَرْثِيًا ورحمةً لما حُرِّموا من جُوده . و« الأنواء » معروفة ، والذي يُراد بالنَّوَى هنا المطرُ الذى يجىء عند سقوط النجم ، والنَّوَى يُستعمل فى السقوط والطلوع . و« الحَرَمَانِ » يُراد بهما مكةُ والمدينة .

٨ يَا سَائِلِي عَنْ خَالِدٍ وَفَعَالِهِ رِدْ فَاغْتَرِفْ عِلْمًا بَغِيرِ رِشَاءِ

(١) الديوان ١٧٠

(٢) م ، ل ، س : « مرد ندى » .

جَعَلَ الْعِلْمَ بِهِ كَالْعَيْنِ الْغَزِيرَةِ الْقَرِيبَةِ مَثَلًا . أَيْ أَصْغَرَ إِلَى سَمْعِكَ ، وَخَذُّ عِلْمَ مَا أَرَدْتَ سَهْلًا بَغَيْرِ مَشَقَّةٍ ، كَمَنْ وَرَدَ مَاءً فَغَرَفَ مِنْهُ بِيَدَيْهِ دُونَ رِشَاءٍ وَلَا دَكْوٍ .

٩ أَنْظِرْ وَإِيَّاكَ الْهُوَى لَا تُمَكِّنَنَّ سُلْطَانَهُ ^(١) مِنْ مُقَلَّةٍ شَوْسَاءٍ

يقول : انْظُرْ نَظْرًا قَاصِدًا إِلَى الْحَقِّ ، وَلَا يَسْتَمِلِكْ شَيْطَانُ الْهُوَى .

(ع) : كَانَ النَحْوِيُّونَ الْمُتَقَدِّمُونَ يَرَوْنَ أَنَّ « إِيَّاكَ » يَنْبَغِي أَنْ تُسْتَعْمَلَ مَعَ الْوَاوِ مِثْلَ قَوْلِهِمْ إِيَّاكَ وَزَيْدًا ، وَيَنْكُرُونَ مَجِئَهَا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تُسْتَعْمَلَ بِـ « أَنْ » كَقَوْلِكَ إِيَّاكَ أَنْ تَقُومَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَذْهَبَ ، وَالْوَاوُ عِنْدَهُمْ مُرَادَةٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ إِيَّاكَ وَأَنْ تَذْهَبَ ، وَلَكِنَّ الْوَاوَ حُذِفَتْ كَحَذْفِ الْبَاءِ مَعَ « أَنْ » فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ، وَكَذَلِكَ تُحْذَفُ مَعَهَا حُرُوفُ الْخَفْضِ ، يُقَالُ نَهَيْتُكَ أَنْ تَفْعَلَ أَيْ عَنْ أَنْ تَفْعَلَ ، وَأَمَرْتُكَ أَنْ تَفْعَلَ ، وَالْمُرَادُ بِأَنْ تَفْعَلَ ، فَإِذَا عُدِمَتْ قَبَسُ عِنْدَهُمْ الْحَذْفُ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ كَقَوْلِهِ :

إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِرَاءَ فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبٌ ^(٢)

وَأَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ يَرَوْنَ أَنَّ الْحَذْفَ جَازٍ مَعَ الْمِرَاءِ لِأَنَّهُ مُصَدِّرٌ لِمَارِيتُ فَهُوَ مُؤَدٍّ مَعْنَى أَنْ تُمَارَى ، وَكَذَلِكَ الْهُوَى مُؤَدٍّ مَعْنَى أَنْ تَهْوَى . وَقِيلَ نُصِبَ الْمِرَاءُ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ سُوءٍ الَّذِي يَسْتَنْصِبُ بِهِ إِيَّاكَ . وَأَمَّا غَيْرُ هَؤُلَاءِ فَلَا يَرَوْنَ بِحَذْفِ الْوَاوِ بِأَسَا مَعَ « أَنْ » وَغَيْرِهَا ، لِأَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ الْمَعْنَى إِذَا قَالُوا إِيَّاكَ أَنْ تَقُومَ عَلَى تَقْدِيرِ قَوْلِكَ اخْذَرْكَ أَنْ تَقُومَ ، فَلَمَّا جَاءَ الضَّمِيرُ الْمُنْفَصِلُ اسْتُغْنِيَ عَنِ الْمَتَصِلِ وَنَابَ ظَهْرُهُ عَنْ ظَهْرِ الْفِعْلِ . وَ« السُّلْطَانُ » الْمَعْرُوفُ فِيهِ التَّذْكِيرُ ، وَقَدْ حُكِيَ تَأْنِيثُهُ . وَ« شَوْسَاءٌ » مِنْ قَوْلِهِمْ : رَجُلٌ أَشْوَسَ إِذَا نَظَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ الْغَضَبِ ، وَقِيلَ هُوَ أَنْ يَجْمَعَ أَجْفَانَهُ وَيُضَيِّقَ نَظْرَهُ .

(١) س ، د : « شَيْطَانَهُ » .

(٢) سيبويه ١ : ١٤١ من غير عزو . وفي خزانة الأدب ١ : ٤٦٥ ينسب للفضل بن عبد الرحمن

القرشي يقوله لابنه القاسم بن الفضل .

١٠ تَعْلَمُ كَمْ افْتَرَعَتْ صُدُورُ رِمَاحِهِ وَسُيُوفُهُ ^(١) مِنْ بَلَدَةِ عَذْرَاءٍ
 « افترعت » من قولهم افترع الرجل البكر إذا افترضها . و « العذراء » التي
 لم تُفْتَضَّ . يقول : كم افترحت من بلدة عذراء لم تُفْتَضَّ قبله ، فكانت
 كجارية بكرى افترعها [ص] وأصل الافتراع إخراج الدم ، ومنه الحديث :
 « لا فَرَعَةَ وَلَا عَتِيرَةَ » فالفرعة ذبيحة كانوا يذبحونها لآلهتهم نذراً عليهم ،
 أول بطن تلد الناقة ، ومنه قول الراجز يُخاطب الضَّبْعَ وقد أخذت شاةً
 من غَنَمِهِ :

أفَرَعْتَ فِي قَرَارِي
 كَأَنَّمَا ضَرَارِي
 أَرَدْتَ يَا جَعَارِي ^(٢)

قَرَارِهِ غَنَمِهِ ، قال علقمة :
 والمالُ صُوفُ قَرَارٍ يَلْعَبُونَ بِهِ عَلَى نِقَادَتِهِ وَافٍ وَمَجْلُومٌ ^(٣)
 وفرعت دمه صببته . قيل والعذراء أخذت من الضيق والمنفعة ، ومنه تعذرت
 حاجته : ضاقت وامتنعت ، وقيل افترعها علاها .

١١ وَدَعَا فَاَسْمَعَ بِالْأَسِنَّةِ وَاللَّهْيِ ^(٤) صُمَّ الْعِدَى ^(٥) فِي صَخْرَةٍ صَمَاءٍ ^(٦)
 صُمَّ الْعِدَى هم العتاة الذين لا يُجيبون إلى صلحٍ ولا غيره . وأرادَ

(١) في الأصول « وسيفه » بالرفع ، وقال ابن المستوفى : والجرح أجود معنى ، لأنه لما جعل للرمح
 صدوراً صار الأولى أن يكون للسيف صدور ، لأن استعمال الصدور للسيف أكثر من استعمالها للرمح ،
 وكلا روايتي الرفع والجرح في قوله « وسيفه » جائز حسن ، والجرح أحسن لما ذكرته .

(٢) هذا الرجز في اللسان مادة (قرر) غير معزو ، وهو مما أنشده ابن الأعرابي ، وروايته فيه
 « أسرعت في قراري » وقال القرار النقد - وهو جنس من الغنم - وجعار كقطام الضبع . وفي مادة (فرع)
 رواء صاحب اللسان أيضاً عن ثعلب ، وروايته هذه المرة « أفرعت في قراري » ، وقال القرار بالفاء الضأن .

(٣) البيت في شرح الشعراء الستة : ٦٤ ، المفضليات ٢ : ٢٠١ ، السمط ٩٣٧ واللسان مادة
 (قرر) ، وفسره بقوله : أى يقل « المال » عند ذا ويكثر عند ذا . ونقادة ونقادة ونقادة جمع نقدة :
 الصغيرة من الغنم ، وجمع الصوف جزء . (٤) في ٥ س : « والقنا » رواية أخرى .

(٥) ق : روى بمضهم « صمّ الصدى » أى أسمع حيث يتعذر الإسماع .

(٦) س : « في الصخرة الصماء » - د : « من صخرة » .

بالصخرة الصماء المنيعه. واللّهى جمع للهوة وهى العطية . والمعنى : أنّ عداه
يَدْلُون له إمّا بحرب وإمّا بجودٍ وعطاء . وضربَ صمّ العِدَى مثلاً للحية
التي لا تسمع رُقيّة^(١).

١٢ بمجامع الثغرين ما ينفك من^(٢) جيش أزب و غارة شعواء
(ع) : شبه الجيش بالأزب وهو الكثير الشعر ، وإنما يريد كثرة الرياح ،
وهذا مأخوذ من قول الأول :

فلو أنا شهدناكم نصرنا بذى لجبّ أزب من العوالى

وقد شرح أبو الطيب هذا المعنى فى قوله :

صدّ منّهم بخميس أنت غرّته وسمهريته فى وجهه غمّ

و « غارة شعواء » أى متفرقة ، وقتلما يصرفون منه الفعل ، ولا يقولون للذكر
أشعى ، وأراد بالثغرين حيث تلتقى ثغور المسلمين وثغور المشركين .

١٣ من كلّ فرج للعدو^(٤) كأنه فرج حمى إلا من الأكفاء

(ع) الفرّج موضع المخافة ، كأنهم يريدون أن المكان قد حفظ إلا
ذلك الموضع ، وهو مأخوذ من فرج الدُرّاعة والقميص . وقال غيره : الفرّج الثغر ،
شبهه بفرج امرأة يُحمى إلا من كفء لها فى النكاح . [ص] : يقول إنه فتح هذه
المواضع التى كانت مُمتنعة على غيره حتى كان كفؤاً لفتحها كالفرّج الذى يُمنع
إلا من الأكفاء * .

١٤ قد كان خطب عاثر فاقاله رأى الخليفة كوكب الخلفاء

[ص] : ويروى « عاير » . يقول للملوح : كان هذا الخطبُ عثرًا بك

(١) قال ابن المستوفى : وليس فى قول أبى تمام ما يدعو إلى أن يشبهوا بالحية الصماء .

(٢) م ، ل ، ب ، ن ، د : فى .

(٣) من قصيدته للياف الدولة التى مطلعها « عقبى اليمين على عقبى الوضى قدم » .

(٤) د : « للعداء » .

(٥) ظ : وفى الطرّة يروى « خطو » وفيها « عاثر » ، يريد « قد كان خطو عاثر » ، وهذه

الرواية مع قوله « فأقاله » حسنة مستعمل مثلها فى كلامهم ، ورواية « عاثر » مع قوله « قد كان خطب »
من قولهم عاثر الفرس إذا أخذ فى غير جهة لنشاطه . يصف شدة الخطب وأنه غير واقف عند حد .

ورواية د : « خطباً عاثرًا » .

حتى أقالك الخليفة . ومن خبره أنه رفع بعض العمّال إلى المعتصم أن خالد بن يزيد اقتطع الأموال فاحتجز بعضها وفرق بعضها ، فغضب المعتصم وحلف ليقتل خالدًا أو ليأخذن ماله أو لينفينه ، فلجأ إلى ابن أبي دؤاد ، فاحتال حتى جمع بين خالد وبين خصمه ، فلم تقم على خالد حجة ، وأحضره المعتصم للعقوبة ، وقد كان ابن أبي دؤاد عرف المعتصم خبره وبطلان ما رفع إليه وشفع فيه فلم يشفعه ، فلما أحضر المعتصم خالدًا حضر ابن أبي دؤاد ، فجلس دون مجلسه ، فقال له المعتصم : إلى مكانك . فقال : يا أمير المؤمنين ما أستحق إلاّ دون هذا المجلس . فقال : وكيف ذاك ؟ فقال : لأنّ الناس يزعمون أنه ليس محليّ محلّ من يشفع في رجل . قال : فارتفع إلى موضعك . قال : مشفعًا أو غير مشفع ؟ فقال : بل مشفعًا ، قد وهبت خالدًا لك ، ورضيت عنه لكلامك . قال : إنّ الناس لا يعلمون برضائك عنه بعد غضبك إلاّ بعد أن تخلع عليه . قال : اخلعوا عليه . قال : وقد استحقّ هو وأصحابه أرزاق ستة أشهر سيقبضونها ، فإن أمرت لهم بها في هذا الوقت قامت مقام الصلّة . قال : ليحملّ معه ما يستحقّه هو وأصحابه . فخرج خالد وعليه الخلع وبين يديه المال ، وإنّ الناس لسيّطرون الإيقاع به ، فصاح به رجل : يا سيّد العرب ! فقال له : كذبت والله ، سيّد العرب ابن أبي دؤاد * .

١٥ فخرجت منه ^(١) كالشهاب ولم تزل مذكنت خراجًا من الغمائم
أى خرجت من الخطب الذى أغضب الخليفة كما يخرج الشهاب مضيئًا صافياً من العيب ، والشهاب النجم ، والغمائم الشدة المظلمة .

١٦ ما سرّني بخداجها من حجة ^(٢) ما بين أندلس إلى صنعاء
[ص] يقول : ما سرّني بنقصان حجة خصمك أن لك ^(٣) ما ذكرته .
(ع) والخداج النقصان ، وأصله في الولد أن يخرج ناقصًا ، يقال أخذجت الناقة إذا ألقت ولدًا ناقص الخلق وإن كانت شهورها تامة ، وخدجت

(١) م ، س : « منها » .

(٢) س : « حجة » بفتح الحاء ، وقال ابن المستوفى : وفي حاشية النسخة التى ذكرتها : الصواب

« من حجة » وهو ما صحف فيه الصولى . (٣) ف ل ، ظ « أن لى » .

إذا أَلْقَتْهُ لغير تَمَام. وقال قوم خَدَجَتْ وأَخْدَجَتْ سواء ، وهذا القول أشبه بكلامهم لأنَّ « فَعَعَلْ » وأَفْعَلْ يشتركان كثيراً . « وأَنْدَلُس » كلمة غير مستعملة في القديم وإنما عرفتُها العربُ في الإسلام ، وقد جَرَتْ العادةُ بأنْ تُلْزَمَ الأَلِفُ واللامُ ، وقد اسْتُعْمِلَ حَدْفُهَا في شعرٍ يُنسَبُ إلى بعض العرب وهو قوله :

سَأَلْتُ الْقَوْمَ عَنْ أَنْسٍ فَقَالُوا : بَأَنْدَلُسٍ ، وَأَنْدَلُسُ بَعِيدٌ

والأَنْدَلُسُ بِنَاءٌ مُسْتَنَكِرٌ إِنْ فَتَحْتَ الدَّالَ وَإِنْ ضَمَّمْتَ . وإذا حُمِلَتْ عَلَى قِياسِ التَّصْرِيفِ وَأَجْرِيَتْ مَجْرَى غَيْرِهَا مِنَ الْعَرَبِيِّ فَوَزَنَها فَعَعَلْلُ وهذا بِنَاءٌ مُسْتَنَكِرٌ ، لَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ مِثْلُ « سَفَرَجَلْ » وَلَا « سَفَرَجُلْ » . فإِنْ ادَّعَى مُدْعٍ أَنَّهَا « فَتَعَعَلْلُ » فَقَدْ خَرَجَ مِنْ حُكْمِ التَّصْرِيفِ ، لِأَنَّ الْهَمْزَةَ إِذَا كَانَ بَعْدَهَا ثَلَاثَةُ أَحْرَفٍ مِنَ الْأَصُولِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا زَائِدَةً . وعند سيبويه أَنَّهَا إِذَا كَانَ بَعْدَهَا أَرْبَعَةُ أَحْرَفٍ فَهِيَ مِنَ الْأَصْلِ ، كَهَمْزَةِ إِصْطَبَلْ ، وَلَوْ كَانَتْ عَرَبِيَّةً لَجَازَ أَنْ يُدَّعَى لَهَا أَنَّ وَزَنَها أَنْفَعَلْ وَأَنَّهَا مِنَ الدَّلَّسِ وَالتَّدْلِسِ ، وَأَنَّ الْهَمْزَةَ وَالنُّونَ زَائِدَتَانِ كَمَا زِيدَتَا فِي « أَنْفَعَلْ » وَهُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ ، ذَكَرَهُ سَبِيوِيهِ فَرَعَمَ أَنَّ الْهَمْزَةَ وَالنُّونَ زَائِدَتَانِ وَأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ مِثْلُهُ فِي الْكَلَامِ ^(١) . وَمَنْ رَوَى : « مَاسَرَّتِي بِخِدَاجِهَا مِنْ حَجَّةٍ » : أَرَادَ أَنَّهُ لَمَّا فَاتَهُ الْحَجُّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ مَاسَرَّهُ عَوَضًا مِنْهَا مَا بَيْنَ أَنْدَلُسَ إِلَى صَنْعَاءَ مِلْكًا ، كَمَا يُقَالُ : مَاسَرَّتِي بِهِ حُمْرُ النَّعَمِ .

١٧ أَجْرٌ وَلَكِنْ قَدْ نَظَرْتُ فَلَمْ أَجِدْ أَجْرًا يَفِي بِشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ^(٢)

(١) في اللسان (مادة دلس) : وَأَنْدَلُسُ جَزِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَزَنَها « أَنْفَعَلْ » وَإِنْ كَانَ هَذَا مِمَّا لَا نَظِيرَ لَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ النُّونَ لَا مَحَالَةَ زَائِدَةً ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَوَاتِ الْخَمْسَةِ شَيْءٌ عَلَى « فَعَعَلْلُ » فَتَكُونُ النُّونُ فِيهِ أَصْلًا لَوْ قَوَّعَها مَعَ الْعَيْنِ ، وَإِذَا ثَبِتَ أَنَّ النُّونَ زَائِدَةٌ فَقَدْ وَرَدَ فِي أَنْدَلُسَ ثَلَاثَةُ أَحْرَفٍ أَصُولُ وَهِيَ الدَّالُ وَاللَّامُ وَالسِّينُ وَفِي أَوَّلِ الْكَلَامِ هَمْزَةٌ ، وَمَتَى وَقَعَ ذَلِكَ حَكَتْ بِكُونِ الْهَمْزَةِ زَائِدَةً وَلَا تَكُونُ النُّونُ أَصْلًا وَالْهَمْزَةُ زَائِدَةً لِأَنَّ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ لَا تَلْحَقُهَا الزَّوَائِدُ مِنْ أَوَائِلِهَا إِلَّا فِي الْأَسْمَاءِ الْجَارِيَةِ عَلَى أَفْعَالِها نَحْوُ مَدْحَرَجٍ وَبَابِهِ ، فَقَدْ وَجِبَ إِذَنْ أَنَّ الْهَمْزَةَ وَالنُّونَ زَائِدَتَانِ وَأَنَّ الْكَلِمَةَ بَهَا عَلَى وَزَنِ أَنْفَعَلْ وَإِنْ كَانَ هَذَا مِثَالًا لَا نَظِيرَ لَهُ .

(٢) هذا البيت لم يرد في ش ، س . وشرحه ابن المستوفى قال : « أَجْر » أى الحج أَجْر . وقوله « ولم أَجد أَجْرًا يَفِي بِشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ » قالوا أَرَادَ : النَّارَ وَلَا الْعَارَ . قال : قد أَجْرَتْ لَأَنَّكَ ذَوَيْتَ الْحِجَّ وَلَكِنْ هَذَا الْأَجْرُ لَا يَفِي بِعَرْكِ النَّفْسِ شَمْتَ بِهِ أَعْدَاؤُكَ .

١٨ لَوْ سَرَتْ لَأَلْتَقَتِ الضُّلُوعُ عَلَى أَسَى

كَلِفٍ قَلِيلِ السَّلْمِ لِلْأَحْشَاءِ^(١)

١٨ : [ص] كُنِيَ بِالسَّيْرِ عَنْ الْمَوْتِ^(٢) ، وَقَدْ يُقَالُ : أَرَقَلَ إِلَى الْمَوْتِ ، وَسَارَ إِلَى الْمَوْتِ ، وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : الْإِنْسَانُ سَائِرٌ بِعَمَلِهِ إِلَى أَجَلِهِ ، قَالَ : وَإِنَّ امْرَأَةً قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لِتَقْرِبُ^(٣) وَقِيلَ أَرَادَ لَوْ سَرَتْ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي أَرَادُوا تَقِيكَ إِلَيْهِ لِاسْتِمْلَتْ ضُلُوعِي عَلَى حُزْنٍ كَلِفٍ بِهَا مُلَازِمٌ لَهَا ، قَلِيلِ الْمَسَالَةِ لِلْأَحْشَاءِ . وَالْأَوَّلُ أَجُودُ لِلْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ وَهُوَ :

١٩ وَلَجَفَ نَوَارُ الْكَلَامِ^(٤) وَقَلَمًا يُلْفَى^(٥) بَقَاءُ الْغَرْسِ بَعْدَ الْمَاءِ

وَيُرْوَى « بَهَاءُ الْغَرْسِ » . النُّوَّارُ وَالتَّوَرُّ زَهْرُ النَّبَاتِ ، وَضَرْبُهُ مِثْلًا لِبَلَاغَتِهِ وَحُسْنِ مَنْطِقِهِ وَاقْتِدَارِهِ عَلَى الْمَعَانِي . وَيُرْوَى « وَلَجَفَ نَوَارُ النَّوَالِ » يَقُولُ : لَزَالَ حُسْنُ الشَّعْرِ وَذَهَبَ رَوْقُهُ لِنَهَابِكَ كَمَا يَذْهَبُ بَهَاءُ الْغَرْسِ بَعْدَ الْمَاءِ ، لِأَنَّكَ تُحْيِي الشَّعْرَ بِجُودِكَ .

(١) فَقُلَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى فِي هَذَا الْبَيْتِ بَعْضَ رَوَايَاتٍ عَنِ النُّسخَةِ الْعَجْمِيَّةِ الَّتِي يَشِيرُ إِلَيْهَا فِي كِتَابِهِ فَذَكَرَ رَوَايَةً « لَوْ تَمَّ » وَقَالَ : وَفِيهَا « عَلَى جَوَى أَسَفٍ » . وَقَالَ : وَفِي نُسْخَةٍ أُخْرَى : « أَسَى كَلْبٍ » . وَفِي هـ ب ، هـ ن : وَيُرْوَى « لَانْطَوَتْ الضُّلُوعُ » .

(٢) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى فِي الرَّدِّ عَلَى الصُّوْلِ : الْكُنْيَا بِالسَّيْرِ عَنِ الْمَوْتِ بَعِيدَةٌ ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ لَوْ رَحَلَتْ لَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَ .

(٣) فِي الْأَغَانِي ١٨ : ١١٩ (ط السَّاسِي) قَالَ أَبُو الْفَرَجِ قَالَ أَخْبَرَنِي جِحْظَةُ قَالَ : كَتَبَ الْحُجَّاجُ إِلَى قَتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ : إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي سَنِي فَإِذَا أَنَا ابْنُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَأَنَا وَأَنْتَ لَدَةَ عَامٍ ، وَإِنَّ امْرَأَةً قَدْ سَارَ إِلَى مَنْهَلٍ خَمْسِينَ سَنَةً لِتَقْرِبَ أَنْ يَرُدَّهَ وَالسَّلَامَ . فَسَمِعَ هَذَا أَبُو مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ فَقَالَ :

إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ وَإِنَّ امْرَأَةً قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لِتَقْرِبَ

وَانْظُرْ شَرْحَ ذِيلِ الْأَمَالِيِّ ص ٣ .

(٤) د : « نَوَارُ الْقَرِيضِ » .

(٥) س ، ل ، ظ : « يَبْقَى بَهَاءُ الْغَرْسِ » وَجَاءَتْ هَذِهِ الرُّوَايَةُ أَيْضًا فِي هـ ن ، هـ ب .

٢٠ فالجَوْجَوَىٰ إِنِّ أَقَمْتُ^(١) بِغِبْطَةٍ وَالْأَرْضُ أَرْضِي وَالسَّمَاءُ سَمَائِي
(ع) الجوّ ما بين السماء والأرض . والمعنى أنك لما أقمتَ صرتُ كأنني
أملكُ السماءَ والأرضَ والجوّ ، لأنّي أعزُّ بك وينفُذُ ما أمرُ به . ويروى
« ما أقمتَ بغبطةٍ »^(٢) .

(١) س ، ن ، ب ، ظ : « إذ أقمت » .
(٢) وهي في هـ ب .

وقال يمدح محمد بن حسان الضبي وكان مدح بهذه القصيدة يحيى بن ثابت :

١ قَدْكَ أَتَيْتُ أَرَبَيْتُ^(١) فِي الْغُلَوَاءِ كَمْ تَعْدِلُونَ وَأَنْتُمْ سُجَرَاءِي ؟!

الثاني من الكامل والقافية متواتر .

(ع) : « قَدْكَ » في معنى حَسْبُكَ ، وهي كلمة تُستعمل مع المضمرات كثيراً ولا يُعرف استعمالها مع الظاهر ، وإذا جاءت مع المضمر فإنما يُخاطب بها المواجه ويعنى بها المتكلم نفسه ، فيقال قَدْكَ يا رجل وقدنى . قال زَيْد الخليل :

ولو لا قوله يا زيدُ قَدْنى إذا قامتْ نُؤيرةُ بالمالِ
وعند النحويين أنَّ النون دخلتْ ها هنا لتبقى الدالُّ على سكنها ، وربما قالوا قَدْى ، والقراء يميز ذلك في غير الضرورة ، وسيبويه يجعله من الضرورات ، وعلى ذلك تأول قولَ الراجز :

قَدْنى من نصرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدْى
ليس الإمامُ بالشحيجِ الملْحِدِ^(٢)

فيا « قَدْنى » عنده مثل ياء « قدى » ، وحذفت النون لإقامة الوزن ، كأنَّ المعنى حَسْبى حَسْبى . وقال غيره : الياء في آخر البيت للإطلاق كأنَّه قال حَسْبُ ، ولا يُعرف في كلام فصيح قَدْهُ ولا قَدْها ولا قَدْ زيد . وقد زعم قوم أنها إذا استعملت مع الظاهر خَفَضَتْهُ ، وقيل يجوز خَفَضُهُ ونَصَبُهُ .

(١) س : « أسرفت » .

(٢) الرجز لحمد الأرقط ، وأراد بالخبيبين عبد الله بن الزبير وأخاه مصعباً ، وقيل عبد الله وابنه خبيب بن عبد الله بن الزبير ، وكان عبد الله يكنى بأبي خبيب ، قال الراعي :

ما إن أتيتُ أبا خبيبٍ وافداً يوماً أريدُ لبيعى تبديلاً

ومن روى الخبيبين على الجمع يريد ثلاثهم ، وقال ابن السكيت : يريد أبا خبيب ومن كان على رأيه (اللسان مادة خبيب) .

والصحيح أنها تستعمل مع الكاف والنون والياء ، بهذه الأحرف جاء السماع من العرب .

ومعنى « اثنب » استحي ، وهي مأخوذة من الإبنة أى الحياء ، وأصل الإبنة وثبةٌ مثل وجهته فحذفت الواو كما حذفت من عدة ، قال ذو الرمة :
إذا ما المرء ^(١) شَبَّ له بُنَاتٌ عَقْدَنَ بِرَأْسِهِ إِبْنَةً وَعَارًا
وقال ضمرة بن ضمرة النهشلي :
أَصْرَهَا وَبُنَى عَمَى سَاغِبٌ وَكُفَّاكَ مِنْ إِبْنَةٍ بِذَاكَ ^(٢) وَعَابٍ !
وأما قولهم أُولَاهُ إذا أغضبه فالمعنى فعل به فعلاً يُستحيى من مثله ، قال الراجز :

لَمَّا أَتَاهُ خَاطِبًا فِي أَرْبَعَةٍ
أُولَاهُ وَسَبَّ مَنْ جَاءَ مَعَهُ

و « غُلَوَاء » فُعْلَاء من غلا يغلو إذا زاد في القول والفعل ، ومنه الغلوة بالسهم وهو أن يرمى به إلى غير غَرَضٍ لِيُنْظَرَ كَمَ مقدار ذهابه في الأرض ، ويقال فلان في غُلَوَاءٍ شِبَابِهِ أى في سَوْرَتِهِ ونَمَاتِهِ ، قال ابن قيس الرقيبات :
لَمْ تَكْتَفَيْ لِيْلِدَاتِهَا وَمَضَتْ عَلَى غُلَوَائِهَا ^(٣)
يريد أنها شبت شباباً مريعاً سبقت فيه أترابها ، وكذلك يقال الغُصْنُ في غُلَوَائِهِ أى في أول زمانه وارتفاعه ، قال الشاعر :
إِلَّا كَنَاشِرَةً الذِّى ضَيَّعْتُمْ كَالْغُصْنِ فِي غُلَوَائِهِ الْمُتَنَبِّتِ ^(٤)

(١) ب ، ن : « إذا المرئي » بفتح الراء وهي رواية اللسان (مادة وأب نسبة إلى امرئ ، وفيه قال ابن برى : المرئي منسوب إلى امرئ القيس ، رجل كان يعادى ذا الرمة ، على غير قياس ، وكان قياسه مرئي بمكون الراء على وزن مَرْعَى . وقال في مادة (مرأ) : وهو من القسم الذى وقعت فيه الإضافة إلى الأول دون الثانى لأن امرئاً لم يضاف إلى اسم علم في كلامهم إلا فى قولهم امرؤ القيس ، وأما الذين قالوا مَرْعَى فكأنهم أضافوا إلى مَرْعَى فكان قياسه على ذلك مرئى ، ولكنه نادر معدول النسب .

(٢) ب ، ن : « على » . والوَاب بالفتح الاستحياء والافتقار ، وأب يثب إِبْنَةً ، وأتَاب استحياء .

(٣) ديوانه ٢٨٠ ، والرواية فيه « على غلوائها » واللسان مادة « غلا » .

(٤) البيت في اللسان مادة « نبت » قال : وقيل المتنبت هنا المتأصل ، وقوله « إلا كناشرة » أراد

إلا ناشرة فزاد الكاف .

وقال : « كم تعذلون » فخرج من خطاب الواحد إلى خطاب الجميع ، ومثله كثير في القرآن والكلام القديم ، ومنه قوله تعالى : « يا أيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ » ، وقال جرير :

يَاطِيبُ هَلْ مِنْ مَتَاعٍ تُمْتَنِعِينَ بِهِ ضَيْفًا لَكُمْ رَاحِلًا يَاطِيبَ عَجَلَانَا (١) ؟
و « سَجْرَانِي » أى أصدقائي واحدهم سَجِير ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُذًا
مِنَ السَّجَرِ الَّذِي هُوَ حَزِينُ الْإِبِلِ ، يَقَالُ سَجَرَتِ النَّاقَةِ سَجْرًا إِذَا مَدَّتْ
صَوْتَهَا بِالْحَزِينِ ، كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُسَاجِرُ الْآخَرَ ، فَصَارَ الْمُفَاعِلُ فَعِيلًا
كَمَا يَقَالُ نَادِمَةٌ فَهُوَ مُنَادِمٌ وَنَدِيمٌ ، وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ السَّجِيرُ مِنَ السَّجَرِ
الَّذِي هُوَ الْمَلْعُ . كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُفْضِي إِلَى صَاحِبِهِ بِسِرِّهِ وَمَا يَكْتُمُهُ
عَنْ غَيْرِهِ فِيمَلَأَ بِهِ سَوَادَ قَلْبِهِ ، وَلَا يُمْتَنَعُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنَ السَّجَرِ الَّذِي هُوَ تَفْرِيقُ
الشَّيْءِ كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَرَّغَ صَدْرَهُ لَوَدَّ صَاحِبَهُ . وَجَمَعَ سَجِيرٌ سَجْرَاءَ .
وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُ : [ص] حَسْبُكَ اسْتَحْيَ كَمْ تَعْدِلُونَ وَأَنْتُمْ تَحِبُّونَ كَمَا
أَحَبَّ . وَقَوْلُهُ : « قَدْ كُنْتَ اتَّبَعْتَ » كَلَامٌ مُخْتَلَفٌ الْمَعْنَى ، يَرِيدُ ارْفُقْ اسْتَحْيَ ، وَالْعَرَبُ
رَبَّمَا كَرَّرَتْ الشَّيْءَ تَرِيدُ التَّوَكِيدَ وَالْمَعْنَى وَهَذَا كَقَوْلِهِ عَجَلٌ أَسْرِعَ ، وَلَا
يَكُونُ هَذَا عِنْدَهُمْ عَيْبًا ، فَكَيْفَ يَعَابُ أَبُو تَمَامٍ وَقَدْ جَمَعَ بِهَذَا الْكَلَامَ بَيْنَ مَعْنَيْنِ
مُخْتَلَفَيْنِ * (٢) .

٢ لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبَّ قَدِ اسْتَعَذَبْتُ مَاءَ بُكَائِي
أَي لَا تَلْمَسْنِي فَإِنِّي عَاشِقٌ قَدْ أَلْفْتُ الْبُكَاءَ وَاسْتَعَذَبْتُهِ فَلَا أَكَادُ أَقْلَعَ عَنْهُ

(١) ديوانه : ٥٩٤ ، والرواية فيه « ضيفاً لكم باكرأ » .

(٢) أتى الصول في شرحه بشاهد لم يذكره التبريزي وهو قول الراجز :

* مهلا رويدا قد ملأت بطني *

وقال ابن المستوفى : هذا البيت من ردى شعر أبي تمام ، إلا أن قوله : « قَدْ كُنْتَ اتَّبَعْتَ أَرَبَيْتَ » كَلَامٌ
مُنْتَظَمٌ غَيْرُ مُحْتَاجٍ أَنْ يَقَالَ فِيهِ إِنَّهُ مُكَرَّرٌ لِلتَّوَكِيدِ ، وَمَعْنَاهُ مُخْتَلَفٌ لِأَنَّ أَبَا تَمَامٍ رَكِبَهُ تَرْكِيبًا صَحِيحًا فَقَالَ
حَسْبُكَ ، اسْتَحْيَ مَنِي ، زِدْتَ فِي مَلَامِي . وَقَوْلُ الصَّوْلِ « كَمْ تَعْدِلُونَ وَأَنْتُمْ تَحِبُّونَ كَمَا أَحَبَّ » غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ ،
وَلِإِنَّمَا أَرَادَ كَمْ تَعْدِلُونِي وَأَنْتُمْ أَصْحَابِي وَخُلَطَائِي وَتَعْلَمُونَ مَا بِي . ثُمَّ قَالَ : وَفِي حَاشِيَةِ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ ط :
إِنَّمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ لِوَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ كُنْتَ ، وَلِلثَّانِي اتَّبَعْتَ ، وَلِلثَّالِثِ أَرَبَيْتَ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : « كَمْ تَعْدِلُونَ »
وَالْأَصْحَابُ لَا تَكُونُ أَقْلَ مِنْ ثَلَاثَةٍ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ بَعِيدٌ مَتَعَسَفٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَنْصَرِفُ مِنْ خُطَابِ
الوَاحِدِ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَتَفْعُلُ ذَلِكَ فِي عَكْسِهِ ، وَلَوْ اسْتَقَامَ لَهُ ذَلِكَ لَمْ يَرْجِعْ أَبُو تَمَامٍ إِلَى خُطَابِ الْوَاحِدِ فَيَقُولُ :
« لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ » .

للوْمك لِبَيَّاي ، فَكُفَّ عَنِّي [ص] وكما قال في آخر البيت : « ماءَ بَكَائِي » قال في أوله : « لا تسقني ماء الملام » وأقحم اللفظ على اللفظ إذ كان من سببه ، كقول الله تعالى : « وجزاء سيئةً سيئةً مثلها » . فالثانية جزاءٌ وليست بسيئة ، فجاء باللفظ إذ كان من سببه ، لأن الله تعالى يقول : « وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ » ، وقال : « فبشرهم بعذاب أليم » والبشارة إنما تكون في الخير لا في الشر [ع] : جعل للملام ماءً مستعاراً ، وإذا كان ممّا يَنقَع عليه التشبيه فهو أقرب وأيسر كقول الطرِّ مَاح :

فقلت لها يا أمَّ حَسَّانَ إِنَّهُ هُرَيْقٌ شَبَابِي وَاسْتَشَنَّ أَدِيمِي ^(١)
جعل الشباب يُهْرَاقُ لأنه قد يُشَبَّه الشباب بالغصن الذي يُعْتَصِر منه الماء .
وقول ذي الرِّمة ^(٢) :

أَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرَقَاءَ مَنَزِلَةٍ مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومٌ ؟ !
غير مستعارٍ لأن ثَمَّ ماءً وهو الدمع ، والمعنى الماء الذي يحدث عن الصَّبَابَةِ ^(٣) .

٣ وَمُعَرَّسٍ لِلْغَيْثِ تَخْفِقُ بَيْنَهُ ^(٤) رَايَاتُ كُلِّ دُجْنَةٍ وَطَفَاءٍ ^(٥)

(ع) : أصل التَّعْرِيسِ النزول في آخر الليل ، وقيل بل أصل التَّعْرِيسِ من عَرَّسَ بالشَّيء إذا لَزَمَهُ ، ومن ذلك قولهم عَرَّيسُ الْأَسَدِ وعَرَّيَسْتُهُ للموضع الذي يَأْلِفُهُ ، ومن أمثالهم :

* كَمُبْتَغَى الصَّيْدِ فِي عَرَّيَسَةِ الْأَسَدِ ^(٦) .

(١) في الأصول « واستمر » والتصحيح عن ظ ، واستثنى السقاء أخلق ، والشن القرية الخلق . ولم نجد البيت في ديوانه .

(٢) الديوان : ٥٦٧ ، والرواية فيه « أعن ترسمت » الخزائنة ١ : ٣٧٩ ، أخبار أبي تمام ٣٤ .

(٣) تحدث الصولي في كتابه أخبار أبي تمام حديثاً مستفيضاً عن هذه الاستعارة حين أنكرها بعضهم ، وكذلك الأمدى في كتابه الموازنة (ط إسطنبول ص ١١٢) ولم يعبه بل دافع عن البيت ودل على صحة الاستعارة .
(٤) س : « للين » وها مشها رواية الأصل - ظ : « للركب » .

(٥) في ش ، د ، ل « فوقه » ، غير أن قول التبريزي في شرح هذا البيت : « وقوله بينه . . إلخ » يدل على أن الرواية عنده « بينه » . وفي ق : « وسطه » .

(٦) مجمع الأمثال ٢ : ٦٩ ، والمثل فيه « كبتني الصيد في عرينة الأسد » يضرب مثلاً لمن طلب محالاً .

ونخصوا النزول بالليل في أكثر كلامهم ، ويُشَدُّ :
فلو كنت ماءً كنت مساءً غمامةً ولو كنت نومةً كنت تعريسة الفجر
أى النوم الذى يكون عند التعريسة . وقد يمكن أن يُسمى كلُّ مقامٍ
معرساً ، قال أبو وجزة :

تَجَلَّلَتْهَا عَالٍ عَتِيقٌ وَزَانِهَا مُعَرَّسٌ مُهَرِّبٌ بِهِ الدَّيْلُ يُلْتَمَعُ
جعل موضع الجنين في رحم الناقة مُعَرَّساً له . وهذا في بيت الطائي من
المستعار ، لأن التعريس إنما يُعرف لذوى الشُّخوص من الحيوان . و « الرايات »
يعنى بها البروق لأنها تُشَبَّه بذلك . و « الدُّجْنَةُ » ليلة ذات دَجْنٍ ، وكأنه
عتى السحابة في هذا البيت . و « الوطفاء » من صفة السحابة يُراد بها المتدلية
الهَيْدَب ، أُخِذَتْ من الجَفْنِ الأوطف وهو الكثير الشعر الطويل الهُدْب ،
وكذلك الحاجب ، يُقال سحابة وطفاء ، ولا يمتنع أن توصف الليلة بهذه الصفة
إذا كانت فيها سحابة ذات وطف ، ويكون هذا الصنف مثل قولهم نام الليل
وإنما ينام فيه . وقوله : « تخفق بينه » أى تضطرب كما تخفق الراية إذا هبت
بها الريح ، وإنما أراد البرق لأنه يُشَبَّه بالرايات .

٤ نَشَرَتْ^(١) حَدَائِقَهُ فَصِرْنَ مَالِفاً لِطَرَائِفِ الْأَنْوَاءِ وَالْأَنْدَاءِ

(ع) : المعروف في الحدائق أن تُستعمل في النخل والكرم ، والواحدة
حديقة ، وإنما قيل لها ذلك لأنه يُبنى حولها شيء يُحْدَق بها يمنعها من دخول
وحشٍ أو سارق ، فيجوز أن يكون استعار هذا اللفظ لما يَنْبَغِي السحاب ، ولا يمتنع
أن يعنى بالحدائق التى هى معروفة عند العامة ثم أضافها إلى الغيث لأنه أمطرها
وأرواها . فأما الحدائق في الكتاب العزيز فمخصوصٌ بها النخل لقوله تعالى :
« وحدائق غلباً » وقالت امرأة من العرب :

أَعْطَيْتُ فِيهَا طَائِعاً أَوْ كَارِها
حديقةً غلباءً في جِدارِها

(١) ظ : ويروى « نَشَرَتْ » بالبناء للمجهول ، وقال الأمدى : « نشرت حدائقه » أى حييت ،
من قولهم أنشر الله الموتى فنشروا أى حيوا ، وأراد أن هذه الحدائق حييت بالغيث الذى ذكره .

فقولها « في جدارها » يدلُّ على أنها سُمِّيتْ حديقةً لأجل ما يُبْنَى حولها ، وكانوا يُسمُّونَ البستانَ الحائطَ لأنه يُبْنَى حوله . فيكون معنى البيت على الوجه الأول : [ص] أن هذه السحابةَ نَشَرَتْ حَدائِقَ هذا المُعَرَّسِ ، أى نَبَتَه ، فصارت الحدائقُ مَآلِفَ لطائفِ هذه الأمطار من كثرة تَرَدِّدِها عليه ^(١) .

٥ فَسَقَاهُ مِسْكَ الطَّلِّ كَافُورُ الصَّبَا ^(٢) وَانْحَلَّ ^(٣) فِيهِ خَيْطُ كُلِّ سَمَاءٍ

(ع) : في هذا البيت ثلاثة أشياء مستعارات : المسك والكافور والخيط . والطلُّ أضعفُ المطر ، وإنما خَصَّهَ بالمسك لأن المطرَ الضعيفَ إذا أصاب الترابَ فاحت له رائحةٌ طيبة فكيف به إذا أصاب الرّوض ؟ وجعل الكافورَ مستعاراً للصَّبَا لأنه أراد بَرْدَها ، وجعلها سبباً لحجى هذا الطلِّ ، فجمع بين شيئين متضادَّين من الطيب وهما الكافور والمسك لأن أحدهما باردٌ والآخر حارٌّ . وقوله : « وانحلَّ فيه خيطُ كلِّ سماءٍ » أراد بالسماء المطرَ ، وكَسَنَى بانحلال الخيط عن وقوع الغيث لأنَّ الشيءَ إذا كان مشدوداً بخيط فانحلَّ أدَّى ذلك إلى سقوطه وتَبَدَّدَ ، وأصله في القرية والمزادة ، وهذا كقولهم ألقي أرواقه بمكان كذا وألغى الغيثُ بَعَاءَه أى ثِقَلَه ^(٤) .

٦ عُنِيَ الرَّبِيعُ بِرَوْضِهِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى إِلَيْهِ الْوَشْيَ مِنْ صَنْعَاءِ

شِبْهِ أَلْوَانِ الزَّهَرِ يَوْشَى صَنْعَاءُ فَكَأَنَّ الرَّبِيعَ تَأَنَّقَ فِي تَرْبِيَتِهِ ، وكانت صَنْعَاءُ معروفةً بعملِ الْوَشْيِ ، وهو كلُّ ما نُقِشَ مِنَ الثِّيَابِ وَحُسِّنَ ، ومنه

(١) ن ، ب : عليها .

(٢) ظ ، د : « كافور الندى » .

(٣) س : ويروى « وانحط فيه » .

(٤) قال الصولي في شرحه : « طيب الصبا يجمع الغيم ويحلب طيب الطل ، فاستعار المسك والكافور لطيبهما واختلافهما في شدة الحرارة ، ولا أعرف في وصف كثرة المطر أحسن من قوله وتشبيهه المطر بخيوط متصلة من السماء إلى الأرض وهو قوله : « وانحلَّ فيه خيط كلِّ سماء » ، وقال ابن المستوفي في الرد عليه : لا معنى لقول الصولي وتشبيهه المطر بخيوط متصلة من السماء إلى الأرض ، وإنما أراد أبو تمام حسن الاستعارة فجعل لكل مطر خيطاً معقوداً ثم جعله منحللاً فيه ، يعنى سقاه كل مطر ، كما يقال حل السحاب عزاليه ، والعزلاء هم المزادة السفلى وإنما تكون مشدودة بخيط .

اشتقاق الواشي من الناس لأنه يُزَيَّن القطيعة للأصدقاء ، ويُقال للذي ينقش
الدِّينَارَ واش ، وكذلك لكلِّ ناقش شيئاً ، قال الشاعر :

فَا هِبْرَزِيٌّ مِنْ دَنَانِيرِ أَيْلَةٍ بِأَيْدِي الْوَشَاةِ بَارِزًا يَتَأَكَّلُ^(١)

[ع] وصنعاء اسم قديم لم يستعملوه إلا في هذا البلد ، ولم يقولوا امرأة صنعاء
ولا غير ذلك ، فيجوز أن تكون كلمة موضوعة لم يستعمل منها مذكّر ، ويحتمل
أن يكون أصلها أن تجرى على « أفعل » وترك استعماله كما قالوا دِرْعٌ حَصْدَاءٌ
لم يقولوا حديدٌ أَحْصَدٌ ، ولا ريب أنها سُمِّيَتْ بذلك لما يُصنع فيها من البرود
وغيرها ، وهي مملودة ولا تجيء مقصورة إلا في الضرورة ، قال الشاعر :

خَلِيلِيٍّ مِنْ عَلِيَّيَا هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ بِصَنْعَاءَ عَوْجَا الْيَوْمِ وَانْتَظَرَانِي

وقال الراجز في القصّر :

* لَا بُدَّ مِنْ صَنْعَاءَ وَإِنْ طَالَ السَّقَرُ*

٧ صَبَّحَتْهُ بِسُلَاقَةٍ صَبَّحَتْهَا بِسُلَاقَةٍ الْخُلَطَاءُ وَالنَّدَمَاءُ

(ع) : « السلاقة » الأولى مُرَادٌ بها الخمر ، واشتقاقها من قولهم سَلَفَ
أى تَقَدَّمَ ، ويُقال إنَّ ذلك معنًى به أول ما يسيل منها إذا اعتصرت ، ويقال
هو ما بدَرَ منها من غير عَصَرٍ ، ثم كثر ذلك حتى سَمَّوْا الخمر سُلَاقَةً ،
وقالوا سُلَافُ الحديد يُرِيدُونَ خَالَصَهُ وَمُتَقَدِّمَهُ . و « السلاقة » الثانية على معنى
الاستعارة ، جعل الذين صَبَّحَ بهم هذه السلاقة سُلَاقَةً مَنْ خَالَطَ وَنَادَمَ ،
أى أَفْضَلَهُمْ^(٢) ، وهذا من قول أبي نواس :

الرَّاحُ طَيِّبَةٌ وَلَيْسَ تَمَامُهَا إِلَّا بِطَيْبِ خَلَاتِقِ الْجُلَاسِ^(٣)

(١) البيت في اللسان (مادة هـ ز) لرجل يرثى ابناً له . رواه ابن الأعرابي وقال : الهبرزي الدينار
الجديد أو هو الذهب الخالص كالإبرزي وهو الإبريز . وأيلة مدينة على شاطئ البحر في منتصف ما بين
مصر ومكة (معجم ما استعجم ١ : ٢١٧) وأنشد ابن الأعرابي (مادة أيل) .
فَأَنْتُمْ وَالْمَلِكُ يَا أَهْلَ أَيْلَةٍ لِكَلَّتَابِي وَهُوَ لَيْسَ لَهُ أَبٌ

والوُشَاةُ ضرابو الدنانير . ويتأكل يأكل بعضه بعضاً من حسنه .

(٢) قال المرزوقي : يجوز أن يكون أراد : صبحت الخمرة بأخلاق لم خالصة كريمة طيبة
كالسلاقة ، ويجوز صبحتها بخلصان الإخوان . (٣) الديوان ص ٢٩٥ .

٨ بِمُدَامَةٍ تَغْدُو الْمُنَى لِكُؤُوسِهَا خَوَلًا عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

[ص] يقول : تساعد المُنَى الكُؤُوسَ على السَّرَّاءِ بالزيادة فيها ، وعلى الضَّرَّاءِ بإزالتها حتى تُزِيلَهَا ^(١) (ع) : المُدَامَةُ الخمر ، وقوله « بِمُدَامَةٍ » بدل من قوله في البيت الأول « بِسُلَافَةٍ » لأنَّ البدلَ قد يردُّ معه العاملُ ، فيقال مررت بأخيك بالرجلِ الصالح . والمُدَامَةُ قيل هي من أديمَت في الدَّنَّ أى تركت فهذا من دام يدوم ، وقيل سُمِّيَتْ مُدَامًا ومُدَامَةً لأنه يدام بها على الشَّرْبِ أى يُدَارُ ، ومنه اشتقاق الدُّوَامَةِ لدورانها ، وكلُّ شَيْءٍ اسْتَشْبَهَهُ فقد استمدمته ، ويقال استدام القومُ إذا استداروا ، قال الشاعر :

إذا فَرَعُوا لَصَاعِقَةً أَتَتْهُمْ رَأَوْا أُخْرَى تُحَرِّقُ فَاسْتَدَامُوا ^(٢)
والخَوَلُ أصلُهُ ما يَمْلِكُهُ الرَّجُلُ مما خَوَّلَهُ اللهُ ، وأصل ذلك في العبيد والإماء والإبل ، ثم استُعير ذلك في جميع الأشياء . وهو في البيت مُسْتَعَارٌ ^(٣) .

٩ رَاحٌ إِذَا مَا الرِّاحُ كُنَّ مَطِيَّهَا كَانَتْ مَطَايَا الشُّوقِ فِي الْأَحْشَاءِ

« الرِّاحُ » الأولَى الخمر ، وهى من ذَوَاتِ الْبَاءِ لقولهم رِيَّاحٌ فى معنى رَاح ، ومنها اشتقاق الأَرِيحِيِّ والأَرِيحِيَّةِ ، وبعض الناس ينشد قول امرئ القيس :

كَأَنَّ مَسْكَكِيَّ الْجَوَاءِ غُدْيَةً صُبِحْنَ رَحِيقًا مِنْ رِيَّاحٍ مُفْلَتَلٍ ^(٤)
وكانهم إذا استعملوا الشَّيْءَ بالواو والياء فرقوا بإبدال أحدهما من الأخرى ليكون ذلك أَقْلَ لِلْبَسِّ ، لأنهم لو قالوا رجل أَرَوْحِيٌّ لالتبسَ بِالشَّسْبِ إِلَى

(١) وهذا لفظ المرزوق كما فى ظ .

(٢) البيت لجرير (ديوانه ٥١٣) وروايته فيه : « إذا أوقعتُ صاعقة عليهم » . وكذلك هو فى اللسان (مادة دوم) .

(٣) قال المرزوق فى ق : والخول جمع خائل وأصله الراعى ، يقال : هو يخول على أهله ، وهو قول الفراء . كما فى ظ ، وفيها كلام المرزوق هذا ، وقال : وقال غيره هو من التخول أى التملك - فعل الوجه الأول كما يقول ابن المستوفى أراد تغدو المنى وقد غضبت لأصحاب كؤوسها كيف يتصرف فيهم غيرها من نحو الفكر والهم . وعلى الوجه الثانى أن المنى تصوير مملوكة لهم يتصرفون فيها فى حالتى سرائهم وضرائهم فيتمنون ضروب الأمانى وهذا يحكيه معظم من يشرب الخمر .

وقال أيضاً : وفى نسخة : أى تصوير الأمانى خولا لكؤوسها فيظن شاربها أنه أغنى الأنام وأنه خول كل شئ . كما قال : وإذا شربت فإنى رب الخورق والسدير

(٤) رواية البيت المشهورة فى معلقة امرئ القيس : « صبحن سلافاً » .

أَرْوَحَ ، إِذَا قَلْتَ هَذَا أَرْوَحَ مِنْ هَذَا ، وَهَذَا ظَلِيمٌ أَرْوَحَ ، فَيُؤْثِرُونَ الْفَرْقَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ إِذَا وَجَلُوا سَبِيلًا إِلَيْهِ . وَ« الرَّاحُ » الثَّانِيَةُ جَمْعُ رَاحَةٍ الْكَفِّ ، فَأَمَّا الرَّاحَةُ مِنَ التَّعَبِ فَقَدْ جَاءَتْ بِالْهَاءِ وَبِغَيْرِ الْهَاءِ ، وَهَذَا الْبَيْتُ أَنْشَدَهُ الْفَرَاءُ عَلَى الرَّجْهَيْنِ :

مَا لَكَ لَا تَنْحِمُ^(١) يَا فَلَاحَ

إِنَّ النَّحِيمَ لِلسَّقَاةِ رَاحَةٌ ؟

وَبَعْضُهُمْ يُنْشِدُ : « يَا فَلَاحُ » ، « إِنَّ النَّحِيمَ لِلسَّقَاةِ رَاحٌ » فَأَمَّا قَوْلُ الْآخَرِ :

وَلَقِيتُ مَا لَقِيتُ مَعَدَّةً كُلَّهَا وَنَسِيتُ^(٢) رَاحِي فِي الشَّبَابِ وَخَالِي
فَيُقَالُ إِنَّهُ أَرَادَ بِالرَّاحِ الْأَرْحِيَّةَ وَبِالْخَالِ الْخَيْلَاءَ . وَقَوْلُهُ « كُنْ » رَدَّةٌ عَلَى جَمْعِ الرَّاحَةِ ، وَإِذَا جَاءَ الْجَمْعُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ إِلَّا الْهَاءُ جَزَا فِيهِ التَّأْنِيثُ وَالتَّذْكِيرُ ، فَيُقَالُ عَلَى هَذَا : الرَّاحُ مُلْكٌ مِنْ عَطَائِكَ ، وَيَجُوزُ مُلْكْتُ ، عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ النِّسَاءُ قَامَتْ ، وَمَنْ قَالَ النِّسَاءُ قُمْنَ قَالَ الرَّاحُ مُلْكُنْ . « وَالْمَطْيُ » جَمْعُ مَطْيَةٍ ، وَقِيلَ لَهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ مَطَاها يُرْكَبُ أَيْ ظَهْرُهَا ، وَقِيلَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا يُمَطَّى بِهَا السَّيْرُ أَيْ يُمَدُّ ، وَيُقَالُ لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى مَطْيَةٌ^(٣) .

(١) فِي الْأَسَاسِ نَحْمُ نَحْمًا صَوْتٌ ، وَالْحَالُ يَنْحِمُ وَيَسْتَنْحِمُ بِنَحْمِهِ عَلَى حِمْلِهِ ، وَكَذَلِكَ نَازِعُ الدَّلْوِ . ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَ وَقَالَ : وَرَجُلٌ نَحْمًا : بِخَيْلٍ ، إِذَا سَئَلَ نَحْمًا . وَفِي السَّانِ ذَكَرَ الْبَيْتَ ، أَنْشَدَهُ ابْنُ بَرَى عَلَى الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ ، وَأَنْشَدَهُ أَبُو عَمْرٍو عَلَى الرَّوَايَةِ الْأُولَى ، وَقَالَ : فَلَاحُ اسْمُ رَجُلٍ .

(٢) الْبَيْتُ لِلْجَمِيحِ بْنِ الطَّلَاحِ الْأَسَدِيِّ كَمَا جَاءَ فِي السَّانِ مَادَّةُ « رَوْحٌ » وَرَوَايَتُهُ فِيهِ « وَقَدَّتْ رَاحِي » وَهِيَ أَيْضًا رَوَايَةٌ نَسَخْتُ نَ ، ب . وَقَالَ : الرَّاحُ الْإِرْتِيَاخُ ، وَالْخَالُ الْإِخْتِيَالُ وَالْخِيلَاءُ ، فَقَوْلُهُ « وَخَالِي » أَيْ إِخْتِيَالِي .

(٣) قَالَ الصَّوْلِيُّ فِي شَرْحِ الْبَيْتِ : يَعْنِي أَنَّ شَارِحَهَا يَرْتَاخُ وَيَشْتَاقُ أَحْبَابَهُ ، فَكَأَنَّ الْكَؤُوسَ كَانَتْ مَطَايَا لِهَذَا الشَّوْقِ حَمَلَتْهُ حَتَّى أَدَتْهُ . وَالرَّاحُ الْخَمْرُ لِإِرْتِيَاخِ شَارِحِهَا . وَفِي ظ : قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفِيِّ فِي نَسْخَةٍ : « كَانَتْ مَطَايَا الشَّوْقِ فِي الْأَحْشَاءِ » يَعْنِي أَنَّهَا حَمَلَتْهُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ سَاكِنَةً فَحَرَكَتْهُ وَبَعَثَتْهُ إِلَى الشَّائِقِ ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ : « مَا الْمَلَامُ » وَ« مَا بَكَائِي » لَمَّا جَعَلَ الْأَكْفَ مَطَايَا الرَّاحِ جَعَلَ الرَّاحَ مَطَايَا الشَّوْقِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَمَلَتْهُ لَتَرْحُلَهُ عَنِ الْأَحْشَاءِ بِمَعْنَى أَنَّهَا تَنْسِيهِ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفِيِّ فِي آخِرِ كَلَامِهِ : وَقَلْبًا تَقَعُ اسْتِعَارَتُهُ مَسْتَهْجَةً رَدِيئَةً ، وَقَدْ وَقَعَ مِنْهَا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ جُمْلَةٌ .

١٠ عَنِيبَةٌ ذَهَبِيَّةٌ سَبَكَتْ لَهَا ذَهَبَ الْمَعَانِي صَاغَةُ الشُّعْرَاءِ

أى عَنِيبَةٌ الأصل ذَهَبِيَّةٌ اللَّوْن . يقول : هذه الخمرُ مما اعتصرت من العنَب ولونها لون الذهب ، وقد بالغت الشعراء في وصفها حتى اختاروا لها معاني وألفاظاً كأنها سبائك الذهب ، و « سَبَكَتْ » أذابت .

١١ أَكَلَ الزَّمَانُ لَطُولَ مُكْثٍ بَقَائِهَا مَا كَانَ خَامِرَهَا مِنَ الْأَقْدَاءِ^(١)

١٢ صَعُبَتْ وَرَاضَ الْمَرْجُ^(٢) سَيِّئَ خُلُقِهَا

فَتَعَلَّمَتْ مِنْ حُسْنِ خُلُقِ الْمَاءِ

١٢ - [ص] يقول : هي شديدة قوِّية والماء لين ، فإذا مُرِجَتْ به أخذت من لينه^(٣) فسهل شربها .

١٣ خَرَقَاءُ يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ حَبَابُهَا كَتَلْعَبُ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ^(٤)

[ع] « الخرقاء » التي لا تحسن العمل من النساء ، فاستعار هذه الكلمة للراح ، ولعلها ما وصفت بالخرق من قبل الطائي ، ثم ذكر مع ذلك أنها تحسن اللعب بعقول الشرِّب كتلعب الأفعال بالأسماء ، يريد أنها تغيرها من حال إلى حال فرفعها تارة وتنصبها أخرى . [ص] « الحباب » طرائق الماء فيها إذا مُرِجَتْ .

(١) لم يرد هذا البيت في ث ، ل ، د ، ط . وجاء في نسختي ب ، ن من التبريزي وفي م من الصول ، وروايته فيها « بطول مكث بقائها » .

(٢) في ط : قال الصول : ويروى « وراض الماء » ، ولم أجده الرواية فيما بين يدي من نسخ الصول .

(٣) قال ابن المستوفي أخذه من قول أبي فواس :

ألا دارها بالماء حتى تليتها فلن تكرم الصبأ حتى تهينها

(٤) س ، د : « كتلاع » .

١٤ وَضَعِيفَةٌ فَإِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً^(١) قَتَلَتْ ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضَّعْفَاءِ

[ص] يقول : الخمرُ على شدتها ضعيفةٌ ليس لها بطنش* ، فإذا كثرَ منها قَتَلَتْ . وقوله : « كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضَّعْفَاءِ » يعنى أن الضعيفَ يعمل الشيءَ بفرق فهو لا يَسْتَقِي مخافة أن يُعْطَفَ عليه فلا يكون فيه فَضْلٌ للمقاومة^(٢) . و « الفرصة » الخلصة ، وقد ألمَّ بقول الشاعر :

ضَعَائِفٌ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِلَا دَمٍ فَيَا عَجَبًا لِلْقَاتِلَاتِ الضَّعَائِفِ^(٣) !

١٥ جَهْمِيَّةُ الْأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ الْأَشْيَاءِ

[ع] ويروى « جَهْمِيَّةُ الْوَصَافِ^(٤) » وهو أجود من « الأوصاف » لقوله « لَقَّبُوهَا » فأعاد الضمير إلى المذكورين ، فهو أحسن من الرواية الأخرى .

وهذا البيت مبنى على ما قبله ، وهو نحو من قوله : « خَرَقَاءُ يُلْعَبُ بِالْعُقُولِ حَسَبَابُهَا » لأنه أخبر عنها بالشيء وخلافه .

والجهمية طائفة من المتكلمين يُنسَبون إلى رجل يُقال له جَهْمٌ* ، ومن اعتقادهم أن الإنسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً ويلزمونه العقوبة على ما يفعل فتقع بذلك المناقضة .

والطائي من وصاف الخمر ، فكأنه قد ذهبَ مذهبَ جَهْمٍ لأنه يجعل الخمرَ لا فعلَ لها ، ثم يزعم أنها أسكرته وشوقته ، فيختلف خبراه عنها في الحال الواحدة . وقوله « جَوْهَرَ الْأَشْيَاءِ » هذا ضرب من صناعة الشعر يسميه

(١) ل : « قوة » - ظ ، هـ س : « قدرة » - وجاء في ظ أيضاً : ويروى « غفلة » ، وفي د « فرصة الضعفاء » .

(٢) وقال الصولي في شرحه : وقد ألمَّ في هذا بقول جرير في النساء فصيحه في الخمر : يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

(٣) نسب ابن المستوفى هذا البيت إلى عمارة بن عقيل وقال : وإلام أبي تمام ببيت عمارة أوضح من إلامه ببيت جرير .

بعد قوله « ضعائف » البيت يبدأ خرم كبير في نسخة ن وسننبه إلى انتهائه .

(٤) كذا رواها المرزوقي في كتابه ، وكذلك جاءت هذه الرواية في هـ س .

أصحاب النقد التّورية ، وذلك أنه ذكرَ هذه الطائفةَ مِنَ المتكلمين - ومن شأنهم أن يتكلموا في الجوهر والعَرَض - فأوهمَ السامعَ أنه يُريدُ الجوهرَ الذي يستعمله أصحاب الكلام ، وإنما يُريدُ الجوهرَ الذي هو رَوْنَقُ الشئِ وصَفَاؤُهُ ، مِن قولك ظَهَرَ جَوْهَرُ الشئِ ، أى أن الأشياءَ لَيْسَ لها حُسْنٌ إِلَّا بِالْخَمَرِ . وأصحاب المنطِقِ يجعلون الجوهرَ الذي يُسمّيه غيرهم الجِسْمَ ، فالأرض عندهم جَوْهَرٌ ، وكذلك الإنسانُ والفرَسُ . والمتكلمون المُحدَثون يقولون الجوهرُ الجزء الذي لا يَتَجَزَأُ ، وهذا الفن من صِناعةِ النظم مثل قول البحرى :

* بَيْضَاءُ تَمْلُحُ فِي الْقُلُوبِ وَتَعَذُّبُ^(١) *

فظاهر اللفظ يَدُلُّ على أن « تَمْلُحُ » مِنَ الْمُلُوحَةِ وهو ضد « تَعَذُّبُ » ، وإنما أراد « تَمْلُحُ » مِنَ الْمَلَاَحَةِ فَاتَّفَقَتْ لَهُ التَّوْرِيَّةُ . * (المرزوقي) يقول : كان جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ يَمْتَنِعُ مِنْ أَنْ يُسَمَّى اللَّهَ تَعَالَى شَيْئاً ، ويعتقد أن هذه اللفظة إنما تطلق على المُحدَثات : الجواهر والأعراض ، فيقول : رَقَّتْ هذه الخمرة حتى كادت تَخْرُجُ مِنْ أَنْ تَكُونَ عَرَضاً أَوْ جَوْهَرًا ، وَأَنْ تُسَمَّى شَيْئاً ، إِلَّا أَنَّهَا لِفَخَامَةِ شَأْنِهَا لُقِّبَتْ بِجَوْهَرِ الْأَشْيَاءِ . ويحوز أن تكونَ لِعِتْقِهَا وَقَدْ مِهَا سُمِّيتُ أَصْلَ الْأَشْيَاءِ وَأَوَّلَ الْأَشْيَاءِ^(٢) .

(١) ديوان البحرى (ط إستانبول) ٢ : ١٨٨ والبيت فيه :

ووراء تسدية الوشاة ملية بالحسن تملح في القلوب وتعذب

(٢) كثر الكلام والخلاف في هذا البيت وتفسير مذهب جهم بن صفوان . فقال الصولي : مذهب جهم الجحد وقلة التحصيل ، فيقول : من رققتها تكاد لا تتحصل إلا أنهم على حال قد جعلوها جوهراً أى أصلاً للأشياء ، يريد قدمها .

ونقل ابن المستوفى كلاماً للمرزوقي يرد به على الصولي قال : والذي نسبته إلى جهم من الجحد وقلة التحصيل ليس بمذهب جهم ، والحق في هذا هو أن من مذهب جهم بن صفوان أن يمتنع من أن يسمى الله تعالى شيئاً . . . فيقول أبو تمام : هذه الخمر لرققتها لا يسمونها شيئاً لكنهم لعنتها وقدمها جعلوها أصل الأشياء وجوهرها . وهذا هو الذي لا يحوز غيره ، وقد بسطناها بأنم من هذا في تفسير المشكلات .

ونقل ابن المستوفى كلاماً للآمدى في هذا البيت يقول : قد أكثر الناس في تعاطي تفسير « جهمية الوصاف » وأقرب ما سمعت فيه أن جهماً كان يقول إنه ليس شيء على الحقيقة إلا الله تعالى ، إذ كل شيء يطل ويتلاشى غيره ، والأشياء كلها أعراض ألفها وخلقها ، وأظن أن أبا تمام أراد أن الراح لرققتها عرض لا جسم ، وهذا مذهب قريب . وقوله : « قد لقبوها جواهر الأشياء » وهو الذي لم أرهم يصححون له تفسيراً إلا على الظن ، لأنهم ما رأوا أحداً لقبها هذا اللقب ، وقد سمعت من يقول إنما أراد قدّمها فإن من =

١٦ وَكَانَ بَهْجَتَهَا وَبَهْجَةً^(١) كَأْسَهَا نَارٌ وَنُورٌ قِيْدًا بِوَعَاءٍ
[ص] شَبَّهَ الْخَمْرَ بِالنَّارِ وَالزُّجَاجَةِ بِالنُّورِ قَدْ اجْتَمَعَا .

١٧ أَوْ دُرَّةٌ بَيَضَاءُ بِكَرٍّ أَطْبِقَتْ حَبْلًا^(٢) عَلَى يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءِ
(ط) (٣) يُرْوَى « أَطْبِقَتْ » وَ « أَطْبَقَتْ » . وَانْتِصَابُ « حَبْلًا » عَلَى
الْأَوَّلِ عَلَى الْمَصْدَرِ ، وَعَلَى الثَّانِي عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ ، أَيْ وَضَعَتِ الْحَبْلَ عَلَى
يَاقُوتَةِ حَمْرَاءِ .

(ص) شَبَّهَ الْكَأْسَ بِدُرَّةٍ بِكَرٍّ لَمْ تُشَقِّبْ ، وَالْخَمْرَ بِيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءِ ،

== أَسْمَانُهَا الْخَنْدَرِيسُ ، وَالْخَنْدَرِيسُ الْقَدِيمَةُ ، وَلَعُمْرَى إِنَّهَا قَدِيمَةٌ وَلَكِنْ لَيْسَتْ جَوْهَرًا لِلْأَشْيَاءِ وَلَا هِيَ أَوَّلُهَا .
وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ الشُّيُوخَ يَقُولُونَ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ وَسْوَوسِهِ وَتَخْلِيْلِهِ ، لِأَنَّ الشَّمْرَ إِنَّمَا يَسْتَحْسِنُ إِذَا فَهَمَ ،
وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَأْتِي بِهَا مِنْطَاقَةُ لَيْسَتْ عَلَى مَذْهَبِ الْأَوَّلِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ .

وَفِي قَوْلِ الْآمَدِيِّ : « لَأَنَّهُمْ مَا رَأَوْا أَحَدًا لَقَبَهَا هَذَا اللَّقَبَ » يَقُولُ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : مَا أَظُنُّ أَبَا تَمَامٍ أَرَادَ بِهِ
مَوَاضِعَةَ النَّاسِ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ لَهَا وَلَا اصْطِلَاحَهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ أَحْصَاهُ جِهَمَ بْنِ صَفْوَانَ لَقَبُوهَا
بِذَلِكَ ، كَمَا أَخْبَرَ أَنَّ أَوْصَافَهَا جِهْمِيَّةٌ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ وَصَفُوهَا بِذَلِكَ ، وَلِهَذَا قَالُوا إِنَّ رِوَايَةَ « جِهْمِيَّةِ الْوَصَافِ »
أَوَّلُ لِإِعَادَةِ ضَمِيرٍ « لَقَبُوهَا » إِلَيْهِمْ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : وَفِي حَاشِيَةِ الْكِتَابِ الَّذِي نَقَلْتُهُ فِي صَفْرَسَةِ تِسْعِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِحُطِّ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَرْزَنِيِّ : الَّذِي يُوْثِّرُ مِنْ مَذْهَبِ جِهَمٍ فِيمَا سَمِعْتُهُ مِنْ جِجَاعَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا
لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّهُ لَا فِعْلَ لِأَحَدٍ سِوَاهُ ، فَإِنْ كَانَ أَبُو تَمَامٍ ذَهَبَ إِلَى هَذَا فَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنَّ الْخَمْرَ قَدْ جُمِعَتْ
الْحَمَاسُ ، وَأَنَّ الْأَفْعَالَ الْحَسَنَةَ كُلَّهَا مُضَافَةٌ إِلَيْهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُسَلَّمٌ لَهَا عَلَى مَا يَنْهَبُ إِلَيْهِ جِهَمٌ مِنَ التَّسْلِيمِ
وِلِإِضَافَةِ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَخِيرًا قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى بَعْدَ أَنْ أَوْرَدَ كَلَامَ الصُّوْلِ وَالْمَرْزُوقِ وَالْآمَدِيِّ وَأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ وَغَيْرِهِمْ :
فَسَرُّ كُلِّ عَالِمٍ هَذَا الْبَيْتَ عَلَى مَا آدَاهُ رَأْيُهُ إِلَيْهِ ، وَالصَّحِيحُ مَا قَالَ الْآمَدِيُّ مِنْ قَوْلِهِ : « وَهَذَا الْبَيْتُ مِمَّا عَهَدْتُهُمْ
يَفِيضُونَ فِيهِ وَفِي تَفْسِيرِهِ فَلَا يَصِحُّ إِلَّا بِالْحَدْسِ وَالظَّنِّ » .

(١) ظ : وَيُرْوَى « وَزَهْرَةٌ كَأْسُهَا » . وَفِيهَا قَالَ الْآمَدِيُّ : شَبَّهَ الْخَمْرَ بِالنَّارِ وَالزُّجَاجَ بِالنُّورِ ،
وَإِنَّمَا قَالَ : « قِيْدًا بِوَعَاءٍ » لِأَنَّ النَّارَ وَالنُّورَ لَا يَقُومَانِ بِأَنْفُسِهِمَا وَكَأْنُهُمَا جَمْعًا فِي إِثْنَاءِ يَمْسُكُهُمَا ، وَهَذَا
مَعْنَى جِيدٍ ، وَهُوَ مُسَبِّقٌ إِلَيْهِ . وَذَكَرَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى قَوْلَ الْبَحْتَرِيِّ :

يَخْفَى الزُّجَاجَةُ لَوْنُهَا فَكَأْنُهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِثْنَاءٍ
وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ :

فَكَأْنُهَا خَمْرٌ وَلَا قَلْحٌ وَكَأْنُهُ قَلْحٌ وَلَا خَمْرٌ
(٢) قَالَ الصُّوْلِيُّ : وَيُرْوَى « حَمَلًا » .

(٣) لَمْ تَتَقَدَّمِ الْإِشَارَةُ إِلَى هَذَا الرَّمْزِ ، وَالْكَلَامُ فِي ظِّ مَنْسُوبٍ إِلَى الْخَطِيبِ الْتَبْرِيزِيِّ .

فكأنَّها حَمَلٌ في جَوْفِها وهي حُبَلَى بها . (ع) : يُقال دُرَّةٌ بَيَكُر ودُرَّةٌ عَذْرَاءٌ أى لم يُوصَلْ إليها ولم تَخْرُجْ مِنْ صَدَفَتِها ، شَبِّهَتْ بالبَيَكُر العَذْرَاءُ . وقال قومٌ : إنما قِيلَ لها عَذْرَاءٌ لِأَنَّ الصَّدْفَةَ إِذَا فُضِّتْ عَنْها وَجِدَ فيها ماءٌ قَلِيلٌ فَشَبَّهَ ذلك بالدَّمِ الذى يَكُونُ عِنْدَ افْتِضاضِ العَذْرَاءِ . والفائدة في هذا البيت أَنَّهُ جَعَلَهَا عَذْرَاءً وَادَّعَى لها الحَبْلَ وأَعْرَفَ ما يَكُونُ الحَبْلُ في النِّسَاءِ ، وَجَمَعَهُ أَحْبَبَالَ ، قال الشاعر :

ودَاهِيَةٍ جَرَّها جَارِمٌ تُبَيِّلُ الخَوَاضِينَ أَجَالِها
وقد اسْتَعْبَرَ الحَبْلَ لِلنَّاقَةِ وَغَيْرِها .

١٨ وَمَسَافَةٌ كَمَسَافَةِ الْهَجَرِ ارْتَقَى^١ فِي صَدْرِ بَا فِي الْحُبِّ وَالْبُرْحَاءِ
« المسافَةُ » الأرضُ البعيدَةُ ، ويُقالُ إِنَّها مأخوذةٌ مِنْ سَوَفِ الدَّلِيلِ التُّرابِ ، وهذا اشتقاقٌ صَحِيحٌ ، لِأَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَيَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى الْأَرْضَيْنِ إِذْ كَانَ قَدْ مَيَّزَ تُّرَابَها مِنْ قَبْلِ لَطُولِ ما سَلَكَ في المَفَاوِزِ . وقد يَحْسَنُ أَنْ تَكُونَ « المسافَةُ » مِنَ السَّوَافِ وهو الْهَلَاكُ . وقوله « كَمَسَافَةِ الْهَجَرِ » أى أَنَّهُ تَطَوَّلَ مُدَّتُهُ وَإِنْ كَانَتْ قَصِيرَةً . وَبُرْحَاءُ الشُّوقِ وَالْوَجْدِ مُعْظَمُهُ . كَانَتْ هَذِهِ الْمَسَافَةُ لِبُعْدِها لَا يُرْجَى بُلُوغُ آخِرِها . وَشَبَّهَ بُعْدَ طَرِيقِهِ بِبُعْدِ الْمَهْجُورِ لِأَنَّ الْمَهْجُورَ بَعِيدٌ وَإِنْ قَرَبَ حَبِيبُهُ مِنْهُ .

١٩ بَيَدَ لَنْسَلِ الْعِيدِ فِي أَمْلُودِها^٢ ما ارْتَيْدُ مِنْ عِيدٍ وَمِنْ عُدَوَاءِ^٣
« بَيَدٌ » جَمْعُ بَيْدَاءٍ وهي الْأَرْضُ الْمُقْفِرَةُ ، ولم يَقُولُوا قَفَرٌ أَبِيدَ ، أَخَذَ مِنْ بَادٍ يَسِيدُ إِذَا هَلَكَ ، كَأَنَّها تُبَيِّدُ الْحَيَوانَ . وَ« الْعِيدُ » قِيلَ فَحْلٌ تُنْسَبُ إِلَيْهِ

(١) س : « التقت » ورواية الأصل هاشبا .

(٢) س : « الحزن » ورواية الأصل هاشبا .

(٣) س : « لنسل الريح » - ه ب : « لسير العيد » - ظ : ويروى « لسير العيد في إمليجها » .

(٤) س ، ظ ، ه ب : « إمليجها » - د : « في أبرادها » .

(٥) س ، م : « ما شئت » .

(٦) م ، د ، ظ ، ه ب : « من هيد » .

(٧) ظ : ويروى « ومن عرواء » وهي الرعدة - د : « ومن علواء » .

الإبل ، وإليه ذهب أبو تمام ، وأصحابُ النسب يَزْعُمُونَ أَنَّ العِيدَ قَبِيلَةٌ مِنْ مِهْرَةَ بْنِ حَيْدَانَ تُنْسَبُ إِلَيْهِمُ الْإِبِلُ النِّجَائِبُ . وقوله : « لِنَسْلِ العِيدِ » يُرَادُ بِهِ النِّسْلُ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَى العِيدِ لِأَنَّ الإِضَافَةَ تَتَّسِعُ ، فَأَمَّا قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ :

* مِنْ العِيدِي قَدَّ ضَمَرَتْ كَلَالَا ^(١) *

فَيُرِيدُ مِنَ النَّتَاجِ العِيدِيَّ أَوْ مِنَ الفَحْلِ العِيدِيَّ . « فِي أَمْلُودِهَا » : أَيْ فِي الْأَمْلَسِ مِنْهَا . « مَا ارْتِيدَ » مَا افْتَعَلَ ، مِنْ رَادَّ الْأَرْضَ يَرُودُهَا إِذَا نَظَرَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَرْعَى .

[ع] وقوله « مِنْ عِيدِ » العِيدُ هَا هُنَا يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عِيدِ الْأَيَّامِ : أَيْ أَنَّ هَذِهِ الْمَفَازَةَ تُؤَدِّي هَذِهِ الْإِبِلَ وَرُكْبَانَهَا إِلَى خَيْرٍ يَفْرَحُونَ بِهِ وَيَحْسِنُ فِيهِ حَالُهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِـ « العِيدِ » هَا هُنَا مَا يَعْتَادُهَا مِنَ الْأَنْضَاءِ ؛ وَهَمُ الرُّكْبَانُ ، لِأَنَّهُمْ يُسَمُّونَ مَا يَعْتَادُ الْإِنْسَانُ عِيدًا * ، وَعَلَى ذَلِكَ حَمَلُوا قَوْلَ تَابِطُ شَرًّا :

* يَا عِيدُ مَالِكٍ مِنْ شَوْقٍ وَإِبْرَاقٍ ^(٢) *

أَيْ يَا مُعْتَادُ . وَيَجُوزُ أَنْ تُسَمَّى الْمَطْيِيَّةُ الرَّدِيَّةُ عِيدًا لِأَنَّ الْوَحْشَ تَعْتَادُهَا وَ « الْعُدْوَاءَ » الْبُعْدُ ^(٣) .

٢٠ مَزَقَتْ ثُوبَ عُكُوبِهَا بِرُكُوبِهَا وَالنَّارُ تَنْبَعُ ^(٤) مِنْ حَصَى الْمَعْزَاءِ

[ع] « الْعُكُوبُ » يُرَوَى بِضَمِّ الْعَيْنِ وَفَتْحِهَا ، فَإِذَا ضُمَّتْ فَكَأَنَّهُ

(١) البيت : على خوصاء تذرف مآقيها من العيدى قد لقيت كلالا (ديوان ذى الرمة ص ٤٤٠)

(٢) البيت : يا عيد مالك من شوق وإبراق ومر طيف على الأهوال طراق

(المفضليات ١ : ٢٥)

(٣) قال ابن المستوفى : وحمله على الاشتقاق الثانى أولى لصحة المعنى به وفساد المعنى بالأول معه . وقال : قال الأصمى : « العدواء » على وزن الغلواء المكان الذى لا يطمئن من قعد عليه ، وهذا مع رواية « هيد » أولى . وقوله « ما ارتيد » و « ما شئت » ونحوها يقال فى الأمور السارة لا الشاقة ، نحو قوله تعالى « وفيها ما تشبى الأنفس » .

(٤) ظ : ويروى « والنار تلتفح » .

في الأصل مَصْدَرُ عَكَبَ ، وإذا فُتِحَتْ فكأنَّه وَصَفُ سُمِّيَ به الغُبَارُ ،
عَكَبَ فهو عَكُوبٌ مثل ضَرَبَ فهو ضَرُوبٌ ، ومن هذا اللفظ اشتقاقُ
عُكَابَةِ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيٍّ بنِ بَكْرِ بنِ واثِلٍ ، وعَكَبَ حَتَّى من العَرَبِ في
بنِي تَغْلِبَ ، وقد سَمَّوْا دُخَانَ النَّارِ عَكُوبًا تَشْبِيهًا بِالْغُبَارِ ، والأشبهُ
بمذهبِ الطائي ضَمُّ العينِ في «عُكُوبٍ» ليكونَ مشاكلاً لضمِّمَةِ الرَّاءِ في
«رُكُوبٍ» . و «المَعْرَاءُ» أرضٌ غليظةٌ فيها حَصَى ، والمكانُ أَمْعَزُ
والجَمْعُ أَمَاعِزُ ، جَمَعُوهُ جَمَعَ الْأَسْمَاءِ لأنَّ الوصفَ في هذا الموضعِ يَنْبَغِي
أَنْ يُجْمَعَ عَلَى فُعْلٍ ، وقد قالوا مُعْزٍ في جمعِ مَعْرَاءٍ وهو قليلٌ . وقوله : «وَالنَّارُ
تَسْبَعُ مِنْ حَصَى الْمَعْرَاءِ» نحوُ مَنْ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ (١) :

يَرْحُنَ بِنَا وَالْمَرْوُ خَامٍ كَأَنَّمَا يَطَّانَ بِنَا مِنْهُ عَلَى عَجَلٍ جَمْرًا*

٢١ وإلى ابنِ حَسَّانَ اعْتَدْتُ (٢) بِي هِمَّةٌ

وَقَفْتُ عَلَيْهِ خُلَّتِي (٣) وَإِخَائِي

٢٢ لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ غَذَوْتَ مَوَدَّتِي (٤)

بِالْبِشْرِ وَاسْتَحْسَنْتَ وَجْهَ ثَنَائِي

٢٢ - [ص] صَيَّرَ الْبِشْرَ غِذَاءً لِلْمَوَدَّةِ لِأَنَّهُ يُرَبِّيهَا * .

٢٣ أَنْبَطْتُ فِي (٥) قَلْبِي لِوَأْيِكَ مَشْرَعًا

ظَلَّتْ تَحُومُ عَلَيْهِ طَيْرُ رَجَائِي

يُقَالُ أَنْبَطَ الْخَافِرُ الْمَاءَ إِذَا اسْتَخْرَجَهُ ، وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ إِنَّمَا سُمِّيَ
النَّبِيطُ نَبِيطًا لِأَنَّهُمْ يَسْتَنْبِطُونَ أَيْ يَسْتَخْرِجُونَ الْمَاءَ بِالْعَمَلِ فِي الْأَرْضِ ،

(١) ديوان ذِي الرِّمَّةِ ص ١٧٣ ، وروايته فيه : « وَتَهْجِرُنَا وَالْمَرْوَحَامُ . . . » .

(٢) هـ س : وَيُرَوَّى : « ارْتَقَتْ بِي هِمَّةٌ » وَفِي ظ وَيُرَوَّى : « اعْتَلَّتْ » .

(٣) ب : « مَوَدَّتِي » - ظ : وَفِي النُّسخَةِ الْمُجْمِعةِ « إِخْوَتِي وَصَفَائِي » وَهِيَ فِي م .

(٤) هـ س : « مَحَبَّتِي » . (٥) فِي ظ : وَيُرَوَّى « مِنْ قَلْبِي » .

وقد يجوز أن يُسمَّى الحرثُ إنبساطاً واستنباطاً لأنه يستخرج ما عند الأرض .
 و« الوأى » الوعد ، وقيل هو ضمان العدة . و« المشرع » الموضع الذى يُشرع
 فيه للورود ، والشروع أول الشرَب ، شرع فى الماء إذا ابتدأ فى الجرْع .
 يقول : لمّا رأيتك قد غَدَوْتَ مودى بيشرك ، واستحسنْت شعرى وثنائى
 عليك ، استخرجتُ فى قلبى لعدتك وضمانك مَشْرَعاً من الرجاءِ ظَلَمْتُ
 تحومُ عليه طيرهُ تُريد أن تُردّه .

٢٤ فتَوَيْتُ جَاراً لِلْحَضِيضِ وَهَمَّتِى

قَدْ طُوِّقَتْ ^(١) بِكَوَاكِبِ ^(٢) الْجَوَازِ

« الحَضِيضُ » مُنْقَطِعُ الْجبلِ فى أسفلهِ . يقول : أنا فى الأرضِ وهَمَّتِى فى
 سَمَوِها كأنَّها مُعَلَّقَةٌ بِالسَّما . وقيل معناه : [ص] أنا بالحَضِيضِ لِسُوءِ حَالِى
 ولوَعَدَهُ ما قد عَلِمْتُ هَمَّتِى * وكانَ البيتُ ، الذى بعده يَدُلُّ على هذا
 وهو قولُهُ :

٢٥ إِيهِ فَدَتِكَ مَغَارِسِي وَمَنَابِتِي اِطْرَحْ غَنَاءَكَ فى بُحُورِ عَنَائِي ^(٣)

« إِيهِ » أى زِدْ وهات ^(٤) يقول : زِدْنِى على حُسْنِ تَقْرِيبِكَ وإِكْرَامِكَ

(١) ل : « قد طُوِّقَتْ » - ط : « مقرونة » .

(٢) ب : « بمناكب » .

(٣) م ، ل : « نحور » - قال الصولى : والذى قرأته على أبى مالك « اطرَحْ غَناءَكَ فى بُحُورِ
 عَنَائِي » وهو جيد ولذلك وجه قوى . وقال : ويروى « اَقْدَفْ غَناءَكَ فى نُحُورِ عَنَائِي » وهذه الرواية الثانية
 هى رواية ابن المستوفى ، وقال فى شرحها : أى اطرَحْ جودَكَ فى نُحُورِ عَدُوِّى حتى يغلِبهُ فأستريح من الحاجة
 والعدم .

(٤) قال الصولى : إِيهِ أى زدنا من الحديث وهات ، فقليل كان يجب أن يقول إِيهِ منونة وقد عيب
 على ذى الرمة قوله :

وقفنا فقلنا إِيهِ عن أم سالم وما بال تكليم الديار البلاغم

وقال من يحتج له : أراد إِيهِ فلقام الإعراب مقام التنوين : ثم قال الصولى : وويها للزجر ، وإيها
 كف عنّا ، وواها إذا تعجبت منه ، وهذا كله عن أبى العباس ثعلب .

بالغناء والاستغناء عن سواك . وجعل لعتائه وتعبه بحوراً تعظيماً لها
وتأكيداً لالتزام حرمتها .

٢٦ يَسِّرْ لِقَوْلِكَ مَهْرَ فِعْلِكَ إِنَّهُ يَنْوِي افْتِضَاضَ صَنِيعَةِ عَذْرَاءٍ

[ص] يقول : أتبع القول بفعلك كما تُتَّبَعُ الخطبةُ بمهر ، إنه يتوى
أن يبتدىء عندى صنيعاً عذراء لم يصنعها أحد قبلك إلى * .
وكان قد عمل هذه القصيدة في يحيى بن ثابت ، وكان من أهل الكلام
والشعر ، وفيها * :

٢٧ وَإِلَى مُحَمَّدٍ ابْتَعَثْتُ قَصَائِدِي وَرَفَعْتُ لِلْمُسْتَنْشِدِينَ لَوَائِي^(١)
هذا البيت يقع بعد قوله « يَسِّرْ لِقَوْلِكَ مَهْرَ فِعْلِكَ » في بعض النسخ .

(١) يقع هذا البيت في بعض الأصول بعد البيت (٢٩) يا غاية . . . وإنما قدمناه هنا لأنه هكذا
في بعض الأصول ، ولأن القصيدة استقرت في محمد بن حسان فكان هذا البيت آخر أبياتها ، فأما الأبيات
الثلاثة الأخيرة ، (٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) فقد أثبتناها لورودها في النسخ على أنها كانت ضمن القصيدة
حين كانت في يحيى بن ثابت .

وفي أصل س ، دزيادات وتقديم وتأخير لبعض الأبيات نثبها هنا كما جاءت في س :

يا غاية الأدياء والظرفاء بل	يا سيد الشعراء والخطباء
عرفت بك الآداب مجملتها	عرفت قریش الله بالبطحاء
ساويتهم أدباً وجودك شاهد	بل حالف أن لسم بسواء
بخلائق أسكنتها خلد النسي	فجهدت منها جهد كل بلاء
لم يبق ذو غدر لريب ملعة	إلا وقد ألجمته بوفاء
وإذا تشاجرت المخلوب فريتها	رأياً يفيل مضارب الأعداء
رأياً لو استقيت ماء نصيحة	لجعلته رأياً من الآراء
لما رأيته قد غذوت مودتي	بالبشر واستحسن وجه ثنائي
أنبتت في قلبي لواطك مشرعاً	ظلت تعوم عليه طير رجائي
فتويت جاراً للحفيظ وهمتي	قد طوقت بكواكب الجوزاء
إليه فدنك مغاربي ومنابتي	اطرح غناك في بحور عنائي
يسر لقولك مهر فعلك إنه	ينوي افتضاض صنيعه عذراء

والبيت « عرفت بك الآداب » ، والأبيات الثلاثة التالية له في ظ .

٢٨ وَإِذَا تَشَاجَرَتِ الْخُطُوبُ قَرَيْتَهَا جَدَلًا يَفْلُ^(١) مَضَارِبَ الْأَعْدَاءِ

« تشاجرت الخطوب » أى لقيت بعضها بعضاً وتشابكت ، ومن ذلك تشاجرت الرماح إذا دخل بعضها فى بعض عند الطعان ، ومنه اشتقاق الشجر لا شباك الأغصان ، ثم كثر ذلك حتى قيل شجره بالرمح إذا طعنته به ، و « قريتها جدلاً » من قرى الضيف ، وهذا على منهاج قولهم : قريت الهم الرحيل ، أى لماً ضافى الهم جعلت الرحلة له قرى . ومن روى « قريتها » جعلها من القرى وهو القطع .

٢٩ يَا غَايَةَ الْأَدْبَاءِ وَالظُّرَفَاءِ بَلْ يَا سَيِّدَ الشُّعْرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ^(٢)

أخذ « الأديب » من الأدب وهو العجب ، وقيل الأدب الداهية ، فكأنه صار يعجب منه ، أو صار يتقشعر منه ، كما يقال رجل داهية إذا وُصف بالعقل والمكر . ويجوز أن يكون اشتقاقه من الأدب وهو الدعاء إلى الطعام ، كأنه أمر أجمع عليه وعلى استحسانه . و « الظرفاء » جمع ظريف وهو المبالغ فى الأشياء ، ويسمى الفصيح اللسان ظريفاً ، وحكى النحويون قوم ظرؤف فى جمع ظريف ، وهو من شواذ الجمع ، وقيل بل هو اسم له ، ولما جاء فعيل مجموعاً على فعول ، وقد حكى فى عسيب النخلة عسوب ، وإتي السيل أتي ، وروى السكرى بيت أبى ذؤيب :

وإن غلاماً نبيل فى عهد كاهل
لظرف كنصل المشرقى صريح
— والرواية المشهورة : « لظرف »^(٣) ، وإن صحّت الرواية التى ذكر فقولهم ظرؤف فى الجمع إنما هو جمع ظرف ، كما تقول جمّل قمر

(١) ب : « يكف » .

(٢) د : « والحكام » .

(٣) كما فى ديوان الهذليين : ١ : ١١٤ ، ١١٥ .

٣٠ يَحْيَى بْنُ ثَابِتٍ الَّذِي سَنَّ النَّدَى وَحَوَى الْمَكَارِمَ مِنْ حَيًّا^(١) وَحَيَاءٌ
ثُمَّ تَرَكَ هَذَا كُلَّهُ ، وَاسْتَقَرَّتِ الْقَصِيدَةُ عَلَى مَا كَتَبَ فِي مُحَمَّدَ بْنِ
حَسَّانَ .

(١) قال الصولي : حياء الوجه وحياء الجود .

قافية الباء

وقال يمدح المعتصم بالله أبا إسحقَ مُحَمَّدَ بنَ هَارُونَ الرَّشِيدِ (ويذكر حريقَ عَمَوْرِيَّةَ وفتحها) ^(١):

١ — السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

الأول من البسيط والقافية متراكب .
كان المنسجمون قد حكموا أن المعتصم لا يفتح عَمَوْرِيَّةَ ، وراسلته الرومُ بأننا نجدُ في كتبنا أنه لا تفتح مدينتنا إلا في وقت إدراك التين والعناب ، وبيننا وبين ذلك الوقت شهرٌ يمنعك من المقام بها البردُ والثلج ، فأبى أن ينصرف وأكب عليها ففتحها فأبطل ما قالوا . [ع] وقوله : « أصدقُ أنباء » كلام قد دخله ترجيح ، وهو من مواطن التمييز ، وإذا كان المميز ليس من نفس المميز جاز أن يقع واحداً وجمعاً مثل قوله : « أصدقُ أنباء » ولو كان في غير الشعر لجاز أن يقال نبأً ، وكذلك أخوك أخدمُ الناس عبداً ، ألا ترى أن العبدَ غيرُ الأخ ؟ فإن قلت أخوك أعظمُ الناس رأساً امتنع أن يكون الجمعُ في موضع المميز الواحد ^(٢) . وقوله : « في حدِّه الحدُّ » الحدُّ الأول للسيف ، والحدُّ الثاني الذي يفصل بين الشينين ، كالدار والدار ، والقراح والقراح . أي أن السيف إذا استعمل فقد برى الأمرُ من الهزل * .

٢ — بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي

مُتَوْنِهِنَّ جِلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ

« الصحيفة » الكتاب ، اسمٌ شائع ، فيقال للكتاب الذي يكتبُ في الحاجة

(١) ما بين القوسين زيادة من أصول الصولى ومن س .

وقال أبو بكر الصولى : وقرأتها على أبي مالك قال قرأتها على أبي تمام .

(٢) قال ابن المستوفى في ذلك : إنما امتنع لأنه ليس له إلا رأس واحد .

صحيفة ، وللدقتر صحيفة ، وكذلك المصحف . وإذا قلت صحائف فالهمز واجب ، ويجوز أن تجعل الهمة بين بين ، والذي دل عليه كلامُ سيويه أنه لا يجوز أن تجعلها ياءً خالصة ، وقد حكى غير ذلك^(١) أبو عمر الجرمي ، فزعم أنهم يقولون عجائز بياء خالصة ، وكذلك الحكم في كل ما كان على فعائل . و « الصفائح » جمع صفيحة وهي الحديد العريضة ، ويُقال للسيف العريض كذلك . والذين يتكلمون في نقد الشعر يسمون بجيء الصحائف مع الصفائح تجنيس القلب لأن الهجاء متساو ، وإنما قدّمت الفاء « والجلاء » مملود : كَشَفُ الأمر ورفع الغطاء عنه حتى يظهر الكامن المستتر فيه ، و « الشك » و « الريب » واحد ، فكرر لاختلاف اللفظين . والمعنى : أن السيوف انفصل بين الحق والباطل حتى تبيّن . ولم يقل جلاء الحق والريب لأن الحق معروف واضح جلي ، وإنما يُبيّن ما يشك فيه [ق] . ويحتمل أن يكون « في متونهن » خبر المبتدأ و « لاسود » معطوف عليه ، ويحتمل أن يكون « لاسود » هو الخبر ، ويكون المعنى : أن السيوف غير الكتب ، كما تقول زيدٌ غير عمرو ، أى شأنه غير شأنه ، ثم بيّن فقال : في متونهن كذا* (٢) .

٣ والعلم في شهب الأرماع لامعة

بين الخميسين لافي السبعة الشهب

يرد على المنجمين ما حكموا به لأن الظفر كان قبل حكمهم ، ويعنى بـ « شهب الأرماع » أسنتها ، وقد استعملت الشعراء ذلك قديماً ، قال الأفوه :

جَحْفَلْ أَوْزَقُ فِيهِ هَبْوَةٌ وَنُجُومٌ تَسْلُطِي وَشَرَارُ^(٣)

ويعنى بـ « السبعة الشهب » الطوالع التي أرفعها زحل وأدناها القمر وبعضها

(١) في الأصول « نحو ذلك » والسياق يقتضى ما أثبتناه (انظر سيويه ٢ : ٣٧٨) .

(٢) ذكر ابن المستوفى في كتابه زيادة التبريزي يرد بها على كلام الموزوق ، ولم أجد في النسخ التي بين يدي من شرحه . قال أبو زكريا : القول هو الأول ، وإذا جعل بيض الصفائح غير سود الصفائح على ما ادعاه جاز أن يكون قوله « في متونهن » مع ما بعده حالا من الصفائح ، ونصب « بيض » و « سود » على ما ذكره أولى من رفعهما .

(٣) ديوان الأفوه الأودى ص ١٣ - والأوراق الذي لونه بين السواد والنبرة .

الشمس^(١) [ع]. ولا يُعرف أن الشمس جعلت شهاباً في كلام قديم، ولكنها لما جاءت مع الستة التي تسمى كلها شهاباً جعلت مثلهن ، وكذلك القمر لتغلبة ما كثر على ما قل ، وهذا أسهل من قولهم القمران يُريدون الشمس والقمر ، ويُشبهه في بعض الوجوه ما جاء في التنزيل من قوله تعالى : « فمنهم من يمشي على بطنه » لما خلط الإنس بغيرهم جاز أن يُوقع « من » على ما لا يعقل . وقوله : « لامة » نصّب على الحال من شهب الأرماع ، وهي الرواية الصحيحة . ومنهم من يقول : « لامة » فيُضيف « لامة » إلى الماء وذلك ردى ، والوجه الأول هو الصواب^(٢) . و « الحميسان » الجيشان ، ويُقال إن الجيش سُمي خميساً في زمان كانت الملوك إذا غزت أخذت خميس الغنمة لأنفسها ، فالخميس إذاً في معنى الخموس ، من قولهم خمست القوم إذا أخذت خمس أموالهم .

٤ آين الرواية أم آين النجوم وما صاغوه من زُخرف فيها ومن كذب

أصل « الزُخرف » ما يُعجبك من متاع الدنيا ، وربما خص به الذهب ، ويقال للقول المُحسن المكذوب زُخرف لأنه حُسن ليغر .

٥ تخرصاً وأحاديثاً ملفقةً ليست بنبع إذا عُدت ولا غرب

« التخرص » التكدب وافتراء القول ، « وملفقة » أى ضم بعضها إلى بعض وليست من شكل واحد . و « النبع » شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال وتتخذ منه القسي ، وإذا وُصف الرجل بالجلادة والصبر شبهه بالنبع أى أنه صلب لا يقدر على كسره ، ومن أمثالهم « النبع يقرع بعضه بعضاً »^(٤)

(١) في الصول : يريد بالسبعة الشهب زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر .

(٢) ذكر الصول هذا الوجه في شرحه وقال يعنى العلم ، يقول صحيح العلم في الحرب لا ما استدلت عليه بالنجوم ، ثم ذكر الوجه الأول وقال : كان العلم في شهب الأرماع في حال لمعائها .

(٣) م ، د : بل .

(٤) مجمع الأمثال ٢ : ١٩٧ .

يُضْرَبُ مِثْلًا لِلْقَوْمِ الْأَشْدَّاءِ يُبْلَوْنَ بِمِثْلِهِمْ فِي الشَّدَّةِ . و « الْغَرْبُ » شَجَرٌ
يَنْبِتُ عَلَى الْأَنْهَارِ لَيْسَتْ لَهُ قُوَّةٌ .

[ع] يقول : هذه الأحاديثُ لَيْسَتْ بِقُوَّةٍ ولا ضَعِيفَةٍ ، أَى هِىَ غَيْرُ
شَيْءٍ ، كَمَا يُقَالُ مَا هُوَ بِخَلٍّ ولا خَمَرٍ ، أَى هُوَ كَالْمَعْدُومِ لَيْسَ عِنْدَهُ خَيْرٌ
ولا شَرٌّ (١) .

٦ عَجَائِبُ أَرْعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفِلَةً ٣ عَذْنُ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ

[ع] أَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ « زَعَمَ » مع « أَنْ » كَمَا قَالَ الْحَارِثُ الْيَشْكُرِيُّ :
زَعَمُوا أَنْ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعِيَّ رَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ (٤)
وإذا حذفوا « أَنْ » نصبوا ما بعد « زَعَمَ » و « زَعَمْتُ » وما كان منهما ،
يُقَالُ زَعَمْتُ أَخَاكَ أَمِيرًا ، وَزَعَمَ الْقَوْمُ الْعِرَاقَ مُخْصِبًا ، وَيَدُلُّكَ عَلَى وَقْعِ
المفعول بعدها قول أَى ذُوَيْب :

فَإِنْ تَزَعُمْنِي كُنْتُ أَجْهَلُ فَيْكُمْ فَإِنِ شَرَيْتُ الْحِلْمَ بَعْدَكَ بِالْجَهْلِ (٥)
وَيَقْبُحُ : زَعَمْتُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ ، إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ « زَعَمْتُ » فِي مَعْنَى قُلْتُ ،
وَذَلِكَ قَلِيلٌ فِي الْكَلَامِ الْمَشْمُوعِ . فَأَمَّا « الْأَيَّامَ » فِي بَيْتِ الطَّائِي فَيَجُوزُ رَفْعُهَا
عَلَى أَنْ يُلْغَى « زَعَمُوا » كَأَنَّهُ قَالَ : عَجَائِبُ الْأَيَّامِ مُجْفِلَةٌ عَنْهَا زَعَمُوا ،
وَيُجْعَلُ اعْتِمَادُ الْكَلَامِ عَلَى « عَجَائِبِ » ، وَيُحْمَلُ اللَّفْظُ عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ،
وَهَذَا كَقَوْلِكَ : الشَّامُ كَثِيرُ الْخَيْرِ زَعَمُوا ، وَأَبُوكَ وَاسِعُ الْعَطَاءِ بُلْغَى ، تَرِيدُ بُلْغَى
ذَلِكَ ، فَتَأْتِي بِالْكَلامِ الثَّانِي بَعْدَ الْأَوَّلِ . وَيُرْوَى « مُجْفِلَةٌ » وَ « مُجْلِيَّةٌ »
وَالْأَصْلَانِ مُخْتَلِفَانِ وَلَكِنْ الْمَعْنَى يَتَقَارَبَانِ ، تَقُولُ أَجْفَلْتُ الْحُمْرُ وَالنَّعَامُ إِذَا

(١) قَالَ الْمَرْزُوقُ : وَقَدْ اسْتَعْمَلَ أَبُو تَمَامٍ هَذَا الْمِثْلَ فِي بَيْتٍ آخَرَ مَعْنَاهُ الَّذِي يَقْصِدُ بِهِ إِلَيْهِ أَبِينِ

وَهُوَ :

هِيَاهُ أَبْدَى الْيَقِينِ صَفْحَتَهُ وَبَانَ نَبِيحُ الْفَخَارِ مِنْ غَرَبِهِ

(٢) س : « غَرَابِ » وَرَوَايَةُ الْأَصْلِ هَامِشُهَا ه ب ، ه ش : « عَجَائِبِ » .

(٣) فِي س بَيْنَ السُّطُورِ رَوَايَةُ أُخْرَى هِيَ « مَكْشَفَةٌ » .

(٤) الْبَيْتُ فِي مَعْلَقَتِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي مَطْلَعُهَا :

أَذْنَتُنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِي يَمْلُ مِنْهُ الشَّوَاءُ

(٥) دِيْوَانُ الْهَذْلِيِّينَ ١ : ٣٦ .

أَحَسَّتْ بِأَمْرِ يَدْعُهَا فَهَرَبَتْ مِنْهُ بِعَجَلَةٍ وَرُعْبٍ ، وَيُقَالُ أَجَلَى الْقَوْمِ عَنْ الْقَتِيلِ إِذَا انْكَشَفُوا عَنْهُ ، وَالنَّعَامُ إِذَا أَجْفَلَ فَقَدْ انْكَشَفَ الْمَوْضِعُ الَّذِي كَانَ فِيهِ . وَقَوْلُهُ : « صَفَرَ الْأَصْفَارَ » عَظَّمَ شَأْنَهُ لِأَنَّهُ يُنْتَظَرُ فِيهِ أَمْرٌ شَاقٌّ ، كَمَا يُقَالُ فَلَانٌ فَارِسُ الْفَرَسَانِ ، أَيْ أَشَدُّهُمْ بَأْسًا ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَهِنْدُ الْهُنُودِ . أَيْ أَخْبَرُوا أَنَّ أُمُورًا تَظْهَرُ فِي صَفَرٍ أَوْ رَجَبٍ ، وَأَنَّ الْأَيَّامَ تُسْرِعُ فِي إِظْهَارِهَا .

٧ وَخَوْفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ (١)

إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ^(٢) ذُو الذَّنَبِ « دَهْيَاءَ » أَيْ دَاهِيَةً ، يُقَالُ دَاهِيَةٌ دَهْيَاءٌ وَدَهْوَاءٌ . وَكَانُوا قَدْ حَكَمُوا أَنَّ طُلُوعَ ذَلِكَ الْكَوْكَبِ الْمُوصُوفِ يَكُونُ فِتْنَةً عَظِيمَةً وَتَغْيِيرٌ أَمْرٍ فِي الْوِلَايَاتِ ، فَأَنْكَرَ الطَّائِفُ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِمْ .

٨ وَصَبِرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً (٣)

مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ

(ع) الْوَجْهَ أَنَّ يُرْوَى « مُرْتَبَةً » بِكَسْرِ التَّاءِ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ « مَا كَانَ مُنْقَلِبًا » فِي مَوْضِعٍ بَدَلَ مِنْ مُرْتَبَةٍ ، أَيْ صَبِرُوا التَّادِيرَ لِلنَّجُومِ . وَيَعْنِي : « الْأَبْرُجَ » بِرُوحِ السَّمَاءِ الَّتِي أَوَّلُهَا الْحَمَلُ وَآخِرُهَا الْحُوتُ . وَالْمُنْجَمُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ ، أَرْبَعَةٌ مُنْقَلِبَةٌ ، وَهِيَ : الْحَمَلُ وَالسَّرَّطَانُ وَالْمِيزَانُ وَالْجَدْيُ ، وَأَرْبَعَةٌ ثَابِتَةٌ ، وَهِيَ : الثَّوْرُ وَالْأَسَدُ وَالْعَقْرَبُ وَالذَّلْوُ ، وَأَرْبَعَةٌ ذَوَاتُ جِسَدَيْنِ ، وَهِيَ : الْجُوزَاءُ وَالشُّبْلَانَةُ وَالْقَمُوسُ وَالْحُوتُ . فَإِنْ رُويَتْ « مُرْتَبَةً » بِفَتْحِ التَّاءِ فَهُوَ وَجْهٌ ضَعِيفٌ . وَلَا يَحْسُنُ إِذَا كُسِرَتِ التَّاءُ أَنْ يُجْعَلَ قَوْلُهُ « مَا كَانَ » فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى الْمَفْعُولِ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ أَشْبَهُ

(١) س : « دَهْيَاءَ دَاهِيَةً » وَهَامِشُهَا رَايَةَ الْأَصْلِ .

(٢) فِي ظِ رِوَايَةٍ « الدَّرَى » مَنْسُوبَةٌ لِأَبِي الْعَلَاءِ .

(٣) هـ س : « مَدْبَرَةٌ » - وَفِي ظِ رِوَايَا الْخَارَزْنَجِيِّ « مُرْتَبَةً » ، بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَقَالَ : رَتَّبُوهَا فَقَالُوا إِذَا قَابَلَ نَجْمٌ كَذَا نَجْمٌ كَذَا فِي بَرَجٍ كَذَا وَقَعَ أَمْرٌ حَادِثٌ .

بهذا الموضع ، إذ كان المنجمون يجعلون في البروج مُنْقَلِبًا وثابتًا^(١) . [ص] أى كانوا يحكمون في أخبارهم بهذه البروج إذا ورد عليهم خبر في وقت الطالع فيه بُرَج ثابت حَقَّقُوهُ ، وإن كان الطالع بُرْجًا مُنْقَلِبًا لم يحَقَّقُوهُ .

٩ يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطْبٍ

كل مستدير فلَك حتى يُقالَ للقطعة المستديرة من الأرض فلَك أيضًا ، والفلَك مدارُ النجوم الذى يَضُمُّهَا ، والقُطْب كل ما ثَبَتَ فندارَ عليه شيء ، وفي السماء قُطْبُ الجنوب وقُطْبُ الشمال . يقول : يحكمون عليها بأحكام مختلفة وهى لا تعرف شيئاً من ذلك ، وما يحكمون به لم يَدُرْ في فلَكٍ منها ولا قُطْب .

١٠ لَوْ بَيَّنْتَ قَطْ أَمْرًا قَبْلَ مَوْعِيهِ

لَمْ تُخَفِ^(٢) مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ

[ص] يقول : لو بانَ بهذه البروج أمرٌ قبلَ مَوْعِيهِ لبانَ أمرُ هذا الفتح الذى لم يكن فتحاً أَجَلًا منه .

١١ فَتَحَ الْفُتُوحَ تَعَالَى^(٣) أَنْ يُحِيطَ بِهِ

نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ

« أن يحيط به » أى من أن يحيط به . [ع] والأبْيَنُ في غرض الشاعر أن

(١) أورد ابن المستوفى كلام أبي العلاء هذا ورد عليه بقوله : وفي إبدال أبي العلاء « ما كان منقلباً » من قوله « مرتبة » بعد « يبين لمتأمله » ، وإذا روى « مرتبة » بكسر التاء كان موضع « ما » نصباً على المفعول به ، أى جعلوها ترتب هذين الجنتين منها كأنها ترتب أنفسها في المنازل ، ويجوز أن يكون « ما » بدلاً من الأبرج العليا ، ويجوز أن يكون صفة لها .

(٢) م ، س : « لم يخف » .

(٣) م ، ل ، د ، المل ، وهى أيضاً في هـ س ، هـ ب ، هـ ظ . وقال ابن المستوفى : وموضع « تعال » حال ، وأنا أكره رواية « تعال » وما بعدها لأن مثله يقع في التثنية على الله عز وجل .

يكونَ «فتح الفتوح» منصوباً مُبَيَّنّاً لقوله ما حلَّ بالأوثان ، ولا يمتنع رفعه على كلام مُسْتَأَنَف .

١٢ — فَتَحُ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا^(١) الْقُشْبِ

و «تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ» أى بالغَيْثِ والرحمة ، وقيل لأنه من معالم الإسلام وليس كل الفتوح كذلك . و «تبرز الأرض» مشل لتعظيم الفتح ومُسَرَّةِ أهل الإسلام . و «القُشْبُ» جمع قَشِيب وهو الحديد ، وقد يكون الخلق في غير هذا الموضع .

١٣ يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةَ انْصَرَفَتْ

مِنْكَ^(٢) الْمُنَى حُفْلًا مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ

[ع] أصل النداء أن يكون لمن تُخاطبه ويُراجع القول ، ثم اتسعوا فيه حتى خاطبوا الديارَ وغيرَها من الجوامد ، فكأنه خاطب يومَ وقعةِ عموريةَ لجلاله عنده . و «عَمُورِيَّة» اسم أعجمي ، واستعمله في هذا البيت بتشديد الميم والياء ، وقد روى عنه في قصيدة أخرى بتخفيف الحرفين ، والشعراءُ يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية أكثرَ من اجترائهم على تغيير الأسماء العربية^(٣) . و «حُفْلٌ» جمعُ حافل وهي التي حفَلْ ضَرَعُهَا باللبن ، يُقال ناقةٌ حافل وشاةٌ حافل ، وهو ها هنا مُسْتَعَارٌ لِلْمُنَى . و «المَعْسُولَةُ» التي فيها العَسَلُ ، يُقال عَسَلَتْ الطعامَ فهو معسول وعَسَلَتْهُ فهو مُعَسَّلٌ . و «الحَلَبُ» ها هنا ما حُلِبَ من اللبن وهو مستعار ، ويكون الحَلَبُ مَصْدَرُ حَلَبْتُ حَلَبًا والمعنى الأول أجود * .

(١) ب ، ظ ، هـ س : «في أبرادها» ، وجاء في ظ : ويروى «في أثوابها» .

(٢) م ، ل : «عنك» .

(٣) في ظ : ذكر محمد بن عبد الملك الزيات عمورية مخففة الياء في قوله :

أقام الأنعام منار الهدى وأخرس ناقوس عمورية
قد أصبح الدين مستوسقاً وأضحت زناد الهدى مُورِيه

١٤ أَبَقِيَتْ جَدُّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدِ وَالْمَشْرُكِينَ وَدَارَ الشُّرْكِ^١ فِي صَبَبِ

[ع] « الجَدُّ » ها هنا الحظ ، و « بنو الإسلام » الذين يدخلون فيه ويُنسبون إليه ، ومن كلامهم إذا أكثر الرجلُ من الشيء وألفه أن يقولوا هو أبو كذا وأمهُ وابنهُ^(٢) . و « الصَّعْدُ » المكان الذي يُصعد فيه ، « والصَّبَبُ » المكان الذي يُنصب فيه أي يُنحدر ، ويُقال لهما الصَّعُود والصَّبُوب * .

١٥ أُمُّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا فِدَاءَهَا^٣ كُلُّ أُمٍّ مِنْهُمْ ؛ وَأَبِ

« الأم » أصلُ الشيء ومعدنه [ص] يقول : هذه البلدة أمهم تجمعهم وتضمهم كما تضم الأم ولدًا ، فلو استطاعوا لاقتلوا خرابها بكلِّ أمٍّ لهم ولدتهم وأب^(٥) * .

١٦ وَبَرَزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا كَسَرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ

يُقال امرأةٌ بَرَزَةٌ إذا كانت تُخاطب الرجالَ ولا تستترُّ منهم . وزعم قومٌ أنه يُقال للحبيبة بَرَزَةٌ . واشتقاقه من بَرَزَتْ أي ظهرت ، يُقال لقيتُ قومًا أنه يُقال للحبيبة بَرَزَةٌ . واشتقاقه من بَرَزَتْ أي ظهرت ، يُقال لقيتُ

(١) س : « وجد الشرك » - هـ ظ : « ودار الكفر » .

(٢) في ظ زيادة من كلام أبي العلاء هي : كما يقال هو أبو الأضياف وأم العيال وابن الميحاء وأخو رغائب .

(٣) هـ ب : ويروى « فدَى لها » .

(٤) ل ، س ، د ، هـ ب : « كل أم برة » وفي هـ رواية الأصل .

(٥) هذا كلام الصولي بحرفه كما في نسختي م ، ل ونسبه ابن المستوفي إلى أبي زكريا التبريزي .

فلاناً برززين أى برز كل واحد منا لصاحبه . يقول . هى مع بُروزها للنظر
قد أعيت كسرى إذ كان لا يتقدر عليها ، وقيل كان كسرى قد ففتحها ،
بعث إليها الإصبهنة ففتحها ثم استعصى عليه وصار مع ملك الروم .
وأبو كرب كنية أحد التابعه وهو الذى عناه القائل فى قوله :

ليت حظى من أبى كرب أن يسد خير خبلة
أى فساد .

ومن ذهب إلى أن البرزة الحبيبة فهو يحتمل هذا المعنى ، أى أن هذه
البلدة كانت كالمرأة المتخففة التى لا ينظر أحد إليها .

— ١٧ بكرُ فما افترعتها كف حادثة

ولا ترقى إليها همّة النوب^(١)

[ع] « افترعها » إذا افترضها ، أى أن هذه المدينة لم تفتح قبل هذا
الفتح^(٢) .

— ١٨ من عهد إسكندر أو قبل^(٣) ذلك قد

شابت نواصي الليالى^(٤) وهى لم تشب

[ع] المتعارف بين الناس « الإسكندر » بالألف واللام فحذفهما منه ،
وقد فعل ذلك فى غير موضع كقوله : « ما بين أندلس إلى صنعاء » وقوله :
« وجد فرزدق بنوار » . ولم تجر العادة أن يستعمل « الفرزدق » ولا
« الأندلس » إلا بالألف واللام ، وبعض الناس ينشد « من عهد إسكندرا »
فيثبت فى آخره ألفاً ، وذلك من كلام النبط ، لأنهم يزيدون الألف إذا نقلوا الاسم

(١) جاء ترتيب هذا البيت فى س بعد البيت التالى له .

(٢) قال ابن المستوفى : هذا ينقض قوله إن الإصبهنة فتحها ثم استعصى عليه . .

(٣) د ، هـ س : « أو قبل ذلك فقد » .

(٤) ظ : « قرون الليالى » .

من كلام غيرهم ، فيقولون خَمَرًا يريدون الخمر ، وعَمَرًا يريدون تسمية عمرو .
وكان الذي رَوَى هذه الرواية فَتَرَ من حذف الألف واللام ، إذ كان المعروف
بين الناس الإسكندر ، وإذا استعملته النبطُ بالألفِ حذفت علامة التعريف
وأخرجته إلى حال إبراهيم وإسحق . « والإسكندر » اسم ليس بعربي ، ولو وافق
الفاظ العرب لَوَجَبَ أن يكون اشتقاقه من سين وكاف ودال وراء ، وتكون
الهمزة في أوله والنون زائدتين ، ويُجعل من بابِ احْرَنْجَمَ على المُقَارَبَةِ ،
فهو أقرب إليه من إبراهيم إلى الاحرنجام ، ولو حُمِلَ على ما يقوله النحويون في
الترخيم من نقل الاسم إلى مثال تكون العرب قد استعملته لَوَجَبَ أن تُكسَرَ
الهمزة ، فيقال الإسكندرُ ليكون على مثال احرنجم ، ولو سُمِّيت رجلاً باحرنجم
لقطعت همزة الوصل في رأى البصريين ، وكان الفراء يُجيز الوجهين * .

١٩ حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهُ السِّنِينَ لَهَا

مَخَضَ الْبَخِيلَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحَقْبِ

[ع] هذه استعارة لم تستعمل قبل الطائي . وأصل « المَخَضِ » في
اللبن ، يُقال مَخَضْتُ الوَطْبَ مَخَضًا إذا حركته لِتُخْرَجَ زُبْدُهُ . وجعله
مخض البخيلة لأنها أشدَّ اجتهادًا من السَّمْنَةِ ، فهي تُطِيلُ مدة المخض .
ومن رَوَى : « مخض الحليّة ^(١) » أراد ما حُلب من اللبن ، والرواية الأولى أجود .
يقول : جَمَعَ خَيْرَاتِهَا كما يُجَمِّعُ خَيْرَ ما في اللبن بالمَخَضِ . ومن رَوَى
« مَخَضَ الثَّمِيلَةِ » ، وهو ماء الكَرِشِ - أراد : حَتَّى إِذَا جَمَعَ اللَّهُ خَيْرَاتِ
السِّنِينَ وأظهرها كما يَظْهَرُ اللَّبَنُ من الثَّمِيلَةِ ، كما قال تعالى : « مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ
وَدَمٍ لَبَسْنَا خَالِصًا » - فصارت هذه البلدة زُبْدَةَ السِّنِينَ أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ .
« والحقْب » جمع حقبة وهي السَّنَةُ ، وقيل الحَقْبَةُ من الدهر : بُرْهَةٌ غير
مَحْلُودَةٍ إِلَّا أَنهَا زَمَانٌ يَطُولُ * .

(١) هي رواية م ، ل ، س ، ظ - وقال الصولي في شرحه : ويروى « مخض البخيلة » وهي في ه
س - وفيها أيضاً « مخض الثميلة » - وفي د « مخض الحليب فعدت . . . » .

ومعنى البيت [ص] أن هذه المدينة لما أغفلتها السنون حتى زادت وحسنت فصارت زبنة أتاها المعتصم ففتحها *

٢٠ أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السُّودَاءُ سَادِرَةٌ^(١)

منها وكان اسمها فراجة الكرب

[ع] من كلامهم أن يَصِفُوا الْخَطْبَ الشَّدِيدَ بِالسُّودِ تَشْبِيهًا بِاللَّيْلِ الْمَظْلَمِ ، ومن ذلك الحديث المأثور : « أَتَتْكُمْ الْفِتْنُ كَأَنَّهَا قَطَعُ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ » ويقولون اسودَّ نهاره ، إذا جاءه أمرٌ يحزنه فصار نهاره كالليل . و « سَادِرَةٌ » من سَدَرَ الْعَيْنَ ، يُقَالُ سَدَرْتُ عَيْنَهُ إِذَا أَظْلَمَتْ ، وَيَسْجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ جَاءَ فَلَانٌ سَادِرًا إِذَا جَاءَ لَا يَهْتَمُّ لِشَيْءٍ ، وَهُوَ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مِنْ سَدَرَ الْبَصَرِ ، وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ سَدَرَ ثَوْبَهُ مِثْلَ سَدَلَهُ^(٢) . والهاء في منها راجعة على عمورية .

٢١ جَرَى لَهَا الْفَالُ بَرَحًا يَوْمَ أَنْقَرَةٍ

إِذْ غَوْدِرَتْ وَخَشَّةُ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ

[ع] « الْفَالُ » قد استعمله مُدَكَّرًا ، وقد ادَّعى بعضُ النَّاسِ أَنَّهُ مُؤَنَّثٌ ، والتذكيرُ أشهر . وأكثرُ ما يَجِيءُ الْفَالُ فِي مَعْنَى الْخَيْرِ كَأَنَّهُ عِنْدَهُمْ ضِدُّ الطَّيْرَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَقَعَ الْفَالُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، وَهُوَ فِي بَيْتِ الطَّائِي عَلَى مَعْنَى الشَّرِّ . و « بَرَحًا » مصدرُ بَرَحَ يَبْرَحُ مِنَ الْبَارِحِ وَهُوَ ضِدُّ السَّانِحِ ، وَالْعَرَبُ تَخْتَلِفُ فِيهِمَا : فَيَقُولُونَ السَّانِحُ مَا وَلَاكَ مَيَاسِرَهُ ، وَالْبَارِحُ مَا وَلَاكَ مَيَاسِمَهُ ، وَبَعْضُهُمْ يَعْكُسُ ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتِمَّنُّ بِالْبَارِحِ وَيَتَشَاءُ مٌ بِالسَّانِحِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ بِضِدِّ ذَلِكَ . وَرَبَّمَا وَجِدَ فِي شَعْرِ الرَّجُلِ الْوَاحِدَ مَا يَبْدَلُ عَلَى أَنَّهُ يَتِمَّنُّ بِالسَّانِحِ مَرَّةً وَيَتَشَاءُ بِهِ أُخْرَى ، وَقَدْ أَنْشَدُوا بَيْتَ أَبِي ذُوَيْبٍ :

(١) في ظ : ويروى « كارية منها » ، وفسرها بقوله أى دافية ، ويقال كرب أى دنا .

(٢) فسر الصولي « السادرة » هنا بالمتحيرة .

زَجَرَتْ لَهَا طَيْرَ السَّيِّحِ فَإِنْ تُكُنْ هَوَاكَ الَّذِي تَهْوَى يُصِيبُكَ اجْتِنَابُهَا^(١)
وَيُرَوَّى « طَيْرَ الشُّمَالِ » ، فهذا على سبيل التَّطْيِيرِ ، وقال في الأخرى :
* أَرْجَى لِحُبِّ الْإِيَابِ السَّنِيحَا^(٢) *

فهذا ضدُّ السَّيِّحِ في البيت الأول . وقد يجوز أن يُحْمَلَ على المبالغة كأنه أراد : أننى من حبِّ الإياب أرجو الخير أن يجيئني من غير وجهه . و « أَنْقِرَة » موضع في بلاد الروم وبه قبر امرئ القيس ، يروى بضم القاف وكسرها وفتحها^(٣) . و « وَحْشَة » أى مُوحِشَة الساحات ، وقيل أراد وَحْشَة فَسَكَّنَ الحاء . وسمعتُ بعض مَنْ كان يُتَقَنُّ هذا الديوان من رؤساء الكتَّاب يُنْشِدُ « وَخْشَة الساحات » بالحاء ، ويذهب إلى معنى الخرابِ ووقوع بعضها على بعض ، من قولهم : أَوْخَشُوا الشيءَ أى خَلَطَوْهُ ، قال :

فَأَلْقَيْتُ سَهْمِي وَسَطَهُمْ حِينَ أَوْخَشُوا
ومنه الْوَخْشُ الدَّنَى من الرجال والأخلاق ، الواحدُ والجَمِيعُ . [ع]
و « الرَّحَب » جمع رَحْبَة وَرَحْبَة ، والأصلُ أنْ يُقَالَ رِحَابٌ بِالْألفِ
فَحَذِفَتْ لِأَنَّهَا حَرَفُ لِينٍ ، كما قالوا ثَلَسَ في جمع ثَلَاثَة والأصل ثِلَالٌ *

(١) ديوان الهذليين ١ : ٧٠ - اللسان مادة « طير » .

(٢) في الأصول : « أرجى » ، والبيت في ديوان الهذليين ١ : ١٣٦ :

أرَبْتُ لِأَرْبَتِهِ فَانْطَلَقْتُ أَرْجَى لِحُبِّ الْإِيَابِ السَّنِيحَا

(٣) أورد الأصول في شرحه هنا قول امرئ القيس في منصرفه من عند ملك الروم بأنقره :

رَبِّ قَصِيدَةٍ مَحَبَّرَةٍ

وَطَمْنَةٍ مَثْنَجَرَةٍ

وَخُطْبَةٍ مَسْحَفَرَةٍ

تَبَسَّقَ غَبْدًا بِأَنْقَرَةٍ

(٤) عجز هذا البيت ساقط في ش وأثبتناه من نسخة ب . وقوله « فا طار لي في القسم » معناه فا حصل نصيبي ، ومنه حديث أم العلاء الأنصارية « اقتسمنا المهاجرين فطار لنا عثمان بن مظعون ، أى حصل نصيبنا منهم عثمان » (اللسان مادة طير) . وفي مادة « وخش » والأغاني ٨ : ١٧٧ روايته « فا صار لي » بالصاد . والبيت ليزيد بن الطثرية ، وكان يتحدث إلى امرأة ويعجب بها ، فبينما هو عندها إذ حدث له شاب سواه قد طلع عليه ، ثم جاء آخر ، ثم آخر ، فلم يزالوا كذلك حتى تموا سبعة وهو الثامن ، فقال :

أرى سبعة يسمعون للوصل كلهم له عند ليل دينة يستدينها

فألقيت سهمي وسطهم حين أَوْخَشُوا فا صار لي من ذاك إلا ثمينها

٢٢ لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ

كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ

الهاءُ في «أختها» راجعةٌ على عمورية ، ويريد بأختها أنقرة ، أي أنها لَمَّا خَرِبَتْ وهي أختُ عمورية أعدتها بالجرَب ، والجرَبُ يُوصَفُ بالعدوى .

٢٣ كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ

قَانِي الذَوَائِبِ مِنْ آفِي^(١) دَمٍ سَرِبِ

«قاني الذوائب» مُحمرُّها ، وأصلُّها الهَمْزُ . و «الآفِي» الحار ، وأصلُّه في الماءِ الحارِّ المُغْلَى ، واستعاره ها هنا للدَّم ، و «سَرِبِ» أي سائل .

٢٤ بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْحِنَاءِ^(٢) مِنْ دَمِهِ

لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَصِبِ

[ع] أي خُضِبَ شَعْرُهُ بِسُنَّةِ السَّيْفِ أي بما سنَّه وحكَّم به ، لا بسُنَّةِ الْإِسْلَامِ ، لأنَّ الصحابةَ والتابعين كانوا يروون من السنة أن يخضبوا شعورهم بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ وما يجري مجراها من نبات الأرض ، ويكرهون الخضاب بالسواد ويؤثرون الحمرة ، وفي الحديث أن أبا بكر رضي الله عنه اطلَّع^(٣) إلى أصحابه في مرضه وأسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ تُمسِكُه وكأنَّ لحيتَه ضِرامٌ^(٤) عَرَفَجٍ . والمعنى الذي بناه عليه الطائي بينٌ واضح ، وقد يجوز أن يقول القائلُ إنَّ خضابَ هذا الكافر بهذا الدَّم من سُنَّةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ ، إذ كان الجهادُ مُفترضاً على

(١) س ، د ، د : «من قاني» ، ورواية الأصل بهامش س .

(٢) م ، د ، د ، هـ ، ل : «والحنى» .

(٣) كذا في الأصول ، ولم نجد «اطلع إل» بمعنى خرج ، والحديث «كان يخرج إلينا وكان لحيتَه ضرام عَرَفَجٍ» (النهاية في غريب الحديث ، واللسان مادة «ضرم») .

(٤) الضرام : لهب النار ، والعرفج : نبت طيب الريح ، عيدافه دقاق ، ولهبه شديد الحمرة ، وهو سريع الاشتعال بالنار . شبهت لحيتَه بضرام العرفج لأنه كان يخضبها بالحناء .

المسلمين . وبعضهم يُنشد : « بسُنَّةِ السيفِ والخطيِّ مِنْ دَمِهِ » : وهو أجودُ في صحةِ المقابلة ، لأنه يقابل الدينَ والإسلامَ بشيئين ليسا في الحقيقة مختلفين ، إذ كانا من آلة الحرب ، وهو في الرواية الأخرى يقابل الدينَ والإسلامَ بالسيفِ والحناءِ ، وليس الحناءُ من جنس السيف * ويسجوز رفعُ « الحناءِ » وخفضُهُ ، فإذا خُفِضَ كان قوله « مِنْ دَمِهِ » في موضع الحال .

٢٥ لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا

لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ

[ع] نَصَبَ « يَوْمًا » على أنه مفعولٌ صحيح ، ولا يحتمل أن يكون ظرفًا ، والمعنى يومًا ذليلًا صخرُهُ وخَشَبُهُ . والغرضُ أنها أحرقتُ فذلَّ صَخَرُهَا وخَشَبُهَا للنارِ * .

٢٦ غَادَرْتَ فِيهَا ^(١) بِهِمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى

يَشْلُهُ ^(٢) وَسَطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ

« غادرت » أى تركت . و« بهم » أراد به الليل الذى لا ضوءَ فيه ، و« يشله » أى يطرده . يقول كان ضوء النار يطرُدُ الليل وهو كالإصباح لتوقُّدِهِ وتلهُّبِهِ ، وجمع بين التَّركِ والطرْدِ ، وبين ظُلْمَةِ الليلِ والصُّبْحِ ، فطابقَ في موضعين ، إلا أن حقيقة المطابقة أن يقول : الليل والنهارُ والصبح والمساء ، والأوَّلُ أيضًا جائز ^(٣) .

٢٧ حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ

عَنِ النُّونِهَا وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغْبِرْ

« جلابيب الدُّجَى » يُريدُ جمعَ جَلِيبٍ ، وهو القميص أو الرداء ، واستعاره ها هنا للدُّجَى وهو جمع دُجِيَّة ، والدُّجِيَّة الظُّلْمَةُ ، وقال قومٌ

(١) م ، م : « غادرت فيهم » - ورواية الأصل في س بين السطور .

(٢) في أصل م « يشبه » وشرحه يدل على أنه رواها « يشله » .

(٣) هذا من الصول بمعظم لفظه .

لا يُقال دُجْنِيَّةٌ إِلَّا لِلَّيْلِ مَعَ غَيْبِهِمْ ، فَأَمَّا الْمُحْدَثُونَ فَيَعْبُرُونَ بِالذَّجِي عَنْ اللَّيْلِ ، وَلَا يَفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمُقْسَمِ وَغَيْرِهِ . وَأَصْلُ الدَّجِيَّةِ أَنْ يَكُونَ بِالْوَاوِ ، لِأَنَّهُ مِنْ دَجَا يَدْجُو وَلَكِنَّهُمْ آثَرُوا الْبَاءَ لِيَخْفَتْهَا . [ع] وَبَعْضُ الْمُؤَلِّدِينَ يَظُنُّ « الدَّجِيَّةَ » وَاحِدًا مِثْلَ هُدًى ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثْلُ زُبَيْةٍ وَزَبَى .

٢٨ ضَوْءٌ^(١) مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ

وِظْلُمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحَى شَحِبِ

[ص] يَقُولُ : ضَوْءُ النَّارِ يُصِيرُ اللَّيْلَ نَهَارًا ، وَظْلُمَةُ الدُّخَانِ تُصِيرُ الضُّحَى شَحِبًا . [ع] وَذَكَرَ « الضُّحَى » وَالْغَالِبُ عَلَيْهَا التَّائِيثُ . وَتَذَكُّرُ مَا لَا يَتَعَقَّلُ مِنْ هَذَا النَّوعِ كَثِيرٌ . وَأَصْحَابُ النُّقْلِ يَرَوْنَ أَنَّ تَصْغِيرَ الضُّحَى ضُحَى ، فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : لِمَ كَسَمْتَ تَظْهَرُوا الْهَاءَ فِي مُصَغَّرِ الثَّلَاثِي كَمَا قَالُوا رُحْبَةً وَقَدْ يَنْمَتُ ؟ قَالُوا : أَرَادُوا أَنْ يَفَرِّقُوا بَيْنَ تَصْغِيرِ ضُحَى وَتَصْغِيرِ ضَحْوَةٍ ، وَقَدْ يَجُوزُ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَالَّذِي يُوجِبُهُ الْقِيَاسُ أَنَّ تَوَلَّيْتُمْ ضُحَى يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَصْغِيرَ ضُحَى ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَصْغِيرَ ضَحْوَةٍ ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا جِشْتُكَ ضَحْوًا أَيْ وَالنَّهَارَ مُضْجِحٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

طَرِبْتُ وَهَاجَتْكَ الْحَمَامُ السَّوَاجِعُ تَسْمِيلُ بِهَا ضَحْوًا غُصُونُ نَوَائِعِ^(٢)

— « نَوَائِعُ » جَمْعُ نَائِعٍ ، مِنْ قَوْلِهِمْ نَاعَ الْغُصْنُ إِذَا تَمَائِلَ — [ع] وَ« شَحِبٌ » كَلِمَةٌ قَلِيلَةٌ ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ شَاخِبٌ أَيْ مُتَغَيِّرٌ . وَالْوَاوُ فِي قَوْلِهِ : « وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ » وَآوُ الْحَالِ .

٢٩ فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ

وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ

« مِنْ ذَا » الْأَوَّلُ يَعْنِي بِهِ لَهَيْبَ النَّارِ ، وَ« ذَا » الثَّانِي يُرِيدُ بِهِ الدُّخَانُ .

(١) قَالَ الصُّوْلِيُّ فِي كِتَابِهِ الْأَخْبَارِ (ص ١١١) : كَذَا قَالَ أَبُو مَالِكٍ وَالرَّوَايَةُ « صُبْحٌ » .

(٢) الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ عَزْوٍ (مَادَّةُ ضَحْوٍ) .

و « أَفَلَسْتُ » غَابَتْ ، ومن ذلك قولهم أَفَلَسْتُ الْمَرْضِعَ إِذَا قَلَّ لَحْمُهَا وَلَبَنُهَا .
قال أبو زُبَيْدٍ : يَصِفُ الْأَسَدَ وَالْبُؤَّةَ وَالشَّيْلِينَ :
أَبُوشَتِيمَيْنِ مِنْ حَصَاءٍ قَدْ أَفَلَسَتْ كَأَنَّ أَطْبَاءَهَا فِي رُفْعِهَا رَقَعَ (١)
ووجبت الشمس إذا سقطت في المغرب (٢) .

٣٠ تَصَرَّحَ (٣) الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا

عَنْ يَوْمٍ هَيَجَاءُ مِنْهَا طَاهِرٌ جُنُبٌ

« تَصَرَّحَ » تَفَعَّلَ مِنَ الصَّرِيحِ وَهُوَ الْخَالِصُ . أَيِ تَكشَّفَ الدَّهْرُ كَمَا
يَتَكشَّفُ الْغَمَامُ عَنِ السَّمَاءِ . [ع] وَيَعْنِي : « طَاهِرٌ جُنُبٌ » أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ
كَانَ مَا فُعِلَ فِيهِ حَلًّا لِأَنَّ الْغَزْوَ مُنْدُوبٌ إِلَيْهِ فَهُوَ طَاهِرٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَجُنُبٌ
لأنهم أخذوا السَّبْيَ فَوَطَّئُوهُ فَاجْتَأَوْا إِلَى الْغُسْلِ (٤) * .

٣١ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ (٥) يَوْمَ ذَلِكَ عَلَى

بَانٍ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبٍ

(ع) : أَهْلُ اللَّغَةِ يَخْتَارُونَ بَنَى فُلَانٌ عَلَى أَهْلِهِ ، وَيَكْرَهُونَ بَنَى

(١) « الشَّتْمُ » الْأَسَدُ الْعَابِسُ . وَحَصَا الصَّبَى ، كَجَعَلَ وَصَمَ : رَضَعَ حَتَّى امْتَلَأَ بَطْنُهُ .
و « الْحَصَاءُ » الَّتِي أَنْحَصَ وَبَرَّهَا . الطَّبِيُّ (بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ) حِلْمَاتُ الصَّرَعِ الَّتِي مِنْ خَفٍّ وَحَافِرٍ وَصَبِغٍ ،
جَمْعُهُ أَطْبَاءٌ . وَ « الرُّفْعُ » بِالضَّمِّ أَسْلُفُ الْفَخْدِ . وَالْبَيْتُ فِي السَّانِ (مَادَّةُ أَفْل) ، وَهُوَ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي
مُطْلَعُهَا :

مَنْ مَنَلْغَ قَوْمَنَا النَّائِينَ إِذْ شَحَطُوا أَنْ الْفَوَادِ إِلَيْهِمْ شَتَّى وَلِيسَ
(الْأَغَانِي ط السَّامِيُّ ١١ : ٢٣) .

(٢) فِي ظ : أَيِ الشَّمْسِ طَالِعَةٍ مِنَ الْهَبِّ وَهِيَ غَارِبَةٌ آفَلَةٌ ، وَغَارِبَةٌ مِنَ الدِّخَانِ وَهِيَ طَالِعَةٌ ، أَلَمْ
فِيهِ يَقُولُ النَّابِغَةُ :

تَبْدُو كَوَاكِبَ وَالشَّمْسِ طَالِعَةً لَا النُّورَ نَوْرَ وَلَا الْإِظْلَامَ إِظْلَامٌ

(٣) قَالَ الصَّوْلِيُّ : وَيُرْوَى « تَكشَّفَ » وَهِيَ رَايَةُ الْمَرْزُوقِ ، وَكَذَلِكَ هِيَ فِي هـ س ، هـ ب .

(٤) وَقَالَ الصَّوْلِيُّ : نَسَبٌ جَنِبًا إِلَى الْيَوْمِ كَمَا قَالُوا لَيْلٌ نَأَمٌ يَنَامُ فِيهِ ، وَيَوْمٌ عَاصِفٌ لِأَنَّ الرِّيحَ
عَصَفَتْ فِيهِ . وَقَالَ الْمَرْزُوقُ : أَيِ تَكشَّفَ الدَّهْرُ وَبَرَزَ لَهَا كَمَا تَصْرَحُ الْغَمَامُ عَنْ يَوْمٍ طَاهِرٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
الظَّافِرِينَ ، جَنِبَ عَلَى الْمَظْفُورِ بِهِمُ الْمَغَارَ عَلَيْهِمْ . وَنَقَلَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى عَنِ الشَّرْحِ الْمَفْرُودِ لِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ :
« طَاهِرٌ » أَيِ طَاهِرٌ فِي نَفْسِهِ ، وَ « جَنِبَ » أَيِ النَّاسِ جَنِبَ فِيهِ .

(٥) ب : « مِنْهُ » - ظ : « فِيهِمْ » .

بها ، وأصل ذلك أنهم كانوا إذا أعرسوا بنوا القباب على العرائس ، والمتعارف في كلامهم بَنَى على المرأة القُبَّة . ولا يَمْنَع القياس دخول الباء في هذا الموضع ، ويكون المعنى : بنى بأهله أى من أجلهم ، كما يُقال للرجل خُذْ هذا بما فعلت في الدهر الأول أى من أجله^(١) . * . ويُقال رَجُلٌ عَزَبٌ وامرأةٌ عَزَبَةٌ ، وقال بعض العلماء باللغة يُقال للرجل عَزَبٌ وللمرأة عَزَبٌ ، ولا تدخل الهاء في المؤنث ، وأنشد :

يا مَنْ يَدُلَّ عَزَبًا على عَزَبٍ

على ابنةِ الحُمَارِسِ الشَّيْخِ الْأَزْبِ^(٢)

[ص] ومعنى البيت : لم يُتْرَكْ منهم مَنْ كان بَنَى بأهله لأنه قُتِلَ ، ولم يَبْقَ في هؤلاء عَزَبٌ لأنهم وَطَنُوا السَّبْيَ * .

٣٢ مَا رُبَّعُ مِئَّةٍ مَعْمُورًا^(٣) يُطِيفُ بِهِ

غَيْلَانُ أَبْهَى رَبِّي مِنْ رَبِّعِهَا الْخَرِبِ

[ص] يقول : ما رُبَّعُ مِئَّةٍ المَعْمُورِ الذي أَكْثَرَ وَصَفَ حُسْنَهُ ذُو الرِّمَّةِ بأَحْسَنَ رَبِّي مِنْ هَذَا الرَّبَّعِ الْخَرِبِ فِي عَيْنِ مَنْ فَتَحَهَا * .

(ع) : غَيْلَانُ بْنُ عَقْبَةَ هُوَ ذُو الرِّمَّةِ ، وَاشْتِقَاقُ غَيْلَانَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْغَيْلِ ، وَهُوَ السَّاعِدُ الرَّيَّانُ الْمَمْتَلِ ، وَالْمَاءُ الَّذِي يَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَأَنْ يَكُونَ مِنَ الْغَيْلِ وَهُوَ الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ ، فَأَمَّا إِذَا أُخِذَ مِنَ الْغَيْلِ فَهُوَ فَعْلَانُ ، وَإِنْ أُخِذَ مِنَ الْغَيْلِ جَازَ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ ، لِأَنَّ الْغَيْلَ إِذَا أُرِيدَ بِهِ الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ فَالْغَالِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَالٍ يَغُولُ إِذَا أَهْلَكَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأُسْدَ تَسْكُنُهُ فَتَغُولُ مَا يَتَقَعُ فِيهِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، فَيَكُونُ غَيْلَانُ عَلَى هَذَا مِنَ الْغَوْلِ كَمَا أَنَّ الرَّيْحَانَ مِنَ الرُّوحِ ، وَيُحْمَلُ عَلَى أَنَّ أَصْلَهُ التَّشْدِيدَ فَخُفِّفَ كَأَنَّهُ

(١) قَالَ ابْنُ الْمُسَوِّقِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ : وَاللُّغَةُ إِنَّمَا يَوْقِفُ عَلَيْهَا مَعَ السَّاعِ ، وَالْأَوَّلُ الصَّحِيحُ .

(٢) الرِّجْزُ فِي اللِّسَانِ (مَادَّةُ عَزَبَ) ، وَقَالَ : « الْأَزْبُ » الْكُرْيَةُ الَّتِي لَا يَدْفَى مِنْ حَرَمَتِهَا ،

و « الْحُمَارِسُ » الشَّدِيدُ الْجَرَى الشَّجَاعُ .

(٣) هـ س : وَيُرْوَى : « مَعْمُورًا » .

رَيْحَانٌ وَغَيْلَانٌ ، ففُعِلَ به ما فُعِلَ بِسَيْدٍ وَمَيْتٍ . وَنَصَبَ «معموراً» على الحال ، والعامل في «معمور» فعل مُضْمَرٌ وهو الذى أضمِرَ في قول الأول :

لَتَعْمُرُكَ إِنِى وَارِدًا بَعْدَ سَبْعَةٍ لَأَعِشَى وَإِنِّى صَادِرًا لِّبَصِيرِ
والنحويون يجعلون المضمَرَ في نحو هذا «كان» التى فى معنى وَقَعَ ليخلصَ لهم معنى الحال ، وإذا كان الأمرُ على ذلك جاز أن يُضْمَرَ كلُّ ما هو فى معنى الوقوع . فإن زَعَمَ زاعمٌ أنَّ العاملَ فى «مَعْمُور» قوله «يُطِيفُ» فلا يمتنع ذلك ، ولكن الوجه الأولُ أجود لما وَقَعَ فى الوجه الثانى من التقديم والتأخير . ويقال طافَ القومُ حِوَالَى البيتِ إذا داروا به ، وأطافوا إذا أحدقوا به ، ويستعملون أطافَ فى معنى الإلام ، وفى بيت الطائى حذفَ يَدَلُّ عليه المعنى ، وذلك أنه ذكرَ رُبْعَ مَيْتَةٍ وليس له بهاءٌ إلاَّ عندَ غَيْلَانٍ لمكانِ لهجهِ بها ، فكأنَّ المعنى ما رُبِعَ مَيْتَةٌ فى نفسِ غَيْلَانٍ أبْنَهَى من هذا الربعِ الخَرِبِ فى أعْيُنِ المسلمين . «والرَّبَى» جمع رَبْوَةٍ وهو المرتفع من الأرض .

— ٣٣ ولا الخدودُ وقد^(١) أَدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ

أَشْهَى إِلَى نَاطِرٍ مِنْ خَدِّهَا التُّرْبِ

[ع] لَمَّا شَبَّهَهَا بِالْمَرَأَةِ وَجَعَلَهَا بَكَرًا فى بعض الأبيات حَسَنُ أَنْ يستعيرَ لها خَدًّا أو «التُّرْب» الذى قد لَصِقَ بِالتُّرَابِ * .

— ٣٤ سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنَّا^(٢) الْعُيُونُ بِهَا

عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَأَ أَوْ مَنْظَرَ عَجَبٍ

«سَمَاجَةٌ» قُبُحٌ . يقول : خرابُ عموريةَ سَمَاجَةٌ عندَ أهلها ، وقد استغنَتْ عُيُونُنَا عن كُلِّ حُسْنٍ بِهَا لَأَنَّهَا تَفُوقُ كُلَّ حُسْنٍ فى عُيُونِ المسلمين الظافرين .

(١) م ، ل : «ولو أدمين» - س ، ظ ، د : «وإن أدمين» وفى د . «إلى ناظرى» .

(٢) م : «منها» - ورواية د «سماجة غيببت فيها العيون بها» .

٣٥ وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ

جَاءَتْ بِشَاشَتُهُ مِنْ سُوءِ مُنْقَلَبٍ

ويروى «تَبَيَّنَ عَوَاقِبُهُ» ^(١) يريد : حُسْنُ الْمُنْقَلَبِ كان للمسلمين ،
وسُوءُ الْمُنْقَلَبِ كان للكُفَّار .

٣٦ لَوْ يَعْلَمُ ^(٢) الْكُفْرُكُمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنْتَ ^(٣)

لَهُ الْعَوَاقِبُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ

أى كانوا فى تلك الأعصر غافلين عما حُلَّ بهم من القتل والتَّخريب .

٣٧ تَذِيرٌ مُعْتَصِمٌ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٌ لِلَّهِ مُرْتَقِبٌ ^(٤) فِي اللَّهِ مُرْتَغِبٌ

« الْمُرْتَقِبُ » الذى يجعل ما يَرْقُبُهُ بين عينيه كأنه يَنْظُرُ إليه . و« مُرْتَغِبٌ »
أى يرغب فيما يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ تعالى .

٣٨ وَمُطْعَمَ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ

يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحٍ مُخْتَجِبٍ

« مُطْعَمَ النَّصْرِ » يعنى المدح ، وأصل هذه الكلمة فى الصَّيْدِ ، يُقَالُ
فُلَانٌ مُطْعَمٌ مِنَ الصَّيْدِ إِذَا كَانَ مَرْزُوقًا مِنْهُ أَى يَكُونُ لَهُ طَعَامًا ، وَيُقَالُ قَوْسٌ
مُطْعَمَةٌ إِذَا تَعَوَّدَ رَامِيهَا أَنْ يَصِيبَ سَهْمُهَا الْوَحْشَ الْوَارِدَةَ فَيَشُوبُ مِنْهَا
طَعَامًا . جَعَلَ الْمَدْحَ مُتَعَوِّدًا لِلنَّصْرِ كَمَا يَتَعَوَّدُ الْقَانِصُ أَنْ يَطْعَمَ مِنَ الْحِمِّ ^(٥)

(١) وهى رواية م ، ل ، س ، ظ .

(٢) م ، ل ، س : « لم يعلم » ورواية الأصل بهامش س .

(٣) ل ، ظ ، هـ ، س ، هـ : « خبأت » .

(٤) م : « الله مقرب فى الله مرتقب » .

(٥) قال الصولى أول من قال بهذا علقمة بن عبدة فقال :

ومطعم النصر يوم النصر مطعمه أننى توجه والمحروم محروم

وله رواية أخرى فى ل : « ومطعم الغنم يوم الغنم » .

الصَّيْدُ [ع] وقوله : « لم تكنهم » أى لم تنب ، وأصل الكهَمَامِ فى السَّيْفِ
وقد استُعير لغيره ^(١) * .

٣٩ لَمْ يَغْزُ ^(٢) قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ ^(٣) إِلَى بَلَدٍ
إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ ^(٤) مِنْ الرُّعْبِ

« لم ينهّد » أى لم ينهض إليه ، ومنه قولهم نهّد ثدى الجارية ، وتناهد
القوم فى السفر إذا تخارجوا التفقة بينهم ، وهو راجع إلى هذا ، ومنه تنهّد
الحزبين كأنه ينهض النفس .

٤٠ لَوْ لَمْ يَقَدْ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَعَدَا

مِنْ نَفْسِهِ وَخَدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَعَجِبَ

« الجحفل » الجيش العظيم ، وقال قوم إنما قيل له جحفل لأنه يكثُر
فيه ذوات الجحافل وهى للخيل مثل الشفاه ، وتُسْتَعْمَلُ فى البغال والحُمير ،
ويقال رجل جحفل إذا كان ضخم الأمر سيّداً ، يُرِيدُونَ أَنَّهُ وَحْدَهُ كَأَنَّهُ
جيش لعظم شأنه . و « اللّجب » الصخب الكثير الأصوات . و « الوعى »
الحرب ، وأصله الصوّت ، ثم سُمِّيَتْ الحربُ بِهِ .

٤١ رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا فَهَدَّمَهَا

وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يُصِبْ ^(٥)

أى كان قتالك فى الله مُسْتَنْصِراً لدينه ، ولو كان قتالك لغير دين الله
لم تُنصِرْ عليهم ولم تُصِبْهم .

(١) قال ابن المستوفى : قال الجوهري : سيف كهام أى كليل ، ولسان كهام أى عيى ، وفرس
كهام أى بطى ، ورجل كهام أى مُسن ، فإذا جاز أن يقال لكل ذلك « كهام » فلم يمتنع أن يقال
ذلك فى السنان ؟ (٢) م ، ل ، س ، ظ ، هـ ب : « لم يرم » .
(٣) ل ، د : « لم ينهض » . (٤) ل ، هـ س : « جند » .
(٥) س : « لم تصب » .

٤٢ مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبُوها وَاثْقِينَ بِها
واللهُ مِفْتَاحُ^(١) بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ

«أشبوها» صَعَبُوا أمرها ، وحقيقته لَفَقُوا حولها الجُند ، من قولهم تَأَشَّبَتِ الْغَيْضَةُ التَّفَتُّ : أى منعوها بالرَّمَا ح فصارَتْ كالشَّجَرِ الْمُلتَفِّ بالجمع الكثير . ويروى «آمنين بها» قد وثقوا بمنععتها . ويروى «المُقْفَلِ الْأَشْبِ»^(٢) .

٤٣ وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ
لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَشَبِ

ويروى «أَمَسٌ» مَوْضِعٌ «صَدَدٌ» «وَذُو أَمْرِهِمْ» رئيسُهم الذى يَأْتَمرون له ، قال لهم : لا تخافوا هؤلاء فَإِنَّهُمْ لا يَسْجُدُونَ مَرْتَعًا ولا مَسْرَحًا لِلدَّوَابِّهِمْ ، ولا ماءً بِالْقُرْبِ يَرِدُ وَنَه ، فإذا ضاقَ بهم الأمرُ انصرفوا عنكم . و «المرتع» الموضع الذى تَرْتَع فيه الرَّاعِيَة . و «أَمَسٌ» : ما بين القريب والبعيد ، وربما قالوا «أَمَسٌ» قَرِيب ، وصَدَدٌ مثله : و «الكشَب» القُرْبُ^(٣) .

٤٤ أَمَانِيًا سَلَبَتْهُمْ نَجَجَ هَاجِسِها
ظُبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ

يقول : كان ذلك التقديرُ أَمَانِيًا سَلَبَتْهُمْ تصديقَها ظُبَى السُّيُوفِ أى حَدُّها . وأكثرُ ما تُسْتَعْمَلُ «الأماني» مُشَدَّدة . و «الهاجس» ما يَهْجُسُ فى الصَّدْرِ من فِكْرٍ . [ع] و «القَنَا السُّلْب» يَحْتَمِلُ وجهين : أحدهما أن

(١) فى ظ : ويروى «واقة فتاح» .

(٢) رواها الصول فى شرحه . وشرح التبريزى هنا من الصول بأكثر لفظه .

(٣) قال الصول : فن رواه «صدد» فهذه مماثلة لأنه جاء بلفظين بمعنى واحد .

(٤) فى ظ : ويروى «أمنية» .

يكونَ جَمَعَ سَلْبٍ ، كأنَّه يَسْلُبُ الناسَ أموالَهُمْ ، والآخِرُ أن يكونَ جَمَعَ سَلْبٍ وهو الطويلُ ، يُقالُ رُمُحٌ سَلْبٌ .

٤٥ إِنَّ الْحِمَامَيْنِ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمرٍ
دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبٍ

[ص] يقول : لا تُنال لذَّةُ الأكل والشُّرب إلاَّ بالرِّماح والسيوف ، وضرب لهذا مثلاً فقال : هُما دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ ، يعني أنَّ الْحِمَامَيْنِ بالبيض والسُّمَر دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ : الْحَيَاةِ بِالْمَاءِ وَالْحَيَاةِ بِالنبات ، إذْ كَانَ لا بُدَّ مِنْهُمَا أو مِمَّا يُحْيَا بِهِمَا ، فَكَأَنَّهُمَا يَسْتَقِيانِ هَاتَيْنِ كَمَا يَسْتَقِي الدَّلْوَانِ الْمَاءَ . وَالْأَكْثَرُ فِي « السُّمَر » تَسْكِينُ الْمِيمِ ، وَقَلَّمَا يَسْتَعْمَلُونَ تَحْرِيكَهَا فِي غَيْرِ الْجَمْعِ إِذَا كَانَ لِـ « أَفْعَلٍ » وَ « فَعْلَاءٍ » مِثْلَ أَحْمَرَ وَحُمْرَاءَ ، يَقُولُونَ حُمْرٌ فِي الْمَذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ فَيَلْزِمُونَ الْإِسْكَانَ ، إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ شَاعِرٌ فَيَقُولُ السُّمَرُ فِي جَمْعِ أَسْمَرَ ، وَالْوَرَقُ فِي جَمْعِ أَوْرَقٍ ، وَالشُّقْرُ فِي جَمْعِ أَشْقَرٍ ، فَأَمَّا الْعُشْبُ وَالْعُشْبُ فَإِنَّهُمْ يَجْتَرُونَ فِي مِثْلِ هَذَا عَلَى الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ .

٤٦ لَبَّيْتَ صَوْتاً زِبْطَرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ
كَأْسَ الْكَرَى^(١) وَرُضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ

« زِبْطَرِيٌّ » مَسْنُوبٌ إِلَى زِبْطَرَةَ ، وَهِيَ بِلَدٌ فَتَحَهُ الرُّومُ ، فَبَلَغَ الْمُعْتَصِمُ فِيهَا قَبِيلَ أَنْ امْرَأَةً قَالَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهِيَ مَسْنِيَّةٌ : وَامْعُنْصِمَاهُ ! فَتُنْقَلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْحَدِيثُ وَفِي يَدِهِ قَدَحٌ يُرِيدُ أَنْ يَشْرَبَ مَا فِيهِ ، فَوَضَعَهُ وَأَمَرَ

(١) قال الصولي : والسُّلْبُ الأُسنة الطوال واحداً سلوب ، والصحيح أنها الرماح لا الأُسنة ، كما استدرك عليه ابن المستوفى .

(٢) قال المروزقي : وقوله « هَرَقْتَ لَهُ كَأْسَ الْكَرَى » مثل قول الأخطل : قوم إذا حاربوا شدوا ما زهرهم دون النساء ولو باتت بأطهار وقال ياقوت : « زبطرة » بالكسر ثم بالفتح وسكون الطاء المهملة وراء مدينة بين ملطية وسميساط والحذب في طريق بلاد الروم .

بأن يُحفظَ ، فلما رَجَعَ من فَتَحَ عموريةَ شَرِبَ^(١) . والعامةُ يقولون زَبَطَرَة
بفتح الزاى ، وليسَ فى كلام العرب مثلُ « دَمَقَسْ » فى الرباعى ، وهو اسمٌ
أعجمى ، والقياسُ إذا نَطَقْتَ به العربُ أن يُكسَرَ أولُه ليُخرجوه إلى بناء
هو لم ، مثل قولهم أرضٌ دَمَشْرَة أى سَهْلَة ، وناقَة دِرْقَسَة أى ضَخْمَة
شَدِيدَة . ولا يَمْتَنِعُ أن تُشْرِكَ الكلمةُ الأعجميةُ على حالها من فتح أو غيره ،
لأنَّ تَرَكَّيْهِمْ أن يَسْنُوْا مِثْلَ « دِمَقَسْ » إنما هو اتفاقٌ وَقَعَ فى اللغة ،
لا أن اجتنابَهُمْ ذلك لعلَّة ، كما أنهم لم يَهْمِلُوا « المِدْع » لعلَّة فى اللفظ ،
وإنما هو لأنه لم يستعملها مُستعملٌ ، وإن كانوا قد استعملوا ما هو أثقلُ منها .
و « هَرَقْتُ » تستعمل فى المياه وما جَرَى مجراها فى السَّيْلان ، والأصلُ « أَرَقْتُ »
فأبدلتِ الهاءُ من الهمزة ، إلا أن الذى يقول « هَرَقْتُ » يقول فى اسم الفاعل
والمفعول « مُهَرِّيقٌ » و « مُهَرِّاقٌ » ، واستثقلوا الهمزة أن تُشَبَّتَ فى « مُرِّيقٌ » و « مُرِّاقٌ » ،
فلم يقولوا « مُؤَرِّيقٌ » ولا « مُؤَرِّاقٌ » لِثِقَلِ الهمزة ، وأثبَتُوا الهاءَ لَخَفَتِها . فأمَّا
الذين قالوا « مُهَرِّيقٌ » بسكونِ الهاءِ فَلِغَنَتُهُمْ أن يقولوا فى الماضى « أَهَرَقْتُ »
فيجمعون بين العِوَضِ والمُعَوِّضِ منه . وقيل إنَّ الهاءَ دخلتْ فى « أَهَرَقْتُ »
عِوَضًا من عِلَّةِ الفعل ، وهذا أصحُّ من القولِ الأوَّل . و « الخُرْد » الحِبيباتُ ،
وإنما قالوا فى الواحدة خَرِيدَة وخَرِيد ، وخُرْدٌ جمعُ فاعلة وفاعل ، ولم يقولوا
فيما ظهر امرأة خَارِدٌ ولا خَارِدَة ، ولكنهم أجزَّوه على ذلك ، لأنه يجوز أن يُقال ،
كما قالوا فى جمع حُرَّة حَرائرُ لأنه يمكن أن يقال حَريرةٌ فى معناها . و « العُرْبُ »
جمع عَرُوبٍ وهى المُتَحَبِّبَة إلى زَوْجِها .

٤٧ عَدَاكَ^(٢) حَرُّ الشُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ

بَرْدِ الشُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ

« الشُّغُور » الأول جمعُ شُغْرٍ العدو ، وهو الموضعُ الذى يُخَافُ أن يَأْتِيَ منه ،

(١) فى ظ : قال الخازن جى : إنما أراد بذلك قول امرأة من زبطرة كتبت إلى المعتصم حين دخلها
الروم :

يا ابن الخلائف من ذؤابة هاشم ذهب زبطرة منك إن لم تأتها

(٢) ظ : « حاك » .

و « الثغور » الثانية من ثَغَرِ الإنسان . وأصل « السِّلْسَال » الماء الصافي السهل الدخول في الحلق ، ويجب أن يكون أصله من الماء الذي يجري مُسْتطِيلًا على وجه الأرض ، كأنه مأخوذ من سِلْسَلَةِ البرق وسِلْسَلَةِ الحديد ، لأن الماء الجارى أخف من الماء الرّاكِد . و « الحَصْبُ » الذي فيه الحَصَبَاءُ وهو صِغارُ الحصى ، وإنما أراد بالسِّلْسَالِ الرِّيقَ ، وجعله حَصْبًا لأن فيه الأسنان . و « عَدَاكَ » أى صرفك عن برّد هذا الرِّيقِ في ثغورِ الحِسانِ ما في قلبك من أمرِ الثغورِ التى أبيضحت وتَمَكَّنَ العدو منها . [ص] وفي هذا البيت مُطَابَقَةٌ ومُجَانَسَةٌ فالمطابقة بالحرّ والبرّد ، والمُجَانَسَةُ بالثغورِ والثغور .

٤٨ أَجَبْتَهُ مُعْلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا

وَلَوْ أَجَبْتَ ^(١) بَغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ

ويُروى « مُعْلِمًا » ^(٢) وإنما يُعلم مَنْ هو مَعْرُوفٌ بالشجاعة فيجعلُ لنفسه علامةً يُعرفُ بها في الحرب . ويُقال انصَلَّتْ في الأمرِ إذا مَضَى فيه ، والأجودُ أن يكونَ الانصِلَاتُ ها هنا للرجل ، ولا يَمْتَنِعُ أن يكونَ للسيف ، والسيفُ انصَلَّتْ المُتَجَرَّدُ ، يُقال أصلته فهو مُنْصَلِتٌ ، ولا يعرف ^(٣) صلته فانصَلَّتْ ، ولكن يجوز أن يُحْمَلَ على غيره إذا أريد به المضاء ، كما قال الراجز في صفة الإبل :

فانصَلَّتْ تَعَجَّبُ لانصِلَاتِهَا .

وقوله : « لو أجبتَ بغيرِ السيفِ لم تُجِبْ » : أى مَنْ أجابَ إذا لم يُسْتَفْعَ بجوابه فكأنه ما أجاب .

(١) س ، ل : « ولو دعيت » .

(٢) وهي رواية م ، ل ، س ، ظ . - وفي ظ أيضاً : ويروى « معلناً » .

(٣) من قوله : « ولا يعرف صلته » إلى آخر شرح البيت من كلام أبي العلاء المعرى ، لأن ابن

المستوفى نقل بعضه بلفظه متفرقاً ، ولهذا لم أرز إليه .

٤٩ حَتَّى تَرَكَتَ عَمُودَ الشَّرْكِ مُنْعَفِرًا

وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنُبِ

ويُروى « مُنْعَفِرًا » من قوله تعالى : « كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْعَفِرٍ » .
و « المُنْعَفِر » المُلْتَصِقُ بِالتُّرَابِ وهو العَفْرُ ، وكان البيتُ يُبْنَى عَلَى عَمَدٍ
وَأَوْتَادٍ وَأَطْنَابٍ ، فَالْعَمُودُ أَرْفَعُهَا وَأَعْظَمُهَا .

[ع] يقول : عمدت لأعظم شأن الروم ولم تُعَرِّجْ عَلَى مَا صَغُرَ مِنَ الْأُمُورِ .
والمعنى أَنَّهُ فَتَحَ عُمُورِيَّةَ وَلَمْ يَقْتَنِعْ بِالْقُرَى وَسَبَنِي مَن فِيهَا * . ولا يُلْتَمَسُ إِلَى
قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ سَافِرٌ مُبَارِزًا وَلَمْ يَكُنْ بِالْخَيْمِ (١) . قال المَرْزُوقُ :
مَا أَظُنَّ صَحِيحَهُ (٢) التوفيق في هذا التفسير ، ولا أَدْرَى كَيْفَ اسْتَجَازَ مِنْ طَرِيقِ
الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ أَنْ يَكُونَ الْمَعْتَصِمُ مَضَى مِنْ مَنَقَرِهِ غَازِيًا إِلَى عُمُورِيَّةَ وَلَمْ يَكُنْ
بِالْحَيِّمِ ؟ وَمُرَادُ أَبِي تَمَّامٍ فِي هَذَا : أَنَّكَ مِنْ بَيْتِ الشَّرْكِ قَصَدْتَ عَمُودَهُ ، وَمَا كَانَ
قِيَامُهُ بِهِ ، فَزَعَزَعْتَهُ وَنَزَعْتَهُ ، وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَى جَوَانِبِهِ ، أَيْ قَصَدْتَ قَصَبَةَ
الْكَفْرِ دُونَ الْقُرَى وَالرَّسَاتِينِ .

٥٠ لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنِ تَوَفَّلِسَ

وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ

يُسْتَعْمَلُ « الْحَرْب » فِي مَعْنَى الْغَضَبِ وَفِي مَعْنَى ذَهَابِ الْمَالِ (٣) .

٥١ غَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ جَرِيَّتَهَا

فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْحَدَبِ

« الْحَدَبُ » ارْتِفَاعُ الْمَاءِ تَارَةً وَانْخِفَاضُهُ أُخْرَى . [ص] يَقُولُ : لَمَّا رَأَى تَوَفَّلِسَ

(١) هذا تعريض بالصلول لأن ما أورده هو شرحه بلفظه .

(٢) الضمير هنا عائذ على الصول .

(٣) قال الصول هذا من قول النابغة الجعدي :

وتستلب الدهم التي كان ربها ضنيناً بها والحرب فيها الحرائب

الحرب تجرى إليه بالرجال كما تجرى السيولُ بذل للمعتمِ أموالاً ليرجع عنه
فغزوه أى غلبته ، يُريد المعتمِ وجيشه * . و « التيارُ » معظمُ الماء ، وربما
قيل « التيارُ » الموج وهو مأخوذٌ من أنه يجيء تارةً بعد تارة . [ص] ومن روى
« جزيتها » بالزاي فقد صحَّف (١) لأنه لو بذل الجزية لأُخذت منه ، وإنما
بذل مالا لا على سبيل الجزية - .

٥٢ هِيَهَاتَ ! زُعَزَعَتِ الْأَرْضُ الْوَقُورَ بِهِ

عَنْ غَزَوْ مُحْتَسِبٍ لَا غَزَوْ مُحْتَسِبٍ

« هيهات » يُوقَف عليها بالهاء إذا فتحتهَا ، وإذا كسرتها يُوقَف عليها بالتاء ،
ويجوز « هيهاتاً » و « هيهات » وتُبدل الهمزةُ من الهاء فيقال « أيْهَات » ويقال
« أيْهَا » أيضاً ، وأنشد الفراء (٢) :

وَمِنْ دُونِ الْأَعْيَارِ وَالْقِنَعِ كُلُّهُ وَكُتْمَانٌ ، أَيُّهَا مَا أَشْتَتْ وَأَبْعَدَا !
- « الْأَعْيَارُ » مواضع ، و « الْقِنَعُ » أسفل الأرض وأعلاها ، و « كُتْمَان »
موضع - .

[ع] و « زُعَزَعَتِ » حُرِّكَتْ حركةً عَنيفَةً ، والهاء في « به » راجعةٌ على
تَوْفَلِس . يقول : زُعَزَعَتِ الْأَرْضُ بِهِ عَنْ غَزَوْ هَذَا الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ مُحْتَسِبٌ
لِلْأَجْرِ لَا مُحْتَسِبٌ لِلْمَالِ ، فَكَأَنَّ زُعَزَعَةَ الْأَرْضِ كَانَ سَبَبُهَا غَزَوْ هَذَا السُّلْطَانِ ،
كَمَا يَقَالُ مَرَضُ فُلَانٍ عَنْ أَكْلِ الرُّطْبِ ، أَيْ كَانَ أَكْلُ الرُّطْبِ سَبَبَ مَرَضِهِ .
و « عَنْ » فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تُؤَدِّي مَعْنَى غَيْرِهَا مِنْ حُرُوفِ الْخَفْضِ ، فَلَوْ قِيلَ فِي

(١) هـ س : « جزيتها » بالزاي عن أبي علي البغدادى ، وهى رواية د . وقال الصولي : وسمعت مرة
من لا يفهم شيئاً ويدعى كل شيء ولا أسميه يقول « جزيتها » يذهب إلى أنه أراد أن يعطى الجزية ، وهذا
تصحيف قبيح ، لأنه لو بذل الجزية لأُخذت منه ، والبيت الذى بعده تصحيح ما فسرناه ، فأما
الجزية لو بذلت وأُخذت لكأنت أجل من كل فتح ، وبذلك أرسل عمر بن الخطاب إلى ليون ملك الروم :
« إما أن تسلم ، وإما أن تؤدى الجزية ، وإما الحرب » فبذلوا له ولجميع المسلمين مالا عظيماً لينصرفوا فلم
يقبله .

(٢) اللسان مادة « أيه » .

الكلام : زُعزعت الأرضُ به من أجل الغزو أو للغزو أو بالغزو لاحتمل ذلك كله . وما بعد هذا البيت بيانٌ له وشرحٌ لمعناه ^(١) .

٥٣ لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرَبِّيَ بِكَثْرَتِهِ

على الحَصَى وبِهِ فَقَرُّ إِلَى الذَّهَبِ

يُخَاطَبُ تُوفَلَسُ ، يَقُولُ : لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْكَثِيرَ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ مِنَ الْحَصَى رَغْبَةً فِيمَا تَبَدَّلَهُ مِنَ الذَّهَبِ ، بَلْ لِيَتَنَقَّمَ مِنْكَ ، وَيَقَابِلَكَ بِسُوءِ صَنِيعِكَ أَوْ تُسَلِّمَ وَ « الْمُرَبِّي » الزَّائِدُ ، فَقَالَ أَرَبَيْتَ عَلَيْهِ إِذَا زَادَ عَلَيْهِ .

٥٤ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغِيلِ ^(٢) هِمَّتْهَا

يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ

جَعَلَ الْمَدْلُوحَ غَنِيًّا غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَى الْمَالِ فَيُخَدِّعَ بِهِ لِيَكْفَى عَنِ الْقِتَالِ . وَ « الْكَرِيهَةِ » الشَّدِيدَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْمُرَادُ بِهَا الْحَرْبُ هُنَا .

٥٥ وَلَى وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِيئَ مَنْطِقَهُ

بِسَكْنَتِهِ تَحْتَهَا ^(٣) الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ

« وَلَى » بِعَنَى تُوفَلَسُ ، وَ « الْخَطِيئَ » الرَّمَحُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْخَطِّ وَهُوَ سَيْفُ عُمَآنَ ، وَقَالَ قَوْمٌ كُلَّ سَيْفٍ بِحَرْفِ خَطٍّ . وَ « أَلْجَمَهُ » أَيْ كَانَ لَهُ كَاللَّجَامِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « التَّقَى مُلْجَمٌ » أَيْ أَنَّهُ يَخَافُ الزَّلَلَ مِنَ الْكَلَامِ ، فَكَأَنَّهُ أَلْجَمَ بِاللَّجَامِ . وَ « الصَّخَبُ » أَصْلُهُ كَثْرَةُ الْكَلَامِ فِي الْغَضَبِ ، وَكَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى قَالُوا حِمَارٌ صَخَبٌ ، أَيْ كَثِيرُ النَّهَاقِ ، وَأَرَادَ بِالصَّخَبِ فِي الْبَيْتِ وَجِيبَ

(١) جاء في ظ : وقال أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار في ذكر أخطاء أبي تمام عقب قوله : « هيات زعزعت الأرض الوقور به » : « ومتى رأى خليفة قط وصف بأنه يغزو احتساباً بغير اكتساب ؟ إنما هذا يوصف به المطوعون من الفزاة ، ولا أعلم كيف قاده فهمه إلى هذا القول حتى قاله ؟ وعقب ابن المستوفى على هذا الكلام بقوله : وهو لا يكون مدحاً إلا على ما ذكره أبو تمام .

(٢) م ، ل ، س ، ظ ، هـ ب : « أسود الغاب » .

(٣) ظ : « خلفها »

الْقَلْبُ مِنَ الْفَرْعِ ، وَلَا يُلْتَفِتُ إِلَى مَا ذُكِرَ فِي مَعْنَاهُ سِوَى هَذَا^(١) . (ق) :
رَأَيْتُ بَعْضَهُمْ يَقُولُ لَيْسَ لِلْسَكْتَةِ تَحْتَ ، يَعْيْبُهُ بِقَوْلِهِ « تَحْتِهَا الْأَحْشَاءُ » وَهَذَا
جَهْلٌ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْإِشَارَةَ إِلَى آلَةِ الْكَلَامِ ، وَالسَّكُوتِ وَالْإِلْجَامِ لَا يَتَأْتَى إِلَّا
فِيهَا ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَذِكْرُ الْمُنْطِقِ وَالسَّكُوتِ يُشَارُ بِهِ إِلَى الْقَمِ ، وَكَذَلِكَ
الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ بِـ « تَحْتَ » يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي الْحَقِيقَةِ . عَلَى أَنْتَى مَا أَشْبَهَ هَذَا إِلَّا
بِمَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ الْمَعَانِي فِي قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصْبِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارٌ
وَذَلِكَ أَنَّهُ جَرَى فِي مَجْلَسِ أَبِي عَمْرٍو هَذَا الْبَيْتُ فَأَنْتَى عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ
وَاسْتِجَادُوهُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : « لَيْلٌ يَصْبِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارٌ » لَيْسَ بِحَسَنٍ .
فَحُكِيَ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو قَالَ : لِكُلِّ حَسَنَاءَ ذَامٌ . وَمَا أَظُنُّ هَذَا يَصِحُّ عَنْ مِثْلِ
أَبِي عَمْرٍو ، لِأَنَّ الْأَسْتِعَارَاتِ لَا يُسَلَّكُ فِيهَا هَذَا الْمَسْكَ وَلَا يُؤْخَذُ فِيهَا بِهَذَا
الْإِعْتِبَارِ ، وَلَا أَدْرَى مِنْ أَيْنَ أَنْسَبَ بِنَهْوِضِ الشَّيْبِ وَنَقَرٍ مِنْ صِيَاحِ اللَّيْلِ وَهُمَا
مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ ؟ !

(١) يَشِيرُ هُنَا إِلَى الصَّوْلِ ، فَقَدْ قَالَ فِي شَرْحِهِ : يَقُولُ مَنْ خُوفُ الرِّيحِ لَا يَطِيقُ الْكَلَامَ وَلَكِنْ
أَحْشَاءُهُ تَصْطَلِبُ ، يَرِيدُ أَنَّ الْفَرْعَ رُبَّمَا أَحْدَثَ صَاحِبَهُ ، فَخَرَجَتْ أَرِيَاخُ بَطْنِهِ ، وَيُقَالُ أَيْضاً هَذَا مَنْ
بِهِ أَدْرَةٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي رَجُلٍ آدَرٍ :

مَا زَالَ مِنْهُ الْحَقُّ وَاللَّجَاجَةُ
فِي حَاجَةٍ مِنْهُ وَغَيْرِ حَاجَةٍ
حَتَّى حَسْبَنَاهُ عَلَى دَجَاجَةٍ

وَقَالَ جَرِيرٌ :

لَهُمْ أَدْرُ تَصَوْتُ فِي خِصَامِهِ كَتَصَوْتُ الْجَلَّالِ فِي الْقَطَارِ

وَقَدْ أورد ابنُ الْمُسْتَوْدِيّ كَلَامَ الصَّوْلِ هَذَا وَعَقِبَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : لَوْ قَطَعَ قَسْرُهُ مَعْدُ قَوْلَهُ « تَصْطَلِبُ » أَقَى
بِالْمَعْنَى ، أَمَّا الْبَاقِي فَزِيَادَةُ قَبِيحَةٍ لَمْ يَرِدْهَا أَبُو تَمَامٍ وَلَا دَلُّ عَلَيْهَا شَعْرُهُ ، وَمَا اسْتَشْهَدَ بِهِ مِمَّا هَجَى بِهِ ذُووُ الْأَدْرِ
فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْخُوفِ ، إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَعْتَرِيهِمْ مِنْ رِيَاخٍ تَعْرِضُ لَهُمْ ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْرُوفٌ يَقَعُ مِنْهُمْ فِي الْأَمْنِ
لَا فِي الْخُوفِ . وَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : وَلَمَّا فَرِغْتَ مِنْ نَقْلِ ذَلِكَ وَقَعَ إِلَى كِتَابِ الْمَرْزُوقِ الْمُسَمَّى « كِتَابُ الْإِنْتِصَارِ
مِنْ ظُلْمَةِ أَبِي تَمَامٍ » فَوَجَدْتُهُ قَالَ عَقِبَ بَيْتِ أَبِي تَمَامٍ هَذَا : « ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ وَلَّى هَذَا الْمُنْهَزِمُ وَهُوَ مِنْ
خُوفِ الرِّيحِ لَا يَطِيقُ الْكَلَامَ [وَأَقَى بِمَا ذَكَرَهُ الصَّوْلِ إِلَى آخِرِ بَيْتِ جَرِيرٍ الَّذِي اسْتَشْهَدَ بِهِ] ثُمَّ قَالَ :
هَذَا لَفْظُهُ فِي تَفْسِيرِ الْبَيْتِ ، وَلَوْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَفْسَرُ أَذْفَى تَأَمَّلَ لَكِنِّي مُؤَوِّفَةٌ هَذَا الْغَوْصُ الْبَعِيدُ ، وَالْوَجْهُ أَنَّ
يَكُونُ الْمَعْنَى : أَلْجَمَهُ الْخُوفُ بِلِجَامٍ مِنَ السَّكُوتِ ، لَكِنِّ قَلْبُهُ يَجِبُ ، وَأَحْشَاءُهُ تَخْفِقُ ، حَتَّى صَارَ لَهَا كَالْجَلْبَةِ .

٥٦ أَحَذَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضَى يَحْتَثُّ أَنْجَى^(١) مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ^(٢)

« أَحَذَى » في معنى أعطى ، وهو يتعدى إلى مفعولين ، والمعنى : أعطى هذا المنهزمُ صَرْفَ الرَّدَى قَرَابِينَهُ . و « القَرَابِين » جُلُسَاءُ الملك ، واحدُهم قُرْبَان . [ع] وقوله : « أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ » يريد أن الهربَ أَنْجَى مَطَايَاهُ ، وهذا كما يقال لقد أَخَذْتُ أَكْرَمَ صَاحِبٍ مِنْ فُلَانٍ ، أى هو الكريمُ الْمُفْضَلُ عَلَى غَيْرِهِ^(٣) ، وبعضهم يروى : « إِلَى الْهَرَبِ » والرواية الأولى أجود ، وَمَنْ رَوَى : « أَزْجَى مَطَايَاهُ » فقد صَحَّفَ^(٤) .

٥٧ مُوَكَّلًا بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ^(٥) مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ

ويُروى : « يُشْرِفُهُ » أى يعلوه ، و « يُشْرِفُهُ » أى يُشْرِفُ عَلَيْهِ ، وهذا الفعل يُسْتَعْمَلُ تَارَةً بِحَرْفِ الْخَفْضِ وَتَارَةً بِغَيْرِهِ . وجعل « الطَّرَبَ » هنا الْخِفَّةَ مِنَ الْفَرَحِ خَاصَّةً لَمَّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهُ فِي ذَلِكَ ، وإن كَانَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْحُزْنِ وَالشُّوقِ الْمُبْرَحِ . والمعنى : أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَعْلُو مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَى الطَّرِيقِ هَلْ فِيهَا مَنْ يَتَّبِعُهُ^(٦) .

(١) م ، س ، هـ ب : « أَخَى » .

(٢) س : « مِنَ الرَّهْبِ » وبهامشها رواية الأصل . وقال في ظ : وبعضهم يروى « إِلَى الْهَرَبِ » ، والرواية الأولى أجود ، ويروى « عَلَى الْهَرَبِ » ، ويروى : « بِحَيْثُ أَخَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ » .

(٣) في ظ تكملة لكلام أبي العلاء هي : ومنه قول الباهلي :

أخو رغائب يعطيها ويمنعها يأبى الظلامة منه التوفل الزفر

(٤) في ظ قال أبو العلاء : ومن روى « أَزْجَى » فهو من أَزْجَى الْأَمْرِ إِذَا أَنْجَزَهُ ، ولا ينبغي أن يعدل عن « أَنْجَى » لأن الزاى جديرة بأن تكون مصحفة .

(٥) ل ، س : « يَفْرَعُهُ » وذكرت ظ هذه الرواية .

(٦) قال في ظ : هذا أكثر كلام أبي العلاء .

٥٨ إِنْ يَعْدُ^(١) مِنْ حَرْهَا عَدُوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ
أَوْسَعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ

« الظَّلِيمِ » ذَكَرُ النَّعَامِ ، وَهُمْ يَصِفُونَهُ بِالنَّفَّارِ وَالسَّرْعَةِ ، وَ « الْجَحْمَةُ »
مَعْظَمُ النَّارِ ، وَمِنْهُ الْجَحِيمُ . وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ لَشِدَّةِ الْحَرْبِ وَاضْطِرَامِهَا ،
وَ « الْجَاحِمُ » الَّذِي يُسَعِّرُهَا . يَقُولُ : خَلَّفْتُ بِهَا جَيْشَكَ يَقْتُلُونَ مَنْ فِيهَا ،
فَجَعَلْتَهُمْ حَطَبًا لِنِيرانِ الْحَرْبِ^(٢) .

٥٩ تِسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ
أَعْمَارُهُمْ^(٣) قَبْلَ نَضْجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ

هَذَا الْبَيْتُ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ النَّاسُ ، وَذَكَرَهُ الصَّوْلِيُّ رَادًّا عَلَى مَنْ طَعَنَ فِيهِ
فَقَالَ^(٤) : إِنْ كَانَ هَذَا لِأَنَّ التِّينَ وَالْعِنَبَ لَيْسَ مِمَّا يُذَكَّرُ فِي الشَّعْرِ وَأَنَّهُ مُسْتَهْجَنٌ
فَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ :

سَقِيًّا لِحُلُوانِ ذِي الْكُرُومِ وَمَا صُنِّفَ مِنْ تِينِهِ وَمِنْ عِنَبِهِ
وَذَكَرَ أَيْبَاتًا غَيْرَهَا ، وَقَدْ عَابَهُ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَدْرِ قَصْدَهُ . وَكَانُوا يَقُولُونَ :
إِنَّمَا يَفْتَحُ مَدِينَتَنَا أَوْلَادُ الزَّنَا ، فَإِنْ أَقَامَ هَؤُلَاءِ إِلَى زَمَانِ التِّينِ وَالْعِنَبِ لَمْ يُفْلِتْ
مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَبَلَغَ الْمُعْتَصِمَ قَوْلُهُمْ فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ يَكْفِيَنِي اللَّهُ أَمْرَهُمْ قَبْلَ
نَضْجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ ، فَأَمَّا رَوَايَتُهُمْ أَنَّهُ لَا يَفْتَحُ مَدِينَتَهُمْ إِلَّا أَوْلَادُ الزَّنَا فَمَا
أُرِيدُ أَكْثَرَ مَنْ مَعِيَ مِنْهُمْ ، يَعْنِي الْأَتْرَاكَ الَّذِينَ كَانُوا فِي جَيْشِهِ . وَقَدْ بَيَّنَّ
هَذَا فِي قَوْلِهِ « السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ » (ع) : وَيُقَالُ إِنْ بَعْضُ

(١) ظ : « إِنْ تَعْدُ » .

(٢) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْكَلْبِيِّ الْعُرْفِيِّ :

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا يَا حَزِيمُ بْنُ طَارِقٍ فَقَدْ تَرَكْتَ مَا خَلْفَ ظَهْرِكَ بَلْقَمًا

قَالُوا : « مِنْهَا » أَيْ مِنْ فَرَسِ الْكَلْبِيَّةِ ، يَقُولُ : إِنْ تَنَجَّ مِنْ فَرَسِي فَقَدْ تَرَكْتَ مَا وَرَاقَكَ مِنَ الْأَرْضِ
الْمَلَوَّةِ بِمَالِكَ وَجَيْشِكَ خَالِيًا ، أَيْ اسْتَأْصَلْتَهُ وَغَلَبْتَكَ عَلَيْهِ .

(٣) س ، د ، هـ : « جُلُودُهُمْ » - وَرَوَايَةُ الْأَصْلِ بِهَامِشٍ س .

(٤) رَاجِعْ أَخْبَارَ أَبِي تَمَامٍ : ص ٣٠ .

مَنْ كَانَ بعمورية من الرهبان قال إننا نجد في كتبنا أنه لا يفتح هذه البلدة إلا ملك يغرس في ظاهرها شجر التين والكرم ويقيم حتى يثمر ، فأمر المعتصم بأن يغرس التين والكرم ، فكان الفتح قبل ذلك ، فاستعار النضج للأعمار لما قبله بنضج التين والعنب .

٦٠ يا رَبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتُثَّ دَابِرُهُمْ

طَابَتْ وَلَوْ ضُمَّخَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطِبْ

« الحوباء » النفس ، وينشد :

وكان آدم حين حان مماته أوصاك وهو يجود بالحوباء
بنيه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الأبناء

[ع] و « اجْتُثَّ دَابِرُهُمْ » أى قُطِعَ أصلهم ، وقيل استؤصل آخرهم ، والمعنيان متقاربان . و « التضميخ » الإطلاء بالطيب ، قال الراجز :

يا ابن كُسيب ما علينا مبدخ
قد غلبتكَ كاعب تَضْمَخُ^(١)

و « طَابَتْ » : من الطيب الذى هو سرور النفس ، لا من الطيب الذى هو أرج الرائحة ، وكذلك قوله : « لم تطب » فى آخر البيت ، لأن النفس المهمومة وإن تَضْمَخَتْ بالطيب ففاحت ريأه غير طيبة لما تجدد من الهم ، وهذا من قوله طاب لنفساً بكذا .

٦١ وَمُعْظَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ

حَى الرِّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيَّتَ الْغَضَبِ

أى ورُبَّ مُعْظَبٍ على الكُفْرِ رَدَّةُ الظُّفْرِ بهم هكذا^(٢) . [ص] وفى

(١) ذكر ابن المستوفى هذا الشرح بلفظه لأبى العلاء ولم يذكر الراجز .

(٢) فى ظ ذكر الحارزنجى وجهين لمعنى البيت : أحدهما موافق لشرح التبريزى ، والآخر هو : يقول ورب ملك عظيم منهم كان مغضباً مفتاعاً على المسلمين فأوقعت السيوف به ، نأحيت رضاه من إهلاكها إياه ، وأماتت غضبه .

البيت طباقان : الحى والميت ، والرضا والغضب .

٦٢ - والحرب قائمة في مأزق لجج تجثو القيام به صغراً^(١) على الركب

« المأزق » أصله من الأزق وهو الضيق ، ومأزق مفعّل من ذلك .
« ولجج » من قولهم لجج في الشيء إذا نشب فيه فلم يخلص ، وقد يقال مكان لجج أى ضيق . ويروى « تجثو الكماة به » فى مكان « القيام » .
و « الكماة » جمع كمتى ، وهو الذى قد كمتى نفسه بالسلاح ، وكأنه جمع كام ، مثلما يقال قاض وقضاه ، ولكنهم يعبرون عنه بأنه جمع كمتى ، لاشتراك فاعل وفعليل ، فى الواحد ، كما يقولون علماء جمع عالم ، وحقيقته أنه جمع عليم مثل كبير وكبراء . [ع] والمعنى : أن القوم يجثون على الركب لثقل ما حملوه من أمر الحرب ، وهذا كما قال الثقي :

إن حملوا لم نرم مواقفتنا وإن حملنا جثوا على الركب .

٦٣ كم نيل تحت سناها من سنا قمر وتحت عارضها من عارض شنب

« تحت سناها » أى سنا الحرب ، وهو ضوءها . « من سنا قمر » أى من ضوء جارية كالقمر سبيت . و « عارضها » أى عارض الحرب التى تمطر المتنايا . وقوله « من عارض شنب » يعنى عارض الأسنان ، يقال للنايب والضرس الذى يليه عارض ، والشنب برز الأسنان ، ويقال حدة أطرافها .

٦٤ - كم كان فى قطع أسباب الرقاب بها إلى المخدرة العذراء^(٢) من سبب

[ع] « الأسباب » الأشياء التى يتوصل بها إلى غيرها ، ولذلك قيل للحبل

(١) م ، د : « جثوا » ورواية الأصل بهامش م - ل ، ظ : « صغراً » (بعين مهملة) وفسرها فى ظ بقوله : أى متكبرين . وقال الصولي : ويروى « قسراً » ، ويروى « صغراً » وهو تصحيف .
(٢) م - « الحسناء » .

سَبَب ، و «أسبابُ الرقاب» يعنى ما فيها من العروق ، شَبَّهَهَا بالحبال :
و «المُخَدَّرَة» ذات الخدر ، والأجودُ ها هنا أنْ يعنى بها المرأة ، وتكون
شائعة في الجنس ، ولا يمتنع أن يعنى بها عَمُورِيَّة ، لأنه قد شَبَّهَهَا بالبكر
في أول القصيدة .

٦٥ كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً
تَهْتَزُّ مِنْ^(١) قُضْبٍ تَهْتَزُّ فِي كُشْبٍ

[ع] يريد قُضْبُ الحديدِ الهندي أو قُضْبُ الصَّنْعِ الهندي أو نحو ذلك ،
ويُقَالُ لل سيفِ الدقيق العَرَضُ قُضْبٌ وهو ضدُّ الصفيحة . ويعنى بـ «قُضْبٍ»
الثانية قُدُودًا تشبَّه بالقُضْب . و «كُشْبٍ» جمعُ كُشِبٍ من الرمل ، أى هذه
القُضْبُ في أعجاز مثل الكُشْب .

٦٦ بَيْضٌ إِذَا انْتَضَيْتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ
أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَتْرَابًا^(٢) مِنْ الْحُجْبِ

«انتَضَيْتْ» سُلَّتْ ، و «حُجْبِهَا» أَعْمَادُهَا ، و «الْحُجْبِ» الثاني
حِجَالُ النِّسَاء ، و «أَتْرَابٍ» جمعُ تَرَبٍ . ويروى «أبدانًا» وهى من صفات
نساء الروم . [ص] وفى البيت تجنيسٌ وتصدير ، فالتجنيسُ بَيْضٌ وَبَيْضٌ ،
والتصديرُ رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصِّدْرِ ، قال فى النصف الأول حُجْبِهَا ثُمَّ قَنَقَى
بِالْحُجْبِ .

٦٧ خَلِيفَةَ اللَّهِ جَا زَى اللَّهُ سَعِيكَ عَنْ
جُرْثُومَةِ الدِّينِ^(٣) وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
وَيُرَوَّى «كَافَا اللَّهُ سَعِيكَ»^(٤) . وَجُرْثُومَةُ الشَّىءِ أَصْلُهُ .

(١) م : «فى» . (٢) م ، س ، د : «أبدانًا» وهى فى هامش ب ، م - ل .
«أقرانًا» - وقال الصول فى شرحه ويروى «أحق بالبيض من خدر ومن حجب» .
(٣) ل ، ظ ، هـ : «جرثومة الملك» - وفى ظ : قال أبو العلاء : ويروى «جرثومة الدين» .
(٤) وهى رواية ل ، د .

٦٨ بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى^(١) فَلَمْ تَرَهَا
تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ
[ص] مثله قولُ الراجز :

جُنْتُ طَلِيحًا رَاكِبًا طَلِيحًا
تَعَبْتُ فِي السَّيْرِ لِأَسْتَرِيحًا

٦٩ إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ^(٢) الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ
مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ

٧٠ فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نَصِرْتَ بِهَا
وَبَيْنَ أَيَّامِ بَذْرِ أَقْرَبِ النَّسَبِ

٧١ أَبَقْتُ بَنَى الْأَصْفَرَ الْمِمْرَاضِ^(٣) كَاسِمِهِمْ
صُفَرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ

٧١ - [٤] الرومُ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو الْأَصْفَرِ ، وهم فيما يزعم أهلُ الكتاب من ولد العيص بن إسحق بن إبراهيم ، وبعضُ الناس يقول : الروم جيلٌ قديم كان قبل إبراهيم . وقال « المِمْرَاض » لِيَسْدَلَ على أن صُفْرَتَهُ كَانَتْ مِنْ مَرَضٍ لَا مِنْ خَلْقَةٍ ، و « المِمْرَاض » الكثير المرض . وقال « كَاسِمِهِمْ » وهو يريد اسم أبيهم على المجاز ، لأنهم إذا ذُكِرُوا قِيلَ بَنُو الْأَصْفَرِ فَعُرِفُوا بِذَلِكَ فَصَارَ كَالِاسْمِ

(١) م : « العيا » ورواية الأصل هاشبا - م : « العظمى » .

(٢) م ، ظ : « مرور الدهر » ، وقال ابن المستوفى : وفي نسخة « إن كان بين صروف الدهر » والذي أراه أن « مرور الدهر » أحسن لأن النصر في بار وعمورية ليس من صروف الدهر بل من حسناته وفي سائر الأصول التي بين يدي « صروف الدهر » . وفي أصل الصول « صروف » ولكن في كتابه الأخبار ص ١١٣ « مرور الدهر » .

(٣) م : « الأصفر المصفر » : وهماشها : ويروى « المعتل » ، ويروى « الممرض » أيضاً .

لهم ، وقد يجوز أن يُسمَّى نعتُ الرجل وكنيته ولقبه اسماً له • ، قال الشاعر :

بنو الأصفر اختارت على العربِ أسرةً بجفنة فابتاعت حماراً بأعوجاً

— هذا مثل ، أى اختارت الروم على العرب ، يعنى دخول جبلة بن الأيهم إلى بلاد الروم فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه — ويقال : إنما يقال للملوك الروم بنو الأصفر لأن حبشياً كان غلب على بلادهم فنكح فيهم ، فولد له أولادٌ يُخالطُ بياضهم صفرةٌ من سواده ، فازدادوا بذلك حسناً .

قال يمدح مالك بن طوق التغلبي^(١) :

١ لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجَعَ جَوَابِ
أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوِيهِ طُولُ عِتَابِ

الثاني من الكامل والقافية متواتر .

أى لو نَفَعَ لَعَتَيْتُهُ . و « الشَّأْوَان » تثنية شَأْوٍ ، وهو الطَّلَق . (ع)
واستعاره هاهنا للدهر ، وكأنه يذهب إلى فِعْلِهِ الشَّيْءَ وَضَدَهُ ، كالسَّرُورِ
والْحَزْنِ ، والغِنَى والفقر^(٢) ، ونحو ذلك .

٢ لَعَدَلْتُهُ فِي دِمْنَتَيْنِ بِأَمْرَةٍ^(٣) مَمْحُوتَيْنِ لِزَيْنَبٍ وَرَبَابِ

« الدِّمْنَةُ » أَثَرُ الْقَوْمِ فِي الدَّارِ ، وذلك ما يُرَى فِيهَا مِنَ الْبَعَرِ وَنَحْوِهِ ،
وهو الدِّمْنُ أَيْضًا [ع] وقوله : « بِأَمْرَةٍ » : كَأَنَّهُ اسْمُ مَوْضِعٍ ، وَيُرْوَى
« بِرَامَةٍ » وَرَامَةٌ أَكْثَرُ تَرَدُّدًا فِي الشَّعْرِ ، وَمَنْ رَوَى « بِأَمْرِهِ » فَلَهُ مَعْنَى
صَحِيحٌ ، وَتَكُونُ الْمَاءُ عَائِدَةً عَلَى الدَّهْرِ ، كَأَنَّهُ يَجْعَلُ لَهُ أَمْرًا مَقْبُولًا وَهُوَ أَحْسَنُ
مِنَ الْوَجْهِ الْأَوَّلِ ، وَهَذَا كُلُّهُ مُسْتَعَارٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا هُوَ « بِمِرَّةٍ » وَكَأَنَّهُ

(١) قال أبو بكر الصول في شرحه : أنشدنيها أحمد بن إبراهيم القيسي ، قال أنشدني محمد بن
روح الكلبي ، قال أنشدني أبو تمام هذه القصيدة لنفسه .

(٢) استدرك ابن المستوفى على كلام أبي العلاء هذا فقال : وهذا الذي ذكره أبو العلاء لا يستقيم ،
لأن العاقل لا يعتب الدهر على أن يكف شأؤه في السرور ولا في الغنى ولا في الشيء المحبوب ، وإنما يعتبه على
أن يكف شأؤه في ضد ذلك ، وهذا معلوم معروف . والذي أراه أنه إنما ثنى « الشَّأْوَيْنِ » لثنية « الدمنتين »
وأراد بشأويه هنا فعله هما ، والله أعلم .

وقال : وفي الحاشية : لم يستقم له الواحد فثنى ، والعرب تفعله تفخيماً ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :
« ما حق امرئ مسلم له ما يوصى فيه يبيت ليلتين وليس وصيته عند رأسه » ، وقال الشياخ :

كلا يومى طوالة وصل أروى ظنون ، أن ميطرح الظنون !

(٣) د ، هـ : في نسخة « تقادما » — ظ : وروى « في دمنتين تمفتا » .

قال : في دِمنتَيْن مَمَحَوَتَيْن بِمِرَّةٍ . قال : وصَحَّفَ الصولى فقال بأمرَّةٍ . ويقال مَحَوْتُ الْكِتَابَ إِذَا أزلْتُ أَثَرَهُ ، ومنه مَحْوَةٌ اسمٌ للشَّال ، وقيل هي الدَّبُور لأنها تمحو الآثار ، وقيل تَمَحَّو السَّحَاب . و « زَيْنَب » من أسماء النساء ، أَخَذَ مِنْ قَوْلِهِمْ زَنَيْبَتُ الشَّيْءِ إِذَا جَسَسْتَهُ ، وقيل إِذَا نَخَسْتَهُ . وقال قوم : الزَّنَبُ السَّمَن . و « الرَّبَاب » من أسماء النساء ، أَخَذَ مِنَ الرَّبَابِ الَّتِي هِيَ سَحَابٌ دُونَ السَّحَابِ الْأَعْلَى ، وقلما يستعملون الرَّبَابَ بِغَيْرِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ ، فَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ :

مَا بَالُ أَهْلِكَ^(١) يَا رَبَابُ خُزْرًا كَأَنَّهُمْ غَضَابُ ؟ !
فإنما حذَفَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ لِأَجْلِ حَرْفِ النَّدَاءِ كَمَا يُجْتَنَبُ أَنْ يُقَالَ
يَا الْعَبَّاسُ . [ع] وهذه الأسماءُ المأخوذةُ مِنَ الْأَجْنَاسِ أَوْ مِنَ النُّعُوتِ مِثْلُ
النَّوَارِ وَالرَّبَابِ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ تُسْتَعْمَلَ بِالْوَجْهَيْنِ .

٣ ثِنْتَانِ^(٢) كَالْقَمَرَيْنِ حُفَّ سَنَاهُمَا

بِكَوَاعِبٍ مِثْلِ الدُّمَى^(٣) أَتْرَابِ

أَفْصَحُ اللَّغَتَيْنِ أَنْ يُقَالَ ثِنْتَانِ^(٤) . [ع] وَيَعْنِي بِالْقَمَرَيْنِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ،
وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ بِقَوْلِهِ : « كَالْقَمَرَيْنِ » أَنْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا كَالْقَمَرِ لَا أَنَّهُ
جَعَلَ الشَّمْسَ تُسَمَّى قَمَرًا ، وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ إِلَى أَفْهَامِ النَّاسِ ، وَالثَّانِي
جَيِّدٌ^(٥) .

٤ مِنْ كُلِّ رِيمٍ لَمْ تَرُمْ سُوءًا وَلَمْ

تَخْلُطَ صَبِيَّ أَيَّامِهَا بِتَصَابِي

« الرِّيم » الطَّبِيُّ الْأَبْيَضُ الْخَالِصُ الْبَيَاضُ ، وَأَصْلُهُ الْهَمَزُ ، وَيَجُوزُ أَنْ

(١) ب : « قومك » .

(٢) ظ ، د : « بنتان » .

(٣) ظ : « المها » .

(٤) في ظ : وثنتان كثيرة في أشتار الفصحاء .

(٥) قال ابن المستوفى : وهذا القول بالعكس أولى ، لأن فهم القمرين بثنية القمر أفهم ،

ولأن تشبيه كل واحدة منهما بما تشبه به الأخرى أحسن من تفضيلها في التشبيه على صاحبها ، وهذا ظاهر في الموضعين .

تُجْعَلُ الهمزةُ ياءً خالصةً فيقال ريم ، وقالوا في الجمع أَرَامَ بالهمز ، ولم يقولوا أريام ، وجاء به هنا على التذكير لأنه جعل المرأةَ ظبيًا ، وأصله أن يُقال في التأنيث ريمة كما يُقال عِلْجٌ وعِلْجَةٌ ، قال الهلالي :

إِنَّ الْحِبَالَةَ أَلْهَتْنِي عِبَادَتُهَا حَتَّى أَسُوقَ إِلَيْهَا رِيْمَةً شَخَصًا^(١)

— « الشَّخَصُ » القليلةُ اللَّبَنِ والظبيةُ القليلةُ اللَّحْمِ — وتَخَفِيفُ الرَّيْمِ في هذا الموضع أجودُ في صناعةِ الشعرِ لأنه يَصِيرُ مُجَانِسًا لـ « تَرْمُ » من قَبْلِ أُنْكَ لو بَسَّيْتُ مِينَ رَامٍ يرومُ اسمًا على « فِعْلٌ » لَقُلْتُ رِيْمَ ، وإذا هَمَزْتَ رِيْمًا « بَعْدَ مَنْ مُشَابَهَةٌ قَوْلُهُ « تَرْمُ » .

هـ أَذْكَتْ عَلَيْهِ^(٢) شِهَابَ نَارٍ فِي الْحَشَا

بِالْعَذَلِ وَهَنَا أُخْتُ آلِ شِهَابٍ

« أَذْكَتْ » من ذَكَتِ النَّارُ إِذَا اشْتَعَلَتْ . و « الشَّهَابُ » الشُّعْلَةُ من النار ، وكأنَّه يعنى بـ « آلِ شِهَابٍ » في القافية بنى شِهَابٌ من بَنَى يَرْبُوعٌ بنِ حَنْظَلَةَ بنِ مَالِكِ بنِ زَيْدِ مَنَاةَ بنِ تَمِيمٍ ، لأنَّهم في الْعَرَبِ مشهورون ، ومنهم عُتَيْبَةُ بنُ الْحَارِثِ بنِ شِهَابٍ أَحَدُ فُرْسَانَ الْعَرَبِ الثلاثةِ وهم : عُتَيْبَةُ وَيَسْطَامُ بنُ قَيْسِ الْبَكْرِى ثُمَّ الشَّيْبَانِي ، وعامرُ بنُ الطُّفَيْلِ الْكِلَابِيُّ ثُمَّ الْجَعْفَرِيُّ وَبَنُو شِهَابٍ هَؤُلَاءِ هم الذين عَنَاهُمْ لَبِيدٌ في قوله :

يَرْعُونَ مُنْخَرِقَ اللَّدِيدِ كَأَنَّهُمْ فِي الْعِزِّ أَسْرَةٌ حَاجِبُ وَشِهَابٍ^(٣)

(١) في هـ ب شرح لهذا الشاهد قال : « الشَّخَصُ » التي ليس لها ولد ، وأراد بالريمة امرأة حسنة تشبه الريمة ، يقول لصاحبيه شغلني عنكما ختل هذه المرأة ، وضرب الحبالاة مثلا لخلته إياها .

(٢) م ، ل ، س ، د ، هـ ب « عليك » .

(٣) الديوان ص ١٤٦ . وفيه ويروى « يرعون منعرج المسيل » . وقال « منخرق اللديد » حيث انخرق فضى ، واللديد جانب الوادى جميعاً وجهها ألد . حاجب هذا الدراى من بنى يربوع فيهم العز ، فيقول كأننا مثلهم .

٦ عَدَلًا شَبِيهَا بِالْجُنُونِ كَأَنَّمَا

قَرَأَتْ بِهِ الْوَرَهَاءُ شَطْرَ^(١) كِتَابِ

يقال عَدَلٌ وَعَدَلٌ ، والتَّحْرِيكُ هَا هُنَا أَمْثَلُ لَشَرْفِهِ عِنْدَ السَّمْعِ ،
و « شَطْرَ كِتَابِ » نَصْفُهُ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْكِتَابَ إِذَا قُطِعَ شَطْرُهُ ثُمَّ قُرِئَ
لَمْ يَفِدْ مَعْنَى وَكَانَ لَفْظُهُ كَالْهَدْيَانِ وَ « الْوَرَهَاءُ » الْحَمَقَاءُ^(٢) .

٧ أَوْ مَا رَأَتْ بُرْدَى مِنْ نَسْجِ الصَّبِيِّ

وَرَأَتْ خِضَابَ اللَّهِ وَهُوَ خِضَابِي ؟

[ق] يقول : ظَلَمْتَنِي إِذْ عَدَلْتَنِي وَأَنَا مُقْتَسِبِلُ الشَّبَابِ^(٣) . [ع]
وَأَدْخَلَ هَمْزَةَ الاسْتِفْهَامِ عَلَى الْوَاوِ الَّتِي لِلْعُطْفِ ، وَكَذَلِكَ يَفْعُلُونَ بِالْفَاءِ فَيَقُولُونَ أَوْلَسْمُ ،
أَفَلَسْمُ . وَإِنَّمَا حَمَلُوا الْكَلَامَ عَلَى أَنَّهُ مَقْطُوعٌ مِنْ شَيْءٍ مُتَقَدِّمٍ ، كَأَنَّهُ أَرَادَ فِي
التَّقْدِيرِ : مَا عَرَفْتُمْ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَمَا رَأَتْ بُرْدَى ، فَحَذَفَ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ ،
وَأَدْخَلَ الْهَمْزَةَ عَلَى الْوَاوِ فَقَلَبَتْ الْمَعْنَى مِنَ النَّفْيِ إِلَى حَالِ التَّقْرِيرِ ، أَيْ قَدْ رَأَتْ
بُرْدَى مِنْ نَسْجِ الصَّبِيِّ ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا سَمِعْتَهُ يَشْكُو الْفَاقَةَ : أَوْ مَا أَعْطَاكَ
فُلَانٌ مَالًا ؟ أَيْ قَدْ أَعْطَاكَ . وَقَوْلُهُ : « خِضَابَ اللَّهِ » يَعْنِي سَوَادَ شَعْرِ
الشَّبَابِ ، لَمَّا كَانَ الشَّائِبُ يَخْضِبُ شَعْرَهُ بِالْخِطْرِ^(٤) وَغَيْرِهِ جَازَ أَنْ يُجْعَلَ
سَوَادُ الشَّبِيَّةِ خِضَابًا .

٨ لَا جُودَ فِي الْأَقْوَامِ يُعْلَمُ مَا خَلَا

جُودًا حَلِيفًا فِي بَنَى عَتَّابِ

« بَنُو عَتَّابِ » مِنَ الْأَرَاقِمِ ، وَهُمْ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ

- (١) س ، ق : « نَصْفَ كِتَابِ » - م ، ل : « سَطْرَ كِتَابِ » ، وَقَالَ الصَّوَلِيُّ وَيُرْوَى « شَطْرَ » .
(٢) قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ : أَرَادَ أَنَّهَا عَدَلَتْهُ عَدَلًا التَّبَسُّ عَلَيْهِ مَعْنَاهُ وَلَمْ يَفْهَمْ مَغْزَاؤَهُ مِنْهُ ، فَأَشْبَهَ كَلَامَ
الْمُحَافِظِينَ وَمَا تَقْرَأُ الْمَرْأَةُ الْحَمَقَاءَ مِنْ شَطْرِ كِتَابِ قَطَعَ نَصْفَيْنِ .
(٣) وَتَمْتَعُ كَلَامَ الْمَرْزُوقِيِّ كَمَا فِي كِتَابِهِ : أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ
صِبْغَةً » فَقَدْ فُسِّرَ فِي بَعْضِ الْأَقْوَالِ أَنَّهُ عَزَّ اسْمُهُ أَرَادَ بِهَا الشَّبَابَ .
(٤) الْخِطْرُ بِالْكَسْرِ نَبَاتٌ يَجْعَلُ وَرَقَهُ فِي الْخِضَابِ الْأَسْوَدِ يَخْضِبُ بِهِ ، وَهُوَ شَبِيهُ بِالْكَمِّ .

عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط ، وإياتهم عتّى عمرو بن
كلثوم بقوله :

وعتّاباً وكلثوماً جميعاً بهم أحمى وأحمى المَجْجَرِينَا^(١)
و « الحليف » والمُحَالِفُ سَوَاءٌ ، وأصلُ ذلك من حَلَفَ يَمِينًا ، كأنَّ
الحلفاءَ يَحْلِفُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَنَّهُ لَا غَدْرَ بِهِ ، وكَثُرَ ذلك حتى قالوا
فلانٌ حَلِيفٌ لكذا وكذا أى مُلَازِمٌ له .

٩ مُتَدَقِّقًا صَقَلُوا بِهِ أَحْسَابَهُمْ^(٢)

إِنَّ السَّاحَةَ صَيْقَلُ الْأَحْسَابِ

١٠ قَوْمٌ إِذَا جَلَبُوا الْجِيَادَ^(٣) إِلَى الْوَعَى

أَيَقَنْتَ أَنَّ السُّوقَ سُوقُ ضِرَابِ

١١ يَا مَالِكَ ابْنَ الْمَالِكِينَ وَلَمْ تَزَلْ

تُدْعَى لِيَوْفَى نَائِلٍ وَعِقَابِ

١١ - [ع] ويروى : « ابن المالكين » على التثنية^(٤) ، كأنه في نسبته
رَجُلَانِ يُعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَالِكٍ ، وَإِذَا رُوِيَ بِالْجَمْعِ احْتَمَلَ وَجْهَيْنِ :

(١) البيت من معلقته المشهورة ، وروايته في شرحى التبريزى والزوزنى على المملقات :

وعتّاباً وكلثوماً جميعاً بهم نلنا تراث الأكرمين

(٢) ظ ، هـ س : « أيامهم » .

وفى شرحه قال ابن المستوفى : قال الخارزنجى . المتدقق : الفائض ، والمعنى : يقول : زينوا أحسابهم
وأيامهم بالجود وصقلوها فحسّنها ، ثم قال : وبالساحة تصقل الأحساب . . . وكأنه من قول الفرزدق :

إن المهالبة الكرام تحملوا دفع المكاره عن ذوى المكروه

زانا قديمهم بحسن فعالمهم وكريم أخلاق بحسن وجوه

(٣) قال الصولى : ويروى « قوم إذا ضربوا » فإن كان كذلك فى البيت تصدير - س :

« جلبوا العتاد » وهامشها « إذا جنبوا الجياد » .

وشرحه فى ظ : الضراب يكون بالسيوف والطعان بالرماح ، أى تقارب بعضهم إلى بعض فتضاربوا
بالسيوف . (٤) وهى رواية س .

أحدهما أن يَجْعَلَ كلَّ آبائِهِ مِثْلَهُ فِي الْفَضْلِ ، كما يُقال هو الكَرِيمُ ابنُ الكَرَماءِ ، والآخر أن يَجْعَلَ « المَالِكِينَ » جمعَ مالِكٍ مِنْ مَلِكٍ يَمْلِكُ كأنَّهم كانوا يَمْلِكُونَ الناسَ * .

١٢ لَمْ تَرَمْ ذَارِحِمَ بِبَائِقَةٍ وَلَا

كَلَّمْتَ قَوْمَكَ^(١) مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ^(٢)

يقول : لم تُؤذِ أحداً من أقاربك وذوي رحمتك . و « البائقة » الداهية ، يُقال باقتتهم تسبوقهم ، وكأنه يُراد بها العُصُومُ ، أخذتْ مِنْ بَوَاقَةِ المطر وهي الدُّفْعَةُ منه ، ومنه قيل للباطل بوق ، ولعل هذا البوق الذي يُنفخ فيه من هذا اشتقاقه ، لأنه إنما يُضْرَبُ به عند أمر يقع ، وقد تكلموا به قديماً .

١٣ لِلْجُودِ بَابٌ فِي الْأَنَامِ وَلَمْ تَزَلْ

يُمْنَاكَ^(٣) مِفْتَاحاً لِذَلِكَ الْبَابِ

١٤ وَرَأَيْتَ قَوْمَكَ وَالْإِسَاءَةَ مِنْهُمْ^(٤)

جَرَحِي بِظُفْرِ لِّلزَّمانِ^(٥) وَنَابِ

[خ] يقول : رأيتَ قومَكَ مُمْتَحَنِينَ قد شَمَلَتْهُمْ أخطوبُ الدهْرِ بمَوْجِدَتِكَ عليهم ، لِمَا كانَ منهم من الإساءة * .

١٥ هُمْ صَيَّرُوا تِلْكَ الْبِرُّوقَ صَوَاعِقاً

فِيهِمْ وَذَلِكَ الْعَفْوَ سَوَطَ عَذَابٍ^(٦)

أى هم الذين تَعَرَّضُوا لِغَضَبِكَ^(٧) .

(١) م : « قوماً » . (٢) ظ : « ولم تنهد إليهم من وراء حجاب » .

(٣) م - « كفاك » . (٤) ظ : وفي نسخة « والإساءة فيهم » .

(٥) س ، ظ ، د : « للخطوب » .

(٦) هـ ب ، هـ ش : « عقاب » .

(٧) قال الصولي في شرحه : يقول هم أذنبوا فاحتجت إلى أن تجعل لهم عقوبة ، وضر به مثلاً بالبرق

للغيث والصاعقة .

١٦ فَأَقِلْ أُسَامَةَ^(١) جُرْمَهَا وَاَصْفَحْ لَهَا

عَنْهُ وَهَبْ مَا كَانَ لِلْوَهَّابِ

[ص] « أُسَامَةُ » حتى من العرب^(٢) قطعوا في عَمَلِهِ فطردَ هَمْ فاعْتَدَرُوا وتابوا ، وشَفَعَ لهم أبو تمام فصَفَحَ عنهم * . [ع] وأَسَامَةُ من الأرقام وهم من رَهْط المملوح ، وإنما سُمُّوا بِأُسَامَةِ الذي يُرَاد به الأسد ، ولم يَحْكُ أحدٌ من الثقات أَنَّ الاسمَ شَيْءٌ مُسْتَعْمَلٌ ، ولكنه يُحْمَلُ على أَنَّ الهمزة فيه واو قلبتْ لُضْمَتِهَا وَكَوْنِهَا فِي أَوَّلِ الاسمِ فَكَأَنَّهُ وَسَامَةُ ، وإذا قيل بذلك احتمل مذهبين : أحدهما أَنَّهُ لَا يَتَبَيَّنُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا جَعَلَ فِيهِ وَسَمًا أَيْ أَثَرًا كَالْعَلَامَةِ ، والآخر أَن يكون من الوَسَامِ الذي هو الحُسْنُ وَحُمِلَ ذَلِكَ عَلَى الْعَكْسِ ، لِأَنَّ اللَّيْثَ يوصَفُ بِقُبْحِ الْمَنْظَرِ ، فيكون على قولهم لِلدِّبْغِ سَلِيمٌ وَلِلْمَهْلِكَةِ مَقَامَزَةٌ . وقوله « وَهَبْ مَا كَانَ لِلْوَهَّابِ » : « الوَهَّابُ » يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أحدهما أَن يُرَادَ بِهِ اللهُ سُبْحَانَهُ ، كما يُقَالُ لِلرَّجُلِ أَصْفَحْ عَنْ فُلَانٍ اللهُ وَلِوَجْهِهِ اللهُ ، وهذا أَبْلَغُ فِي صِفَةِ الْمَمْدُوحِ ، والآخر فِيهِ مَدْحٌ لِأُسَامَةَ ، كما يُقَالُ أَكْرِمَ فُلَانًا فَإِنَّهُ كَرِيمٌ^(٣) ، أَيْ هَبْ لَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ تَعَوَّدُوا أَنْ يَهْبُوا ، ومنه قَوْلُهُمْ فِي الْمَشَلِّ : اسْتَقِرْ رَقَاشٍ إِنَّهَا سَقَايَةٌ^(٤) .

١٧ رَفْدُوكَ فِي يَوْمِ الْكُلَابِ وَشَقَقُوا

فِيهِ الْمَزَادَ بِجَحْفَلٍ غَلَابِ

وَيُرْوَى « كَاللَّابِ »^(٥) جمع لَابَةٍ ، شَبَّهَ الْخَيْلَ فِي كَثَرَتِهَا بِهَا . « رَفْدُوكَ » أَيْ أَغَانُوكَ . [ع] و « يَوْمُ الْكُلَابِ » يَوْمٌ كَانَ بَيْنَ الْمَلِكَيْنِ

(١) ظ : ويروى « إساءة جرمها » (٢) الذي في شرح الصول : حتى من بني تغلب .

(٣) قال ابن المستوفى والأول أجود ، لأن الثاني جعل أسامة فيه اسم القبيلة وأعاد عليها الضمير مؤنثاً فإذا وصفها بالوهاب يكون قد رجع عن القبيلة إلى اسم الواحد ، وفي هذا بعد .

(٤) قال في مجمع الأمثال ١ : ٢٢٥ : رقاش مثل حذام مبنى على الكسر اسم امرأة ، يضرب في الإحسان إلى المحسن .

(٥) هي رواية س ، ورواية الصول « غلاب » كما جاء في أصل التبريزي ، وفي شرحه قال : =

شَرْحَبِيلُ بْنُ الْحَارِثِ عَمَّ امْرِئُ الْقَيْسِ وَأَخِيهِ سَلَمَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَقُتَيْلُ شَرْحَبِيلِ يَوْمئِذٍ ، قَتَلَهُ أَبُو حَنْشَلٍ عَصَمُ بْنُ النُّعْمَانِ التَّغْلِبِيُّ ، وَكَانَتْ بَنُو تَغْلِبٍ مَعَ سَلَمَةَ ، وَكَانَتْ تَمِيمٌ مَعَ شَرْحَبِيلِ ، وَهَذَا الْكَلَابُ الْأَوَّلُ وَأَمَّا الْكَلَابُ الثَّانِي فَكَانَ بَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ وَالرَّبَابِ وَبَيْنَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَقَوْلُهُ : « شَقُّوْا فِيهِ الْمَزَادَ » يُرِيدُ أَنْتَهُمْ أَرَاقُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْمَاءِ وَقَالُوا لَا نَشْرَبُ إِلَّا مِنْ الْكَلَابِ وَلَا مِثْنًا عَطَشْنَا . وَذَلِكَ عَنِّي الْأَخْطَلُ بِقَوْلِهِ :

وَأَخُوهُمَا السَّفَاحَ ظَمًا خَيْلَهُ حَتَّى وَرَدَنَ مِنَ الْكَلَابِ نِهَالًا (١)

١٨ وَهُمْ بَعَيْنِ أَبَاغٍ رَأْسُوا لِلْوَغَى

سَهْمَيْكَ عِنْدَ الْحَارِثِ الْحَرَّابِ

[ع] «أَبَاغٍ» بضم الهمزة وفتحها وكسرها ، والغين مفتوحة ، ورواية رابعة أَبَاغٍ ، مثل قَطَامٍ وَحَدَّامٍ . و «عين أَبَاغٍ» مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ كَانَتْ فِيهِ وَقَائِعُ فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ . و «الْحَارِثُ الْحَرَّابُ» مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ ، وَرَبَّمَا وَصَفُوا كُلَّ

= و يروى «كَلَابٌ» وهو جيد ، وفسره بقوله : والكَلَابُ الشديد الجراءة على أعدائه ، والكَلْبُ الكلب من هذا . وقال المَرْزُوقُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ : و يروى بعضهم «بِحِفْلٍ كَلَابٍ» وليس بشيء ، وقال ابنُ الْمُسْتَوْفَى : إنه (أى الصَّوْلُ) يدلُّ ثمَّ أخطأ ، وإنما الرواية الصحيحة «كَالَلَابِ» وهو جمع لابة ، يقال لابة ولاب ، كما يقال حاجة وحاج وساحة وساح ، واللَّوب جمع لوبة ، يقال لوبة ولوب ، ولابة ولاب . وتشبيه العرب الجيش بالرعان والهضاب والجبال أشهر من أن يحتاج إلى شاهد ، فأما قوله «كَلَابٌ شديد الجراءة» فهو ما لم يمه سمع عن فم ولا حكاة خلف عن ساف ، وأعجب منه اشتقاقه الكلب الكلب منه ، لأن الكلب داء يصيب الإنسان وغيره كالجنون ، قال آخر يشبه نشاط فرسه بالجنون :

كَلْبًا مِنْ حَسَنِ مَاءٍ مَسْبِهِ وَأَفَانِينَ فَوَادٍ مَخْتَبِلِ

وقد اشتق من الكَلْبِ - واحد الكَلَابِ - ابنية كثيرة ، فقليل مكلَّب وكلاب لصاحب الكلاب ، وقيل تكالب الرجلان إذا تشابها وتواطيا ، والأصل تشابها بالكلاب ، وقيل كالب فلان فلاناً ، قال أبو تمام :

كَانَ الزَّمَانُ بِكُمْ كَلْبًا فغادركم بالسيف والدهر فيكم أشهر الحرم
ويقال كلب الشتاء إذا اشتد برده . ومن شبه الجيش بالحرّة الفرزدق في قوله :

قَبِيتَ لَهُ مِنْ قُصُورِ الشَّامِ ضَمَرَهَا يَظْلُنَ شَرْقَ أَرْضٍ بَعْدَ تَغْرِبِ
حَتَّى أَنَاخَ مَكَانَ الصَّيْفِ مَعْتَصِبًا بِمُكْفَهَرِينَ مِثْلَ حَرَّةِ اللَّوْبِ

أراد بجيشين كثيرين كأنهما حرتان .

(١) الديوان ص ٤٥ . والرواية فيه : «جى الكلاب» .

ملك يُقال له الحارثُ بالحَرَّابِ . ويقال إن أول مَنْ وُصِفَ بذلك من مُلوكِ كِنْدَةَ ، ثم قِيلَ ذلك للحارث الغَسَّاني ، وإنشيد:

والحارثُ الحَرَّابُ حَلَّ بعَاقِلٍ جَدَثًا أَقامَ بِهِ ولم يَتَحَوَّلِ

وقال حاتم الطائي :

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى قُبَّةَ ذَا تَقْلَاعٍ لِلْحَارِثِ الْحَرَّابِ^(١) !
 وقوله : « راشُوا في الوَغَى سَهْمِيكَ » أي أعانوك، لأنَّ السهم لا يُسْتَفْعَ بِهِ حَتَّى يُرَاشَ ، ولذلك قالوا فلان يَرِيشُ قَوْمَهُ أَي يَنْفَعُهُمْ وَيُصْلِحُ أَمْرَهُمْ ، وإذا قالوا يَرِيشُ وَيَسْرِى أرادوا أَنَّهُ يَنْفَعُ وَيُضِرُّ ، قال الشاعر :

فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَسْرِى^(٢)

[ص] وكانت بنو تغلب مع النعمان يوم جاء الحارثُ بن أبي شمير إلى عَيْنِ أُبَاغٍ لِحَارِبَةِ النُّعْمَانِ فَهَزَمُوا الْحَارِثَ الْغَسَّانِي .

١٩ وَلِيَالِي الْحَشَّاءِ وَالثَّرَّارِ قَدْ

جَلَبُوا الْجِيَادَ^(٣) لَوَاحِقَ الْأَقْرَابِ

« الْأَقْرَابِ » الْخَوَاصِرُ . وَ « لَوَاحِقِ » ضَوَامِرُ . وَ « الْحَشَّاءِ » وَ « الثَّرَّارِ » مَوَاضِعَانِ كَانَتَا بَيْنَهُمَا وَقْعَتَانِ لَبْنِي تَغْلِبَ مَعَ قَيْسِ عَيْلَانَ [ع] وَقِيلَ إِنَّ الْحَشَّاءَ وَادٍ ، وَقِيلَ بَلْ نَهْرٌ ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا سُمِّيَ بِاسْمِ الْآخَرِ . فَأَمَّا الثَّرَّارُ فَتَنْهَرٌ مَعْرُوفٌ ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى الْبَلَدُ الَّذِي هُوَ فِيهِ الثَّرَّارُ . وَيُقَالُ قَدْ لَحِقَ أَبْطَلُ الْفَرَسِ وَإِطْلُهُ وَقُرْبُهُ إِذَا ضَمِرَ فَلَحِقَتْ خَاصِرَتُهُ بِمَا يَلِيهَا مِنْ بَطْنِهِ ، وَيُقَالُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ أَقْبَ الْبَطْنِ . [ق] وَكَانَ بَيْنَ قَيْسِ وَتَغْلِبَ عِنْدَ الثَّرَّارِ وَقْعَتَانِ فِي يَوْمَيْنِ : الْأَوَّلُ مِنْهُمَا كَانَ لَتَغْلِبَ فَأَكْثَرُوا الْقِتْلَى مِنْ قَيْسِ ، وَأَدْرَكُوا دِمَاءَهُمْ يَوْمَ الْخَابُورِ ، وَزَادُوا عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا . وَأَمَّا يَوْمَ الْحَشَّاءِ فَإِنْ تَغْلِبَ تُسَمِّيهِ يَوْمَ الدَّابِرَةِ وَقَصْدُ أَبِي تَمَامٍ أَنْ يَعْطِفَ

(١) الديوان ص ٣٦ .

(٢) البيت لعمير بن الحُباب . اللسان مادة « ريش » .

(٣) هـ س : ويروى « جنبوا الجياد » .

قلب مالك بن طوق على بني تغلب ، ومالك هو من بني جُشَم بن بكر ،
فذكره تعاونهما على قَيْس في الوقعات التي كانت بينهما وترافدهما ، وأن
كل واحد منهما إنما دافع الأعداء وناهضهم بالآخر * [ص] وهذا يوم كان
لِتَغْلِب على قيس ، قتلوا فيه عُمَيْر بن الحُبَاب السُّلَمِي بالشَّرَار على تل
الحَشَاك ، وقد ذكر هذا اليوم الأخطل فقال :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ عَلَى جَانِبِ الشَّرَارِ رَاغِيَةَ الْبَكْرِ^(١) *

٢٠ فَمَضَتْ كَهُولُهُمْ وَدَبَّرَ أَمْرُهُمْ

أَخْدَلَتْهُمْ تَذْبِيرٌ غَيْرَ صَبَوَابٍ
يقول : إنما حَمَلَهُمْ عَلَى خِلَافِكَ غِرَّتُهُمْ وَحَدَّ أَنْتَهُمْ .

٢١ لَارِقَةٌ الْحَضِرِ اللَّطِيفِ غَذَتْهُمْ

وَتَبَاعَدُوا عَنْ فِطْنَةِ الْأَعْرَابِ^(٢)

وصنفهم بقلة الخيرة بالأمور . [ع] « الأعراب » جَرَى الاصطلاحُ في
أَوَّلِ اللغة على أَنَّهُ يُقَالُ لِلَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْبَدَا وَأَعْرَابَ ، وَيُجْمَعُونَ عَلَى
أَعْرَابٍ ، وَالْعَرَبُ اسْمٌ جَامِعٌ ، يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى هُودٍ وَتَكَلَّمَ
بِهَذَا اللِّسَانِ مِنْ سُكَّانِ الْأَمْصَارِ وَغَيْرِهِمْ ، وَلَا يُقَالُ لِمَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْرَائِيلَ
عَرَبِيٍّ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ لِمَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَوْ مِنْ وَلَدِ
يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ * .

٢٢ فَإِذَا كَشَفْتَهُمْ وَجَدْتَ لَدَيْهِمْ

كَرَمَ النَّفْسِ وَقِلَّةَ الْأَدَابِ^(٣)

(١) الديوان ص ١٣٣ .

(٢) انتهى خرم ن الذي أشرنا إليه في ص ٣٤ .

(٣) في ظ : وروى الحارزنجي : « وكثرة الآداب » وقال : يقول تحت غرتهم وغفلتهم وحادثة
سهم كرم وأدب كثير .

٢٣ أَسْبَلْ عَلَيْهِمْ سِتْرَ عَفْوِكَ مُفْضِلًا

وَانْفَحْ لَهُمْ مِنْ نَائِلِ^(١) بَذْنَابِ

٢٣ - يُقَالُ نَفَحَ لَهُ بِسَجَلٍ وَبِذَنْوَبٍ إِذَا أَعْطَاهُ . [ع] و « الذَّنَاب » جَمَعَ ذَنْوَبٌ ، وَأَصْلُ الذَّنْوَبِ الدَّنْوُ الَّتِي فِيهَا مَاءٌ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِي الْغَيْثِ فَقِيلَ سَقَتْهُ السَّمَاءُ بِذَنْوَبٍ ، وَجَمَعَ ذَنْوَبٌ فِي أَدْنَى الْعَدَدِ أَذْنِبَةً ، عَلَى رَأْيِ مَنْ ذَكَرَهُ ، وَتَدَكَّرَهُ أَكْثَرُ ، وَقَدْ حُكِيَ فِيهِ التَّأْنِيثُ .

٢٤ لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَعْظَمُ أُسْوَةٍ

وَأَجْلُهَا^(٢) فِي سُنَّةِ وَكِتَابِ

لأنه كان كثير العفو ، و « الأسوة » و « الإئتساء » الاقتداء .

٢٥ أَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ الْقُلُوبِ رِضَاهُمْ

كَمَلًا^(٣) وَرَدَّ أَخَايِدَ الْأَخْزَابِ

[ع] « الْمُؤَلَّفَةُ الْقُلُوبِ » هُمُ الَّذِينَ ذُكِّرُوا فِي آيَةِ الصَّدَقَةِ^(٤) ، وَهُمْ قَوْمٌ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ رَغْبَةً فِي الْغَنَائِمِ وَالْغَنَاءِ ، مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ غَيْرِهِمْ ، مِثْلُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَأَبْنَى سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَالنَّضِيرُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ الَّذِي قَتَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبْرًا ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ ، وَالْعِيَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ ، وَهُمْ كَثِيرٌ . وَ « الْقُلُوبُ » الْأَجْوَدُ فِيهَا الْخَيْفُ لَأَنَّهَا مِنْ بَابِ الْحَسَنِ الْوَجْهِ ، وَيَجُوزُ النَّصْبُ عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْمَفْعُولِ بِهِ ، وَيَجُوزُ الرِّفْعُ وَهُوَ أَوْجَهُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : الْمُؤَلَّفَةُ الْقُلُوبُ مِنْهُمْ ، وَيَجُوزُ أَنْ

(١) م : « من نعمة » .

(٢) ب : « وأجلها » .

(٣) د ، ظ ، هـ ، م ، ب : « كرمًا » .

(٤) سورة التوبة : آية ٦٠ .

تَجْعَلُ «القلوب» بَدَلًا من المَضْمَرِ في «المؤلفَةِ» . و «الأحزَاب» كلُّ مَنْ
تَحَزَّبَ على الإسلام ، وأعرفُ ذلك أن يَغْنَى الذين شَهِدُوا غَزَاةَ الخَنْدَقِ
مِنَ المُشْرِكِينَ واليهود ، ولم يَرُدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ أَخَايَـذَ أولئك لِأَنَّهُ
لم يأخذْ مِنْهُمُ غَنِيْمَةً ، وإنَّهَا أرادَ أَخَايَـذَ أوطاسٍ وغيرها .

٢٦ والجَعْفَرِيُّونَ اسْتَقَلَّتْ ظُغْنُهُمْ^(١)

عن قَوْمِهِمْ وَهُمْ نُجُومُ كِلَابٍ

«الظُّغْنُ» الإِبِلُ بِنِ تَحْمِيلٍ مِنَ النِّسَاءِ ، ويقالُ لِلْمَرْأَةِ ظُغْنِيَّةٌ ، وكذلك
لِلْهُودَجِ ، ويقالُ لِكُلِّ مَنْ سَارَ قَدْ ظُغِنَ ، ويقالُ لِلنَّعْشِ ظُغْنٌ لَأَنَ الْمَيِّتَ
يَظُنُّ فِيهِ ، قال طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ :

حَتَّى يُقَالَ وَقَدْ عُولِيْتُ فِي ظُغْنٍ . ^(٢) إِنَّ ابْنَ أَرْوَى أَبُو قُرَّانَ مَحْمُولٌ
وَالْجَعْفَرِيُّونَ خَرَجُوا عَلَى الْجَوَّابِ وَنَابَذُوهُ ، فَلَمَّا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَعَلِمُوا
خَطَأَهُمْ رَجَعُوا .

٢٧ حَتَّى إِذَا أَخَذَ الْفِرَاقُ بِقِسْطِهِ

مِنْهُمْ وَشَطَّ بِهِمْ عَنِ الْأَجَابِ

٢٨ وَرَأَوْا بِلَادَ اللَّهِ قَدْ لَفَظَتْهُمْ

أَكْنَافُهَا رَجَعُوا إِلَى جَوَّابِ

٢٨ - يعنى بنى جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، كان قد وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِهِمْ ،
بِسَبَبِ أَنَّ غَنِيْمَةً قَتَلَتْ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَقَعَدَ بَنُو أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ عَنْ
نُصْرَتِهِمْ ، بَلْ أَعَانُوا عَلَيْهِمْ . فيقول : لا تَفْعَلْ أَنْتَ بِقَوْمِكَ مَا فَعَلَهُ أولئك
بِهِمْ ، فَارْتَحَلُوا عَنْ بِلَادِهِمْ وَجَاوَرُوا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، فلم يَحْمِلُوا

(١) د : «عيرهم» .

(٢) ب : «ابن عوف» ، ورواية الديوان ص ٣٢ :

حتى يُقَالَ وَقَدْ عُولِيْتُ فِي حَرَجٍ أين ابن عوف أبو قران محمول ؟

جوارهم ، وتَهَضُّمُوهم في بعض الأشياء ، فَطَعَنَتْ عنهم وهم لا يعلمون ، وسارت
بَنُو الحارث في إثرهم فلحقوهم في الموضع الذي يُقال له فَيَيْفُ الرِّيح ،
وهو اليوم الذي فُقِئَتْ فيه عَيْنُ عامرِ بنِ الطُّفَيْلِ بنِ مالكِ بنِ جَعْفَرِ
ابنِ كِلاب ، فرجَعَتْ بَنُو جَعْفَرٍ إلى جَوَابِ الكلابِ وكان أَسودَ - ويُقال
إنه قيل له جَوَابَ لأنَّه كان لا يحفر بَرًّا إلا خَرَقَهَا عن الماءِ كأنَّه يَجُوبُها
عنه ، وإياه عَنَتِ القائلة :

لَحَا الإلهُ أبا سَلَمَى بِفِرْتِهِ يومَ النَّسَارِ وَقُنَّبَ العَيْرِ جَوَابَا
شَبَّهَتْهُ بِقُنَّبِ العَيْرِ لِسَوَادِهِ - فلما رَجَعَتْ إليه بنو جَعْفَرٍ وجدوا
عنده ما يُحِبُّون ، ولَمَّا حَكَّمُوهُ حَمَلَ الدَّمَاءَ وَأَصْلَحَ بينهم . وفي ذلك
يقول لبيد :

أَبْنَى كِلَابٍ كَيْفَ تُنْفَى جَعْفَرُ وبنو ضَبِيَّةَ حَاضِرُوا الأَجَابِ
قَتَلُوا ابنَ عُرْوَةَ ثُمَّ لَطَّوْا دُونَهُ حَتَّى نَحَاكِمَهُمْ إلى جَوَابِ^(١)

٢٩ فَاتُوا كَرِيمَ الخِيَمِ^(٢) مِثْلَكَ صَافِحًا

عَنْ ذِكْرِ أَحْقَادٍ مَضَتْ وَضَبَابٍ

[ع] « الضَّبَاب » جمع ضَبَّ وهو الحِقْد ، وَعِطَفَهُ على « الأحقاد »
لاختلاف اللفظ ، ويجب أن يكون الضَّبُّ أَشَدَّ ثَبَاتًا في القَلْبِ من الحِقْدِ ،
لأنهم يصفون الضَّبَّ بالخَدِيعَةِ ، وإنما شَبَّهَ بالضَّبِّ الذي يحترش *

٣٠ لَيْسَ الغَيْبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ

لَكِنْ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

(١) لم يرد شعر لبيد هذا في ش ، وأثبتناه من نسختي ب ، ن - وفي ظ : قال ابن المستوفى :

وهذا مثل قول عروة السعدي في سلم بن زياد وكان هجاء فصحب غيره فلم يحده فقال :

عُتِبَ على سلم فلما هجرته وعاشت أحوالاً رجعت إلى سلم

وقال في الديوان (ص ١٤٦ ، ١٤٧) ضبيئة قبيلة . جب وأجباب آبار . قال الأصمعي :

ضبيئة هي الذين قتلوا عروة ، وقد كانوا قتلوا ابن أخ لجواب ، فقال جواب لا أدبه لأنهم قتلوا ابن أخي
فيكون قتيل بقتيل . « لَطَّوْا » سَتَرُوا ، وهو يلط دون قدره يستر .

(٢) ل : « النجر » .

٣١ قَدْ ذَلَّ شَيْطَانُ^(١) النَّفَاقِ وَأَخْفَتَتْ

بِيضُ السُّيُوفِ زُرَّيرَ أَسَدِ الْغَابِ

٣٢ فَاضْمُمْ أَقَاصِيَهُمْ^(٢) إِلَيْكَ فَإِنَّهُ

لَا يَزْخَرُ الْوَادِي بِغَيْرِ شِعَابِ

٣٢ - هذا مثل ضربته للمدوح وليبتي عمته ، يُقَالُ زَخَرَ الْوَادِي ، إِذَا جَاءَ بِسِيلٍ كَثِيرٍ فَارْتَفَعَ مَاؤُهُ كَمَا يَزْخَرُ الْبَحْرُ ، وَ « الشَّعَابُ » جَمْعُ شَعْبٍ وَهُوَ الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ .

[ع] وَيُقَالُ لِمَسِيلِ الْمَاءِ إِلَى الْوَادِي شَعْبٌ وَشُعْبَةٌ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَسْجِيءُ مِنَ الْجِبَالِ . يَقُولُ : فَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَدْحُوحُ لَا يَعْظُمُ شَأْنُكَ إِلَّا بِقَوْمِكَ وَأَقَارِبِكَ ، كَمَا أَنَّ الْوَادِي لَا يَعْظُمُ سَيْلُهُ حَتَّى تَدْفَعَ فِيهِ الشَّعَابُ الَّتِي حَوَّلَهُ ، فَتَأْلِفُهُمْ وَاجْمَعُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ عَضْدُكَ وَأَعْوَانُكَ عَلَى مَا يَكْسِبُكَ مَحْمَدَةٌ ، وَبِهِمْ تَعِزُّ .

٣٣ وَالسَّهْمُ بِالرِّيشِ اللَّوَامِ وَلَنْ تَرَى

بَيْتًا بِلَا عَمَدٍ وَلَا أَطْنَابِ

« اللَّوَامُ » هُوَ الَّذِي يُلَاقِمُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَذَلِكَ أَجُودُ الرِّيشِ عِنْدَهُمْ ، وَقِيلَ هُوَ أَنْ يَكُونَ بَطْنُ الرِّيشَةِ إِلَى ظَهْرِ الْأُخْرَى ، وَيُقَالُ سَهْمٌ لَأَمٍّ إِذَا كَانَ رِيشُهُ كَذَلِكَ ، وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِي قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

نَطَنُ عَنْهُمْ سُلُكَتِي وَمَخْلُوجَةٌ كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ^(٣)

« وَالْأَطْنَابُ » الْحِبَالُ الطَّوِيلَةُ ، وَالْقَصِيرَةُ مِنْهَا الْأَصْرُ ، الْوَاحِدُ إِصَارٌ .

(ق) وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَحْضِيَهُ بِهَذَا الْمَثَلِ عَلَى طَلَسَبِ الْمُؤَافَقَةِ وَتَرَكَ

(١) م : ١ : « سلطان النفاق » وبها مشأ رواية الأصل .

(٢) س ، م ، ل ، ق ، ب ، ن ، ظ : « قواصيمهم » .

(٣) العقد الثمين ص ١٥١ .

المخالفة ، إذ كانت المخالفة تُفْضِي بالعشيرة إلى التفاني ، وإذ كان سيِّدُ القَوْمِ لا تَتِمُّ سيادته إلا بتأليفه لهم ، وصبره على مكروههم ، واحتماله أذاهم ، وتحمل المشاق دونهم ، والصَّفْحُ عن جانيهم ، والتجَنُّبُ مِنْ جَرِّ الجرائير عليهم ، قال : وكذلك البيت إنما يَسْتَقِيمُ بِعَمَدِهِ وَأُطْنَابِهِ ، بل متى نَزَعَ بعضُ العَمَدِ أو قُطِعَ شيءٌ من الطُّنُبِ مال ولم يَسْتَوْ. وهَجَمَ ولم يَثْبُتَ .

٣٤ مَهْلًا بَنِي غَنَمٍ بَنٍ تَغْلِبَ إِنَّكُمْ لِلصَّيْدِ مِنْ عَدَنَانَ وَالصِّيَابِ

[ع] يقال فلانٌ لفلانٍ أى من ولده * ، قال الشاعر :

فَلَسْتُ لِحَاصِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْنَا نَجَالِدْكُمْ كَأَنَّا شَرَبُ خَمَرٍ
يَقُولُ لَسْتُ لَأَمٍّ حَاصِنٍ ، « والحاصنُ » الضيفة . و « الصَّيْدُ » جَمْعُ أَصِيدٍ ، يقال رَجُلٌ أَصِيدٌ إِذَا وُصِفَ بِالْكِبَرِ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ يُصِيبَ الْبَعِيرَ دَاءٌ فِي رَأْسِهِ فَيَمِيلُ عُنُقَهُ وَرَأْسَهُ وَيَسْتَفِخُ بِأَفْوَحِهِ ، وَهُوَ الصَّادُ أَيْضًا . وَيُقَالُ فُلَانٌ مِنْ صَيَّابِ الْقَوْمِ وَصَيَّابَتُهُمْ أَيْ مِنْ خِيَارِهِمْ ، قَالَ الرَّاجِزُ :

وَقَدْ وَسَّطْتُ مَالِكًا وَحَنَظَلًا
صَيَّابَتَهَا وَالْعَدَدَ الْمُجَلَّجَلًا

٣٥ لَوْلَا بَنُو جُشَمٍ بَنٍ بَكْرٍ فَيَكُمُ رُفَعَتُ خِيَامِكُمْ بِغَيْرِ قِبَابٍ

[ق] يقول : لولا بنو جُشَمٍ ما كان فيكم مُلُوكٌ ، و « بنو جُشَمٍ » رَهْطُ مَالِكٍ ، و « الْقِبَابِ » إِنَّمَا تَكُونُ لِلْمُلُوكِ وَ « الْخِيَامِ » لِأَوْسَاطِ النَّاسِ ، فَاسْتَعَارَهُمَا لِلْفَرِيقَيْنِ (١) .

(١) في ظ قال وأخذ قوله « رفعت خيامكم بغير قباب » من قول الفرزدق :

كسب ابن المارغة حين ولي إلى شر القبائل والديار
إلى أهل المضائق من كليب كلاب تحت أخيلة صنار
ألا لمن الإله بنى كليب ذوى الحمراء والعمد التصار

٣٦ يا مَالِكَ اسْتَوْدَعْتَنِي لَكَ مِنْهُ^(١)

تَبَقَى ذَخَائِرُهَا عَلَى الْأَحْقَابِ^(٢)

٣٧ يَا خَاطِباً مَدَحِي^(٣) إِلَيْهِ^(٤) بِجُودِهِ

وَلَقَدْ خَطَبْتَ قَلِيلَةَ الْخُطَّابِ

٣٧ - ذَمَّ أَهْلَ زَمَانِهِ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْغَبُونَ فِي مِثْلِهِ^(٥).

٣٨ خُذْهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدُّجَى

وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجِلْبَابِ^(٦)

٣٩ بِكَرًّا تُوَرِّثُ فِي الْحَيَاةِ وَتَنْشِي^(٧)

فِي السَّلْمِ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَسْلَابِ

٣٩ - [ع] « بِكَرٍّ » يَعْنِي الْقَصِيدَةَ ، فَكَأَنَّهُ جَعَلَهَا بِنْتًا لِلشَّاعِرِ ،
فَهِيَ تُوَرِّثُهُ وَهِيَ حَيَّةٌ لَمْ تَمُتْ ، أَيْ يَأْخُذُ الْجَائِزَةَ عَلَيْهَا ، وَالْأَجْوَدُ كَسَّرَ
الرَّاءَ فِي « تُوَرِّثَ » لِأَنَّهُ مَعْنَى الْمِيرَاثِ يَصِحُّ عَلَى ذَلِكَ لِأَبِيهَا ، وَإِنْ فُتِحَتْ
الرَّاءُ جُعِلَ الْمِيرَاثُ لَهَا وَلَا مَعْنَى لِلذَلِكَ ، لِأَنَّهُ لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنْ يَرِثَ الْإِنْسَانُ
إِلَّا وَهُوَ حَيٌّ . فَإِنْ جُعِلَتْ بِنْتًا لِلْمَمْلُوحِ لِأَنَّهَا قِيلَتْ مِنْ أَجْلِهِ حَسَنٌ أَنْ

(١) م : « ذَمُّ » .

(٢) س ، د ، ظ : « جَعَلْتُ إِلَيْهَا سَاقَةَ الْأَحْقَابِ » وَهَامِشُ س « تَبَقَى ذَخَائِرُهَا عَلَى الْأَعْقَابِ » -
وَقَدْ هَب ، ه ن : وَيُرْوَى « تَبَقَى عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَحْقَابِ » - وَفِي ظ : وَيُرْوَى « حَفَلَتْ إِلَيْهَا » وَفَسَّرَهَا
بِقَوْلِهِ أَيْ اجْتَمَعَتْ .

(٣) ه ش ، ه ب ، ه ن . ظ : وَيُرْوَى « مَدَحِي » .

(٤) س : « إِلَيْ » .

(٥) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْدِقِ : وَقِيلَ جَعَلَهَا قَلِيلَةَ الْخُطَّابِ لِعَلَّاهُ مَهْرَهَا ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا كَفٌّ سِوَاكَ .

(٦) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْدِقِ : عَبَّ عَلَيْهِ قَوْمٌ هَذَا الْبَيْتَ وَقَالُوا قَوْلُهُ « فِي الدُّجَى » وَقَوْلُهُ « وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ
الْجِلْبَابِ » شَيْءٌ وَاحِدٌ .

(٧) فِي ظ : وَيُرْوَى « وَتَنْشِي » .

يُروى بفتح الراء ، يُراد أنه يُجيزها وهو حتى فكأنها قد ورثته . وقوله :
« تَنْشَى فِي السَّلْمِ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَسْلَابِ » جَرَتْ الْعَادَةُ بِأَنَّ السَّلْبَ
يَكُونُ فِي الْحَرْبِ ، وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ تَأْخُذُ سَلْبَ الْمَدُوحِ - أَيْ مَا يَخْلَعُ
وَيَهَبُ - وَهِيَ فِي حَالِ السَّلْمِ ^(١) * .

٤٠ وَيَزِيدُهَا مَرُّ اللَّيَالِي جَدَّةً
وَتَقَادُمُ الْأَيَّامِ حُسْنَ شَبَابٍ

(١) وقال المرزوقي في ق : أَيْ هِيَ تَرِثُ أَمْوَالَ النَّاسِ فِي حَيَاتِهِمْ ، يَعْنِي مَا يَعْطُونَ عَلَيْهَا وَتَنْصَرَفُ
بِالْفَنَاءِ فِي حَالِ الصَّلَاحِ ، لِأَنَّهُمْ تَغْلِبُ أَنْفُسَهُمْ بِالْإِذْنِ فِيهَا . فَالرَّوَايَةُ عَنْهُ إِذْنُ « تَوَرَّثَ » بَفَتْحِ الرَّاءِ
وَفِي ظ : قَالَ الْأَمْدِيُّ قَوْلُهُ « تَوَرَّثَ فِي الْحَيَاةِ » : أَيْ تَصِيرُ مِيرَاثًا لَوْلَدِ الْمَدُوحِ وَأَهْلِهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ ،
لِأَنَّهُ افْتِخَارُهُمْ بِمَا فِيهَا مِنْ مَنَافٍ فِي حَيَاتِهِ كَافْتِخَارِهِمْ بِهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ . وَقَوْلُهُ « وَتَنْشَى فِي السَّلْمِ وَهِيَ كَثِيرَةُ
الْأَسْلَابِ » أَيْ تَقْتَضِبُ وَتَسْلُبُ مَعَانِيهَا كَمَا يَسْتَلْبِ الْمَحَارِبُ وَهُوَ فِي السَّلْمِ لَا فِي الْحَرْبِ .
وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوفَى أَيْضًا : وَيُرْوَى « يَكْرُ تَوَرَّثَ فِي الْحَرْبِ » مِنْ أَرْتِ النَّارِ أَيْ تَهْبِجُ وَتَنَارُ .
وَيُرْوَى « تَهَيَّأَ فِي الْحَيَاةِ » . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : هَذِهِ الشَّيْءُ أَهْيَدُ حَرَكَتِهِ ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ تَسِيرَ فِي الْبِلَادِ .

وقال يَمْدَحُ عُمَرَ بْنَ طَوْقٍ [بن مالك بن طوق التغلبي] (١) :

أَحْسِنُ بِأَيَّامِ الْعَقِيقِ وَأَطِيبِ
وَالْعَيْشِ فِي أَظْلَالِهِنَّ الْمُعْجِبِ

الأول من الكامل والقافية متدارك .

« العقيق » موضع بعينه ، وأصلُ العقيق الوادي ، فأما قولُ الفرزدق :
قنِي ودَعِينَا يَا هُنَيْدُ فإِنِّي أَرَى الْحَيَّ قَدْ شَامُوا الْعَقِيقَ الْبَانِيَا (٢)

فإنه يعنى بالعقيق البرقُ المُسْتَطِيل ، وأجاز بعضُ أصحابِ المعاني أن يكون العقيقُ السيوف . وقال : « أطيب » فصَحَّحَ الياءَ لأنَّ التعجبَ شأنه ذلك يظهر فيه التضعيفُ ويَصِحُّ الْمُعْتَلُّ إِذَا بَنِيَتْهُ بِنَاءَ الْأَمْرِ ، فأما إِذَا بَنِيَتْهُ عَلَى « مَا أَفْعَلْتَهُ » فَإِنَّهُ يَصِحُّ مُعْتَلِّهِ وَلَا يَظْهَرُ مُضْعَفُهُ ، تقول : مَا أَقُولُهُ لِلْحَقِّ ، وَمَا أَعَزَّهُ ، وَمَا أَشَدَّهُ ، فَتُدْغِمُ ، فَإِذَا صِرْتَ إِلَى لَفْظِ « أَفْعَلْتُ بِهِ » قُلْتَ : أَقُولُ بِهِ وَأَعَزُّ ، وَلَمْ يَقُولُوا أَعَزَّ بِفُلَانٍ أَلَسْتَ . [ع] وقوله : « فِي أَطْرَافِهِنَّ » (٣) وَيُرْوَى « فِي أَفْيَائِهِنَّ » (٤) و « فِي أَظْلَالِهِنَّ » فَإِذَا قِيلَ « فِي أَطْرَافِهِنَّ » أَرَادَ الْغَدَوَاتِ وَالْأَصَالِ وَالْأَسْحَارَ ، وَمَنْ رَوَى « فِي أَفْيَائِهِنَّ » أَرَادَ جَمْعَ الْفَيْئِ ، و « فِي أَظْلَالِهِنَّ » أَرَادَ جَمْعَ الظِّلِّ وَمَعْنَاهُ مَعْرُوفٌ .

(١) عن ظ .

(٢) النقاظ ص ١٦٨ .

(٣) وهي رواية س ، د ، ق ، هـ ب .

(٤) نقل ابن المستوفى من كلام أبي العلاء زيادة على ما أورده التبريزي : وهذا كما قال الطائي في

موضع آخر .

أَيَّامَنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافَهَا بِكَ وَالْيَالِي كُلُّهَا أَحْجَارُ

ثم قال : ورواية « أطرافهن » و « أفياهن » أولُ لأنه يأتي ذكر « أظلالهن » بعد . (انظر البيت ٤ من هذه القصيدة) .

٢ وَمَصِيفِهِنَّ الْمُسْتَظِلَّ بِظِلِّهِ سِرْبُ الْمَهَا وَرَبِيعِهِنَّ الصَّيْبُ
 « المَصِيفُ » يكون اسماً للوقت، ويكون مصدرًا ، وبعضهم يجعل المَصِيفَ
 في معنى المفعول مثل المَصِيع والمَكِيل ، فإذا كان كذلك حُمِلَ على أنه من صَيْفَ
 يُصَاف إذا أصابه الصَّيْفُ من المطر ، والصَّيْفُ مَطَرُ الصَّيْفِ و « السَّرْبُ »
 الجماعة من الظِّباء ، وبقر الوحش ، والقَطَا ، والنِّسَاء . و « المها » ها هنا بِقَرَرِ
 الْوَحْشِ ، وأصل المَهْمَاةِ الْبَلْوَرَةُ ، وقيل للبقرة الوحشية مَهْمَاةٌ لبياض ظهرها ،
 ويقال للأسنان مَهْمَاً وللشمس مَهْمَاةٌ . [ع] وقوله : « وربيعهن الصَّيْبُ »
 يريد المطر الذي يكون في الربيع ، ويجوز أن يعنى بالربيع الوقت ، ويصفه
 بالصَّيْبِ لأنَّ المطر يَصُوبُ فيه ، فيكون على قوله لَيْلٌ نائمٌ أى يكون فيه النوم .

٣ أَصْلُ كَبْرُدُ الْعَصْبِ نَيْطٌ إِلَى ضَحَى

عَمِيقٍ بِرِيحَانِ الرِّيَاضِ مُطِيبٍ

[ع] « أَصْلُ » جاء به مُوَحَّدًا ، وقيل أَصْلُ جمع أَصِيل مثل رَغِيف
 وَرُغْفُ^(١) فَمَنْ نطق به على التوحيد فلا كلامَ فيه ، ومن جعله جمعَ أَصِيلٍ
 أجراه مُجَرَّى الْجُمُوعِ الَّتِي تُحْمَلُ عَلَى الْجِنْسِ فَتُوحَّدُ ، كما قال :
 هُمْ يَمْنَعُونِي إِذْ زِيَادُ كَأَتَمَّا يَرَانِي أَخْلَاءَ بِقَفِّ مُوضَعَا^(٢)
 فقال « أَخْلَاءَ » فجمع ، ثم قال « مُوضَعَا » فَوَحَّدَ ، لأنه ذَهَبَ مذهبُ
 الجنس كما قال الراجز :

بَنَالَ سُهَيْلٌ فِي الْفَضِيخِ^(٣) ففَسَدَ

وَطَابَ أَلْبَانُ اللَّقَاحِ وَبَرَدَ

(١) قال ابن المستوفى يستدرِكُ على أبي العلاء : « أَصْلُ » جمع أَصِيلٍ وليس بمفرد .
 (٢) « أَخْلَاءَ » جمع خَالٍ ، والخال العزب الذي لا زوجة له وكذلك الأنثى بغير هاء ، أو هو
 جمع خَلُو وخَلَى . و « الْقَفِّ » وإد من أودية المدينة . و « الْمَوْضَعُ » الخنث .
 (٣) « الْفَضِيخُ » عصير العنب ، وهو أيضاً شراب يتخذ من البُسر المفضوخ وحده من غير أن
 تسم النار وهو المشدوخ .
 وشرح الراجز كما جاء في اللسان (مادة بول) : أى لما كان الفضِيخُ يفسد بطلوع سهيل كان ظهوره
 عليه مفسداً له فكانه بال فيه ، والمعنى أنه يسكر شاربه فيه ففسده .

و « نَيْطَ » عَلَّقَ ، وقوله : « كَبُرْدِ الْعَصَبِ » أى هو حَسَنَ فِيهِ نَقُوشٌ ، وأصل الْعَصَبِ عندهم الْغَزْلُ ، ثم قِيلَ لضَرْبٍ مِنَ الْبُرْدِ عَصَبٌ لِأَنَّهَا مِنَ الْغَزْلِ تَكُونُ ، وَالْعَصَبُ عندهم من ملابس الْمُلُوكِ ، ويروى لِيَزْفُرَ بِنِ الْحَارِثِ :

أَتَجْعَلُ أَجْلَافًا عَلَيْهَا عِبَاؤَهَا كَكَندَةِ تَمَشَّى فِي الْمَطَارِفِ وَالْعَصَبِ ؟
وَذَكَرَ الضُّحَى وَالْمَعْرُوفُ تَأْنِيثُهَا .

٤ وَظِلَالِلِهِنَّ^(١) الْمُشْرِقَاتِ بِخُرْدٍ

بِيضٍ كَوَاعِبَ غَامِضَاتِ الْأَكْعُبِ

[ع] جَعَلَ الظَّلَالَ مُشْرِقَاتٍ ، وَإِنَّمَا الْإِشْرَاقُ لِلشَّمْسِ ، وَهَذَا مِنْ صِنْعَةِ الشَّعْرِ لِأَنَّهُ وَصَفَ الظَّلَالَ بِمَا تُوصَفُ بِهِ الشَّمْسُ^(٢) .

وقوله : « غَامِضَاتِ الْأَكْعُبِ » يَقُولُ : هُنَّ مُنْعَمَاتٌ لَيْسَ لِأَكْعُبِ أَرْجُلِهِنَّ حَدٌّ^(٣) ، بَلْ هُنَّ دُرْمٌ^(٤) الْكُعُوبِ .

٥ وَأَغْنٍ مِنْ دُعْجِ الطُّبَّاءِ مُرَبِّبٍ

بُدُلْنِ مِنْهُ أَغْنٍ غَيْرَ مُرَبِّبٍ

« أَغْنٍ » فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ يَعْنِي بِهِ ظَهَبِيًّا مِنَ الْإِنْسِ ، يُقَالُ ظَهَبِيٌّ أَغْنَى إِذَا كَانَتْ فِيهِ غِنًى ، وَالْغِنَةُ تُسْتَحْسَنُ فِي الصَّوْتِ .

وقوله : « مِنْ دُعْجِ الطُّبَّاءِ » هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ طَرَفٌ أَدْعَجَ أَيْ أَسْوَدَ ، وَلَيْسَ أَدْعَجَ إِذَا وَصِفَ بِشَدَّةِ السَّوَادِ ، وَالْأَصْلُ أَنْ يُقَالَ أَدْعَجَ الْعَيْنَ ، وَلَكِنْ أَوقَعُوا الصِّفَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ كَمَا تَقَعُ عَلَى بَعْضِهِ ، يَقُولُونَ رَجُلٌ أَزْرَقٌ وَإِنَّمَا الزَّرْقَةُ لِلْعَيْنِ .

(١) س : « وظالطن » .

(٢) قال الصول « ظلالهن » جمع ظلة وهي البناء المشرف .

(٣) قوله : « هن منعمات ليس لأكعب أرجلهن حد » لم يرد في نسختي ب ، ن .

(٤) « كعب أدرم » لا حجم له لغيوبته في اللحم .

وقوله في عجز البيت : « أَغْنَىٰ غَيْرَ مُرْتَبٍ » يعنى وحشياً لم يُرْتَبْهُ الإنسان .

٦ لَللّٰهِ لَيْلَتُنَا وَكَانَتْ لَيْلَةً
ذُخِرَتْ لَنَا بَيْنَ اللَّوَىٰ فَالشُّرْبُ

« اللَّوَىٰ » أصله مُسْتَرْقُ الرَّمْل ، وقد يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى اللَّوَىٰ مَوْضِعًا بعينه . [ع] و « الشُّرْبُ » موضع ^(١) ، ويقال إنه نَبَتٌ ، وإذا حُمِلَ عَلَى ذلك فالمراد الموضعُ الَّذِي يُنْبِتُ هَذَا النَّبَتِ . وَمَنْ رَوَى « الْعُلَيْبُ » ^(٢) فَهِيَ رَوَايَةٌ رَدِيَّةٌ ، لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي رَافِعٍ ، وَهُوَ اسْمُ وَادٍ * . قَالَ الشَّاعِرُ :
فَإِمَّا تَقْطُ سَمَرًا تُنْجِعُ حَاجِرًا ^(٣) مَوَادَّ بَيْنَ الْأَحْصَى فَعُلَيْبٍ
فَبَشَّرَ بَنَى حَاجٍ بِنَوَى غَزِيرَةٍ مِنْ التَّجَمُّ أَوْ نَوَى بِنَوَى بَعْقَرَبٍ

٧ قَالَتْ وَقَدْ أَعْلَقْتُ كَفِّيَ كَفَّهَا :

جَلَاوَمَا كُلُّ الْحَلَالِ بِطِيبٍ

أى قد جَمَعَ هَذَا الَّذِي أَحَلَّتْ لِي مِنْ نَفْسِهَا أَنَّهُ حَلَالٌ ، وَأَنَّهُ طِيبٌ مُسْتَلَذٌ ^(٤) .

٨ فَنَعِمْتُ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ

مِنْ نُورِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ

أى نَعِمْتُ مِنْ جَارِيَةٍ كَالشَّمْسِ فِي حُسْنِ وَجْهِهَا وَنُورِهَا ، إِلَّا أَنَّهَا إِذَا حُجِبَتْ خَرَقَ نُورُ وَجْهِهَا الْحِجَابَ فَبَدَتْ ، وَالشَّمْسُ بِخِلَافِ ذَلِكَ .

(١) الشرب جبل في ديار بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم (معجم ما استعجم ص ٧٩٠) .
(٢) هي رواية م ، ل ، د . وجاء في ظ : في نسخة « العليب » وهو وادٍ لهذيل . وقال ابن دريد في الجمهرة : يقال في العليب عليب ، وما جاء على وزن العليب مثله . وقال الصولي : ليس في كلام العرب اسم على « فَعِيل » إِلَّا عَلَيَّبَ وهو اسم وادٍ (وانظر اللسان مادة علب ، معجم ما استعجم ص ٩٦٥) .
(٣) روايته في ب ، ن : « تمنع زائداً » ، والحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادى ويحيط به .
(٤) قال ابن المستوفى : فأما إذا لم يقل حلا طيباً أو هم أن ما بذلته من الحلال غير طيب .

٩ وَإِذَا رَنْتَ خِلْتَ الظُّبَاءَ وَلَدَنْهَا

رَبِيعِيَّةً وَاسْتَرْضِعْتَ فِي الرَّبْرِ

أصلُ «الرُّنْوِ» إدامةُ النَّظَرِ فِي سَكُونٍ . و «الرَّبْعِيَّةُ» ، الذي يُولَدُ فِي أَوَّلِ النَّتَاجِ . والمعروفُ في «الرَّبْرِ» أنه القَطِيعُ من بقرِ الوَحْشِ ، وزعم بعض أهل اللغة أن الأراوِيَّ وبقرَ الوحشِ يدخلن في جنسِ الظباء . (ق) : ولا تكاد الظبيةُ تَرْنُو إِلَّا وقد نَصَّتْ جِيدَهَا وَنَصَبَتْهُ ، فيقول : إِذَا رَنْتَ هذه المرأةُ قَدَرَتَهَا غَزَالًا نُتِجَ فِي أَوَّلِ النَّتَاجِ ، وذلك أَقْوَى لها في جِيدِهَا وَحُسْنِ عُنُقِهَا ، وخلتَها جُودَرًا فِي حَوَرِهَا وَعَيْنِهَا^(١) .

١٠ إِنْسِيَّةٌ إِنْ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا

جَنِيَّةُ الْأَبَوَيْنِ مَا لَمْ تُنْسَبِ

(ع) : يقول : هذه المذكورةُ إِذَا نُسِبَتْ عَلِمَ أَنَّهَا إِنْسِيَّةٌ ، وَإِذَا لم تُعَرَفْ ظَنَّ أَنَّهَا جَنِيَّةٌ لِحُسْنِهَا ، وذلك أَنَّهُم كانوا إِذَا رَأَوْا شَيْئًا يَرُوقُ فِي الْحُسْنِ نَسَبُوهُ إِلَى الْجَنِّ ، وكذلك إِذَا رَأَوْا بِنَاءً مُحْكَمًا أَوْ فَارِسًا شُجَاعًا نَسَبُوهُ إِلَى الْجَنِّ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِعَظَمَةِ الْجَنِّ فِي نَفُوسِهِمْ ، وَالْمَلَايِكَةُ تُسَمِّيهِم الْعَرَبُ جَنًّا ، وَإِذَا وَصَفُوا الرَّجُلَ السَّيِّدَ قَالُوا هُوَ ابْنُ جَنِيَّةٍ ، يُرِيدُونَ أَنَّ أُمَّه كَرِمَةٌ مُخَالَفَةً لِمَا عَهْدُ مِنَ النِّسَاءِ^(٢) .

(١) ترك التبريزي شاهداً من كلام المرزوقي جاء في كتابه ، فقد ذكر بعد قوله « ولا تكاد الظبية ترنو إلا وقد نصت جيدها ونصبته » قوله : « والرابعة خير النتاج وأوله ، ولذلك قال من قال :

إِنْ بَنَى صَبِيَّةٌ صَبِيغُونَ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رَبِيعُونَ

والرجز جاء في اللسان (مادة ربيع) وفي نوادر أبي زيد ص ٨٧ ، وهو معزو فيهما لسعد بن مالك ابن ضبيعة .

(٢) نقل ابن المستوفي كلام أبي العلاء هذا ، وفيه بيت استشهد به أبو العلاء وتركه التبريزي هنا وهو قول حاتم :

بنو جنية ولدت سيوفاً صوارم كلها ذكرٌ صنيع
ثم ذكر ابن المستوفي بيتاً آخر لأبي دهل وهب بن زمعة الجمحي :
جنية أو لها جن تعلمها رى القلوب بهم ما له وتر

١١ قَدْ قُلْتُ لِلزَّبَاءِ لَمَّا أَضْبَحَتْ

فِي حَدِّ نَابٍ لِلزَّمَانِ وَمِخْلَبٍ

(٤) « الزَّبَاء » ها هنا مدينة خربة على شَطِّ الفُرَات ، والناس يُحَدِّثُونَ أنها كانت للزَّبَاء صاحبة جدية ، وأنها سُمِّيَتْ باسمها كما يُسَمَّى البلدُ باسم مَنْ بَنَاهُ . وقد قيل إن اليَمامَةَ سُمِّيَتْ بهذا الاسم لأجل امرأة كانت فيها ، ويُنشدون بيتاً يَزْعُمُونَ أنه لحسان الملك الذي قَتَلَ أهل اليَمامَةِ :

فَقَلْنَا فَسَمَّوْهَا الْيَمَامَةَ بِاسْمِهَا وَسَرْنَا وَقُلْنَا لَا نُرِيدُ إِقَامَتَهُ

وهذا حديثٌ قديمٌ لا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ ، ويُقال إنَّ عند الزَّبَاء مدينةً أُخْرَى يُقال لها زَلْبِيَا ، وأنها كانت لأخت للزَّبَاء ، تُعرَف بهذا الاسم ، فالناس يقولون إذا حَدَّثُوا عن هذا الموضع : كُنَّا بِزَبَا وَزَلْبِيَا .

١٢ لِمَدِينَةِ عَجَمَاءَ قَدْ أَمْسَى^(١) الْبَلَى

فِيهَا خَطِيباً بِاللِّسَانِ الْمُعْرَبِ

« عَجَمَاء » لا يَنْطَقُ فِيهَا نَاطِقٌ ، لكن البلى والتَغْيِيرُ بَيْنَ فِيهَا مُعْرَبٌ عَنْ ذَهَابِهَا ، وطابق بين العَجَمَاء والمُعْرَبِ .

١٣ فَكَأَنَّمَا سَكَنَ الْفَنَاءُ عِرَاصَهَا

أَوْ صَالَ فِيهَا الدَّهْرُ صَوْلَةً مُغْضَبِ^(٢)

١٤ لَكِنْ بَنُو طَوْقٍ وَطَوْقٌ قَبْلَهُمْ

شَادُوا الْمَعَالِي بِالثَّنَاءِ^(٣) الْأَغْلَبِ

١٤ - [ع] ذَكَرَ هَذَا الْبَيْتَ بَعْدَ ذِكْرِ الزَّبَاء ، لِأَنَّهُ طَوْقًا أَبَا هَذَا

(١) م : « قد قام » .

(٢) قال ابن المستوفى : التشبيه ههنا لا حاجة إليه ، وهو المعنى الأول ، إلا أنه بغير لفظه ، وفيه زيادة مبالغة على فنائها .

(٣) م ، د : « بالبناء » ، وقال ابن المستوفى : ويروى « بالبناء الأغلب » وهي رواية أبي العلاء .

الممدوح ذُكِرَ أَنَّهُ أَحْيَا الرَّحْبَةَ الَّتِي تُعْرَفُ بِرَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ ، وَكَانَتْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا الْمَاءُ وَالْقَصَبُ فَعَمَّرَهَا فِي زَمَانِ الرَّشِيدِ ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ بِفُرْصَةٍ نَعْمَ ، وَلَمْ يُذَكَّرْ أَنَّهُ شَيْدَ فِيهَا بِنَاءً ، فَأَرَادَ تَشْيِيدَهُمُ الْمَكَارِمَ ، وَأَنَّهَا لَا تَخْرَبُ كَخَرَابِ الْمَدَرِ * . فَكَأَنَّهُ خَاطَبَ الزَّبَاءَ وَقَالَ لَهَا : أَنْتِ خَرَابٌ مُتَغَيِّرَةٌ ، لَكِنْ بَنُو طُوقٍ وَأَبُوهُمْ بَنَوْا لِلْمَعَالَى بِنَاءً لَا يَخْرَبُ أَبَدًا وَإِنْ خَرِبَتْ الدُّنْيَا ، وَالْبَيْتُ الَّذِي بَعْدَهُ يُوَضِّحُهُ .

١٥ فَسَتَخَرَّبُ الدُّنْيَا وَأَبْنِيَّةُ الْعُلَى

وَقِبَائِهَا جُدُّ بِهَا^(١) لَمْ تَخْرَبْ

١٦ رُفِعَتْ بِأَيَّامِ الطَّعَانِ وَغُشِّيَتْ

رَقْرَاقَ لَوْنٍ لِلِسَّمَاحَةِ^(٢) مُذْهَبٍ

١٦ - يقول : رُفِعَتْ أَبْنِيَّةُ عَلَامٍ بِحُرُوبِهِمْ ، وَغُشِّيَتْ مِنْ سَمَاحَتِهِمْ لَوْنًا مُذْهَبًا .

١٧ يَا طَالِبًا مَسْعَاتِهِمْ لِيَنَالَهَا^(٣)

هَيْهَاتَ مِنْكَ غُبَارُ ذَاكَ الْمَوْكِبِ !

أَصْلُ السَّعَى الْمَشَى فِي الْحَاجَةِ ، ثُمَّ اخْتَصَصَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فَجُعِلَتْ الْمَسَاعَةُ الْمَكْرُمَةُ الَّتِي يُسَعَى لَهَا ، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ،

(١) م ، س ، د : « جدد لهم » - ل ، م ، هـ ب : « جدد بهم » .

(٢) م : « بالسماحة » .

(٣) م : « لتناولها » - ورواية البيت في س ، د :

يَا طَالِبًا مَسْعَاتِهِمْ لَسْتُ الَّذِي يَنْشَقُّ عَنْهُ غُبَارُ ذَاكَ الْمَوْكِبِ

وهي رواية الحارث زنجي كما جاء في ظ . وقال في شرحه : يا من يطلب مساعيتهم في الكرم وما سلف لهم من الأيام المشهورة المذكورة أقصر فإنك غير لائقهم . هذا كلامه ثم قال ابن المستوفى : وبين الروایتين فرق لطيف المعنى : الأول منهما أبلغ من الثاني ، لأنه في الأول أبعد عنه غبار موكبهم ، وفي الثانية جعله لا يدخل في غباره فينشق عنه وقد يكون على ذلك قريباً من الغبار ، ثم أكد المعنى بما بعده .

فيقال لذهاب الرجل إلى المسجد مَسْعَاةً، وإلى غيره، ولكن الكلمة غلبَ عليها لإرادة المَدْح كما غلبَ على قَوْلِهِم الساعى أن المراد به الذى يأخذ الصدقة من العرب .

١٨ أَنْتَ الْمُعْنَى بِالْغَوَانِ تَبْتَغِي
أَقْصَى مَوَدَّتِهَا بِرَأْسِ أَشْيَبِ

يقول : مَنْ طَلَبَ مَسَاعَاتِهِمْ فَقَدْ طَلَبَ مَا لَا يُدْرِكُهُ، وَجَارَى مَا لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ ، وَمَسَّرَ لِنَفْسِهِ مَنَازِلَ رَجُلٍ أَشْيَبَ مُعْنَى بِالْغَوَانِ يَطْلُبُ أَقْصَى مَوَدَّتِهِمْ وَقَدْ حَالَ الشَّيْبُ دُونَ ذَلِكَ ^(١) .

١٩ وَطِيَّ الْخُطُوبِ ^(٢) وَكَفَّ مِنْ غُلُوءِهَا
عُمَرُ بْنُ طَوْقٍ نَجْمُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ

« الْغُلُوءُ » الارتفاعُ والتجاوز .

٢٠ - مُلْتَفٍّ أَعْرَاقِ الْوَشِيجِ إِذَا انْتَمَى
يَوْمَ الْفَخَارِ ثَرَى تَرْبِ الْمَنْصِبِ

[ع] : أَصْلُ « الْوَشِيجِ » كُلُّ مَا وَشَجَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ ، أَيْ اتَّصَلَ ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي أَصُولِ الرِّمَاحِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِكُلِّ مَا اتَّصَلَ وَشِيجٌ . وَقَوْلُهُ : « ثَرَى تَرْبِ الْمَنْصِبِ » ، يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يُرِيدَ الْكُتْرَةَ فِي الْعَدَدِ . وَالْآخَرُ أَنْ يُرِيدَ أَنْ مَنْصِبَهُ مُثَرٍّ مِنَ الثَّرَى الَّذِي هُوَ النَّدَى ، أَيْ قَوْمُهُ كِرَامٌ . « وَالْمَنْصِبِ » الْأَصْلُ ^(٣) .

(١) قال ابن المستوفى : زاد أبو تمام زيادة حسنة بقوله « أقصى مودتها » فجعل ذلك مستحيلا لأن أدناها يتمتعر عليه فكيف أقصاها ؟ .

(٢) في ظ : وروى الخارزنجي « قصر الخطوب » أى كفها إما بشجاعة أو بسخاء .

(٣) قال ابن المستوفى : الذى أراد أبو تمام الوجه الثانى لأن عادته فى الاستعارة معروفة .

٢١ في معدن الشرف الذي من حليته

سُبِكَتْ مَكَارِمُ تَغْلِبَ ابْنَةِ تَغْلِبَ

[ع] يَتَّفِقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَشْيَاءُ تُسْتَعْمَلُ فِي مَوْضِعِ دُونَ مَوْضِعٍ ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَكْثُرُ فِي كَلَامِهِمْ تَغْلِبُ ابْنَةُ وَائِلٍ ، وَلَا يَقُولُونَ نُمَيْرُ ابْنَةُ عَامِرٍ ، وَلَا كِلَابُ ابْنَةُ رَبِيعَةَ ، وَلَوْ قِيلَ ذَلِكَ لِحَازٍ ، وَإِنَّمَا أُنْتُ لَأَنَّهُ أُرِيدَ الْقَبِيلَةُ ، فَقَوْلُهُ : « تَغْلِبُ ابْنَةُ تَغْلِبَ » كَأَنَّهُ أَرَادَ « بَتَغْلِبَ » الْأَوَّلَى الْقَبِيلَةَ الَّتِي مِنْ وَلَدِ تَغْلِبَ ، وَأَرَادَ بِ« بَتَغْلِبَ » الثَّانِي الْأَبَ ، وَهَذَا كَلَامٌ يُحْمَلُ عَلَى الْحَازِ * إِذَا كَانَ يَسُوءُ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ هُوَ مَوْجُودُ الْيَوْمِ مِنْ أَبْنَاءِ تَغْلِبَ : قَدْ جَاءَتْ تَغْلِبَ ، كَمَا يُقَالَ جَاءَتْ عَقِيلَ ، وَرَحَلَتْ فَرَازَةَ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ بَنُو الرَّجُلِ الْقَدِيمِ .

٢٢ قَدْ قُلْتُ فِي غَلَسٍ^(١) الدُّجَى لِعِصَابَةٍ

طَلَبْتُ أَبَا حَفْصٍ : مُنَاخَ الْأَرْكَبِ

أَيُ يُتْرَكُ عَلَيْهِ وَتُنَاخَ الرِّكَابُ بِفَنَائِهِ .

٢٣ الْكُوكَبُ الْجُشَمِيُّ نَضَبَ عِيُونِكُمْ

فَامْتَوْضِحُوا^(٢) إِيْضَاءَ ذَلِكَ الْكُوكَبِ

نَسَبَهُ إِلَى جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ بْنِ تَغْلِبَ ، وَجُشَمُ اسْمٌ مَعْدُولٌ مِنْ قَوْلِكَ جَشَمْتُ الْأَمْرَ ، وَيُقَالُ لَصَدْرِ الْفَرَسِ جُشَمٌ ، وَيُقَالُ لِلْفَرَسِ لِأَنَّهُ لِعَظِيمِ الْجُشَمِ إِذَا كَانَ نَبِيلَ الْمُحْزَمِ . قَالَ :

مِنْ كُلِّ هَرَجٍ^(٣) نَبِيلٍ مُحْزَمُهُ
يَدُقُّ لِابْنِزِيمِ الْحَزَامِ جُشَمُهُ

(١) م ، م : « غسق .

(٢) د : « فاستصبحوا » وهي في ه ب ، ه ش ، ه ن ، و روتها ظ .

(٣) الرجز في الأساس للعجاج ، وفي اللسان (مادة هرج) غير منسوب . قال : هرج الفرس

يهرج هرجاً وهو ميهراج وهو ميهرج وهراج إذا اشتد عدوه .

٢٤ يُعْطَى عَطَاءُ الْمُحْسِنِ الْخَضِيلَ النَّدَى
عَفْوًا وَيَعْتَذِرُ اعْتَذَارَ الْمُذْنِبِ

٢٥ وَمُرْحَبٌ^(١) بِالزَّائِرِينَ وَبِشْرُهُ
يُغْنِيكَ عَنْ أَهْلِ لَدِينِهِ وَمُرْحَبٍ

٢٥ - « مُرْحَبٌ » من قولهم رَحَبَ بهم إذا قال مَرَحَبًا . [ع] وقوله :
« عَنْ أَهْلِ لَدِينِهِ وَمُرْحَبٌ » يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أحدهما أن يُرِيدَ أَنْ النَّازِلَ
بِهِ يَغْنِي عَنْ أَهْلِهِ وَبِلَادِهِ الرَّحْبَةَ ، وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنْ بِشْرَهُ الَّذِي
يُظْهِرُ فِي وَجْهِهِ تَطْيِيبَ بِهِ نَفْسُ الزَّائِرِ فَيَسْتغْنَى عَنْ أَنْ يَقَالَ لَهُ أَهْلًا وَمُرْحَبًا .

٢٦ يَغْدُو مُؤَمِّلُهُ إِذَا مَا حَطَّ فِي

أَكْنَافِهِ^(٢) رَحْلَ الْمُكِلِّ الْمُلْغِبِ^(٣)

(المرزوقي) : انتصب « رَحْلَ الْمُكِلِّ » على الحال . « وَحَطَّ » فِي
أَكْنَافِهِ « كَلَامٌ تَامٌ » ، وَمَعْنَاهُ نَزَلَ بِفِنَائِهِ . يَقُولُ : رَاجِيَ هَذَا الْمَلُوحُ إِذَا
حَصَلَ بِجَنَابِهِ يَغْدُو وَهُوَ مَصَّابٌ لِلْمَسَافِرِ الَّذِي كَلَّتْ رَاحِلَتُهُ ، وَمَحَطٌّ لِرَحْلِهِ ،
لَأَنَّهُ يُغْنِيهِ وَيُعَلِّمُهُ الْكَرَمَ . قَالَ : وَظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ قَوْلَهُ : « رَحْلَ
الْمُكِلِّ » يُنْصَبُ بِـ « حَطَّ » ، وَجَعَلَ الْبَيْتَ لَا يَتِمُّ مَعْنَاهُ إِلَّا بِالَّذِي بَعْدَهُ ، وَلَيْسَ
فِي الْبَيْتِ تَضْمِينٌ كَمَا ظَنَّهُ فَيُعْيِيهِ .^(٤) [ع] وَ « الْمُكِلِّ » الَّذِي كَلَّتْ رَاحِلَتُهُ
وَ « الْمُلْغِبِ » الَّذِي قَدْ أَلْغَبَهَا بِالسَّيْرِ ، وَاللُّغُوبُ الْإِعْيَاءُ .

(١) فِي ظ : بِالْجَرِّ كَأَنَّهُ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ « يَضَاءُ ذَاكَ الْكَوْكَبِ » وَ بِالرَّفْعِ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ .

(٢) س : « أَفْنَائِهِ » .

(٣) هـ ب ، هـ ن : « الْمُتَعَبِّ » .

(٤) الَّذِي نَقَلَهُ التَّبْرِيزِيُّ هُنَا فِي كَلَامِ الْمَرْزُوقِ مُوجُودٌ فِي كِتَابِهِ ، وَكَذَلِكَ هُوَ مُوجُودٌ فِي كِتَابِ
ابْنِ الْمُسْتَوْفَى نَقْلًا عَنْهُ . وَأُورِدَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى كَلَامًا مِنْ كِتَابِ الْمَرْزُوقِ الْمُسَمَّى « بِالْإِنْتِصَارِ » هَذَا نَصَهُ :
وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ فِي كِتَابِ « الْإِنْتِصَارِ » : هَذَا مِمَّا يَعْيِيهِ الْعُلَمَاءُ بِالشَّعْرِ أَنْ لَا يَتِمَّ مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ إِلَّا فِي
الْبَيْتِ الثَّانِي ، وَهَذَا الْبَيْتُ مَكْتَفٍ بِنَفْسِهِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى مِمَّا تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو تَمَامٍ ، وَقَدْ كَرَّرَهُ فِي مُوَاضِعٍ ، فَهِيَ :
فَكَمْ لِحْظَةً أَهْدَيْتَهَا لِابْنِ نَكْبَةٍ فَأَصْبَحَ مِنْهَا ذَا عِقَابٍ وَفَائِلٍ =

٢٧ سَلِسَ اللَّبَانَةَ وَالرَّجَاءَ ^(١) بِبَابِهِ كَتَبَ الْمُنَى مُمْتَدَّ ظِلُّ الْمَطْلَبِ

أى سهّل الحاجة مُتَسَيِّرَهَا ، وكأنَّ أصلَ « اللَّبَانَةُ » أن يطلبَ الرجلُ من الآخرَ لِبَنًا ، ثم كَثُرَ ذلك حتى سُمِّيَتْ كلُّ حاجةٍ لبانةً . وتقديره : يَغْدُو مؤمِّلُهُ سَلِسَ اللَّبَانَةِ إذا ما خَطَّ في أكتافِهِ .

٢٨ الْجَدُّ ^(٢) شِيَمَتُهُ وَفِيهِ فُكَاهَةٌ سُجُّحٌ وَلَا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبْ

« فُكَاهَةٌ » أى مُزَاحٌ ، وجاء في الحديث عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أنه كان من أفكهِ الناسِ مع أهلِهِ وَأَزْمَتِهِمْ فِي الْمَجْلِسِ . و « السُّجُّحُ » اللَّيِّنُ ، يُقَالُ مَشَى مِشْيَةً سُجَّحًا . يقول : فِيهِ مُزَاحٌ وَلَعِبٌ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْجَدِّ فِي الْأُمُورِ .

٢٩ شَرِسٌ وَيَتْبَعُ ذَاكَ لَيْنَ خَلِيقَةٍ لَا خَيْرَ فِي الصَّهْبَاءِ مَا لَمْ تَقْطُبْ « الصَّهْبَاءُ » الْخَمْرُ ، وَقَطَبْتُهَا مَزَجْتُهَا . أَى لَا تَصْلُحِ الشَّرَاسَةُ إِلَّا

= ومنها :

إذا آمَلَ ساماهُ فَرَطَ فِي الْمُنَى مواهبه حتى يؤمِّلَ آملُهُ إلى نظائر له كثيرة يطول بذكرها هذا الفصل . وأظن أن هذا العائب جعل « رَحَلَ الْمَكْلَ » مفعول « حَطَّ » ، وجعل الثاني وأوله « سَلِسَ اللَّبَانَةَ » تمام قوله « يَغْدُو مؤمِّلُهُ » ، والصواب ما ذكرت ، لأنَّ حَمَلَ الكلام على وجه ينتفى العيب عنه أولى في اختيار كل مختار . ثم جعل قوله « سَلِسَ اللَّبَانَةَ » من صفة الممدوح ، لأن الأبيات التي بعده مقصورة عليها وناطقة بها .

وعقب ابن المستوفى على ذلك بقوله : وهذا هو المعنى الذى ذكره المرزوق أولاً ، إلا أنه بسطه هنا . ثم قال : وما تأوله المرزوق فبعيد جداً ، وقد أعمل قوم « غدا » و « قعد » إعمال « كان » وأخواتها ، فإذا كان كذلك فانتصاب « سَلِسَ اللَّبَانَةَ » لأنه خبر يَغْدُو ، وإن لم يعملوها انتصب على أنه حال ، وإن كان هذا وجهاً لا يخرج به من التضمن — على ما ذكره المرزوق — لا بأس به ، لكن ما ذكره غيره أولى ، وإن كان فيه تضمن .

(١) س ، ظ ، ل : « والرجاء » بالرفع . (٢) م ، د : « المجد » ورواية الأصل بهامش م .

باللّين ، كما أنّ الحمر لا تصلح إلاّ بالمرّج .

٣٠ صُلْبٌ إِذَا اعْوَجَّ الزَّمَانُ وَلَمْ يَكُنْ
لِيلِينَ صُلْبَ الْخَطْبِ مَنْ لَمْ يَصْلُبْ

ويروى : « ولم يكن ليدق^(١) صدر الخطب » .

٣١ الْوُدُّ لِلْقُرْبَى وَلَكِنْ عُرْفُهُ
لِلْأَبْعَدِ الْأَوْطَانِ دُونَ الْأَقْرَبِ

أى يخصّ قرابته بالودّ والحبة دُونَ العطاء لأنهم غير محتاجين ،
وعرفه لمن لا نسب بينه وبينه .

٣٢ وَكَذَلِكَ عَتَابُ بْنُ سَعْدٍ أَصْبَحُوا
وَهُمْ زِمَامُ زَمَانِنَا الْمُتَقَلِّبِ

ويروى : « وهم عقال^(٢) زماننا » . و « عتاب بن سعد » من تغلب ،
جعلته عقالاّ للدّهر يمتنع من التصرف بالمكروه .

٣٣ هُمُ^(٣) رَهْطٌ مَنْ أَمْسَى بَعِيدًا رَهْطُهُ
وَبَنُو أَبِي رَجُلٍ بِغَيْرِ بَنِي أَبِ

(ق) : يقول : يعتزّ بهؤلاء القوم الذليل الذى يتبعه ناصرُه منه إذا
استجار بهم ، وهم إخوان من لا إخوان له ، يؤاسونه ويتحمّلون
المشاقّ عنه .

(١) وهى رواية س .

(٢) وهى رواية س ، م د - وروهاظ .

(٣) م : « رهط لمن أمسى » .

٣٤ وَمُنَافِسِ عُمَرَ بْنِ طَوْقٍ مَا لَهُ
مِنْ ضِغْنِهِ ^(١) غَيْرُ الْحَصَى وَالْأَثْلَبِ

يقول : ليس لمنافسه ذي الضغن من إدراك رغبته منه إلا الخبيبة ،
وكنى عن ذلك بالحصى والأثلب ، وهو الحصى المخلوط بالتراب .

٣٥ تَعِبُ الْخَلَائِقِ وَالنَّوَالِ وَلَمْ يَكُنْ
بِالْمُسْتَرِيحِ الْعَرِضِ مَنْ لَمْ يَتْعَبْ

يقول : أخلاقه تعبئة ونواله لكثرة تصريفهما ، وفي ذلك راحة عرّضه
وصيانته ، وكذلك تفسير البيت الذي بعده .

٣٦ بِشَحْوِيهِ فِي الْمَجْدِ أَشْرَقَ وَجْهُهُ ^(٢)
لَا يَسْتَنْيرُ فَعَالٌ مَنْ لَمْ يَشْحَبْ

٣٧ بَحْرٌ يَطْمُ عَلَى الْعُفَاةِ وَإِنْ تَهَجَّ
رِيحُ السُّوَالِ بِمَوْجِهِ ^(٣) يَغْلُولِبْ

« يَطْم » أى يزيد ، وأصل « يَطْم » للبحر ثم استعير لغيره ، وأكثر
ما يُستعمل ذلك فى الشر ، حتى قيل للداهية طامة ، واستعمله ها هنا للخير
على معنى المستعار .

[ع] وأصل « اغلولب » فى غلظ العنق ، ثم استعمل فى غيره .
فقالوا نخل مغلولب أى غلاظ ، ونبت مغلولب أى كثير واتصل بعضه ببعض ،
وإن قيل إنه من غلب يغلب فغير بعيد * ، وأصل الغلب فى العنق من

(١) د ، ظ : « من صنعه » .

(٢) ظ : « لونه » .

(٣) م ، ظ ، هـ ب : « لموجه » .

الغلبة ، كأنه إذا كانت عُنْقُهُ غليظة حُكِمَ له بالقُوَّةُ وأنه يَغْلِبُ مَنْ صارَعَهُ^(١).

٣٨ والشَّوْلُ ما حُلِبَتْ تَدَفَّقَ رِسْلُهَا وتَجَفَّ دَرَّتْهَا إِذَا لَمْ تُحَلَّبْ

« الشَّوْلُ » جمع ناقة شائلة ، وهي التي قد أتى لها بعد نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية فقلَّ لَبْسُهَا . و « الرِّسْلُ » اللِّين و « تَدَفَّقَ » أى جاء بكثرة . و « ما حُلِبَتْ » فى موضع نَصْبٍ على الظرف ، أى مُدَّةَ حَلْبِهَا . يقول : هو للعفاة بِحَرٍّ ، وإن هيجَ بالسؤال كثرُ فَيَئُضُهُ ، ثم ضَرَبَ مَثَلًا لكثرة عطائه وإن سئل شيئاً بعد شيء ، فقال إنَّ الناقةَ الشائلَ إذا حُلِبَتْ تدفَّقَ رِسْلُهَا ، وإن لم تُحَلَّبْ جَفَّتْ دَرَّتْهَا^(٢) .

(١) من هنا خرم فى نسخة ب ينتهى عند البيت الثالث من القصيدة التالية .

(٢) قال الصول فى شرحه : والشول التى قد أدبرت ألبانها ، والواحدة شائل ، وهى أيضاً التى ترى

أنها لاقح ولم تلمح ، والجمع شول ، قال بشار :

تعطى الفريرة درّها فإذا أبت كانت ملامتها على الحلاب

وعقب ابن المستوفى على كلامه بقوله : وهذا يوم أنه إذا لم يسأل لا يعطى ، كالناقة الشائل إذا لم تُحَلَّبْ جف لبّنها ، وهذا قريب إلى الهجو . وقوله « الشول التى قد أدبرت ألبانها » صحيح ، فأما قوله الواحدة « شائل » بغير هاء فليس كذلك ، وقد تقدم قول الجوهري فيه . قال : هو جمع على غير قياس ، وقال فأما « الشائل » بلا هاء فهى الناقة التى تشول بذنبها للقاح ولا لبّنها أصلاً ، والجمع شول مثل راكم وركع ، وقال الآمدي : أراد أن هذا الممدوح يحود ويوسع ، فإن مثل أعطى وأكثر وزاد ، وذكر أن الشول ليست هذه حالها ، وأن ألبانها تدفّق إذا حلبت ، وتنقطع إذا لم تحلب . . . وإنما أخذ قوله « وتجفّ درتها إذا لم تحلب » من قول بشار : « والدَّ رُّ يقطعُه جفاء الحالب » أى يعطى ما استميج وسل . قال ابن المستوفى : وهذا التمثيل الذى ذكره أبو تمام إذا حمل على ظاهره لا يطابق الأول من كلا جانبيه ، لأن قوله « والشول ما حلبت تدفّق رسلها » بإزاء قوله « وإن تهج ريع السؤال بموجه يغلوب » فأما قوله « بحر يطم على العفاة » فليس بإزاء قوله « وتجفّ درتها إذا لم تحلب » ثم قال أخيراً : ولعلّ أعثر على جواب ما ذكرته فأقْبَى به ، والمعنى هو الذى ذكره الآمدي ، ولم يرد أبو تمام تشبيه الممدوح فى أحواله بالشول ، إنما نفى عنه أن يكون فى ابتدائه بالعطاء وسؤاله مثلها ، وعليه المعنى فى كتاب أبى زكريا .

٣٩ يا عَقْبَ طَوْقٍ أَيْ عَقْبِ عَشِيرَةٍ

أَنْتُمْ وَرُبَّتْ^(١) مُعَقِبٍ لَمْ يُعَقِبِ

يُقَالُ لَوْلَدِ الرَّجُلِ عَقْبُهُ وَعَقِبَهُ [ع] وقوله : « وَرُبَّتْ مُعَقِبٍ لَمْ يُعَقِبِ » أى أنك ربما رأيت الرجل وقد خلف أولاداً ليسوا نجباء فكأنه لم يُعَقِبِ ، إذْ كان وَلَدُهُ كالمعدومين ، وإنما يُحْمَدُ الولدُ إذا كان نائِباً عن أبيه أو زائداً عليه ، فلذلك يقولون أحيا فلان أباه^(٢) * ، قالت نادية النعمان ابنِ جَسَّاس :

أَحْيَا جَسَّاساً فَلَمَّا حَانَ مَصْرَعُهُ خَلَّى جَسَّاساً لِأَقْوَامٍ سَيِّحُنُونَهُ

٤٠ قِيدْتُ مِنْ عُمَرَ بْنِ طَوْقٍ هِمَّتِي

بِالْحَوْلِ الثَّبَتِ الْجَنَانَ الْقُلُوبِ

« قِيدْتُ هِمَّتِي » أى وقفْتُها عليه^(٣) . ويُقَالُ رَجُلٌ حَوْلٌ قُلُوبٌ إِذَا وُصِفَ بِالْحَزْمِ وَجَوْدَةِ الرَّأْيِ ، كَأَنَّهُ يُقَلِّبُ الْأُمُورَ وَيَحْتَالُ لَهَا إِذَا وَقَعَ فِيهَا . و« الْجَنَانَ الْقُلُوبِ »

٤١ نَفَقَ الْمَدِيحُ بِبَابِهِ فَكَسَوْتُهُ

عِقْدًا مِنَ الْيَاقُوتِ غَيْرَ مُثَقَّبٍ

« الْيَاقُوتِ » كلمةٌ قد استعملتها العربُ في كلمةٍ أعجميةٍ في الأصل ، وليس لها اشتقاقٌ في كلامهم لأنهم لم يحكوا أليقتُ .

٤٢ أَوْلَى الْمَدِيحِ بَأَنَّ يَكُونَ مُهَذَّبًا

مَا كَانَ مِنْهُ فِي أَغَرِّ مُهَذَّبٍ

(١) ظ : « وكم من معقب » .

(٢) قال ابن المستوفى ألم بقول طفيل الغنوي :

كريمة حر الوجه لم تدع هالكاً من القوم هلكاً في غد غير معقب

(٣) قوله : « قِيدْتُ هِمَّتِي أَيْ وَقَفْتُهَا عَلَيْهِ » لم يرد في ش .

٤٣ غَرَبْتُ خَلَائِقَهُ وَأَغْرَبَ شَاعِرُهُ^(١)
 فِيهِ فَأَحْسَنَ مُغْرِبٌ فِي مُغْرِبٍ
 أي شاعرٌ يأتي بغرائبِ المعاني في رجل غريب المكارم والأخلاق .

٤٤ لَمَّا كَرُمْتُ^(٢) نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقٍ
 حَقٌّ فَلَمْ آثِمُ^(٣) وَلَمْ أَتَحَوِّبْ
 ٤٤ - يقول : لَمَّا عَزَمْتُ عَلَى مَدْحِكَ نَطَقْتُ غَيْرَ كَاذِبٍ فِي وَصْفِكَ ،
 وَلَا آثِمٍ مُتَحَوِّبٍ . وَالْحُبُّ الْإِثْمُ .

٤٥ وَمَتَى^(٤) اِمْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتًى يَضِقُ
 عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبِ
 أي متى مَدَحْتُ غَيْرَكَ فَضَاقَ عَلَيَّ وَصْفُهُ بِالْحَقِّ اسْتَعْمَلْتُ الْكَذْبَ فِي
 موضعه^(٥) .

(١) س ، د : « وأصف » .

(٢) س : « لما عزمت » .

(٣) ظ « فلم أظلم » .

(٤) س : « ولو امتدحت » .

(٥) ن : « في وصفه » .

وقال يمدح الحسن بن وهب ، ويدكر خلعة خلعها عليه :

١ الحسن بن وهب كالغيث في انسكابه^(١)

٢ في الشرخ من حجه^(٢) والشرخ من شبابه

[ع] هذا الوزن لم يذكره الخليل فيما ذكر ، وإذا حُمِلَ على قياس ما قال فأشبهه الأشياء به أن يكون من المنسرح ، ويكون الضرب الثالث الذي هو :

* وَيَلْمُ سَعْدَ سَعْدًا *

مشطور هذا الوزن ، وقد يجوز أن يُحْمَلَ على أنه من الرجز ومن السريع ، ولا يوجد مثله في الشعر القديم ، وقد قالت مثله الشعراء في زمان بني العباس كقول القائل :

إبريقنا مُصَلَّ يركع في صلاته

٣ والخضب من نداه^(٣) والخضب من جنابه

٤ ومنصب نماء ووالد سماء به

٥ نطنب كيف شينا فيه ولم نحابه

٦ وحلة كساه^(٤) كالحلى^(٥) والتهابه

٧ فاستنبطت مديحاً كالأري في لصابه

٧ - « الأري » العسل ، و « اللصاب » جمع لصب وهو شق ضيق في الجبل .

٨ فراح في ثنائي ورخت في ثيابه

(١) س : « كالمزن وانسكابه » - ل ، ن : « كالغيث وانسكابه » .

(٢) س : « من نداه » . (٣) س : « من حجه » . (٤) ه ب : « كسافي » .

(٥) س : « كالحمر والتهابه » - ل ، ه ب : « في التهابه » .

وقال يمدح الحسن بن سهل^(١):

أَبَدْتُ أَسَى أَنْ رَأَتْنِي مُخْلِسَ الْقُصْبِ
وَأَلَّ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجْبٍ

الأول من البسيط والقافية مُتَرَكَبٌ :
أى أظهرتُ حُزْنَاً لَأَنْ رَأَتْنِي [مُخْلِسَ الْقُصْبِ] ^(٢) . «وَالْمُخْلِسُ»
من قولهم أَخْلَسَ رَأْسُهُ إِذَا ضَارَ فِيهِ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ ، وَالشَّعْرُ مُخْلَسٌ
وَمُخْلِسٌ . و «الْقُصْبُ» جمع قُصْبَةٍ وهى خُصْلَةٌ من الشَّعَرِ تُجْعَلُ كَهَيَاةِ
الْقَصْبَةِ الدَّقِيقَةِ ، وهى أَقْلٌ فَتَلَا من الضَّفِيرَةِ . ومن روى «الْقُصْبُ» بضم
الضاد فهو جمعُ قَصْبِيَّةٍ مثلَ صَحِيفَةٍ وَصُحُفٍ . يقال قَصْبَةٌ وَقَصْبِيَّةٌ
وَقُصْبَاةٌ . و «العُجْبُ» من الإعجاب والحُسن ، و «العَجَبُ» من التعجب
والإنكار . يقول : حَزَنْتُ لَشَيْبِ رَأْسِي ، وصارَ عندها مُنْكَراً بعد ما كانَ
أَسْوَدَ تَعَجَّبَ بِهِ .

٢ سِتُّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَاتَّبِعْهَا
إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظْلِمِ وَلَمْ تَحُبِّ

يقول : تدعوني إلى المَشِيبِ سِتُّ وَعِشْرُونَ سَنَةً فَأَجِيبُهَا ، ولم تَدْعُنِي
إِلَى الشَّيْبِ فى غيرِ وَقْتِهِ فَتَكُونُ ظَالِمَةً لى جَائِزَةٍ عَلَى ، فَإِنِى قَاسَيْتُ مِنَ الدَّهْرِ
مَا لَوْ شَبْتُ مَعَهُ فى الْمَهْدِ لَمْ يَنْكُرْ . و «الْحُبُّ» الإِثْمُ .

(١) م ، ل : وقال يمدحه (أى الحسن بن وهب) ، وقيل هى فى الحسن بن سهل . س : وقال
يمدح الحسن بن رجاء بن الضحاك .
(٢) ما بين المعقفين لم يرد فى نسخ التبريزى وأثبتناه من ظ فيما نقله ابن المستوفى عنه .

٣ يَوْمِي مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ مُشْتَهَرٌ

عَزَمًا^(١) وَحَزَمًا وَسَاعَى مِنْهُ كَالْحَقْبِ

«سَاعَى مِنْهُ» أَرَادَ جَمَعَ سَاعَةً كَمَا قَالَ الْقَطَامِيُّ :

وَكُنَّا كَالْحَرِيقِ أَصَابَ غَابًا فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَهْبُ سَاعَةً^(٢)
وَحَكَمِي بَعْضُهُمْ أَسْوَعُنَا بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَمْنَا سَاعَةً . يَقُولُ : شَيْبَى قَدْ تَأَخَّرَ
عَنْ وَقْتِهِ لِأَنِّي قَدْ جَرَّبْتُ فِي أَقَلِّ الْمُدَدِ مَا كَانَ يَوْمِي فِيهِ دَهْرًا وَسَاعِي فِيهِ
حَقْبَةً .

٤ فَأَصْغِرِي أَنْ شَيْبًا لَاحَ بِي حَدَثًا

وَأَكْبِرِي أَنَّنِي فِي الْمَهْدِ لَمْ أَشِبْ

«فَأَصْغِرِي» أَمْرٌ ، أَيْ لِيَصْغُرْ عِنْدَكَ ، وَ «أَكْبِرِي» أَيْ لِيَكْبُرْ .
[ع] وَ «أَنْ شَيْبًا» وَ «أَنَّنِي فِي الْمَهْدِ» «أَنْ» وَمَا بَعْدَهَا فِي مَوْضِعٍ
نَتَّصِبُ بِوُقُوعِ الْفَعْلِ عَلَيْهِ يَقُولُ : لَا تَعْجَبِي أَنْ شَبْتُ حَدَثًا فَإِنَّ ذَلِكَ
صَغِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ ، وَاسْتَغْظَمِي أَنَّنِي لَمْ أَشِبْ فِي الْمَهْدِ ، إِذْ كَانَتْ شَدَائِدُ
الزَّمَنِ تَوْجِبُ شَيْبَ الْطِفْلِ ، لَا سِيَّمَا إِذَا لَقِيَ كَمَا لَقِيتُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ
يُحْمَلَ عَلَى قَوْلِهِمْ أَكْرَمُ بَزِيدٍ ، لِأَنَّ النَّاسَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ اللَّفْظَ فِي ذَلِكَ
يُقَرَّرُ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ وَلَا يُغَيَّرُ فِي تَأْنِيثٍ وَلَا تَثْنِيَةٍ وَلَا جَمْعٍ ، وَيَزِيدُهُ ضَعْفًا
حَذَفُ الْبَاءِ مِنْهُ ، وَذَلِكَ لَا يُعْرَفُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : «أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ» .

٥ وَلَا يُورِّقُكَ^(٣) إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ

فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ

أَيْ لَا يَمْنَعَنَّكَ النَّوْمَ لَمَعَانُ الْقَتِيرِ - وَهُوَ ابْتِدَاءُ الشَّيْبِ بِرَأْسِي - فَإِنَّهُ
دَكِيلُ تَمَامِ رَأْيِي وَأَدَبِي ، وَضَرْبُ الْابْتِسَامِ مِثْلًا لِشَيْبَةِ الشَّيْبِ بِكَشْفِ الثَّغْرِ
لِلتَّبَسُّمِ .

(١) س : «حزماً وعزماً» . (٢) الديوان ص ٣٩ . (٣) د : «يردك» .

٦ رَأَتْ تَشَنَّهُ^(١) فَاهْتَجَ هَائِجُهَا

وقال لاعجها للعبرة : انسكي

« تَشَنَّهُ » من قولهم تَشَنَّنَ الجلدُ إذا خَلَّقَ ، ويقال للقربة والمزادة وكل شيء من الإديم يَخْلُقُ : شَنُّ ، قال الراجز :

قالت لتعيرى بذلك مُعلنه

برذنت^(٢) ياشيخُ وفوق البرذنة

لم يَبْقَ غيرُ جلدةٍ مُشننه

أى أن جلده قد صار كأنه شَنُّ . و « لا عجبها » ما يؤثر في القلب من الحب والحزن .

٧ لا تُنْكِرِي مِنْهُ تَخْدِيدًا تَجَلَّلَهُ^(٣)

فالسيفُ لا يُزْدَرَى إِنْ كَانَ ذَا شُطْبٍ

يقال « تَخَدَّدَ » لَحَمُ الرجلِ إذا هُنِزَ فصارَتْ فيه طرائقُ ، وأصل ذلك من الخَدَّةِ ، وهو حفَرٌ مُسْتَطِيلٌ في الأرض ، ويقال « اُزْدَرِيْتُ » الرجل إذا احقرته ، و « شُطِبَ » السيفُ وشُطِبَهُ الطرائقُ التي فيه .

٨ لا يَطْرُدُ الْهَمَّ إِلَّا الْهَمُّ^(٤) مِنْ رَجُلٍ

مُقْلِقِلٍ لِبَنَاتِ الْقَفْرِ النَّعْبِ^(٥)

[ع] « الهم » الأول ما يَجْدُهُ الرجلُ في صدره مما يوجب رجليه ، و « الهم » الثاني الهمَّةُ ، وأصلهما واحد ، إلا أنهم استعملوا الأول فيما يُكْرَهُ ،

(١) س : « تشته » - د ، هـ : « تغيره » - وجاء في ظ : في نسخة إبراهيم بخطه : قرأت في نسخة « رأت تبسمه » و « رأت تشته » ، والتشين بمعنى أشبه .

(٢) برذن الرجل ثقل .

(٣) هـ م : « تخلله » - وهذا البيت مؤخر في م ، ل ويقع بعد البيت : ماض إذا الهم . . .

(٤) د : « إلا العزم » .

(٥) هـ م : « النجب » .

واستعملوا الثاني فيما يُحمد ، فقالوا رجلٌ بَعِيدُ الهمِّ أي الهمَّة * ، من ذلك قالوا للملِكِ هُمَامٌ يصفونه بِبُعْدِ الهمَّة . و « مُقْلَقِلٌ » من القَلَقَلَة وهي الحركةُ العنيفة ، و « بَنَاتُ القَفَرَةِ » الإبل ، جعلها بَنَاتٌ لِلْقَفَرَةِ لأنها تُقَطَّعُ بها . و « النُعْبُ » جمع نَعُوبٍ ، والنَّعْبَانُ تحريكُ الناقةِ رأسَهَا في السَّيْرِ وذلك من النَّشَاطِ .

٩ ماضٍ إِذَا الهمُّ^(١) التَفَّتْ رَأَيْتَ لَهُ يُوْخِدُهُنَّ اسْتِطَالَاتٍ عَلَى النُّوبِ

« الوَخْدُ » من سَيَّرِ الإبل ، وَقَلَمًا يُسْتَعْمَلُ في غيرها ، وقال بعضهم قد يستعمل في الخَيْلِ . يقول : لا يَطْرُدُ الهمَّ إِلَّا ماضٍ مِنَ الرِّجَالِ نَافِذٌ ، إِذَا أَحَاطَتْ بِهِ النُّوَابِ اسْتَعْمَلِ الإبلَ فَاسْتَطَالَ عَلَى النُّوبِ يُوْخِدُهُنَّ ، وهو سَيَّرٌ سَرِيعٌ .

١٠ سَتُصْبِحُ العَيْسُ بِي وَاللَّيْلُ عِنْدَ فَتَى كَثِيرِ ذِكْرِ الرُّضَا فِي سَاعَةِ الغَضَبِ

« العيسُ » جمع أعْيَسَ وعَيْسَاءَ ، وهي الإبلُ التي يَغْلُو بياضُهَا شُقْرَةً ، وَقَلَمًا يَخْرُجُونَهَا إِلَى غير ذلك ، وقد جَاءَ في الشعر الفصيح ظَبْيَةٌ عَيْسَاءُ ، وقالوا في صفةِ انشعرِ الشَّابِ عَيْسٌ ، قال الراجز :

لَمَّا رَأَيْنَ لَحْيَةَ خَلِيسَا
رَأَيْنَ سُوْدَا وَرَأَيْنَ عَيْسَا

وقوله : « كَثِيرِ ذِكْرِ الرُّضَا » أي يَحْلُمُ وَيَرْضَى عَنِ الْمُسِيءِ في سَاعَةِ يَغْضَبُ فِيهَا غَيْرُهُ .

(١) س ، د : « إِذَا الْكَرْبُ عَلَى الْكَرْبِ » .

١١ صَدَفْتُ عَنْهُ فَلَمْ تَصْدِفْ مَوَدَّتَهُ^(١)

عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَنُّي فَلَمْ يَخِبِ

أى عَدَلْتُ عَنْهُ رَاحِلًا فَلَمْ تَعْدِلْ مَوَدَّتَهُ عَنِّي ، وَتَكَرَّرَ عَلَيْهِ ظَنُّي فَلَمْ يَخِبْ فِي مَعْرِفِهِ .

١٢ كَالْغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَاظَكَ رَيْقُهُ

وَإِنْ تَحَمَّلْتُ^(٢) عَنْهُ كَانَ^(٣) فِي الطَّلَبِ

« رَيْقُهُ » أَى أَوَّلُهُ ، وَهُوَ « فَيَسْعَلُ » مِنْ رَاقٍ يَرُوقُ . يَقُولُ : هُوَ جَوَادٌ كَالْغَيْثِ ، إِنْ قَصَدْتِ نَاحِيَتَهُ وَاظَكَ أَوَّلُ مَائِهِ ، وَإِنْ رَحَلْتَ عَنْهُ تَبَعَكَ وَجَدْتَ فِي طَلَبِكَ ، أَى يَجُودُ عَلَيْكَ حَيْثُ كُنْتَ .

١٣ خَلَاتِقِ الْحَسَنِ اسْتَوْفِي الْبَقَاءَ فَقَدْ

أَصْبَحْتَ قُرَّةَ عَيْنِ الْمَجْدِ^(٤) وَالْحَسَبِ

قَوْلُهُ « قُرَّةَ الْعَيْنِ » يَجْرَى مَجْرَى الْأَمْثَالِ الَّتِي لَهَا أَصُولٌ تُنْقَلُ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي أَصْلِ ذَلِكَ ، فَقِيلَ أَصْلُهُ مِنَ الْقُرَرِ وَهُوَ الْبَرْدُ ، لِأَنَّ الْفَرَحَ يَسْجُدُ عَنْهُ دُمُوعٌ بَارِدَةٌ ، وَقَدْ يَجُوزُ أَلَّا يُرَادَ بِهِ دُمُوعُ الْفَرَحِ إِذْ كَانَ لَيْسَ كُلُّ مَنْ فَرِحَ بِشَيْءٍ تَدْمَعُ عَيْنُهُ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الْبُكَاءُ يَجِيءُ بِالْدموعِ وَلَا تَكُونُ إِلَّا حَارَّةً قِيلَ أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَهُ ، أَى أَذْهَبَ عَنْهُ مَا يُوجِبُ بُكَاءَهُ . وَقِيلَ مَعْنَى ذَلِكَ : أَنْ يُرْزَقَهُ اللَّهُ رِزْقًا وَاسِعًا فَلَا يَتَشَوَّفُ نَظَرَهُ إِلَى شَيْءٍ ، كَأَنَّهُ عَيْنُهُ تَقَرَّرَ . وَقِيلَ يُرَادُ « أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَهُ » أَى أَنَامَهَا ، لِأَنَّ النَّوْمَ قَرَارٌ لِلْعَيْنِ ، إِذْ كَانَ السَّهَرُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْأَشْيَاءِ الْمَذْمُومَةِ ، وَإِذَا

(١) م : « مواهب » ، وبهامشها رواية الأصل .

(٢) م : « وإن ترحلت » .

(٣) م : « لج » - ه : « جد » .

(٤) ه : « العلم والأدب » .

وصَفُّوا الْإِنْسَانَ أَنَّهُ لَا يَنَامُ فَإِنَّمَا ذَلِكَ لَخَطْبِ جَلِيلٍ . دَعَا لَخَلَاتِقِهِ أَنْ
تُعَمَّرَ وَتَسْتَوِيَ أَقْصَى الْبَقَاءِ لِأَنَّهَا قَوَامُ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ .

١٤ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ^(١) أَخْلَاقِهِ أَبَدًا

وإن ثَوَى وَحْدَهُ فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ

جَعَلَهُ مِنْ سَعَةِ خُلُقِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى النَّوَائِبِ وَتَحَمُّلِهِ لَهَا فِي مِثْلِ الْعَسْكَرِ
الَّلَّجِبِ وَإِنْ كَانَ وَحْدَهُ .

١٥ صِيغَتْ لَهُ شِيْمَةٌ غَرَاءُ مِنْ ذَهَبٍ

لَكِنَّهَا أَهْلَكَ الْأَشْيَاءَ لِلذَّهَبِ

يقول : شيمته لخلوصها من اللؤم ولكرمها كأنها مَصْبُوعَةٌ من ذهب ،
إِلَّا أَنَّهَا تَهْلِكُ الذَّهَبَ بِالْبَدَلِ وَتُفْنِيهِ . [ع] وَأَصْلُ هَمْزَةِ التَّعْجَبِ أَنْ تَدْخُلَ
عَلَى الْأَفْعَالِ الثَّلَاثِيَّةِ الَّتِي لَا زِيَادَةَ فِيهَا ، مِثْلُ ضَرَبَ وَعَلِمَ وَكَرُمَ ، وَدَخُولُهَا
عَلَى مَا فِي أَوَّلِهِ الْهَمْزَةُ قَلِيلٌ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ جَاءَ وَكَثُرَ ، وَقَدْ حَكَى بَعْضُ أَهْلِ
اللُّغَةِ أَنَّهُ يُقَالُ هَلَكْتُ الشَّيْءَ وَأَهْلَكْتُهُ بِمَعْنَى ، فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَقَوْلُهُ : « أَهْلَكَ
الْأَشْيَاءُ » عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، وَإِنْ أَخَذَ بِالْقَوْلِ الْآخِرِ فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ مَا أَعْطَاهُ
لِلدَّرَاهِمِ ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ أَعْطَيْتُهُ بِالْهَمْزَةِ وَلَا يَسْتَعْمِلُونَ عَطَوْتُ إِلَّا فِي مَعْنَى
تَنَاوَلْتُ . وَ « أَفْعَلْتُ » الَّتِي لِلتَّعْجُبِ تَجْرِي مَجْرَى « أَفْعَلْتُ » الَّتِي لِلتَّفْضِيلِ *
ومثل قوله : أَهْلَكَ الْأَشْيَاءُ قول الآخر :

بَأَضْيَعٍ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلِّمَا تَوَهَّمْتَ رَسْمًا أَوْ تَذَكَّرْتَ مَسْنَرًا^(٢)

١٦ لَمَّا رَأَى أَدَبًا فِي غَيْرِ ذِي كَرَمٍ

قَدْ ضَاعَ أَوْ كَرَمًا فِي غَيْرِ ذِي أَدَبٍ

(١) م : « فِي أَخْلَاقِهِ » وَهَامِشُهَا رَوَايَةُ الْأَصْلِ .

(٢) الْبَيْتُ لِذِي الرِّمَّةِ فِيمَا نَسَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ الْمَفْرُودَةِ (مُلْحَقُ الدِّيَّانِ ص ٦٩) وَرَوَايَتُهُ فِيهِ :

بَأَنْبَعٍ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلِّمَا تَعَرَفْتَ دَارًا أَوْ تَوَهَّمْتَ مَسْنَرًا

١٧ سَمَا إِلَى السُّورَةِ الْعَلِيَاءِ فَاجْتَمَعَا

فِي فِعْلِهِ كاجْتِمَاعِ النَّوْرِ وَالْعُشْبِ

١٦ و ١٧ - [ع] « السُّورَةُ » الْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ ، وَإِنَّمَا أَخَذْتُ مِنْ قَوْلِهِمْ سَارَ يَسُورُ إِذَا وَثَبَ . وَقَدْ حُكِيَ بِفَتْحِ السِّينِ - وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ يَحْتَمِلُ مَعْنَاهُمَا أَنْ يَكُونَ لِلْمَمْدُوحِ ، أَنَّهُ لَمَّا رَأَى النَّاسَ لَا يَجْتَمِعُ فِيهِمُ الْكَرَمُ وَالْأَدَبُ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَهُوَ أَدِيبٌ كَرِيمٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ بِذَلِكَ الْمَادِحُ نَفْسَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَمَّا رَأَى هَذَا الْمَمْدُوحُ أَدِيبًا وَلَا مَالًا لِي أَكُونَ بِهِ كَرِيمًا أَعْطَانِي مَالًا أَتَكْرَمُ بِهِ ، فَاجْتَمَعَ الْأَمْرَانِ فِي فِعْلِهِ كَمَا يَجْتَمِعُ النَّوْرُ - أَيْ الزَّهَرُ - وَالْعُشْبُ فِي الرَّبِيعِ فَيَحْسُنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعَ الْآخَرِ ^(١) .

١٨ بَلَوْتُ مِنْكَ وَأَيَّامِي ^(٢) مُذَمَّمَةٌ

مَوَدَّةٌ وَجِدْتُ أَخْلَى مِنْ ^(٣) النَّشَبِ

١٩ مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبِ مَاضٍ ، كَفَى سَبَبًا

لِلْحُرِّ أَنْ يَعْتَفِي حُرًّا بِلا سَبَبِ

١٩ - يُقَالُ عَفَاهُ وَاعْتَفَاه إِذَا طَلَبَ مَعْرِفَتَهُ ، وَسَكَنَ الْبَاءَ فِي « يَعْتَفِي

لِلضَّرُورَةِ .

(١) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : الْمَعْنَى الْأَوَّلُ لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَ .

(٢) ظ : وَيُرْوَى : « وَأَخْلَقَ مُذَمَّةً » .

(٣) ظ : وَيُرْوَى : « مِنْ الضَّرْبِ » ، وَيُرْوَى : « أَدْنَى مِنَ النَّسَبِ » . وَرَوَايَةُ « الضَّرْبِ » فِي

وقال يَمْدَحُ سُلَيْمَانَ بْنَ وَهَبٍ :

١ أَيُّ مَرْعَى عَيْنٍ^(١) وَوَادِي نَسِيبٍ

لَحَبَّتُهُ الْأَيَّامُ فِي مَلْحُوبٍ ؟ !

الأولُ من الخفيف والقافية مُتَوَاتِر .

ويُروى : « مِنْ مَلْحُوبٍ » ، وجعل نظرَها إلى الحِسانِ رَعِيًّا لها . [ع]
 وقوله : « وادى نَسِيبٍ » أى كان هذا الوادى فيه أهلٌ يَسْتَحِقُّونَ أن يقالَ فيهم
 النسيبُ ، وهو مثلُ الغَزَالِ في الشَّعْرِ . و « مَلْحُوبٍ » اسمُ موضعٍ ،
 وتَرَدَّدَ في الشعرِ كثير . و « لَحَبَّتُهُ » مِنْ شَدَدِ الحَلَاءِ فهو من قَوَلِهِمْ لَحَبْتُ
 القَتِيلَ إِذَا صَرَغْتَهُ ، وقال قوم لَحَبَّهُ إِذَا قَطَعَهُ بالسَّيْفِ ، وقبل معنى لَحَبَّهُ
 أى أَلْقَاهُ على الطريق الواضِح وهو اللاحِب . ومن روى « لَحَبَّتُهُ » بالتخفيف
 فهو من القَشْرِ ، يقال لَحَبَّ اللحمَ إِذَا قَشَرَهُ ، ومعنى « لَحَبَّ »
 و « لَحَبَّ » يرجع إلى شيء واحد . ومن روى : « مِنْ مَلْحُوبٍ » جعل مَلْحُوبًا
 نفسه مَرْعَى عَيْنٍ وَوَادِي نَسِيبٍ ، كما يقال أَيُّ رَجُلٍ نَزَلْنَا بِهِ مِنْ فُلَانٍ .
 ومن روى « فِي مَلْحُوبٍ » جعل المَرْعَى والوَادِي فيه .

٢ مَلَكَّتُهُ^(٢) الصَّبَا الْوَلُوعُ فَأَلَّ

فَتَهُ^(٣) قَعُودَ الْبَلَى وَسُورَ الْخُطُوبِ

[ع] يُروى « مَلَكَّتُهُ الصَّبَا » على أن « الصَّبَا » اسمٌ ما لم يُسَمَّ فاعله ،

(١) قال الصول : ويرويه قوم « أى مرعى عين » (بكسر العين) وهو تصحيف ، إنما يريد
 أى مرعى عين ، جعل نظرَها إلى الحسان رعيًّا لها .

وفى ظ : فى بعض حواشيه « عين » جمع عينا .

(٢) س : « أَلَفَتْهُ الصَّبَا . . . فَأَبَقَتْهُ » .

(٣) فى ظ : وروى « فَأَبَقَتْهُ » بالباء وهو أجود من قوله « فَأَلَفَتْهُ » بالفاء .

ويروى «مَلَكَتْهُ» على أنها فاعلة ، والمعنى واحد وأصل «القَعُود» في الفَتَى من الإبل ، وأصله أن يكون قد صَلَحَ للركوب وأن يُقَعَّدَ على ظهره * وربما قالوا هو البَكْرُ أو الفَصِيلُ أو الحِقُّ أو نحو ذلك ، وكلُّه راجعٌ إلى فِتَاءِ السِّنِّ . [ع] و «سُورَ الخُطُوبِ» بقيتُها ، ومن عرف مذهب الطائي لم يعدل عن هذه الرواية ، ومن روى «سُودَ الخُطُوبِ» فله وجه ، إلا أنه جدير بأن يكون تصحيفاً ، وإذا رُوي بالبدالِ احتمل أن يخفُض فيعطف على «البَلَى» ، وأن يرفع فيعطف على «الصَّبَا» * .

يقول : مَلَكَتِ الأيامُ هذا المحلَّ رِيحَ الصَّبَا حتى عفته وتركته مركباً للبلبل * وقيل خَصَّصَ الصَّبَا لأنها تأتي بالمطر كثيراً فتعفى الآثار .

٣ نَدَّ عَنْكَ ^(١) الْعَزَاءُ فِيهِ وَقَادَ

بَدَمْعٍ مِنْ مُقْلَتَيْكَ قَوْدَ الْجَنِيْبِ

[ع] استعار «نَدَّ» للعزاء ، وإنما هو للإبل ونحوها ، يقال نَدَّ البعيرُ إذا ذَهَبَ على وجهه في الأرض . وجاء «الجنيب» في القافية لأن الذي يُقَادَ جنيباً ضدُّ النَّادِ * و«العزاء» الصَّبْر . والفعلُ في «قَادَ» للعزاء ، أى ذهب معه بالدَّمْعِ من العَيْنِ .

٤ صَحِبَتْ وَجَدَكَ الْمَدَامِعُ فِيهِ بَنَجِيعٍ بِعَبْرَةٍ مَضْحُوبٍ

[ص] أى ساعدت المدامعُ وَجَدَكَ فَجَعَرَتْ بِدَمْعٍ مُخَالَطِهِ الدَّمَ * .

٥ بِمُلْتٍ عَلَى الْفِرَاقِ مُرَبٌّ وَلِشَاوِ الْهَوَى الْبَعِيدِ طُلُوبٍ

«المُلْتُ» و«المُرَبُّ» اللّازمُ للشئ ، يقال أُلْتُ بالمكان وأَرَبْتُ ، ويقال كذلك في المَطَرِ إذا دام أياماً . أى صحبته بدمعٍ مُلْتٌ دائمٌ على الفراق لا ينقطع ما دام الفراق ، ولا يزال طالباً لِشَاوِ الْهَوَى جاريّاً في إثره .

(١) قال ابن المستوفى : وروى الخارزنجي أيضاً «ند حسن العزاء» وقال : «ند» : غلب ، والمعنى يقول : غلب هذا المحل صبرك حتى جزعت وبكيت ، وامتناع دمع عينيك فافقاد له كما ينقاد الجنيب لمن يجنبه .

وقال : ويروى «فقاد» و«الدمع» مفعول للعزاء .

٦ أَخْلَبَتْ بَعْدَهُ بُرُوقٌ مِنَ اللَّهِ

وَوَجَفَتْ غُذْرٌ مِنَ التَّشْبِيبِ

[ع] : ويروى «أَخْلَفَتْ بَعْدَهُ بُرُوقٌ»^(١) جاء بها على ما يعرف من الاستعارة ، أى صارت إلى الخلف . ومن روى «أَخْلَبَتْ» أى صارت إلى الخلافة وهى الخديعة * وأَخْلَبَ البرقُ غيرُ مستعمل في الكلام القديم . يقول : لَمَّا أَقْفَرَ هَذَا الْمَنْزَلُ وَخَلَا مِنَ الْأَحْبَةِ لَمْ يَكُنْ لِي لَهْوٌ صَادِقُ الْبَرْقِ بَعْدَهُ ، وَلَا غَزَلٌ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ .

٧ وَبِمَا^(٢) قَدْ أَرَاهُ رِيَّانَ مَكْسُورٍ مَحَاغِي مِنْ كُلِّ حُسْنٍ وَطِيبِ

(ع) «وبما قد أراه» هذا كلامٌ معروفٌ من كلام العرب . يقول : أَقْفَرْتُ الدَّارَ بِمَا قَدْ أَرَاهَا وَهِيَ آتِسَةٌ ، أَيْ هَذَا بِذَاكَ ، كَأَنَّهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ وَيَوْمٌ . وَقَالَ قَوْمٌ : الْبَاءُ هَا هُنَا تُؤَدِّي مَعْنَى «رُبَّ» ، وَهَذَا الْقَوْلُ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَإِنَّمَا الْبَاءُ لِمَعْنَى الْجَزَاءِ وَالْمُكَافَاةِ ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ خُذْ هَذَا الدَّرْهَمَ بِمَا خَدَمْتَنِي ، أَيْ مِنْ أَجْلِ خَدَمَتِكَ إِيَّايَ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ يَصِفُ الدَّارَ :

إِنْ تَكُنْ نَالَتْ الْمَوَاطِنُ مِنْهَا وَعَرَّتْهَا نَوَائِبُ وَخُطُوبُ
فَمَا قَدْ يَحُلُّهَا الْأَنْفُ الشَّرُّ بٌ وَيَجْرِي عَلَيْهِ كَأْسٌ وَكُوبُ
يقول : إِنْ خَلَّتْ هَذِهِ الدَّارُ فَقَدْ يَكُونُ بِهَا شَرُّبٌ ، فَهَذَا بِذَاكَ .

٨ بِسَقِيمِ^(٣) الْجَفُونِ غَيْرِ سَقِيمِ وَمُرِيبِ الْأَلْحَاطِ غَيْرِ مُرِيبِ٩ فِي أَوَانٍ مِنَ الرَّبِيعِ كَرِيمِ وَزَمَانٍ مِنَ الْخَرِيفِ حَسِيبِ^(٤)

٩ - [ص] جعل الربيع كريماً لأنه يُطْعَمُ الماشيةَ ، وفيه يكثرُ النَّبْتُ والزَّهْرُ ، وجعل الخريفَ حَسِيباً لطيب أيامه * ، وقيل إنما قال «حَسِيبٌ»

(١) هى رواية س ، وقال الصولي : ويروى : «كذبت» وهذه الرواية فى هـ س .

(٢) م : «ربما» وبها مشها رواية الأصل - وقال ابن المستوفى : وجدته (أبا العلاء) يروى «ربما قد أراه» بالراء ، وهو فى طرة كتاب الخارزنجى .

(٣) فى الأصول : «بسقيم الجفون» وانفردت نسخة ش برواية «بسقيم الألفاظ» .

(٤) قال الصولي : وروى قوم «خصيب» وليس بشيء .

لمطابقة الكلام ، و « الحَسِيبُ » بالخريف أشبه ، لأنه من « أَحْسَبَ » ،
فيه يَتَمَّ ما جاد به الربيع ويكنى ، فكان كمن طال عُمُرُهُ وكثُرَت مآثرُهُ .

١٠ فَعَلِيهِ السَّلَامُ لَا أَشْرَكَ إِلَّا طُ لالَ في لَوْعَتِي وَلَا فِي نَحْيِي
« فَعَلِيهِ » أى على السَّقِيمِ الجُفُونِ . [ص] يقول : على السَّقِيمِ الجُفُونِ
أَبْكِي لَا عَلَى طَلَلٍ ^(١) .

١١ فَسَوَاءٌ إِيَّاجَابَتِي ^(٢) غَيْرَ دَاعٍ وَدُعَائِي بِالْقَفْرِ ^(٣) غَيْرَ مُجِيبٍ
(ق) : يقول : لستُ ممن يقفُ على الأطلال يُخاطبها وَيُبَاثُّها وَيُشْرِكُها
- فى زعمه - فى لَوْعَتِهِ ، وَيَسْتَحْمِلُها - على تقديره - بعضَ جزعه ، فسواءٌ
عندى فى الاستحالة أن أجيبَ من غير أن أدعَى ، وأن أدعُو ^(٤) - مالا يُجيب .

١٢ رَبِّ خَفِضْ تَحْتَ السُّرَى وَغَنَاءٍ
مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبٍ
أى رَبِّ دَعَا تَحْتَ التَّعَبِ . و « غَنَاءٍ » أى نَفْع . و « الشُّحُوبُ »
ضدَّ النَّضْرَةِ .

١٣ فَاسْأَلِ ^(٥) الْعَيْسَ مَا لَدَيْهَا وَأَلْفَ
بَيْنَ أَشْخَاصِهَا وَبَيْنَ السُّهُوبِ
ويروى : « بَيْنَ أَشْبَاحِهَا » ^(٦) . و « أَشْخَاصٌ » جمع شَخْصٍ ، وليس باب

(١) فى ظ : وفى الحاشية يقول : أخصه بسلامى دون الأطلال فلا أشركها فى وجلى وبكائى
ونحى . والصحيح إعادة الهاء فى قوله « فعلية السلام » إلى الطلل الذى ذكره ، ويدل عليه قوله : « لا أشرك
الأطلال فى لوعتى » أى لا أبكيه ولا أبكى غيره .

(٢) م : « أجابنى » . (٣) ق ، ل ، ظ ، هـ ، ب ، هـ ، ن : « بالقاع » .

(٤) فى ظ قال الأمدى : وقوله : « فسواء أجابنى غير داع » معنى لطيف قد ذكرته فى باب
استعجام الديار عن الجواب ، وبيت البحرى الذى حذاه حذوه :

وسألت من لا يستجيب فكنت فى امره تخباره كجيب من لا يسأل
وبيت أبى تمام أجود . (ولم أجده فى هذا الباب من كتابه الموازنة) .

(٥) س ، م ، ل : « فسل » وروها ظ . (٦) وهى رواية س ، ورواها الصولى .

« فَعَلَّ » أن يُجِيعَ أفعالاً ، وربما جاء كالنادر ، كما قالوا فرخٌ وأفراخ ، وزندٌ وأزناد ، و « السُّهوب » جمع سَهَب ، وهو الأرض الواسعة البعيدة . وقوله : ما لَدَيْنَهَا أي من السَّيَر .

١٤ لا تُذِيلَنَّ^(١) صَغِيرَ هَمِّكَ وانظرْ

كَمْ بِذِي الْأَثْلِ دَوْحَةٌ مِنْ قَضِيبٍ

[ع] « الهَمُّ » ها هنا يحتمل أن يكون الهمة ، ويحتمل أن يكون واحداً الهُمُوم التي هي أحزان ، و « الأثْل » شَجَرٌ معروفٌ يعظم ، ثم كثر حتى سُمِّيَتْ كلُّ شجرة عظيمة أثلة ، و « الدَّوْحَةُ » الشَّجَرَةُ العظيمة . والمعنى : لا تُذِيلَنَّ صَغِيرَ هَمِّكَ ، أي لا تهملْ نظركَ فيه ، فإن كان خيراً فإنه يَنْشَمِرُ^(٢) وتعظم المنفعةُ به ، وإن كان مما يحذر فإنه لا يؤمن أن يغلبَ ويتفاقم . وهذا المعنى قصده نهششلُ ابنُ حَرَرَى في قوله :

قال الأقاربُ لا يغرُّكَ كَثَرَتُنَا وأغنِ شَأْنَكَ عَنَّا أيُّهَا الرَّجُلُ
عَلَّ بَنِي يَشْدُ^(٣) اللهُ أَزْرَهُمْ^(٤) والنَّبْعُ يَنْبُتُ قُضْبَانًا وَيَكْتَهَلُ
فهذا مثلُ قوله « كَمْ بِذِي الْأَثْلِ دَوْحَةٌ مِنْ قَضِيبٍ »^(٥).

١٥ ما عَلَى الْوُسْجِ الرَّوَاتِكِ مِنْ عَتٍّ

بِ إِذَا مَا أَتَتْ أَبَا أَبُوبٍ

« الْوُسْجُ » جَمْعُ وَاسِجٍ ، وَالْوَسِيجُ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ يُسْتَعْمَلُ لِلإِبِلِ وَالنَّعَامِ^(٦) . و « الرَّوَاتِكُ » التي تسير الرِّثْلُ ، وهو أيضاً من سَيْرِ الإِبِلِ ،

(١) في ظ : ويروى « لا تنكر » .

(٢) في ظ : « يستمر » .

(٣) وروايته في ب ، ن : « يسد الله فقرهم » .

(٤) في ظ قال الحارثي : يقول لا تهن من همك فتنبوطه بالصغير من الناس ، ولكن صنه حتى

تصله بالكبير منهم ، وانظر كم تشبعت من دوحة واحدة من القضبان .

(٥) أتى الصول يشاهد لدى الرمة وهو قوله :

والعيس من واسج أو عاسج خبيثاً ينحرون من جانبيها وهي تنسلب

وقال « ينحرون » أي يركلن بالأرجل .

يقال رَتَكَ وَرَتَكَ ، ويقال إنَّ أصله التسكين وحرَّكه زُهَيْرٌ للضرورة في قوله : « يَزْجِي أَوَائِلَهَا التَّبْغِيلُ وَالرَّتَكَ » ^(١).

١٦ حَوْلٌ لَا فَعَالُهُ مَرْتَعُ الذِّمِّ وَلَا عِرْضُهُ مَرَا حُ الْعُيُوبِ ^(٢)

١٧ سُرْحُ قَوْلُهُ إِذَا مَا اسْتَمَرَّتْ عَقْدَةُ الْعِي فِي لِسَانِ الْخَطِيبِ
١٧ - « سُرْحُ » أى سهّل ، أى هو خطيبٌ بَسِيطُ اللسان ، ومنه ناقةٌ سُرْحُ أى سهلة السَّيْرِ .

١٨ وَمُصِيبٌ شَوَاكِلَ الْأَمْرِ فِيهِ

مُشْكِلَاتٌ يَلْكُنْ ^(٣) لُبٌّ لَبِيبٌ ^(٤)

هذا مثل ، وأصله في الرَّمَى ، يقال أصاب الرّامى شاكِلةَ المَرَمَى إذا أصاب خاصرته ، فكأنه إذا فعل ذلك فقد ظفر وبلغ حاجته ، ثم نقلوا ذلك إلى غير الحيوان ، وهذا يجرى مجرى قولهم ، هو يأتيك بالأمر من فصته ، في رأى مَنْ يأخذه من الفصِّ الذى هو رأسُ المتفصيل الذى يجتمع فيه العظامان . [ص]
و « الشاكِلة » أيضاً الطَّريقة ، ومنه « كلُّ يُعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ » .

١٩ لَا مُعْنَى بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا كُلُّ مَعْجِبٍ فِي عَيْنِهِ بِعَجِيبٍ

أى يُعْنَى غَيْرَهُ فَمَا يَرِيدُ وَلَا يُعْنَى نَفْسَهُ ، والعجيب في أعين الناس لا يَرَاهُ عَجِيبًا لَأَنَّهُ قَدْ دَلَّلَ الْأُمُورَ وَعَرَفَهَا .

(١) الديوان : ص ١٦٨ ، والبيت :

هَلْ تَلْحَقْنِي وَأَصْحَابِي بِهِمْ قُلُوصٌ يَزْجِي أَوَائِلَهَا التَّبْغِيلُ وَالرَّتَكَ

وقال في شرحه : التبغيل حسن سير الدابة في سرعة . وقال الأعلام : التبغيل ضرب من السير ، كأنه مشتق من مشى البغال .

(٢) ليس لهذا البيت شرح في ش ، وفي ن شرحه بقوله : « أى حسن التصرف عالم بالأمور » وهذا

الشرح بهامش ب .

(٣) في ظ : وفي بعض النسخ « يلكن » (بضم أوله) أى يجعله ألكن . ويروى « يأكلن » -

قال : « والوك » مضغ الشيء اليابس .

(٤) س ، ب ، ن ، ل ، ظ : « لب اللبيب » .

٢٠ سَدِكُ الْكَفِّ بِالنَّدَى عَائِرُ السَّهْمِ

ع. إِلَى حَيْثُ صَرْخَةُ الْمَكْرُوبِ

يقول : كَفَّهُ مُوَلَعَةٌ بِالنَّدَى ، وَصَمْعُهُ مَبْعَدٌ فِي الْمَسْمَعِ مُتَنَاهٍ إِلَى مَوْضِعِ الصَّارِخِ الْمُسْتَغِيثِ بِهِ ، وَأَصْلُ « السَّدِّكَ » لَزُومُ الشَّيْءِ . وَ « عَائِرُ السَّهْمِ » أَخْذُهُ مِنْ عَارِ الْفَرَسِ إِذَا ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ ، وَعَارُ السَّهْمِ إِذَا أَبْعَدَ .

٢١ لَيْسَ يَغْرَى مِنْ حُلَّةٍ مِنْ طِرَازِ الـ

مَدْحٍ مِنْ تَاجِرٍ بِهَا مُسْتَشِيبِ

أَيُّ لَيْسَ يَخْلُو مِنْ مَادِحٍ طَالِبِ ثَوَابِهِ ، وَأَرَادَ « تَاجِرٍ » شَاعِرًا يَقْصِدُهُ .

٢٢ فَإِذَا مَرَّ لَا بَيْسَ ^(١) الْحَمْدِ قَالَ الـ

قَوْمٌ ^(٢) : مَنْ صَاحِبُ الرَّدَاءِ الْقَشِيبِ

٢٣ وَإِذَا كَفُّ رَاغِبٌ ^(٣) سَلَبَتُهُ ^(٤) رَاحَ طَلْقًا كَالْكَوْكَبِ الْمَشْبُوبِ

« طَلْقًا » أَيُّ مُسْتَبْشِرًا ، مِنْ قَوْلِهِمْ فَلَانٌ طَلَّقَ الْوَجْهَ وَطَلَّقَ الْوَجْهَ إِذَا كَانَ حَسَنَ اللَّقَاءِ . وَ « الْمَشْبُوبِ » الْمَضِيُّ الْمَتَّقَدِ .

٢٤ مَامَهَاءُ الْحِجَالِ مَسْلُوبَةٌ أَظْ رَفَ ^(٥) حُسْنًا مِنْ مَاجِدٍ مَسْلُوبِ

« مَهَاءُ الْحِجَالِ » يَعْنِي امْرَأَةً تَكُونُ مُخَدَّرَةً فِي الْحِجَالِ ، وَهِيَ جَمْعُ حَجَلَةٍ ، وَالْحَجَلَةُ بَيْتٌ صَغِيرٌ يَكُونُ فِي الْبَيْتِ الْكَبِيرِ مِنْ بِيُوتِ الْأَعْرَابِ ، وَبِمَا قَالُوا هُوَ الْخِدْرُ .

(١) م : « لَا بَيْسَ » بَفَتْحِ السِّينِ عَلَى أَنَّهَا حَالٌ .

(٢) ب ، ن : « النَّاسِ » .

(٣) هـ : « أَيْل » .

(٤) م : « سَالَتُهُ » .

(٥) س ، ل : « اطَّرَفَ » .

٢٥ واجدُبالخَلِيلِ مِنْ بُرَحَاءِ اللَّهِ وَقِ وَجَدَانِ غَيْرَةٍ بِالْحَبِيبِ
(ع) يجب أن يكون الطائي أراد هاهنا : « الخليل » الصديق ، وعنى
بـ « الحبيب » المعشوق ، لأنه كان يسمّى إلى هذا الرجل بصدّاقة . وإن عُنِيَ
بـ « الخليل » الفقير فهو أبلغ في المدح ، ولكنّي أظنه أراد الأوّل ، وكلا المعنيين
حسن (١) .

٢٦ آمِنُ الْجَنِبِ وَالضُّلُوعِ إِذَا مَا
أَصْبَحَ الْغَشُّ وَهُوَ دِرْعُ الْقُلُوبِ

أى هو مأمونُ الظاهر والباطن ، يقول : هو نقى الصدر من الغش لا يحتمله
بين أضلاعه كما يحتمله غيره . وقال المرزوقي : « دِرْعُ الْقُلُوبِ » تصحيف ،
والرواية « رَدْعُ الْقُلُوبِ » (٢) ، يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون « الرَدْعُ »
النكس ، فيكون المعنى : أصبح الغش وهو داءُ القلوب ومرَضُها ، وقيل شَرُّ
الدّاء الرّداع وهو النكس ، وهذا كما كُنِيَ بالمرض عن النفاق ، قال الله تعالى :
« فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » ويُقال رُدْعُ الرَّجُلُ فهو مَرْدُوع . والآخر « الرَدْعُ »
التلَطُّخ بالزّعفران والخلق ، فيكون المعنى : أصبح الغش وهو خلوقُ القلوب
وطيبُها ، و « آمِن » أى ذو أَمْن (٣) .

(١) ذكر المرزوقي في كتابه الوجهين .

وقال ابن المستوفى : المعنى على الأوّل ، وذلك أنى وجدت في حاشية ديوان من شعره « قال سليمان بن
وهب : ما كان أحد أخص بأبى تمام منى ، ولا كان يأنس بأحد أنسه منى ، فعاتبته على كثرة ما أخذ من
الأموال وإنفاقها حتى بقى محتاجاً ، فعرفنى من إجرائه على أمّيل له بالشام ما لم أستحل معه لومه ، وشرح لى
خبره ، ومدحنى بهذه القصيدة ، وذكر عتابى له ، فكتبت له إلى وكلاء . . . (كلمة غامضة في الأصل)
بقنسرين وذواحيها بثلاثة آلاف دينار فأخذها .

وروى الحارزنجى بعد هذا البيت بيتاً آخر له وهو :

فهو يؤوى خلانه في حواشى خلق حين يجديون خصيب

(٢) قال الصولى : ووى « رَدْعُ الْقُلُوبِ » وليس بشئ ، والأول أجود .

وجاءت هذه الرواية في ه ب ، ه ن .

(٣) كلام المرزوقي هذا لم يرد في نسخة ش وأثبتناه من نسختي ب ، ن - وذكر ابن المستوفى أنه

من كتاب الانتصار .

٢٧ لَا كَمُضْفِيهِمْ إِذَا حَضَرُوا الْوُدَّ

م وَلَا حِي قُضِبَانِهِمْ بِالْمَغِيبِ

ويروى « ولا حِي قُضِبَانِهِمْ بِالْمَغِيبِ ». وأصلُ اللَّحْنِ الْقَشْرُ ، لَحَوْتُ الْعُودَ وَلَحَيْتُهُ ، ومنه أخذَ لَحِيْتُ الرَّجُلِ إِذَا لُمْتَهُ ، كَأَنَّ اللَّوْمَ قَشَرَ لَهُ ، وَقِيلَ لَا يَقَالُ فِي اللَّوْمِ إِلَّا لَحَيْتُ بِالْيَاءِ ، وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ يَقَالُ فِيهِ كَمَا يَقَالُ فِي الْعُودِ وَالْعَصَا لَحَوْتُ وَلَحَيْتُ . يَقُولُ : لَيْسَ كَمَنْ يُصَفَى إِخْوَانَهُ الْوُدَّ إِذَا حَضَرُوا وَيَلْحَى عِيدَانَهُمْ إِذَا غَابُوا .

٢٨ يَتَغَطَّى عَنْهُمْ وَلَكِنَّهُ تَذُّ صُلُّ أَخْلَاقُهُ نُصُولَ الْمَشِيبِ

يقول : هَذَا اللَّاحِي لِقُضْبَانِهِمْ يَتَوَارَى عَنْهُمْ بِفَعْلِهِ ، لَكِنَّهُ لَا يَسْكُتُ وَيُظْهِرُ ظُهُورَ الشَّيْبِ بَعْدَ ذَهَابِ الْخَضَابِ .

٢٩ كُلُّ شِعْبٍ كُنْتُمْ بِهِ آلَ وَهْبٍ فَهُوَ شِعْبِي وَشِعْبُ كُلِّ أَدِيبٍ

يقول : كُلُّ مَوْضِعٍ كُنْتُمْ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ وَمَنْزِلٌ فَهُوَ مَنْزِلٌ وَمَنْزِلٌ كُلِّ أَدِيبٍ .

٣٠ لَمْ أَزَلْ بَارِدَ الْجَوَانِحِ مُذْ خَضَّ

خَضَّتْ دَلَوِي فِي مَاءِ ذَاكَ الْقَلِيبِ

« بَارِدَ الْجَوَانِحِ » أَيُ سَاكِنِ الْعَطَشِ . وَ « خَضَّتْ دَلَوِي » حَرَّكَتُ ، وَجَعَلَ الدَّلْوُ مِثْلًا لِلرَّجَاءِ ، وَأَرَادَ : « مَاءِ الْقَلِيبِ » جُودَ الْمَمْلُوحِ .

٣١ بِنْتُمْ^(١) بِالْمَكْرُوهِ دُونِي وَأَصْبَحَ

مُتُ الشَّرِيكَ الْمُخْتَارَ فِي الْمَحْبُوبِ

أَيُ احْتَمَلْتُمْ مَا يَبَالِكُمْ مِنَ الْمَكْرُوهِ فَلَمْ تُحَسِّمُوا لِي مِنْهُ إِشْفَافًا ، وَأَشْرَكْتُمُونِي فِي الْمَحْبُوبِ .

(١) س : « بَنْتُمْ » .

٣٢ ثُمَّ لَمْ أَدْعَ مِنْ بَعِيدٍ لَدَى الْإِذِّ
نِ وَلَمْ أَثْنِ عَنْكُمْ مِنْ قَرِيبٍ
أى كنت أول داخل وأقربهم . و « أثن » أصرف وأحجب .

٣٣ كُلَّ يَوْمٍ تَزْخَرُونَ فِنَائِي^(١)
بِحِجَاءٍ فَرْدٍ وَبِرٍّ غَرِيبٍ
« تَزْخَرُونَ » تُجَدِّدُونَ وَتَزِينُونَ .

٣٤ إِنْ قَلْبِي لَكُمْ لَكَابِدِ الْحَرِّ^(٢) وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ
(خ) يقول : قلبى لكم لشدة محبتكم وشوقى إليكم ككبد العاشق ،
و « الْحَرِّ » الصَّبَّةُ ، وقلبي لغيركم كقلوب سائر الناس .

٣٥ لَسْتُ أَذِلُّ بِحُرْمَةٍ مُسْتَزِيدًا
فِي وِدَادٍ مِنْكُمْ وَلَا فِي نَصِيبٍ
« لَسْتُ أَذِلُّ » أى لست أتقرب ، من قولهم فلان يذل إلى فلان بكذا وكذا
أى يتوسل إليه ، وهو من إدلاء الدَّلْوِ^(٣) .

٣٦ لَا تُصِيبُ الصَّدِيقَ قَارِعَةً التَّأْنِيبِ
إِلَّا مِنَ الصَّدِيقِ الرَّغِيبِ
[خ] « الرَّغِيب » الكثير الطَّمَع . يقول : لا يوبَّخُ الصديق على تقصير

(١) س : « ثنائى » .

(٢) فى ظ : قال الحارزنجى : ليس ثنائى عليكم ونشرى عنكم ما أوليتموني طمعا فى أن تزيدينى
برا وودادا ، فإنكم قد سبقتم إلى كل بر .

منه في أمر إلا من كان كثير الطمع لا يُصادقُه لمودته * . [ص] يعذر نفسه في سؤالهم وأدكارهم بأمره^(١).

٣٧ غَيْرَ أَنَّ الْعَلِيلَ لَيْسَ بِمَذْمُومٍ

م. على شرح ما به للطبيب

يقول : لم أذكر ما ذكره استزادة لكم ، لكن أذكر معتقدي لكم ، تأكيداً وزيادة بيان ، فلا لوم على في ذلك ، كما أن العليل لا يلام على أن يشرح للطبيب العالم بعلمته ما يجده لما في ذلك من تأكيد البيان .

٣٨ لو رَأَيْنَا التَّوَكِيدَ خُطَّةً عَجَزَ

ما شَفَعْنَا الْآذَانَ بِالتَّشْوِيبِ

[ع] « التشويب » الدعاء الثاني ، من قولهم ثوب الرجل بأصحابه إذا دعاهم مرة بعد مرة ، وأصله من تاب يشوب إذا رجع . وقال قوم أصل التشويب من الثوب ، وذلك أن الرجل كان إذا أَلَسَ به خطب أشار إلى أصحابه بثوبه يدعوهم بذلك ، ثم كثر حتى سُمي كل دعاء تشويباً .

(١) قال ابن المستوفى : هذا البيت يدل على ما قاله له سليمان بن وهب ولامه عليه ، لأن القارعة التي أصابته من صديقه سليمان هي من صديق مرغوب فيه وهو سليمان ، على أن يكون المعنى مخصوصاً بيمين ، فأما إذا كان من غير تعيين فإنه يريد أنه لا يعتب الصديق إلا صديق راغب فيه ، فيكون « فاعل » بمعنى « فاعل » ، كعلم بمعنى عالم ، وسلم بمعنى سالم ، ويريد أبو تمام بذلك نفسه أو سليمان بن وهب .

وقال يمدح الحسن بن وهب ويذكر غلاماً أهده له :

١ لَمَكَا سِرُّ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ أَطِيبُ
وَأَمْرٌ فِي حَنَكِ الْحُسُودِ وَأَعَذَبُ^(١)

الأول من الكامل والقافية مُتَدَارِك .

« المكاسر » جمع مكسر وهو الأصل مثل العنصر [ص] تقول العرب فلان طيبُ المكسر إذا كان لين الجانب حسن الخلق ، ونحيبُ المكسر إذا كان سيئ الخلق رديء النية * وأصل ذلك فيما يكسر من الأشياء التي ليست بالحيوان إذا كُسِرَتْ فوجدت طيبة الرائحة وطيبة الطعم [ع] ويقولون هو هَشَّ المكسر إذا وصفوا الرجل بأنه جَوَادٌ لا يُتَعَب السائل ، ويُقال ذلك أيضاً لمن هو ذميمٌ عندهم لا يَصْلُبُ في أيدي الأعداء . * وقوله : « أعذب » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون معطوفاً على « أطيب » كأنه قال أطيب وأعذب ، ويجوز أن يكون معطوفاً على « أمر » ، ولكن يكون « أعذب » من قولهم ماءٌ عَذَبٌ إذا وقعت فيه الأقمشة والقنذي^(٢) ، فيكون كقولك أمرٌ وأبشع ، وهذا حسنٌ غير منكر .

٢ وَلَهُ إِذَا خُلِقَ التَّخَلُّقُ أَوْ نَبَا

خُلِقَ كَرَوْضِ الْحَزْنِ أَوْ هُوَ أَخْصَبُ^(٣)

« خُلِقَ » من الخُلُوقَة . [ع] و « الْحَزْنِ » هاهنا مَوْضِعٌ بعينه في

(١) م : « وأصعب » .

(٢) في ظ : قال الجوهرى : المذبة القذاة ، وماء ذو عَذَبٍ أى كثير القذى . وفى اللسان المذبة القذاة ، وماء ذو عَذَبٍ كثير القذى والطحلب .

(٣) س ، ه ، ب : « أطيب » .

نواحي نجد^(١) ، وقيل بل كل حزن كذلك ، لأن الروضة إذا كانت في موضع عال كانت أحسن . وقيل إنما ذكر روض الحزن لأنه أبعد من وطء الراعية إذ كان السهل أيسر عليها . قال كثير :

فما روضة بالحزن طيبة الشرى يسمج الندى جثجاثها وعرارها^(٢)

وقال القطامي :

فما ريج روض ذي أقاح وحسوة وذى نفل من قلة الحزن عازب^(٣) *

يقول : إذا بليت أخلاق المتخلفين بما ليس في طبيعهم ، وتغيرت ونبتت - أي قل خيرها ، من قولهم نبا السيف ينبو إذا لم يقطع - فخلقته كروض الحزن ، أو هو أطيب من روض الحزن .

٣ ضربت به أفق^(٤) الشناء ضرائب

كالمسك يفتق^(٥) بالندى ويطيب

أى أوصلته إلى غاية الثناء والمدح خلائقه . « الضرائب » جمع ضريبة وهي الخليفة والطبيعة . و « يفتق » من قولهم فتقت المسك بغيره ، وهو مأخوذ من فتق الثوب ، كأنه يراد أن رائحته وسعت بما فعل بها ، وهي كلمة معروفة قديمة ، قال الراعي :

لها فارة ذفراء كل عشيّة كما فتق الكافور بالمسك فاتقه

(١) قال ابن المستوفى : قوله « الحزن هنا موضع بعينه » لا معنى له ، إذ ليس روض هذا الموضع بعينه أحسن من روض غيره ، وإنما أراد بالحزن هنا ما غلظ من الأرض ، وروضه أحسن الرياض لقلة إمساكه الماء . وقوله : « إنما وصف روض الحزن لأنه أبعد من وطء الراعية إذ كان السهل أيسر عليها » ليس بمستقيم ، إنما الروض إذا بعد عن الوطاء كان أحسن سواء كان في حزن أو سهل . . .

(٢) الأغاني ١٤ : ٥٩ . والبيت التالي له المكمل لمعناه هو :

بأطيب من أردان عزة موهناً وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

(٣) الديوان ص ٥٠ . وقال « الحنة » عشبة وضيئة صفراء الثمرة ، و « النفل » بقلة طيبة .

والبيت التالي له المكمل لمعناه :

سقتة سماء ذات ظل فنقرمت نطافا ولما يأت سيل المذائب

(٤) قال الصول : ويروى « ضربت به خيم الشناء » .

٤ يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُهَا
أَرْجَاً وَتَوْكَلُ بِالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ

[ص] هذا مثل ، كما يقال فلان يُشْرَبُ مع الماء ، وكدتُ آكلهُ شَغَفًا به ، لَمَنْ يُسْتَحْلَى خَلْقًا وَخُلُقًا وَظَرْفًا . و « نَسِيمُهَا » أى نَسِيمُ هذه الضرائب يُحْزِكُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ . ويروى : « يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُهَا » (١) .

٥ ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّاحَةِ فَالتَوَتْ
فِيهِ الظُّنُونُ : أَمَذْهَبُ أَمْ مُذْهَبُ

(ع) « ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ » يحتمل وجهين : فتح الميم وضمها ، فإذا فتحت فالمعنى : ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ - أى طريقته - السَّاحَةِ ، أى غلبت عليه ، كما يقال ذَهَبَ فلانٌ بِالْمَجْدِ أى حازَهُ وصارَ لَهُ ، ومنه قول الأخطل :

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالسَّاحَةِ وَالنَّدَى وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عِمَامِ الْأَنْصَارِ (٢)

وإذا ضُمَّتِ الميم فالمعنى : ذَهَبَتْ بِثِيَابِهِ الْمَذْهَبَةِ . أى أَنَّهُ يَخْلَعُهَا . وقد ادَّعى قومٌ أَنَّ الذَّهَبَ يُسَمَّى مُذْهَبًا ، وَفَسَّرُوا عَلَى ذَلِكَ قول الأخطل :

لَبَّاسُ أُرْدِيَةِ الْمُلُوكِ كَأَنَّمَا عُلَّتْ تَرَائِبُهُ بِمَاءِ الْمَذْهَبِ (٣)

قالوا أراد الذَّهَبَ ، والقياس يوجب أَنَّ المراد بِمَاءِ الشَّيْءِ الْمَذْهَبُ . وقوله « التَوَتْ فِيهِ الظُّنُونُ » أى اختلفت ولم تُحَقِّقْ شَيْئًا وَاحِدًا . وقوله « أَمَذْهَبُ أَمْ مُذْهَبُ » يقول : أطرِيقَةُ هُوَ وَخُلِقَ أَمْ مُذْهَبُ ، من قول العامة بفلان مُذْهَبٌ إِذَا كَانَ يَلْسَعُ فِي الشَّيْءِ وَيُغَرِّى بِهِ . وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الطَّهَّارَةِ ، يقال بفلان مُذْهَبٌ إِذَا كَانَ يَتَطَهَّرُ ثُمَّ يَنْظُنُّ أَنَّ طَهَّارَتَهُ لَمْ تَتَكَمَّلْ فَيُعِيدُهَا . وَذَلِكَ يَعْرِضُ لِلْقُرَّاءِ وَالْمُنْتَهِسِينَ كَثِيرًا . وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حَدَّثَتْ فِي الْإِسْلَامِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ رَوَوْا حَدِيثًا مَرْفُوعًا فِيهِ ذِكْرُ أَوْلَادِ

(١) قوله « يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُهَا » لم يرد في نسخة ش وأثبتناه من نسختي ب ، ن .

(٢) الديوان : ص ٣١٤ .

(٣) الديوان : ص ٢٧ .

سَبْعَةٌ وَلَدَهُمُ الشَّيْطَانُ : أَحَدُهُمْ يُسَمَّى الْمُنْذَهَبُ ، وَهُوَ الَّذِي يَعْرِضُ
لِلْمُتَطَهِّرِينَ فِيوْهَمُهُمْ أَنْ طَهَّرَتْهُمْ فَاسِدَةٌ^(١) فَيُعِيدُونَهَا . وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ الَّتِي
تُذَكِّرُ عَلَى مَعْنَى التَّعَحُّبِ مِنْهَا : أَنَّ عَدْنَانَ أَبَا مَعْدَدٍ كَانَ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ
لَهُ الضَّحَّاكُ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنَ الْجِنِّ ، وَأَنَّهُ لَحِقَ بِأَخْوَالِهِ فَصَارَ شَيْطَانًا وَهُوَ
الَّذِي يُسَمَّى الْمُنْذَهَبُ ، يَعْرِضُ لِلنَّاسِ فِي الطَّهَارَةِ . بِخَطِّ الْعَبْدِيِّ :
« الْمُنْذَهَبُ » وَاحِدُ الْمَذَاهِبِ ، وَ « الْمُنْذَهَبُ » هُوَ اللَّوْحُ وَالسَّفَرُ مِنَ الْكُتُبِ
الَّتِي فِيهَا السِّيَرُ . [خ] يَقُولُ : ذَهَبَتِ السَّاحَةُ بِمُنْذَهَبِهِ كُلِّ مَنْذَهَبٍ ،
فَأَخَذَ مِنْ كُلِّ حَظٍّ ، فَلَا يَدْرِي أَمِنْذَهَبِهِ مَنْذَهَبٌ ، أَمْ هُوَ السَّفَرُ
الَّذِي تَتَشَعَّبُ فِيهِ الْمَنَذَاهِبُ لِسَعَتِهَا وَافْتِنَانِهَا فِي كُلِّ فَنٍّ^(٢) .

٦ وَرَأَيْتُ غُرَّتَهُ صَبِيحَةَ نَكْبَةٍ

جَلَلٍ فَقُلْتُ : أَبَارِقُ أَمْ كَوَكَبُ ؟

« صَبِيحَةَ نَكْبَةٍ » أَيُ أَصَابَتْهُ نَكْبَةٌ فِي لَيْلَتِهَا ، وَ « الْجَلَلُ » هُنَا
الْعَظِيمُ . « فَقُلْتُ أَبَارِقُ » : أَيُ أَهَى شُعَاعُ بَرَقَ أَمْ ضَوْءُ كَوَكَبٍ ؟

٧ مَتَعْتُ كَمَا مَتَعَ الضُّحَى فِي حَادِثِ

دَاجٍ كَأَنَّ الصُّبْحَ^(١) فِيهِ مَغْرِبٌ^(٢)

« مَتَعْتُ » : ارْتَفَعْتُ . (ق) يَقُولُ : إِنَّ غُرَّتَهُ تُرَى عِنْدَ النَّكْبَةِ الْعَظِيمَةِ
تُصَيِّبُهُ مُضِيئَةٌ مُشْرِقَةٌ كَأَشْرَاقِ الضُّحَى عِنْدَ الْإِبَاسِ سَحَابٍ شَدِيدِ السَّوَادِ .
يَقُولُ : لِإِسْفَارِ الصُّبْحِ عِنْدَهُ مِنْ إِظْلَامِهِ كَأَنَّهُ مَغْرِبٌ ، أَيُ وَقْتُ غُرُوبِ الشَّمْسِ
وَجُنُوحِ اللَّيْلِ . قَالَ : وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِ « الْعَارِضِ » الْحَادِثُ الْعَظِيمُ

(١) قَالَ الْمَرْزُوقُ : الْمَذْهَبُ (بضم الميم) الْجَنُونُ ، يُقَالُ بِهِ مَذْهَبٌ . وَالْمَعْنَى أَنَّ السَّاحَةَ قَدْ غَلَبَتْ
عَلَيْهِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى شَمَائِلِهِ وَبِحَايَاهُ ، فَهُوَ يَفْرُطُ فِيهَا وَيَسْرِفُ فِي لُزُومِهَا ، حَتَّى قِيلَ عَلَى طَرِيقِ التَّشَكُّكِ :
أَهَذَا خَلْقٌ وَمَذْهَبٌ أَمْ جَنُونٌ وَمَذْهَبٌ ؟

(٢) قَالَ الصَّوْلِيُّ : يَرُودُ « كَأَنَّ الشَّرْقَ » ، وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : وَهِيَ رِوَايَةُ الْخَارِزْمِيِّ .

(٣) هـ : وَيُرْوَى « غَيْبٌ » .

المُظْلَمَ الَّذِي يَصِيرُ الصَّبْحُ مَعَهُ مَغْرِبًا وَالظُّهْرُ لَهُ مَقْصِرًا * ، وعلى هذا الوجه تكون الرواية « كما مَتَعَ الضَّحَى فِي عَارِضٍ دَاجٍ » ^(١) .

٨ يَفْدِيهِ قَوْمٌ أَحْضَرَتْ ^(٢) أَعْرَاضُهُمْ

سُوءَ الْمَعَايِبِ ^(٣) وَالنَّوَالُ مُغَيَّبٌ

[خ] أَيْ قَوْمٌ تَسْتَوْبُهُمُ النَّوَائِبُ فَلَا يُقَابِلُونَهَا بِفَعَالٍ حَسَنٍ يَدْفَعُونَهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَا يَفْعَلُ هَذَا الْمَدْحُوحُ .

٩ مِنْ كُلِّ مُهْرَاقٍ الْحَيَاءُ كَأَنَّمَا

غَطَّى غَدِيرِي وَجَنَّتِيهِ الطُّحْلُبُ

أَيْ مِنْ كُلِّ رَجُلٍ صَفِيْقِ الْوَجْهِ ذِي قِحَةٍ ، كَأَنَّمَا غَطَّى عَلَى عَيْنِيهِ فَلَا حَيَاءَ فِيهِمَا . [ع] وَسَكَنَ الْمَاءُ فِي « مُهْرَاقٍ » عَلَى لُغَةٍ مِّنْ قَالَ أَهْرَقْتُ ، وَمِنْ قَالَ أَهْرَقْتُ يَقُولُ مُهْرَاقٌ .

١٠ مُتَلَسِّمُ الثَّوْبَيْنِ يَنْظُرُ ^(٤) زَادَهُ

نَظْرٌ يُحَدِّقُهُ وَخَدُّ صُلْبٌ

[ع] « مُتَلَسِّمُ الثَّوْبَيْنِ » أَيْ دَنَسَهُمَا ، وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنْ يَأْكُلَ الدَّنَسَ .

(١) وهي رواية ق ، ظ . (٢) في س ، ب ، ن : « أَحْضَرَتْ » بِالْبَاءِ لِلْمَجْهُولِ .

(٣) س : « رَيْبُ الْخَوَادِثِ وَالْفَعَالِ مُغَيَّبٌ » . وَفِي ظ : أَنْشَدَهُ الْآمِدِيُّ :

يَفْدِيكَ قَوْمٌ أَحْضَرَتْ أَعْرَاضَهُمْ رَيْبُ الْخَوَادِثِ وَالْفَعَالِ مُغَيَّبٌ

وَقَالَ : هَذَا بِمَا غَيْرِهِ مَنْ لَمْ يَمُرْفِ مَعْنَاهُ فَجَعَلُوهُ « يَفْدِيكَ قَوْمٌ . . . » الْبَيْتِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَبُو تَمَامٍ أَنَّهُ إِذَا رَأَى الزَّمَانَ بِمَجَادَّةٍ تَحَدَّثَ لَمْ يَحْضُرْ ذَلِكَ الْأَمْرُ إِلَّا أَعْرَاضَهُمْ لِأَنَّهُ تَنَهَكَ بِالذَّمِّ وَفَعَالُهُمْ مُغَيَّبٌ . . . فَلَيْسَ تَحْضُرُ هَذِهِ الْخَوَادِثُ إِلَّا أَعْرَاضُهُمْ الَّتِي تَذَمُّ ، فَجَعَلَ ذِكْرَ الذَّاكِرِ لَهَا بِالذَّمِّ حَضُورًا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِأَعْرَاضِهِمْ أَجْسَادَهُمْ ، وَقَدْ يُقَالُ لِلْجَسَدِ عَرَضٌ ، قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَفَوَّطُونَ وَلَكِنَّهُ عَرَقٌ يَجْرِي مِنْ أَعْرَاضِهِمْ كَالْمَسْكِ » فَيَقُولُ لَهُمْ يَحْضُرُونَ الْخَوَادِثَ بِأَبْدَانِهِمْ وَالْفَعَالُ الْجَمِيلُ مِنْهُمْ مُغَيَّبٌ .

(٤) س : « يَنْصُرُ زَادَهُ نَظْرٌ يُحَدِّدُهُ وَجْهَهُ صُلْبٌ » . وَقَالَ الصَّوْلِيُّ فِي م : وَيُرْوَى : « وَجْهَهُ صُلْبٌ » ، وَفِي ظ : وَرَوَى الْخَارَزَمِيُّ : « مُتَبَسِّمُ الثَّوْبَيْنِ يَنْصُرُ زَادَهُ » أَيْ أَبْيَضُ اللَّبَاسِ ، يَقُولُ هُوَ - يَعْنِي الْمَهْجُو - حَسَنُ اللَّبَاسِ . مُتَنَوِّقٌ فِيهِ ، إِلَّا أَنَّهُ شَحِيحٌ يَمْنَعُ زَادَهُ مِنْ أَكْيَلِهِ نَظْرٌ يَحْدُ بِهِ فِي وَجْهِهِ مِنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ لِتَحْدِيدِهِ . . . يَقُولُ : إِذَا اسْتَفَاثَ بِهِ زَادَهُ فَصَرَهُ بِنَظَرِهِ وَقِحَةٍ وَجْهَهُ .

فَيُصِيبُ ثَوْبَهُ وَلَا يَسْتَعِثُّهُ بِالْغَسَلِ ، ثُمَّ قِيلَ لِلْغَادِرِ وَالْبَخِيلِ إِنَّ ثِيَابَهُ لَدُسْمٌ
يُضْرَبُ مِثْلًا وَإِنْ كَانَتْ ثِيَابُهُ الْمَلْبُوسَةُ نَقِيَّةً ، قَالَ الرَّاجِزُ :
لَا هُمْ إِنْ عَامَرَ بْنَ جَهَنَّمَ
أَوْ ذَمَّ حَجًّا فِي ثِيَابٍ دُسْمٍ ^(١)

وقوله « ينظرُ زَادَهُ نَظَرٌ » هذا مأخوذٌ من الناظر وهو الذي تسميه العامة
الناطور . ويجوز أن يكون الطائي قال « ينظرُ » بالطاء لأنهم قد تكلموا بالناطور
قديمًا ، والطاء فيما روى من كلام النبط ، وإذا قيل بالطاء فهو من نظرت الشيء
في معنى نظرت إليه ، وأكثر ما استعملت « نظرت » مع « إلى » ، وقد تستعمل
متعديةً بغير حرف خفض ، يقال نظرت الرجل في معنى نظرت إليه ، قال ابن
قيس الرقيات :

ظَاهِرَاتُ الْجَمَالِ وَالسَّرَوِيَّاتُ نَظَرُ
نَ كَمَا يَنْظُرُ الْأَرَاكُ الظُّبَاءُ ^(٢)

ويقال « حَدَقَ » إليه ، إذا نظر نظرًا شديدًا ، والمعنى أنه يجعل حدقته
نصبًا له لا يُزِيلُهَا عَنْهُ . و« خَدَّ صَلَبٌ » أى صُلْبٌ ، ويُقال لحجارة المِسْنِ
صَلَبٌ لصلابتها .

١١ فَإِذَا طَلَبْتُ لَدَيْهِمْ مَا لَمْ أَنْلِ
أَذْرَكْتُ مِنْ جَدْوَاهُ مَا لَا أَطْلُبُ

١٢ ضَمَّ الْفَتَاءَ إِلَى الْفُتُوَّةِ بُرْدَهُ
وَسَقَاهُ وَسَمِيَّ الشُّبَابِ الصَّيِّبُ

١٢ - « الْفَتَاءُ » طَرَاءَةُ السِّنِّ ، وَقَلَّمَا يَسْتَعْمِلُونَ « الْفَتَاءَ » فِي بَنِي آدَمَ ،
لأنهم إنما يقولون دَابَّةً فُتًى ، إِلَّا أَنَّ الْبَيْتَ الْمَرْوِيَّ لِلْفَزَارِيِّ مَعْرُوفٌ :
إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَائَتِينَ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَّازَةُ وَالْفَتَاءُ ^(٣)

(١) أورد الصول هذا الريع في شرحه . وهو في اللسان مادة « وذم » . قال : وأوذم على نفسه حجاجًا
أو سفرًا أوجبه . أراد ثيابًا متلطخة بالذنوب ، يعنى أحرم بالحج وهو مدنس بالذنوب .

(٢) الديوان ص ١٧١ . (٣) البيت للربيع بن ضبع الفزاري - اللسان مادة « فتى » .

يقول : هو ذو فتاء في سنّه ، وفُتُوّة في خُلُقِه ، وماءُ الشَّبابِ مُحَسِّنٌ لوجهه كما يُحَسِّنُ وَسَمِّيَ المطرُ الأرضَ .

١٣ وَصَفَا كَمَا يَصْفُو^(١) الشُّهَابُ وَإِنَّهُ

فِي ذَاكَ مِنْ صَبْغِ الْحَيَاءِ لَمْ شَرَبُ

١٤ تَلَقَّى السُّعُودَ بِوَجْهِهِ وَتَجَبَّهُ

وَعَلَيْكَ مَسْحَةٌ بَغْضَةٍ فَتُجَبِّبُ

١٤ - (ق) : يَعْني أَنَّ هذا الممدوحَ حَسَنُ الْقَبُولِ ، إِذَا رَأَيْتَهُ سَعِدْتَ بِهِ وَأَحْبَبْتَهُ ، وَإِنْ كُنْتَ قَبْلُ مُبْغِضًا إِلَى النَّاسِ حُبِّبْتَ إِلَيْهِمْ لِإِقْبَالِهِ عَلَيْكَ وَاسْتِعَاذِكَ بِهِ . (ع) : « مَسْحَةٌ بَغْضَةٍ » ، مُسْتَعَارٌ ، يُقَالُ عَلَيْهَا مَسْحَةٌ مِنْ الْجَمَالِ أَيْ هِيَ جَمِيلَةٌ جَمَالًا لَيْسَ بِمُقَرَّرٍ ، لِأَنَّ مَسْحَ الشَّيْءِ لَا يُوجِبُ كَثْرَةَ تَعَلُّقِهِ بِالْمَسَاخِ وَلَا الْمَسُوحِ ، وَحَقٌّ ذَلِكَ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي الْمُرِيَّاتِ ، وَالْبَغْضَةُ لَا تُرَى فِي الْحَقِيقَةِ ، وَالْجَمَالُ مَرَّتَيْنِ^(٢) .

١٥ إِنَّ الْإِخَاءَ وَلَادَةً وَأَنَا أَمْرُو

مِمَّنْ أَوْاخِي حَيْثُ مِلْتُ فَأُنَجِّبُ

[خ] يقول : إِخَاءُ الْمَتَاخِيصِينَ كَأُخُوَةِ الْأُخُوَةِ ، وَأَنَا رَجُلٌ مُسْتَقْصٍ فِي اعْتِقَادِ الْإِخْوَانِ . * أَيْ لَا أَوْاخِي إِلَّا كَرِيمًا^(٣) .

(١) م : « كَمَا اعْتَدَلَ الشُّهَابُ » وَهَامِشُهَا رَوَايَةُ الْأَصْلِ - س : « كَمَا نَصَعَ الشُّهَابُ » - وَفِي ظ : وَرَوَى الْخَارِزْمِيُّ : « وَصَفَا كَمَا اعْتَدَلَ الشُّبَابُ » وَقَالَ : وَرَوَايَةُ « الشُّبَابُ » أَجُودُ لِقَوْلِهِ « وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مِنْ صَبْغِ الْحَيَاءِ لَمْ شَرَبُ » لِأَنَّهُ أَقْبَى بِالْإِشْرَابِ مَعَ الصَّفَاءِ وَالْخُلُوصِ فَيَكُونُ عَلَى جِهَةِ الطَّبَاقِ .

(٢) أورد ابن المستوفي شرح أبي الملاء هذا بلفظه وفيه شاهد . قال : قال الشاعر :

على وجهي مسحة من ملاحه وتحت الثياب الشين لو كان باديا

(٣) في الأصول « فَأُنَجِّبُ » بضم الهمزة ومعناها أَوْاخِي النَجِيَاءُ ، وَيُظْهَرُ أَنَّ الْخَارِزْمِيَّ رَوَاهَا بِفَتْحِ الهمزة فبِقِيَّةِ كَلَامِهِ كَمَا جَاءَ فِي ظ : وَأَنَا رَجُلٌ مُسْتَقْصٍ فِي اعْتِقَادِ الْإِخْوَانِ ، فَإِذَا اتَّخَذْتُ أَخًا اسْتَكْرَمْتُهُ أَيْ اتَّخَذْتُهُ كَرِيمًا فَأُنَجِّبُ ، مِنْ نَجَبَتْ عَنِ الشَّجَرِ الْأَحْيَاءُ وَبَلَّغْتَ إِلَى خَالِصِ الشَّيْءِ ، وَهُوَ مِثْلُ ضَرْبِهِ ، أَيْ أَبَالِغُ فِي الْمُودَةِ .

١٦ وَإِذَا الرِّجَالُ تَسَاجَلُوا فِي مَشْهَدٍ
فَمُرِيحُ رَأْيٍ مِنْهُمْ أَوْ مُعْزِبُ^(١)
أى رأى عاقل ورأى جاهل ، أى منهم مَنْ له رأى ومنهم من لا رأى له .
يقول : إذا اختلفوا فى رأى تأتى بالرأى المصيب ، واستعار للرأى الإراحة والإعزَابَ
ولمّا ذلك للمال الراعى .

١٧ أَحْرَزْتَ خَصْلِيهِ إِلَيْكَ وَأَقْبَلْتَ
آرَاءَ قَوْمٍ خَلْفَ رَأْيِكَ تُجَنَّبُ
« الخَصْلُ » ما يُخْرِجُهُ الْمُتَاَضِلُّ أَوْ الْمُسَابِقُ لِیَأْخُذَهُ أَحَدُ الْمُتَاَضِلِّينِ
أو المتسابقين إذا غلب .

١٨ وَإِذَا رَأَيْتَكَ^(٢) وَالْكَلَامُ لَآئِي^(٣)
تُومُ^(٤) فَبِكْرُ فِي النَّظَامِ وَثِيبُ
يقال لما عَظُمَ مِنَ اللَّائِي تُمُومٌ ، وهذا مَثَلٌ ، يريد أنه يَجْىءُ بِرَأْيٍ
يبتدعه ورأى يختاره مما سَبَقَ إليه .

١٩ فَكَأَنَّ قُصَا فِي عُكَازٍ يَخْطُبُ
وَكَأَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ تَنْدُبُ

٢٠ وَكَثِيرَ عَزَّةٍ يَوْمَ بَيْنٍ^(٥) يَنْسُبُ
وَابْنَ الْمُقَفِّعِ فِي الْيَتِيمَةِ يُسْهَبُ
١٩ و ٢٠ - صرَّعَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي غَيْرِ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ ، وَالْغَالِبُ فِي شِعْرِ

(١) س : « مُعْزِبُ » .

(٢) م ، ل ، س ، ظ : « وَلَقَدْ رَأَيْتَكَ » - وفى ظ « وَلَقَدْ سَمِعْتُكَ » .

(٣) قال ابن المستوفى فى نسخة ابن الليث بخطه : « تُمُومٌ » جمع تُوْمَةٍ وهى الدرة ، أى من الكلام
من له ماء وهو مثل الدرة ، ومنه من لا ماء له .

(٤) فى الأصول « وَكَثِيرٌ » على الأصل من غير تصغير . وفى ب . « وَكَثِيرٌ يَوْمَ بَيْنٍ » .

العرب وغيرهم أن يكون التصريحُ في البيتِ الأول ، وربما جاء التصريحُ في تضاعيفِ الأبيات ، وذلك قليل . وذكر أربعةَ كلُّهم مُبرِّزٌ في الطريقة التي سلكها ، ذكرَ قُتَيْبُ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي ، وهو أحدُ خطباء العرب وحكمائهم وزُهادهم ، وذكر لَيْثُ الْأَخِيلِيَّةِ وهي من بني الْأَخِيلِ من عُقَيْلٍ ، وكانت يُحكَم لها بالتبريز في مرثي تَوْبَةَ بْنِ الْحُمَيْرِ ، وذكر كُثَيْبُ عَزَّة وهو من بني مُلَيْح من خُزَاعَةَ ، وكان يقدِّم في النَّسَب وفي مدح الملوك ، وأضاف إليه عبد الله ابن المقفَّع الكاتب ، و « اليتيمة » لقبُ كتاب لابن المقفَّع يشتمل على ذكر آدابِ نَفْسِيَّةٍ يأمر بها الإنسانَ من حُسْنِ الْأَخْلَاقِ والسَّامَةِ وبَدَلِ الموجود ورفضِ التَّكَبُّرِ ونحو ذلك ، ومعنى « اليتيمة » أنها مُنْقَطَعَةُ الْقَرِينِ مثلُ الدَّرَةِ اليتيمة التي لا شبيه لها .

٢١ تَكْسُو الْوَقَارَ وَتَسْتَخِفُّ مُوقِرًا

طَوْرًا وَتُبْكِي سَامِعِينَ وَتُطْرِبُ

[ع] أَيْ يَتَوَقَّرُ غَيْرُ الْوَقُورِ إِذَا أَصَغَى إِلَيْكَ ، وَتَسْتَخِفُّ الْوَقُورَ بِحُسْنِ مَا يَسْمَعُ مِنْكَ * وَتُبْكِي إِذَا وَعْظْتَ ، وَتُطْرِبُ بِبِدَائِعِكَ .

٢٢ قَدْ جَاءَنَا الرَّشَاءُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ

خَرَقًا وَلَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا الْمَرْكَبُ

يَعْنِي الْغَلَامَ الَّذِي أَهْدَاهُ إِلَيْهِ . وَ « الْخَرَقُ » الَّذِي قَدْ دُهِشَ وَتَجِيرَ كَأَنَّهُ رَشَاءٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَصْلُحُ لِلتَّمَتُّعِ . [ص] وَأَصْلُ « الْخَرَقُ » الضَّعْفُ فِي الْقَوَائِمِ مِنَ النِّعْمَةِ .

٢٣ لَدُنُ الْبَنَانِ لَهُ لِسَانٌ أَعْجَمُ خُرْسٌ مَعَانِيهِ وَوَجْهٌ مُعْرَبٌ

[خ] « لِسَانٌ أَعْجَمُ » لَا يُوقَفُ عَلَى مَعَانِيهِ ، وَ « وَجْهٌ مُعْرَبٌ » يَدْعُو إِلَى حُبِّهِ .

٢٤ يَرْنُو فَيَثْلِمُ فِي الْقُلُوبِ بَطْرَفَهُ

وَيَعْنُ^(١) لِلنَّظَرِ الْحَرُونَ فَيُصْحِبُ

أى ينظر فيذهب بالقلب ، ويتعرض لمن لا ينظر إليه فيستميله إليه حتى يتبذره . و « عَنَّ » اعترض ، ومنه عِنَانُ الفرس ، و « يُصْحِبُ » ينقاد . (ع) : أصلُ الحِرَانِ فى الخيل وذوات الحافر ، استعاره هنا للنظر ، ولعله لم يُوصَف قبل الطائي بهذا . وقوله « يُصْحِبُ » مِن قولهم أَصْحَبَ إِذَا انْقَادَ بَعْدَ امْتِنَاعٍ . والمعنى : أَنَّ هَذَا الرَّشَاءَ يَعْتَزُّ لِلنَّظَرِ الَّذِى لَمْ يَكُنْ يُصَرِّفُ إِلَى شَيْءٍ يُسْتَحْسِنُ فَيُنْصَرِفُ إِلَيْهِ .

٢٥ قَدْ صَرَّفَ الرَّائُونَ خَمْرَةَ خَدِّهِ

وَأَظْنَهَا بِالرِّيقِ مِنْهُ سَتَّقَطَبُ^(٢)

[ص] يقول : قد خَجِلَ مِنْ كَثْرَةِ النَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَاحْمَرَّتْ وَجَنَّتْهُ فَكَأَنَّهَا خَمْرٌ لَمْ تُمَزَّجْ ، ثُمَّ قَالَ : « وَأَظْنَهَا بِالرِّيقِ مِنْهُ سَتَّقَطَبُ » يريد أَنَّهُ يَقْبَلُهُ عَلَى خَدِّهِ ثُمَّ فِي فَمِهِ وَيَسْرَشِفُ رِيْقَهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ « سَتَّقَطَبُ » أَيْ تُمَزَّجُ .

٢٦ حَمْدُ حُبَيْتَ بِهِ وَأَجْرُ حَلَقَتِ

مِنْ دُونِهِ عُنْقَاءُ لَيْلٍ مُغْرَبُ

(ق) يعنى غلاماً كان وهبه له ، يقول : أَنَا أَشْكُرُكَ عَلَى صَنِيعِكَ فِي هِبَتِكَ ، وَلَكِنْ لَا تُؤَجِّرْ عَلَيْهِ ، إِذْ كَانَ الْغُلَامُ يُنَالُ مِنْهُ مَا لَا يُسْتَحَقُّ بِهِ الْأَجْرُ إِنْ سَلِمَ فِي اسْتِخْدَامِهِ مِنَ الْوُزْرِ^(٣) .

(١) فى ظ : وقال الخارزنجي : ويروى « وَيَسْرِن » ، وقال ابن المستوفى : قال الجوهري رنت المرأة ترن رنيناً أى صوتت ، كأنه أراد بقوله « يرن » يصوت للنظر الحرون ، أى يدعو النظر الحرون .

(٢) س : « تقطب » .

(٣) وقال الصولي : قد جلب إليك هذا الغلام حمداً وشكراً لما أهديته إليك ، ولكن ليس لك فى إهدائه أجر ، لأنك أهديته لأسومه الحرام ، فكان أجره طارت به عنقائه مغرب .

٢٧ خُذْهُ وَإِنْ لَمْ يَرْتَجِعْ مَعْرُوفَهُ
مَحْضٌ إِذَا مُزِجَ^(١) الرِّجَالُ مُهْذَبٌ

٢٨ وَاَنْفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خَيْمِكَ نَفْحَةً
إِنْ كَانَتْ الْأَخْلَاقُ مِمَّا تُوهَبُ

٢٧ و ٢٨ - يقول خُذَ العبدَ إليك ، وأعطني من أخلاقك ما هو أحسنُ منه ، وإن كان الكريم إذا رَفَدَ رَفَدَ أَلَمْ يَرْتَجِعْهُ .

(١) م : « إذا عُد الرجال » - وقال الصولي في شرحه : ويروى « إذا غلث الرجال » - وهي رواية ق ، ظ أيضاً - : أي خلط ، يقال غلثت البر بالشعير أغلثته بالكسر . وقال ابن المستوفى : ويروى « إذا مزج الرجال » وهو أحسن ، وقال : وفي نسخة « إذا عيب الرجال » وفيها « إذا خلط » .

قال يمدح الحسن بن سهل^(١) :

١ أَيْامَنَا مَا كُنْتِ إِلَّا مَوَاهِبًا

وَكُنْتِ بِإِسْعَافِ الْحَيِّبِ حَبَائِبًا^(٢)

الثاني من الطويل ، والقافية متدارك .

وقوله « بِإِسْعَافِ الْحَيِّبِ » أى بِإِسْعَافِكَ بِالْحَيِّبِ . و « حَبَائِبِ » جمع حَبِيبَةٍ ، كَأَنَّهُ أَيَّامٌ حَبِيبَةٌ ، ثُمَّ تُجْمَعُ عَلَى حَبَائِبٍ^(٣) .

٢ سَنُغْرِبُ تَجْدِيدًا لِعَهْدِكَ فِي الْبُكَاءِ

فَمَا كُنْتِ فِي الْأَيَّامِ إِلَّا غَرَائِبًا

٣ وَمُعْتَرِكٍ لِلشُّوقِ أَهْدَى بِهِ الْهُوَى

إِلَى ذِي الْهُوَى نُجْلَ الْعُيُونِ رَبَائِبًا

٣ - [ص] شَبَّهَ مَوْضِعَ اجْتِمَاعِهِ مَعَ حَبَائِبِهِ وَمُتْلَاعِبَتِهِ إِيَّاهُنَّ بِمُعْتَرِكٍ ، وَجَعَلَهُ مُعْتَرِكَ شَوْقٍ لِمُعْتَرِكِ حَرْبٍ ، وَأَرَادَ بِـ « ذِي الْهُوَى » نَفْسَهُ * . (ق) : الرواية : « أَهْدَى بِهِ الْكَسْرَى إِلَى ذِي الْهُوَى » ، وَلَوْ كَانَ أَبُو تَمَّامٍ سَاعِدَهُ الْهُوَى وَعَايِنَ الْمَحْبُوبَ لَمْ يَكُنْ يَقُولُ « وَمُعْتَرِكٍ لِلشُّوقِ » ، وَلَوْ كَانَتِ الرَّوَايَةُ « أَهْدَى بِهِ الْهُوَى » لَمْ يَكُنْ لَهُ فَائِذَةٌ ، لِأَنَّ الزِّيَارَةَ إِذَا أَمَكُنْتَ لَا تُكُونُ مِنْ فِعْلِ الْهُوَى ، فَيَجْعَلُ الْإِهْدَاءَ لَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَتَكَرَّرَ الْهُوَى يَتَشِينُ الْبَيْتَ وَهُوَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَإِذَا رُوِيَ « أَهْدَى

(١) جَاءَ فِي سِ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ : وَقَالَ يَمْدَحُ الْحَسَنَ بْنَ رَجَاءٍ .

(٢) يَلِي هَذَا الْبَيْتَ فِي سِ بَيْتٌ لَمْ يَرِدْ فِي سَائِرِ الْأَصُولِ هُوَ :

تَفَرَّقْنَ أَيَّامٌ حَمَدَتْ نَعِيمَهَا كَذَا كُلِّ أَيَّامٍ بَعْدَنَ ذَوَاهَا

وَأَمَامَهُ بِالْهَامِشِ رَوَايَةٌ « تَوَلَّيْنِ » بَدَلَ قَوْلِهِ « تَفَرَّقْنَ » وَبِالْهَامِشِ الْمُقَابِلَ لَهُ « لَيْسَ هَذَا الْبَيْتُ عِنْدَ أَبِي عَلِيٍّ » يُرِيدُ أَبَا عَلِيٍّ الْقَالِي .

(٣) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ : أَيْ لَمْ تَكُونِي كَالْأَيَّامِ ، وَإِنَّمَا كُنْتِ مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَعَمِهِ ، وَكُنْتِ مَحْبُوبَةً بِوَصَالِ الْحَيِّبِ ، أَيْ لِأَجْلِ وَصَالِهِ .

به الكثرى إلى ذى الهوى « سليم البيت من العيوب ، وجاد وحسن ^(١) » * « ونُجِّلَ
العيون » أى واسعة العيون ، يقال عَيْنٌ نَجَلَاءُ ، وامرأة نجلاء ، ورجل أنجَل .
و « الربائب » جمع ربيبة ، وهى التى تُرَبُّ أو يقام عليها ، من قولهم رَبَّيْتُ
الطفلَ وَرَبَّيْتُهُ : إذا أحسنت مراعاته والقيامَ عليه .

٤ كَوَاعِبُ زَارَتْ فِي لَيَالٍ قَصِيرَةٍ
يُخَيِّلُنَّ لِي مِنْ حُسْنِهِنَّ كَوَاعِبَا

[ص] يقول : لعشقى لهذه الليالى وعُجْنِي بها ، خيِّلَ لِي أنها كواعِب .

٥ سَلَبْنَا غِطَاءَ الْحُسْنِ عَنْ حُرٍّ أَوْجُهُ
تَظَلُّ لِلْبُ سَالِبِيهَا سَوَالِبَا

٦ وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ فِيهَا كَوَاكِبُ
تَوَقَّدُ لِلْسَّارَى لَكُنَّ ^(٢) كَوَاكِبَا

(١) أورد ابن المستوفى للمرزوق كلاماً كثيراً فى هذا البيت ، زيادة حل ما جاء به التبريزى
هنا ، ليخطئ رواية « أهدى به الهوى » ، وليؤيد روايته « أهدى به الكرى » . فبعد قوله « جاد
وحسن . . . » يقول : وهذه الطريقة ليست بمخالفة لقوله :

نم فَا زَارَكَ الْخِيَالَ وَلَكِنْ
وَقَدْ أَخَذَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ الْبَحْثَرَى مِنْ أَبِي تَمَامٍ فِي مَوْضِعٍ فَقَالَ :

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ شَقِي قَرَبَهُ التَّبْرِيعُ أَوْ نَقَعَ الصَّدَى

وعقب عليه ابن المستوفى بقوله : الرواية ما رواه الصولى ، وسياق اللفظ فى البيتين [هذا البيت والذى
بعده] يدل على صحته . وقول المرزوق « إن الزيارة إذا أمكنت لا تكون من فعل الهوى » غلط ، بل لا تكون
إلا من فعل الهوى ، ألا ترى إلى قوله :

وَمَا زَرْتَكُمْ عَمْدًا وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ

فأراد أبو تمام أن الهوى حمل هؤلاء النجل العيون الربائب ، على أن زرتهم .

(٢) س ، ل ، د ، هـ ، ب : « لكانت » .

٧ سَلِي هَلْ عَمَرْتُ الْقَفْرَ وَهُوَ سَبَاسِبٌ

وَعَادَرْتُ رَبْعِي مِنْ رِكَابِي سَبَاسِبَا

«الركاب» الإبلُ المركوبة ، فأما الركابُ في قول زيد الخيل :
وخبيسة من يُجِير على غَنِيٍّ وباهلة بنِ أعصرَ والركابُ^(١)
فقليل إنه أراد أن أسرى غني وباهلة كانوا يُقرنون إلى سَيِّرِ ركاب السُّرُج ،
كما قال الآخر :

وَأَنَا الَّذِي إِنْ تَأْخُذُونِي عَنُوءَ أَقْرَنَ إِلَى سَيِّرِ الرِّكَابِ وَأَجْنَبِ
وقيل إن الركاب في بيت زيد الخيل إنما يُراد به الإبل المركوبة . و«سَبَاسِب»
وبَسَاسِب : قَفَرٌ مِنَ الْأَرْضِ^(٢) .

٨ وَغَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذَكَرَ مَشْرِقٍ
وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا

٩ خُطُوبٌ إِذَا لَاقَيْتُهُنَّ رَدَدَنِي

جَرِيحاً كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْكَتَائِبَا

٩ - ويروي «لَقِيتُ كَتَائِبَا» . «الكتيبة» : القِطْعَةُ مِنَ الْخَيْلِ ، وهي من
قولهم كَتَبْتُ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ إِذَا جَمَعْتَهُ إِلَيْهِ .

١٠ وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ

خَلَائِقُهُ طُرّاً^(٣) عَلَيْهِ نَوَائِبَا

«طُرّاً» أي جميعاً ، وهو من قولهم طَرَرْتُ الْإِبِلَ إِذَا مَرَرْتُ بِهَا مِنْ

(١) في الأصول «يجيب» والبيت في الأغاني ١٦ : ٥١ ، وروايته فيه «وباهلة بن أعصر
والكلاب» - والشعر والشعراء ص ٢٤٦ وروايته فيه «من يغير على غني» .

(٢) قال الصولي في شرح بيت أبي تمام : سَلِي هَلْ عَمَرْتُ . . . يقول : عَمَرْتُ الْقَفْرَ بِسَفَرِي ،
وصار منزلي كالقفر لتركى له .

(٣) ل ، د ، هـ ، س : «جسماً عليه» .

ناحيتهما ، والطَّرُّ الجانب ، ويحتمل أن يكون قولهم « طُرّاً » جمع طُرَّة ، مثل بُرَّة وبُرّ . أى مررتُ بهم من جميع نواحيهم .

١١ وَقَدْ يَكْهَمُ السَّيْفُ الْمَسْمَى مَنِيَّةً

وَقَدْ يَرْجِعُ الْمَرْءُ الْمُظْفَرُ خَائِباً

١٢ فَاقَّةٌ ذَا أَلَّا يُصَادِفَ مُضْرَباً

وَأَقَّةٌ ذَا أَلَّا يُصَادِفَ ضَارِباً

١٢ - ويروى « صارماً » بدل « مُضْرَباً » ^(١) . أى فَاقَّةُ السيف القاطع أَلَّا يجِدَ رجلاً شجاعاً ، وهو المُضْرَبُ ، وأَقَّةُ الشجاع المُضْرَبُ أَلَّا يجِدَ سيفاً قاطعاً يضرب به .

١٣ وَمَلَّانَ مِنْ ضِغْنٍ كَوَاهُ تَوَقَّلِي

إِلَى الْهَمَّةِ الْعُلْيَا سَنَاماً وَغَارِباً

[ع] : أى قد امتلأ من الحقد ، وهذا مستعار لأن الضغن عَرَضٌ لا يَمْتَلِئُ به الجسدُ ، ولكنَّ وَصْفَهُ بالكثرة ، وهذا كما قال الراجز :

يَا أَيُّهَا ذَا النَّابِجِي نَبَّحَ الْقَبْلَ

يَدْعُو عَلَى كُلِّمَا قَامَ يُصَلِّ

يُقْعِي بِكُفَيْهِ كَمَا يُقْعِي الْجُعَلُ

(١) روى الصول « مضرباً » بفتح الميم وكسر الراء ، وقال في شرحه : فَاقَّةُ الْمُظْفَرِ أَلَّا يجِدَ مضارباً يمتحن فيها نفسه ، وأَقَّةُ السيف أَلَّا يكون له من يضرب به : وفي ظ : روى الآمدي : « فَاقَّةٌ ذَا أَلَّا يصادف ضارباً » وقال : وهذا ليس بالجيد ، لأن الشجاع المظفر قد يقطع السيف الكهام في يده ، وكان الأجود أن يقال « فَاقَّةٌ ذَا أَلَّا يصادف مغنياً » أو « مضرباً » يعنى المظفر ، « وَأَقَّةٌ ذَا أَلَّا يصادف ضارباً » يعنى السيف ، لأنه جعل أفته في أن صار كهاماً ، أنه لم يجد ضارباً يضرب به . وفي هـ س : ويروى « أَلَّا يصادف ماجداً » .

وقد مَلَأْتُ بطنَه حتى أَتَلُ
غَيْظًا فَأَمْسَى ضِغْنُهُ قَدِ احْتَفَلَ^(١)

« أَتَلُ » إذا قارب الخطو من الغضب ، ووجه آخر : « أَتَلُ » أى صار بطنه كالتل . وهذا مما سئل عنه أبو حاتم فلم يُفسره ، وهو فى نوادر أبي زيد ، وخفف اللام ، و « التوقل » من قولهم توقلت فى الجبل . و « السنام » أصله للبعير ، وكذلك الغارب وهو ما قدام السنام ، ثم استعير لما ارتفع من شىء قليل سنام الجبل وغوارب البحر .

١٤ شَهِدْتُ جَسِيَمَاتِ الْعُلَى وَهُوَ غَائِبٌ

وَلَوْ كَانَ أَيْضًا شَاهِدًا كَانَ غَائِبًا

« جَسِيَمَاتِ الْعُلَى » : ضِخَامُهَا ، يقال رجلٌ جَسِيمٌ : إذا كان له جسمٌ ضخم .

١٥ إِلَى الْحَسَنِ اقْتَدْنَا رُكَّابَ صَيَّرَتْ

لَهَا^(٢) الْحَزْنَ مِنْ أَرْضِ الْفَلَاقِ رُكَّابًا

[ص] يقول : هذه الركائبُ قد ركبَتِ الأرضَ ، فالأرضُ رُكَّابُهَا .

١٦ نَبَذْتُ إِلَيْهِ هِمَّتِي فَكَأَنَّمَا

كَدَرْتُ بِهِ نَجْمًا عَلَى الدَّهْرِ ثَاقِبًا

« كَدَرْتُ » قَضَضْتُ ، من قوله تعالى : « وإذا النجومُ انكدرتْ » . و « الثَّاقِبُ » المضيء ، وقد قيل المرتفع ، وهو بالضوء أشبه ، يقال ثَقَبَتِ النارُ ثَقُوبًا إذا أضاءت .

(١) الرجز فى نوادر أبي زيد ص ٤٩ . وقال : « القَيْسَلُ » ما أقبل عليك من الجبل وقوله « أَتَلُ » أى امتلأ عليك سخطاً وغضباً . . . وقال الرياشى : لا أدرى « أَتَلُ » .

(٢) م : « صيرت لنا » وبهامشها رواية الأصل . وقال الصولى : ويروى « لها البيد » وهذه الرواية فى هـ س .

١٧ وَكُنْتُ أَمْرًا أَلْقَى الزَّمانَ مُسَالِمًا
فَأَلَيْتُ لَا أَلْقَاهُ إِلَّا مُحَارِبًا

١٨ لَوْ اقْتَسِمْتَ أَخْلَاقَهُ الْغُرُّ لَمْ تَجِدْ
مَعِيًّا وَلَا خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَائِبًا^(١)

١٩ إِذَا شِئْتَ أَنْ تُخْصِيَ فَوَاضِلَ كَفِّهِ
فَكُنْ كَاتِبًا أَوْ فَاتِّخِذْ^(٢) لَكَ كَاتِبًا

٢٠ عَطَايَا هِيَ الْأَنْوَاءُ إِلَّا عَلَامَةً
دَعَتْ تِلْكَ أَنْوَاءً وَتِلْكَ^(٣) مَوَاهِبًا

٢٠- [ع] بعضُ المتأدِّين يُنْشِدُ هذا البيت « دَعَتْ » على معنى
« دُعِيَتْ » ، يذهبُ إلى أنها لغةٌ طائِيةٌ ، وما يجب أن يكون الشاعرُ قالَ إِلَّا
« دَعَتْ » بفتح الدَّال ، ويكون « دَعَتْ » في موضع وصفٍ للعلامة ، أى
« سَمَتْ » ، من قولهم دعوتُ الرجلَ بكذا إذا سَمَّيْتَهُ ، ودعوته إذا نادَيْتَهُ . وأما إذا
أنشد هذا البيتُ على « دَعَتْ » في اللغة الطائِية ، فإن النصفَ الثاني يكونُ
منقطعاً من النصف الأول ، على أنه بيان له ، ولا يكون متعلقاً بقوله « علامة » ،
ولكن يكون الكلام قد تَمَّ ، ثم يؤتى بالنصف الثاني على معنى التفسير .

٢١ هُوَ الْغَيْثُ^(٤) لَوْ أَفْرَطْتُ فِي الْوَصْفِ عَامِدًا
لَأَكْذِبَ فِي مَدْحِهِ مَا كُنْتُ^(٥) كَاذِبًا

(١) قال ابن المستوفى : هذا من قول العباس بن الأحنف :
لو قسم الله جزءاً من محاسنها في الخلق طرأتم الحسن في الناس
(٢) س : ويروى « أو فاقم » وقال الصولي : وهذا البيت لم يقع له جيداً .
(٣) س ، ل ، ب : « وهى » . (٤) س : « فاقم » .
(٥) م : « لم أك » .

٢٢ ثَوَى مَالُهُ نَهَبَ الْمَعَالِي ^(١) فَأَوْجَبَتْ

عليه زَكَاةُ الْجُودِ مَا لَيْسَ وَاجِبًا

٢٢ - « ثَوَى » أَقَامَ ، وَجَعَلَ مَالَهُ نَهْبًا لِيَكْسِبَ بِهِ الْمَعَالِي ، فَهُوَ يُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ بِجُودِهِ مِنَ الْحَقُوقِ مَا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ ، حَتَّى يَصِلَ بِذَلِكَ إِلَى الْمَعَالِي .

٢٣ تُحَسِّنُ فِي عَيْنَيْهِ إِنْ كُنْتُ زَائِرًا

وَتَزْدَادُ حُسْنًا كُلَّمَا جِئْتَ طَالِبًا

٢٤ خَدِينُ الْعُلَى أَبْقَى لَهُ الْبَذْلُ وَالتَّقَى ^(٢)

عَوَاقِبَ مِنْ عُرْفٍ كَفَتَهُ الْعَوَاقِبَا

٢٤ - [ق] « عَوَاقِبَ مِنْ عُرْفٍ » أَيْ ثَنَاءً وَحَمْدًا ، وَذُخْرًا وَأَجْرًا ،

يَبْقِيَانِ لَهُ آخِرَ الدَّهْرِ ، وَيَكْفِيَانِهِ مَخْذُورَ الْعَوَاقِبِ .

٢٥ يَطُولُ اسْتِشَارَاتِ التَّجَارِبِ رَأْيُهُ

إِذَا مَا ذُووُ الرِّأْيِ اسْتَشَارُوا التَّجَارِبَا

[ع] إِذَا رُوِيَ « اسْتِشَارَاتِ » بِكسْرِ التَّاءِ ، فَ« يَطُولُ » مُتَعَدَّةٌ ، وَهِيَ

مِنَ الطَّوْلِ ، أَيْ يَتَفَضَّلُ اسْتِشَارَاتِ التَّجَارِبِ رَأْيُهُ ، إِذَا كَانَ ذُووُ الْحَزْمِ مُفْتَقِرِينَ

إِلَى أَنْ يَقِيسُوا الْأُمُورَ بِالتَّجَارِبِ . وَإِذَا رُوِيَ « يَطُولُ اسْتِشَارَاتُ » بِضَمِّ التَّاءِ

ف« يَطُولُ » هَا هُنَا مِنْ طَالَ الْأَمْدُ ، وَهُوَ غَيْرُ مُتَعَدٍّ ، وَتَكُونُ « التَّجَارِبُ » هِيَ

الَّتِي تَسْتَشِيرُ رَأْيَهُ إِذَا اسْتَشَارَهَا ذُووُ الْحَزْمِ ^(٤) .

(١) هـ ، س ، ب : وَيُرْوَى « نَصَبَ الْمَعَالِي » .

(٢) فِي الْأَصُولِ كُلُّهَا : « إِنْ جِئْتَ زَائِرًا » وَافْتَرَدَتْ شِ بِرَوَايَةِ « إِنْ كُنْتُ » .

(٣) م ، هـ ، س : « وَالْهَى » - وَقَالَ الصُّوْلِيُّ : وَيُرْوَى « أَبْقَى لَهُ الدِّينَ وَالتَّقَى » .

(٤) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى عَقِبَ كَلَامِ أَبِي الْعَلَاءِ هَذَا : الَّذِي عَلَيْهِ الْمَعْنَى رَفَعَ « اسْتِشَارَاتِ » وَنَصَبَ

« رَأْيَهُ » ، وَالْمَعْنَى إِذَا اسْتَشَارَ أَصْحَابُ الْحَزْمِ التَّجَارِبَ طَالَتِ اسْتِشَارَاتُ التَّجَارِبِ رَأْيَهُ ، أَيْ امْتَدَّتْ - مِنْ

الطَّوْلِ - وَيَعْضِدُهُ قَوْلُهُ : « إِذَا مَا ذُووُ الْحَزْمِ اسْتَشَارُوا التَّجَارِبَا » ، لِأَنَّ رَأْيَهُ أَحْزَمُ وَأَغْنَى عَنْ اسْتِشَارَاتِ

التَّجَارِبِ وَفِي ظ قَالَ الْخَارِزْمِيُّ : يَطُولُ بِفَضْلِ رَأْيِهِ التَّجَارِبِ وَيَسْبِقُهَا ، مِنْ قَوْلِكَ طَاوَلَنِي فَلَانُ فَلْتَلْتَهُ .

وَفِي م : « يَطُولُ » - وَفِي هـ : « يَطِيلُ » .

٢٦ بَرِثْتُ مِنَ الْآمَالِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ

لَدَيْكَ ^(١) وَإِنْ جَاءَتْكَ حُدْبًا لَوَاغِبًا

[ق] مَنْ رَوَى بِالضَّمِّ فالمعنى : وكلتُ أمرَ آمالِي إليك ، وخرجتُ من عَهْدَتِهَا ، على كَثَرَتِهَا وَرِثَائِهَا حَالٍ فِيهَا ، كما يقول البائعُ لِلْبَيْعِ لما يتعاقدان عليه : بَرِثْتُ إِيْلَكَ مِنْ كَذَا ، أَيْ تَمَلَّسْتُ حَتَّى لَيْسَ لَكَ أَنْ تَرْجِعَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ . وَمَنْ رَوَى بِفَتْحِ التَّاءِ فالمعنى : قَضَيْتَ حَقَّ كُلِّ أَمْرٍ نَيْطَ بَكَ ، على كَثَرَتِهِ وَسُوءِ حَالِ أَرْبَابِهِ وَتَعَبِهِمْ ، كما يَبْرَأُ الرَّجُلُ مِنْ دَيْنِهِ إِذَا قَضَاهُ ^(٢) * (ع) : « بَرِثْتُ مِنَ الْآمَالِ » يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ بَرِثُ مِنْ آمَالِهِ الَّتِي كَانَ يَأْمُلُ عِنْدَ النَّاسِ ، إِلَّا أَنْ أَمَلَهُ مُتَعَلِّقٌ بِهَذَا الْمَمْدُوحِ ، وَيُقَوِّى ذَلِكَ قَوْلُهُ « وَهِيَ كَثِيرَةٌ » وَالْآخَرُ أَنْ يَرِيدَ : أَنْكَ بَلَّغْتَنِي الْآمَالَ ، فَلَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ لَمْ أَبْلُغْهُ عِنْدَكَ ^(٣) ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ « وَهِيَ كَثِيرَةٌ » يَعْنِي بِهَا آمَالَ النَّاسِ الَّتِي تَعْرُضُ لِلْمَادِحِ وَالْمَمْدُوحِ . وَقَوْلُهُ « وَإِنْ جَاءَتْكَ حُدْبًا لَوَاغِبًا » : أَصْلُ الْحُدْبِ اللَّوَاغِبُ « أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي النُّوْقِ الْمَهْزُولَةِ الْمُعْصِيَةِ ، لِأَنَّهُمْ يَصِفُونَ الْمَهْزُولَ مِنَ الْإِبِلِ بِالْحُدْبِ ، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ :

وَرَأَيْتُ حُدَايِرَ حُدْبِ الظُّهُوَ رِ مُجْتَلَمًا لِحَمِّ أَصْلَابِهَا

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ « جَاءَتْكَ حُدْبًا » يَعْنِي بِهِ إِبِلًا ، وَأَضْمُرُ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَى الْمُرَادِ ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الشَّعْرِ وَلَا سِيَّمَا فِي الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
أَتَتْكَ كَأَنَّهَا عِقْبَانٌ دَجَنٌ تَجَاوِبُ عَنْ حَسَاجِهَا الْيَرَاعُ
يَعْنِي الْخَيْلَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ : « الْحُدْبُ اللَّوَاغِبُ » الْآمَالَ .

٢٧ وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَنْتَحَى

سَوَاكَ بِآمَالٍ فَأَقْبَلْتُ نَائِبًا ؟

(١) ق : « إِيْلَكَ » .

(٢) ذكر الصول في شرحه الوجهين .

(٣) ب ، ن ، ظ : لم أبلغه عندك ولا عند غيرك .

وقال يمدح عيَّاش بن لهيعة الحضرمي^(١) :

١ تَقَى جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّي

وليس جَنِيبي إنْ عَذَلْتُ بِمُضْجِي

الثاني من الطويل ، والقافية متدارك .

« تَقَى » : أمرٌ مِنْ تَقَاهَ يَتَقَاهُ مُخَفَّأً ، و « جَمَحَاتِي » من جَمَحَ الفرسُ إذا عَزَّ فارَسَه . وقوله « لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّي » : أى لست مُطِيعَه ، فجعل مصدر « طَاعَ يَطُوعُ » قائماً مقام اسم الفاعل ، كما يقال رجلٌ زَوْرٌ أى زائر . و « الجَنِيْبُ » المَجْنُوبُ ، وهو هواه ونَفْسُهُ ، وإنما يَجْنُبُهُمَا غَيْرُهُ ، ولكن أضافَهُمَا إلى نفسه لِنَعْلُقَهُمَا به . يخاطب عاذِلَتَه ، يقول : عَذَلْتُكَ لا يُجْدِي نَفْعاً^(٢) . ويقال أصحب الرجلُ : إذا تابع وانقاد . والمعنى :

(١) قال الصول في كتابه أخبار أبي تمام ص ١٢١ : حدثنا عبد الله بن الحسين ، قال حدثني البحري ، قال : سمعت أبا تمام يقول : أول شعر قلته « تقى جمحاتى لست طوع مؤننى » ومدحت بها عياش بن لهيعة ، فأعطاني خمسة آلاف درهم . وهذه الرواية على رأس القصيدة في نسخة ل من شرح الصول . (٢) معظم كلام الخطيب التبريزي في شرح هذا البيت من كلام المرزوق كما جاء في كتابه ، وقد نبه على ذلك ابن المستوفى ، فقال : الذى ذكره أبو زكريا كلام المرزوق ووضع موضع « قلبه » نفسه ، فغيره بما لو نقله على وجهه كان أجود .

وقال الصول في شرحه : هذا مثل قول ذى الرمة :

لعمرك إني يوم جرعاء مالك لشوق لمنقباد الجنينة تابع

والمعنى يقول : جنينى لا يتبعنى إذا قبلت عذلك . ويرويه الناس « حبيبي » وهو تصحيف .

وقى ظ نقد المرزوق على كلام الصول هذا . قال أبو على : إن بيت ذى الرمة معناه أنى تابع لشوق في هذا اليوم ، متقاد النفس والقلب له ، غير متأب ولا ممتنع و « الجنينة » فى الأصل : فصيل فى معنى مفعول ، لكنه ألحق به الهاء لينتقل من الصفات إلى الأسماء ، وجعله مثلاً لقلبه ونفسه ، وبيت أبى تمام على العكس منه ، وذلك أنه توعد لائمته ، فقال : احذرى منعاقى عليك ، واتق جملحاتى فيما تجذبينى إليه ، وهذا القدر من البيت يلاحظه قول المتنبي :

كثيراً توقانى الموازل فى الهوى كما يتوق ريفس الخيل حازمه

اتقني فيما أتصعبُ فيه ، فإن لا أطاوعُ المؤتب إذا أتب ، وليس قلبي بِمُستقادٍ
لي إذا لُمت ^(١) .

٢ فلم تُوفدي سُخطاً إلى مُتنصّل

ولم تُنزلي عتّباً بساحة مُعتب

« تُوفدي » من قولهم وقَد عليه إذا وَرَد ، وأوفنده غيره . و « المُعتب » الذي يُزِيل العتّب في هذا الموضع ، وهو يستعمل على وجهين : يقال أعتبه إذا أزال عتبه ، وأعتبه إذا أحوجه إلى أن يعتب [ص] يقول : لست أتنصّل من سُخطك ولا أعتبك .

٣ رَضيتُ الهوى والشوقَ خِذناً وصاحباً

فإن أنت ^(٢) لم ترَضَ بِذلكِ فاغضبي

٤ تُصرّفُ حالاتُ الفراقِ مُصرّفي

على صعبِ حالاتِ الأسي ومُقلّبي

٥ ولي بدنٌ يَأوي إذا الحبُّ ضافه

إلى كبدٍ حرّى وقلْبٍ مُعذّب

٦ وخُوطيّةٌ شَمسيّةٌ رَشِيّةٌ

مُهفَهفةٌ الأعلى رَداحِ المُحقَّب

٦ - « خُوطيّة » تُشبه الخُوط ، وهو الغُصن ، و « شَمسيّة » تُشبه الشمس ، و « رَشِيّة » تُشبه الرّشاً ، وهو ولدُ الطّيبى ، و « مُهفَهفة » الأعلى ، يعنى أنها ضامِرةُ البطن ، ولا يُوصَف بالمُهفَهف إلاّ الخَصِر

(١) من قوله « لا يجلدى نفعا » إلى آخر الشرح لم يرد في ش وأثبتناه من نسختي ب ، ن .

(٢) س : « فإن كنت » .

وما والآه ، ولا يُوصَف الصَّدْرُ بذلك ، و « الرَدَّاح » الثَّقِيلَةُ العَجِيزَةُ ،
و « المُحَقَّب » مَوْضِع الحَقِيقَةِ ، وَكُنِيَ بِهِ عَنِ العَجْزِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ ثُمَّ
حَقِيقَةً ، لِأَنَّ الحَقِيقَةَ هِيَ مَا يَجْعَلُهُ الرَّابِئُ وَرَاءَهُ .

٧ تُصَدِّعُ شَمْلَ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ

وَتَشَعْبُهُ بِالْبَثِّ مِنْ كُلِّ مَشْعَبٍ

« تُصَدِّعُ شَمْلَ الْقَلْبِ » أَيْ تُفَرِّقُهُ . وَأَصْلُ « الصَّدْع » الشَّقُّ ،
و « تَشَعْبُهُ بِالْبَثِّ » أَيْ تُفَرِّقُهُ ، و « الشَّعْبُ » مِنَ الْأَضْدَادِ ، يُقَالُ شَعَبْتُهُ
إِذَا فَرَّقْتَهُ ، وَشَعَبْتُهُ إِذَا لَأَمْتَهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : مَا هَذِهِ الْفُتْيَا الَّتِي قَدْ
شَعَبَتِ النَّاسَ (٢) ؟

٨ بِمُخْتَبِلِ سَاجٍ مِنَ الطَّرْفِ أَحْوَرِ

وَمُقْتَبِلِ صَافٍ مِنَ الشَّعْرِ أَشْنَبِ

[ع] يُخْتَارُ فَتْحُ الْبَاءِ مِنْ « مُخْتَبِلِ » لِيَكُونَ مُوَازِيًا لِفَتْحِهَا فِي
« مُقْتَبِلِ » وَيَكُونُ قَدْ جُعِلَ فَتَوْرَ الْعَيْنِ مِنَ الْإِخْتِبَالِ . وَلَوْ كَسَرَتْ الْبَاءَ فِي
« مُقْتَبِلِ » لَكَانَ كَسْرُهَا فِي « مُخْتَبِلِ » وَاجِبًا . وَالْكَسْرُ أَوْجَهُ مِنَ الْفَتْحِ
لَوْ كَانَتِ الْكَلِمَةُ مَفْرَدَةً ، لِأَنَّ كَوْنَ الْفِعْلِ لِلطَّرْفِ فِي هَذَا الْمَكَانِ أَمَكَّنَ . وَإِذَا
رَوَيْتَ « مُقْتَبِلِ » فَهُوَ مِنَ التَّقْبِيلِ ، وَإِنْ كَسَرْتَ الْبَاءَ فَالْأَغْلَبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ
مِنَ الْمُقَابَلَةِ ، وَالْإِقْتِبَالُ مِنَ التَّقْبِيلِ مَعْلُومٌ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ (٣) .

(١) س ، د : « بعد الثامنة » .

(٢) جاء في ظ : قال الأملی : قوله « تصدع شمل القلب » و « تشعبه بالبث » معنى واحد ،
ولولا قوله « بالبث » لصلح أن يكون « تشعبه » تضم أجزاءه وتلازم بينها ، لأن « شعبت » من الأضداد ،
وكان المعنى حيثئذ : تصدع شمل القلب أى تفرقه إذا شامت ، وتشعبه أى تقسمه وتجمعه إذا شامت ،
كما قال في موضع آخر :

وعهدى بها تحيى الهوى وتميته
أى تحيى الهوى بهجرها ، وتميته بوصفها .

(٣) وقال الأملی في ظ : وقوله « بمختل ساج » أى يختل بنظر ، « ومقتل صاف » يريد
قتله الحب واقتله الحب ، كأنه اعتمد ازدواج اللفظتين بقوله مختل ومقتل .

٩ مِنْ الْمُعْطَيَاتِ الْحُسْنِ وَالْمُؤْتَيَاتِ

مُجْلِبِيَّةٌ أَوْ فَاضِلًا لَمْ تُجْلَبَبِ^(١)

[ع] إذا رُوِيَ «فاضلاً» فهو فاعل من الفضل، يقال امرأةٌ فضُلْ إذا كانت في ثوبٍ واحد، وقد يقال ثوب فضُل إذا لم يكن على اللابس غيره، فإن ثبت أنه قال «فاضلاً» وهو يريد «الفضل» فهي كلمة لا تُعرف في كلام المتقدمين، وإنما المعروف تَفَضَّلَتِ المرأةُ إذا كانت فضلاً، كما قال :
* لَدَى الْخِذْرِ إِلَّا لِبَسَةَ الْمُتَفَضَّلِ^(٢) *

ولو رُوِيَ «ناصلاً»^(٣) لكان المعنى صحيحاً واللفظ مستعملاً، كأنها نَصَلَتْ من اللباس، أي خَرَجَتْ منه .

١٠ لَوْ أَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ بَدَتْ لَهُ^(٤)

لَمَّا قَالَ مُرًّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ

١١ فَتَلَكَ شُقُورِي لَا ارْتِيَاذُكَ بِالْأَذَى

مَحَلِّي إِلَّا تَبْكُرِي تَتَاوِي

١١- [ع] قيل «شُقُور» واحد وجَمْعُهُ شُقُور، وهو من قولم

= وقال الخارزنجي «مختل» خديعة، و «مقتبل» موضع القبلة . وفي الحاشية «مقبيل» حديث

السن . وروى أبو زكريا «محتبل» بالحاء المهملة وكسر الباء من قولم اصطاده بالحبال .

(١) بمد هذا البيت جاء في نسخة م بين السطور بيت كأنه من كلام أبي تمام وهو :

تروك حلالاً أو يقال لها اسفري فتسفر شمساً أو يقال تنقبي

ورواه ابن المستوفى وقال : ولم أر هذا في عدة نسخ .

(٢) بيت امرئ القيس في مطلقته :

فجئت وقد نفست لحسرت ثيابها لدى السر إلا لبسة المتفضل

(٣) قال ابن المستوفى هذه الرواية التي تكلفها أبو العلاء نافرة . وقال وقد رويت «مجلبية» أو

حاسراً ، أو «عاطلاً» .

(٤) : هـ : «أنبرت له» وقد ذكرها ابن المستوفى وقال : أي عرضت ، والأول أجود لعدم

الضرورة ، وأراد : يصرف وصف أم جندب الذي وصفها به إلى هذه المرأة .

حَدَّثْتُهُ شَقُورِي أَي مَا أَخْفِيهِ وَأَكْتُمُهُ ، وَرَبَّمَا قَالُوا شَقُورِي فِي مَعْنَى حَاجَتِي ،
وَالْبَيْتَ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ ، قَالَ الرَّاجِزُ :

• وَكَثْرَةُ الْحَدِيثِ عَنْ شَقُورِي ^(١) •

و « اِرْتِيَادُكَ » افْتِعَالٌ ، مِنْ رَادَ الْكَلَامَ إِذَا ذَهَبَ لِيَرَاهُ وَيَعْرِفُ مَوْضِعَهُ •
و « تَتَأَوَّبُنِي » تَجِبُنِي مَعَ اللَّيْلِ ، يُقَالُ تَأَوَّبْنَا الطَّارِقُ وَالْهَمَّ وَنَحْوَهُ إِذَا جَاءَ بَلِيلٌ .
[ص] أَي تِلْكَ حَاجَتِي لِأَقْصِدُكَ لِإِيَّائِي بِالْأَذَى فِي الْعَذَلِ .

١٢ أَحَاوَلْتُ إِرْشَادِي ؟ فَعَقَلِي مُرْشِدِي

أَمْ اسْتَمْتِ تَأْدِيبِي ؟ فَدَهْرِي مُوَدَّبِي

١٣ هُمَا أَظْلَمَا حَالِي ثُمَّتَ أَجْلِيَا

ظَلَامَيْهِمَا عَنْ وَجْهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ

أَي أَنَا صَغِيرُ السِّنِّ وَقَدْ شَيَّبَتْنِي عَقْلِي وَدَهْرِي . (ع) جَعَلَ « أَظْلَمَ »
هَاهُنَا مُتَعَدِّيًا ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ فِي الِاسْتِعْمَالِ ، وَهُوَ فِي الْقِيَاسِ جَائِزٌ ، وَهُوَ عَلَى
قِيَاسٍ مِنْ قَالَ ظَلِمَ اللَّيْلُ فِي مَعْنَى أَظْلَمَ ^(٢) ، فَإِنْ ادَّعَى أَنَّ « أَظْلَمَ »
هَاهُنَا غَيْرُ مُتَعَدِّ ، وَأَنَّ « حَالِي » مَنْصُوبٌ كَانْتِصَابُ الظَّرْفِ ، فَإِنْ قَوْلُهُ
« أَجْلِيَا ظَلَامَيْهِمَا » يَنْدَفِعُ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ عَدَّتْنِي « أَجْلِيَا » إِلَى الظَّلَامِيَيْنِ .

(١) فِي نَوَادِر أَبِي زَيْدٍ ص : ٨٢ قَالَ الْعِجَاجُ :

وَكثرة التحديث عن شقوري

مع الجلاء ولائح القتيير

(٢) بَعْدَ أَنْ أورد ابن المستوفى هذا الشرح لأبي العلاء قال : قال الجوهرى : ظلم الليل بالكسر
وأظلم بمعنى ، عن الفراء ، وقولهم ما أظلمه وما أضواه شاذ ، فاستعماله « أَظْلَمَا حَالِي » مَعَ « ظَلَمَ اللَّيْلُ »
صَحِيحُ الِاسْتِعْمَالِ قِيَاسًا ، وَعَلَى « مَا أَظْلَمَهُ » جَائِزٌ شَذُوذًا ، وَقَوْلُهُ « إِنْ حَالِي مَنْصُوبٌ كَانْتِصَابُ الظَّرْفِ »
كَلَامٌ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ .

وَقَالَ : وَفِي بَعْضِ رَوَايَتِهِ « هُمَا » بِمَعْنَى الْعَقْلِ وَالْدهْرِ ، وَ « أَظْلَمَا » لَازِمٌ وَمُتَعَدِّ ، وَ « حَالِي » :
الْفَقْرُ وَالْغِنَى . وَقَالَ : يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ « هُمَا أَظْلَمَا حَالِي » الْإِرْشَادَ وَالتَّأْدِيبَ ، لِأَنَّهُ مِنْ يَكُونُ هَذِهِ
الْصِّفَةُ لَا تَسْتَقِيمُ حَالُهُ ، وَإِنَّمَا تَسْتَقِيمُ حَالُ مَنْ هُوَ بِضِدِّهِمَا . وَثَنِي « حَالِي » عَلَى عَادَتِهِمْ فِي ثَنِيَّةٍ بَعْضُ
مَا يُخْبِرُونَ عَنْهُ .

وقوله « عن وجهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ » يعنى نفسه ، وهو يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون قد شاب في حال المُرْدَةِ لعظم ملاقاه من الشدائد ، والآخر أن يكون أراد أنه فتى في السن وهو في العقل والرأى كأنه أشيب .

١٤ شَجَى فِي حُلُوقِ الْحَادِثَاتِ مُشْرِقٌ بِهِ عَزْمُهُ فِي التُّرْهَاتِ مُغْرَبٌ

[ص] « شَجَى » في موضع خَفَضَ بَدَلٌ من « أَشْيَبِ » . قال الآمدي : « شَجَى فِي حُلُوقِ الْحَادِثَاتِ » لصبره وجَلَدَهُ عَلَيْهَا ، وَقَلَّةُ اسْتِكَانَتِهِ لَهَا . « مُشْرِقٌ بِهِ عَزْمُهُ » كأنه أَخَذَهُ من قول المُنْجَمِينَ شَرَقَ النُّجُومُ إِذَا اسْتَقَامَ . أى عَزْمُهُ مُشْرِقٌ بِهِ ، أى مُسْتَقِيمٌ ، أى يَسْلُوكَ نَهْجَ الاستقامة ، وهو في التُّرْهَاتِ مُغْرَبٌ . أى : أَجَدَ في الأمور بصحة رأى وعزيمتى ، وَالْعَبَّ لَصْبَايَ وَصَغِرَ سَنَى ^(١) . (ع) : أَصْلُ الشَّجَى الْغَضَبُ ، وَالتُّرْهَاتُ الْأُمُورُ الْمُشْكِلَةُ ، وَأَصْلُهُ فِي الطَّرْقِ الْمُتَشَعِّبَةِ عَنِ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا مِنَ التُّرْهَاتِ فَعْلًا فِي مَعْرُوفِ كَلَامِهِمْ .

١٥ كَانَ لَهُ دَيْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ مِنَ الْأَرْضِ أَوْثَارًا لَدَى كُلِّ مُغْرَبٍ

(١) قال ابن المستوفى : وفي الحاشية بخط يحيى بن محمد الأرزقي : الظاهر من الكلام أنه أراد بقوله « مشرق به عزمه » أى تارة يرى به عزمه مشرق الأرض وطورا مغربها ، و « الترهات » القلوات التى لا شئ فيها ، ومنه قولهم الترهات البسابس ، يريدون القفار الخالية ، والدليل على أنه أراد هذا المعنى لا غير ، قوله بعد هذا البيت :

كَانَ لَهُ دَيْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ مِنْ الْأَرْضِ أَوْثَارًا لَدَى كُلِّ مُغْرَبٍ

فالببيت الثانى تفسير للأول .

ثم قال : والذى ذكره الآمدي قول مثله من أرباب المعاني . أراد أنه غصة في حلوق الحادثات ، وهذا إنما يكون غالباً لمن علت سنه وجرب ، مع أنه مشرق به عزمه في الترهات ، وهى الطرق الصغار غير الجادة ، تشعب عن الواحدة ، ثم استعير في الباطل ، قاله الجوهري . وأراد أبو تمام لذاته .

١٦ رَأَيْتُ لِعَيَّاشٍ خَلَائِقَ لَمْ تَكُنْ
لِتَكْمُلَ إِلَّا فِي اللَّبَابِ الْمُهَذَّبِ

١٧ لَهُ كَرَمٌ لَوْ كَانَ فِي الْمَاءِ لَمْ يَغْضُ
وَفِي الْبَرْقِ مَا شَامَ امْرُؤٌ بَرْقَ خُطْبِ

١٨ أَخُو أَزْمَاتٍ بَذَلَهُ بَذْلُ مُحْسِنٍ
إِلَيْنَا وَلَكِنْ عُدْرُهُ عُدْرُ مُذْنِبٍ

١٨ - « الْأَزْمَاتُ » الشَّدَائِدُ . أَيْ يَقُومُ فِيهَا وَيَبْذُلُ الْمَعْرُوفَ ، كَمَا يُقَالُ أَخُو الْحَرْبِ لِمَنْ يَكْثُرُ الْحُرُوبُ ^(١) .

١٩ إِذَا أُمُّهُ الْعَافُونَ أَلْفَوْا حِيَاضَهُ
مِلَاءً وَأَلْفَوْا رَوْضَهُ غَيْرَ مُجْدِبِ

٢٠ إِذَا قَالَ أَهْلًا مَرْحَبًا نَبَعَتْ لَهُمْ
مِيَاهُ النَّدى مِنْ تَحْتِ أَهْلِ وَمَرْحَبِ

٢١ يَهْوُلُكَ أَنْ تَلْقَاهُ صَدْرًا لِمَحْفِلٍ
وَنَحْرًا لِأَعْدَاءٍ وَقَلْبًا لِمَوْكِبِ

٢٢ مَصَادُ تَلَاَقَتْ لُوذًا ^(٢) بَرِيُودَهُ
قَبَائِلُ حَيٍّ حَضَرَ مَوْتَ لِيَعْرُبَ ^(٣)

« مَصَادٌ » أَعْلَى جَبَلٍ ، وَجَمَعُهُ مُصْدَانٌ . وَ « الرِّيُودُ » جَمْعُ رَيْدٍ ،

(١) قَالَ الصَّوْكِى فِي شَرْحِهِ : وَيُرْوَى « عَزَمَاتٌ » وَقَالَ : « أَخُو أَزْمَاتٍ » لِقِيَامِهِ بِهَا وَبَذْلِهِ عَرَفَهُ فِيهَا ، كَمَا يُقَالُ أَخُو حُرُوبٍ لِلَّذِي تَكَثَّرَ مُحَارَبَتُهُ . (٢) فِي ظ : وَرَوَى الْأَمْدِيُّ « رُوْدَا » بَرِيُودَهُ « جَمْعُ رَائِدٍ ، أَيْ مُنْتَجِعٍ . (٣) د ، هـ ب : « وَيَعْرِبُ » .

وهو الحَرْفُ النَّاتِيُّ فِي الْجَبِيلِ . و « حَضْرَمَوْت » قَبِيلَةٌ مِنَ الْيَمَنِ ، والمعروف بين العامة أَنَّ حَضْرَمَوْتَ اسم بلد ، وَيَسْجُوزُ أَنْ يَكُونَ سُمِّيَ بِاسْمِ الرَّجُلِ ، قَالَ رُوْبَةُ .

* أَحْضَرْتَ أَهْلَ حَضْرَمَوْتِ مَوْتًا .

وقد اختلف في نسب حَضْرَمَوْتِ ، فذكر قوم أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ وَلَدِ يَعْرُبَ إِلَّا أَنَّ نَسَبَهُ يُقَارِبُهُ ، وَقِيلَ بَلْ هُوَ حَضْرَمَوْتُ بْنُ يَشْنَجُبَ بْنِ يَعْرُبَ أَخُو سَبَأِ ابْنِ يَشْنَجُبَ ، وَكَانَ اسْمُهُ عَبْدَ النُّورِ ، فَسَنَزَلَ بَيْنَ يَدَيْ أَخِيهِ فِي حَرْبٍ وَقَالَ : حَضْرَمَوْتُ ، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ . وَبَعْضُ النُّحَوِيِّينَ يَحْكِي أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ حَضْرَمَوْتُ لِيَجْعَلُوا بِنَاءَ هَ كِبَاءَ عَضْرَقُوطَ وَحَدَرَ قُوتَ .

٢٣ بِأَرْوَعَ مَضَاءٍ^(١) عَلَى كُلِّ أَرْوَعَ

وَأَغْلَبَ مِقْدَامٍ عَلَى كُلِّ أَغْلَبٍ

٢٤ كَلَوْذِهِمْ فِيمَا مَضَى مِنْ جُدُودِهِ

بَذَى الْعُرْفِ وَالْإِحْمَادِ^(٢) قِيلَ وَمَرْحَبٍ

(١) م : « بأروع مشاء » وبهامشها رواية الأصل . وفي م : « بأروع مفضال » و « أغلب مضاء » . وشرحه ابن المستوفى قال : قال الخارزنجي : أى على كل فرس أروع وأغلب ، رجل ماض أغلب . قال أبو العلاء : قالوا فاقه روعاء أى حديدة القلب ، ولم يقولوا جمل أروع . و « أغلب » غليظ العتق . و « رجل أروع » يفسرونه بأنه الذى يروعك بجماله ، ولم يقولوا امرأة روعاء . قال ابن المستوفى : قال الجوهري : « الروعاء » من التوق الحديدة الفؤاد ، وكذلك الفرس ، ولا يوصف به المذكر ، والأروع من الرجال الذى يعجبك حسنه ، وامرأة روعاء بينة الروع .

(٢) م : « بذى العرف والأجداد قسيلاً وأرحب » وجاء في ظ : في حاشية : أبو يحيى : أنا أروى « بذى العرف والإفضال » ، و « الإجماد » ههنا ليس بحسن عندي إلا أن يضاف « الإجماد » إلى غيره ، فيقال يحمده كل من يعاشره وبهذا بعد . وفي نسخة « قيل ومرحب » . وقال ابن المستوفى : لم أر في ديوان من دواوين شعره إلا « بذى العرف والإجماد » ، يقال أحمد الرجل : إذا أتى ما يحمد عليه ، وقوله « يحمده كل من يعاشره » مدح له أيضاً ، فلا وجه لإنكاره . وقال : وفي نسخة « بكل طويل الباع أروع متجب » ، وفي نسخة « بذى العرف والإجماد منهم ومرحب » وهى أسماء جدوده .

٢٥ - بُدُورٌ^(١) قُيُولٌ لَمْ تَزَلْ كُلُّ حَلْبَةٍ

تَمَزَّقُ مِنْهُمْ عَنْ أَغَرٍّ مُجَبِّبٍ

٢٥- (ع) ويروى «ذَوُونٌ قُيُولٌ» وهو جمع قولك ذوو مَرَحَبٍ ، وذو جَدَنٍ ، وذو يَزَنٍ ، وذلك في حمير كثير ، وهم الأذواء ، وقلما يقولون الذَّوُونُ ، وإنما تبع الطائي في ذلك الكُمَيْتِ لأنه قال :

وما أعنني بذلك أسفليكم^(٢) ولكنني عنيْتُ به الذَّوِينَا
و «الحَلْبَةُ» الجماعةُ من الخَيْلِ تُدْفَعُ في الرَّهَانِ . و «المُجَبِّبُ» من الخَيْلِ الذي قد بَلَغَ تَحْجِيلُهُ رُكْبَتَيْهِ أَوْ جَاوَزَهُمَا^(٣) .

٢٦ هُمَامٌ كَنَصْلِ السِّيفِ كَيْفَ هَزَزَتْهُ

وَجَذَتْ المَنَايَا مِنْهُ فِي كُلِّ مَضْرِبٍ

٢٧ تَرَكَتْ حُطَامًا مَنَكِبَ الدَّهْرِ إِذْ نَوَى

زِحَامِي لَمَّا أَنْ جَعَلْتِكَ مَنَكِبِي

٢٧- «الْمَنَكِبُ» رَأْسُ الْكَتِفِ . والمعنى لَمَّا أَنْ جَعَلْتِكَ رُكْبَتِي وَمَنَكِبِي . ومن ذلك قيل لِعَوْنِ الْعَرِيفِ مَنَكِبِ .

٢٨ وما ضَيْقُ أَقْطَارِ الْبِلَادِ أَضَافَنِي

إِلَيْكَ وَلَكِنْ مَذْهَبِي فَيْكَ مَذْهَبِي

يقول : لم يُلْجِئْنِي ضَيْقُ الْبِلَادِ عَلَيَّ ، وَكَسَادُ بِيضَاعَتِي عِنْدَ النَّاسِ ،

(١) ظ : «ملوك قيلول» ، ويروى «بدور قيلول» .

(٢) رواية الصول «محب» ، وقال «المحب» أن تكون القوائم بيضا إلى الركبة ، وقال : وروى الناس «عن أغر محب» وهو خطأ .

وفي ظ : ويروى «محب» بالحاء المهملة ، أى الذى فى يديه انحناء وفى صلبه توتر ، وقال أبو عبيد : المحب البعيد ما بين الرجلين من غير فجح وهو مدح ، واستعار ذلك كله ، أى أنهم سابقون .

ولكن مذهبى ألا أسأل إلا لكريم^(١) .

٢٩ وَأَنْتَ بِمِصْرٍ غَايَتِي وَقَرَابَتِي
بِهَا وَبَنُو الْآبَاءِ^(٢) فِيهَا بَنُو أَبِي

٣٠ وَلَا غَرَوْ أَنْ وَطَّاتَ أَكْنَافَ مَرْتَعِي

لِمُهْمَلٍ أَخْفَاضِي وَرَفَّهْتَ مَشْرِبِي

٣٠- [ع] « لا غرّو » أى لا عجب ، و « الأكناف » النواحي ،
و « المُهْمَل » الذى قد أهمل فى المَرَعَى ، و « أخفاضى » جمعُ خَفَضَ
وَيَسْجِبُ أَنْ يَكُونَ هَا هُنَا الْفَتْحَى مِنَ الْإِبِلِ . كما قال رُؤْبَةُ :
* يَا بَنَ قُرُومَ لَسَنَ بِالْأَخْفَاضِ * .

وأصحاب اللغة يذكرون الأخفاضَ فى الأضداد ، فيقولون : الأخفاضُ
جمع خَفَضَ وهو مَتَاعُ الْبَيْتِ ، والخَفَضُ الْجَمَلُ الذى يُحْمَلُ عَلَيْهِ
ذَلِكَ الْمَتَاعُ ، ولعلمهم كانوا يحملون أمتعتهم على البكارة من الإبل والأفتاء ،
لأنهم يُودِعُونَ الْقُرُومَ وَيُعَدُّونَ مَا قَوَّيَ مِنَ الْجَمَالِ وَالثَّوْقِ لِمَرَاكِبِ النِّسَاءِ .

(١) وقال المرزوق فى كتابه : لم يلجئنى ضيق البلاد على ، وكساد بضاعى عند الناس ، لأن
فى الأرض فسحة ، وفى أهل الفضل والإفضال كثرة ، ولكن قضاء حقل والقصد إليك ، والثناء عليك
لفضلك وكرمك ، هو مذهب أعتقده ، ودين أتدين به ، وكأنه ألم فى هذا بقول الآخر :

وقولا لها ليس الضلال أجارنا ولكننا جرننا لنلقاكم عمدا

وقد أتى أبو تمام فيما يقارب هذا بأحسن منه وهو :

إن قلبى لكم لكالكيد الحرى وقلوبى لغيركم كالقلوب

ويجوز أن يكون المعنى : أتى لا أسأل إلا الكرام وأنت كريم . وقال الخارزنجى فى ظ : مذهبى
فيك خلاف مذهبى فى غيرك فى الانبساط إليك والاختصاص بك .

(٢) س ، م ، ل ، د : « وبنو أبيك فيها » .

وشرحه فى ظ : قال الخارزنجى : يقول أنت غاية منأى بمصر وأنت قرابتى لأنى أمت إليك بحرمه
الأدب ووسيلته وإن لم يكن بيننا قرابة النسب بها ، يعنى بمصر ، وإنما يخاطب المدوح . وروى
الصول « وبنو أبيك فيها بنو أبى » .

وقال ابن المستوفى : فى طرة كتاب الخارزنجى يقول : أنت غايى من بين قرابتى ومن بين إخوتك
الذين هم أعمامى . وفى أثناؤه : أنت غايى بمصر مع قرابتى بها .

[ع] وه ورَفَّهَتْ مَشْرَبِي ، أَيْ جَعَلَتْهُ رِفْهًا ، وَالرَّفْهُ أَنْ تَشْرَبَ الْإِبِلُ
مَتَى شَاءَتْ .

٣١ فَقَوَّمتَ لِي مَا اغْوَجَّ مِنْ قَصْدٍ هِمَّتِي

وَبَيَّضْتَ لِي مَا اسْوَدَّ مِنْ وَجْهِ مَطْلَبِي

٣٢ وَهَاتَاثِيَابُ الْمَدْحِ فَاجْرُرْ ذُبُولَهَا

عَلَيْكَ وَهَذَا مَرْكَبُ الْحَمْدِ فَارْكَبِ

وقال يَمدحُ أبا سَعِيد محمدَ بنَ يوسُفَ الشَّغَرِي .

١ مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبَا
فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلَةٍ ^(١) أَنْ تَصُوبَا

الأول من الخفيف والقافية متواتر .

« تصوب » من صاب السحاب إذا جاء بالمطر .

٢ فَاسْأَلْنَهَا وَاجْعَلْ بُكَاءَكَ جَوَاباً
تَجِدُ ^(٢) الشُّوقَ ^(٣) سَائِلاً وَمُجِيباً

[ويُروى « تخدم الشوق » ^(٤) يقول : هذا السؤال والجواب خديعة للشوق لا تجدى شيئاً ، ونَصَبَ « سائلاً » و « مجيباً » على الحال ^(٥) ، أى لا تنتظر ما يكون من جوابها وابك بك فإنها لا تجيب ، لأن الشوق هو الذى يَحْمِلُ على السؤال وعلى البكاء ^(٦) .

(١) م ، ل ، س ، د : « من مقلى » .

(٢) س ، د : « تخدم » ، ورواية الأصل هاشم س .

(٣) م : « تجد الدمع » .

(٤) رواها الصولي .

(٥) ما بين المعقنين لم يرد في ش وأثبتته من ب ، ن .

(٦) جاء في ظ : قال الآمدي : وقد صحف الناس في هذا البيت ، فرواه قوم « تخدم الشوق » ، ورواه آخرون « تخدم » بالحاء غير المعجمة ، ورواه قوم « تخدم الشوق » ، وذلك كله غلط ، وما قال الرجل إلا « تجد الشوق » لأنه قال « فاسألنها واجعل بكاءك جواباً » ، لأنه قد علم أنها لا تجيب ، وأنه سيبيكي ، فلذلك قال « تجد الشوق سائلاً ومجيباً » لأن الشوق هو الذى يحدها على السؤال وهو الذى يبكيها ، لأنها لو أجابت أجابت بما يبكيك ، أو لأنها لما تجب علمت أن من كان يجيب قد رحل عنها فأوجب ذلك بكاءك وهذه فلسفة حسنة ومنه من مذاهب أبي تمام ليس على مذاهب الشعراء ولا طريقهم ، ومثله قوله :

تجرع أسى قد أقفر الخزع الفرد ودع حسى عين يحتلب ماءه الوجع

إذا انصرف الحزون قد قل صبره سؤال المصطفى فالبكاء له رد =

٣ قَدْ عَهَدْنَا^(١) الرُّسُومَ وَهِيَ عُكَازٌ

لِلصَّبِيِّ تَزْدَهِيكَ حُسْنًا وَطِيْبًا

[ع] «وهي عُكَاظ» أي وهي كثيرة الأهل يجتمع الناس إليها ، لأنَّ عكاظ سُوْقٌ للعرب كانوا يجتمعون فيه ويستأشرون الأشعار ويتفاخرون ، وقيل إنما سُمِّيَ عُكَاظَ لأنهم كانوا يتعاطون فيه بالحُجَجِ أي يعرُك بعضهم بعضًا ، يقال عكظت الشيء أعكظته عكْظًا إذا غمزته غمزًا شديدًا أو عرَّكته . وقد بيَّن الطائي غرضه في زعمه أن الرسوم عكاظ بقوله :

٤ أَكْثَرَ الْأَرْضِ^(٢) زَائِرًا وَمَزُورًا

وَصَعُودًا مِنَ الْهَوَى وَصَبُوبًا

«الصَّعُود» الأَكَمَةُ يَشُقُّ الصَّعُودُ فِيهَا ، و«الصَّبُوب» مثل الحَدُور ، وأصل الصَّعُودِ مِنْ صَعِدَ ، وَالصَّبُوبُ مِنْ صَبَّ ، إِلَّا أَنَّهُمْ صَارُوا يَكْنُونُ بِالصَّعُودِ عَمَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ الصَّعُودَ أَصْعَبُ مِنَ الْإِنْحِدَارِ^(٣) .

٥ وَكِعَابًا كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهَا غَفَلَاتُ الشَّبَابِ بُرْدًا قَشِيْبًا

٦ بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدْهَا قَلَمَاتُ رِفْ فَقَدْ اللَّشْمُ حَتَّى تَغِيْبَا

٧ لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْمَفَارِقِ بَلْجَ لَدَّ قَابَكِي تُمَاضِرًا وَلَعُوبًا

«تُمَاضِر» و«لَعُوب» من أسماء النساء ، واشتقاق تُمَاضِرٍ من قولهم عَيْشٌ مُضِيرٌ ، أي حسن ناعم ، وأكثر ما يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِتْبَاعِ ، يُقَالُ خُذْهُ

= وقال الخارزنجي - وروى «تخدم الشوق» - : أي لا تنتظر ما سيكون من جوابها فإنها لا تجيب ، وتكون أنت في حالتي السؤال والإجابة خادماً للشوق ، لأن الشوق يحمل حل السؤال وعلى البكاء فأنت مطيع له تخدمه كيف أمرك . وقال : وروى «تخدم الشوق» أي تهيج ، من الاحتدام . وقال ابن المستوفى : أراد أنه إذا سألها وجعل بكاء جوابها فقد ألهم الشوق في حالتي سؤاله وإجابته .

(١) س : «قد شهدنا» وفوقها بين السطور «وعهدنا» - ل : «عهدت» وروتها ظ .

(٢) ل ، ظ : «أكثر الناس» .

(٣) في ظ قال الخارزنجي : أراد بالصعود الكؤود من الهوى ، وبالصبوب الذين المطاوع .

خَضِرًا مَضِرًا ، أى بحُسْنه وفَضارته ، وقد يجوز أن يكون « تُمَاضِر » من مَضَرَ
اللبَنُ ، يقال لَبَنٌ مَاضِرٌ أى حَامِضٌ ، وقيل المَاضِرُ الأَبْيَضُ . [ع] والأَجود
أن يكون « تُمَاضِر » و « لَعُوب » معرفتين صَرَفهما للضرورة ، ولو جعلهما
نكرتين لم يبعد ذلك ، إلا أن كونهما معرفتين أحسن .

٨ خَضَبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعِقْدِ

دِ دَمَا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِييَا

٨ - « خَضَبْتُ » أى بالدمع الذى فيه الدَّمُ . و « الشَّوَاة » جلدة الرأس ،
ويقال للجلد كله شِوَاة ، لأنه يعلو الجَسَدَ ، وكذلك قالوا فى قول أبى ذؤيب :
إذا هى قامتَ تَفْشَعِرَ شَوَاتُهَا وَيُشْرِقُ بَيْنَ اللَّيْتِ مِنْهَا إِلَى الصَّقْلِ (١)
ويُرَوِّى « سَرَاتِي » أى أعلاه ، والمعنى الذى أراد الطائى : أنه قد شاب
فخَضَبَ الشَّيْبَ . [ص] و « الشَّوَى » أيضا الأطراف ، « والشَّوَى » إخطاءُ
المقتل ، ومنه قولهم : كل مصيبة ما أخطأتك شَوَى .

٩ كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلَّا

(م) الْفَظِيعَيْنِ (٢) : مِيتَةٌ وَمَشِييَا

١٠ يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى

حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَنِ (٣) ذُنُوبًا

[ص] « يَا نَسِيبَ الثَّغَامِ » يعنى أن الشَّيْبَ يُشَبِّه الثَّغَامَ فى البياض ،

(١) ديوان المهذلين ١ : ٣٥ .

(٢) م ، ل : « الفظيعين » .

(٣) م : « عند الحسنى » .

و « الثغام » نَبَتٌ أبيض (١) .

١١ وَلَيْتَنِي عَيْنَ مَا رَأَيْتُ لَقَدْ أَزْ كَرَنْ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيَا

١٢ أَوْ تَصَدَّعْنَ عَنْ قَلِيٍّ لَنَكْفِيَ بِأَلْثَّ سِيبَ بَيْتِي وَبَيْنَهُنَّ حَسِيْبَا

[ص] « تَصَدَّعْنَ » أى تفرقن عنى لِشِبِي فَكُنِي بِهِ كَافِيَا ، يقال

(١) أورد ابن المستوفى الأبيات الأربعة : ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، وقال فى شرحها : قال الآملى : وما يسأل عنه من معانيه قوله (وأنشد الأبيات الأربعة) فيقال كيف يقول إنها بكت وإنها خضبت نحرها دماً ثم يقول إن حسناته صرن ذنوباً وإنهن عين ما رأين ، وكيف تكون باكية على شيا به وعائبة له فى حال واحدة ؟ الجواب : أنها إنما بكت أسفاً على الشباب وهرباً من الشيب ، فقد تبكى الغائبة إذا عرضت على الأشيب وتقول لا أريده ؛ وقد يجوز أن يكون أصرب عن هذه الباكية وعن معنى البيت الأول إلى جانب آخر عبته وزرين عليه ، وقد يجوز أن تكون الباكية عليه هى العائبة لأنها تبكى عليه فى حال وتضحك منه فى حال أخرى ، كما قال الوليد بن عبيد البحرى :

رأت طالماً للشيب فابتسمت له وقالت : نجوم لوطلمن بأسمد

أراد أنها هزئت منه ، فالمعتيان صحيحان لا يتناقضان ، وقد قال أبو تمام فى موضع آخر :

يضحك من أسف الشباب المدبر يبكى من ضحكات شيب مقمر

فقلوه « يضحكن من أسف الشباب » فى غاية الرذالة لأنه غير معروف فى كلامهم الضحك من الأسف بل الضحك يكون من استهزاء وسخرأ والبكاء قليل منهم فى مثل هذا ، وإنما يبكى على الشباب صاحبه ، فأما المرأة فليس عندها إلا الصدود والإعراض والمقت والانحراف ، هكذا طريقة القوم فى هذا المعنى ، فأما قول الأخطل :

لما رأت بدل الشباب بكت له إن المشيب لأرذل الأبدال

فإنما أراد بكت الشباب وذها به لا غير .

وقال ابن المستوفى بعد ذلك : وفى حاشية الكتاب الذى نقلته بخط يحيى بن محمد بن عبد الله الأرزقى : يجوز أن يكون أراد أنهم ضحكوا من شدة الأسف والحزن ، وهذا قد يعتري من يهجم عليه أمر عظيم من الحزن فيضحك وهو على نهاية الحزن والهم ، كما قيل شر النوائب ما أضحك ، وإذا كان هذا سائفاً خرج أبو تمام من قبح مانسبه إليه . ثم قال ابن المستوفى بعد هذا أيضاً : قوله « شر النوائب ما أضحك » هو من قوله :

ولما تولوا بأخراجهم وظلت بهم عيسهم تترك

ضحكت من البين مستهزأً وشر المصائب ما يضحك

وأورد بعد ذلك رد المرتضى أبى القاسم على بن الحسين بن موسى (الشريف المرتضى) على الآملى ، قال فيه : وليس يحتاج لأبى تمام إلى ما تكلفه الآملى ، بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ، وأن كل من قد بكى شيا به وتلف عليه من النساء هن اللواتى أنكرن شيبه وعبته به ، وما المنكر من ذلك ؟ وكيف يتناقض أن يبكى على شيا به وفزول شيبه منهم من رأين الشيب ذنباً وعبياً منكراً ؟ وفى هذا غاية المطابقة ، لأنه لا يبكى للشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكراً معيباً .

أَحْسَنِي هَذَا الشَّيْءَ أَى كَفَانِي .

١٣ لَوْرَأَى اللَّهُ أَنَّ لِلنَّسِيبِ فَضْلاً جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْباً

١٤ كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِي صُرُوفُ اللَّيَالِي خُلُقاً مِنْ أَبِي سَعِيدٍ رَغِيباً^(١)

١٥ طَابَ فِيهِ الْمَدِيحُ وَالتَّدَحُّتِي فَاقَ وَصَفَ الدِّيَارِ وَالتَّشْبِيهَ

١٥ - لأن أطيّب الشعر ما كان تشبيهاً ، وقد صار مدحه ألدّ وأطيّب .

١٦ - لَوْ يُفَاجَأَ رُكْنُ النَّسِيبِ كَثِيرٌ بِمَعَانِيهِ خَالَهِنَّ نَسِيباً

أصل « يُفَاجَأَ » الهمزُ وتخفيفه جائزٌ على كلِّ مذهب . (ع) ويجوز أن يُرَوَى « يُفَاجَأَ رُكْنُ النَّسِيبِ » على ما لم يُسمَّ فاعله ، ويكون « كثيرٌ » بدلاً من « الركن » ، لأنَّ الطائي قد حكم لكثيرٍ بالتقدم في النسب . والهاءُ في « معانيه » راجعةٌ على الممدوح . ويجوز أن يُرَوَى « يُفَاجِئِي رُكْنَ النَّسِيبِ » على أن تجعل « رُكْنَ النَّسِيبِ » مفعولاً لكثيرٍ ، ويكون المعنى : أن كثيرًا لو فاجأ رُكْنَ النَّسِيبِ بمعاني هذا الممدوح لخالهن ركنُ النَّسِيبِ نسيباً من حُسْنِهِنَّ^(٢) .

(١) م ، د : « عجيباً » .

(٢) قال الصولي في شرحه : هذه القصيدة لما قرأتها على أبي مالك سألت عن هذا البيت ؟ فقال : أراد كثيراً فردّه إلى أصل الاسم ولم يصغره ، قلت : وكيف خص كثيراً ؟ قال : سمعته يقول غير مرة : أمدح الناس زهير والأعشى ، ثم الأخطل وكثير . يقول : لو بلغ كثيراً هذا المديح على كثرة مدحه لخاله من حسنه نسيباً .

وقد أقر ابن المستوفى بكلام الصولي هذا في كتابه وعقب عليه بقوله : إنما اعتمد على كثير من دون الثلاثة لأنه أحسنهم نسيباً ، وهو كذلك ، ولو أراد المديح لقال « زهير » ولم يتغير الوزن ، اللهم إلا أن يكون كثيرٌ أمدح الناس الثلاثة عنده أيضاً ، والعلماء يقدمون زهيراً في المديح ، فيقولون : وزهير إذا رغب ، ومع الرغبة يجود المديح لأنه يوصل إلى المطلوب ، وتوصل الراغب مشهورة جودته ، وعلى أن أبا تمام وصف كثيراً بجودة النسيب في قوله في موضع آخر * وكثير عزة يوم بين ينسب * فيقول لو فاجأ هذا المديح كثيراً لخاله من رفته وجودته نسيباً ، ففضله عليهما في طريقة النسب . وهو لعمر الله أطفهما نسيباً لفظاً ومعنى ، ولولا ذلك لوقع موقعه « جرير » و « جميل » لكن كثيراً أحسنهما نسيباً .

١٧ غَرَبَتْهُ الْعُلَى عَلَى كَثْرَةِ النَّاسِ

س^(١) فَأَضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيْبًا

[خ] يقول : جعلتِ العلَى والمكارمُ هذا المملوحَ غريباً في الناس فلا يُوجد له نظيرٌ فيهم .

١٨ فَلْيَبْطُلْ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي مَرْءٍ وَ مُقِيمًا بِهَا لَمَاتَ غَرِيبًا
تفسير لقوله « فَأَضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيْبًا » . [ص] خصّ مَرْوً لأنه من أهلها ، وهو طائيٌّ كان من قوَادِ حُمَيْدِ الطُّوسِي . يقول : فلومات بِمَرْوٍ وهي بكنده مات غريباً ليس أحدٌ يُشابهه في الجود .١٩ سَبَقَ الدَّهْرَ بِالتَّلَادِ وَلَمْ يَنْدُ تَنْظُرِ النَّائِبَاتِ حَتَّى تَنْوَبَا
[خ] أى لا ينتظر بماله نائباتِ الدهرِ فيسبذهُ فيه إذا نابته ، ولكنه يسبقُ النائباتِ فيه فيجود به عفواً .٢٠ فَإِذَا مَا الْخُطُوبُ أَعْفَتْهُ كَانَتْ رَاحَتَاهُ حَوَادِثًا وَخُطُوبًا
[ص] يقول : الحوادثُ والخطوبُ تذهبُ بماله ، فإذا لم يكن خطوبٌ وحوادثُ فراحته بتفريق ماله من أعظم الحوادث والخطوب^(٢) .

٢١ وَصَلِيبُ الْقَنَاءِ وَالرَّأْيِ وَالْإِسْ

لَامِ ، سَائِلٌ بِذَاكَ عَنْهُ الصَّلِيبُ^(٣)

(١) س ، م ، د : « الأهل » وبهامش م الرواية .

(٢) وقال ابن المستوفى في الرد على الصول : ناقض بقوله « الحوادث والخطوب تذهب بماله » قوله « سبق الدهر بالتلاد » البيت .

(٣) في ظ قال الأمدى : قوله « صليب القنأ » يريد محه وليس يريد صلبه وظهره ، ولو أراد ذلك ما كان مدحاً ، وصليب الرأي جائز سائغ ، « وصليب الإسلام » فيه قبح لأنه غير مستعمل ، ولكن المنسوق قد يحمل على معنى ما نسق عليه إذا كان مقارباً له كثيراً ، يقولون : فلان صلب في دينه : أى قوى شديد ، أما إذا لم يستعمل مع لفظة « الإسلام » فنعم ، وفيه نظر ، وإن كان « الدين » هو « الإسلام » كما قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » .

٢٢ وَعَرَّ الدِّينَ بِالْجِلَادِ وَلَكِنْ نَّ وَغُورَ الْعَدُوِّ صَارَتْ سُهوبًا
 ٢٢ - « الْجِلَادُ » المضاربة بالسيوف . [ع] وقوله « وَعَرَّ الدِّينَ » أى
 جعله وعراً على العدو ، ويدل على أنه أراد ذلك قوله « ولكنَّ
 وَغُورَ الْعَدُوِّ صَارَتْ سُهوبًا » و « السَّهْبُ » المستوى من الأرض . ويحتمل
 معنى آخر : وهو أنه لما نُدب إلى الجهاد وذكر أنه لا يتم الدِّينُ إلّا به ، وعَرَّه
 على من يتدين به . أى جعله صعب المسلك ، لأن الجِلَادَ يؤدى إلى
 القتل .

٢٣ فَدُرُوبُ الْإِشْرَاكِ صَارَتْ^(١) فَضَاءً

وَفَضَاءٌ الْإِسْلَامُ يُدْعَى^(٢) دُرُوبًا

٢٤ قَدْ رَأَوْهُ وَهُوَ الْقَرِيبُ بَعِيدًا وَرَأَوْهُ وَهُوَ الْبَعِيدُ قَرِيبًا
 ٢٤ - « بعيداً » لأنهم لا يقدرون عليه لامتناعه ، و « قريباً » لسهولته
 عليهم وتمكنهم منه^(٣) .

٢٥ سَكَنَ^(٤) الْكِيدَ فِيهِمْ إِنَّ مِنْ أَعْ

ظَمِ إِرْبٍ أَلَّا يُسَمَّى^(٥) أَرِيبًا

[ع] « الْكِيدُ » المكر . أى مكر بهم مكرّاً فى سكون ، وتسمى الحرب
 كيداً لأنها تكون بالخديعة والمكر . و « الإِرْبُ » الدَّهَاءُ والعقل . وبقية البيت
 شرح لقوله « سَكَنَ الْكِيدَ فِيهِمْ » : أى إذا كان الرجل يُظَنُّ أنه غير داهٍ

(١) م ، ل ، س ، د : « تدعى » . (٢) ظ « صار » .

(٣) فى ظ قال الخارزنجى : يقول إذا كان منهم قريباً لم يجترئوا على أن يتعرضوا للشعر البعيد
 منه ، علماً بأنه لا يستبعد ذلك ، فهم يرونه بعيد الغزوة وهو منهم قريب ، وإذا بعد لم يأمنوه ورأوه
 قريب الغزوة . وفى الحاشية من كتابه : التبت عليهم حالاته فى القرب منهم والبعد عنهم كيداً منه إياهم ،
 فبينما يظنونهم بعيداً وهم له آمنون إذا هو قريب ، وبينما يظنونهم قريباً إذا هو بعيد .

(٤) قال الصولى : ويروى « ساكن الكيد » .

(٥) ب ، ن ، د ، ظ : « يسمى » .

وهو بخلاف ما يُظنَّ كان أبلغ لفعله في العدو * وكان يقال في صدر الإسلام :
إذا عَلِمَ أن الرجل داهٍ فليس بداه . ومن ذلك قولُ العامة في الذين ينصبهم
السلطان لرفع الأخبارِ إليه من حيث لا يعلم بهم الناس : إذا عَلِمَ أنك صاحبُ
خبر فلست بصاحبِ خبر . .

٢٦ مَكْرُهُمْ عِنْدَهُ فَصَبِيحٌ وَإِنْ هُمْ
خَاطَبُوا مَكْرَهُ رَأَوْهُ جَلِييَا

[ع] عَنَى « بالجليب » الأعجمي الذي يُجَلَّبُ من بلده على معنى
السَّيِّ ، فلذلك استجاز أن يقابل به الفصيح ^(١) .

٢٧ وَلَعَمْرُ الْقَنَا الشَّوَارِعِ تَمْرَى
مِنْ تِلَاعِ الطَّلَى ^(٢) نَجِيعاً صَبِيحاً

« الشَّوَارِعُ » المنحاة نحو الأفران ، و « تَمْرَى » تستخرج ، و « التِّلَاعُ »
ها هنا مستعارة ، وأهل اللغة يذكرون التَّلعة في الأضداد ، يقولون لأعلى
الوادي تَلعة ولأسفله تَلعة ، ويُكنى بذلك عن المرتفع والهابط من الأرض ،
و « الطَّلَى » الأعناق .

٢٨ فِي مَكْرٍ لِلرَّوْعِ كُنْتَ أَكِيلاً
لِلْمَنَايَا فِي ظِلِّهِ وَشَرِيباً ^(٣)

[ع] « الأكيل » ، و « الشَّرِيبُ » ها هنا « فَعِيل » بمعنى « فاعل » ، كما
تقول فلانٌ جليسُ فلانٍ ومُجَالِسُهُ وصديقُهُ ومُصَادِقُهُ . أي كنت مواكلاً

(١) قال الصولي في شرحه : هذا مثل ، يقول مكرهم ظاهر عنده بين كبيان كلام للفصيح ،
ومكره عندهم كالجليب الذي لا يفهم ولا يبين .

وشرحه الأمدى بمثل هذا في ظ وقال : فجعل المكر يخاطب وجعله أعجمياً ، ودل على عجمته
بالجلب ! وما أعلن أبا العبر لو تعمل للسخف كان ينتهي إلى هذا الحد !

(٢) س ، ظ ، د : « الكل » .

(٣) ظ : ويروى : « المنايا به وكنت شريباً » .

للمنايا ومُشاربًا * وعلى هذا يحمل قوله تعالى: « عن اليمين وعن الشمال قعيد »
أى مقاعد .

٢٩ لَقَدْ اَنْصَعْتَ وَالشَّتَاءُ لَهُ وَجْهٌ ٤ يَرَاهُ الْكُفَّاءُ جَهْمًا قَطُوبًا
« انصاع » أخذ في شق وهو « انفل » من قولهم صاع الشيء إذا فرقته .
أى مضيت إلى الروم في وقت من الشتاء شديد البرد .

٣٠ طَاعِنًا مَنَحَرَ الشَّامِ مُتَبِعًا لِبِلَادِ الْعَدُوِّ مَوْتًا جَنُوبًا
[ع] يدل على أنه « مَنَحَرَ » بالخاء غير معجمة قوله « طاعنًا » ،
والمعنى أنه يغزو بلاد العدو وهم في ناحية الشمال فيجيشهم بموت من ناحية الجنوب .
ولو رويت « مَنَحَرَ الشَّامِ » لكان ذلك وجهًا ، لأن المنخر يبيح منه النفس ،
والرياح تسمى نفَسًا ويجعل لها أنفاس (١) .

٣١ فِي لَيَالٍ نَكَادُ تُبْقِي (٢) بِخَدِّ الشَّمْسِ

سِ مِنْ رِيحِهَا الْبَلِيلِ شُحُوبًا
أكثر ما يفسرون « البليل » إذا كان من صفة الرياح بالباردة ، والاشتقاق
يدل على أن البليل التي فيها شيء من المطر .

٣٢ سَبَرَاتٍ إِذَا الْحُرُوبُ أُبِيخَتْ (٣)

هَاجَ صَنْبَرُهَا فَكَانَتْ حُرُوبًا
[ع] « السَّبَرَاتِ » الغدوات الباردات ، الواحدة سَبْرَة . و « الصَّنْبَرُ »

(١) قال ابن المستوفى في الرد على أبي العلاء : لو أن أبا العلاء سكت عند قوله « ولو رويت منحَرَ الشمال » لكان فيه بعض الأمر ، أما أن يعطيه بما علله فلا يصح .
وقال الصولي خص الجنوب بنعت الموت ، أراد أنها تجيء بالمطر كما تسيل أنت الدم .
(٢) ن ، ب « تبدي » وبهامشها رواية الأصل .
(٣) س : « إذا المحتوف أتاحت » وبهامشها رواية الأصل - ل ، د ، هـ : « إذا الحروب أتاحت » .

واحدُ صَنَابِيرِ الشتاءِ وهو شدةُ البرد ، و « أبيضَتْ » من باخَتِ النارُ تبوخ إذا سكنَ لهبُها . والمعنى : أن هذه الأوقات إذا سكنتَ فيها الحربُ الكائنةُ بينَ الإنسِ يسهجُ صَنَبَرُها فتكونُ كالحاربةِ لمن سلك فيها .

٣٣ فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعِيهِ

ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا رَكُوبًا

« الأخْدَعَان » عرقان في العنق ، يقال للرجل إذا كان أبيضاً صعباً إنه لشديد الأخْدَع ، وقد استقام أخْدَعُهُ ، قال الشاعر :

قد كنتُ أشوسَ في المقامةِ سادراً فنظرتُ قصدى واستقامَ الأخْدَعُ^(١)

٣٤ لَوْ أَصَخْنَا مِنْ بَعْدِهَا لَسَمِعْنَا

لِقُلُوبِ الْأَيَّامِ مِنْكَ وَجِيئًا

« من بعدها » أى من بعد الضربة ، أو هذه الحرب . و « الإصاخة » إمالة الأذن للسَّمْع ، وقد حُكيت بالسين وهي رديئة . و « الوجيب » صوتُ حركة القلب ، فرقوا بين وَجَب القلبُ وَوَجَب الحائطُ بالمصدر .

٣٥ كُلُّ حِصْنٍ مِنْ ذِي الْكَلاَعِ وَأَكْشُو

ثَاءً^(٢) أَطْلَقْتَ^(٣) فِيهِ يَوْمًا عَصِييَا

[ع] « الكُلاَع » يُضَمُّ وَيُفْتَح . و « ذو الكُلاَع » ها هنا اسم حصن ،

(١) قال الصولي في شرحه : يقول مضيت على هوله ولم تباله ، وضرب لذلك مثلاً فقال « فضربت الشتاء في أخْدَعِيهِ » ، وغادرته أى تركته ، و « عَوْدًا » أى جملاً مسناً حمل طويلاً ، و « ركوباً » مذكلاً ، يريد فصيرت الشتاء سهلاً .

وقال الحارزنجي في ظ : يعنى ضربت الشتاء بعدد أعددتها له من الدفء حتى هان عليك ولم يصعب ، فصار ذلولاً متقاداً لا يلتوى عليك .

وقال ابن المستوفى ، هذا من قبيح استعاراته وشنيع عباراته .

(٢) « وأكشوء » حصن ببلاد الروم .

(٣) م ، ل ، س ، ظ : « أطلعت » ورواية الأصل بهامش س .

وكانه في الأصل منسوب إلى رجل من ذى الكتلاع ، لأن في حميرَ بَطُونًا يُعْرَفُونَ بهذا الاسم ، وفي الإسلام رجل يقال له ذو الكتلاع وهو سُمَيْفَع بن بَكُور . ويقال يوم عَصِيب أى شديد، وكذلك عاصب، كأنه يُراد أنه يَعَصِبُ القوم أى يجمعهم بعصاب كما تُعَصَّبُ الشجرةُ لتُخَبِّطَ . وكأن الطائي جاء به «عصيب» مع «أطلقنت» لأن الإطلاق عنده ضدّ العصب ، ولأنهم يقولون عصبتُ الأسير إذا شدّدته بالقِدَّةِ أو غيره ، ويقال للأسير مُعَصَّبٌ .

٣٦ وصليلاً من السُّيُوفِ مُرْدًا وشهاباً من الحَرِيقِ ذَنْوبًا

أى أطلقت فيه يومًا عَصِيْبًا ، وسُيُوفًا تَصِلُ - تقطع أعناقهم - ونارًا تُحْرِقُهُمْ . [ع] «الصِّلِيل» صوت الحديد بعضه على بعض ، وقوله : «ذَنْوبًا» أى له ذَنْبٌ طَوِيلٌ ، ومن روى «ذَبُوبًا»^(١) فعناه صحيح ، ولكنه تصحيف ، ويشهد له «ذَنْوبٌ» بالذال قوله في الأخرى :

* إذا بَدَأَ الْكَوْكَسُ الْغُرْبَى ذُو الذَّنْبِ *

٣٧ وَأَرَادُوكَ بِالْبَيَاتِ وَمَنْ هَـذَا يُرَادِي مُتَالِعًا وَعَسِيْبًا ؟

[ص] «المُرَادَةُ» المُرَامَةُ . يقول : من أرادك بالبيات مع حزمك وتيقظك فكانه يُرَامَى هذين الجبلين * (ع) «الْبَيَاتُ» أن يَغْتَرَّ القومَ العدوُّ فيطرقهم وهم بايتون . وقوله : «ومن هذا يُرَادِي» «هذا» هاهنا في معنى «الذى» وهو كلام معروف وقد حكاه جماعة ، وعلى هذا قد حملوا قول يزيد بن مفرغ :

عَدَسٌ مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ أُمِنْتُ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلَيْقِي^(٢)

أى الذى تحمِلين ، ومن جعل «ذا» زائدة في قوله : «ماذا فعلت» لم يبعد أن يجعل «هذا» زائدة في بيت الطائي . ولم يُرد إلا أن يجعل «هذا» في معنى «الذى» . وقد يحتمل أن يجعل «مَنْ» مبتدأ على معنى الاستفهام ، و «هذا» خبره ، ويكون في الكلام معنى الإنكار ، كما تقول إذا وقف بجذائك رجل فرمى بججر : مَنْ هذا يُرمى بالأحجار ؟ فيكون قولك «يُرمى» في موضع نصب

(١) وهى رواية س ، د : وفى ظ : عن ابن الليث أى يدب ، ويخطه ويروى «رتوبا» أى

راتبا ، ويخطه أيضاً ويروى «دُوبًا» . (٢) الأغاني ١٧ : ٦٠ .

على الحال . و « بُرَادِي » بُرَامِي ، وأصله الرمي بالحجارة ، ويقال للحجر العظيم مِرْدَاة ، ومن أمثالهم كلَّ ضَبَّ معه مِرْدَانُهُ ^(١) .

٣٨ فَرَأَوْا قَشْعَمَ السِّيَاسَةِ قَدْ ثَقَّ

فَ مِنْ جُنْدِهِ الْقَنَا وَالْقُلُوبَا

أصل « الْقَشْعَم » الْمُسْنَن من النُّسُور ، ثم استعير ذلك لغير النسر ، ويقال لربيعة بن نزار : ربيعةُ القشعم ، وقيل أرادوا أنه أقدم الربيع التي في العرب ، وقيل بل كان أكبر إخوته سنّاً [ع] و « قشعم السياسة » يحتمل أن يكون معرفةً ونكيرةً ، فإذا كان معرفةً فكأنه قال : فرأوا شيخ السياسة وصاحب التجربة ، ويكون الممدوح هو الموصوف بالقشعم ، وإذا جعلت « قشعم السياسة » نكرة فعناه قشعماً سياسته ، أى سياسته قديمة .

٣٩ حِيَّةُ اللَّيْلِ يُشْمِسُ الْحَزْمُ مِنْهُ ^(٢)

إِنْ أَرَادَتْ ^(٣) شَمْسُ النَّهَارِ الْغُرُوبَا

[ع] يعنى أنه يسرى في الظلم ، وكثير من الحيات يترقب الليل فتخرج فيه لابتلاع فراخ الطائر الذي تقرب منه ، تقول العرب حِيَّةُ الْوَادِي حِيَّةُ الْجَبَل ، فأما حية الليل فيجوز ألا يكون أحد استعمالها قبل الطائي ^(٤) * معناه أنه يستعد لأعدائه فلا ينام ، وحزمه يضىء بالليل فيصير كالיום الشَّامِس .

(١) مجمع الأمثال ٢ : ٥٢ .

(٢) ل : « فيه » ، وروها ظ .

(٣) ل : « حين فأت شمس النهار غروباً » . وقال الصولي و « فأت » رجعت . ويروى :

« إن أرادت شمس النهار الغروباً » : ولا معنى له لأنه لا بد من غروبها . وفي ظ : روى الأمدى « فأت » ، وهى رواية الحارزنجي أيضاً .

(٤) قال ابن المستوفى : قوله « حية الليل » كلام صحيح لأن الحيات توصف بالكون في النهار وفي القمر ، وبالدبيب في الظلمة ، قال خلف الأحمر :

* تنساب في النخس وتعشى في القمر *

— قال ابن دريد « النخس » الغبار في أقطار السماء — فجعله أبو تمام حية الليل ليكون أدهى ، ثم قال « يشمس الحزم فيه » فجمع بين الشمس والليل وهذا غريب .

٤٠ لَوْ تَقَصَّوْا أَمْرَ الْأَزَارِقِ خَالُوا
قَطَرِيًّا سَمَا لَهُمْ أَوْ شَيْبِيًّا

[ع] «لو تقصّوا» من قولك تقصّيتُ عن الخبر إذا طلبت أقصاه لتعلم حقيقته . و «الأزارق» من الخوارج الذين يُعرفون بالأزارقة ، نُسبوا إلى نافع بن الأزرق . «وقطريّ بن الفُجاءة» التميمي من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، تقام أمره في أيام الحجاج وبني مروان حتى سيّرت إليه البعوث العظيمة . وشبيب ابن نعيم بن مزيد الشيباني رئيس الخوارج أيضًا . أي هذا الممدوح في شدته ونجدته أحد هذين .

٤١ ثُمَّ وَجَّهَتْ فَارِسَ الْأَزْدِ وَالْأَوْ
حَدَّ فِي النَّصْحِ مَشْهَدًا وَمَغِيْبًا

٤٢ فَتَصَلَّى مُحَمَّدٌ بْنُ مَعَاذٍ
جَمْرَةَ الْحَرْبِ وَامْتَرَى الشُّؤْبُوبَا

٤٢ - «محمد بن معاذ» هو فارس الأزدي الذي وجّهه إليهم . و «الشُّؤْبُوبُ» سحابة دقيقة العرض شديدة الوقع ثم استعير ذلك في الحرب ، وليس في كلامهم الشَّاب لأن الشُّؤْبُوبَ يحتمل أن يشتق من ثلاثة أشياء : من الشَّاب وهو مُمَاتٌ ، ومن شبَّ النارَ والحرب ، وتكون الهمزة زائدة فيكون وزنه «فُعُولًا» وهذا هو الوجه فيه ، زيدت فيه الهمزة كما زيدت في «شَأْمَلٌ» ، ويحتمل أن يكون فُعُولًا ، من شاب يشوب أي خلط ، وهُمَزَتِ الْوَاوُ لمجاورتها الضمّة ، كما حكوا مؤسّى في مؤسّى ، وأُخذ من الشُّؤْبُوبِ لأن غَيْمَةً ليس بالملبس جميع السماء فكأنه شاب الصَّحْوَ بالغَيْمِ ، وقولهم شَابِبٌ يَدُلُّ على أن الهمزة قوية ، فلما أن تكون كهمة شاملة ، ولما أن يكون إبداءها من الواو فصار كالأصل^(١) .

(١) قال الصولي في شرحه : «امترى» مسح الضرع للحلب ، فيريد أنه قتل المشركين فكأنه احتلب دماهم بالرماح ، لأنه ذكرها في البيت الثاني .

٤٣ بالعِوَالِي يَهْتَكُنَ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ
صَدْرُهُ أَوْ حِجَابُهُ الْمَخْجُوبَا

٤٤ طَلَبْتُ أَنْفُسَ الْكُمَاةِ فَشَقَّتْ

مِنْ وَرَاءِ الْجُبُوبِ مِنْهُمْ^(١) جُيُوبَا

٤٤ - أى طلبت هذه الرماح أنفُسَ الكُمَاةِ فَشَقَّتْ جُيُوبَ دُرُوعِهِمْ ،
ونفذت إلى القلوب فقتلتهم وحملت نساءهم على شق جيوبهن .

٤٥ غَزْوَةٌ مُتَبِعٌ وَلَوْ كَانَ رَأَى لَمْ تَفَرِّدْ بِهِ لَكَانَتْ سَلُوبَا

[ع] « المتَّبِع » التى يتبعها ولدُها ، وكأنه غزا ثم عَقَّبَ ، فكانت
التعقيبية للغزاة الكبرى كالولد التابع ، وكان ذلك الفعل من رأى المملوح لم يُشارك
فيه ، ولو كان شاور أصحابه لأشاروا عليه بأن لا يُعَقَّبَ فكانت الغزاة سَلُوبَا
لا ولدَ يَتَّبِعُهَا ، يقال ناقةٌ سَلُوبٌ إذا سَلَبَ منها ولدُها بموت أو ذبح .
ويجوز رفع « رأى » على أن يكون « كان » فى معنى وقع ، ونصبه على أن يكون فى
« كان » ضمير^(٢) .

٤٦ يَوْمَ فَتَحِ سَقَى أُسُودَ الضَّوَاحِي

كُتِبَ الْمَوْتُ رَائِبًا وَحَلِيْبَا

[ص] « كُتِبَ » جمع كُتِبَتْ وهو القليل من اللبن المجتمع ، وكلُّ قليل
مجتمع كُتِبَتْ ، ومنه الحديث : « يعمدُ أحدكم إلى المرأة المُغِيْبَةِ فيخدعها بالكُتْبَةِ
لا أوتى بأحد فعَل ذلك إلا نَكَلْتُ به »^(٣) .

(١) ب : منها .

(٢) قال ابن المستوفى : النصب أجود لأنه إذا رفع جاز أن يقع رأى من غيره يتفرد هو بعمله
ويحتاج إلى محذوف تقديره لو وقع رأى منك ، وأما إذا كانت ناقصة فيكون المعنى لو كان الذى رأيت
رأياً لم تتفرد به ، فيكون الرأى منه والعمل له معاً . وهى رواية د .

(٣) امرأة مغيب ومغيب ومغيب كحسن غاب زوجها (قاموس) .

٤٧ فَإِذَا مَا الْأَيَّامُ أَصْبَحْنَ خُرْسًا

كُظْمًا فِي الْفَخَّارِ قَامَ خَطِيبًا

يقال للسَّائِكِ كاظمٌ وكُظْمٌ ، وكُظِمَ البعيرُ على جِرتِه إذا أمسكها في فيه ، وكُظِمَ غِيظَه إذا سَكَتَ ، فكأنه خنقه ، ويقال أخذ بكُظْمِه أى مُخَنَّقِه .

٤٨ كَانَ دَاءُ الْإِشْرَاكِ سَيْفُكَ وَاشْ

تَدَّتْ شَكَاةُ الْهُدَى فَكُنْتَ طَبِيبًا

٤٩ أَنْصَرْتُ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ حَتَّى

صَارَ سَاقًا عُودِي^(١) وَكَانَ قَضِيبًا

٤٩ - أى جَعَلْتُهَا نَضِيرَةً ، و « النَّضَارَةُ » الْخُضْرَةُ ، وَأَصْلُ « الْأَيْكَةِ » الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ .

٥٠ مُمَظِرًا لِي بِالْجَاهِ وَالْمَالِ لَا أَلْ

فَكَ إِلَّا مُسْتَوْهَبًا أَوْ وَهُوبًا

يقول : بَدَلْتُ لِي الْمَالَ وَالْجَاهَ ، فَلَا أُرَاكَ إِلَّا وَأَنْتَ تَهَبُ لِي وَتَسْتَوْهَبُ غَيْرَكَ لِي .

٥١ فَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتُ رِشَاءً وَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتُ قَلِيبًا

[ص] يقول : مَرَّةً تُعْطِينِي وَمَرَّةً تُعْرِضُنِي لِمَنْ يُعْطِينِي .

٥٢ بَاسِطًا بِاللَّيْلِ سَحَائِبَ كَيْفٍ بِنَدَاهَا أَمْسَى حَبِيبٌ حَبِيبًا

[ع] : « حَبِيبٌ » الْأَوَّلُ اسْمُ الشَّاعِرِ ، وَ « حَبِيبٌ » الثَّانِي فِي مَعْنَى

(١) س ، د : « صَارَ عُودِي سَاقًا » .

مَحْبُوبٌ ، والمعنى أنك مَوَّلَتْنِي فَأَحْبَبْتِي النَّاسُ لِأَنِّي صِرْتُ أُعْطِيهِمْ مِنْ عَطَايَاكَ ، وَالغَنَى يُحِبُّ لِرُجُوهَيْنِ : لِإِعْطَائِهِ النَّاسَ وَكَفِّهِ الْمَسْأَلَةَ عَنْهُمْ ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْجَلَّاحِ :

لَمَنْ مَقِيمٌ عَلَى الزَّوْءِ أَعْمَرَهَا إِنَّ الْحَبِيبَ إِلَى الْأَهْلِ ذُو الْمَالِ (١)

وقال آخر :

كَأَنَّ فَقِيرًا حِينَ يَطْلُبُ حَاجَةً إِلَى كُلِّ مَنْ يَلْتَقِي مِنَ النَّاسِ مُذْنِبٌ
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ « حَبِيبٌ » الثَّانِي هُوَ « حَبِيبٌ » الْأَوَّلُ كَمَا قَوْلُ : بَلَكَ
صَارَ فَلَانٌ فَلَانًا ، أَيْ عُرِفَ وَاشْتَهَرَ وَصَارَ لَهُ مَوْضِعٌ ، وَيَكُونُ مِنْ نَحْوِ
قَوْلِهِ : أَنْتَ أَنْتَ وَعَمَرُوْا عَمَرُو .

٥٣ فَإِذَا نِعْمَةٌ أَمْرِي فَرِكَتُهُ فَاهْتَصِرْهَا إِلَيْكَ وَلَهِيَ عُرُوبًا

[ع] فَرِكَتُهُ مِنْ فَرِكَ النِّسَاءِ وَهُوَ بَغْضُهُنَّ لِأَزْوَاجِهِنَّ . وَمَا أَخْرَجَ
الْفَرِكَ مِنَ الْخِيَانِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَحَدٌ قَبْلَ الطَّائِي . وَقَوْلُهُ « فَاهْتَصِرْهَا »
أَيْ اعْظِفْهَا إِلَيْكَ ، مِنْ قَوْلِهِ هَصَرْتُ الْغُصْنَ . وَ« وَلَهِيَ » أَيْ أَنَّهَا مِنْ شَوْقِهَا
إِلَيْكَ قَدْ ذَهَبَ عَقْلُهَا . وَ« عُرُوبًا » أَيْ مَسْتَحَبَّةً إِلَى الزَّوْجِ . وَقِيلَ
فِي قَوْلِهِ « فَاهْتَصِرْهَا » فَاجْتَذِبْ نِعْمَتَهُ إِلَيْكَ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ إِذَا أَبْغَضْتَ امْرَأًا
نِعْمَتُهُ لِأَنَّهُ يَضَعُهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا فَاجْتَذِبْ إِلَيْكَ نِعْمَتَكَ الَّتِي تُحِبُّكَ
وَتَسْجِدُ بِكَ وَتَجِدُ الْعُرُوبَ لِإِلْفِهَا لِأَنَّكَ تَضَعُهَا فِي مَوْضِعِهَا ، وَهُوَ الْوَجْهَ .

(١) الْأَغَانِي ١٣ : ١١٩ . وَالرَّوَايَةُ فِيهِ : « إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ » .

وَقَالَ ابْنُ الْمُسَوِّفِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ فِي قَوْلِهِ « وَلَغْنِي يُحِبُّ لِرُجُوهَيْنِ ... » . الْغْنَى مُطْلَقًا يُحِبُّ ، لَا لِإِعْطَائِهِ النَّاسَ ، وَلَا لِكَفِّهِ السُّؤَالَ عَنْهُمْ ، بَلْ لَمَّا فِي الْأَنْفُسِ مِنَ الْمِيلِ إِلَى الْغْنَى وَالْمِيلِ مِنَ الْفَقْرِ وَإِنْ لَمْ يَسْأَلْهُمْ ، وَهَذَا مَشْهُورٌ مَذْكُورٌ فِي أَبْوَابِهِ ، وَقَدْ أَوْضَحَ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْتَهُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ فَقَالَ :

عبيد ذى المال وإن لم يطعموا من غمرة في جرة تشنى الصدى

وهم لمن أملك أعداء وإن شاركهم فيما أفاد وحوى

وقال آخر :

وكان بنو عمي يقولون مرحباً فلما رأوني مملقاً مات « مرحب »

٥٤ وإذا الصُّنْعُ كَانَ وَحْشاً فَمُلْدُ

يَتَ بِرَغْمِ الزَّمانِ صُنْعاً رَبِيباً^(١)

٥٥ وَبَقَاءٌ حَتَّى يَفُوتَ أَبُو يَعِ

قُوبَ فِي سِنِّهِ أَبَا يَعْقُوبَا

٥٥ - [ع] «أبو يعقوب» ، وَلَدُ المَدَّوح ، واسمُ المملوح محمد بنُ يوسفَ ، واسمُ ولده يوسفُ باسمِ جَدِّه . فيجوز أن يعنى : حتى يعيشَ وَلَدُكَ أَكْثَرَ مما عاشَ أبوكَ ، وهذا أشبهُ ما يُقالُ فيه ، وقد ذَهَبَ قومٌ إلى أنه يعنى بأبي يعقوبَ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ أبا يعقوبَ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلم .

(١) شرحه في ظ : كأنه أراد بذلك من قولهم رجل صنع اليمين إذا كان حاذقاً ماهراً ، وأنشدوا

لأبي ذؤيب :

وعليهما مبرودتان قضاهما داود أو صنع السوايغ تَجْعُ

و «الصُّنْعُ» مصدر صنع الله معروف ، أى إذا كان صنع الله عند قوم وحشاً ينقر منهم فلاك الله صنْعاً مربوباً عندك ، يعنى كما يرب الوالد ولده ، كأنه محتاج عندك .

وقال يَمْدَحُهُ : [أَبَا سَعِيدٍ الثَّغْرِيُّ] .

- ١ إِنِّي أَتَنَّى مِنْ لَدُنْكَ صَحِيفَةً
غَلَبَتْ هُمُومَ الصَّدْرِ^(١) وَهِيَ غَوَالِبُ
 - ٢ وَطَلَبْتُ وَدَى وَالتَّنَائِفُ بَيْنَنَا
فَنَدَاكَ مَطْلُوبٌ وَمَجْدُكَ طَالِبُ
- « التَّنَائِفُ » جمعُ تَنْوُفَةٍ وَهِيَ الْقَفَرُ مِنَ الْأَرْضِ . وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا إِلَّا بِالزِّيَادَةِ ، وَلَمْ يَقُولُوا التَّنَفُّ .
- ٣ فَلَتَلَقَيْتُكَ^(٢) حَيْثُ كُنْتَ قَصَائِدُ
فِيهَا لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ مَآرِبُ
 - ٤ فَكَأَنَّمَا هِيَ فِي السَّمَاعِ جَنَادِلُ
وَكَأَنَّمَا هِيَ فِي الْعُيُونِ^(٣) كَوَاكِبُ
 - ٥ وَغَرَائِبُ تَأْتِيكَ إِلَّا أَنَّهَا
لِصَنِيْعِكَ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ أَقَارِبُ^(٤)

(١) ظ ، د : « هُمُومُ النَّفْسِ » .

(٢) ظ : وَيُرْوَى « فَلَتَلَفَيْتُكَ » .

(٣) س : « فِي الْقُلُوبِ » - د : « فِي الْقُلُوبِ كَوَاعِبُ » . وَفِي ظ : وَيُرْوَى « فِي الْقُلُوبِ كَوَاعِبُ » ، وَيُرْوَى « فِي الْقُلُوبِ كَوَاكِبُ » .

(٤) س : « قَرَائِبُ » - ظ : « قَرَائِبُ » وَهَامِشُهَا رَوَايَةُ الْأَصْلِ .

٦ نِعَمٌ إِذَا رُعِيتَ بِشُكْرٍ^(١) لَمْ تَزَلْ

نِعَمًا وَإِنْ لَمْ تُرْعَ فَهِيَ مَصَائِبُ

٦ - قِيَّاسُ التَّحْوِينِ الْبَصْرِيِّينَ يُوجِبُ إِلَّا تَهْمَزُ « الْمَصَائِبُ » وَأَنْ يُقَالَ « مَصَاوِبُ » بِالْوَاوِ ، لِأَنَّهَا مِنْ صَابَ يَصُوبُ ، وَقَدْ حَكَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ « مَصَاوِبُ » وَ « مَصَائِبُ » بِالْوَاوِ وَالْيَاءِ . وَقَالَ قَتَوْمٌ يُقَالُ صَابَ السَّهْمُ يَصِيبُ ، وَإِذَا أَخِذَ مِنْ ذَلِكَ جَازَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَتَوْلِهِمْ مَصَائِبُ بِالْيَاءِ ، وَيَكُونَ مِنْ بَابِ « مَعَاشٍ » ، إِلَّا أَنْ الْكُوفِيِّينَ يُسَهِّلُونَ الْهَمْزَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى التَّشْبِيهِ وَيَجْعَلُونَ الْأَصْلَ كَالزَّائِدِ ، وَيُشَبِّهُونَهُ « بَصَحَايِفُ » ، وَقَدْ قَالُوا مَزَادَةٌ وَمَزَايِدُ ، وَالْمَزَادَةُ الْغَالِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ مِنَ الزَّادِ ، وَالزَّادُ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ لِقَوْلِهِمْ زَوَّدْتُ الرَّجُلَ ، وَقَالُوا مِزْوَدٌ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ الزَّادُ ، فَإِنْ كَانَتْ الْمَزَادَةُ مِنَ الزَّادِ فَهِيَ مِنَ ذَوَاتِ الْوَاوِ وَقَدْ جُمِعَتْ بِالْيَاءِ ، وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يُدْعَى لَهَا أَنَّهَا مِنْ زَادٍ يَزِيدُ ، كَأَنَّهَا زِيَادَةٌ عَلَى الزَّادِ الَّذِي يُوَكَّلُ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يُسْتَعْمَلُ الزَّادُ فِي الْمَأْكُولِ .

٧ كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى^(٢)

بِنَدَاكَ وَهُوَ إِلَى مِنْهَا تَائِبٌ

٨ وَتَتَابَعَتْ أَيَّامُهُ وَشُهْرُهُ

عُصْبًا يُغْرَنَ كَأَنَّهُنَّ مَقَانِبُ

(١) د : « بشكرك » .

(٢) في ظ : روى الصولي :

كثرت خطايا الدهر فيَّ وإنما بنداك أصحى وهو منها تائب

وقال : والأول أجود . والذي عندي في م ، ل من نسخ شرحه رواية الأصل .

- ٩ مِنْ نَكْبَةٍ مَخْفُوفَةٍ بِمُصِيبَةٍ
جُذَّ السَّانَمُ لَهَا وَجُذَّ^(١) الْغَارِبُ
١٠ أَوْ لَوْعَةٍ مَنُتَوِجَةٍ مِنْ فُرْقَةٍ
حَقُّ الدَّمُوعِ عَلَى فِيهَا وَاجِبُ
١١ وَلِلْهَتْ مُذْ زُمْتُ رِكَابُكَ لِلنَّوَى
فَكَانَنِي مُذْ غَبْتَ عَنِّي غَائِبُ

(١) م : « وَجِبَّ الْغَارِب » - وقال الصولي « جذ » قطع و « جذ » مثله ، و « جِبَّ » أيضاً وهو أصح . وفي ظ : وروى أبو العلاء : « وجب الغارب » - وقال ابن المستوفي : واستعمال « جب في السنام أكثر من استعمال « جذ » ، وتعدّوه إلى الظهر فقال النابغة :
ونمسك بعده بسنام عيش أجب الظهر ليس له سنام
ولم يقولوا بعير أجذ السنام .

وقال يمدحُ خالدَ بنَ يزيدَ بنَ مَرْزُوقِ الشيباني :

١ لَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقْبُ
أَنْحَلُ الْمَغَانِي لِلْبَلَى هِيَ أَمْ نَهَبُ؟!

الأول من الطويل ، والقافية متواتر .

[ع] « ماوية » من أسماء النساء ، وإنما سُميت بِالْمِرَاةِ ، والمأوية مأخوذة من الماء ، أى أنها ذاتُ حديد له ماء . و « الحُقْبُ » الدهر ، واختلفوا فى تفسيره ، فقالوا ثلاثون سنة ، وقالوا ثمانون ، وغير ذلك من الأقوال . والصحيح أن الحُقْبُ برهة طويلة لا حدَّ لها . وأنث على معنى البرهة والمدة ، لأن تذكير الحُقْبُ غيرُ حقيقى ، وهذا أوجه من أن يقال الحُقْبُ جمع حِقْبَةٍ إذا أريد بها السنّة ، لأن « فعلة » قلّما تجمع على « فعل » ، ولو قيل إن الحُقْبُ أراد بها الأزمان المتأخّرة ، شبه الواحد منها بحقيقة الرجل ، لأن شعره معدنُ الاستعارة ، ثم جمعَ حقيقة على حُقْبٍ ، مثل صحيفة ، وصُحف ، لكان وجهاً . و « النحل » العطية . تقديره : أنحلُ المغاني للبلَى أم نهَبُ ؟ فحذف التنوين للضرورة * [ص] يقول : أصيّرَتِ المغاني للبلَى نُحْلًا أم نهَبًا ؟

٢ وَعَهْدِي بِهَا إِذْ نَاقَضُ الْعَهْدَ بِدَرْهَا

مُرَاحُ الْهَوَى فِيهَا وَمَسْرَحُهُ الْخَضْبُ

(ق) يقول : عهدي بهذه الدارِ حينَ كانَ حَسْبِي الناقضُ لعهدي فيها يُضْيئُهَا وَيُنَوِّرُهَا فكأنه بِدَرْهَا ، وهى مَظْنَةُ الْهَوَى لأنها مأوى الحسان ومرتعهُ ، والمرتع الذى يغلو إليه وَيَسْرُوحُ عنه ، يقال سَرَحْتُ الماشية وأرَحْتُهَا ، إذا أخرجتها بالغداة إلى المرعى ورَدَدْتُهَا بالعشية . وقوله « ناقضُ العهد » مُبْتَدَأٌ ، و « بدَرْهَا » خبرُهُ ، وهما جملة أضيف « إِذْ » إليها وشرَحَ بها ، و « إِذْ » ظَرْفٌ لقوله « وعهدي » ، و « مُرَاحُ الْهَوَى » مُبْتَدَأٌ ، و « مَسْرَحُهُ »

عطف عليه ، و « الخصب » صفة له ، و « فيها » خبر المبتدأ * ، وهذا معنى البيت لا ما ذهب إليه غيره ^(١) .

٣ مُوزَّرَةٌ مِنْ صَنْعَةِ الْوَبْلِ ^(٢) وَالنَّدَى

بِوَشْيٍ وَلَا وَشْيٍ ، وَعَضْبٍ وَلَا عَضْبٍ

[ع] أى لها إزار من الروض وضروب من النباتات ، وهو من صنعة الوبل

(١) يشير هنا الى الصولى الذى يقول فى شرحه : جمع هوى فى ليل ونهارى بدر هذه الدار الناقض المهد . صير لهواه مراحاً ومسرحاً ، فالمراح ما يلقاه ليلاكول النابغة : * وصدر أراح الليل عازب همه *

ومسرحه ما كان نهراً لأن السائمة تسرح بالنهار ، وقال « الخصب » أى هواء كثير ليس بالقليل . وقد ذكر ابن المستوفى أن المرزوق أورد كلام الصولى هذا ثم قال : من تأمل هذا الكلام وتفكر فى إعراب البيت ولفظه بان له من تخطيط هذا المفسر ما قضى العجب منه . والمعنى : عهدت هذه الدار حين بدورها ناقض المهد مراح الهوى ومسرحه الخصب فيها ، أى كانت الدار وهى مأهولة بسكانها مرتع الهوى المخصب فيها ، و « المسرح » و « المراح » الذى يقع فيه الفعل ، وهذا كما سماها فى موضع آخر ميدان الهوى فقال :

أميدان لهوى من أتاح لك البلى فأصبحت ميدان الصبا والجنان
وفى طريقته قوله فى أخرى :

قد عهدت الرسوم وهى حكاظ للصبي تزدهيك حسناً وطيباً
أكثر الأرض زائراً ومزوراً وصموداً من الهوى وصبوباً

فقوله (الصولى) « جمع هوى فى ليل ونهارى بدر هذه الدار » كلام لم يترتب على ما فى البيت ، وقوله فى « الخصب » : « أى هواء كثير » ذهاب عن الطريق وعدول عن الصواب . وأورد ابن المستوفى كذلك نقداً للامدى على هذا البيت ، قال : « البدر » ليس هذا موضعه ، وإنما يحسن ذكر البدر فى مثل هذا إذا كان فى الكلام ذكر لسماء أو نجوم أو ليل ، ولو قال « إذ ناقص المهد ريمها » ربما كان أشبه وأليق ، وقد قال البحرى مثل هذا ولكنه فيه أعذر من أبى تمام ، وذلك قوله :

ربيع خلا من بدره مغناه ورعت به عين المها الأشباه
وأحسن من هذا وأجود لفظاً ومعنى قول البحرى :

وعهدى بها من قبل أن تحكم النوى على عينها ألا تدوم عهدوها
بمسدة ما بين المحبين والهوى وبمجموعة غيد الليالى وغيدها

وقوله « وبمجموعة غيد الليالى وغيدها » لفظاً ومعنى ما لحسنهما نهاية . وإنما أخذ المعنى من قول أبى تمام :
كواعب زارت فى ليال قصيرة يخيلن لى من حسنهن كواعبا
وبيت البحرى أجود لفظاً وأحل سبكاً .
(٢) هـ س : ويروى « من صنعة الطل » .

أى المطر الشديد الوقع^(١).

٤ تَحِيرٌ^(٢) فِي آرَامِهَا الْحُسْنُ فَاغْتَدَتْ

قَرَارَةً مَنْ يُضْبِي وَنُجْعَةً مَنْ يَضْبُو

[ع] معنى «تَحِيرٌ» فى هذا الموضع أقام * (خ) وأراد بـ «آرامها» نساءها ، أى فأصبحت مجمع المصنّيات من النساء ، ونجعة الصابين من الفتيان وطلّاب الغزل .

٥ سَوَاكِنُ فِي بَرْكَمَا سَكَنَ الدَّمَى

نَوَافِرُ مِنْ سُوءٍ كَمَا نَفَرَ السَّرْبُ

يقول : هُنَّ سَوَاكِنُ عِنْدَ الْبَرِّ وَالصَّلَاحِ كَسَكُونِ الدَّمَى وَالتَّصَاوِيرِ ، لِأَنَّهُ لَا تَتَحَرَّكُ ، وَنَوَافِرُ مِنَ الرَّيْبَةِ كَنُفُورِ الظُّبَاءِ^(٣) . قَابِلَ السُّوءِ بِالْبَرِّ ، وَالتَّوَافِرِ بِالسَّوَاكِنِ .

٦ كَوَاعِبُ أَتْرَابُ لِيَغِيدَاءُ أَصْبَحَتْ

وَلَيْسَ لَهَا فِي الْحُسْنِ شِكْلٌ وَلَا تَرِبُ

«أَتْرَابُ» أَيْ فِي السَّنِّ وَالْقَدَرِ ، وَأَصْلُ «الْغَيْدَاءِ» النِّعْمَةُ وَالتَّنْشِي ،

(١) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى فِي الرَّدِّ عَلَى كَلَامِ أَبِي الْعَلَاءِ : إِذَا أَخَذَ «مُؤَزَّرَةً» مِنْ قَوْلِهِ تَأْزُرُ النَّبْتَ التَّفُّ وَاشْتَدَّ كَأَنَّهُ أُولَى ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

تَأْزُرُ فِيهِ النَّبْتُ حَتَّى تَخَايَلْتَ رَبَاهُ وَحَتَّى مَا تَرَى الشَّاءَ نَوْمًا

أَرْضٌ مَتَخِيلَةٌ وَمَتَخَايَلَةٌ إِذَا بَلَغَ نَيْبُهَا النَّدَى . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ .

(٢) م : «تَرَدَّدُ فِي أَتْرَابِهَا» وَقَالَ الصَّوَلُ فِي شَرْحِهِ : وَيُرْوَى «تَحِيرٌ» وَهِيَ «تَرَدَّدٌ» أَيْضًا ،

وَقَوْلُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ

فَإِنَّمَا يَعْنِي أَنَّهُ تَرَدَّدٌ فِي خُدَّهَا تَرَدَّدًا غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ ، وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

* وَالشَّمْسُ حَيْرَى لَهَا بِالْحَوِ تَدْوِيمٌ *

وَرَوَايَةُ د ، هـ ب : «تَرَدَّدٌ» ، وَرَوَتْهَا ظ أَيْضًا .

(٣) قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ :

وَيُرِيدُ بِهِ هَذَا الْمَعْنَى فِي بَيْتٍ آخَرَ :

* عَوَاشِقُ بَرٍّ تَارَكَاتِ التَّبْرِجِ *

يُقال عُنُقُ غَيْدَاءٍ إِذَا كَانَتْ طَوِيلَةً تَمِيلُ ، وَلِذَلِكَ وَصَفَتِ الظُّبَاءُ بِالْغَيْدِ ،
وَقَالُوا نَبْتُ أَغْيَدٍ إِذَا كَانَ مُشْتَبِيًّا ، وَكَذَلِكَ غَادٍ أَيْضًا ، قَالَ كَثِيرٌ :
وَصَفَرَاءُ رُعْيُوبٍ كَأَنَّ شَاحَهَا عَلَى نَاعِمٍ مِنْ غَابٍ دَجَلَةٌ غَادٍ

٧ لَهَا مَنَظَرٌ قَيْدُ النَّوَظِرِ لَمْ يَزَلْ

يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي خُفَارَتِهِ الْحُبُّ

أَيُّ لَا يُفَارِقُهَا الْحُبُّ فَكَأَنَّهُ فِي خُفَارَتِهِ وَذَمَّتْهُ (ع) : يَقُولُ : إِذَا نَظَرَ
إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ قَيْدَ نَظَرِهِ فَلَمْ يَصْرِفْهُ إِلَى غَيْرِهَا . وَ « قَيْدُ النَّوَظِرِ » هَا هُنَا
مُضَافٌ عَلَى مَعْنَى الْإِنْفِصَالِ ، كَأَنَّهُ قَالَ قَيْدُ النَّوَظِرِ ، وَهُوَ كَمَا يُقَالُ قَيْدُ مَائَةٍ ،
أَيُّ إِذَا أُسْرِ قَيْدِي بِمَائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ ، قَالَ الرَّاعِي :

وَكَانَ لَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ فَارِسٌ إِذَا مَا رَأَى قَيْدَ الْمِثْنِ يُعَانِقُهُ

« وَقَيْدَ الْمِثْنِ » يُشَابِهُ الْحَسَنَ الْوَجْهَ فِي أَمْرٍ وَيُخَالِفُهُ فِي آخَرٍ ، فَأَمَّا
الْمِشَابَهَةُ فَمِنْ قِبَلِ تَأْوِيلِ التَّنْوِينِ ، وَأَمَّا الْمُبَايَنَةُ فَلِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ مَرَرْتُ
بِرَجُلٍ قَيْدَ مِثْنِهِ . كَمَا يُقَالُ حَسَنَ وَجْهِهِ ، وَبَابُ « حَسَنَ الْوَجْهِ » كَثِيرٌ
جَدًّا ، وَبَابُ قَيْدِ الْمِثْنِ إِنَّمَا يَجِيءُ فِي أَشْيَاءٍ مَخْصُوصَةٍ (١) .

٨ يَظَلُّ سَرَاةُ الْقَوْمِ مَشْنَى وَمَوْحَدًا

نَشَاوَى بَعَيْنَيْهَا كَأَنَّهُمْ شَرَبُ

[ع] « سَرَاةُ الْقَوْمِ » خِيَارُهُمْ وَأَمَّا ثَلَمُهُمْ ، أَخَذَ مِنْ سَرَاةِ الْجَبَلِ وَالْفَرَسِ

(١) قَالَ الصَّوْلِيُّ فِي شَرْحِهِ : أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِهَذَا الْمَعْنَى أَمْرُو الْقَيْسِ فِي صِفَةِ الْفَرَسِ ، فَقَالَ :
وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا بِمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلُ
أَيُّ مِنْ ظَفَرِهِ بِهَا وَلِحْوَقِهَا إِذَا رَأَاهَا كَأَنَّهُ قَيْدُهَا ، فَقَالَ هَذَا « قَيْدُ النَّوَظِرِ » أَيُّ يَقْيِدُ حَسَنَهَا الْعَيُونَ
وَلَا يَتَجَاوَزُهَا ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

بِهَنَافَةٍ تَسْتَمِيرُ الْقَوْمَ أَعْيَنَهُمْ حَتَّى تَرْدَ عَلَى ذِي النِّيْقَةِ الْبَصْرَا
وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى فِي كِتَابِهِ : وَمَا وَقَعَ فِيهِ ذِكْرُ الْقَيْدِ وَقَوْعًا مِمَّا كُنَّا مَا أَنْشَدَهُ الْخَالِدِيَانِ لِأَعْرَابِي :
لَا غُرُو أَنَا مَعَثْرٌ حَامُوا الْحَقِيقَةَ وَالنَّمَارُ
نَحْمَى الْخَوَاصِنَ لَهَا قَيْدُ الْكَرِيمِ عَنِ الْفِرَارِ

وهي أعلاهما ، وهذا أوجه من أن يُقال سراة جمع سرى ، لأن « فَعِيلًا » لا يُجْمَع على « فَعْلَةٍ » ، فيجِبُ أن يُحْمَلَ على قولهم ذؤابة قومه أى أعلاهم ، شَبَّهُوا بِذُؤَابَةِ الرَّأْسِ^(١) . وصَرَفَ « مَوْحِدًا » للضرورة ، وهو عند البصريين لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة . و « نَشَاوَى » جمع نَشْوَان ، مثل سُكْرَان وسَكَارَى ، ولا يمتنع أن يُقال نَشَاوَى بضم النون ، والانتشاء أولُ السُّكْرِ ، « وَالشَّرْب » جمع « شارب » مثل ركب وراكب .

٩ إلى خَالِدٍ رَاحَتْ بِنَا أَرْحَبِيَّةٌ مَرَّافِقُهَا مِنْ عَن كَرَاكِرِهَا نُكْبٌ

« أَرْحَبِيَّةٌ » منسوبة إلى أَرْحَب ، وهم قوم من هَمْدَان يُنسَب إليهم ضَرْبٌ مِنَ الْإِبِلِ نَجَابٌ . و « نُكْبٌ » جمع أنكب أى مائل . [ص] وَيُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ مَرَّافِقُ الْإِبِلِ مَفْتُولَةً لثَلَا يَنَالُهَا سَحَجٌ ، قِيلَ بِهَا حَازٌ وَنَاكِبٌ وَضَاغَطٌ ، فَإِذَا عَظُمَ ذَلِكَ قِيلَ بِهَا ضَبٌّ^(٢) .

١٠ جَرَى النَّجْدُ الْأَخْوَى عَلَيْهَا فَاصْبَحَتْ مِنَ السَّيْرِ وَرُقًا وَهَى فِي نَجْدِهَا صُهْبٌ

« النَّجْدُ » الْعَرَقُ ، و « الْأَخْوَى » الْأَسْوَد . يريد أن عَرَقَ الْإِبِلُ يَمِيلُ أَوْ يَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ ، وَلِذَلِكَ شَبَّهَهُ بِالْقَطْرِ . و « الْوُرُقُ » مِنْ صِفَاتِ الْإِبِلِ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ اللَّوْنُ يَشْبَهُ وَرَقَ الشَّجَرِ ، وَقَدْ تُوصَفُ الْوُرُقُ بِالْخَضَرَةِ وَبِالسَّوَادِ . و « الصُّهْبُ » مِنَ الْإِبِلِ تُحَسَّبُ مِنْ أَكْرَمِهَا ، و « الْوُرُقُ » مِنْ

(١) قال ابن المستوفى فى هذا : قال الجوهري : وجمع السرى سراة ، وهو جمع عزيز ، أن يجمع فعيل على فَعْلَةٍ ، ولا يُعرف غيره . فع ما ذكره الجوهري يسقط تمحل أبى العلاء . وقال « السرو » سخاء فى مروءة ، وبيت أبى تمام يحمل على ذلك لأن من يكون بهذه الصفة يكون من الأمائل .

(٢) « الضب » داء فى مرفق البعير . و « الضاغط » انفتاق فى إبطه . ويعبر سحاج يسحج الأرض بخفه أى يقشرها . وإذا أصاب المرفق طرف كركرة البعير فقطعه وأدماه قيل به حاز ، فإن لم يدمه فاسح . (قاموس مادة حز) .

بِطَائِهَا ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ لَحْمَ الْوَرَقِ أَطْيَبُ لَحْمِ الْإِبِلِ^(١) .

١١ إِلَى مَلِكٍ لَوْلَا سِجَالُ^(٢) نَوَالِهِ

لَمَّا كَانَ لِلْمَعْرُوفِ نَقْيٌ وَلَا شُخْبٌ

« النَّقْيُ » مَخَّ السَّمِين ، وَيَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى السَّمْنُ نَقِيًّا . وَ « الشُّخْبُ » وَالشُّخْبُ صَوْتُ خُرُوجِ اللَّبَنِ مِنَ الضَّرْع ، وَيَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى اللَّبَنِ بَعِينَهُ شُخْبًا^(٣) .

١٢ مِنَ الْبَيْضِ مَحْجُوبٌ عَنِ السُّوءِ وَالْخَنَاءِ

وَلَا تَحْجُبُ الْأَنْوَاءُ مِنْ كَفِّهِ الْحُجْبُ

١٣ مَصُونُ الْمَعَالِي لَا يَزِيدُ أَذَالَهُ

وَلَا مَزِيدٌ وَلَا شَرِيكٌ وَلَا الصُّلْبُ

١٣ - « الصُّلْبُ » أَحَدُ أَجْدَادِ الْمَمْلُوحِ ، وَقِيلَ اسْمُهُ قَيْسٌ ، وَيُقَالُ بِلِ عَمَرُو^(٤) .

١٤ وَلَا مُرَّتًا ذُهْلٌ وَلَا الْحِصْنُ غَالَهُ

وَلَا كَفٌّ شَأُونِهِ عَلَى وَلَا صَعْبٌ^(٥)

« مُرَّتًا ذُهْلٌ » تَثْنِيَةٌ مُرَّةٌ ، وَ « الْحِصْنُ » يُقَالُ لَهُ لِقَبِّ عُنَايَةِ بْنِ

(١) قَالَ الْخَارَزَجِيُّ فِي شَرْحِهِ : يَقُولُ جَرَى عَلَيْهَا الْعَرَقُ الْأَحْوَى مِنَ التَّعَبِ فَصَارَتْ كَأَنَّهَا وَرَقٌ رُبْدَ وَهِيَ فِي نَجَارِهَا صَهْبٌ . وَقَالَ : وَيُرْوَى « فِي لَوْنِهَا صَهْبٌ » ، وَعَكْسُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ النَّجْرَانِيُّ يَصِفُ الْحَيْلَ :

فَلَهُ دَرِ السَّابِقَاتِ وَدَمَهَا مِنَ التَّجْدِ الْجَارِي بِأَرْفَاقِهَا نَبْطٌ

وَقَالَ « الْأَرْفَاقُ » الْمَغَابِنُ ، وَفَرَشَ « أَنْبَطٌ » لَهُ تَحْتَ إِبْطِهِ بَيَاضٌ وَفِي بَطْنِهِ .

(٢) قَالَ الْخَارَزَجِيُّ : وَيُرْوَى « سِجَالٌ يَمِينُهُ » وَهِيَ رَوَايَةٌ د .

(٣) وَقَالَ الْخَارَزَجِيُّ فِي شَرْحِهِ : أَيْ لَوْلَا جُودُهُ وَعَرَفَهُ لَمَّا كَانَ لِلْمَعْرُوفِ أَثَرٌ فِي الدُّنْيَا . وَالَّذِي أَرَادَهُ لَوْلَا نَوَالُهُ هَلَاكَ الْمَعْرُوفِ ، لِأَنَّ مَا لَا نَقْيَ فِيهِ وَلَا شُخْبَ هَالِكٌ .

(٤) فِي ظ : « لَا يَزِيدُ أَذَالَهُ » أَيْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ النِّقْصُ فِي شَرْفِهِ وَيُرْوَى « أَذَالَهَا » وَهِيَ أَحْسَنُ لَفْظًا وَمَعْنَى . يَقُولُ : مَعَالِيهِ مَصُوفَةٌ لَمْ يَهْنَأْ أَحَدٌ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ وَلَا مِنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ .

(٥) م ، ل : « الصَّعْبُ » .

صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وقيل لقب ابنه ثعلبة ، ومنه قول المرقش الأكبر :
 بَأَنَّ بَنَى الْحِصْنَ سَارُوا مَعًا بِجَيْشِ كَضْوَى نَجُومِ السَّحَرِ
 و « شَأُونُهُ » تثنية شَأُو ، وأصل الشَأُو من شَأَه إِذَا سَبَقَهُ ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى
 قَالُوا جَرَى شَأُوًا أَى طَلَقًا ، وَسَمُوا الْغَايَةَ شَأُوًا .

١٥ وَأَشْبَاهُ بَكْرُ الْمَجْدِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ

وَقَاسِطُ عَدْنَانَ وَأَنْجَبُهُ هِنْبُ

(ع) « أَشْبَاهُ » أَى كِفَاه ، وَمِنْهُ قَوْلُ ذِي الإِصْبَعِ الْعَدُوَانِي :

وَهُمْ مَن وَكَدُوا أَشْبَوًا بِسِرِّ الْحَسْبِ الْحَضِّ (١)

وَقَالَ ابْنُ الزَّبَعْرِ :

وَذِي الرَّحْمَنِ أَشْبَاهُ لَكَ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْحَزْمِ

وَقَالَ قَوْمٌ : يُقَالُ أَشْبَى الرَّجُلُ إِذَا وُلِدَ لَهُ أَوْلَادٌ أَذْكَاءٌ ، وَهُوَ مَأْخُذٌ مِنَ
 الشَّبَا أَى الْحَدَثِ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلُوا أَشْبَى فِي غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى ، قَالُوا أَشْبَى عَلَيْهِ
 إِذَا أَشْفَقَ ، قَالَ الرَّاجِزُ :

قَدْ أَتَعَبْتَنِي وَالْهَوَى ذُو تَعَبٍ

تُشْبِي عَلَى الْكَرِيمِ يُشْبِي

و « قَاسِطُ عَدْنَانَ » يَعْنِي جَدَّ تَغْلَبَ وَبَكْرُ ، لِأَنَّهُ يُقَالُ تَغْلَبَ وَبَكَرَ ابْنَا
 وَائِلَ بْنِ قَاسِطِ بْنِ هِنْبَ بْنِ أَفْصَى ، وَ « هِنْبُ » مَأْخُذٌ مِنْ قَوْمِ امْرَأَةِ هَنْبَاءَ
 أَى بِلْهَاءَ وَرَهَاءَ ، وَ « أَفْصَى » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسَمًّى بِالْفِعْلِ ، مِنْ قَوْمِ أَفْصَى
 عَنْكَ الْبَرْدُ ، أَى زَالٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ « أَفْصَى » اسْمًا مَأْخُذًا مِنَ الْفَضِيَّةِ وَهِيَ
 الْخُرُوجُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ ، وَفِي حَدِيثِ الْحَدِيثِ : « الْفَضِيَّةُ لَا يَزَالُ كَعْبُكَ
 عَالِيًا » (٢) ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ يُؤْمَرُ فِيهِ بِتَعْمُدِ الْقُرْآنِ وَكَثْرَةِ دَرَسِهِ « فَإِنْ لَهُ تَفْصِيًّا

(١) الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « شَبَا » ، وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ص ٦٨٩ .

(٢) فِي النِّهَايَةِ قَالَتْ الْحَدِيثُ حِينَ انْتَفَجَتْ الْأَرْبُ : الْفَضِيَّةُ ، وَاقَّةٌ لَا يَزَالُ كَعْبُكَ عَالِيًا .
 أَرَادَتْ بِالْفَضِيَّةِ الْخُرُوجَ مِنَ الضِّيقِ إِلَى السَّعَةِ ، أَرَادَتْ أَنَّهَا كَانَتْ فِي ضَيْقٍ وَشَدَّةٍ مِنْ قَبْلِ بَنَاتِهَا فَخَرَجَتْ
 مِنْهُ إِلَى السَّعَةِ وَالرَّخَاءِ . (وَانْظُرِ اللِّسَانَ مَادَّةَ فَصَى) .

كَنَفَصَى النِّعَمَ مِنْ عَقْلِهَا « (١) .

١٦ مَضَوْا وَهُمْ أَوْتَادُ نَجْدٍ وَأَرْضِهَا
يُرُونَ عِظَامًا كُلَّمَا عَظُمَ الْخَطْبُ

[ع] أى هم الذين يُشَبِّهُونَهَا وَأَهْلَهَا كما يُشَبِّتُ الْبَيْتُ بِالْأَوْتَادِ ، ويجوز أن يعنى بالأوتاد الجبال .

١٧ وما كَانَ بَيْنَ الْهَضْبِ فَرْقٌ وَبَيْنَهُمْ
سِوَى أَنَّهُمْ زَالُوا وَلَمْ يَزُلِ الْهَضْبُ

يقال هَضْبٌ وهَضْبَةٌ ، فيجوز أن يكونَ على مِثْلِ قولهم تَمَرٌ وَتَمْرَةٌ فيكون جمعاً لهَضْبَةٌ ، ولا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ قولهم امرؤٌ وامرأةٌ ، وتختلفُ العبارةُ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي الْهَضْبَةِ ، وَهِيَ مُتَقَارِبَةٌ ، فيقول بعضهم الْهَضْبَةُ قِطْعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ ، وَقِيلَ الْهَضْبَةُ جَبَلٌ أَحْمَرٌ ، وَقِيلَ جَبَلٌ مُنْقَرَّشٌ [ع] والمعنى : أَنَّهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ كَانُوا مِثْلَ الْجِبَالِ إِلَّا أَنَّهُمْ زَالُوا وَالْجِبَالُ ثَابِتَةٌ ، وَهَذَا شَبِيهُ بِقَوْلِ الْآخَرِ :

أَرَى الْأَثْلَ مِنْ بَطْنِ الْعَقِيقِ مُجَاوِرِي مُقِيمًا وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ (٢)

١٨ لَهُمْ نَسَبٌ كَالْفَجْرِ مَا فِيهِ مَسْلَكٌ
خَفِيٌّ وَلَا وَادٍ عُنُودٌ وَلَا شَعْبٌ

أصل « الوادى » مِنْ قَوْلِهِمْ وَدَى إِذَا سَالَ ، ثُمَّ أَهْمَلُوا هَذِهِ الْكَلِمَةَ فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا إِلَّا فِي وَدَى الْبَائِلِ ، وَيَخْتَلِفُونَ فِي الْعِبَارَةِ فِيهِ ، فَرَبَّمَا قَالُوا وَدَى إِذَا بَالَ ، وَقِيلَ بَلْ هُوَ مِنَ الْوَدَى الَّذِى يَسْتَعْمَلُهُ الْفُقَهَاءُ ، وَهُوَ مَا يَخْرُجُ بَعْدَ

(١) الذى فى النهاية « هو أشد تفصيلاً من قلوب الرجال من النعم من عقْلِها » أى أشد خروجاً .

(٢) البيت لزيبن بنت الطرية ترقى أخاها يزيد (الأغاني ٧ : ١٢٣) . وقال ابن المستوفى

لا مشابهة بينهما .

البَول ، وقد صَحَّفوه فقالوا الوَذَى . [ع] « وَعَنُودٌ » أى مَخَالِفٌ مائل ، والمعنى :
أَنَّ نَسَبَ هؤلاء القَوْمِ واضحٌ كالْفَجَرِ ليس فيه اختلافٌ كما تختلف الأرض ،
فيكون فيها المرتفع والمنخفض والشَّعْبُ والوَادَى .

١٩ هو ^(١) الإِضْحِيَانُ الطَّلُقُ رَفَّتْ ^(٢) فِرْوَعُهُ

وطابَ الثَّرَى مِنْ تَحْتِهِ وزكا التُّرْبُ

[ص] لَيْلَةٌ « أَضْحِيَانَةٌ » مُضِيَّةٌ ، و « رَفَّ » الغُصْنُ إذا نَعِمَ نَبْتُهُ
وَكثُرَ ^(٣) . يُرِيدُ أَنَّهُ مُضِيٌّ بِأَفْعَالِهِ ، مُضِيٌّ بِنَسَبِهِ . وَأَصْلُ إِضْحِيَانٍ مِنْ
أَنَّ الضَّاحِيَ الْمُنْكَشِفَ لِلشَّمْسِ ، إِلَّا أَنَّ الْمُسْتَعْمَلَ الضَّحْوَةَ بِالْوَاوِ لَا غَيْرَ ، وَقَدْ
حَكِيَ ضَحِيَّتُ الشَّمْسِ وَضَحَوْتُ ، و « الطَّلُقُ » مِنْ قَوْلِهِمْ لَيْلٌ طَلَّقَ إِذَا لَمْ
يَكُنْ فِيهِ حَرٌّ وَلَا قُرٌّ ، وَكَذَلِكَ يَوْمٌ طَلَّقَ .

٢٠ يَذُمُّ سَنِيدُ الْقَوْمِ ضَيْقَ مَحَلِّهِ

على الْعِلْمِ مِنْهُ أَنَّهُ الْوَاسِعُ الرَّحْبُ

(ق) يجوز أن يكون أراد بـ « سَنِيدِ الْقَوْمِ » رَئِيسَهُمْ وَمَنْ تُسْنَدُ إِلَيْهِ
أُمُورُهُمْ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : أَنَّهُ إِذَا نَظَرَ رُؤَسَاءُ الْقَوْمِ إِلَى فِتْنَةٍ هَذَا الْمَدْحُوحِ الرَّحْبِ ،
وَحُلَّتْهُ الْوَاسِعُ ، وَرَحَّلَهُ الْمُحْتَمَلُ لِكُلِّ مَنْ يَقْصِدُهُ مِنَ الزَّوَارِ وَالْعُقَاةِ ، صَغُرَ فِي
عُيُونِهِمْ مَحَالٌ أَنْفُسُهُمْ ، وَضَاقَتْ رِحَالُهُمْ وَأَفْنَيْتُهُمْ عِنْدَهُمْ ، حَتَّى يَذْمُوهَا وَيَشْكُوا
ضَيْقَهَا عَلَى عِلْمِ مَنْهُمْ بِسَعَتِهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بـ « السَّنِيدِ » الْمُلْصَقَ الدَّعِيَّ ،
فِيَكُونُ الْمَعْنَى : حَاسِدُهُ الدَّعِيَّ الْمُلْصَقَ يَبْلُغُ فِي حَسَدِهِ الْحَدَّ الَّذِي يَسْتَحْسِنُ
مَعَهُ الْبَهْتَ وَالْمُكَابَرَةَ ، حَتَّى يَجِيءَ إِلَى مَا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا لَبْسَ ، فَيَدَّعِيهِ عَلَى

(١) ش : « هم الإِضْحِيَانُ » .

(٢) ظ : « رقت » وقال : ويروى « رقت » بالفاء . أى اهتزت فروعها لنعمته وطراوته ،
ولا يحسن أن يوصف النسب بهذا فيقال نسبة يهتز كأنه لا يثبت . والذي فسر الصول أجود . ويظهر
أن رواية الآمدي « رقت » لأنه جاء في ظ : قال الآمدي : ويروى « رقت فروعها » من الرفيف أى
لمت بروقه من الندى والطلل .

(٣) الذى فى شرح الصول : « وكثر ربه » .

خلاف ما هو عليه ، كأنه أراد : لا يحسده إلاّ الدّعيّ ، فإذا حسّده كان هكذا^(١).

٢١ رَأَى شَرْفًا ٢ مِمَّنْ يُرِيدُ اخْتِلَاسَهُ

بَعِيدَ الْمَدَى فِيهِ عَلَى أَهْلِهِ قُرْبُ

[خ] يقول : رأى سنيّدُ القومِ شرفًا بعيدًا ممن يُريدُ اختلاسَهُ ، ولكن فيه على أهله قُرْبُ .

٢٢ فَيَا وَشَلَ الدُّنْيَا بِشَيْبَانَ لَا تَغْضُ

وَيَا كَوْكَبَ الدُّنْيَا بِشَيْبَانَ لَا تَخْبُ^(٣)

(ع) : المعروف في « الوشَل » أنه الماء القليل ، وأصله من وشَل يشِل

(١) بعد قوله : « كان هكذا » جاء في كتاب المرزوقي في ظ نقلا عنه : « والأول أحسن » .

(٢) في ظ : ويروى « فياشرفاً » على معنى التعجب .

(٣) جاء في ظ : قال المرزوقي : ولحنه بعضهم في قوله ، وأنشد البيت بإثبات الواو في « تخبو » وقال إنما هو « لا تحب » وإثبات الواو لحن . قال الشيخ رحمه الله (المرزوقي) : إن الشاعر أن يلحق ما كان من بنات الواو والياء مجزوماً إذا أطلقه في قافية بما يكون فيه في الرفع ، وأن يأتي عند الضرورة بالأفعال المعتلة اللام على أصولها ، فيقول « لم نغزو » و « لم نرى » و « لم نخشى » ، وهذا من الضرورات التي تقاس ، وظل هذا قول الشاعر :

ألم يأتيك والأنباء تنسى بما لاقت لبون بني زياد ؟

وقول الآخر :

• كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً •

في قول من جعل الكلام خبراً ، ألا ترى أنه أثبت الألف في هذا كما أثبت الياء فيما قبله ، وكما أثبت أبو تمام الواو في « لا تخبو » ؟ وهذه المواضع متساوية في أنها للجزم ، فهذه طريقة . وكثير من أصحاب سيبويه يذهبون إلى أن المحذوف في مثل هذا الكلام للجزم إنما هو حركة كانت في النية ولم تظهر في موضع الرفع استحقاقاً ، أو لأن الحرف لا يحتملها بعد انقلابه ، وذلك إذا قلت هو يغزو ويرى ويخشى ، قالوا : المحذوف للجزم هو تلك الحركة ، وإنما حذفت هذه الحروف من بعد لتكون ألفاظ للفعل مجزومة أنقص منها وهي غير مجزومة ، وإذا كانت كذلك فإثبات الواو والياء والألف في هذه الطريقة عند الجزم في الكلام والشعر غير خارج إلى باب اللحن .

وعقب عليه ابن المستوفى بقوله : هذا الذي أطلال القول فيه - رحمه الله - كلام ذكره النحويون فيما وقع من الأفعال المعتلة اللام مجزوماً على لفظ المرفوع ، فأما ما وقع من نحو ذلك فيما فيه القافية فقد =

إذا قَطَرَ، وإنما أراد أنهم حياة الدنيا ، أى ليس فيها جُودٌ إلا جودُهم ، فحَسُنَ
أن يستعمله فى موضع الكثرة إذْ ليس شىء يقوم مقامه ، أو يكون من نحو قولهم
للماء القليل نُظْفَة ، ثم قالوا فى بعض كلامهم ما بين النُظْفَتَيْن يعنون البحرين
أو النهرين العظيمين ، ويُقال غاض الماء يغيض إذا ذهب فى الأرض .

٢٣ فما دَبَّ^(١) إِلَّا فى بيوتِهِم النَّدى

ولم تَرَبْ إِلَّا فى حُجُورِهِم^(٢) الحَرْبُ

٢٤ أُولَآكَ بَنُوا الْأَحْسَابَ لَوْلَا فَعَالُهُمُ

دَرَجَنَ فَلَمْ يُوْجَدْ لِمَكْرَمَةِ عَقْبُ

٢٤ - «الأحساب» جمع حَسَبَ ، وهو مآثر الرجل ومآثر آبائه ، وقيل
الحَسَبُ مَنْ يُحَسَّبُ من آباء الرجل الأشراف ، أى يُعَدُّ ، وقوله «دَرَجَنَ»
يعنى الأحساب ، يقال دَرَجَتِ الْقَبِيلَةُ إذا لم يبق لها ولدٌ ، وكذلك دَرَجَ
الرجل .

٢٥ لَهُمْ يَوْمٌ ذى قَارٍ مَضَى وَهُوَ مُفْرَدٌ

وَحِيدٌ مِنَ الْأَشْبَاهِ^٢ لَيْسَ لَهُ صَحْبُ

[ص] لأن حَنْظَلَةَ بن سَيَّار العِجْلِيَّ الرَّئِيسَ فِيهِمْ * ، يعنى اليومَ

= تعرض للقول عليه أولا ولم يشبهه ، وهذا النوع إذا وقع فيها فيه الروى فحكمه أن تلحقه مجزوماً بحروف
الوصل : الألف أو الياء أو الواو ، لإقامة الوزن ، فيعود إلى صورة ما كان عليه فى الرفع ، وهو كثير
فى أشعارهم ، وتكون الحروف التى تلحقه للوصل غير الحروف التى بنى عليها فى الأصل ، وإذا كانوا قد
أطلقوا الفعل المجزوم الصحيح فحركوه بالكسر لإقامة الوزن فى نحو قول امرئ القيس :
• يقولون لا تهلك أسمى وتجلل •

فهم فى إشباع حروف الروى من الأفعال المعتلة لاماتها المجزومة حتى ينشأ منها أحرف تسمى وصلاً
أعذر .

(١) م : « فارب » وبهامشها رواية الأصل .

(٢) ش : « بيوتهم » .

(٣) فى ظ : وروى « وحيد من الأيام » .

الذى ظفّرت فيه بنو شيبان يجيوش كسرى ، وكان مع جيوشه إياس بن قبيصة
واليه على الحيرة .

٢٦ بِهِ عَلِمْتُ صُهْبُ الْأَعَاجِمِ أَنَّهُ^(١)

بِهِ أَعْرَبَتْ عَنْ ذَاتِ أَنْفُسِهَا الْعُرْبُ

أى به علمت الأعاجم ما كانت تنطوى لها عليه العرب من طلب الفرصة في
الثوب عليهم .

٢٧ هُوَ الْمَشْهَدُ الْفَضْلُ الَّذِي مَا نَجَا بِهِ

لِكِسْرَى بْنِ كِسْرَى لَأَسْنَامُ وَلَا صَلْبُ

٢٨ أَقُولُ لِأَهْلِ الشَّعْرِ قَدْ رُبَّ^(٢) الثَّأَى

وَأُسْبِغَتِ النِّعْمَاءُ وَالتَّامُ الشَّعْبُ

٢٧ - أصل « الرأب » الإصلاح ، و « الثأى » الفساد ، وأصل الثأى
أن تصير الخرزتان خرزة ، يقال ثأى الخارز .

٢٩ فَسِيحُوا بِأَطْرَافِ الْفَضَاءِ وَأَرْتِعُوا^(٣)

قَنَا خَالِدٍ مِنْ غَيْرِ دَرْبٍ لَكُمْ دَرْبُ

[ق] أى سيروا متفرقين بأطراف الفضاء ونواحيه ، وارفعوا مواشيتكم حيث
شتم . يعنى : « الدرب » دروب الروم ، وهى جبال . يقول : اذهبوا فى الأرض

(١) فى ظ : وبروى « أنها » ، وقال رواء الخارزنجى . « والصبة » الشقرة فى شعر الرأس ،
وتوصف بها العجم لقلبة ذلك عليهم .

(٢) جاء فى ظ : روى الصولى « قد رأب الثأى » وقال الثأى فى موضع رفع كأنه هو الذى فعل ،
ولمّا قلت هذا لأن الثأى إذا كان بلا ضمير لخالد فى « رأب » ينصبه كان الكلام أحسن انتظاماً .
ولم أجد كلام الصولى هذا فى نسختي م ، ل من س .

(٣) ظ : ويروى « وأربعوا » .

حيث شتم ، فإنكم وإن لم يكن تُحيط بأرضكم جبالٌ تدفع عنكم ، [لكم]
من رماح خالد كل حصن حصين .

٣٠ فتى عنده خير الثواب وشرة

ومنه الإباء الملح^(١) والكرم العذب

٣١ أشم شريكى يسير أمامه

مسيرة شهر فى كتابه^(٢) الرعب

٣١ - [ع] نسبه إلى شريك ، وأثبت الباء كما يجب فى القياس ، ولم
يحذفها حذف فى ثقتى ، وإنما القياس أن تحذف فى « فعيلة » وتثبت فى
« فعيل » .

٣٢ ولما رأى توفيل راياتك التى

إذا ما اتلأبت^(٣) لا يقاومها الصلب

« اتلأبت » تتابعته هزتها . و « توفيل » اسم الوالى الذى قاتلهم ،
وهو طاغية الروم . وأصل « اتلأبت » استقام ، واتلأبت الطريق استقام .

٣٣ تولى ولم يأل الردى فى اتباعه

كان الردى فى قصده هائم صب

٣٤ كان بلاد الروم عمت بصيحة

فضمت حشاها أورغا وسطها السقب

[خ] « السقب » يعنى به وكدة الناقة التى عقرها ثمود فصارت شؤماً
عليهم * لَمَّا رَغَا السَّقْبُ أَهْلَكَهُمْ اللهُ ، يقول : فكان بلاد الروم كذلك .

(١) جاء فى ظ : ويروى « الإباء المر » وقال الخارزنجى : يقول : عنده للمحسن ثواب جزيل
وللمسيء عقاب أليم ، والإباء الامتناع . قال ابن المستوفى : جعل الجزاء على الإساءة ثواباً مجازاً ، وجعله
من شر الثواب ، كما جعل الجزاء على الإحسان من خير الثواب .

(٢) م ، ظ ، د « فى صوائفة » . (٣) ظ : ويروى « إذا ما استقامت » .

٣٥ بِصَاغِرَةِ الْقُصْوَى^(١) وَطَمِينٍ وَاقْتَرَى

بِلَادَ قَرَنْطَاوُوسَ^(٢) وَأَبْلَكَ السَّكْبُ

ويروى «بصاغرة الوسطى» و«بلاد قرىطاميس» ويروى «بصارخة»^(٣) وهي موافقة للأسماء العربية ، لأنها تشبه صارخة من الصراخ ، ويقال القصوى والقصيا . و«طمين» على وزن «فعلتين» يوافق هذا البناء من طم يطم إذا زاد . و«اقترى» تتبع .

٣٦ غَدَا خَائِفًا يَسْتَنْجِدُ الْكُتْبَ مُذْعِنًا^(٤)

عَلَيْكَ فَلَا رُسْلُ ثَنَّتْكَ وَلَا كُتْبُ

أى يستعين عليك بإفقاد الكتب والرسل .

٣٧ وَمَا الْأَسَدُ الضَّرْغَامُ يَوْمًا بِعَاكِسٍ^(٥)

صَرِيْمَتُهُ إِنْ أَنْ أَوْ بَصْبَصَ الْكَلْبُ

أصل «العكس» قلب الشيء . «صريمته» ما يصرمه من عزمه ، أى يَمْضِى عليه فلا يرجع ، وأصل الصرم القطع . ويقال بصْبَصَ الكلبُ بذنبه إذا حرَّكه تقرباً إلى الإنسان ومداواة له . [ع] جعل المملوح كالأسد وعلوه مثل الكلب . يقول : ليس الأسدُ بتاركٍ صريمته إذا بصْبَصَ له الكلبُ بذنبه * على معنى المداواة .

(١) د : «الصغرى» .

(٢) س : «وزمين» بدل قوله «وطمين» - ظ : ويروى «قرنطاميس» وقال : وفي نسخة للصول «قرىطاووس» وهي بالياء أقرب لقوله «واقترى» - ويروى «والقرى» بدل «واقترى» .

(٣) في ظ : ذكر أبو الطيب «صارخة» فقال :

مخل له المرح منصوباً بصارخة له المنابر مشهوراً بها الجمع

(٤) ظ : ويروى «مذعنًا» .

(٥) ظ : ويروى «بعاطف» ، ويروى «بعاكم» .

٣٨ وَمَرَّ وَنَارُ الْكَرْبِ^(١) تَلْفَحُ قَلْبَهُ^(٢)

وما الرُّوحُ إِلَّا أَنْ يُخَامِرَهُ^(٣) الْكَرْبُ

أصل « التَّفْح » للأشياء الحارة ، يُقَالُ لَتَفَحَتْهُ السَّمُومُ وَالشَّمْسُ ، وقال قوم النَّفْحُ للباردة واللفح للحارة . والرُّوحُ الفَرَحُ ، و « يُخَامِرُهُ » يخالطه . والمعنى : وما الرُّوحُ للمسلمين إِلَّا أَنْ يُخَامِرَ هذا العدوُّ الْكَرْبُ ، فحذف لعلم السامع ، وفيه شبه من قولهم السلامة إحدى الغنيمتين : أى هى للسالم غنيمة ، فأما عدوه فهو خاسر بذلك .

٣٩ مَضَى مُدْبِرًا شَطْرَ الدَّبْوِ وَنَفْسُهُ

على نَفْسِهِ مِنْ سُوءِ ظَنِّ بِهَا إِلْبُ

[ع] أى مَضَى نحو مَهَبِ الدَّبْوِ بِحَسَبِ أَنْ نَفْسَهُ رَصَدَتْ على نَفْسِهِ لا يَأْمَنُهَا مِنْ سُوءِ ظَنِّهِ . ويقال هم أَلْبُ عَلَيْكَ أى قد تَأَلَّبُوا ، وفتح المهمزة أكثر ، وقد حُكِيَ كَسْرُهَا .

٤٠ جَفَا الشَّرْقَ حَتَّى ظَنَّ مَنْ كَانَ جَاهِلًا

بِدَيْنِ النَّصَارَى أَنَّ قِبْلَتَهُ الْغَرْبُ^(١)

٤١ رَدَدَتْ أَدِيمَ الْغَزْوِ^(٢) أَمْلَسَ بَعْدَمَا

غَدَا وَلِيَالِيهِ وَأَيَّامُهُ جُرْبُ

يُقَالُ لظَاهِرِ كُلِّ شَيْءٍ أَدَمَةٌ على معنى الاستعارة ، و « أَمْلَسَ » أى

(١) م ، ظ : « ونار الحرب » وبهامش رواية الأصل . وقال فى ظ : ورواية « الكرب » أحسن لأنها من باب التصدير .

(٢) قال الصولي : وروى الناس « تلفح وجهه » « وقلبه » أجود لقوله لا يخامره .

(٣) س : « يخالطه » وبهامشها رواية الأصل .

(٤) جاء فى ظ : فى النسخة العجمية : أى لالتفاتة إلى خلف فى هزيمته .

(٥) ظ : « الدين » .

لا عيبَ فيه ، لأن الآثار في الشيء والعُقْدَ مما يُعَاب به ، ومنه قول العجّاج :
 وحاصن من حاصِنَات مُلْسٍ^(١)
 من الأذى ومن قِرَافِ الوَقْسِ
 — «الوقس» ابتداء الجرب — وجعل المتلمسُ الخالي من العيبِ
 أملس ، فقال :

فلا تَقْبِلَنَّ ضَيْمًا مَخَافَةَ مَيْتَةٍ وَمُوتَنَ بِهَا حُرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ
 والمعنى الذى قصده الطائي كغنى بيت العجّاج الذى تقدم . [ع] ومن
 شأن الجرب أن تَبْقَى فيه آثار ، ويتَقَوَّب جلدُه ، فلذلك ذكر الجرب مع
 أملس . * : أى نَقِيتَ كلَّ ما لا يَسَهُ من الشُّرْك ، أى كأنه كان أجربَ
 فردَدْتَه أملس .

٤٢ بِكُلِّ فِتْيٍ ضَرْبٍ يُعَرِّضُ لِلْقَنَاءِ

مُحِيًّا مُجَلِّي^(٢) حَلِيَّةِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ

[ع] الأشبه بصناعة الطائي أن يكون «فتى» مُنَوَّنًا ، و «ضرب» من
 قولهم هو ضَرْبُ الجسم إذا كان خفيف اللحم ، ولو رويت «فتى ضَرْبٍ» على
 الإضافة لكان وجهًا ، كما يقال هو فتى حَرْبٍ ، والوجه الأول أجود * .
 و «مُحِيًّا» أى وجهه ، ويُسمّى الوجه مُحِيًّا ، من حَسِيَّتُهُ إذا لَقِيتَهُ بالتحية .

٤٣ كَمَاةٌ إِذَا تُدْعَى نَزَالَ لَدَى الْوَعْيِ

رَأَيْتَهُمْ رَجَلِي^(٣) كَأَنَّهُمْ رَكْبُ

[ع] أصل قولهم «دُعِيتَ نَزَالَ» أنهم كانوا إذا التَقَوْا فى الحرب

(١) الرجز فى اللسان مادة «وقس» .

(٢) فى ظ : وروى الحارزنجى «محياحيا» وقال أى وجه فتى محيا بالسلام ، أى يمرّض للقنا وجهًا
 محيا بالسلام عليه ، أثر الطعن عليه والضرب فيه . وقال ابن المستوفى : وهذه الرواية أجود من تكرير قوله
 «محلّ عليه» وإن كان فى قوله «محيا محيا» تكرير أيضاً إلا أن هذا أقرب . وروى «محيا حتى حليه» .
 والذى فى س : «محيا محيا حليه» ورواية الأصل هماشيها .

(٣) س : «رجلا» ورويتها ظ وقال جمع راجل كصاحب وصحب — وأما «رجل» مقصور
 كرواية الأصل فى جمع رجلان مثل عجلان وعجل .

صاحوا : نَزَّالِ أَيْ انزِلُوا ، فيجوز أن يريدوا بذلك نزولهم إلى الأرض ليتحاربوا
وهم رَجُلٌ ، وَيَبْدَلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ :
لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا فَتَزَلُّنَا وَأَخُو الْحَرْبِ مِنْ أَطَاقِ النَّزُولِ
وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ « نَزَّالِ » أَيْ انزلوا على حُكْمِنَا وَتَرَجَّلُوا عَنْ ظُهُورِ
خَيْلِكُمْ مُسْتَأْسِرِينَ ^(١) .

٤٤ مِنْ الْمَطَرِيِّينَ الْأُولَى لَيْسَ يَنْجَلِي
بِغَيْرِهِمْ لِلدَّهْرِ صَرْفٌ وَلَا لَزْبٌ ^(٢)

أَي أَحَدٌ جُدُودُهُمْ يُقَالُ لَهُ مَطَرٌ ، وَ « اللَّزْبَةُ » السَّيِّئَةُ الشَّدِيدَةُ .

٤٥ وَمَا اجْتَلَيْتَ ^(٣) بِكَرٍّ مِنَ الْحَرْبِ نَاهِدٌ
وَلَا ثِيْبٌ إِلَّا وَمِنْهُمْ لَهَا خِطْبٌ

[ع] « اجْتَلَيْتَ » مِنْ جَلَاءِ الْعَرُوسِ ، وَاسْتَعَارَ الْبِكْرَ وَالنَّاهِدَ
وَالثِّيْبَ لِلْحَرْبِ ، وَ « النَّاهِدُ » الَّذِي قَدْ نَهَضَ ثَدْيُهَا أَيْ نَهَضَ ، وَخِطْبُ الْمَرْأَةِ
الَّذِي يَخِطُّبُهَا ، يُقَالُ هُوَ خِطْبُهَا وَهِيَ خِطْبَتُهُ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَرْغَبُونَ فِي الْحَرْبِ

(١) فِي ظَرْفِ زِيَادَةِ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْعَلَاءِ هِيَ قَوْلُهُ : وَقَالَ زَيْدُ الْخَيْلِ :

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَامَةَ أَنْ سِيْنِي أَخُو حَدٍّ إِذَا دَعَيْتُ نَزَالَ

وَقَالَ : وَقَوْلُهُ « رَأَيْتَهُمْ رَجُلٌ كَأَنَّهُمْ رَكْبٌ » يَصِفُ أَنَّهُمْ طَوَالٌ ، وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِالطَّوْلِ ، وَلِذَلِكَ
قَالُوا طَوِيلَ النِّجَادِ .

قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : وَالْوَجْهَ الثَّانِي الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ الْأَوَّلُ إِلَّا أَنَّهُ زَادَهُ « مُسْتَأْسِرِينَ » وَهَذَا لَمْ يَسْمَعْ ،
وَمَا اسْتَشْهَدَ بِهِ مِنْ قَوْلِ زَيْدِ الْخَيْلِ فَلَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى الْأَمْرِ .

وَقَالَ الْخَارَزَجِيُّ : يَقُولُ إِذَا اسْتَنْزَلُوا لِلْقِتَالِ نَزَلُوا فَقَاتَلُوا وَهُمْ رَجُلٌ قِتَالِ الْفَرَسَانِ لِحَقِّهِمْ . وَهَذَا الْوَجْهَ
أَوَّلُ مِنَ الْأَوَّلِ لِمُوَافَقَةِ قَوْلِهِ : « كَأَنَّ إِذَا تَدَعَى نَزَالَ لَدَى الْوَعْيِ » . عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ ذَكَرُوا فِي شَرْحِهِ أَنَّهُ أَرَادَ
بِذَلِكَ طَوِيلَهُمْ كَمَا قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ . وَالَّذِي خَلَصَ فِي الْمَدْحِ بِالطَّوْلِ قَوْلُهُ :

أَشْمُ طَوِيلِ السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا عَامَتُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ لَوَاءُ

(٢) م ، ل : « وَلَا كَرْبٌ » .

(٣) فِي ظَرْفِ : رَوَى الْخَارَزَجِيُّ « وَلَا أَخْطَبْتُ » وَقَالَ أَيُّ عَرْضَتْ لِلخُطْبَةِ كَمَا تَقُولُ أَبْعَثْ الْفَرَسَ
إِذَا عَرْضَتْ لِلْبَيْعِ .

على جميع الصفات ، إن كانت حرباً مبتدأة لم يُقاتل فيها ، وإن كانت على غير ذلك .

٤٦ جُعِلَتْ نِظَامَ الْمَكْرُمَاتِ فَلَمْ تَدْرُ
رَحًا سُودِدٍ إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا قُطْبُ

٤٧ إِذَا افْتَخَرْتَ يَوْمًا رَبِيعَةً أَقْبَلْتَ
مُجَنَّبَتِي^(١) مَجْدٍ وَأَنْتَ لَهَا قَلْبُ

[ع] يريد : « الْمُجَنَّبَتِينَ » مَيْمَنَةُ الْجَيْشِ وَمَيْسَرَتُهُ ، وَبِ « الْقَلْبِ » ما بينهما من العساكر ، وَإِنَّمَا خَصَّ الْمَمْلُوحَ بِكَوْنِهِ الْقَلْبَ لِأَنَّهُ شُجْعَانُ الْقَوْمِ وَعَمِيدَ جَيْشِهِمْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ .

٤٨ يَجِفُّ الثَّرَى مِنْهَا وَتُرْبُكَ لَيْنٌ
وَيَنْبُو بِهَا مَاءُ الْغَمَامِ وَمَا تَنْبُو^(٢)

٤٩ بِجُودِكَ تَبْيِضُّ الْخُطُوبُ إِذَا دَجَّتْ
وَتَرْجَعُ فِي أَلْوَانِهَا^(٣) الْحِجَجُ الشُّهْبُ

٤٩ - [ع] يُكْنَى عَنْ شِدَّةِ الزَّمَانِ بِالظُّلْمِ وَالِدَجَى . يَقُولُ : بِجُودِكَ

(١) فِي ظ : رَوَى الْحَارِزَنِيُّ « مُجَنَّبَتَا نَجْدٍ » وَقَالَ ذَلِكَ جَائِزٌ لِأَنَّهُ رَبِيعَةٌ كَانَتْ مِنْ مَنَازِلِهَا نَجْدٌ .
(٢) جَاءَ فِي ظ : فِي بَعْضِ الْحَوَاشِي بِإِزَاءِ قَوْلِهِ « يَجِفُّ الثَّرَى مِنْهَا » : أَيْ يَفْنَى جُودَهُمْ إِذَا مَاتُوا
وَقَالَ الْحَارِزَنِيُّ : يَقُولُ إِذَا بَيَسَ ثَرَى رَبِيعَةٍ فَأَجْدَبُوا وَجَدُوا تَرْبُكَ لَيْنًا ثَرِيًّا فَأَخْصَبُوا بِهِ وَرَتَعُوا فِيهِ ،
وَإِذَا أَخْلَفَهُمْ مَاءُ الْمَزْنِ لَمْ تَخْلَفْهُمْ . وَقَالَ الصَّوَلُ : يَحْزُوزُ أَنْ يَكُونَ الْهَاءُ فِي « مِنْهَا » لِلْمَكْرُمَاتِ ، وَالِاخْتِيَارُ
عِنْدِي أَنْ تَكُونَ رَاجِعَةً عَلَى رَبِيعَةٍ .

(٣) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى تَعْقِيبًا عَلَى كَلَامِ أَبِي الْعَلَاءِ : وَمَا أَوْرَدَهُ مِنْ قَوْلِهِ : « وَإِذَا رُوِيَتْ » فِي أَلْوَانِهَا
فَالْأَجُودُ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ رَاجِعَةً عَلَى « الْخُطُوبِ » ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى تَرْجِعُ الْحِجَجُ الشُّهْبُ فِي أَلْوَانِ الْبَيْضِ مِنْ
الْأَيَّامِ « فَتَبْرُكٌ مُسْتَقِيمٌ ، لِأَنَّ سَنَى الْقَحْطِ إِذَا وَصِفَتْ بِالشَّدَةِ قَالُوا سَنَةُ شُهْبَاءَ ، فَإِذَا جَمَلُوهَا بِبَيْضَاءَ كَانَتْ
أَبْلَغَ فِي وَصْفِهَا بِالشَّدَةِ ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ الشُّهْبَاءُ لَيْسَ فِيهَا مَطَرٌ ، ثُمَّ الْبَيْضَاءُ ، ثُمَّ الْحُمْرَاءُ ، وَالشُّهْبَاءُ
خَيْرٌ مِنَ الْبَيْضَاءِ ، وَالْحُمْرَاءُ شَرُّ مِنَ الْبَيْضَاءِ .

يبيض الزمانُ المظلم . وإذا رويت « في ألوانها » فالأجود أن تكون الهاء راجعة على « الخطوب » ويكون المعنى : وترجع الحَجَجُ الشَّهْبُ في ألوانِ البيضِ من الأيام ، و « الحَجَجُ » السنون * وإنما سُميت السنة حجةً لأنهم كانوا يحجُّون البيتَ في كلِّ عام مرة ، فسموا السنة حجةً لأنَّ الحَجَّ يكون فيها ، كما يقال أقمت عنده هلالاً أى شهراً فيسمى الشهرُ بالهلال . [ع] « والشَّهْبُ جمع الشَّهَاء من السنين ، وهى السنة القليلةُ المطر والنَّبت ، سُميت بذلك لأنها لا تخضر وتكون أرضها إلى البياض . وقد يحتمل أن تكون الهاء راجعة إلى الحَجَج على رواية من روى « في ألوانها » أى أنها ابيضَّت ، كما يقال رجع فلان في هيبته أى بدا له من إمضائها . ومن روى « عن ألوانها »^(١) فالهاء للحجج لا غير * [ص] وروى أبو مالك « وتسودُّ من إدراهِ الحَجَجُ الشَّهْبُ »^(٢) يعنى بجودِ خالد تسودُّ السنون البيضُ من الجَدْب بالنبات الأسود .

٥٠ هو المركَّبُ المُدْنِي إلى كُلِّ سُودٍ

وَعَلِيَاءَ إِلَّا أَنَّهُ الْمَرْكَبُ الصَّعْبُ

يقول : الجود يقرب من ركبته إلى العلى والسود ، إلا أنه صعب .

= وقال : وكذا قوله : « ويحتمل على رواية من روى " في ألوانها " أن تكون الهاء راجعة إلى "الحجج" أى أنها ابيضت كما يقال رجع فلان في هيبته أى بدا له من إمضائها » فقوله « أى ابيضت » لا حاجة إليه . ويجوز أن تكون الهاء في « ألوانها » راجعة إلى الخطوب ، والمعنى : ترجع في مثل ألوان الخطوب الداجية ، أى سوداً ، وإنما تكون كذلك إذا اخضرت من النبات ، وإذا كثرت الخضره هبوا عنها بالسواد ؛ والهاء راجعة إلى « الحجج » على كل حال ، إن روى « في ألوانها » وإن روى « عن ألوانها » .

(١) هى رواية س ، م ، ل ، و .

(٢) قال الصول في شرحه : ولم يعرف أبو مالك إلا هذه الرواية ، وروى قوم « الحجج الشهب »

أى كل من جاد بحجة بيضاء صارت بجحكتك سوداء إذا كنت خصماً له .

٥١ إِذَا سَبَبُ أَمْسَى كَهَاماً لَدَى امْرِئٍ
أَجَابَ^(١) رَجَائِي مِنْدَكَ السَّبَبُ الْعَضْبُ
أى إذا كلت الأسباب عند غيرك .

٥٢ وَسَيَّارَةٌ^(٢) فِي الْأَرْضِ لَيْسَ بِنَازِحٍ
عَلَى وَخْدِهَا^(٣) حَزَنٌ سَحِيقٌ وَلَا سَهْبٌ
[ص] يعنى قصيدة من شغف الناس بها يحملونها إلى كل بلد ، فليس
يبتعد على وخذها ، وهو ضرب من السَّيَّر ، حزن من الأرض ، وهو الغليظ
منها ، و « السَّحِيق » البعيد ، و « السَّهْب » فضاء واسع .

٥٣ تَذُرُ ذُرُورَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
وَتَمْضِي جَمُوحاً^(٤) مَا يُرَدُّ لَهَا غَرْبٌ
[ص] أى تطلع على كل بلد وتبلغه كما تطلع الشمس فيه وتبلغه ،
وطلع فلان بلسان كذا أى بلغه ، وقيل فى قوله : « تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ » أى
تبلغها . و « تَجْمَحُ » أى لا تتقف بمكان لا يقدر أحد أن يردَّ غربتها
أى حدتها .

٥٤ عَذَارَى قَوَافٍ كُنْتُ غَيْرَ مُدَافِعٍ
أَبَا عُدْرَهَا لَا ظُلْمَ ذَاكَ وَلَا غَضْبُ
فى النسخ « كُنْتُ أَبَا عُدْرَهَا » بفتح التاء ، ويكون معناه أنك كنت كفواً لها .

(١) س : « أجار رجائي » - ظ : « أجاز » ، وقال إنها رواية الخارزنجي . وشرحه فيها :
إذا كل سبب راح عند غيرك فلم يقطع فإن رجائي عندك يميزه الحب القاطع ، والإجازة الضمان . وقال :
ويروى « أجار » بالراء المهملة .

(٢) فى ظ : روى الخارزنجي « وسائرة » .

(٣) س : « على وفدها » ورواها الخارزنجي فى ظ .

(٤) فى ظ : من ضم الجيم فى « جموحاً » جعلها مصدراً فى موضع الحال ، ومن فتحها جعلها
حالا .

[ع] : « كنت » بضم التاء ، يريد أن هذه القوافي مثل النساء العذاري لم يفتقر عنهن غيرة ، يُقال للرجل إذا افتَضَّ المرأة هو أبو عذريها وأبو عذريتها ، وفي كلام لبعض المتقدمين وسأل عن المطر فجاء المسؤول بكلام لم تجر عادتُه بمثله فقال السائل : هذا كلامٌ لست بأبي عذريه ، أى ليس هو من كلامك .

٥٥ إذا أنشدت في القوم ظلت^(١) كأنها

مُسرةٌ كبيرٍ أو تداخلها عجبٌ

٥٦ مفصلةٌ باللؤلؤ المنتقى لها

من الشعر إلا أنه اللؤلؤ^(٢) الرطب

(١) هـ س : ويروى « مرت كأنها » وهي رواية الحارزنجي كما في ظ ، وقال : أى إذا أنشدت في القوم وجدوها قد أضمرت كبيراً وتداخلها عجب لما رأوا فيها من جودة الألفاظ ومنتخل المعاني وذكر المغاخر والشرف والعز فاستطالت بذلك .

(٢) قال ابن المستوفى : وروى الصولى « لؤلؤ رطب » وقال ويروى : « اللؤلؤ الرطب » والأول أجود . والذي عندي في نسخ الصولى « اللؤلؤ الرطب » .

وفي ظ قال : وقال الأمدى : ولم يرد المنتقى من الشعر ، وذلك عيب فاحش على الشاعر أن يعترف به ، وقوله : « إلا أنه لؤلؤ رطب » أى محدث من اختراعه لم يكن سبق إليه . وفي ظ أيضاً : جمده لؤلؤاً رطباً لكثرة مائه وصفائه فإن اللؤلؤ أول ما يخرج من أصدائه يكون أكثر بريقاً وماءً وأنفس .

وقال يمدح أبا دُلْف القاسم بن عيسى العجلي :

١ على مثلها من أَرْبُعٍ ومَلَاعِبٍ

أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَائِبِ^(١)

الثاني من الطويل ، والقافية مُتَدَارِك .

« أُذِيلَتْ » أى أَهِنَتْ^(٢) .

٢ أَقُولُ لِقُرْحَانٍ مِنَ الْبَيْنِ لَمْ يُضِفْ

رَسِيسَ الْهَوَى تَحْتَ الْحَشَا^(٣) وَالتَّرَائِبِ

ويُروى « لَمْ يَصِفْ » . [ع] يُقَالُ رَجُلٌ قُرْحَانٌ إِذَا لَمْ يُصْبِهِ مَرَضٌ

(١) هـ س : « السوارب » .

(٢) لم يرد هذا الشرح في ش وأثبتناه من نسختي ب ، ن .

وجاء في ظ : قال الآمدي : أنكر بعضهم قوله : « مصونات الدموع السواكب » وقال كيف يكون من السواكب ما هو مصون ؟ وإنما أراد أبو تمام أذيلت مصونات الدموع التي هي الآن سواكب ، ولفظه يحتمل ما أراده ، والبيت جيد لفظاً ومعنى ونظماً .

وقال ابن المستوفى : وجدت في حاشية من نسخ شعره عند قوله : « أذيلت مصونات الدموع السواكب » : « السواكب » : ليست صحيحة في العربية ، إنما هو المسكوبات والمنسكبات ، فأما « السواكب » فالصواب ، وهذا من تخليطاته . فإن احتج محتج فقال « ساكبة » ذات انسكاب ، فإن هذا إنما يقال فيما قيل ولا يقاس عليه ما لم يسمع . قال أبو بكر محمد بن دريد : سكب الدمع وانسكب إذا جعلت الفعل له ، وسكبت العين دمعها ، فعل هذا القول يكون « السواكب » جمع ساكبة من قوهم سكبت العين دمعها ، وقوله فأما « السواكب » فالصواب فجائز أن يحمل قول أبي تمام « السواكب » على أنه أراد الصواب ولا يفسد المعنى ، فإن اسم الفاعل أيضاً من سكبت العين دمعها ساكبة وجمعه سواكب وإن كان بمعنى صواب .

وقال ابن المستوفى عقب هذا : وأظن هذا القول من كلام الآمدي ، فإن عثرت عليه له أو لغيره نسبته فيما بعد . وقد جاء في شعر العرب « السواكب » قال خدّاش بن زهير :

أعني جودي بالدموع السواكب وبكى على قيس خليل وصاحبي
على مثل قيس تخمش الأرض وجهها وتلقى السماء جلدتها بالكواكب

(٣) م ، ل ، س ، ق ، د ، ظ « بين الحشا » - وقال ابن المستوفى : وروى أبو زكريا « تحت الحشا » والأول أشبه بطريق الطائي .

مِثْلُ الْجُدَرَى وَالْحَصْبَةِ ^(١) وَمَذْهَبُ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ لَا يُشْتَى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُؤْتَتْ ،
وَيَسْجُرُ مَسْجَرُ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ زَوَّرَ وَفَطَّرَ ، وَقَالَ قَتُمٌ بَلْ يُشْتَى قُرْحَانٌ وَيُجْمَعُ ^(٢) ،
وَمَنْ رَوَى « لَمْ يُصِيف » بِالضَّادِ مُعْجَمَةً فَالْمَعْنَى لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ الضَّيْفِ ، وَمَنْ
رَوَى « لَمْ يَصِيف » بِالضَّادِ فَعَنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَدَّرْ كَيْفَ هُوَ فَيَصِيفُهُ * ، وَمِنْ هَذَا
النَّحْوِ قَوْلُهُمْ قَدْ وَصَفَ الْغَلَامُ الْبُلُوغَ ، أَيْ قَدْ بَلَغَ فَقَدَّرَ أَنْ يَصِيفَ ذَلِكَ ،
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِمْ وَصَفَ الْبُلُوغَ أَنَّ الرَّأْيَ إِذَا رَأَاهُ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ
بَلَغَ .

وقوله ^(٣) « لِقُرْحَانٍ مِنَ الْبَيْتَيْنِ » أَيْ لِقَوْمٍ لَمْ يَقَاسُوا مِنَ الْبَيْنِ أَيْ الْفَرَاقِ
مَا قَاسَيْتُ مِنْهُ .

٣ أَعْنِي أَفَرَّقَ شَمْلَ دَمْعِي فَإِنَّنِي
أَرَى الشَّمْلَ مِنْهُمْ لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ
٤ وما صارَ في ذا اليَوْمِ عَذْلُكَ كُلُّهُ
عَدُوِّي حَتَّى صَارَ جَهْلُكَ صَاحِبِي

٤ - ويروى :

وما زالَ يومَ ^(٤) الدارِ عَذْلُكَ كُلُّهُ عدوِّي حَتَّى صارَ عَدُوُّكَ ^(٥) صاحبي

(١) جاء في ظ : قال الآمدي جعل أبو تمام من لم يعشق ولم يفارق الأحباب قرحاناً على التشبيه
كما قال جرير :

* لو كنت من زفرات الحب قرحاناً *

وفسر الصولي « الرئيس » فقال : ورئيس الهوى ما بطن منه فاندرس كأنه رس ، ورئيس أي دفين ،
وجاء في ظ : وقالوا « رئيس الهوى » أي أوله من رئيس الحمى ورسها أي أولها .

(٢) زادت ظ بعد هذا من كلام أبي العلاء : « ويحتجون بالحديث المروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وأراد أن يدخل الشام وهي تستعمر طاعوناً فقتل له إن أصحاب محمد قرحانون لم يصبهم جدري
ولا طاعون » . قال ابن المستوفى : الأكثرون مجمعون على أفراد « قرحان » تشبیه وجمعاً وتأنيثاً ، قال
الجوهرى - وذكر حديث عمر رضي الله عنه - : هي لغة مبروكة فجاء أبو زكريا بما يخالف الفريقين .
(٣) من هنا لآخر الشرح لم يرد في نسخة ش وأثبتناه من نسختي ب ، ن .

(٤) وهي رواية ق ، د ، ظ - وكذلك هي الرواية عند الآمدي . وجاء في ظ : قال الصولي :
ويروى « فما صار يوم الدار » وهو الاختيار .

(٥) هي رواية ق . وقال الصولي : ويروى « حتى صار حلمك صاحبي » وكله سواء .

(المرزوقي) : يقول : ما أفرطت في تأنيبك لي وعتبتك عليّ حتى سؤتني به فتصورته عدواً إلا وعلمي بأنك لا تعرف حالي ولا تعرف حقيقة ما بي يعذرك عندي ، إذ لو لم تكن تجهل ذلك لم تكن تستحسن المبالغة في لئومي بل لا تستجيز شيئاً منه ^(١).

٥ وما بك إركابي من الرشد مَرَكَباً

أَلَا إِنَّمَا حَاوَلْتَ رُشْدَ الرُّكَّائِبِ

(المرزوقي) : يخاطب لائمه في الوقوف على الدار يقول : ليس بك فيما تنكفئه من لئومي هدايتي وصرفي عن غيبي إلى رشادي ، وإنما شقي عليك وقوف الإبل بأحمالها ، فحملك الإشفاق عليها والجد في المنع من حبسها على الإسراف في العتب وتغليظ القول ، فأما أن يكون بك صلاحي فلا . ورد قول من أنكر عليه « إركابي » وقال : إنما يُقال حمله على الفرس وأركبته ، وأن الرشد لا يستعمل في البهائم كما أن ضده وهو الغي لا يستعمل فيها .

٦ فَكِلْنِي إِلَى شَوْقِي وَسِرِّ يَسِيرِ الْهَوَى

إِلَى حُرْقَاتِي بِالْدُمُوعِ السَّوَارِبِ

« السَّوَارِبِ » السؤال ، يقال سَرَبَ الماءُ على وجه الأرض إذا سال ، ومنه سَرَبَ المالُ في الرعي إذا انبسط ، يقول : فدعني وشوقي وسِرِّ أنت حتى يسير الهوى إلى قلبي فيلجعه .

(١) قال الصولي : سألت أبا مالك عن هذا المعنى ؟ فقال : مثل هذا في الشعر كثير ، وكأنه

من قول بشار :

هجرت محلي لشغلي بهم ولو قد عشقت لصاحبتني

وقد ردد هذا المعنى في شعره كثيراً . وقال الأمدى في ظ : أي لما لم تساعدني على الوقوف فأصخت إلى المسير معك صار جهلك صاحبي لأننا اصطحبنا ضرورة ، وقيل أراد حتى صار جهلك بالهوى صاحبي أي نافمي لأنك منعني من الوقوف على الدار فصار ذلك نافمي لأنه عاد بمصلحة على ركابي ، إذ لم أعفها بالتمريج على الدار والوقوف والتردد فيها ، يدل عليه قوله « وما بك إركابي » البيت . أي ما استفرغت ذلك وانتهيت فيه حتى انطلقت معك فصار جهلك صاحبي ، وإنما أراد حتى اصطحبنا على جهلك بحالي وأذك غير مجانسي ولا على سببتي وطباعي في الهوى وتجربته .

٧ أَمِيدَانِ لَهْوَى مَنْ أَتَاكَ لَكَ الْبِلَى ^(١)
فَأَصْبَحْتَ مِيدَانِ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ؟!

٨ أَصَابَتْكَ أَبْكَارُ الْخُطُوبِ فَشَتَّتَتْ
هَوَاىَ ^(٢) بِأَبْكَارِ الظُّبَاءِ الْكَوَاعِبِ
٨ - « أَبْكَارُ الْخُطُوبِ » التى لم يُصَبَّ بها أحدٌ قبله ^(٣).

٩ وَرَكْبٍ يُسَاقُونَ الرِّكَّابَ زُجَاجَةً
مِنَ السَّيْرِ لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفَّ قَاطِبٍ
٩ - [ص] أى يُسْكِرُونَ المَطَى بالتَّعَبِ فكانَهم سَقَوْهَا زُجَاجَةً ،
أى شَرَابًا فى زُجَاجَةٍ ، « وَقَاطِبٍ » أى مَازِجٍ ، أى لَيْسَتْ هِىَ عَلَى الْحَقِيقَةِ زُجَاجَةً
فِيهَا شَرَابٌ يُنَاولُهَا السَّاقِ صَاحِبُهُ بِقَصْدٍ ^(٤).

١٠ فَقَدْ أَكَلُوا مِنْهَا الْغَوَارِبَ بِالسُّرَى
فَصَارَتْ لَهَا أَشْبَاحُهُمْ كَالْغَوَارِبِ

« الْأَشْبَاحُ » جَمْعُ شَبَّحَ وَشَبَّحَ ، وَكَأَنَّ الشَّبَّحَ الشَّخْصَ إِذَا رُئِيَ مِنْ
بَعِيدٍ . يَقُولُ : أَتَعْبُوهَا حَتَّى ذَابَتْ أَسْنِمَتُهَا ، وَصَارُوا لَهَا كَالْأَسْنِمَةِ فَوْقَهَا .
وَيُرْوَى « فَصَارَتْ لَهُمْ أَشْبَاحُهَا كَالْغَوَارِبِ » (ق) وَالْمَعْنَى : أَنَّهُمْ قَدْ فَرَّغُوا مِنْ
إِفْتَاءِ أَسْنِمَتِهَا إِذْ كَانَ الْفَسَاءُ عِنْدَ جَهْدِهَا إِلَيْهَا أَسْرَعَ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ أَعْضَائِهَا ،

(١) م ، ل : « الردى » - س : « الهوى » وبهامشها : ويروى « البلى » و « الردى »
و « النوى » . وفى ظ : ويروى « من أفاخ بك الردى » تردده إلى الدار وهو الأجود .

(٢) م ، ل : « هواك » ورويتها ظ - س « نواك » وهى رواية الخارزنجى .

(٣) وقال الصولى : أصابتك خطوب لم يصبك مثلها فهى أبكار . وفى ظ قال الخارزنجى :
« أبكار الخطوب » مباديها وسوايقها .

(٤) قال الآملى فى ظ : أى سيرا لا يلين ولا يفتقر لا كما تخرج الراح بالماء وتلين .

وصاروا يؤثرون في شُخُوصها ، فهي لهم الساعة بَدَلٌ من الغَوَارِبِ
مِنْ قَبْلِ .

١١ يُصَرِّفُ مَسْرَاهَا جُذَيْلُ مَشَارِقِ إِذَا آبَهُ هَمٌّ عُنْدَيْكَ مَغَارِبِ

(ق) و يروى : « يقود نواصيهم جُذَيْلُ مَشَارِقِ » ^(١) وقوله : « يقود نواصيهم »
أى قائد هؤلاء الركب رجلٌ مِسْفَارٌ احتكَّتْ به البلدان ، فَجَرَّبَ وَتَبَصَّرَ كما
تحتك الإبلُ بالجُذَيْلِ وهو تصغير الجِذْلِ ، وهو خشبٌ تحتك به الإبلُ
الجربى فتشتقى به ، و « العُنْدَيْكَ » تصغير عُنْدٍ ، وأصلُ المَثَلِ أن يقول
العالمُ بالشيء : أنا جذيلُها المحكَّك وعُنْدُ يَقُفُّها المَرْجَبُ ^(٢) فأما التَّرجيبُ
فأن يبنى تحت النخلة دُكَّانٌ لثلاثِ تميلَ وذلك إذا كانت كريمة . والمعنى
أن رئيسهم إذا حزبه أمرٌ رجلٌ عالمٌ يشتقى بما عنده من الرأى والمعرفة بالسفر .
ويجوز أن يكون شبهة قائدهم لتأثير السفر فيه وتغييره من لونه وجسمه بالجُذَيْلِ ،
لأنه يسود إذا احتكَّتْ به الإبلُ الجربى للطلاء الذى عليها ، وبالعُنْدَيْكَ
فى دِقَّتِهِ ونَحَافَتِهِ .

١٢ يَرَى بِالْكَعَابِ الرُّودِ ^(٣) طَلْعَةَ ثَائِرِ وَبِالْعِرْمِيسِ الْوَجْنَاءِ غُرَّةَ آيِبِ

[ص] يقول : هذا الرجلُ مِنْ حُبِّهِ للسَّفَرِ فى طَلَبِ العُلَى إذا رأى
الكاعِبَ الحَسَناءَ فكأنما يَرَى طَلْعَةَ ثَائِرٍ قد جاء ليثأر منه ، لِبُغْضِهِ للكاعِبِ
وَحُبِّهِ للسَّفَرِ ، إلى أن يبلغ مُرادَه وَيَنالَ حاجَتَه . ويرى بِالْعِرْمِيسِ - وهى

(١) وهى رواية ق ، س ، د ، ظ - وروى الخارزنجى فى ظ : « يسوق نواصيه » وقال
المصول : و يروى « يقود نواصيه » .

(٢) مجمع الأمثال ١ : ٣١ .

(٣) « الرود » : اللينة الناعمة .

النَّاقَةُ الصُّلْبَةُ - مِنْ حُبِّهِ لَهَا طَلْعَةٌ قَادِمٌ عَلَيْهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى أَبِي دُلْفٍ
هَذَا الْمَمْدُوحُ الَّذِي يَسْجَى ذِكْرُهُ .

١٣ كَأَنَّ بِهِ ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ
مِنَ الْأَرْضِ أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ

[ص] يقول : مِنْ حُبِّهِ لِلسَّفَرِ وَالذَّهَابِ فِي الْبِلَادِ كَأَنَّهُ ضَغْنٌ عَلَى
الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ بِهِ حَتَّى يَتَرَكَه ، أَوْ كَأَنَّهُ مُشْتَاقٌ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي لَمْ يَمُضِ بَعْدُ
إِلَيْهِ حَتَّى يَبْلُغَهُ .

١٤ إِذَا الْعَيْسُ لَاقَتْ^(١) بِي أَبَا دُلْفٍ فَقَدْ
تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ
١٥ هُنَالِكَ تَلَقَى^(٢) الْجُودَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ
تَمَائِمُهُ وَالْمَجْدَ مُرْخَى الذَّوَائِبِ

١٥ - « حَيْثُ تَقَطَّعَتْ تَمَائِمُهُ » الْمَوْضِعُ الَّذِي نَشَأَ فِيهِ . [ص] يَقُولُ^(٣) : تَلَقَى
الْجُودَ قَدْ أَحَبَّ هَذَا الْمَوْضِعَ وَرُبِّي فِيهِ فَمَا يُحِبُّ أَنْ يَفَارِقَهُ ، وَإِنَّمَا نَحَا قَوْلَ الْأَسَدِيِّ :
أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَسْنَعِجٍ إِلَى وَسَلَمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلَادُهَا حَلَّ الشَّبَابِ تَمَائِمِي وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسْنَجٍ جَلْدِي تَرَابُهَا
وَيُرْوَى « وَافِي الذَّوَائِبِ » أَيْ يَلْقَى الْمَجْدَ كَثِيرًا ، وَهَذَا مِثْلُ ، أَيْ مَجْدُهُ وَشَرْفُهُ
مَعَ هَذَا الْجُودِ جَلِيلٍ كَثِيرٍ أَيْضًا ، فَهَذَا تَفْسِيرُ « وَافِي الذَّوَائِبِ » . وَمَنْ رَوَى
« مُرْخَى الذَّوَائِبِ » أَرَادَ أَنَّ الْمَجْدَ كَالْأَمْنِ فِيهِمْ مِنْ أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ ،
وَيَكُونُ أَيْضًا قَدْ أَحَاطَ بِهِ الشَّرْفُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .

(١) ظ : « وَافَتْ بِي »

(٢) س : « يَلْقَى الْجُودَ فِي حَيْثُ قَطَّعَتْ » . وَرَوَاهَا ظ .

(٣) مِنْ أَوَّلِ كَلَامِ الصُّوْلِيِّ إِلَى آخِرِ شَرْحِ الْبَيْتِ لَمْ يَرِدْ فِي ش ، وَأُثْبِتْنَا مِنْ نَسَخَتِي ب ، ن .

١٦ تكادُ عطايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِنِعْمَةٍ^(١) طَالِبٍ

ويروى: «تَنَعَّمُ طَالِبٌ» يجعل التَّعْوِيذَ للتَّنَعُّمِ لا لِرَبِّ العَطَايَا .
[ع] و «جُنَّ جُنُونُهَا» مَثَلٌ وَضِعَ للمبالغة ، يُقَالُ جُنَّ جُنُونُهَا وَجَنَعَ جُوعُهَا ، والجُنُونُ فى الحقيقة لا يُجَنُّ ، وكذلك الجُوعُ لا يَسْجُوعُ ، ولكنهم يُريدون به الشَّدَّةَ والإفراط * [ص] . يقول: إنَّ عطايَاهُ متى تأخَّرَتْ عن السُّؤال فَسَدَّ عقلُها حتى تسمع صوتَ مَنْ يَسْجىءُ طَالِبًا أو رَاغِبًا ، فيكون ذلك الصوتُ كالعوذَةِ لهذه العطايا^(٢) .

١٧ إِذَا حَرَكْتَهُ^(٣) هِزَّةً الْمَجْدِ غَيَّرَتْ

عَطَايَاهُ أَسْمَاءُ الْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ

يريد أنه يُصدِّق الأمانى والآمالَ ويُحقِّقُها فيقال فازَ ، وسَعَدَ ، وحَظِيَ ، بَدَلَ قَوْلِهِمْ حُرِّمَ ، وَكَلَدَ أَمْلُهُ ، وَخَابَ رَجَاؤُهُ ، فهذا تَغْيِيرُ أَسْمَاءِ الْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ^(٤) .

١٨ تَكَادَ مَغَانِيهِ تَهَشُّ عِرَاصُهَا

فَتَرَكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ

«العِرَاصُ» جمع عَرَصَةٍ ، وهى سَاحَةِ الدَّارِ ، واستعار لها الهَشَّاشَةَ

(١) قال الصولي : ويروى « بنعمة طالب » وهو تصحيف .

(٢) جاء فى ظ ؛ وهذا البيت مما عابه عليه أبو العباس عبد الله بن المعتز فقال : ولم يجن جنونها انتظاراً للطلب ؟ يبتدئ بالجوذ ويستريح !

(٣) س ، ق : « أخذته »

(٤) قال المرزوق فى كتابه : ومثله قول أبي تمام فى أخرى :

أترى أبا الإحسان يحسن بيننا وملقب الأيام من يذنب ؟ !

فقوله « ملقب الأيام » مثل قوله « غيرت عطايَاهُ أَسْمَاءَ الْأَمَانِي » . وفى ظ قال الأمدى : الأمانى هى الأكاذيب ، أى أعطى أصحاب الأمانى ما كانوا يتصورونه من الأباطيل فصارت حقائق وزال عنها اسم الأمانى

التي هي البشر والأريحية . [ص] يقول^(١) : من شهوته لإعطاء المال وبذله تكاد عيراصُ متغانية تسير إلى مَنْ يسير إليها طالباً نَيْلَه .

١٩ إذا ما غداً أغدى كريمةً ماله

هدياً ولو زفت لآلامٍ خاطب

يقال غداً الشيء ، وأغداه غيره ، جائز على القياس وهو مفقود في المسموع . و « الهدي » العروس ، وهذه مبالغة في المدح ، يريد أنه إذا جاءه الرجل الدنيء لم تمنعه دناءته أن يعطيه من خير ماله .

٢٠ يرى أقبح الأشياء أوبة آيب^(٢)

كسته يد المأمول حلة خائب

٢١ وأحسن من نورٍ تفتحهُ الصبا^(٣)

بياض العطايا في سواد المطالب

٢٢ إذا ألجمت يوماً لجيمٍ وحولها

بنو الحِصْنِ نجلُ المُخْصِنَاتِ النَّجَائِبِ

٢٢ - يعنى لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وهم قوم

(١) من قوله : « يقول من شهوته . . . » إلى آخر الشرح لم يرد في نسخة ش وأثبتناه من نسخة

ب ، ن . (٢) س ، د : « آمل » .

(٣) س : « الندى » وهي رواية الخارزنجي كما في ظ . وقال في شرحه : يقول أحسن من نور يوره الشجر والنبات تفتحهُ أكف الندى بياض العطايا أى سرورها وضيائها في سواد المطالب ، لأنها مظلمة حتى يبين لطالها نجمة أو خبيته .

وقال ابن المستوفى : قال الأمدى : قوله « بياض العطايا في سواد المطالب » ليس من معانيه ، وإنما نقله من قول الأخطل :

رأين بياضاً في سواد كأنه بياض العطايا في سواد المطالب

ذكره ابن أبي طاهر في سرقاته ، إلا أن قول أبي تمام : « وأحسن من نور يفتحهُ الندى » في غاية الخلوة . هذا كلام الأمدى . وروى : « وأحسن من روض » - وقال ابن المستوفى عقبه : ولم أجد ما نسبوه إلى الأخطل في ديوانه ولا يشبه نمطه لرقته ، ولعله موضوع ليدفع أبو تمام عن محاسنه .

أبي دلف العجلى ، لأنه من عجل بن لجيم . و « نَجَلُ الْمُحْصَنَاتِ » ولدها .

٢٣ فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالْقَنَا

أَقَارِبُهُمْ^(١) فِي الرَّوْعِ دُونَ الْأَقَارِبِ

٢٤ جَحَافِلُ لَا يَتَرُكْنَ ذَا جَبَرِيَّةٍ

سَلِيمًا وَلَا يَحْرُبْنَ مَنْ لَمْ يُحَارِبِ

٢٤ - « الْجَبَرِيَّةُ » الْكَبِيرُ ، وَهُوَ اسْمٌ مُضَوَّعٌ عَلَى النَّسَبِ ، وَلَمْ يَقُولُوا فِيهِ جَبَرٌ أَيْ كَبِيرٌ .

٢٥ يَمْدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَاصٍ^(٢) عَوَاصِمِ

تَصُولُ^(٣) بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ

(ع) هَذَا كَلَامٌ فِيهِ حَذْفٌ عَلَى رَأْيِ سَيِّبَوْبِهِ ، وَهُوَ مَفْعُولٌ يَحْتَمِلُ أَنْ يُصْرَفَهُ السَّامِعُ عَلَى مَا يُرِيدُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ يَمْدُونُ سَوَاعِدَ أَوْ بَسْطَةَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودَةَ يَرَى أَنَّ « مِنْ » فِي هَذَا زَائِدَةٌ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ غَضَضْتُ مِنْ فُلَانٍ أَيْ غَضَضْتُ شَيْئًا مِنْ حُقُوقِهِ ، فَأَمَّا قَوْلُ جَرِيرٍ :

رَأَتْ مَرَّ السَّنِينَ أَخْذَنَ مِئْنَى كَمَا أَخْذَنَ السَّرَّارُ مِنَ الْهَيْلَالِ^(٤)

فَإِذَا حُمِلَ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ تَمَّ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ فَهُوَ مِثْلُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَإِنْ كَانَ « أَخْذَنَ » وَاقِعًا عَلَى « كَمَا » فَلَيْسَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ حَذْفٌ . وَقَوْلُهُ : « عَوَاصٍ » يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَجُودَهُمَا أَنْ يَكُونَ جَمْعَ عَاصِيَةٍ مِنْ عَصِيَّتِهِ

(١) ل : « أَقَارِبُكُمْ » . وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : وَرَوَى الصَّوَلُ « أَقَارِبُهُمْ » عَلَى ضَمِيرِ الْغَيْبَةِ . . . وَرَوَى الْخَارَزْمِيُّ أَوْ غَيْرُهُ : « أَقَارِبُكُمْ » عَلَى ضَمِيرِ الْخَطَابِ .

(٢) د : « طَوَالٍ » .

(٣) س : « تَسُورُ بِأَسْنَانٍ » وَهَامِشُهَا « تَطُولُ » .

(٤) الدِّيَوَانُ ص : ٤٢٦ .

بالسيف إذا ضربته به ، والآخر أن يكون من العصيان ، أى أنها لا تطيع
أمر الملوك ولا الأعداء إذ ليس فوقها يد . و « عواصم » جمع عاصمة ، أى
يغتصم من استجار بها . وقوله « عواصم عواصم » يسميه أهل النقد تجنيس
المُقَارَبَةِ ، لأن اللفظين مُتقاربان ليس بينهما فرق إلا في الميم ، وكذلك قوله :
« قواض قواضب » والقواضى التى تقضى على الأعداء بما تُريد ، وقد
يُسْتعمل قَضَيْتُ فى معنى قَطَعْتُ ، ويقال قَضَى عليه إذا كان سبب موته
أو قَتَلَهُ . ويجوز أن يكون قوله : « يَمْدُون » من مَدَّ النهر ومَدَّه نهر آخر ،
وهذا المعنى اللطيف وأحسن من الأول ^(١) ، أى يمدون أيدياً تعصى العاذلين فى
الحدود ، وتغصم المستغيث الخائف بأسيايف هذه صفتها .

٢٦ إذا الخيلُ جابت قسطلَ الحربِ صدَعُوا

صُدُورَ العوالى فى صُدُورِ الكتائبِ

يقول : إذا شَقَّت الخيلُ غبارَ الحربِ فإنهم يَطْعَنون الأبطال بالرماح حتى
يكسروها فى صدورهم .

٢٧ إذا افتخرت يوماً تميمٌ بقوسِها

وزادت ^(٢) على ما وطدت من مناقبِ

(١) لابن المستوفى تعقيب على كلام أبي العلاء هذا ، قال : فى كلام أبي العلاء على بيت جرير
نظر يحتاج إلى بحث . وقوله : « فإذا حمل على أن الكلام تم فى النصف الأول فهو مثل ما تقدم ذكره ،
وإن كان واقفاً على كذا فليس فى النصف الأول حلف » ، وهذا إذا تأمله الناظر لا يؤدى إلى تحقيق ،
فإن قوله : « منى » يحتمل أن تكون « من » فيه مثلها فى الحلال .

وقوله : « من عصيته بالسيف أى ضربته » إنما هو من عصوته بالعصا أى ضربته بها ، ولم أجد
عصيته بالسيف ، إنما قالوا عصى بالسيف يعصى عصا إذا ضرب به ، فلو أخذ من ذلك كان أولى ،
وأخذه من العصيان على ما ذكره أجود من هذا التكلف البعيد ، وهذا التجنيس يسميه أصحاب البديع الناقص ،
وهو ضرب من المضارعة ، وعليه أنشد بيت أبي تمام هذا .

وقال ابن المستوفى بعد ذلك : وروى الخارزنجي : « عواصم غواصب » . قال فى الحاشية : « يمدون
من أيد طوال غواصب » أى تغصب الأرواح .

وقال الصولي فى شرحه : ويروى « من أيد طوال » إلا أن أبا تمام قابل اللفظ فقال : « عواصم » ثم
قال : « قواصم » فهذا أحب إلى من « طوال » .

(٢) ظ : ويروى « فخاراً » ، وهى رواية د .

٢٨ فَأَنْتُمْ بِدِي قَارِ أَمَالَتْ سَيُوفُكُمْ

عُرُوشَ الَّذِينَ اسْتَرَهَنُوا قَوْسَ حَاجِبٍ

٢٧ و ٢٨ - يَغْنَى : « العُرُوش » الأسرة ، ويمدح أبا دُلْفَ بأنه مِن بنى عجل ، وأنهم كانوا في يوم ذى قار مع بنى شَيْبَانَ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ الْعَرَبَ كانت تزعم أَنَّ الْقُرْسَ لَا تَمُوتُ ، وَأَنَّ حَسَنَةَ الْعِجْلِيِّ حَمَلَتْ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَيَلَكُمْ إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ ! فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَكَانَ سَبَبَ ظَنِّهِمْ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ إِذَا حُمِلَ عَلَى مَا يُوْجِبُهُ الْمَقُولُ فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ فَلَانَ لَا يَمُوتُ مِنَ الْعَمَلِ أَى يَصْبِرُ عَلَيْهِ ، فَأَمَّا انْدِفَاعُ الْمَوْتِ عَنِ الْإِنْسَانِ فَلَا يَحْوزُ أَنْ يُدْعَى لَهُ . وَقَوْلُهُ : « إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ » إِنَّمَا هُوَ حَصْرٌ عَلَى قِتَالِهِمْ ، لَا أَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ الْمَوْتَ كَانَ عِنْدَهُ لَا يَنْتَزِلُ بِهِمْ ، وَمِثْلُهُ رَجَزٌ يَرَوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ مَعْدَى كَتَبَ فِي قِتَالِ الْقُرْسِ :

أَنَا أَبُو ثَوْرٍ وَسَيِّفِي ذُو الثَّوْنِ
أَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ غُلَامٍ مَسْجُونٍ
يَا لَ زُبَيْدٍ إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ !

أَى هُمْ مِثْلَكُمْ فَلَا تَسْجِنُوا عَنْهُمْ . وَحَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنُ عُدُسَ بْنِ زَيْدِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ كَانَ قَدْ تَدَبَّرَ هُوَ وَأَهْلُهُ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَالِي الْحِيرَةِ وَكَتَبَ إِلَى كَيْسَرِي ، فَكَتَبَ كَيْسَرِي إِلَيْهِ يَقُولُ : إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَرْعَوْا بِأَرْضِنَا فَلْيَقْدِمْ عَلَيْنَا وَفَدِّهُمْ ، وَيُعْطُونَا رَهَائِنَ مِنْهُمْ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، فَلَمَّا وَافَقَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ طَلَبَ مِنْهُ الرَهَائِنَ ، فَقَالَ حَاجِبُ : لَيْسَ مَعِيَ إِلَّا قَوْسِي هَذِهِ فَخُذْهَا ، فَضَحِكَ مِنْهُ أَصْحَابُ كَيْسَرِي ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : خُذْهَا مِنْهُ فَإِنَّهُ لَنْ يُسَلِّمَهَا ، فَاسْتَرَهَنُوا مِنَ الْقَوْسِ ، وَذَهَبَ فَوْقَ لَهُمْ بِمَا وَافَقَهُمْ عَلَيْهِ ، فَصَارَ ذَلِكَ مَعْدُودًا فِي مَنَاقِبِ بَنِي تَمِيمٍ . (الْمَرْزُوقِي) : كَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ دَعَا عَلَى مُضَرٍّ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرٍّ ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ . فَتَوَالَتْ الْجُدُوبُ عَلَيْهِمْ سَبْعَ سِنِينَ ، فَلَمَّا رَأَى حَاجِبُ الْجَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ جَمَعَ بَنِي زُرَّارَةَ وَقَالَ :

إني أزمعتُ أن آتي المَلِكَ فأطلبَ أن يأذنَ لِقَمَوْنًا فيكونوا تحتَ هذا البحرِ حتى يَحْيَوْا : فقال ارشِدتَ فافعلْ ، غيرَ أَنَّا نخافُ عليك بَنَكْرَ بنِ وائلٍ . فقال : ما وَجَّهُ منهم إِلَّا ولى عنده يَدٌ ، إِلَّا ابنَ الطَّوِيلَةِ التَّيْسِيِّ ، وسأُداويه . ثم ارتحلَ ، فلم يَزَلْ يَسْتَقِلُّ في الإتحافِ والبرِّ في الناسِ حتى انتهى إلى الماءِ الذي عليه ابنُ الطَّوِيلَةِ ، فنزلَ ليلًا ، فلما أضاء الفَجْرُ دَعَا بِنطعَ ، ثم أمرَ فصَبَّ عليه التَّمَرُ ، ثم نادى حَتَّى على الغَدَاءِ ! فنظَرَ ابنُ الطَّوِيلَةِ فإذا هو بِحاجِبٍ ، فقال لأهلِ المجلسِ : أُجِيبُوهُ ! وأهدى إليه جُزُرًا . ثم ارتحلَ ، فلما بَلَغَ كِسْرَى كان منه ما ذُكِرَ ، ثم جاءَت مُضَرٌ بعد موتِ حاجِبٍ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدَعَا لَهُمْ ، فخرج أصحابُهُ إلى بلادِهِمْ ، وارتحلَ عَطَّارِدُ ابنِ حاجِبٍ إلى كِسْرَى يَطْلُبُ قَوْسَ أَبِيهِ ، فقال : ما أنتَ بالذي وضعتَها . فقال له أَجَلُ إِنَّهُ هَلَكْتُ وأنا ابنُهُ ، وقد وَفَى للمَلِكِ ! قال : رُدُّوا عليه ، وكَسَّاه حُلَّةً . فلَمَّا وَفَدَ على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهداها إليه فلم يقبلها ، فبَاعَهَا مِنْ يَهُودَى بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فيقول أبو تمام : إذا افتخرتَ تَسْمِيًا بِذَلِكَ فَأَنْتُمْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَسَّوْهُمْ هذا المجدَ بما ارتهنوا ، وهدمتُم عِزَّهُمْ في وقعة ذى قار^(١) .

٢٩ مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى تَقْرَأُوا بِهَا مَحَاسِنَ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ

(١) وقال الصولي : يريد أخذ العرب للطيمة كسرى وانتصافهم من المعجم ، وكان رئيس العرب ذلك اليوم سيار بن حنظلة العجلي ، وأبو دلف عجلي ، فخطبه بهذا . ويقال إن يوم ذى قار كان كيوم بدر ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هذا أول يوم انتصفت العرب من المعجم فيه ، وفي نصرنا » .

وجاء في ظ : وقيل إنه (أى حاجب بن زرارة) إنما رهن قوسه عند كسرى لما قبل هذا أن يبلغ لطايمه إلى سوق عكاظ ، فارتهن كسرى قوسه حتى أتى بالمير سالمة إلى كسرى ، فقال كسرى : لا أدرى أينما أحسن ، أنا حيث رضيت من حاجب بقوس لا يساوى عشرة دراهم ، أم حاجب حيث أجاز لي ميراث قيمتها كذا وكذا ؟ ثم أمر بتاج فصنع له منظمًا بالجواهر فوضعه على رأسه .

٣٠ مَكَارِمُ لَجَّتْ^(١) فِي عُلُوِّ كَأَنَّهَا^(٢)

تُحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ

٣١ وَقَدْ عَلِمَ الْأَفْشِينُ وَهُوَ الَّذِي بِهِ

يُصَانُ رِذَاءُ الْمُلْكِ عَنْ كُلِّ جَاذِبٍ^(٣)

٣١- [ع] كان الأفشينُ عبداً للمعتصم ، فاصطَنَعَهُ ورفَعَ شأنه ثم قَتَلَهُ بعد ذلك ، وهذا الشعرُ قيل في زمانِ دولة الأفشين وإقباله ، وكان الأفشين من أهل أشروسنة ، فسمَّاهُ المعتصمُ الأفشين ، لأنَّ ملكَ ذلك البلد جَرَّتْ عادته بأن يُسمَّى الأفشين كما يُسمَّى ملكُ الروم قَيْصَرَ ، وكذلك زَعَمُوا أنَّ الأخشيديَّ كان أوله من فرغانة فلُقِّبَ الأخشيدي ، لأنَّ ملكَ فرغانة يُلَقَّبُ بذلك .

٣٢ بِأَنَّكَ لَمَّا اسْحَنْكَكَ^(٤) الْأَمْرُ وَاكْتَسَى

أَهَابِيَّ تَسْفِي فِي وُجُوهِ التَّجَارِبِ

[ع] « اسجنكك الأمر » اسودَّ وأظلم . أصل هذه الكلمة في الليل ، ووزن « اسجنكك » « افعنكل » واشتقاقه من سين وحاء وكاف ، وذلك لفظ مُعَاتٍ لم يَحْكُ أحدٌ من الثقات فيما أعلم « السَّحْكُ » في معنى السَّوَادِ . [ع] « وأهابي » جمع إهباء ، وهو الغُبَارُ ، مثل إعصار وأعاصير ، وقوله :

(١) س ، د : « معال تمادت في العلو » وبهامشها : ويروى : « معال تعالت » .

(٢) م ، ل : « كأنها » .

(٣) قال الصولي : ويروى « من كل جاذب » أي عائب ، وهو تصحيف .

وجاء في ظ : وقول ابن المعتز كأنه من هذا :

وفن ورنسا ثياب النبي فلم تجذبون بأهدابها ؟

لكم نسب يا بني بنته ولكن بنو العلم أولى بها

(٤) ل : « لما استخذل الأمر » وفي م « لما استخذل النصر » وقال الصولي : ويروى :

« اسجنكك » .

« تَسْنَى فِي وَجْهِهِ التَّجَارِبُ » أَيْ لَا تَسْفَعُ مَعَهَا التَّجَرُّبَةُ ، فَكَأَنَّهَا تَمَلُّأُ عُيُونَهَا بِالْغُبَارِ .

٣٣ تَجَلَّلَتْهُ^(١) بِالرَّأْيِ حَتَّى أَرَيْتَهُ

بِهِ مِلْءَ عَيْنَيْهِ مَكَانَ الْعَوَاقِبِ

[ع] « تَجَلَّلَتْهُ بِالرَّأْيِ » أَيْ عُلُوَّتَهُ بِهِ وَكَانَتْ لَهُ مَكَانَ الْجِلَالِ * يَقُولُ : لَمَّا أَظْلَمَ وَجْهَ الرَّأْيِ عَلَيْهِ أَرَيْتَهُ إِيَّاهُ مِلْءَ عَيْنَيْهِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى عَوَاقِبِهِ . [ص] يَعْنِي يَوْمَ بَابِكَ أُبَلِّى أَبُو دُلْفٍ فِيهِ بَلَاءٌ حَسَنًا ، يَقَالُ إِنَّ الْأَفْشِينَ حَسَنَهُ حَتَّى هَمَّ بِقَتْلِهِ لَمَّا قَدَّمَ حَتَّى خَلَصَهُ ابْنُ أَبِي دُوَادَ .

٣٤ بَارَشَقَ إِذْ سَالَتْ عَلَيْهِمْ غَمَامَةٌ

جَرَتْ بِالْعَوَالِي وَالْعِتَاقِ الشَّوَاظِبِ

أَيْ مَدَدَتْهُ بِالرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ بِهَذَا الْمَكَانِ^(٢) .

٣٥ نَضَوْتُ^(٣) لَهُ رَأْيَيْنِ سَيْفًا وَمُنْصَلًا

وَكُلُّ كَنْجَمٍ فِي الدُّجْنَةِ ثَاقِبٍ

[ع] « نَضَوْتُ » أَيْ سَكَلْتُ . « وَالْمُنْصَلُ » يُسْتَعْمَلُ فِي السِّيفِ خَاصَةً ، وَالنَّصْلُ يُسْتَعْمَلُ فِي السِّيفِ وَغَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ « كُلُّ كَنْجَمٍ » أَحْسَنُ مَا يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ أَوْسَأُ بـ « كُلِّ » إِلَى ثَلَاثَةٍ ، يَعْنِي : الْمَدْلُوحَ وَرَأْيَهُ وَسَيْفَهُ ، وَذَلِكَ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ السِّيفَ وَالرَّأْيَ دُونَ غَيْرِهِمَا ، لِأَنَّهُ لَوْ ذَهَبَ إِلَى

(١) فِي ظ : رَوَى الصُّوْلُ « تَحْلِيَّتَهُ بِالرَّأْيِ » . وَرَوَى الْحَارِزِيُّ « تَخَلَّلَتْهُ » بِالْخَاءِ الْمَجْمُوعَةِ ، وَقَالَ : أَيْ خَلَصْتُ إِلَيْهِ بِرَأْيِكَ وَحَزَمْتُكَ حَتَّى أَطْلَعْتَهُ بِهَذَا الرَّأْيِ عَلَى عَاقِبَةِ الْأَمْرِ .

(٢) قَالَ الصُّوْلُ : يَقُولُ هَذِهِ الْغَمَامَةُ إِنَّمَا سَالَتْ بِرِمَاحٍ وَخَيْلٍ ضَامِرَةٍ .

(٣) م : « نَصَلْتُ » - ل ، س : « نَصَبْتُ » . وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : وَيُرْوَى « سَلْتُ » وَإِنَّمَا

قَالَ « نَصَلْتُ » لِقَوْلِهِ مُنْصَلًا .

ذلك لكان الموضع بـ «كِلَا» ^(١) أحق منه بـ «كُل» ، على أنه يجوز أن يُوضَعَ «كل» في موضع «كِلَا» .

٣٦ وَكُنْتَ مَتَى تُهَزَّزُ لِخَطْبٍ تُغْشِيهِ ^(٢)

ضَرَائِبَ أَمْضَى مِنْ رِقَاقِ الْمَضَارِبِ

[ع] « ضرائب » جمع ضريبة وهي الخليفة ، يُقال فلان كريمُ الضريبة أى الشَّيْمَة والمدَّهَب ، ويجوز أن يكون اشتقاقه من ضربتُ السيفَ إذا طبعته ، ومن كل ما جرى هذا المسجى نَحْدَ الدَّهَبِ والفِضَّةِ لأنه مثل الجبلَةِ والفِطْرَةِ .

٣٧ فَذِ كَرْكَ فِي قَلْبِ الْخَلِيفَةِ بَعْدَهَا

خَلِيفَتُكَ الْمُقْفَى بِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ

« بعدها » أى بعدها هذه الفعلة . و « المُقْفَى » مأخوذ من القَفِيَّة وهو الشئ الذى يُخصَّ به الإنسانُ ويؤثَّر به .

(١) عقب ابن المستوفى على كلام التبريزى بقوله : لم يرد أبو تمام إلا رأيه ومنصله ، لأن الظاهر الذى عاد إليه « كل » إنما هو قوله رأياً ومنصلاً ، ويشهد لذلك قوله سيفين ، ولو أنه أراد ما ذكره أبو العلاء لم يقل سيفين ولقال نفصوت لهم ثلاثة أسياف ، نفسك ورأيك ومنصلك ، وليس فى قوله « نفصوت » ما يدل على التثليث سيما مع وجود التثنية فى سيفين ، وأوضح هذا المعنى الذى ذكره أبو العلاء على بن العباس الروى فقال :

أَرَاؤَكُمْ وَوَجُوهَكُمْ وَسِوْفَكُمْ
فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا انْتَضَيْنَ نَجُومُ

مِنْهَا مَصَابِيحُ الدُّجَى وَمَعَالِمُ
تَجْلُو الْعَمَى وَالْبَاقِيَاتُ رَجُومُ

ويجوز أن يكون أراد كل منهما فحذف للدلالة عليه وكثيراً ما تحذف الصفة . وقال الجوهري : كل لفظة واحدة ومعناه جمع . فعل هذا ، تقول كل حضر وكل حضروا ، على اللفظ مرة وعلى المعنى أخرى ، فيجوز أن يكون أبو تمام أعاد على اللفظ فى بيته .

(٢) فى ظ : ويروى « قريته » .

٣٨ فَإِنْ تَنْسَ يَذْكُرْ أَوْ يَقُلْ فِيكَ حَاسِدٌ

يَقُلْ قَوْلُهُ أَوْ تَنَّا دَارُ تُصَاقِبِ

يقول : إِنْ تَنْسَ فَعَلَّكَ يَذْكُرْ ، ويروى « فَإِنْ تَنْسَ يَذْكُرْ »
يعنى الخليفة ، ويروى « فَإِنْ تَنْسَ تَذْكُرْ ^(١) » ، [ص] أى إِنْ تَنْسَ فَعَلَّكَ
ذُكِرَتْ بِهِ ، وَإِنْ سَبَعَكَ حَاسِدٌ ^(٢) فال رأى ، أى بَطَلَ رَأْيُهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ . وَإِنْ
نَأَتْ دَارُ فَأَنْتَ قَرِيبٌ لِفَعْلِكَ . « وَتُصَاقِبِ » تدنو ، يقال بالسَّيْنِ وَالصَّادِ ، وَهُوَ
السَّقْبُ وَالصَّقْبُ لِلْقُرْبِ ، وَإِذَا كَانَ بَعْدَ السَّيْنِ قَافٌ أَوْ طَاءٌ أَوْ خَاءٌ أَوْ غَيْنٌ
جَازَ تَحْوِيلُهَا إِلَى الصَّادِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُ الْمُسَاقَبَةِ مِنَ السَّقْبِ الَّذِى
هُوَ عَمُودٌ مِنْ أَعْمَدَةِ الْخَبَاءِ ، وَقَدْ حُكِيَ بِالصَّادِ وَالسَّيْنِ ، وَهُوَ جَارٌ مَسْجَرَى
مَا ذُكِرَ مِمَّا فِيهِ أَحَدُ الْحُرُوفِ الْأَرْبَعَةِ ، فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا نَزَلَ مُجَاوِرًا
لِلْآخِرِ صَارَ عَمُودُ بَيْتِهِ مُقَارِبًا لِعَمُودِ بَيْتِ الْآخِرِ فَقِيلَ قَدْ صَاقَبَهُ ، كَمَا يُقَالُ
قَدْ كَاسَرَهُ إِذَا كَانَ كَسَرُ بَيْتِهِ يَبْلَى كَسْرَ بَيْتِ الْآخِرِ .

٣٩ فَأَنْتَ لَدَيْهِ حَاضِرٌ غَيْرُ حَاضِرٍ ^(٣)

جَمِيعاً وَعَنْهُ غَائِبٌ غَيْرُ غَائِبٍ

يقول : أَنْتَ خَاطِرٌ بِيَالِهِ فِي كُلِّ حَالٍ خَضِرَتْ أَوْ غِيَبَتْ ، لِأَنَّ ذِكْرَكَ
فِي قَلْبِهِ .

٤٠ إِلَيْكَ أَرْحَنَّا غَازِبَ الشَّعْرِ بَعْدَمَا

تَمَهَّلَ فِي رَوْضِ الْمَعَانِي الْعَجَائِبِ

(ص) يقول : إِلَيْكَ صَرَفْنَا مَا كَانَ تَعَزَّبَ مِنَ الشَّعْرِ بَعْدَ مَا كَانَ تَمَهَّلَ

(١) فضل ابن المستوفى أن تكون الضائير حائدة على المخاطب كلها .

(٢) « سَبَعَكَ حَاسِدٌ » أى شَتَمَكَ ، يُقَالُ « سَبَعَهُ يَسْبِعُهُ » إِذَا طَعَنَ عَلَيْهِ وَجَاهَهُ وَشَتَمَهُ .

(٣) فى ظ : ويروى : « غَيْرُ حَاضِرٍ لَدَيْهِ » - وقال والرواية الأولى أجود . ويروى : « غَيْرُ
حَاضِرٍ بِذِكْرٍ » ، وهى رواية د .

أى تقدّم فى رَوْضَ المعانى لا رَوْضَ النَّبْتِ ، يريد أن الفِكْرَ عمل المعانى العَجَبِيَّةِ ثم سَيِّقْتُ إِلَيْكَ ^(١) .

٤١ غَرَائِبُ لَاقَتْ فى فِئائِكَ أَنْسَهَا

مِنَ الْمَجْدِ ^(٢) فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ غَرَائِبِ

يقول : هذه المعانى غرائب لم يفهمها غيرك فلماً بَلَغَتْكَ علمت أنها وَقَعَتْ مَوْقِعَهَا .

٤٢ وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَّتْ

حَيَاضُكَ مِنْهُ فى الْعُصُورِ ^(٣) الذَّوَاهِبِ

[ع] « ما قَرَّتْ حَيَاضُكَ » ما جَمَعَتْ يُقَالُ قَرَى المَاءَ فى الحَوْضِ يَتَقَرَّى إِذَا جَمَعَهُ . والمعنى : أنك رجلٌ مَلِكٌ شَرِيفُ الْآبَاءِ ، قد مُدِّحٌ أَجْدَادُكَ بِشَعْرِ كَثِيرٍ ، فلو كان الشَّعْرُ يَفْنَى لَفْنَى مِنْ أَجْلِ مَا مُدِّحْتُمْ بِهِ فى الدَّهْرِ الْقَدِيمِ ، فهذا هو الْوَجْهَ ، وقيل : إنما أراد أن أبا دُلْفَ كان شاعراً ، وقد يَحْتَمِلُ هذا ، ولكنَّ الْأَوَّلَ أَجود وأبلغ فى الْمَدِّحِ .

٤٣ وَلَكِنَّهُ صَوْبُ الْعُقُولِ إِذَا انْجَلَّتْ

سَحَائِبُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ ^(٤)

(١) زاد الصولى فى شرحه قوله : وقد مثل هذا التمثيل النابتة ، إلا أنه فى وصف الهم ، فقال :

وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

أى أن الليل يريح عازب الهم إلى الصدر ، لأن الإنسان بالنهار يشتغل بما يفتح عينه عليه فيخفف عنه بعض التخفيف ، فإذا جاء الليل خلا بكده ، وقد أوضح هذا المعنى الطرمح ولم يأت به غيره ، فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبحن بهم وما الإصباح فيك بأروح

على أن العينين فى الصبح راحة بطرحهما طرفيها كل مطرح

(٢) س : « من اليوم » . (٣) ظ : « فى القصور » .

(٤) جاء فى ظ : قال الخارزنجي : يقول لو كان للشعر فناء لأفناه كثرة عطائك قبل وبعد ،

ولكنه لما صبت عقول الشعراء وأذهانهم ، فإذا انكشفت سحائب من ذلك أعقبها سحائب من الشعر فلا فناء له . وقال الصولى فى شرحه : هو من قول أوس بن حجر :

=

٤٤ أقولُ لِصَاحِبِي هُوَ الْقَاسِمُ الَّذِي
 بِهِ شَرَحَ الْجُودُ التِّبَاسَ الْمَذَاهِبِ^(١)
 ٤٥ وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَرُدَّ رَكَائِي^(٢)
 مَوَاهِبُهُ بَحْرًا تُرَجِّي مَوَاهِبِي

= أقول بما صبت على غمامتي وجهدي في حبل المشيرة أحطب
 وقد ألم بقول الأخطل :

• فلولا بقاء الشعر أنفذه البشر •

- وروايته في ظ « ولولا تغادى القول » - وقال ابن المستوفى بعد أن أورد كلام الصول : والذي
 في شعر أوس :

أقول بما صبت على عمائتي ودهري في حبل المشيرة أحطب
 ويروى « صحابي » و « غمامتي » ، وفي شعره : « عمائتي » همه وشجنه ، يقول أنا معهم وأحطب
 في حبلهم ، وقبله :

أقول فأما المنكرات فأتق وأما الشذا عنى الملم فأشذب

ثم قال ابن المستوفى : ولم أر ما نسبه إلى الأخطل في ديوانه .

(١) هـ س : « المواهب » .

(٢) م ، ل ، س ، ظ ، د : « وإني لأرجو عاجلا أن تردني » . وقال الخارزنجي في ظ :

ويروى :

« وإني لأرجو أن ترد مواهبي ركائبه »

وقال يمدحُ أبا العباس عبدَ الله بنَ طاهرٍ :

١ هُنَّ^(١) عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ
فَعَزَمًا فَقِدَمًا أَذْرَكَ^(٢) السُّؤْلَ طَالِبُهُ

الثاني من الطويل ، والقافية متدارك .

ويروى « أدرك الثَّارَ » . [ع] ويروى « هُنَّ » بغير استفهام ، وربما جعلت في أوله الألفُ ، وهو أحسنُ في السَّمْعِ وأجودُ^(٣) . و« عَوَادِي يُوسُفٍ » يعني بهنَ النساءِ ، فيجوز أن يكون مَقْلُوبَ « عَوَايد » من عادَةٍ يَعُودُهُ إذا طَرَقَهُ وزَّارُهُ^(٤) ، ويجوز أن يكون « عَوَادِي » غيرَ مقلوبٍ من « عوايد » ويكون كلٌّ واحدٍ منهما على حياله ، ويكون معنى « عَوَادِي » صَوَارِفَ * وذكر الآمدي هذا البيت في ردِّءِ ابتداءات أبي تمام ، قال : وإنما جعله رديئاً قوله : « هُنَّ » فابتدأ بالكناية عن النساء ولم يتجرهن ذكر ، ثم قال « عَوَادِي » ومعناها صَوَارِفَ ، يقال عَدَدَانِي عنك كذا أي صَرَفَنِي ، أراد : هُنَّ صَوَارِفَ يُوسُفَ وَصَوَاحِبُهُ ، وصَوَارِفَ ها هنا لَفْظَةٌ ليست قائمةً بنفسها لأنه يُحْتَاجُ أن يُعْلَمَ صَوَارِفُهُ عَمَّاذَا ؟ واللفظةُ القائمةُ بنفسها أن لو قال : « فَوَاتِنُ يُوسُفَ »

(١) م : « هُنَّ » - ل ، ظ ، هـ م : « هُنَّ » .

(٢) م : « أدرك الثَّارَ » ، - ق ، هـ س : « أدرك الثَّارَ » ، وهي رواية الآمدي كما في ظ .

وقال ابن المستوفى : وجدت ذلك أيضاً في مواضع من دواوينه .

(٣) عقب ابن المستوفى على ذلك بقوله : قول أبي العلاء « وربما جعلت في أوله الألف وهو أحسن في السمع وأجود » صحيح إلا أن الرواية الصحيحة « هُنَّ » على طريق الإخبار وعليه المعنى فأما مع الاستفهام ففساد .

(٤) ورد كلام أبي العلاء هذا في ظ بزيادة ، فعقب قوله « طَرَقَهُ وزَّارُهُ » جاء : وعلى ذلك فسروا قول زهير : * وعادك أن تلاقى العدا * أي صرفك . وقال ابن المستوفى : وما ذكره من قول زهير فيجوز أن يكون « عادك » بمعنى اعتادك وراجعك ، والعداء الظلم أو الصرف ، أي عادك ما صرفك عن تلاقىها ، أوله : * فصرم حبلها إذ صرمت * ثم قال : وقوله « عَوَادِي مقلوب من عوايد » تكلف ظاهر ، وأراد أبو تمام بمَوَادِي يوسف صوارفه عن ترك ما هم به ، ولا معنى للعبادة هنا .

أو « شَوَاعِفُ يَوْسُفَ » أو نحو ذلك ، وكأنه أراد صَوَارِفَ يَوْسُفَ عَنْ تَقَاهُ ، أو عَنْ هُدَاهُ ، أو عَنْ صَحِيحِ عَزَمِهِ حَتَّى هَمَّ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَإِنَّمَا يَتِمُّ مَعْنَى الْكَلِمَةِ بِمَثَلِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ لَوْ وَصَلَهَا بِهَا ، ثُمَّ الْحَقَّ بِيُوسُفَ التَّنْوِينَ ، فَجَاءَ بِثَلَاثَةِ أَلْفَاظٍ كُلُّهَا رَدِيئَةٌ فِي مَوَاضِعِهَا ، وَتَمَّ الْبَيْتَ بِعَجْزٍ لَا يَلِيْقُ بِصَلْبِهِ ، وَهُوَ أَرَادَ مَعْنَى مِنَ الصَّدْرِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ : « فَعَزَمًا فَقِدَمًا أَدْرَكَ الثَّارَ طَالِبُهُ » وَهَذَا كَلَامٌ لَا يَلَائِمُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِيهِ تَتَشَابَهُ لَوْ قَالَ : هُنَّ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَاحِبُهُ فَلَا يَبْعُدُ وَنُكَّ مَطْلَبُ أَنْتَ طَالِبُهُ .

أو * فَلَا يَبْعُدُونَكَ الْعَزَمُ فِيمَا تَطَالِبُهُ * فَلَا تَعْدُنِي عَنْ مَطْلَبِ أَنْتَ طَالِبُهُ * أَيْ هُنَّ صَوَارِفُ يَوْسُفَ عَنْ عَزَمِهِ فَلَا تَنْصَرِفُ أَنْتَ عَنْ عَزَمِكَ وَمَطْلَبِكَ لَعْدُنَّ .

ولفظُ أَيْ تَمَامٌ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى مَا قَدَّرَهُ الْآمِدَى مِنْ مَعْنَى الْبَيْتِ بِالْأَلْفَاظِ الَّتِي ذَكَرَهَا إِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْحَقِيقَةِ ، وَلَيْسَ الْإِضْمَارُ قَبْلَ الذِّكْرِ بِعَيْبٍ إِذَا كَانَ الْمَعْنَى مَفْهُومًا ، لِأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى مَا خُوِذَ عَنِ الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَهُوَ يَعْنِي النِّسَاءَ : « إِن كُنَّ صَوَاحِبَاتُ يَوْسُفَ » وَلَسَّ حَقَّ التَّنْوِينَ ؛ « يَوْسُفَ » فِي الشَّعْرِ لَيْسَ بِعَيْبٍ أَيْضًا كَمَا ذَكَرَهُ ، لِأَنَّ أَصْلَ الْأَسْمَاءِ كُلِّهَا الصَّرْفُ ، وَرَدَّ الْأِسْمَ إِلَى أَصْلِهِ فِي الشَّعْرِ لَيْسَ عَيْبًا . وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الضَّرِيرُ وَأَبُو الْعَمَيْشِ شَلَّ الْأَعْرَابِيَّ عَلَى خِزَانَةِ الْأَدَبِ لَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ بِخِرَاسَانَ ، وَكَانَ الشَّاعِرُ إِذَا قَصَّصَهُ عَرَّضَ عَلَيْهِمَا شَعْرَهُ ، فَإِنْ كَانَ جَيِّدًا عَرَّضَاهُ أَوْ دُعِيَ بِهِ فَأَنْشَدَهُ ، وَإِنْ كَانَ رَدِيئًا نَبَذَاهُ وَدَفَعَ إِلَى صَاحِبِهِ الْبَرْدَ عَلَى غَيْرِ الشَّعْرِ . فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو تَمَامٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ قَصَّصَهُمَا وَدَفَعَ الْقَصِيدَةَ إِلَيْهِمَا ، فَضَمَّاهُمَا إِلَى أَشْعَارِ النَّاسِ ، فَلَمَّا تَصَفَّحَا الْأَشْعَارَ مَرَّتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ عَلَى أَيْدِيهِمَا ، فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى هَذَا الْإِبْتِدَاءِ طَرَحَاهَا عَلَى الشَّعْرِ الْمُنْبُذِ ، فَأَبْطَأَ خَبَرُهَا عَلَى أَبِي تَمَامٍ ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي الْعَمَيْشِ شَلَّ أَيْبَاتًا يُعَاتِبُهُ فِيهِمَا وَيَقُولُ :

وَأَرَى الصَّحِيفَةَ قَدْ عَمَلْتَهَا فَتَرَةً فَتَرَتْ لَهَا الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَامِ
ثُمَّ لَقِيَهُمَا فَقَالَا لَهُ : لِمَ لَا تَقُولُ مَا يُفْهَمُ ؟ فَقَالَ : وَلَمْ لَا تَفْهَمَانِ

ما يُقال ! ؟ فاستحسن هذا الجوابُ من أبي تمام . فلما دَخَلَ على عبد الله أنشده ، فلما بلغ إلى قوله :

وَقَلَقَلْ نَأَى مِنْ خُرَّاسَانَ جَاشَهَا فَقُلْتُ أَطْمَنِّي أَنْضِرُ الرُّوضُ عَازِبُهُ

والأبيات التي بعده صاح الشعراءُ وقالوا : ما يَسْتَحِقُّ مثل هذا الشعر إلا الأمير ! فقال شاعرٌ منهم يُعرَفُ بالرياحي : لي عند الأمير - أعزّه الله - جائزةٌ وعَدَّتِي بها ، وهي له جزاءٌ عن قوله ، فقال له الأمير : بل نُضَعِفُهَا لك ، ونَقُومُ بالواجب له جزاءٌ عن قوله . فلما فَرَّغَ من القصيدة نَشَرَ عليه ألف دينار ، فلقَطَها الغلمان ولم يَمَسَّ منها شيئاً ، فوجَدَ عليه الأميرُ فقال : يَتَرَفَعُ عن بَرِيٍّ وَيَتَهَاوَنُ بما أَكْرَمْتُهُ به ؟ ثم بَلَغَ بعد ذلك ما أَرَادَ منه ^(١) .

٢ إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْتَخْلِصْ ^(٢) الْحَزْمُ نَفْسَهُ

فَسَدِرَوْتُهُ لِلْحَادِثَاتِ وَغَارِبُهُ

يقول : إذا لم يُمَضِّ عَزِيمَتَهُ وَأَطَاعَ مَنْ لَا حَزْمَ لَهُ فَهُوَ سَرِيعٌ إِلَى التَّلَفِ .

٣ أَعَاذَلْتِي ^(٣) مَا أَخَشَنَ ^(٤) اللَّيْلَ مَرْكَبًا

وَأَخَشَنُ مِنْهُ فِي الْمُلِمَّاتِ رَاكِبُهُ

يقول : إِنَّ اللَّيْلَ مُظْلِمٌ صَغْبٌ لَا يَسْرَى فِيهِ إِلَّا الْجَزَلُ مِنَ الرِّجَالِ .

(١) القصة المذكورة في كتاب الصول « أخبار أبي تمام ص ١١٥ » وفيها : فابلى بعد ذلك ما أراد منه .

(٢) م ، د : « تستخلص الحزم نفسه » - م : « تستدرك » وبهامشها رواية الأصل - ظ : « تستخلص الحزم نفسه » ، وقال : في حاشية تفسير الخارزنجي : إذا المرء حاول أمراً ولم يجعل الحزم مقدمة له كالحلس يلقى على ظهر البعير ثم يوضع الرجل عليه فقدم سنامه عرضة للحادثات ، فكذلك هذا الرجل يجب أن يحزم في أمر يريده ليقف على مورده ومصدره فيسلم من الخطأ . وأراد بـ « ذروته وغاربه » أوله وآخره . وروى ابن المستوفى « إذا المرء لم تستخلص الحزم نفسه » وقال : وهذا معنى واضح ، والأول عندى أشبه بمنه لقله ذروته وغاربه .

(٣) م ، م : « أعاذلتا » وبهامش م رواية الأصل .

(٤) وجاء في ظ : في النسخة العجمية في الحاشية وفي غيرها :

أعاذلتا ما أحسن الليل مركباً وأحسن منه في الملمات راكبه =

٤ ذَرِينِي^(١) وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ^(٢) أَفَانِيهَا^(٣)

فَأَهْوَالُهُ الْعُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ

[ع] إذا رويت « أفانيها » بالفاء فهو يحتمل وجهين : أحدهما أن تكون المفاعلة من الفناء أى تُفْنِينِي وأفنيها ، والآخر أن تكون من الفناء أى تَنْزِلُ بفينائي وأنزلُ بفينائها . ومن روى « أفانيها » بالقاف فالمُقَانَاةُ المُدَارَاةُ والمخالطة ، تقول : قَانَيْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ إذا خَلَطْتَهُ - ومنه قوله :

كَبِكْرُ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ غَدَاها نَسِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ مُحَلَّلٍ^(٤)

ويروى « أعانيها » أى أَقَاسِهَا . ومعناه : أَنْ الْغِنَى مَعَ رُكُوبِ الشَّدَائِدِ .

٥ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الزَّمَاعَ عَلَى السَّرَى

أَخُو النُّجَحِ عِنْدَ الذَّائِبَاتِ وَصَاحِبُهُ؟

« الزَّمَاعُ » الْمَضَاءُ عَلَى الْأَمْرِ ، يَقُولُ : أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ مَنْ بَاشَرَ الْأَسْفَارَ ، وَتَرَكَ الْخَفْضَ ، وَابْتَدَلَ نَفْسَهُ ، أَنْجَحَ زَوَالَ الطَّلِبَةِ ؟ وَيُرْوَى « عِنْدَ الْحَادِثَاتِ »^(٥) .

= أَرَادَ يَا عَاذِلَتَاهُ فَحَذَفَ الْهَاءَ . وَقَالَ : اخْتَارَ أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ تَمَامٍ : « يَا أَحْسَنَ اللَّيْلِ مَرْكَبًا » وَقَاسَهُ عَلَى قَوْلِ الْآخَرِ :

يَا حَبِذَا الْقَمَرَاءُ وَاللَّيْلِ السَّاجِ وَطَرَقَ مِثْلَ مِثْلَاءِ النَّسَاجِ

وَقَالَ إِنَّهُ أَرَادَ التَّهْوِينَ لَا التَّهْوِيلَ ، فَلَوْ عَنَاهُ لَقَالَ « أَصْعَبُ » وَ « أَوْعَرُ » ، وَلَمْ يَسْمَعْ مَرْكَبَ خَشْنٍ . وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى عَقِبَهُ : رَوَايَةُ « أَحْسَنُ » أَحْسَنُ عِنْدِي فِي الْمَعْنَى لَمَّا ذَلَّ عَلَيْهِ مَا بَنَى عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْأَبْيَاتِ ، وَلَأنَّ التَّهْوِينَ هُنَا أَوَّلُ مِنَ التَّهْوِيلِ . وَالْأَوَّلُ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّيْلَ وَإِنْ كَانَ خَشْنُ الْمَرْكَبِ فَلَا يَرْكَبُهُ إِلَّا الْخَشْنُ وَلَا يَهْوِلُهُ . وَقَوْلُهُ « أَرَادَ يَا عَاذِلَتَاهُ فَحَذَفَ الْهَاءَ » هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْوَقْفِ وَلَا وَقَفَ هُنَا ، وَ « عَاذِلَتَا » بِالْأَلْفِ أَحَدُ الْوُجُوهِ فِي الْمَنَادَى الْمُضَافِ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ وَهِيَ : يَا غَلَامِي وَيَا غَلَامَ وَيَا غَلَامًا بِالْأَلْفِ ، وَقَالُوا يَا غَلَامِي بِتَحْرِيكِ الْيَاءِ ، وَالْأَوَّلُ أَعْرَفُ .

(١) م : « دَعِينِي » وَبِهَامِشِهَا : وَيُرْوَى « كَلِينِي » .

(٢) ل : « وَأَحْوَالَ الزَّمَانِ » .

(٣) م : « أَقَاسِهَا » - ل : « أَعَانِهَا » .

(٤) الْبَيْتُ مِنْ مَعْلُوقَةِ أَمْرِ الْقَيْسِ . (الْمَقْدُ الثَّمِينُ ص ١٤٨) .

(٥) وَهِيَ رَوَايَةُ م ، ل ، د .

٦ دَعِينِي^(١) عَلَى أَخْلَاقِ الصَّمِّ^(٢) لِلتِّي

هِيَ الْوَفْرُ أَوْ سِرْبٌ تُرْنُ نَوَادِبُهُ

[ع] يُرِيدُ أَنَّهُ عَزَمَ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ الْعَاذِلِ فَكَانَ أَخْلَاقَهُ صَمًّا عَلَى مَعْنَى الِاسْتِعَارَةِ . وَقَوْلُهُ « لِلتِّي هِيَ الْوَفْرُ » أَيْ لِلرَّحْلَةِ الَّتِي تُؤَدِّبُنِي إِلَى الْوَفْرِ أَيْ الْمَالِ . يَقُولُ : دَعِينِي أَرْتَحِلْ ، فَإِنَّمَا أَنْ أَتَمَوْلَ وَإِنَّمَا أَنْ يَتَقَوْمَ عَلَى سِرْبٍ نِسَاءٍ يَنْدُبُنَّ ، وَ « السَّرْبُ » الْجَمَاعَةُ مِنَ النِّسَاءِ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ .

٧ فَإِنَّ الْحَسَامَ الْهُندُوَانِيَّ إِنَّمَا

خُشُونَتُهُ^(٣) مَا لَمْ تُفْلَلْ مَضَارِبُهُ

(ق) : مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَزَمَ مِنْهُ وَالسَّعْيَ وَتَكَلَّفَ الْمَشَاقِّ فِي طَلَبِ الْأَرْزَاقِ إِنَّمَا يَأْتِي مَا دُمْتَ شَابِئًا لَمْ تَهْدُتْ فِي الْأَيَّامِ وَلَمْ تَوْهْ قَوَايِ السَّنُونِ ، فَأَمَّا إِذَا اسْتَبَدَّكَ بِالْقُوَّةِ ضَعْفًا ، وَبِالشَّيْبَةِ هَرَمًا ، وَبِالْخُشُونَةِ لِينًا ، فَلْيَنْتَبِهْ نُبُو السَّيْفِ الْكَهَامِ .

٨ وَقَلْقَلَ نَائِيَّ^(٤) مِنْ خُرَاسَانَ جَأَشَهَا

فَقُلْتُ اطْمَئِنِّي أَنْضِرُ الرُّوضِ عَازِبُهُ

« جَأَشَهَا » أَيْ جَأَشَ الْعَاذِلَةُ ، وَ « الْعَازِبُ » الْبَعِيدُ ، يَقَالُ : إِنَّ

(١) هـ س : وَيُرْوَى « كَلْبِي إِلَى » .

(٢) س : « الصَّمْلُ الَّتِي » - وَجَاءَ فِي ظ : وَرَوَى الصَّمْلُ : « دَعِينِي إِلَى أَخْلَاقِ الصَّمْلِ » ، وَفِيهَا : وَيُرْوَى « الْفَرُّ الَّتِي » وَ « الْفَرُّ الَّتِي » . وَفِيهَا أَيْضًا وَيُرْوَى « الصَّمْلُ » ، وَقَالَ : وَهِيَ جَمْعٌ صَامِلٌ وَهُوَ الصَّلْبُ الشَّدِيدُ .

(٣) جَاءَ فِي ظ : وَيُرْوَى « خُشُونَتُهُ » بِالْخَاءِ وَالْبَاءِ ، مِنْ قَوْلِهِمُ الْخَشِيبَ السَّيْفَ الَّذِي يَدْيُ طَبْعُهُ ، وَالْخَشِيبُ أَيْضًا الصَّقِيلُ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : وَفِيهَا أَيْضًا : وَرَوَى الْخَارِزْمِيُّ : « مَا لَمْ تَنْقَلْ مَضَارِبَهُ » أَيْ إِذَا لَمْ يَنْقَلْ مِنْ مَدُوسٍ إِلَى مَدُوسٍ بِالصَّقْلِ فَإِذَا تَعَاوَرَتِ الْمَدَارِسُ ذَهَبَتْ خُشُونَتُهُ وَاسْتَوَى مَتْنُهُ ، وَكَذَلِكَ أَنَا لَا أَصْبِرُ مَجْرَبًا مَا لَمْ أَبْتَذِلْ نَفْسِي فَأَمْتَبَهَا .

(٤) ل ، د : « نَائِي » .

الجأش القلب ، وقيل بل هو الصدور مثل الجؤشوش ، واشتقاقها واحد ، ومنه قولهم هو رابط الجأش أى يربط جأشه فيمنعه أن يطير ، فكأنه قد ربطه ، ويكون « الجأش » مفعولاً ، والآخر أن يكون فى تأويل هو رابط جأشه فيكون « الجأش » فاعلاً كأن قلبه يربطه عن الفرار ، وهذا نحو من قولهم طار قلبه فزعاً ، إلا أنه نقيضه . [ص] يقول : أحزنها بعدى إلى ^(١) خراسان ، فقلت أسكنى فإن الروض أنصره ما بعد ولم يكن قريباً فينال ^(٢) .

٩ وَرَكِبَ كَأَطْرَافٍ ^(٣) الْأَسِنَّةِ عَرَسُوا

عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِبُهُ

[ق] يجوز أن يكون شبه الركب بالأسِنَّة مَضَاءً وَتَفَادًا ، ويجوز أن يكون شبههم بها نَحَافَةً وَهَزَالًا . فأما قوله « عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا » فيجوز أن يكون أراد : جعلوا تعريسهم على ظهور إبلٍ دقاقٍ مهازيل لأخذ السفَر منها وتأثيره فيها ، ويجوز أن يكون أراد : نزلوا بمنزل سَوَاءٍ وَمَكَانٍ شَتَّى صَعَبَ فكَانَهُمْ عَلَى الْأَسِنَّةِ قَلْبَقًا وَنُبُوًّا جَنْبًا * كقوله ^(٤) :

وَاللَّمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ كَأَنَّهَا مُعَرَّسٌ يَعْشُوبُ بِرَأْسِ سِنَانٍ

١٠ لِأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ

وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ ^(٥)

(١) فى ظ : ويجوز أن تكون « من » هنا بمعنى « إلى » وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض . ويجوز أن تكون لابتداء الغاية أى ابتداء البعد عن خراسان .

(٢) قال ابن المستوفى : قالوا وعاب هذا على أبي تمام عبد الله بن طاهر فقال جملنى عازباً ، والعازب البعيد ، وأنا أدعى فى كل وقت . (٣) م ، ل : « كأمثال » .

(٤) يريد كقول الأول كما جاء فى ظ . وهذا البيت مما استشهد به أبو العلاء فى شرحه على بيت

أبي تمام . (٥) قال الصول : نقل هذا المعنى من قول بعض العرب ، أنشده أبو عجم :

غلام وغى تقمها فأبلى فخان بلاه الزمن الخوون

وكان على الفتى الإقدام فيها وليس عليه ما جنت المتنون

(أخبار أبي تمام ص ٥٣) .

١١ عَلَى كُلِّ رَوَّادٍ (١) الْمَلَاطِ تَهْدَمَتْ

عَرِيكَتُهُ الْعَلْيَاءُ وَانْضَمَّ حَالِبُهُ

١١ - [ع] « رَوَّادٍ » من قولهم رَادَ يَرُودُ إِذَا ذَهَبَ وَجَاءَ . و « الْمَلَاطِ » رأس الكتف ، وقيل هو العضد . وَأَنْ يَكُونَ الْكَتِفَ وَرَأْسَهَا أُولَى ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِلْعَضُدَيْنِ ابْنَا مِلَاطٍ ، وَهَمْ يَصِفُونَ الْإِبِلَ بِمَوْرِ الْأَعْضَادِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ مَارَ يَمُورُ إِذَا ذَهَبَ وَجَاءَ . و « الْعَرِيكَة » السنام ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ عَرِيكَةً لِأَنَّهُ يُعْرَكُ بِالْيَدِ لِيُسْتَظَرَ مَا حَالُهُ فِي السَّمَنِ وَالْهَزَالِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لَهُ عَرِيكَةً لِأَنَّهُ يُعْرَكُ بِالرَّكُوبِ وَالْحَمَلِ . وَقَوْلُهُ « الْعَلْيَاءُ » جَاءَ بِهَا كَالْمُسْتَعَارَةِ ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاضِعِ الْعَلْيَاءِ الْمَمْدُودَةِ وَلَكِنَّهُ مِنْ مَوَاضِعِ « الْعَلْيَاءِ » فِي وَزْنِ « الْفَعْلَى » لِأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ تَهْدَمُ سَنَامُهُ لَقُلْتَ الْأَعْلَى ، وَالْفَعْلَى أَنْثَى الْأَفْعَلِ . و « الْحَالِبِ » عِرْقٌ يَسْتَصِلُ بِأَسْفَلِ الْبَطْنِ ، يَعْنِي أَنَّهُ قَدْ ضَمَرَ .

١٢ رَعَتُهُ الْفَيَافِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً

رَعَاهَا وَمَاءُ الرُّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ

« الْفَيَافِي » الْأَمَاكِنُ الْخَالِيَةُ . وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ قُطِعَتْ عَلَيْهِ الْقِفَارُ مِنَ الْأَرْضِ فَهَزُلَ بَعْدَ مَا كَانَ سَمِينًا ، فَكَأَنَّهَا رَعَتُهُ بَعْدَ مَا رَعَى نَبْتَهَا .

١٣ فَأَضْحَى الْفَلَاقُ جَدًّا فِي بَرَى نَحْضِهِ (٢)

وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَاكَ يُلَاعِبُهُ

« الْفَلَا » جَمْعُ فَلَاةٍ وَهِيَ الْقَفَرُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَإِذَا كَانَ الْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ هَاءُ التَّأْنِيثِ جَازَ فِيهِ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ ، مِثْلُ أَرْطَاةٍ وَأَرْطَى ، وَسِدْرَةٍ وَسَدَرَ . و « الْبَرَى » مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَيْتُ الْعُودَ وَالْقَلَمَ ، وَأَصْلُ الْبَرَى الْقَطْعُ ، وَيُقَالُ بَرَاهُ السَّفَرُ كَأَنَّهُ أَخَذَ مِنْ لَحْمِهِ كَمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْعُودِ إِذَا بُرِيَ .

(١) ل ، د ، ظ ، هـ س : « موار الملاط » .

(٢) د : « شخصه » .

و «التحنّض» اللحم . [ع] يقول : جَدَّ الفلاني برّى هذا المركوب لأننا
جَدَدنا في السيّر ، وكان قبل ذلك كأنّه يُلاعِبُه ، ويحتمل أن يعنى
بالملاعبة أيام رَعاه ، لأنّ اللّعبَ إراحةٌ وأشهر ، والجِدَ لا راحةَ فيه .

١٤ فكم جذعٍ وادٍ جبّ ذرّوة غاربٍ
وبالأمس كانت^(١) أتمكته مَذَانِبُهُ؟

«جذع الوادى» مُنْعَطَفُه ، و «جبّ» أى قَطَعَ قطعاً باستئصال ،
[ع] و «الذرّوة» أعلى الشىء ، وقد يُسمّى السّنامُ ذرّوةً ، فيجوز أن يعنى
بقوله «ذرّوة غارب» أعلى الغارب وهو ما قدّام السّنام ، ويُمكن أن يعنى
السّنام الذى هو يلكى الغارب ، والذرّوة فى هذا القول ليست من الغارب ، وهى
فى القول الآخر بعضه . و «أتمكته» أَسْمَنَتْهُ وأطالته ، و «المذانب»
مَسَائِلُ الماء فى الأودية ، وهذا المعنى قد تكرر فى الأبيات ، وبعضها شرحٌ
لبعض * ، ونحو منه قولُ الشاعر :

رَدَّتْ عَوَادِيَّ غِيْطَانُ الْفَلَاوَنَجَّتْ بِمِثْلِ أَيْبَالَةٍ مِنْ حَائِلِ الْعُشَرِ^(٢)

١٥ إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الشَّمْسِ^(٣) كَلَمَّا
هَبَطْنَا مَلَأَ^(٤) صَلَّتْ عَلَيْكَ سَبَابِسُهُ

أراد بـ «مغرب الشمس» الشّامَ ، «جزعنا» أصله مِنْ جَزَعْتُ الْوَادِيَّ
إذا قَطَعْتَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ ، ومنه قيل جَزَعُ الْوَادِي . وهذا كثير فى المصدر
والاسم ، تقول جَزَعْتُ جَزْعًا وَطَحَحْتُ طَحْحًا وَذَبَحْتُ ذَبْحًا ، فيكون
المصدر مفتوحاً ويُكسر الاسمُ من ذلك ، فتقول الجِزْعَ والذَّبْحَ والطَّحْنَ .

(١) ظ : «وكانت قديماً» .

(٢) يريد أنها ناقة قوية على الرحلة لا تبالى ما تلقى من أهوال الطريق وصاعبه ، فإنها تنجو
بأرجلها المشبهات حمزة من سيقان العشر الحائل اللون ، والعشر شجر ضخم حسن المنظر .

(٣) س : «مغرب الملك» وبهامشها رواية الأصل .

(٤) س : «وسطنا فلا» - م ، د ، ظ : «وسطنا ملا» .

و«الملا» الأرض الواسعة ، وأصل «الهبوط» الانحدار ، وجرت الاصطلاح على أن يقولوا نزلنا أرض كذا وهبطناها إذا حلّوها وإن كانت مرتفعة ، وأصل ذلك أن الرّاكب ينزل عن ظهر دابته فيكون كالحابط .

١٦ فلو أن سيرا^(١) رُمْنَهُ فَاسْتَطَعْنَهُ

لصاحبِننا سوقاً إليك مغاربة

[ع] قوله «رُمْنَهُ» أعاده على «السباسب» ، وقد يجوز أن يعنى «رُمْن» المغارب ، ويكون قوله «صاحبِننا» على مجرى قول الفرزدق : ولكن ديا في أبوه وأمه يحوران يعصرن السليط أقاربه^(٢) ولو روى «لصاحبِننا» لكان وجهاً ، إلا أنه أنيس بالنون لقوله في أول البيت «رُمْنَهُ» و«استطعننه» .

١٧ إلى ملك لم يلق كل كل بأسه

على ملك^(٣) إلا وللذل جانبه

«كل كل بأسه» أى صدره ، استعاره للبأس وأصله للحيوان .

١٨ إلى سالب الجبار بيضة ملكه

وأمله غاد عليه فسالبة

[ع] «بيضة ملكه» يحتمل وجهين : أحدهما أن يعنى بالبيضة معظم الشيء وأكرمه وحقيقته ، وهذا هو الوجه الجيد ، ومما استعملوا في البيضة وكونها معظم الشيء وحقيقته قول الشماخ : طوى ظمئها في بيضة الصيف بعدما جرت في عنان الشعريين الأماعز^(٤)

(١) هـ : ويروى «فلو أن شرقاً» .

(٢) الديوان ص : ٥٠ .

(٣) هـ ب : «على فاكث» .

(٤) الديوان : ص ٤٤ .

ويجوز أن يُقدَّر كل واحد من المفعولين ها هنا سَلَبًا ومَسْلُوبًا فيكون مرةً على قولك سَلَبْتُ الجَبَّارَ بِيَضَةً مُلْكُهُ والجَبَّارُ هو المَسْلُوبُ والبِيَضَةُ هي السَلَبُ ، ومرةً على أن يكون « البِيَضَةُ » مقدَّرةً على معنى المفعول الأول ويكون « الجَبَّارُ » هو السَلَبُ .

١٩ وَأَيُّ مَرَامٍ عَنْهُ يَعْدُو نِيَاطُهُ^(١)

عَدَا أَوْ تَفَلُّ^(٢) النَّاعِجَاتِ أَخَاشِبُهُ؟

يقع في بعض النسخ « نِيَاطُهُ غَدَاً » وفي بعضها « مَدَى » والصواب ما أثبت وفُسِّرَ فلا يُعدَّل عنه إلى غيره . (ع) . « عَدَا » من قوَّطِمَ عَدَانِي عن الشيء إذا صَرَفَنِي عنه ، وَيَسْتَعْمَلُونَ « النِّيَاطُ » في معنى البُعْد ، وأصلُ النِّيَاطِ مِيزَ نَاطَ الشيءَ بالشئِ إذا عَاطَقَهُ بِهِ ، وإنما قالوا إذا ذكروا الحَزْنَ أو المَهْمَةَ قطعَ نِيَاطَهُ أي قطعَ ما اتصلَ مِنْ أَرْضِهِ . و « الْأَخَاشِبُ » جمعُ أَخَشَبَ وهو المكان الغليظ ، وربما قالوا هو الجبل . و « النَّاعِجَاتِ » من الإبل التي تَسِيرُ النَّعَّاجَانِ وهو ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ . و « نِيَاطُهُ » في البيت مرفوعٌ بـ « يَعْدُو » . والمعنى أَنَّهُ اسْتَفْهَمَ فَقَالَ : وَأَيُّ مَرَامٍ مُسْتَصْعَبٍ جَرَتْ عَادَتُهُ بِأَن يَعْدُو نِيَاطَهُ السَّائِرِينَ عَدَانًا عَنْ قَصْدٍ هَذَا الْمَمْلُوحُ ؟ كما تقول : أَيَّ خَطْبٍ يَمْنَعُ مِنَ السَّيْرِ مِنْغَى مِنَ السَّيْرِ إِلَيْكَ ؟ أَيُّ إِنِّي لَا أَعْتَاقُ عَنْكَ . هَذَا كَلَامُ أَبِي الْعَلَاءِ فِي هَذَا الْبَيْتِ . وقال المرزوقي : « أَوْ تَفَلُّ » رفع معطوف على « يَعْدُو » والمعنى : أَيُّ مَطْلَبٍ يَصْرِفُ بَعْدَهُ عَنْ هَذَا الْمَمْلُوحِ أَوْ تُكْسَرُ وَيُثَلَّثُ هَضَابُهُ وَأَوْعَارُهُ الْإِبِلِ السَّرَّاعُ دُونَهُ ؟ أَيُّ لَا تُسْتَبْعَدُ الْمَطَالِبُ فِي جَنْبِهِ وَلَا تُسْتَوْعَرُ الطَّرِيقُ دُونَهُ ، والدليل على صحة هذا التفسير قوله :

(١) هي رواية م ، م - د ، هـ ب : « يبعد شأوه مدى » وهي رواية أبي مالك كما قال الصولي في ظ . وقال الصولي أيضاً : ويروى : « أي مرام عنه يعدوه شأوه مدى » . ويظهر أن رواية الأمدى « عدا » مقصور « عدا » قال في شرحه : « عدا » جاء به مقصوداً ضرورة وهو ممدود نعت للمرام ، والعداء الحشن ، ومكان متعاد إذا لم يستقر فيه شيء لفظه وخشونته ، يريد : أي مرام عدا يصرف عن سبيله . . .

(٢) م ، ظ : « أو تكل » .

٢٠ وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاوَهُ

وَسَهَّلَتِ الْأَرْضُ الْعَزَازَ كَتَائِبُهُ

[ق] وإذا جُمعَ بين البيتين فتلخيصهما : أى مَرَامٍ يعدو نياطُهُ عنه وقد قَرَّبَ المرمَى البعيدَ رجاوَهُ ، وكيف تَقُلُّ الناعجات أخاشبُهُ وقد سَهَّلَتِ الأرضَ العَزَازَ كَتَائِبُهُ ؟ ! وأكثر من رأيناه كان يروى « أَوْ تَقُلُّ » بفتح اللام ، كأنه يريد « إلا أن تَقُلُّ » ويكون المعنى عنده : أنه لا يَقْصُرُهُ عنه بُعْدُ إلا أن تُسْقَطِ الأخاشبُ إبلَهُ وتَكْسِرَها فيُحَالِ بينَهُ وبينه ، وهذا بما رويناه وفسرناه ظاهرُ السقوط والفساد . * و « العَزَاز » الصُّلْبُ من الأرض .

٢١ إِذَا أَنْتَ وَجَّهْتَ الرُّكَّابَ لِقَصْدِهِ

تَبَيَّنْتَ طَعْمَ الْمَاءِ ذُو أَنْتَ شَارِبُهُ

[ع] طَيَّ تَسْتَعْمَلُ « ذُو » فى معنى « الذى » وتُلْزِمُهَا الْوَاوُ فى الرَّفْعِ والنَّصْبِ والخَفْضِ ، وأنشد :
قُولَا لِهَذَا الْمَرْءِ ذُو جَاءَ سَاعِيًا هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِقَ الْفَرَاثُ
والمعنى أنك إذا سِرْتَ إلى هذا الملك تبينْتَ اليُسْمَنَ والتيسيرَ فى مَسِيرِكَ ، فكأنك من قبل الْوَرْدِ تجد طعمَ الماء الذى تَرِدُ ، وتعلم أنه نهايةٌ فى العذوبة ، يريد الماء الذى أنت شاربُهُ من بعد .

٢٢ جَدِيرٌ بَأَنَّ يَسْتَحْيِيَ اللَّهَ بَادِيًا

بِهِ ثُمَّ يَسْتَحْيِي النَّدَى وَيُرَاقِبُهُ

(ق) : يعنى أن الممدوحَ يَبْعَثُهُ على الكَرَمِ والصبرِ على الإنفاقِ فى إقامة معالم الندى وإحيائها أمران : أحدهما الحياء من الله فى إقامة المعاذير عند ترك البَذَلِ ، والثانى الحياءُ من السخاء ومراقبة المروءة ، فرَغَبَتْهُ فى اكتساب رضا الله بالنَّدَى ، وجهدهُ فى عِمارة المروءة وتحصيل الثناء من الناس ، يَهْزُنْهُ للْبَذَلِ وَيُصْبِرْهُ عَلَى مَا يَلْحَقُ النَّفْسَ فيه من التعب . [ع] و « يستحى »

الثانية رفعها لمكان القافية ولأنه لا يمكن فيها غير ذلك ، ولو جعلها في موضع نصب لكان قد أسكنَ الباء في موضع التحريك وذلك ردىء ، والكوفيون يرون أنَّ النَّاصِبَ إذا لم يَصْحَبِ الفِعْلَ فرفعُهُ جائز ، ورفعُهُ « يستحي » أو كدُّ لرفع « يراقبه » لأنَّ المرفوعَ يكون تابعاً لمثله .

٢٣ سَمَا لِلْعُلَى مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا
سُمُوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ^(١) غَوَارِبُهُ

٢٤ فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيدُهُ
وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهُ

٢٥ وَدُو يَقْظَاتٍ مُسْتَمِرٍّ مَرِيرُهُـَا
إِذَا الْخَطْبُ لَاقَاهَا^(٢) اِضْمَحَلَّتْ نَوَائِبُهُ

٢٥ - [ع] أصل «المريرة» القوة من قُوَى الحَبَل ، ويقال للحبل مَرِيرَةٌ إذا كان دقيقاً شديد الفَتْل ، وهو من أَمَرْتُهُ إذا أَحَكَمْتَ قَتْلَهُ ، ثم قالوا للشيء إذا اطرَد وتتابع على حالة واحدة قد استمرَّ على مَرِيرِهِ .

٢٦ وَأَيْنَ بِوَجْهِ الْحَزْمِ^(٣) عَنْهُ وَإِنَّمَا
مَرَأِي^(٤) الْأُمُورِ الْمُشْكِلَاتِ تَجَارِبُهُ؟

يقول أين يُعَدَّلُ عنه بوجه الحزم ؟ وتُضْمِرُ الفعل ، أى كيف يُبْهَمُ عليه وجهُ الرَّأْيِ وهو ينظر بتجاربه إلى العواقب فكأنه ينظر إليها بالمرأى جمع مِرَاة .

(١) س : « البحر » .

(٢) د : « لاقاه » .

(٣) د : « بوجه الرأى » .

(٤) هـ س : « مرأى الأمور » .

٢٧ أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ

مَهَايِعُهُ الْمُثَلَّى وَمَحَتْ لَوَاجِبُهُ^(١)

« مَهَايِع » جمع مَهَيج وهو الطريق الواسع السابيل بالناس وغيرهم ، كأنه أخذ من قولهم هَاجَ يَهْجِع إذا قاء ، يُرَادُ أَنَّهُ يَقِيءُ النَّاسَ . و « الْمُثَلَّى » التي لها الفضل والطول ، وإنما أخذ من قولهم مَثَّلَ الشَّيْءُ إذا ظهر ، ثم قالوا هذا أمثلُ من هذا أى أظهرُ وأرفع ، فالْمُثَلَّى هو أنثى الأمثل . « وَمَحَتْ » من مَحَّ الثَّوْبُ إذا خُلِقَ . و « لَوَاجِب » جمع لَاحِب وهو الطريق الواضح . و « الْمِنْهَاج » الطريق الواضح وهو المَسْهَج والنَّهْج .

٢٨ ففى كُلِّ نَجْدٍ فى الْبِلَادِ وَغَائِرِ^(٢)

مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهَى مَوَاهِبُهُ

[ع] يعنى : « غَائِر » غَوْرًا ، وكأنه على حذف الموصوف ، تقديره وفى كل نجد ومكان غائر . [ق] يقول : عَرَفَ النَّاسَ طَرِيقَ النَّدَى وَعَلَمَهُمُ الْجُودَ ، فَكَانَ مَا يَسْتَكَلِّفُونَهُ مِنْهُ وَيُقِيمُونَهُ هُوَ الْفَاعِلُ لَهُ ، إِذْ كَانَ هُوَ السَّبَبُ فِيهِ وَالْقُدْوَةُ ، وَيَبْدُلُ عَلَيْهِ الْبَيْتُ الَّذِى قَبْلَهُ * أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ * : أى درست^(٣) .

٢٩ لِتُحَدِّثْ لَهُ الْآيَامُ شُكْرَ خِنَاعَةٍ^(٤)

تَطِيبُ صَبَا نَجْدٍ بِهِ وَجَنَائِبُهُ

« شُكْرَ خِنَاعَةٍ » أى شُكْرًا عَنْ ذِلَّةٍ ، مِنْ قَوْلِهِمْ خَسَعَ إِذَا ذَلَّ .

(١) ترتيب هذا البيت فى س يأتى بعد التالى له .

(٢) د : « فى كل شرق فى البلاد ومغرب » وروها ظ .

(٣) قال ابن المستوفى : أخذ المعنى من قول أبى نواس وزاد عليه :

علم الناس الندى فندوا فكان البخل لم يكن

(٤) قال الصولى : ويروى « لتشكر له الأيام » وقال : ويروى « شكر ضراعة » .

٣٠ فَوَ اللَّهِ^(١) لَوْ لَمْ يُلْبِسِ الدَّهْرَ فَعْلَهُ^(٢)

لَأَفْسَدَتِ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ مَعَايِبُهُ
«الْقَرَّاحُ» الخالص الصافي و «معايب» لا تُهمَز لأنَّ بَاءَها أَصْلِيَّةٌ ،
يقول : لو لم يلبس الدهر بعدله لفسد كل صالح .

٣١ فَيَا أَيُّهَا السَّارِي أَسِرْ غَيْرَ مُحَاذِرٍ
جَنَانَ ظَلَامٍ أَوْ رَدَى أَنْتَ هَائِبُهُ
يعنى : «الجنان» ما سَتَرَ من ظلمته ، ويقال جَنَانٌ وجنون .

٣٢ فَقَدْ بَثَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انْتِقَامِهِ
عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عَقَارِبُهُ
أى مَنْ كَانَ لَا يَسْرِى خَوْفًا وَفَزَعًا فَلْيَسْرِ فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ مَنَعَ الدَّهْرَ
من عَوَادِيهِ .

٣٣ يَقُولُونَ إِنَّ اللَّيْثَ لَيْثٌ خَفِيَّةٌ
نَوَاجِذُهُ مَطْرُورَةٌ وَمَخَالِبُهُ
[ع] «خَفِيَّةٌ» اسم موضع تُنسَبُ إليه الأسدُ ، غير مصروف
و«المَطْرُورَةُ» المَحْدَّةُ ، والأَجُودُ أَنْ يَكُونَ «لَيْثٌ خَفِيَّةٌ» مَرْفُوعًا عَلَى خَبَرٍ «إِنَّ» ،
وَيَكُونُ عَلَى تَقْدِيرِ قَوْلِهِمُ الرَّجُلُ فُلَانٌ ، أَيْ الرَّجُلُ الَّذِي حَقُّهُ أَنْ يُذَكَّرَ وَيُوصَفَ ،
وَالْمَعْنَى اللَّيْثُ الَّذِي يُرْهَبُ فَتُنْتَقَى صَعُولَتُهُ لَيْثٌ خَفِيَّةٌ ، فَإِنَّ نَصَبَ «لَيْثٌ خَفِيَّةٌ»
عَلَى الْبَدَلِ ضَعْفُ الْمَعْنَى ، لِأَنَّ الْغَرَضَ بِصِيرِ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ لَيْثٍ خَفِيَّةٍ بِأَنَّ
نَوَاجِذَهُ مَطْرُورَةٌ وَمَخَالِبُهُ ، وَهَذَا مَعْلُومٌ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْهُ ، وَكُلُّ
لَيْثٍ فِي الْأَرْضِ يُوصَفُ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَى ضَعْفِهِ قَدْ يَحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ .

(١) هـ : « فاقسم » .

(٢) د : « شكره » .

٣٤ وما اللَّيْثُ كُلُّ اللَّيْثِ إِلَّا ابْنُ عَشْرَةٍ

يَعِيشُ فُوقَ نَاقَةٍ وَهُوَ رَاهِبُهُ

[ق] يريد أن الناس إذا ذكروا الشدة والجلالة وقوة القلب والثبات في اللقاء نسبوها إلى الأسد الصلبة الأنياب المحددة الخالب ، وليس الليث النائم الليثية إلا صاحب جناية على هذا الممدوح يعيش مقدار ما بين حلسبتى ناقة على معرفته به وخوفه منه * . [ع] والرواة مجمعون على إضافة « فُوقَ » إلى « ناقة » مع بيان الزحاف . ولو رواه راو « فُوقًا ناقة » فنصب « الفُوق » ونوته لحاز في العريضة ، ولا ينبغي أن يعدل عن الرواية الأولى . ووجه الرواية الثانية أن يكون التقدير : يعيش فُوقًا فُوقَ ناقة ، فحذف « فُوقًا » الأول ، كما قال جل وعز « وسل القرية » وأقام الاسم الثاني مقام الأول * كما قال :

كَأَنَّ خَزَا تَحْتَهُ وَقَزَا

أَوْ فُرُشًا مَحْشُوءَةً إَوْزَا

أى ريش إَوْزٍ^(١) .

٣٥ وَيَوْمَ أَمَامَ الْمُلْكِ دَحْضٌ وَقَفْتُهُ

وَلَوْ خَرَّ فِيهِ الدِّينُ لَا نَزَالَ كَاتِبُهُ

[غ] مكان دَحْضُ أى يُدَحْضُ عنه ، يقال دَحَضَ إِذَا زَلَّ . ويرى « لانها كاتِبُهُ »^(٢) و « لانهد كاتِبُهُ » فإذا روى « انهال » فهو من هَلَتْ التراب أهيله إذا دفعته بكثرة ، وكذلك هَلَتْ الدقيق ونحوه . « وكاتِبُهُ » من قولك كتبت الشيء إذا جمعته ، ومنه قيل للرمل المجتمع كَتِيبٌ أى كأنه قد جمع ، وإذا صححت الرواية على هذا اللفظ فالمعنى مُرَادٌ به المبالغة ، وذلك أن الكَتِيبَ هو الذى جرت عادته بالانهيال ، فإذا انهال الكاتب فهو أعظم للشأن وأشد

(١) قال ابن المستوفى في الرد على أبي العلاء : هذا تأويل بعيد ، واحتمال هذا الزحاف في أشعارهم الموجود في أوزانهم أول من هذا القياس القليل وجوده ، على أنى قد رأيت في غير نسخة « يعيش فُوقَ ناقة » على تشبيه « فُوقَ » ، ورواية « فُوقَ » مفرداً مزاحفاً أحسن منه مثنى ومنوناً .

(٢) هى رواية م ، ظ ، د ، هـ س .

للخَطْب ، وهذا كما تقول : لئن لَبِيسَ فلانٌ ثَوْبًا لأُخْرِقَنَّ اللابس ، فهذا أشدّ مبالغةً من تخريق الملبوس . واستعار الانهيار للكاتب ، وقويّت الاستعارة ها هنا لما كانت اللفظة مستعملة للكثير . ومن روى « لانهدَّ كاتبُه » جاز يكون من الكاتبة وهى موضع يدِ الفارس بالرمح من ظهر الفرس ، من قول النابغة :

لَتَهُنَّ عليهم عادةٌ قد عرفنها إذا عُرِضَ الخَطِيُّ فوق الكواثِبِ (١)
وتستعمل الكاتبة فى الإنسان وهى الكتند أو نحوه ولا يعرف إلا بالهاء ، فإن كانت اللفظة يراد بها ذلك فيجوز أن يكون حذف الهاء لمكان الإضافة ، لأنهم يجرؤون على حذفها مع المضاف ، كما قالوا لإلحُ الرجلِ يريدون إلاحتَه ، وقام ولأها أى ولأنتها ، * قال الراجز :
* قامَ ولأها فسقوها صرَّخداً *

وقال كثير :

ألاحك بالبرقِ الياقِ وقد بدت من الهجرِ أشرطله وهو رائح (٢)
وأراد بالكاتب أصل العنق . ومعنى البيت : أنك وقفت قدّام الملك تدب عنه فى منزلة لو سقط فيه الدين لاندقت عنقه .

٣٦ جَلَوْتَ بِهِ وَجْهَ الْخِلَافَةِ وَالْقَنَا

قَدْ اتَّسَعَتْ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَذَاهِبُهُ

٣٧ شَفَيْتَ صَدَاهُ وَالصَّفِيحَ مِنَ الطُّلَى

رُؤَاؤُ نَوَاحِيهِ عِذابٌ مَشَارِبُهُ

[ع] « الصَّفِيح » جمع صفيحة وهو السيف العريض ، و « الطُّلَى »

جمع طُلُية وهى صفحة العُنُق * وربما قيل فى واحد الطُّلَى طُلُاة * .

(١) الديوان ص : ٤٣ . (٢) لم أجده فى ديوان كثير المطبوع بالجزائر .

(٣) م : « مقيت صداه » - س : « رضيت صداه » - وجاء فى ظ ؛ وروى الحارزنجي : « نقت صداه » ، وروى « رضيت جاده » وقال فى حاشية النسخة العجمية : « رميت صداه » أى عطش اليوم بالدماء .

٣٨ لِيَالِي لَمْ يَقْعُدْ بِسَيْفِكَ أَنْ يَرَى
هو المَوْتُ إِلَّا إِنَّ عَفْوَكَ غَالِبُهُ^(١)

يقول : لَمَّا قَدَرْتُ عَفْوَتِ عَفْوَكَ سَيْفَكَ .

٣٩ فَلَوْ نَطَقْتَ حَرْبٌ لَقَالَتْ مُجِئَةً :

أَلَا هَكَذَا فَلْيَكْسِبِ الْمَجْدَ كَاسِبُهُ

٤٠ لِيُعْلَمَ أَنَّ الْغُرَّ مِنْ آلِ مُضْعَبٍ

غَدَاةُ الْوَغَا آلُ الْوَغَا^(٢) وَأَقَارِبُهُ

٤١ كَوَاكِبُ مَجْدٍ يَعْلَمُ اللَّيْلُ أَنَّهُ

إِذَا نَجَمَتْ^(٣) بَاءَتْ بِصُغْرِ^(٤) كَوَاكِبُهُ

٤٢ وَيَا أَيُّهَا السَّاعِي لِيُذْرِكَ شَأُوهُ

تَزْحَرْحُ قَصِيًّا أَسْوَأُ الظَّنِّ كَاذِبُهُ

٤٣ بِحَسْبِكَ مِنْ نَيْلِ الْمَنَاقِبِ^(٥) أَنْ تُرَى

عَلِيماً بِأَنْ لَيْسَتْ تُنَالُ مَنَاقِبُهُ

[ع] يريد حسبك فزاد الباء ، وهي تُزَادُ مع « حَسَبَ » في الابتداء .

ومنه قول الأول^(٦) :

(١) جاء في ظ قال الصولي ويروى : « يبيد العدى والعفو عندك غالبه » .

(٢) جاء في ظ : ويروى « أسود الوغى أصهاره وأقاربه » .

(٣) س : « إذا أنجحت »

(٤) قال الصولي ويروى « باءت بذل » وهي في ه س ، وروتها ظ - وقال الصولي أيضاً :

ويروى « باتت » وهو تصحيف .

(٥) د : « المراتب » .

(٦) البيت في اللسان (مادة : ضرر) في أبيات للأشعر الرقبان الأسدى .

بحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فهم غنيٌّ مُضِرٌّ
أى لك ضرةٌ من المال . و « المناقب » المكارم واحدها منقبة ، كأنها
أخذت من أنها تنقب الصخر من عظمها ، وتنقب قلب الحسود ، وقيل
إنما سُميت منقبة لأنها ينقب عنها أى تظهر وتكشف .

٤٤ إذا ما امرؤ ألقى بربعك رَحْلَهُ
فقد طالبتَه بالنجاحِ مطالِبُهُ

وقال يمدح إسحق بن إبراهيم بن مُصْعَب :

١ قُلْ لِلْأَمِيرِ الَّذِي قَدْ نَالَ مَا طَلَبَا
وَرَدَّ مِنْ سَالِفِ الْمَعْرُوفِ مَا ذَهَبَا^(١)

الأول من البسيط والقافية متراكب .

أى قد أعاد من المعروف ما قد درَس .

٢ مَنْ نَالَ مِنْ سُودَدَ زَاكَ^(٢) وَمِنْ حَسَبِ

مَا حَسَبُ وَاَصِفِهِ مِنْ وَصْفِهِ حَسَبَا

[ع] « مَنْ نَالَ » بدل من الأمير ، وينتهى الكلام عند قوله « مَا حَسَبُ »
واصفه من وصفه « كما يُقال حَسْبُكَ مِنْ فَضْلِ فلان ، وتسكت ويكون
الكلام تاماً ، ثم نَصَبَ « حَسَبَا » على التفسير . أى وَصَفُ حَسَبِ هذا الرجل
حَسَبُ لَوَاصِفِهِ فَالشُّعْرَاءُ يُفْتَخِرُونَ بمدحه .

٣ إِذَا الْمَكَارِمُ عُقَّتْ وَاسْتُخِفَّ بِهَا

أَضْحَى النَّدَى وَالسَّدى أُمَّا لَهُ وَأَبَا

أى إِذَا عُقَّتِ الْمَكَارِمُ وَاسْتُخِفَّ بِهَا ، أى رَفَضُوهَا ، فَإِنَّهُ يَسَبِّرُهَا كِبَرِ
الْأَمِّ وَالْأَبِ . و « السَّدى » و « النَّدى » متقاربان ، وربما فَرَّقَ أَصْحَابُ
النُّقْلِ بَيْنَهُمَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : النَّدى مَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْأَرْضِ ، وَالسَّدى مَا وَقَعَ
عَلَى التُّرَابِ ، وَقِيلَ : السَّدى مَا أَصَابَ الرُّوضَ وَالشَّجَرَ مِنَ النَّدى ، وَقِيلَ : بَلْ

(١) رواية البيت في س :

قل للأمير تجدد للقول مضطرباً وتلق في كنفه السهل والرحبا

(٢) ظ : ويروى « من سودد باق » ، وهذا البيت والأبيات الأربعة التالية له لم ترد في س .

هو ما سقط بالليل ، ثم نُقل ذلك إلى صفة الرجل ومدحه ، وهذه الأقوال مُتشابهة مُتقاربة .

٤ تَرْضَى السُّيُوفُ بِهِ فِي الرُّوعِ مُنْتَصِرًا
وَيَغْضَبُ الدِّينُ وَالدُّنْيَا إِذَا غَضِبَا

٥ فِي مُضْعَبِيَّيْنِ مَا لَاقَوْا مُرِيدَ رَدَى
لِلْمُلْكِ إِلَّا أَصَارُوا خَدَّه تَرَبَا
« مُضْعَب » من أولاد عبد الله بن طاهر .

٦ كَانَهُمْ وَقَلَنْسِي الْبَيْضِ فَوْقَهُمْ
يَوْمَ الْهَيَاجِ بُدُورٌ قُلْنِسَتْ شُهْبَا

« قَلَنْسِي » أراد جمع قَلَنْسُوَة ، فلما حذفت الهاء وقعت الواو طرفًا وقبلها ضمة قُلْبَتْ إلى الباء ، ومن قال قُلْنَسِيَّة في الواحد قال قُلْنَس في الجمع ، ولَمَّا بَنَى الْفِعْلُ مِنَ الْقَلَنْسُوَةِ قَالَ قَلَنْسَ فَأُثْبِتَ النُّونُ ، « وَفَعَّل » بِنَاء قَلِيل ، إِلَّا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُشَبَّهَ بِقَوْطَمِ تَمَسَّكَنَّ الرَّجُلُ فَظُنُنْتُ الْمِمْ أَصْلِيَّةً ، وَكَذَلِكَ النُّونُ فِي قَلَنْسُوَةِ جُعِلَتْ كَالْأَصْلِ وَالْأَصْلُ قَلَنْسَ . قال الشيخ : يجوز « قَلَنْسُ الْبَيْضِ » و « قَلَنْسِي الْبَيْضِ » جميعًا ، فَقَلَنْسُ جِنْسُ قَلَنْسُوَةِ مِثْلُ تَمْرِ وَتَمْرَةٍ ، وَأَمَّا قَلَنْسِي فَهُوَ فِي الْأَصْلِ قَلَنْسُوَةُ بِالْوَاوِ ، وَحَذَفُوا الْهَاءَ ، وَلَمَّا حَذَفُوهَا رَدَّوْهَا إِلَى قَلَنْسَ لِثَلَا يَكُونَ اسْمٌ فِي آخِرِهِ وَأَوَّلُهَا ضَمَّةٌ .

٧ فِدَاءُ نَعْلِكَ^(١) مُعْطَى حَظِّ مُكْرَمَةٍ

أَصْنَعِي إِلَى الْمَطْلِ حَتَّى بَاعَ مَا وَهَبَا

أَيِ يَتَقَدِّيكَ مَنْ مُمْكِّنٌ مِنَ الْعَطَاءِ وَفِعْلُ الْمَكَارِمِ فَوَعْدٌ وَأَحْوَجُ السَّائِلِ

(١) س : « فدى لنعلك » .

بالموعد إلى التردد إليه بمطله إياه . حتى إذا أنجز وعده صار ما أعطاه مبيعا
لا هبة ، لأن الآخذ كأنه أخذَه عوضاً عما لحقه من التعب لا أنه مُتبرع
عليه به .

٨ إِنِّي وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ مَا لَهُمْ سَبَبٌ

إِلَّا قَضَاءُ كَفَاهُمْ دُونِي السَّبَبَا^(١)

يقول : أنا تسببت إليك بأسباب ومَوَات ، وهؤلاء ما لهم سبب سوى
القضاء الذي كفاهم السبب دوني .

٩ وَكُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا لَا كِفَاءَ لَهُ

أَنْ لَيْسَ كُلُّ قِطَارٍ يُنْبِتُ الْعُشْبَا^(٢)

« لا كفاء له » أي لا مثال له ، أي أعلم أن كل مطر لا ينبت العشب ،
و « قِطَار » جمع قَطَر .

١٠ وَرُبَّمَا عَدَلْتُ كَفُّ الْكَرِيمِ عَنْ الـ

قَوْمِ الْحُضُورِ وَنَالَتْ مَعَشَرًا غَيْبَا^(٣)

١١ لَمْضِرٍّ غُلَّةٌ تَخْبُو فَيُضْرِمُهَا^(٤)

أَنْتَى سَبَقْتُ وَيُعْطَى غَيْرَى الْقَصَبَا

١١ - أي أنا مضمر غُلَّةٌ تسكن أحياناً ثم يضرمها علمي أنتى سبقت
ويُعْطَى غَيْرَى قَصَبِ السَّبَقِ . و « الغُلَّة » ما يجده الرجل في صدره من غيظ

(١) روايته في س :

إني وإن كان قومي ما لهم سبب

لم يرد هذا البيت والذي يليه في س .

(٢) قال الصولي : ويروى « عن النصيح المقيم ونالت حُسداً غيباً » .

(٤) س : « في القلب يضرمها » .

أو حُزن أو عَطَش ، وكانوا إذا أرسلوا الخيل في السِّبَاق أقاموا رجلاً عند الغاية معه قَصَبَة أو قَصَبَات مُعلَّمة فيُعْطَى السابق قَصَبَتَهُ ، ثم كذلك الذي يجيء بعده ، ويقولون جَوَاد مُقَصَّبٌ أى يُعْطَى صاحِبُهُ قَصَبَة السِّبَاق ، قال الراجز :

جَارِيَتٌ مِنْهُ تَسِيحَانَا مُهْذَبَاً^(١)
فَاعْضَضُ بِفِيكَ جَنْدَلًا وَأَنْلَبَاً
قَدْ بَرَّكَ السَّبْقَ وَحَازَ الْقَصَبَاً

١٢ وَنَادِبٌ رَفِيعَةٌ قَدْ كُنْتُ أَمْلُهَا
لَدَيْكَ لَا فِضَّةً أَبْكِي^(٢) وَلَا ذَهَبَاً

ويروى : « وَنَادِبٌ رَفَعَ قَدْرِي كُنْتُ أَمْلُهُ »^(٣) .

١٣ أَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَظْلُومٍ وَسَيْلَتُهُ
إِنْ لَمْ تَكُنْ بِي رَحِيماً فَارْحَمِ الْأَدْبَا^(٤)

١٤ احْفَظْ وَسَائِلَ شِعْرِي فَيَكُ مَا ذَهَبَتْ
خَوَاطِفُ الْبَرْقِ إِلَّا دُونَ مَا ذَهَبَاً

« وسائل » جمع وسيلة وهي ما يُتَقَرَّبُ به إلى الإنسان ، يُقَالُ وَسَلَ يَسْلِي وَسَلًا .

(١) فرس تيحان شديد الجري - وأهذب الفرس في عدوه أسرع .

(٢) م ، ل ، د ، ظ : « أبغى » .

(٣) وهي رواية ل ، م ، ظ ، د . وبهامش ظ رواية الأصل ولم يرد هذا البيت في س .

(٤) تنهى القصيدة عند هذا البيت في س ، م ، ل ، ظ . وبهامش م قال : وفي نسخة . ثم روى الأبيات الثلاثة التالية . ورواية هذا البيت في س :

إِنْ أَنْتَ لَمْ تَكُ عَدْلَ الْجُودِ مَنْصَفَهُ لَمْ نَرْجُ بَعْدَكَ خُلُقاً يَنْصِفُ الْأَدْبَا
والبيت بهذه الرواية في د ، هـ ب .

- ١٥ يَغْدُونَ مُغْتَرِبَاتٍ فِي الْبِلَادِ فَمَا
يَزَلْنَ يُؤْنِسْنَ فِي الْآفَاقِ مُغْتَرِبًا
١٦ وَلَا تُضِعُّهَا فَمَا فِي الْأَرْضِ أَحْسَنُ مِنْ
نَظْمِ الْقَوَافِي إِذَا مَا صَادَفَتْ حَسْبًا

وقال يمدح محمد بن عبد الملك الزيات :

١ قد نابتِ الجزعَ من أروية النوب
واستحقتِ جدةً من ربعتها الحقبُ

الأول من البسيط والقافية مترابك .

« أروية » اسم امرأة ، سُميت بالواحدة من الأروى وهى أنثى الوعل .
وقوله « من أروية » فيه حذف ، كأنه قال : من منازل أروية ، أو من أجزاءها ،
أو نحو ذلك ، ليصح دخول « من » إذ كانت للتبعض . وقوله « استحقتِ
جدةً » هو مأخوذ من الحقيقة وهو ما يكون وراء رجل الراكب ، فإذا جعل
خلفه شيئاً قبل استحقبه واحتقبه ، وهذا ما هنا مستعار ، يريد أن الحقب
قد أذهبت بجدة هذا الربع فكانها جعلته في حقائبها ، لأن الإنسان إذا
جعل الشيء في حقيقته فقد استبد به .

٢ أَلَوَى بِصَبْرِكَ إِخْلَاقُ اللَّوَى وَهَفَا
بِلُبِّكَ الشَّوْقُ لَمَّا أَقْفَرَ اللَّبِّبُ

يقال أَلَوَى بالشيء إذا ذهب به ، وأَلَوَى الدهرُ بالقوم إذا أهلكهم .
و « اللَّوَى » مستترق الرمل ، و « اللَّبِّبُ » نحو ذلك ، وربما قالوا اللَّبِّبُ
مُقَدَّم الكَثِيب ، وقد يُعْبَرُونَ عن اللَّوَى وَاللَّبِّبُ بِمَنْقَطَعِ الرَّمْلِ ، وذلك كله
مُتَقَارِبٌ فِي الْحَقِيقَةِ . و « هَفَا » طار .

٣ خَفْتُ^(١) دُمُوعَكَ فِي إِثْرِ الْحَبِيبِ^(٢) لَدُنْ
خَفْتُ مِنَ الْكُثْبِ الْقُضْبَانُ وَالْكُثْبُ^(٣)

[ع] أصل « الخُفُوف » من قولهم خَفَّ القوم إذا ارتحلوا ، وهو راجع

(١) في ظ : وفي نسخة « جفت » ، بالخاء والجيم ، والأول في أكثر النسخ .

(٢) م ، ظ : « الخليط » . (٣) ظ : ويروى : « الكُثْبَانُ والقُضْب » .

إلى الخِفَّةِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الثَّقَلِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يُفَسِّرُونَ بِالمصادر بين الأفعال الَّتِي أَصْلُهَا واحدٌ في الاشتقاق ، فيقولون خَفَّ الشَّيْءُ خِفَةً إِذَا كَانَ خَفِيفَ الزَّيْنَةِ ، وَخَفَّ القَوْمُ خَفُوفًا إِذَا ارْتَحَلُوا ، وَخَفَّ فِي حاجته إِذَا أُسْرِعَ . وقوله : « خَفَّتْ دُمُوعُكَ » إِن شئتَ كَانَ من الإسراع ، وَإِن شئتَ كَانَ من الخُفُوفِ الَّذِي هُوَ الارتحال ، كَأَنَّهَا تَبْعَتُهُمْ أَي سَالَتْ فِي إِثْرِهِمْ . وقوله « لَدُنْ » أَي عِنْدَ ، وَأَضَافَهَا إِلَى الجملة لِأَنَّهُ جَعَلَهَا واقعةً عَلَى الحين ، وَأَسْمَاءُ الزَّمانِ تُضَافُ إِلَى الجُمْلِ . « وَالْكُثْبُ » الْأَوَّلَى جَمْعُ كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ ، « وَالْكُثْبُ » الثَّانِيَةُ مُرَادٌ بِهَا أُرْدَافُ النَّسَبِ لِأَنَّهَا تُشَبَّهُ بِالْكُثْبِ فَحَذَفَ التَّشْبِيهَ . « وَالْقُضْبَانِ » أَرَادَ بِهَا الْقُلُودَ عَلَى تَرْتُّبِ آتِ التَّشْبِيهِ أَيْضًا .

٤ مِنْ كُلِّ مَمْكُورَةٍ ذَابَ النَّعِيمُ لَهَا
ذَوْبٌ^(١) الْغَمَامِ فَمُنْهَلٌ وَمُنْسَكِبٌ

« مَمْكُورَةٌ » مَطْوِيَّةُ الْخَلْقِ ، مَكَرَهَا إِذَا لَوَّاهَا ، وَقِيلَ مَمْكُورَةٌ نَاعِمَةٌ .

٥ أَطَاعَهَا الْحُسْنُ وَانْحَطَّ الشَّبَابُ عَلَى
فُؤَادِهَا^(٢) وَجَرَتْ فِي رُوحِهَا^(٣) النَّسَبُ

« انْحَطَّ الشَّبَابُ عَلَى فُؤَادِهَا » أَي هِيَ حَيَّةُ الْفُؤَادِ . [ع] وَ « النَّسَبُ » جَمْعُ نِسْبَةٍ وَهِيَ مِثْلُ النَّسِيبِ مِنَ الشَّعْرِ ، وَالنَّسِيبُ مِثْلُ الْغَزَلِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ النَّسِيبَ يُقَالُ فِيهَا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ أَنَّ رُوحَهَا مِنْ لُطْفِهَا كَأَنَّ النَّسِيبَ جَرَى فِيهَا^(٤) .

(١) س : « حَيْثُ الْغَامِ » .

(٢) ل ، س : « عَلَى قِوَامِهَا » .

(٣) س : « فِي وَصْفِهَا » .

(٤) جَاءَ فِي ظ : قَالَ الْأَمْدَى فِي الْمَوَازِنَةِ : قَوْلُهُ « أَطَاعَهَا الْحُسْنُ ... » مِنْ أَيْيَاتِهِ الَّتِي يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْهَا ، فَقَوْلُهُ « أَطَاعَهَا الْحُسْنُ ... » مِنْ قَوْلِ بَشَّارٍ :

كَأَشْتَهَتْ خَلَقْتَ حَتَّى إِذَا اعْتَدَلَتْ تَمَّتْ قِوَامًا فَلَا طَوْلَ وَلَا قِصَرَ

وَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

٦ لَمْ أَنْسَهَا وَصُرُوفُ الْبَيْنِ تَظْلِمُهَا
ولا مُعَوَّلَ إِلَّا الْوَائِكُفُ السَّرِبُ

« المعوّل » من قولهم عَوَّلْتُ عليه في الأمر إذا حَمَلْتَ أَمْرَكَ عليه ، وهو مأخوذ من عَالَى الأمرُ إذا أَثْقَلَنِي . [ع] يقول : ليس لهذه الطّاعنة تعويلٌ إلاّ على الدّمع ، ويحتمل أن يعنى نفسه بالبكاء ، أو يدّعى أنهما جميعاً عَوَلَا على البكاء .

٧ أَدْنَتْ نِقَاباً عَلَى الْخَدَّيْنِ وَانْتَسَبَتْ^(١)

لِلنَّاطِرِينَ بَقْدٌ لَيْسَ يَنْتَسِبُ^(٢)

يقول : استترت بالنّقاب لئلا تُعرف فَعَرَفَتْ بَقَدَّهَا ، أى لَمَّا رَأَوْا قَدَّهَا قيل هذه فلانة ، لأنها معروفة بحسن القوام والجمال .

٨ وَلَوْ تَبَسَّمْ عُجْنَا الطَّرْفَ فِي بَرَدٍ

وَفِي أَقَاحٍ سَقَتَهَا الْخَمْرُ وَالضَّرْبُ

« عُجْنَا » أى كَرَّرْنَا وَرَدَدْنَا . وَتُشَبَّهُ الْأَسْنَانُ بِنُورِ الْأَقَاحِ فِي بَيَاضِهِ وَصِغَرِهِ وَلَطَافَتِهِ وَمِائِهِ .

= خليت والحسن تأخذه تنتنق منه وتنتخب

فانتقت منه طرائفه واستزادت بعض ما تهب

وقوله « وانحط الشباب على فؤادها » يريد الذكاء والتيقظ ، وقوله « وجرت في روحها النسب » هو أن يقال خفيفة الروح أو عذبة الروح ونحو هذا ، كذا فسر الشيوخ بعد أن جرى في ذلك خوض طويل .

وقال الآمدي في « الأبيات المفردة » : ما زال المتذاكرون بشعر هذا الرجل يفيضون في تفسير هذا البيت فلا يصح له معنى إلا بالجلس والظن ، وأقرب ما سمعت في قوله « وانحط الشباب على فؤادها » أى مالت جهاته إليه ، كأنه يريد زكاها وسرعة نموها ، وقوله « جرت في روحها النسب » هي أن يقال خفيفة الروح ...

وقال ابن المستوفى : أخذه من قول يزيد بن الطثرية .

جرى فوقها زهو الشباب وباشرت نعيم الليالي في الرخاء من الحقب

(١) ه ب : « وانتصبت » . (٢) م ، ل ، س ، ظ ، ه ب : « ليس ينتقب » .

٩ مِنْ شَكْلِهِ الدَّرُّ فِي رَصْفٍ ^(١) النَّظَامِ وَمِنْ

صِفَاتِهِ الْفِتْنَتَانِ ^(٢) : الظَّلْمُ وَالشَّنْبُ

« من شكله » أى ضربته . [ص] يقول : صفة خلق أسنانها كالدرّ في صفاته واتساق نظمها ، وصفتها أنّها بها الشنب وهو برد وعذوبة ، وقيل الشنب حدة الثغر ، والظلم ماء الأسنان وإفراط صفاتها .

١٠ كَانَتْ لَنَا مَلْعَبًا ^(٣) نَلْهُو بِزُخْرُفِهِ

وَقَدْ يُشَفِّسُ عَنْ جِدِّ الْفَتَى اللَّعِبُ

كلّ شيء حسن يُسمّى زُخْرَفًا ، ويقال للذهب زُخْرُفٌ ، وكذلك لغرور الدنيا وخديعتها .

١١ وَعَاذِلِ هَاجٍ لِي بِاللَّوْمِ مَأْرُبَةً ^(٤)

بَاتَتْ عَلَيْهَا هُمُومُ النَّفْسِ تَضْطَخِبُ

و « هُمُومُ الصَّدْر » ^(٥) . « الْمَأْرِبَةُ » والمأربة والمأربة الحاجة .

١٢ لَمَّا أَطَالَ ارْتِجَالَ الْعَذْلِ قُلْتُ لَهُ :

الْحَزْمُ يَشْنَى خُطُوبَ الدَّهْرِ لَا الْخُطْبُ

قَطَعَ أَلْفَ الْوَصْلِ فِي أَوَّلِ النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ إِذْ كَانَ مَا قَبْلَهُ مَوْضِعَ وَقْفٍ ، لِأَنَّهُ قَالَ « قُلْتُ لَهُ » ثُمَّ ابْتَدَأَ بِأَوَّلِ الْكَلَامِ الْمَحْكَمِ ، وَهَذَا كَمَا قَالَ الْأَعَشَى : فَشَكَ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ أُقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي ^(٦)

(١) ه ب : « في نظم الجمان » . (٢) س : « الأطيان » ، وهما مشاهير رواية الأصل .

(٣) م ، ه ب : « لعبا » . (٤) قال الصول : ويروى « مأدبة » .

(٥) هي رواية س ، وجاءت في ه ب ، ه ن .

(٦) الديوان ص : ١٢٧ ، والرواية فيه :

فشك غير قليل ثم قال له إذبح هديك إني مانع جاري

وقوله « ارتجال العذّل » يقال لكل من أنشأ كلاماً من غير أن يفكر فيه قد ارتجله ارتجالاً^(١).

١٣ لَمْ يَجْتَمِعْ قَطُّ فِي مِصْرٍ وَلَا طَرَفٍ^(٢)
 مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي مَرْوَانَ وَالنُّوبُ
 ١٤ لِي مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ آخِيَّةٌ سَبَبُ
 إِنْ تَبَقَّ يُطْلَبُ إِلَى مَعْرُوفٍ السَّبَبُ

١٤ - أصل « الآخِيَّة » أن يُدْفَنَ حَبْلٌ فِي التُّرَابِ ثُمَّ تُخْرَجُ مِنْهُ عُرْوَةٌ فَيُشَدُّ فِيهَا الْفَرَسُ ، يَقُولُونَ أَخِيَّتُ آخِيَّةٌ ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى قَالُوا لِي عَنْده آخِيَّةٌ أَيْ شَيْءٌ أَعْتَمَدَ عَلَيْهِ مِنْ وَدٍّ أَوْ خِدْمَةٍ . وَرَبَّمَا قَالُوا الْآخِيَّةُ مَا حَوْلَ الْبِنَاءِ ، وَهَذَا عَلَى الْإِتْسَاعِ وَالْحِجَازِ . يَقُولُ : إِنْ بَقِيَتْ لِي هَذِهِ الْآخِيَّةُ فَلِئَنِّي أَسْتَغْنَى حَتَّى أَفْضَلَ عَلَى النَّاسِ فَيُسْتَوْسَلُ إِلَى بَوَائِلِ .

١٥ صَحَّتْ فَمَا يَتَمَارَى مَنْ تَأَمَّلَهَا
 مِنْ نَحْوٍ^(٣) نَائِلِهِ فِي أَنَّهَا نَسَبُ
 أَيْ لَا يَشْكُ فِيهَا أَحَدٌ أَنَّهَا نَسَبٌ لَيْسَتْ بِسَبَبٍ وَمِثْلُهُ :
 حَتَّى يَكُونَ عَزِيزاً فِي نَفْسِهِمْ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ

١٦ أَمْتُ نَدَاهُ بِي الْعَيْسُ الَّتِي شَهِدَتْ
 لَهَا السَّرَى وَالْفِيَا فِي أَنَّهَا نُجْبُ

(١) جاء في ظ : قال الآمدي : قوله « الحزَم يثنى خطوب الدهر » ليس بواجب قاطع على كل حال ، ولَرَّ كَانَ ذَلِكَ لَمَّا رَأَيْتُ حَازِماً قَطَّ يَصِيبُهُ مِنَ الدَّهْرِ مَا يَكْرَهُهُ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الْحَزَمُ يَقْعَلُ ذَلِكَ صَلَحَ أَنْ يَذْكُرَهُ . (٢) س : « وَلَا بَلَدٌ » .

(٣) م ، ل : « مِنْ وَجْهِ نَائِلِهِ » - س ، ظ : مِنْ فَرْطِ نَائِلِهِ « - ه س : وَيُرْوَى « مِنْ فَيْضِ نَائِلِهِ » ، وَذَكَرَ فِي ظ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَزَادَ عَلَيْهَا قَوْلَهُ : وَفِي نَسْخَةٍ « مِنْ نَجِيجِ تَأْمِيلِهِ » وَ « مِنْ نَحْوِ تَأْمِيلِهِ » .

١٧ هَمْ سَرَى ثُمَّ أَضْحَى هِمَّةً أَمَمًا
أَضَحَتْ رَجَاءً وَأَمَسَتْ وَهَى لِي نَشَبُ

١٧ - يقول : بَيْتٌ فِي هَمْ وَأَصْبَحْتُ فِي هِمَّةٍ ، وَأَضْحَيْتُ فِي أَمَلٍ وَأَمَسَيْتُ فِي مَالٍ . ورواية المرزوقي : « راحت رجاءً وأمست وهي لي نَشَبٌ »^(١) .

١٨ أَعْطَى وَنُطْفَةً وَجْهِي فِي قَرَارَتِهَا
تَصُونُهَا الْوَجَنَاتُ الْغَضَّةُ الْقُشْبُ

: أَيْ أَعْطَانِي قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ تُذْهِبُ مَاءَ الْوَجْهِ ، أَيْ لَمْ يَخْلُقْ وَجْهِي بِسُؤَالٍ ، فَوَجْهِي غَضٌّ جَدِيدٌ . « وَالنُّطْفَةُ » الْمَاءُ الْقَلِيلُ ، اسْتَعَارَهُ لِمَاءِ الْوَجْهِ ، وَ « الْقَرَارَةُ » الْمَطْمِئِنَّةُ مِنَ الْأَرْضِ ، يَقُولُونَ وَجَدْنَا نُطْفَةً فِي قَرَارَةٍ ، أَيْ مَاءً قَلِيلاً فِي أَسْفَلِ وَادٍ ، وَ « الْوَجَنَةُ » الْعَظْمُ الَّذِي تَحْتَ الصُّدْغِ ، وَمَنْ ضَمَّ الْوَاوَ مِنْ « وَجَنَةٍ » أَوْ كَسَّرَهَا جَازَ لَهُ الْهَمْزُ .

(١) جاء في ظ : قال المرزوقي : وما جئني عليه قوله :

هَمْ سَرَى ثُمَّ أَضْحَى هِمَّةً أَمَمًا أَضَحَتْ رَجَاءً وَأَمَسَتْ وَهَى لِي نَشَبُ

هكذا رواه بعض المدعين لهذا الشعر (يشير بذلك إلى الصول لأنها روايته ولأنه شرحه كما سيذكره المرزوقي بحرفه) ، وذكر أن المعنى : كنت مهتماً في الليل فأسريت إلى هذا المدوح فأصبحت وهي قد صار همة ، ثم أضحيته وقد صارت الهمة رجاءً ، ثم أمست وقد لقيته وهي نشب أي مال . قال أبو عل : هذا البيت إذا تأملت تقاسيمه تبين حسناتها واستقامتها ، لكنه بدّل ، والرواية الصحيحة : « راحت رجاءً وأمست وهي لي نشب » ، فانظر كيف نقل الهم وهو مصدر همت أو واحد الهموم في معارضة واختلاف أحواله في أطراف ليله ونهاره ، وكيف عقب السرى بالإضحاء ، والرواج بالإمساء ، وكما جعل الهم همة ما هنا عكسه في موضع آخر :

لَمَّا نَحَضَّتْ الْأَمَانِي الَّتِي احْتَلَبُوا عَادَتْ هُمُومًا وَكَانَتْ قَبْلُهَا هِمَا

واستعارة « المحض » لاقتارانه بالحب في « الأمانى » أحسن منه في قوله :

حَتَّى إِذَا نَحَضَّ اللَّهُ السَّنِينَ لَهَا مُحْضُ الْبُخِيلَةِ كَانَتْ زَبْدَةُ الْحَقْبِ

وإن كان يحسنه ثم ذكر الزبدة معه أيضاً .

فأما المصراع الثاني فقد أعاد معناه في موضع آخر فقال :

فَتَسَوَّارَتِكَ وَإِنَّمَا لِرَسَائِلِ وَصَدْرُنْ عَنكَ وَإِنَّمَا لِفَوَائِدِ

١٩ لَنْ يَكْرُمَ الظَّفَرُ الْمُعْطَى وَإِنْ أُخِذَتْ^(١)

بِهِ الرَّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ

(ق) : يقول : إنما العرف يكرم والنوال يشرف متى صين طلب العافى الزائر من المطل ، ولم يهن ولم يستذل بالتسويق والدفاع .

٢٠ إِذَا تَبَاعَدَتْ الدُّنْيَا فَمَطْلَبُهَا

إِذَا تَوَرَّدَتْهُ مِنْ شِعْبِهِ كَثْبُ

يقول : إذا تباعدت عنك الدنيا فاطلبها من شعبها وواديها الذى تجدها فيه ، أى اطلب الخير من مظانته ، والهاء فى « شعبه » للمدح .

٢١ رِدْءُ الْخِلَافَةِ فِي الْجُلَى إِذَا نَزَلَتْ

وَقَيْمُ الْمُلْكِ لَا الْوَانِي وَلَا النَّصِبُ

[ص] أى يقوم بالأمر فلا تتبعه لحزمه وجودة رأيه . و « الوانى » المقصّر ، و « النصب » التعيب و « الردء » العون .

٢٢ جَفَنُ يَعَافُ لَذِيذَ النَّوْمِ نَاطِرُهُ^(٢)

شُحًا عَلَيْهَا^(٣) وَقَلْبُ حَوْلَهَا يَجِبُ

« شحاً عليها » أى على الخلافة ، و « حولها » حول الخلافة ، للشفقة عليها ، فهو على حسب ذلك يصلح منها ويحامي عليها .

٢٣ طَلِيْعَةُ رَأْيُهُ مِنْ دُونِ بَيَضَتِهَا

كَمَا انْتَمَى رَأْيِي فِي الْغَزْوِ مُنْتَصِبُ

« الرأى » من قولهم رأيت القوم إذا كنت لهم ربيثة ، وهو أن تعلو مكاناً

(١) قال الصولي : كذا يرويه الناس ، وقرأته على أبي مالك : « لن يكرم الظفر المعطى وإن أخذت منه الرغائب » - ق ، ه ب : « لا يكرم » . (٢) ظ : « نافر » . (٣) م ، د : « شجى عليها » . (٤) ظ : ويروى « فى الشجر » - د : « فى القوم » .

مرتفعاً لتَنفُضَ لَهم الطريق أو تُخبرَهم بمن يَسلكه ، ومنه قول الهذلي :
 رَبَاءُ شَمَاءُ لَا يَأْوِي لِقُلَّتْهَا إِلَّا الْغَمَامُ وَالْأَوْبُ وَالسَّبَلُ^(١)
 و « بَيَّضَتْهَا » يعنى بيضة الخلافة ، والمراد بها أهل الإسلام ، وبيضة كل
 شيء مُعَظَّمه . و « انْتَمَى » أشرف .

٢٤ حَتَّى إِذَا مَا انْتَضَى التَّدْبِيرَ ثَابَ لَهُ

جَيْشٌ يُصَارِعُ عَنْهُ مَا لَهُ لَجَبٌ

أى أَقْبَلَتْ نحوه جيوش الآراء ، والهاء فى « له » للتدبير ، يعنى من الرأى^(٢) .

٢٥ شِعَارُهَا اسْمُكَ إِنْ عُدَّتْ مَحَاسِنُهَا

إِذِ اسْمُ حَاسِدِكَ الْأَذْنَى لَهَا لَقَبٌ

« الشعار » ما يَدْعَى به القومُ فى الحرب لِيَتَمَيَّزُوا من أعدائهم وليعرفوا
 أصحابَهم ، مثلُ أن يقولوا : يالَ مُضَرٍّ ونحو ذلك ، وإنما قيل له شعار لأنهم
 يَشْعُرُونَ به ، أى يَعْلَمُونَ مكانَ المُسَالِمِ من المُحَارِبِ [ع] يقول : فاسمُك
 شعار الخلافة لأنها تُحِبُّك وتَعْرِفُ موضعَكَ وتَعْلَمُ أنك رَدءٌ ، أى عَوْنٌ ،
 إذ اسمُ حاسدِكَ كاللَّقَبِ لها إذ كانت تُبْغِضُهُ ولا تُسَمِّيهِ كما يَكْرَهُ الإنسانُ
 أن يُذَكَّرَ لِقَبِّهِ المَكْرُوه ، وكانت الألقاب فى الزَّمانِ الأوَّلِ لا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا
 فيما يُدَمُّ ، ثم استعملها فيما يَضْعُونَهُ سِمَةً لِلْمُلُوكِ والأُمَرَاءِ ، كقولهم سَيْفُ
 الدَّوْلَةِ ، والظَّهَيْر ، ونحو ذلك . [ص] يقول : الخلافة إذا عُدَّتْ مَحَاسِنُهَا
 تَسَمَّتْ باسمِكَ أنك وزيرها ، فهذا اسم لك حقاً ، ومن سُمِّى به سواك فهو
 لِقَبِّبَ له .

(١) البيت للمتنخل الهذلي فى ديوان الهذليين ٢ : ٣٧ ، وفى اللسان مادة « أوب » . و « رباء »

يربأ فوقها ، يقول : لا يدنو قلبها أى رأسها ، أى لا يعلمو هذه الهضبة من طولها إلا السحاب . و « الأوب »
 رجوع النحل و « السبل » القطر حين يسيل .

(٢) أعاد الصولى الهاء فى « له » للتدبير كما جاء فى شرح أبى زكريا هنا . وقال ابن المستوفى

ويجوز أن يعود الهاء فى « له » إلى الممدوح لأن الصولى جعل للتدبير رأياً والتدبير هو نفس الرأى .

٢٦ وَزِيرُ حَقٍّ وَوَالِي شُرْطَةٍ وَرَحَا
 دِيَوَانِ مَلِكٍ وَشَيْعِيٌّ وَمُخْتَسِبٌ
 ٢٧ كَالْأَرْحَبِيِّ الْمَذْكُورِ سَيْرُهُ الْمَرَطِيُّ
 وَالْوَحْدُ وَالْمَلْعُ وَالتَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ

٢٧ - كان بعض الناس يقول لأبي تمام : أنا أستحسن قول امرئ القيس :
 وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَائِلًا وَمِنْ خَالِهِ وَمِنْ يَزِيدَ وَمِنْ حُجْرٍ
 سَمَاحَةً ذَا وَجُودَ ذَا وَوَفَاءَ ذَا وَنَائِلَ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا اسْكُرَ
 فذكر أربعة وردت عليها أربعة أصناف ، فلقبه أبو تمام بعد مدة فقال له :
 أنشدتني بيتي امرئ القيس ، وتستحسن ذكره لأربعة وردت عليهم أربعة
 أصناف ، وقد ذكرت خمسة وردت عليهم خمسة أصناف ، وأنشده هذين
 البيتين . [ع] و « الأرحبي » يعني به نجيباً من الإبل منسوباً إلى أرحب
 وهم حتى من همدان . و « المذكي » الذي قد تمت سته وذاؤه ، يقال
 فرس مذكٌ ووحشٌ مذكٌ . و « المرطي » ضرب من العدو سهل ، وقلما
 يستعمل في الإبل ^(١) . فأما « الوحد » و « الملّع » فجيئتهما كثير في وصف
 سير النوق والجمال ، ولا يكادون يقولون وخذ الفرس . وقد حكى ذلك أبو نصر
 صاحب الأصمعي . و « التقريب » أيضاً لا يكاد يستعمل في الجمال . [ص]
 يقول : هذا المملوح يجمع لإصلاح المملوك كما يجمع هذا الأرحبي هذه النضروب
 من السير .

(١) قال ابن المستوفى : لو قال أبو العلاء فجيئتهما كثير في وصف سير الإبل كان أولى . وهذه
 الألفاظ التي ذكرها أبو العلاء أكثرها من أوصاف الخيل ، ف « المذكي » واحد المذاكي والمذاكيات من
 الخيل ، وهي التي جاوزت القروح بسنة أو سنتين مثل الخلف من الإبل ، و « المرطي » ضرب من عدو
 الخيل ، قال الأصمعي في المرطي : هو فوق القرب ، قال يصف فرساً :
 * تقريبها المرطي والشدة إبراق *

و « الوحد » ضرب من مشى الإبل وهي أن ترمي بقوائمها مثل مشى النعام ، و « الملّع » السير الخفيف
 السريع ، ويقال قد ملعت الناقة في سيرها ... قالوا : و « الحب » دون التقريب .

٢٨ عَوْدٌ تُسَاجِلُهُ أَيَامُهُ فِيهَا مِنْ مَسْنِهِ وَبِهِ مِنْ مَسْنِهَا جُلْبٌ

[ص] هذا مثل ، يقول : قد جَرَّبَ الأمورَ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا ، يكون الدَّهْرُ مرةً معه ، ومرةً عليه ، فكأنَّه يُسَاجِلُهُ . * و«العَوْدُ» المُسْنَنُ مِنَ الْإِبِلِ ، ويقال للسُّودَدِ الْقَدِيمِ عَوْدٌ ، على معنى الاستعارة ، وكذلك طريق عَوْدِ أَيْ قَدِيمٍ قَالَ الرَّاجِزُ :

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقُدَمِ الْأَوَّلِ
يَمُوتُ بِالتَّرْكِ وَيَحْيَا بِالْعَمَلِ

و «الجُلْبُ» جمع جُلْبَةٍ وهو الأَثَرُ فِي ظَهْرِ الْبَعِيرِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَثَرِ حِمْلٍ أَوْ نَحْوِهِ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ أَجْلَبَ الْجُرْحُ وَجُلِبَ إِذَا عَمَلَتْهُ قِشْرَةٌ لِلْبُرَّةِ . و «العَوْدُ» فِي الْبَيْتِ الْمُرَادُ بِهِ الرَّجُلُ الْمَجْرَّبُ .

٢٩ ثَبِتَ الْخَطَابُ ^(١) إِذَا اصْطَكَّتْ بِمُظْلِمَةٍ ^(٢)

فِي رَحْلِهِ أَلْسُنُ الْأَقْوَامِ وَالرُّكَبُ

«اصطكت» اضطربت ، وقوله «بِمُظْلِمَةٍ» أَيْ بِخَصْلَةٍ مُظْلِمَةٍ [ع] واصطكت مستعار ، فَإِذَا اسْتَعِيرَ لِلْسَّانِ فَهُوَ مِنْ صَكَّهَ يَصْكُكُهُ صَكًّا إِذَا ضَرَبَهُ بِشَيْءٍ صُلْبٍ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ ازْدِحَامَ الْأَلْسُنِ عَلَى الْقَوْلِ وَتَصَاكُهَا فِيهِ ، وَإِذَا اسْتَعِيرَ «اصطككت» لِلرُّكَبِ احْتَمَلَ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّكِّ وَهُوَ أَنْ تَصْطَكَّ الرُّكْبَتَانِ ، يُقَالُ فِي وَصْفِ الدَّأْبَةِ لَيْسَ فِيهِ صَكُّكَ ، وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّكِّ الَّذِي هُوَ الضَّرْبُ ، وَكِلَا الْوَجْهَيْنِ رَاجِعٌ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ ، لِأَنَّ الصَّكَّ الْمَكْرُوهَ مَأْخُوذٌ مِنَ الصَّكِّ . وَلَيْسَ الْاصْطِكَكَ هَا هُنَا مُفْتَقِرًا إِلَى الْمَعْطُوفِ ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ جَمْعٌ ، وَإِنَّمَا يَمْتَنِعُ مِثْلُ هَذَا فِي الْآحَادِ ، وَلَوْ قِيلَ اصْطَكَ الْحَجَرُ وَالْحَشَبَةُ لَمْ يَجْزِ الْاِقْتِصَارُ عَلَى الْأَسْمِ الْأَوَّلِ ، لِأَنَّ «الافتعال» إِنَّمَا يَكُونُ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ اثْنَيْنِ فَمَا زَادَ ^(٣) .

(١) ظ : ويروى : «ثبت الجنان» .

(٢) س : «بمظلمة» بفتح الميم . وشرح الصول يدل على أنها روايته .

(٣) قال ابن المستوفى : يجوز أن يكون «اصطكت» من قولهم صككت الباب إذا أطبقته ، أَيْ إِذَا تَطَابَقَتِ الْأَلْسُنُ وَالرُّكَبُ ، وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ عَلَى طَرِيقِ الْاِسْتِعَارَةِ . كَأَنَّهَا تَلَاَقَتْ فِي رَحْلَةِ فَتَصَاكَتْ ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ مِنْ كَلَامِهِ ، وَقَالُوا «اصطكت» بِمَعْنَى اضْطَرَبَتْ .

٣٠ لا المنطقُ اللَّغْوُ^(١) يَزْكُو فِي مَقَاوِمِهِ

يَوْمًا وَلَا حُجَّةُ الْمَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ

[ع] «المنطق اللغو» يجوز أن يكون من أُلغيت الشيء إذا أهملته ، كأنه يعنى الهذر وما لا يحتاج إليه من الكلام ، وهذا أشبه من أن يكون في معنى اللغو الذى يستعمله الناس في الكلام المكروه ، مثل قولهم لَغَا الصَّائِمُ والحاج ، ومنه قوله تعالى « لا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ » وكلا الوجهين يرجع إلى الإلغاء الذى هو الإهمال ، يقال أُلغيتُ في العدد إذا أُلقيت منه . * و «مقاويم» جمع مقام .

٣١ كَأَنَّمَا هُوَ فِي نَادَى قَبِيلَتِهِ

لَا الْقَلْبُ يَهْفُو وَلَا الْأَحْشَاءُ تَضْطَرِبُ

«لا القلب يهفو» مأخوذ من هَفَا إذا عثر ، أى لا يَزِيغ عما يُريد . قال المرزوقي : يجوز أن يكون المراد أنه إذا جلس للمظالم يراه الحضور في مجلسه كأنما هو في نادى قَبِيلَتِهِ لاستعماله العَدْلَ فيهم ، وكأنتهم عَشِيرَتُهُ وذَوُوهُ^(٢) .

٣٢ وَتَحْتَ ذَاكَ قَضَاءُ حَزْ شَفَرَتِهِ

كَمَا يَعْعُضُ بِأَعْلَى الْغَارِبِ الْقَتَبُ

استعار حَزَّ الشَّفَرَةِ للقضاء ، وقد استعملوا نحوه من ذلك في الشَّفَرَةِ فقالوا في المثل لم أجِدْ لشَفَرَتِي مَحْزَرًا^(٣) ، أى لم أجِدْ لى حِيلَةً في الأمر ، قال القَتَبَال : كَلَانَا عَدُوٌّ لَن يَرَى فِي عَدُوهِ مَحْزَرًا وَكُلُّ فِي الْعَدَاوَةِ مُجْمِلٌ

(١) س : «اللب» وهامشها رواية الأصل .

(٢) ذكر ابن المستوفى كلام المرزوقي هذا مفصلاً من كتابه . وفيه وجه آخر للمعنى ، قال المرزوقي : « ويجوز أن يكون المعنى أن الملهوف إذا حضر بساطه يعتقد لثقتة ببدله وجميل إنصافه أنه مع ذويه ومجاور لأهله ، لا يجب قلبه ولا يقلق حشاه » . وقال ابن المستوفى عقبه : وهذا القول هو الصحيح الذى دل عليه الشعر والله أعلم . وما وصف به من هفوة القلب واضطراب الأحشاء أليق بالملهوف ، لأن الحاكم إذا كان في رحله وفى مقامه لا يلحقه هذا ، وإنما يلحق هذا من هو ملهوف .

(٣) مجمع الأمثال ٢ : ٩٠ .

وقال الراجز :

لَمَّا رَأَيْتُ أَمْرَهُمْ قَدْ أَزَا
 وَلَمْ أَجِدْ لَشَفْرَةٍ مَحْزَرًا
 تَخَذْتُ مِنْ آلِ زِيَادٍ حِرْزًا

ويقال عَصَّ الْقَتَبُ بِالْغَارِبِ إِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ فِي الْبَعِيرِ لِأَن قَتَبَهُ إِذَا عَصَّ غَارِبَهُ لِحَقَّتْهُ فِي ذَلِكَ مَشَقَّةٌ عَظِيمَةٌ . وَالْمَعْنَى : أَنَّ هَذَا الْمَمْلُوحَ يَقْضِي قَضَاءً لَا يُرَاعَى فِيهِ أَحَدًا ، وَإِنْ شَقَّ أَمْرُهُ عَلَى الْمُقْضِي عَلَيْهِ .

٣٣ لَا سَوْرَةَ تُتَّقَى مِنْهُ وَلَا بَلَهَ

وَلَا يَحِيفُ^(١) رِضًا مِنْهُ وَلَا غَضَبُ

[ع] وَيُرْوَى « وَلَا تَلَهَ » وَ « سَوْرَةُ الْغَضَبِ » حَدَّثَتْهُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ سَارِيسُورَ إِذَا وَتَبَّ ، يَرِيدُ أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ لَمْ يَحْمِلْهُ الْغَضَبُ عَلَى الظُّلْمِ . وَإِذَا رُوِيَ « بَلَهَ » بِالْبَاءِ فَرَادَ بِهِ الْغَفْلَةَ ، وَرَبَّمَا جَاءَ وَابَهُ فِي مَعْنَى الْحَمْدِ ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ الْبَلَهَ فِي الدَّهْمِ . وَإِذَا وَصَفُوا الْمَرْأَةَ بِالْبَلَهَ فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ غَفْلَتَهَا عَنْ الرَّيِّبِ ، قَالَ أَبُو النَّجْمِ :

مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ سَقُوطِ الْبُرْقُوعِ
 بَلَهَاءَ لَمْ تُحَفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعْ

وَمِنْهُ قَوْلُهُ : عَيْشَ أَبْلَهَ أَيْ أَهْلُهُ غَافِلُونَ عَنْهُ لَا يَشْعُرُونَ بِنَوَائِبِ الدَّهْرِ ، وَأَمَّا الْبَلَهَ فِي الرِّجَالِ فَعَيْبٌ ، وَلَكِنْ يُحْمَدُ الْمُتْبَالِهَ الَّذِي يُؤَدِّيهِ ذَلِكَ إِلَى السَّخَاءِ وَالتَّغَاضِي عَنْ عَثَرَاتِ الصَّدِيقِ وَالصَّاحِبِ قَالَ أَبُو دَهْبِيلَ الْجُمَحِيُّ يَمْدَحُ رَجُلًا :

تَسْخَالُ فِيهِ إِذَا حَاوَرْتَهُ بَلَهَاءَ عَنْ مَالِهِ وَهُوَ وَافٍ الْعَقْلِ وَالْوَرَعِ
 [ع] وَإِنْ رُوِيَ « وَلَا تَلَهَ » بِالتَّاءِ فَالْمُرَادُ الْحَيِثَرَةُ ، يُقَالُ تَلَهَ يَتَلَهَ تَلَهَاءَ إِذَا حَارَ .

(١) بَيْنَ اسْمَيْنِ ، هـ ب : وَ « يَحَافِ » رَوَايَةٌ أُخْرَى .

٣٤ أَلْقَى إِلَيْكَ عُرَى الْأَمْرِ الْإِمَامُ فَقَدْ
شُدَّ الْعِجَاجُ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْكَرْبُ

[ع] « العِجَاجُ » جبل يُشَدُّ في أسفل الدَّلْوِ ثم يُوصَلُ بعَرَاقِيهَا وَكَرْبَهَا .
و « الْكَرْبُ » أَنْ يُشْنَى الرَّشَاءُ عَلَى الْعَرَاقِ ، يقال أَكْرَبْتُ الدَّلْوَ فَهِيَ مُكْرَبَةٌ
و « السُّلْطَانُ » هَا هُنَا مُرَادٌ بِهِ الْعِزُّ وَالْقُوَّةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ لِفُلَانٍ سُلْطَانٌ فِي بَلَدٍ كَذَا ،
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى أَنَّ السُّلْطَانَ آدَمِيٌّ لِأَنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى لَفْظٍ لَا يَلِيقُ
بِالسُّلْطَانِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ صَحِيحٌ عَلَى تَقْدِيرٍ مَحْذُوفٍ كَأَنَّهُ يُرَادُ مِنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ .

٣٥ يَعْشُو إِلَيْكَ وَضَوْءُ الرَّأْيِ قَائِدُهُ
خَلِيفَةُ إِنَّمَا آرَاوُهُ شُهْبُ

يَقَعُ فِي بَعْضِ النُّسخِ « يَعْشَى » وَالْوَجْهَ « يَعْشُو » ^(١) . [ع] الْعَشْوُ أَنْ
يَسِيرَ الْإِنْسَانُ عَلَى ضَوْءِ نَارٍ أَوْ كَوْكَبٍ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا خَفِيًّا . بِخَطِّ
الْشَيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ : يَطْلُبُ فِي ظِلَامِ الشَّكِّ مَنْ يَعْتَمِدُ لَوِزَارَتِهِ فَيَتَرَاءَى لَهُ
ضِيَاؤُهُ مِنْ بَعِيدٍ فَيَقْصِدُهُ . غَيْرِهِ : نَظَرَ إِلَيْكَ فَلَمْ يَجِدْ مِثْلَكَ مَنْ يَصْلُحُ لِتَنْدِيرِ
الْمَمْلَكَةِ فَقَلَّدَكَ ^(٢) .

٣٦ إِنْ تَمَتَّنِعَ مِنْهُ ^(٣) فِي الْأَوْقَاتِ رُوِيَّتُهُ
فَكُلُّ لَيْثٍ هَاصِرٍ غِيْلُهُ أَشْبُ
(ص) يَقُولُ : إِنْ كَانَ يَحْتَسِبُ فَكَذَلِكَ اللَّيْثُ .

(١) ه ب : « عشا إليك » .

(٢) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : كَلَامُ الْقَوْلَيْنِ لَا يَحْسُنُ أَنْ يَوْصَفَ بِهِ الْخَلِيفَةُ ، وَالْأَجُودُ أَنْ يَكُونَ : مِنْ
عَشَوْتُهُ أَيْ قَصَدْتُهُ لَيْلًا ، وَكَانَ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ ، ثُمَّ صَارَ كُلُّ قَاصِدٍ عَاشِيًا ، أَيْ يَقْصِدُ إِلَيْكَ وَيَقُودُهُ
ضَوْؤُهُ رَأْيُهُ .

(٣) ظ : « منك » .

٣٧ أَوْ تَلَقَّ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ مُكْرَمَةٌ

يَوْمًا فَقَدْ أَلْقَيْتُ^(١) مِنْ دُونِكَ الْحُجْبُ

(المرزوقي) : كان السلطان حَجَبَهُ فاشتدَّ عليه ، فأخذ الطائي يُسَلِّيه فقال : إن احتجب عنك الخليفة أحياناً فلا يَسْوءُكَ ذاك ، لأنه لا يكون عن تَغْيِيرِ مكانة ، ولا حُؤُولِ عهد وانحطاط منزلة ، بل كما تَحْجُبُ أَنْتَ غيرَكَ ممن يُريدُكَ فلا يصلُ إِلَيْكَ ، لعائق يَمْنَعُ وحائل يَعْضُرُ . ويُرَوَّى : « مِنْ خَلْفِكَ » المعنى : أَنْتَ وإن احتجب عنك فقد قُرْبَتْ إِلَى أَقْصَى الْحُجْبِ ، وَغَيْرُكَ إِنَّمَا أَنْزَلَ خَلْفَكَ وَأَلْقَيْتَ لَهُ السُّتُورَ دُونَكَ^(٢) .

٣٨ وَالصَّبْحُ تَخْلَفُ نُورَ الشَّمْسِ غُرَّتَهُ

وَقَرْنُهَا مِنْ وَرَاءِ الْأَفْقِ مُخْتَجِبٌ^(٣)

٣٩ أَمَا الْقَوَافِي فَقَدْ حَصَّنَتْ غِرَّتَهَا

فَمَا يُصَابُ دَمٌ مِنْهَا وَلَا سَلْبٌ

« غِرَّتَهَا » بكسر الغين ، و « غِرَّتَهَا » بالضم ، و « عُدْرَتَهَا »^(٤) .

(١) ل : « فقد كشفت » .

(٢) قال ابن المستوفى في الرد على المرزوقي : قوله « إن احتجب عنك الخليفة . . . » قول مضطرب لأن كلا من الخليفة والمدحوق قد يحجب أحياناً من يحجبه لتغير عليه وإبعاد له ، فلا احتياج في ذلك ولا دلالة في لفظ البيت عليه . وفسره الصولي بقوله : يقول إن كان المدحوق يحتجب وكذا الغيل يحتجب فيه اليث فقد كشفت عنك أنت الحجب وأنت خليفته ووزيره ومن يقوم مقامه ، فليس ذلك بعيب عليه ، وبين هذا البيت الذي بعده .

وروى الآملي : « من خلفك الحجب » وقال : إن يلق من دونك الخليفة الحجب فقد ألقى الحجب من خلفك وبرزت لنا نائباً عنه فلا حجاب دونك بل الحجاب ملق خلفك ، أي ملق وراء ظهره ، ثم مثل هذا المعنى في البيت الثاني بقوله « والصبح » إلخ . . .

(٣) م : « الأرض » .

(٤) قال ابن المستوفى : « عُدْرَتَهَا » عندي أجود لقوله « فما يصاب دم منها » والعُدرة البكارة ، ولقوله « حصنت » وإن كان مشتركاً .

وقال الآملي : وهذا محذو على قول ابن هرمة :

كان قصائدي لك فاصطنعت كرائم قد عضلن عن النكاح

٤٠ مَنَعْتَ^(١) إِلَّا مِنْ الْأَكْفَاءِ^(٢) نَاكِحَهَا

وَكَانَ مِنْكَ عَلَيْهَا الْعَطْفُ وَالْحَدَبُ

يقال حَدَبَ الرجل على ولده أو جاره يَحْدَبُ حَدَبًا إذا أشفق عليه وعطف ، وأصل ذلك أن المرأة إذا أشفقت على ولدها حَسَنَتْ ظَهْرَهَا مُكِبَّةً عليه فكأنَّها أصابها حَدَبٌ ، ثم صار كلُّ من أشفق على شيء يقال له قد حَدَبَ عليه .

٤١ وَلَوْ عَضَلْتُ^(٣) عَنِ الْأَكْفَاءِ أَيْمَهَا

وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِي أَطْهَارِهَا أَرْبُ

٤٢ كَانَتْ بَنَاتٍ نُصِيبُ حِينَ ضَنَّ بِهَا

عَنِ الْمَوَالِي وَلَمْ تَحْفَلِ بِهَا الْعَرَبُ

٤١ ، ٤٢ - [ص] قوله « في أطهارها » ، مثل ، جعلها كالنساء ، « وأطهار » جمع طُهر ، وإذا طَهَرَتِ المرأةُ احتججَ إليها ، وفي الحيض تُعْتَزَلُ . ويقال عَضَلْتُ الْأَيْمَ إذا مَسَعْتَهَا من الترويج ، و « الأيم » التي لا زوج لها ، ويقال تأيَّم الرجل إذا لم يتزوج ، وكذلك آمَ ، وقد كثر استعمال هذه الكلمة في الرجل إذا مات امرأته ، وفي المرأة إذا مات زوجها ، والشعر القديم يَدُلُّ على أن ذلك بالموت وبترك التزويج من غير مَوْتٍ ، قال الشماخ :

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أُحَدِّثَ أَنَّهَا وَإِنْ لَمْ أَنْلِهَا أَيْمٌ لَمْ تَزَوِّجْ^(٤)

ويقولون في الدعاء على الرجل ماله آمَ وعامَ ، أى فَقَدَ المرأةَ وعامَ إلى اللبن . ويُحْكِي عن بعض الأعراب أنه قال : لَيْتَ شِعْرِي مَا يَتَّقِعُ بَيْدِي بَعْدَ الْيَوْمِ ؟ ! أى بعد ما تركت التزويج . و « نُصِيبُ » الشاعر مَوْلَى آلِ مَرْوَانَ ، وكان

(١) س ، هـ ب : « منعت » بضمير المتكلم . (٢) س : « الإخوان » .

(٣) س ، هـ ب : « ولو عضلت » بضمير المتكلم . (٤) الديوان ص : ٧ .

أسود، ووُلِدَ له بنات، فكان يَشْحُ بهن على الموالى وتكره العرب أن تزوجهن، ويُنشَد
في هذا المعنى بيت ولم أجده منسوباً إلى نُصَيْب، ويجوز أن يكون لغيره وهو:
كَسَدَنَ مِنَ الْفَقْرِ فِي بَيْتِهِ^(١) وَقَدَ زَادَهُنَّ سَوَادِي كُسُودًا

[ع] والمعنى أن هذا الممدوح أكرم القوافي ولم يحوج المادح أن يمدح بها من
لا يستحقها، ولو امتنع من قبُولها ولم يرغب في أن تهدي إليه لكانت مثل
بنات نُصَيْب، يضمن بها الشاعر أن يمدح بها غير كريم، كما أن نُصَيْباً
لم يرغب أن يزوج بناته في العبيد. [ص] قيل وإنما قال أبو تمام هذا لأن محمد
ابن عبد الملك كان يعميه بمدحه من لا يستحق شعره ومدحه* [ق] وقيل
لنُصَيْب: ما حالُ بناتك؟ فقال: صبيت عليهن من جليدي فكسدن على!

٤٣ أَمَّا وَحَوْضُكَ مَمْلُوءٌ فَلَا سُقِيَتُ

خَوَامِيسِي إِنْ كَفَى أَرْسَالُهَا الْغَرْبُ

[ق] يقول: إذا صادفتك راغباً في شعري، مُعِدّاً لي الثواب عليه،
فلا ستقي الله لإبلي إن عدلت عن حوضك المملوء، واقتصرت أرسالها —
وهي الجماعات — على الغرب — وهو الماء الجاري بين البئر والحوض ض*
و «الخواميس» من الإبل التي تترد الخمس وهي أن ترد يوماً وترعى ثلاثة
ثم تترد في اليوم الخامس، وتردد الخمس والخوامس في أشعارهم كثير،
وقلما يذكرون السدس والسبع وغيرهما من الأظماء. و «الأرسال» جمع رسل،
فقال قوم هو اسم للإبل، وقال آخرون بل الرسل الخمس عشرة^(٢) والعشرون
تُرسل على الحوض ولا تكون إلا صغاراً، والاشتقاق يُوجب أن الأرسال
التي يتبع بعضها بعضاً في الإبل وغيرها، قال امرؤ القيس وذكر الخيل:
إِذْ هُنَّ أَرْسَالٌ كَرَجَلِ الدَّبَا أَوْ كَقَطَا كَاطِمَةِ النَّاهِلِ^(٢)

٤٤ لَوْ أَنَّ دِجْلَةَ لَمْ تُحَوِّجْ وَصَاحِبَهَا

أَرْضَ الْعِرَاقَيْنِ لَمْ تُخَفِّرْ بِهَا الْقُلُبُ

(المرزوقي): قدّم المعطوف على المعطوف عليه، والتقدير: لم تحوج أرض

(١) ب، ن: «في قويمهن». (٢) العقد الثمين ص: ١٥١.

العراقيين وصاحبها^(١). يقول : لولا حاجتي لكنت لا أتبدّل بمدح الأوساط وتقريظهم ، لكن دواعي الفقر تبغثني عليه إذ لم يكن لي من جهتك كفاية مع كثرته وغزارته ، كما أن أهل العراقيين لو كفاهم دجلة والفرات على فيضهما لم يحفروا القلْب والآبار ، ورواية غيره : « لو أن درجسته لم تحوج وأنجداهما ماء العراقيين »^(٢).

٤٥ لم ينتدبْ عُمَرُ^(٣) للإبلِ يَجْعَلْ مِنْ

جُاودِها النَّقْدَ حَتَّى عَزَّهَ الذَّهَبُ

يقول : إن الإنسان قد يضطر إلى الشيء فيفعله وهو عالم أن غيره أفضل منه ، مثل ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أراد أن يقطع جلود الإبل على مقدار الدراهم ويجعل الناس يتعاملون بها ، والعلم مُحيط أن ذلك كان على معنى الضرورة لقلّة الذهب والفضّة . وقوله « حتى عزّه الذهب » أى غلبه ، والمعنى حتى عزّه وجدان الذهب .

٤٦ لا شَرِبَ أَجْهَلُ مِنْ شَرَبٍ إِذَا وَجَدُوا

هَذَا اللَّجَيْنِ فَدَارَتْ فِيهِمُ الْعُلْبُ

يقول : هؤلاء الشَّرب أَجْهَلُ مِنْ شَرَبٍ إِنْ وَجَدُوا آتِيَةَ الْفِضَّةِ يَشْرَبُونَ فِيهَا فَشَرَبُوا فِي الْعُلْبِ ، والأطباء يزعمون أن الشَّرب في الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَضِيلَةٌ . و « الْعُلْبُ » جمع عُلبَةٍ وهى إناء من جلود يُجعل حولَه قَصِيبٌ من الشجر ويُحلب فيه ، قال الشاعر :

وَأُورِثُكَ الرَّاعِي عُبَيْسِدُ هِرَاوَةَ وَمَاطُورَةَ فَتَوْقَ الْحَوِيَّةِ مِنْ جِلْدٍ
- يعنى : « المَاطُورَةُ » عُلبَةٌ ، لأنَّ الْقَصِيبَ يُوطَّرُ حَوْلَهَا أَى يُحْنَى .

(١) وتكملة كلام المرزوق كما فى كتابه : « ويجوز أن يكون أراد لو أن دجلة وصاحبها
فصل بين المعطوف وما عطف عليه بـ "لم تحوج" ، ويعنى بصاحبها الفرات » .

(٢) هى رواية م ، ل ، س . وفى هـ ب « وأنجداهما الفراتين » - هـ س : « لم تحوج
صاحبها أرض العراقيين » - ظ : ويروى « لم تمنع وساح لها » وقال أى لم تؤخذ مزمتها أى بقيتها .
(٣) فى ظ : ويروى « لم يبتدر » .

٤٧ إِنَّ الْأَسِنَّةَ وَالْمَازِيَّ مُذْ كَثُرَا

فَلَا الصِّيَاصِي لَهَا قَدْرٌ وَلَا الْيَلْبُ

« المَازِي » الدَّرُوع ، يُقَال دَرَعُ مَازِيَّةٍ وَهِيَ الْبِيضَاءُ ، وَقِيلَ بِلِ السَّهْلَةِ اللَّيْنَةِ ، وَ « الصِّيَاصِي » الْقُرُونُ ^(١) . وَ « الْيَلْبُ » شَيْءٌ يُتَّخَذُ مِنَ الْجُلُودِ عَلَى هَيَاةِ الدَّرُوعِ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَصِلُوا إِلَى الدَّرُوعِ الْمَتَّخَذَةِ مِنَ الزَّرْدِ . وَ « الْأَسِنَّةُ » الْمَضْرُوبَةُ مِنَ الْحَدِيدِ . [ع] وَقَوْلُهُ « مُذْ كَثُرَا » جَعَلَ الْأَسِنَّةَ وَالْمَازِيَّ كَالْأَثْنَيْنِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَتَقَعُّ عَلَى جَمْعٍ ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْغْفَرُ :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُسُوفَ كِلَاهُمَا يُوفِي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِي ^(٢)
فَجَعَلَ الْحُسُوفَ كَالوَاحِدِ .

٤٨ لَا نَجْمَ مِنْ مَعَشَرٍ إِلَّا وَهْمَتُهُ

عَلَيْكَ دَائِرَةٌ يَا أَيُّهَا الْقُطْبُ

٤٩ وَمَا ضَمِيرِي فِي ذِكْرَاكَ مُشْتَرَكٌ

وَلَا طَرِيقِي إِلَى جَدْوَاكَ مُنْشَعِبٌ

٥٠ لِي حُرْمَةٌ بِكَ لَوْلَا مَا رَعَيْتَ وَمَا

أَوْجَبْتَ مِنْ حِفْظِهَا مَا خِلْتُهَا تَجِبُ

٥٠ - [ص] يَقُولُ : لِي بِكَ حُرْمَةٌ لَيْسَتْ بِوَكِيدَةٍ ، فَأَوْجَبْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِكَرَمِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَقْدَارِهَا .

٥١ بَلَى لَقَدْ سَلَفَتْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ

لِلْحَقِّ - لَيْسَ كَحَقِّي نُصْرَةَ - عَجَبُ

(١) المفضليات ٢ : ١٦ ، والأغاني ١١ : ١٢٩ .

٥٢ أَنْ تَعْلَقَ الدَّلُو بِالْأَلُو الْغَرِيبَةِ أَوْ يُلَابَسَ الطُّنْبَ الْمُسْتَحْصِدَ الطُّنْبُ

٥١ و ٥٢ - [ع] قوله « ليس كحقي » هذه الجملة في موضع نصب على الحال ، وما يُعرف به ذلك أن تكون الجملة يَحْسُنُ قبلها « الذي » فلو قيل : من الحق الذي ليس كحقي لَحَسُنَ ، وكان « الذي » وما بعدها في موضع صفة للحق ، فلما حذِفَ الاسمُ المتوصلُ به إلى أن تكون الجملة في صفة الاسم الأول صارت هي في موضع الحال . وقوله « أَنْ تَعْلَقَ » يجوز أن يكون « أَنْ » وصلتها في موضع خفض على البدل من « الحق » ، ولا يمتنع أن يكون في موضع رفع على تقدير حذف المبتدأ . والذي ذكره في البيت شيء كان من أمر الجاهلية إذا نَزَلَ الرجلُ مع الرجل فاتصلت أطنابُ بيوتِ أحدهما بأطنابِ بيوت الآخر كان ذلك حُرْمَةً له وسبباً يقتضي نَصْرَهُ * . ويقال إن عِيَّاضَ بن الدِّيهْت كانت له قصة في الجاهلية افتقر فيها إلى نَصْرِ الحارث بن ظالم المُرِّي ، فجاء عِيَّاضٌ بدلوهُ فأعلَقَها في دلاء الحارث بن ظالم التي تستقي بها رِعاؤه ، وذَهَبَ فادَّعَى جِوَارَ الحارث ، فقبل : إنه لا جِوَارَ بينكما ، فقال أحدُ الرجلين : * علقتُ مَعَالِقَهَا وصَرََّ الجُنْدُ بٌ * . يعني علقتُ الدلو مَعَالِقَهَا ، وصَرََّ الجُنْدُ بٌ . و « الْمُسْتَحْصِدُ » المُحْكَمُ القَتْلُ .

٥٣ إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ عَزَّتْ بِدَوْلَتِهِ

دَعَائِمُ^(١) الدِّينِ فَلْيَعِزِّرْ بَكَ^(٢) الْأَدَبُ

(١) في ظ : روى الآمدي : «دعائم الملك» وقال : دعائم الملك إنما توصف بأنها قد تمكنت وثبتت وقامت وتوطدت ، فهذا هو اللفظ المستعمل فيها ألا ترى أنها إذا وصفت بضد هذا الوصف قيل وهت وسقطت وخربت ، ولا يقال ذلت ؟ وهذا وإن لم يكن خطأ فليس بجيد ، لأنه لفظ موضوع في غير موضعه . قال ابن المستوفى معقبا عليه : كان الآمدي كثير التعصب على أبي تمام ، وهذا الذي ذكره هو على ما ذكره ، لكن في أوصاف الدعائم حقيقة ، فأما مجازاً فجازاً جوازاً حسناً . هذا إذا كانت لفظة « عزت » ضد لفظة « ذلت » فإن أراد بها الشدة والقوة من قولهم من عز بز ، ومن التفسير في قوله تعالى فعزيزنا بثالث « مخففاً ومشدداً » ، أى قويننا وشددنا ، فهو موضوع في موضعه على الحقيقة ، خارج عن أن يلحقه ما استدركه الآمدي في معنى شيء من شعر أبي تمام . (٢) ظ : ويروى « فليعزيز به » .

٥٤ مَالِي أَرَى جَلَبًا فَعَمًّا وَلَسْتُ أَرَى

سَوْقًا وَمَالِي أَرَى سَوْقًا وَلَا جَلَبُ؟!

٥٤ - « الفَعَم » الكثير . وقوله « سَوْقًا » جعل المصدر نعتًا للجَلَب لأنه يُسَاق ، وهذا كقولهم زَوَّرَ أَى زائِرُونَ .

[ص] وهذا مثل ضربه فقال : مَالِي أَرَى مدائحى كالجَلَب الكثير المتواتر ولا أَرَى سَوْقًا ، أَى لا أَرَى مَنْ يريدها ويأخذها بحقها وما تُساوى ^(١) ، ثم قال :

٥٥ أَرْضُهَا عُشْبٌ جَرَفٌ وَلَيْسَ بِهَا

مَاءٌ وَأُخْرَى بِهَا مَاءٌ وَلَا عُشْبُ

[ص] يقول : مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَ شِعْرِى ويريده ليست تُبَسِّطَ يَدُهُ لمكافأتى ، وَمَنْ يَجِدُ ويقدر على ذلك لا يفعله ، فليس يحتمل لى هذان كما لم يجتمع الماء والعُشْبُ .

٥٦ خُذْهَا مُغْرَبَةً فِي الْأَرْضِ آنَسَةً

بِكُلِّ فَهْمٍ غَرِيبٍ حِينَ تَغْتَرَبُ ^(٢)

٥٧ مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ فِيهَا إِذَا اجْتَنَيْتَ

مَنْ كُلِّ مَا يَجْتَنِيهِ ^(٣) الْمُدْنَفُ الْوَصْبُ

٥٨ الْجِدُّ وَالْهَزْلُ فِي تَوْشِيعٍ لُحْمَتِهَا

وَالنُّبْلُ وَالسُّخْفُ وَالْأَشْجَانُ ^(٤) وَالطَّرَبُ

« تَوْشِيع » من قولهم وَشَعْتُ الْبُرْدَ إِذَا جَعَلْتَ فِيهِ أَلْوَانًا وطرأ . [ص]

(١) شرح الصول يدل على أنه رواها « سَوْقًا » بضم السين

(٢) شرحه الصول بقوله : « مغربة » من الاغتراب ، ليس أنها أتت المغرب ، وهى على غربتها تأنس

بكل فهم غريب ، أى قليل النظير فى صفاته وجودته حين تغترب هى فى فعلها هذا ، آنسة بهذه الأفهام .

(٣) ب ، م ، ل ، س ، ظ ، د : « ما يشتهيه » .

(٤) فى ظ ويروى : « والأحزان » .

يقول : تَصَرَّفْتُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِجِدٍّ وَهَزَلٍ ، وَفِيهَا طَرَبٌ لِمَنْ مَدَحْتُ ، وَحُزْنٌ لِمَنْ ذَمَمْتُ . « فِي تَوْشِيْعٍ لِحَمَّتِهَا » أَيْ فِي نُقُوشٍ لِحَمَّتِهَا ، أَيْ فِي تَضَاعِيْفِهَا ^(١) .

٥٩ لَا يُسْتَقَى ^(٢) مِنْ جَفِيرِ الْكُتُبِ رَوْنَقُهَا

وَلَمْ تَزَلْ تَسْتَقَى مِنْ بَحْرِهَا الْكُتُبُ
[ع] أصل « الجفير » إنما هو للسَّهَام ، وذلك من خَشَبٍ يُنْقَرُ وَيُجْعَلُ فِيهِ النَّبْلُ ، وَرَبَّمَا سَمَّوْهُ جَفَرًا ، قَالَ الشَّنْفَرَى ^(٣) .

* وَرَامَتْ بِمَا فِي جَفْرِهَا ثُمَّ سَلَّتْ *

وَالطَّائِي إِنَّمَا جَاءَ بـ « الْجَفِيرِ » هَا هُنَا وَهُوَ يَرِيدُ الْجَفَرُ الَّذِي هُوَ بَشَرٌ ، يُقَالُ وَرَدُوا جَفَرَ بْنَى فُلَانٍ ، وَهُوَ بَشَرٌ قَلِيلَةُ الْمَاءِ لَا طَيَّ لَهَا ، وَمِنْهُ جَفَرُ الْهَبَاءَةِ ، وَمَنْقُودٌ فِي أَكْثَرِ كَلَامِهِمْ أَنَّ يُقَالُ جَفِيرٌ فِي مَعْنَى جَفَرٍ . وَقَوْلُهُ « مِنْ بَحْرِهَا » يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرُدْ إِلَّا الْبَشَرُ . وَلَوْ رُوِيَ « مِنْ حَقِيرِ الْكُتُبِ » ^(٤) بِالْحَاءِ كَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا مُتَعَارَفًا ، لِأَنَّ كُلَّ بَشَرٍ حَقِيرٌ إِذَا كَانَتْ تُحْفَرُ .

٦٠ حَسِيَّةٌ فِي صَمِيمِ الْمَدْحِ مَنْصِبُهَا إِذَا أَكْثَرَ الشَّعْرُ مُلْقَى ^(٥) مَالُهُ حَسَبُ

(١) قَالَ الْآمِدِيُّ فِي ظ : قَوْلُهُ « الْجِدُّ وَالْهَزْلُ فِي تَوْشِيْعٍ لِحَمَّتِهَا » بَيْتٌ فِي غَايَةِ الْحَقِّ ، وَمَنْ يَمْدَحُ وَزِيْرًا فَلَمْ يَضْمَنْ قَصِيدَتَهُ الْهَزْلَ وَالسَّخْفَ ؟ وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا فَلَمْ يَنْبَغِ عَلَيْهِ وَاعْتَرَفَ بِهِ ؟ وَلَعَمْرِي إِنْ قَوْلُهُ مِنْهَا : وَزِيْرٌ حَقٌّ وَوَالِي شَرْطَةٌ « (الْبَيْتُ ٢٦) » يَخْفَى يَزِيدٌ عَلَى كُلِّ سَخْفٍ .
(٢) س ، د ، هـ ، ب : « لَا يُسْتَقَى » عَلَى مَا سَمِيَ فَاعِلُهُ . وَقَالَ فِي ظ : وَيُرْوَى « لَا يُسْتَقَى » عَلَى مَا لَمْ يَسْمِ فَاعِلُهُ ، وَالْأَوَّلُ أَجُودُ . (٣) الْمَفْضُلِيَّاتُ ١ : ١٠٩ ، وَأَوَّلُهُ :
* إِذَا فَرَعُوا طَارَتْ بِأَبْيَضٍ صَارِمٌ *

(٤) رَوَى الصُّوْلِيُّ كَمَا جَاءَ فِي نَسْخَتِي م ، ل « مِنْ خَفَى الْكُتُبِ وَهِيَ رَاوِيَةٌ دَائِيضًا ، وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : وَهَذَا يُخْرِجُهُ عَمَّا تَعْقِبُهُ أَبُو الْعَلَاءِ . وَقَالَ فِي ظ : وَالرَّوَايَةُ الْفَاشِيَّةُ « مِنْ جَفِيرِ الْكُتُبِ » بِالْجِيمِ الْمَعْجَمَةِ . وَقَالَ : وَوَجَدْتُ فِي نَسْخَةٍ قَدِيمَةٍ مَصْحُوحَةً : « مِنْ حَقِيرِ الْكُتُبِ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، أَرَادَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمَرْوُوقَةٍ . وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى أَخِيرًا : وَلَوْ أَنَّ الطَّائِي قَالَ :

لَا يُسْتَقَى مِنْ خِيَارِ الْكُتُبِ رَوْنَقُهَا وَلَمْ تَزَلْ تَسْتَقَى مِنْ جَفْرِهَا الْكُتُبُ

أَوْ « مِنْ بَحْرِهَا » صَحَّ الْمَعْنَى وَكَانَ أَتَمَّ وَبَرَىءٌ مِمَّا أَخَذَهُ عَلَيْهِ أَبُو الْعَلَاءِ .

(٥) ظ : « مَلَى » بِالْفَاءِ ، وَذَكَرَ رَاوِيَةُ الْأَصْلِ .

وقال أيضاً يمدحه :

١ أما وَقَدْ أَلْحَقْتَنِي بِالْمَوْكِبِ
وَمَدَدْتَ^(١) مِنْ ضَبْعِي إِلَيْكَ وَمَنْكِبِي
الأول من الكامل والقافية مُتَدَارِك .

[ع] « الضَّبْع » العَصْدُ ، وإنما الكلامُ مَدَدْتَ ضَبْعِي ، وهذا كقولهم
رَفَعَ مِنِّي ، أَيْ رَفَعَنِي .

٢ فَلَا تُعْرِضَنَّ عَنِ الْخُطُوبِ وَجَوْرِهَا
وَلَا تُصَفَحَنَّ عَنِ الزَّمَانِ الْمُذْنِبِ

٣ وَلَا لَبَسَنَّكَ كُلَّ بَيْتٍ^(٢) مُعْلَمٍ
يُسَدِّى وَيُلْحَمُ بِالثَّنَاءِ الْمُعْجَبِ

٤ مِنْ بَزَّةِ الْمَدْحِ الَّتِي مَشْهُورُهَا^(٣)
مُتَمَكِّنٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ قُلُوبِ

٥ نَوَارُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ الْغَضِّ الَّذِي
يَجْنُونَهُ رِيحَانُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ

(١) س : « وجذبت » - ظ : « وملأت » .

(٢) هـ : « كل ثوب » .

(٣) م ، ل ، س ، د ، هـ : « الذى مشهوره » .

٦ أَبَدَيْتَ لِي عَنْ جِلْدَةِ^(١) الْمَاءِ الَّذِي
قَدْ كُنْتُ أَعْهَدُهُ^(٢) كَثِيرَ الطُّحْلِبِ

٦ - [ع] جعل للماء جِلْدَةً مُسْتَعِيرًا ، كما قالوا : جِلْدُ السَّمَاءِ
وَأَدِيمُ الْأَرْضِ .

[ص] يقول : صَفَيْتَ لِي الْعَطَاءَ وَسَهَّلْتَهُ ، وَكُنْتُ أَعْهَدُهُ مِنْ غَيْرِكَ كَدِرًا
عَسِيرًا ، فَجَعَلَهُ كَالْمَاءِ يَرْكَبُهُ الطُّحْلِبُ .

٧ وَوَرَدْتَ بِي بِجُبُوحَةِ الْوَادِي وَلَوْ
خَلَيْتَنِي^(٣) لَوَقَفْتُ^(٤) عِنْدَ الْمَذْنَبِ

« بِجُبُوحَةِ الْوَادِي » وسطه ومعظمه ، و « الْمَذْنَبِ » الساقية .

٨ وَبَرَقْتَ لِي بَرَقَ الْيَقِينِ وَطَالَمَا
أَمْسَيْتُ مُرْتَقِبًا^(٥) لِبَرَقِ الْخُلْبِ^(٦)

« الْخُلْبِ » الَّذِي يَخْلُبُ وَلَا يُمَطِّرُ . [ص] يقول : وَصَلْتَنِي بِالْمُعْظَمِ
الَّذِي هُوَ كَبُجُبُوحَةِ الْوَادِي ، وَلَوْ أُعْطِيتَنِي مَقْدَارَ طَلْبَتِي وَرَغْبَتِي لَتَقَنَعْتُ بِالْيَسِيرِ
الَّذِي هُوَ كَالْمَذْنَبِ ، وَلَكِنَّكَ تَجَاوَزْتَ بِي أَمَلِي . ثُمَّ قَالَ « وَبَرَقْتَ لِي » أَيْ
وَعَدْتَنِي وَعَدًّا صَادِقًا وَكَانَ غَيْرِكَ يَبْعِدُنِي فَيُخْلِفُ ، فَكُنْتُ ذَا بَرَقٍ صَادِقٍ وَكَانَ
ذَا بَرَقٍ كَاذِبٍ خُلْبٍ . وَفِي نَسْخَةٍ : « لِبَرَقِي خُلْبٍ » .

(١) د ، هـ : « صفحة » - وجاء في ظ : قال صاحب رحمه الله : سمعت الأستاذ الرئيس
(الشريف الرضي) ينشد أبيات أبي تمام التي أولها * أما وقد ألحقتني بالموكب * وينشد : « أبرزت لي
عن صفحة الماء » ، فقالت : زَيْنُ سِيدِنَا هَذَا الشَّعْرُ بِإِقَامَةِ « الصَّفْحَةِ » مَقَامَ « الْجِلْدَةِ » ، فَقَالَ : كَذَا
يَلْزَمُ لِمَثَلِ أَبِي تَمَامٍ إِذَا امْكُنَ إِصْلَاحُ بَيْتٍ وَتَهْذِيبُ قَصِيدَةٍ بِكَلِمَةٍ . (٢) س : « أعرفه » .

(٣) م ، ل ، ظ : « خلقتني » س ، هـ ب : « طاوعتني » (٤) ظ : « لوقعت » .

(٥) ظ ، هـ ب : « مرتفقًا » وقال ابن المستوفى في تفسيرها : أَيْ مُتَكَنًّا عَلَى مَرْفَقِ يَدِهِ .

(٦) في أصلي ش ، ب « لبرق خلب » وأثبتنا « لبرق الخلب » لأنها كذلك في جميع الأصول
ولأن كلام التبريزي يدل عليها .

٩ وَجَعَلْتَ لِي مَذْذُوحَةً مِنْ بَعْدِ مَا
أَكْدَى عَلَى تَصَرُّفِي وَتَقَلُّبِي

« المذذوحة » السبب والمذهب . و « أكدي » أي قتل خيرهُ ، أي جعلت لي سبباً وطريقاً إلى الغنى بعد ما كنت خائباً في مُتصرفاتي وتقلُّبي في الأمور .

١٠ وَالْحُرُّ يَسْلُبُهُ جَمِيلَ عَزَائِهِ
ضِيقُ الْمَحَلِّ^(١) فَكَيْفَ ضِيقُ الْمَذْهَبِ؟

[ص] يقول : الحرّ يذهب عزاءه إن ضاق به منزل ، فكيف إذا ضاق مَطْلَبُهُ ولم يجد مَذْهَباً ؟!

١١ هَيْهَاتَ يَا أَبَى أَنْ يَضِلَّ بَنِي السَّرَى
فِي بَلَدَةٍ وَسَنَّاكَ فِيهَا كَوَكْبِي

١٢ وَلَقَدْ خَشِيتُ بَيَّانَ تَكُونُ غَنِيمَتِي
حَسْرَ الزَّمَانِ بِهَا وَبَرْدَ الْمَطْلَبِ

١٢ - [ص] « بها » أي بالبلدة ، يقول : لولاك لكنت قاسيتُ حَرَّ هذه البلدة يعني « سُرَّ من رأى » * . قال الشيخ أبو عبد الله الخطيب : معنى بَرْدِ المطلب ألا يأتيه الشيء عفواً من غير مشقة تلحقه .

١٣ أَمَّا وَأَنْتَ وَرَاءَ ظَهْرِي مَعْقِلٌ
فَلَأَنْهَضَنَّ بِفَقَارِ صُلْبٍ^(٢) صُلْبٌ

(١) س : « ضيق الفناء » .

(٢) م ، ل ، ظ : « بفقر ظهر » .

١٤ وكذلك^(١) كانوا لا يخشون الوغا

إلا إذا^(٢) عرفوا طريق^(٣) المهرب

[خ] : « وكذلك كانوا . . . » يعنى أن الحازم لا يهجم فى الورود على شىء إلا وقد عرف طريق رجوعه .

(١) فى أصل ش ، ب « ولذلك » وهى رواية م ، ظ ، غير أن شرح البيت وسائر الأصول يرجح رواية « وكذلك » .

(٢) د ، هـ ب : « إلا وقد عرفوا » .

(٣) س ، هـ د : « مكان » .

(٤) هذا الرمز فى أصل ش ، ب ، وليس له دلالة فى الرموز التى نبتة عليها التبريزى فى آخر شرحه . فلعلمه رمز للشيخ أبى عبد الله الخطيب .

وقال يمدح محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي :

١ إِنَّ بُكَاءَ فِي الدَّارِ^(١) مِنْ أَرِيهِ
فَشَايِعًا^(٢) مُغْرَمًا عَلَى طَرِيهِ
الأول من المنسرح والقافية متراكب .

« فشايعا » على خطاب الاثنين لأن العرب تستعمل ذلك كثيراً وإن لم يتقدم ذكر الخليلين ولا الصاحبين لما كان المراد معلوماً عندهم . يقول : من أربي أن أبكي في دار الأجابة فتابعاني على ذلك .

٢ مَا سَجَسَجُ الشَّوْقِ مِثْلَ جَاحِمِهِ
وَلَا صَرِيحُ الْهَوَى كَمُوتَشِبِهِ

[ص] يقول لصاحبه : تابعاني فإن هوى صريح أي خالص ، وهواً كما مؤتَشِب أي مُختَلِط . و « السَّجَسَج » الناعم السهل ، وهواء سَجَسَج إذا لم يكن حرّاً ولا قُرّاً . و « جاحِم » النار معظمها والسَّجَسَج الشيء بين الشيتين ، وفي الحديث « هواء أهل الجنة سَجَسَج » فأما السجسج من الأرض إذا حُمِلت على هذا فيجب أن تكون ليست بالسهلة ولا الغليظة .

٣ جِيَدَتِ بَدَانِي الْأَكْنَافِ^(٣) سَاحَتُهَا^(٤)

نَائِي الْمَدَى وَكِفِ الْجَدَى سَرِيهِ

هذا دُعَاء منه لها ، ويروى :

« جِيَدَتِ بَدَانِي الْأَكْنَافِ دَانِي الذَّرَى وَآهِي الْكُلَى وَكِفِ الْجَدَى سَرِيهِ »

- (١) د ، هـ ، م ، س : « في الربيع » . وجاء في ظ : ويروى « إن بكاء في الديار » و « إن بكاء الديار » . (٢) ق ، د ، هـ ، ب : « فشايين » ، وروها ظ . (٣) ظ : ويروى : « بداني الرباب » . (٤) ظ : ويروى « ساحبا » ، وقال : من سحبه جرّه .

[ع] « الأكناف » النواحي ، و « واهى الكللى » كناية عن انبعائه بالمطر ، يقال وَهَسَ المَزَادَةُ إِذَا انْخَرَقَتْ . و « الكللى » جمع كُلِّيَّة وهي رقعة في المَزَادَةُ ، ولو قيل إنه أراد الكلئية المعروفة على معنى الاستعارة لم يَتَعَذَّرَ ذلك ، فأَمَّا الوجه الأول فتداوَل في الشعر ، قال الشاعر :

فَا شَسْنَا خَرَفَاءَ وَاهِيْنَا الْكُلَّى سَقَى بِهِمَا سَاقٍ وَلَمْ تَتَبَلَّلَا
وأصل « الوُكُوف » أن يكون المطر قليلاً ليس بالكثير . و « الجندى » المطر الغام ، و « السَّرب » السائل .

٤ مُزْنٌ إِذَا مَا اسْتَطَارَ بَارِقُهُ

أَعْطَى الْبِلَادَ الْأَمَانَ مِنْ كَذِبِهِ^(١)

أى إذا بَرَقَ بَارِقُهُ فَبَرِقَ صَادِقٌ غَيْرُ كَاذِبٍ كَالْخُلْبِ .

٥ يَرْجِعُ حَرَى^(٢) التَّلَاعِ مُتْرَعَةً

رِيًّا وَيُثْنِي الزَّمَانَ عَنْ نُوبِهِ

ويروى « تَرْجِعُ عَنْهُ التَّلَاعُ مُتْرَعَةً »^(٣) .

ويروى : « حَرَى الْبِلَادِ »^(٤) أى يَرُدُّ الْبِلَادَ الْعِطَاشَ مُرْتَوِيَةً ، وَيُثْنِي

الزَّمانَ عَنْ أَنْ تَنْوِبَ نَوَائِبُهُ .

٦ مَتَى يَضِيفُ بَلَدَةً فَقَدْ قُرِيتَ^(٥)

بِمُسْتَهْلٍ الشُّؤْبُوبِ مُنْسَكِبَةٍ

[ص] « يَضِيفُ » أى يَنْزِلُ ، جَعَلَ السَّحَابَ كَالضَّيْفِ يَنْزِلُ بِهِذِهِ الْبَلَدَةَ .

« فَقَدْ قُرِيتَ » أى الْبَلَدَةُ . وَالرَّوَايَةُ الْجَيِّدَةُ : « مَتَى يَضِيفُ » أى إِذَا أَضَافَ بَلَدَةً

(١) ظ : ويروى : « مِنْ كَلْبِيَّة » .

(٢) ظ : ويروى « دَانَ يَرُدُّ التَّلَاعَ » .

(٣) هـى رواية م ، ل ، س ، وروها ظ .

(٤) هـى رواية ظ .

(٥) س : « رُوِيَتْ » .

أكمل ضيافتها بمطر مُسْتَهْلٍ الشُّبُوبِ ، و « المُسْتَهْلِ » الذى فيه رَعْدٌ ،
والاستهلال رفع الصوت ، و « الشُّبُوبِ » دَفْعَةٌ من المطر ، والجمع شَائِبٍ ،
و « المُسْكَبِ » المتدفق .

٧ - لَا تُسَلِّبُ^(١) الْأَرْضُ بَعْدَ فُرْقَتِهِ

عَهْدَ مَتَابِعِهِ وَلَا سُلْبِهِ

أى إذا فارق هذا المطرُ الأرضَ بَقِيَ أثره فيها ، ويروى « بعد فُرْقَتِهِ » جمع
الفارق وهى الحامل التى انفردت عن الإبل .

[ع] و « المتابع » جمع مُتَبِعٍ وهى الناقة التى يتبعها ولدها .
و « سُلْبٌ » جمع سَلُوبٍ وهى التى سُلِبَتْ ولدها بموت أو ذبح ، واستعار
المتابع والسلب للسحاب ، كأنه شَبَّهَ صوت الرعد بحنين السَلُوبِ ، وتتابع
الغَيْمِ بتتابع أولاد النُوقِ لها . وقد شَبَّهَتْ العربُ السحابَ بالإبل فى مواضع
كثيرة ، قال الشاعر :

كَأَنَّ هَزِيرَهُ بَوْرَاءَ غَيْبٍ عِشَارٌ وَلَهُ لَاقَتْ عِشَارَا

وقال آخر :

أَحْمَمَ سِمَاكِئًا كَانَ رَبَابَهُ سَوَامٌ مُهَيَّبٍ مِّنْ بَنَى السَّيِّدِ أَوْ رَدَا

(١) جاء فى ظ : وروى الآمدى : « لا تثلُب الأرض » وقال : الثلب أشد الذم ، أى لا تدم
الأرض عهد متابعيه . وفسر « المتابع » و « السلب » بما فسرهما به التبريزى ، ثم قال : أى تثنى
الأرض عليها ولا تدم عهدها ، كما قال مسلم :

* أثنى عليها السهل والأوعار *

ومن روى « لا تسلب الأرض » كان أجود ، أى عهد هذا الغمام حتى يكون باقياً فى الأرض لا تسلبه ،
لا الماطر ولا غير الماطر ، فلا تخلو من الثرى والنبات . وروى الحارزنجى والمرزوق « لا تثلُب الأرض
بعد فرقتها » وقال : ويعنى بهما ها هنا السحاب التى فيها المطر والى لا مطر فيها ورواية س « تثلُب »
وبهامشها رواية الأصل . وجاء فى ظ أيضاً : ويروى : « لا تنكر الأرض » .

٨ مُزْمَجِرٌ ^(١) الْمِنْكَبِينَ صَهْصَلِقُيُطْرِقُ ^(٢) أَزْلُ الزَّمانِ ^(٣) مِنْ صَخْبِهِ

« الزَّمَجِر » صوت يخرج من الجوف ، كأنه شبه الرعد بالزَمْجَرَة ، و « الصَّهْصَلِق » الشديد الصوت ، و « الأزل » الضيقُ والحَبْس . يقول : إذا صَوَّتَ هذا المطرُ أروى الأرض فسكتَ أزلُ الزمان .

[ع] ويروى : « مُجَرَّمُ الْمِنْكَبِينَ » أى مُجْمِعُهُمَا ، اجرمز الرجل إذا اجتمع في جلسته ، قال الراجز :

* يا أخوى ضَبَّةَ لا تجرمزنا *

والرواية الأولى الوجه .

٩ عَاذَتْ صُدُوعُ الْفَلَابِهِ وَلَقَدْ

صَحَّ أَدِيمُ ^(٤) الْفَضَاءِ مِنْ جُلْبِهِ

« الصَّدُوع » جمع صَدْع وهو الشَّق ، و « الْجُلْب » الآثار في ظهر البعير . [ع] والمعنى : أن هذا الغيثَ أمطر البلاد فصارت كلها ماءً ، كما يقال أصبحت البلاد مَحْوَةً واحدةً إذا عَمَّها المطر ، فكأنه جعل الوهود والأودية صُدُوعاً في الأوض فلما مَلَأها الغيث صَحَّ به أديم الأرض الذى كان به مِثْلُ الْجُلْب ، فهذا وجه . ويحتمل أن يريد ظُهُورَ النَّبْت ، وأن الأرض صارت كلها مُرَوَّضَةً ليس فيها موضع خال من نبات كما كانت قبل * [ق] وقيل قد كان بَعْدَ عَهْدِهَا بالمطر فانشقَّت وصارت فيها صُدُوع فعاذت به ، فانشعبت صُدُوعُهَا والتأمت شقوقُهَا .

(١) في ظ : روى الحارزنجي « مرتجز المنكين » أى راعداً .

(٢) د : « يسكت » وروتها ظ ، وفيها : وروى الحارزنجي « يطرد أزل الأيام في صخبه » .

(٣) س : « الأيام » .

(٤) د : « أديم الزمان » - ظ « أديم الفلا » - وجاء في ظ : ويروى « من لجه » وقال أى من صوته وجلبته ، يعنى من مطره الذى له صوت . وروى الحارزنجي « ولقد ضج أديم الفلاة من جلبه » وقال : يقول : عاذت بهذا المزن الفلا ، أى نباتها ، فلاذت من يبس الزمان ، فهو يعينها ويحيرها ، وقد ضج أديم الفلاة وبلغ الجهد من جلبه هذا الصوت ومطره .

١٠ قَدْ سَلَبْتُهُ الْجَنُوبُ وَالْدِّينُ وَالْدُّنُ يَا وَصَافِي ^(١) الْحَيَاةِ فِي سَلْبِهِ

ويروى :

قد حَلَبْتُهُ الْجَنُوبُ فَالْدِّينُ وَالْدُّنُ يَا وَصَافِي الْحَيَاةِ فِي حَلْبِهِ ^(٢)
 جعل الجنوبَ تَحْلَبُ السحابَ كما تُحْلَبُ الناقة . [ع] وهم يصفون
 الجنوب والصَّبَا بتلقيح السحاب ومَرْيِهِ * ، قال الشاعر :
 أَنَاخَ بَذَى بِتَقَرِّ بَرْكِهِ كَأَنَّ عَلَى عَصْدِيهِ كِتَافَا
 زَهْنَهُ الصَّبَا وَمَرْتَهُ الْجَنُوبُ بٌ وَانْتَجَفْتُهُ الشَّمَالُ انتَجَافَا
 [ص] أَيْ حَلَبْتُهُ الْجَنُوبُ هَذَا السحابَ وَبَحَلَبِهِ أَيْ مَطَرِهِ يَصْلَحُ كُلُّ
 شَيْءٍ .

١١ وَحَرَشْتُهُ ^(٣) الدَّبُورُ ^(٤) وَاجْتَنَبْتُ

رِيحُ الْقَبُولِ الْهَبُوبَ مِنْ رَهْبِهِ

[ع] استعار « التحريش » انذى يكون في بني آدم للريح والسحاب .
 و « القَبُولُ » هِيَ الصَّبَا ، و « الدَّبُورُ » تَقَابُلُهَا * . و « حَرَشْتُهُ الدَّبُورَ »
 أَيْ أَغْرَتُهُ بِالْمَطَرِ وَلَمْ تَهْبُ الْقَبُولُ فَتَقْشَعَهُ ^(٥) .

(١) س ، د : « وروح الحياة » - وقال الخارزنجي في ظ : ومن روى « وصافي المياه » فإن
 معناه أن حياة الناس به ودينهم وديانهم .

(٢) هـ رواية م ، ل - وروها ظ .

(٣) ظ : ويروى : « واحتوشته » يجوز أن يكون من حشت الإبل أى جمعتها وسقتها ، ويجوز
 أن يكون من احتوش القوم الصيد إذا نفره بعضهم على بعض ، وكأنه من معنى الجمع .

(٤) ل : « وحرشته الجنوب واجتنبت » - س : « واجتلبت » .

(٥) وقال الأمدى في ظ : وقوله « وحرشته الدبور » أى أغرته ليس بالجديد ، لأنها ليست من رياح
 المطر ، ولا يكاد يكون لها فيه صنع . وقوله « واجتنبت ريح القبول » - وهى الصبا - الهبوب ،
 « وتاركت وجهه الشمال » كأنه أراد إفراد الجنوب به ، والصبا والشمال من رياح المطر كالجنوب ، وإن
 كان قسط الجنوب في ذلك أكثر ، قال لبيد :

أضل صواره وتضيفته نطوف أمرها بيد الشمال =

١٢ وغادرت وجهه الشمال فقل

لا في نزور^(١) الندى ولا حقيب

ويروى : « وتاركته »^(٢) وجهه ، ويروى : « في حصور الندى »^(٣) والحصور البخيل الذي لا يخرج مع الشرب شيئاً في ثمن الخمر ، استعاره في صفة السحاب . [ص] أى تركته الشمال أيضاً فدام لأنها تفرقه إذا هبت ، والعرب تسمى الشمال مسخوة لأنها تمحو السحاب . وإنما يعنى أن الجنوب تفردت به دون الرياح إلا هبيجة من الدبور ساقته ، وهذا مذهب الهذليين في الرياح لا يجعلون لشيء منها عملاً في الغيث غير الجنوب ، ولذلك قال^(٤) :

مرته النعمامى فلم يعرف خِلاف النعمامى من الشام ريحا
[ص] وقوله « ولا حقيب » أى متأخره ، وقد أحقب عامناً إذا تأخر مطرُه ، عام مُحَقَّب وهو مأخوذ من الحقيبة لأنها مؤخر الرجل^(٥) .

= - « التطوف » السحابة التى تنطف أى تسيل - فجعل أمرها بيد الشمال ، وقال عمرو بن شأس :
وأفراسنا مثل السعال أصابها قطار وبلتها بنافعة شمل
وقال آخر :

مرته الصبا وزمته الجنوب وانتجفته الشمال انتجافاً

- « الانتجاف » استخراج أقصى ما فيه - فجعل « مرته » للصبا ، وسوقه وجمعه للجنوب ، وجعل استدراجه للشمال ، وقال آخر :

مرته الجنوب فلما اكفهر م حلت عزاليه الشمال

فجعل استدراجه وإخراج ودقه الشمال ، وجعل مريه للجنوب ، ونحو قول أبى تمام قول الهذلي :

مرته النعمامى فلم يعرف خلال النعمامى من الشام ريحا

فأفرد به الجنوب وهى النعمامى ، وقطع عنه الشمال ، وإنما جاء اختلافهم في ذلك من قبل البلدان والأزمان واختلاف الرياح والأمطار فيها .

(١) س ، د : « في لا نزور الندى » وهما من رواية الأصل .

(٢) هى رواية م ، ل ، س ، د ، ظ .

(٣) روتها ظ .

(٤) البيت لأبى فؤيد . ديوان الهذليين ١ : ٢٣٢ .

(٥) قال الأندلسي في ظ : « ولا حقيب » أى ولا حسره ومقتنه ، مأخوذ من قولهم حقب البعير

بحقب فهو حقب إذا تمسر عليه البول ، وما أراه إلا هكذا .

١٣ دَعْ عَنْكَ دَعْ ذَا^(١) إِذَا انْتَقَلْتَ إِلَى الْمَدِّ

ح. وَشُبُّ سَهْلُهُ بِمُقْتَضَبِهِ

[ص] ويروى « دَعْ عَنْكَ بَرَحًا » أى دَعْ عَنْكَ شَوْقًا إِلَى هَذِهِ الدَّارِ وَاسْتِسْقَاءً لَهَا إِذَا أُرِدْتَ الْمَدْحَ ، وَشُبُّ مَا اقْتَضَبْتَ أَيْ اخْتَرَعْتَ ، وَهُوَ مَا قَالَهُ بَلَا فِكْرَ ، بِسَهْلِهِ ، وَهُوَ مَا يَقُولُهُ بِفِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ فَيَكُونُ أَسهْلَ عَلَيْهِ^(٢) .

١٤ إِنِّى لَذُو مِيسَمٍ يَلُوحُ عَلَى

صَعُودِ هَذَا الْكَلَامِ أَوْ صَبَبِهِ

« الصَّعُودُ » مَا شَقَّ عَلَى النَّاسِ مِنْ غَرِيبِ الْكَلَامِ ، وَ « الصَّبَبُ » مَا سَهَّلَ مِنْهُ ، جَعَلَ الصَّعُودَ وَالصَّبَبَ مَثَلًا ، وَ « الْمِيسَمُ » الْعَلَامَةُ .

١٥ لَسْتُ^(٣) مِنَ الْعَيْسِ أَوْ أَكْلَفَهَا

وَوَحْدًا يُدَاوِي الْمَرِيضَ مِنْ وَصَبِهِ

« لَسْتُ مِنَ الْعَيْسِ » أَيْ لَسْتُ صَاحِبَهَا حَتَّى أَكْلَفَهَا سِيرًا يَشْفَى صَدْرَ الْمَهْمُومِ وَيُذْهِبُ عُدْمَ الْفَقِيرِ . وَ « الْوَصَبُ » الْوَجَعُ ، أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْقَطَامِيِّ : وَسَارَتْ سَيِّرَةُ تَرْضِيكَ مِنْهَا يَكَادُ وَسَيَّجُهَا يَشْفَى الصَّدَاعَ^(٤)

١٦ إِلَى الْمُصَفَّى مَجْدًا أَبِي الْحَسَنِ إِذْ

صَعَنَ انْصِيَاعَ الْكُذْرِىِّ فِي قَرَبِهِ

« الْمُصَفَّى » الَّذِى قَدْ صُفِّىَ وَهُذَّبَ مِنَ الْعُيُوبِ لِمَجْدِهِ وَشَرَفِهِ . وَ « الْانْصِيَاعُ »

(١) ل ، م ، ظ : « دَعْ عَنْكَ هَذَا » .

(٢) قَالَ الْأَمْدَى فِي ظ : وَمَا عَلِمْتُهُ قَالَ « دَعْ » فِي الْخُرُوجِ عَنِ النَّسِيبِ إِلَّا هَا هُنَا ، « وَشُبُّ سَهْلِهِ بِمُقْتَضَبِهِ » « فَالسهل » مَا يَأْتِيهِ بِهِ خَاطِرُهُ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ وَلَا طَلَبٍ ، وَ « الْمُقْتَضَبُ » مَا يَقْتَضِعُهُ خَاطِرُهُ اقْتِطَاعًا بِالْفِكْرِ وَالتَّعَبِ ، يَقَالُ نَاقَةُ قَضِيبٍ وَهِيَ الَّتِى رِيضَتْ وَلَمْ تَذَلْ كُلَّ الذَّلِّ لِلْحَمْلِ وَالرَّكُوبِ .

(٣) فِي ظ : وَيُرْوَى « لَسْتُ أَمْرًا الْعَيْسِ » أَيْ لَسْتُ بِعَرَبِيٍّ .

(٤) الدِّيَوَانُ ص ٤٤ .

الأخذ في ناحية مع الإسراع . وليلة « القَرَب » ليلة ورود الماء ^(١) .

١٧ تَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
قال الصولي : حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى ، قال : كان ابن الأعرابي
يمضي إلى إسحق الموصلي ، فقال له علي بن محمد المدائني : إلى أين يا أبا عبد الله ؟
فقال : إلى هذا الذي نحن وهو كقول الشاعر :

تَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
قال : وأظن أنه لو علم أن أبا تمام قائل هذا البيت ما تمثّل به ، ولم يكن
أبو العباس يرويه أيضاً لعصبيتهما عليه ^(٢) .

١٨ نَجْمُ بَنِي صَالِحٍ وَهُمْ أَنْجَمُ الْعَا

لَمْ مِنْ عُجْمِهِ وَمِنْ عَرَبِهِ

١٩ رَهْطُ الرُّسُولِ الَّذِي تَقَطَّعُ أَمَّهُ

بَابُ الْبَرَايَا غَدَا سِوَى سَبَبِهِ

١٩ - [ص] يعني الحديث المرفوع : « كل سبب ونسب ينقطع يوم

القيامة إلا سببي ونسبي » .

٢٠ مُهَذَّبٌ قُدَّتِ النَّبُوءَةُ وَالْإِسْمُ لَامٌ قَدْ الشَّرَاكُ ^(٣) مِنْ نَسَبِهِ ^(٤)

٢١ لَهُ جَلَالٌ إِذَا تَسَرَّبَلَهُ أَكْسَبَهُ ^(٥) الْبَاوُغَيْرُ مَكْتَسِبُهُ

٢١ - [ص] يقال كَسَبْتُهُ مَالاً وهي المختارة ، وأبو مُحْطَمٌ لَا يُجْزَى

غيرها ، وغيره من العلماء يقول كَسَبْتُهُ وَأَكْسَبْتُهُ مَالاً ^(٦) يقول : من جلاله

(١) « الكدري » ضرب من القطا وهو الغبير الألوان الرقش الظهور والبطون الصفر الخلق .

(٢) القصة في كتاب « أخبار أبي تمام » للصولي ص ١٧٧ ، والرواية فيها : « تحمل أشباحنا » .

(٣) ظ : ويروى « قد الأديم » . (٤) هـ ظ : « من حبه » .

(٥) س : « ألبسه » وروها ظ .

(٦) قال ابن المستوفي : وإذا جاز أكسبه بالألف فهو أحسن في السمع ، وإذا كان الشاعر

يستعمل في شعره ما تدعوه الضرورة إليه مما ليس بمستعمل فأن يستعمل ما ورد به النقل أولى . و « البأو »
الكبر .

يرى الناسُ له كِبَرًا ولا يفعله ولا يستعمله هو في نفسه ، كما تقول يعظّمه الناسُ ولا يتعظّم هو في نفسه . يقول : ألبسه قدره جلالته العظمة من غير أن يسعى في اكتسابها ، ثم قال :

٢٢ وَالْحَظُّ يُعْطَاهُ غَيْرُ طَالِبِهِ وَيُحْرِزُ الدَّرَّ غَيْرُ مُحْتَطِبِهِ

أى ربما يظفر بالخط من لا يطلبه ويحرز اللب من لا يحلّبه ، وهذا بيان للبيت الذى تقدمه . [ص] يقول : هو لا يطلب هذا والناس يروونه فيه ، وقد تكبر غيرُه وهو عند الناس حقير .

٢٣ كَمْ أَعْطَيْتَ ^(١) رَاحَتَهُ مِنْ نَشَبِ

سَلَامَةِ الْمُعْتَفِينَ فِي عَطِيَةِ

« النَّشَب » المال ، و « الْعَطَب » الهلاك . أى سلامة الذين يسألونه ووصولهم إلى ما يريدون بعطَب هذا النَّشَب ، أى بذهابه وتفرُّقه .

٢٤ أَيْ مُدَاوٍ لِلْمَحَلِّ نَائِلُهُ وَهَائِي لِلزَّمَانِ مِنْ جَرَبِهِ !

« الهائى » الطالى الإبل بالقطيران ، وهذا مثل قول الشاعر :

* يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ *

و « الْهِنَاء » القَطِيرَان .

٢٥ مُشْمَرٌ مَا يَكِلُ فِي طَلَبِ الْهَلَاءِ وَالْحَاسِدُونَ فِي طَلَبِهِ

أى يحسدونه وينالون منه بالوقية . [ص] ويروى :

مُشْمَرٌ مَا يَكِلُ فِي طَلَبِ الْمَجْدِ جَدٍ وَآلُ الْعَبَّاسِ فِي طَلَبِهِ ^(٢)

أى هذه عادتهم ويطلبون المجد .

٢٦ أَعْلَاهُمْ دُونَهُ ^(٣) وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى الْعُلَى ^(٤) وَأَطَى عَلَى عَقِيهِ

(١) قال الصول في شرحه : ويروى « كم أعطيت وهو عندى تصحيف .

(٢) هى رواية س ، د د . وفى ظ : ويروى « لا يزال فى طلب المجد وآل العباس فى طلبه » .

(٣) س ، ه ب : « أعلاهم ذروة » . (٤) م ، ل : « إلى الندى » .

٢٧ يُرِيحُ قَوْمٌ^(١) وَالْجُودُ وَالْحَقُّ وَالْ حَاجَاتُ مَشْدُودَةٌ إِلَى طُنْبِهِ
[ع] « يُرِيحُ قَوْمٌ » يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَرَاخِ الرَّاعِي
الْمَالِ عَلَى الْقَوْمِ ، أَيْ هَذَا الرَّجُلُ إِذَا أَرَاخَ الرَّعَاءُ الْمَالِ عَلَى أَرْبَابِهِ فَالْحَاجَاتُ
مَشْدُودَةٌ إِلَى طُنْبِ بَيْتِهِ ، أَيْ أَنَّهَا لَا تَسْرَحُ فَتَعُودُ إِلَيْهِ بَلْ هِيَ لَازِمَةٌ لَهُ ، وَالْآخَرُ
أَنْ يَكُونَ « يُرِيحُ » مِنَ الرَّاحَةِ ، يُقَالُ أَرَاخَ الرَّجُلُ إِذَا اسْتَرَاخَ .

٢٨ وَهَلْ يُبَالِي إِقْضَاضَ مَضْجَعِهِ

مَنْ رَاحَةَ الْمَكْرُمَاتِ فِي تَعَبِهِ ؟

« إِقْضَاضَ مَضْجَعِهِ » مِنْ قَوْلِهِمْ أَقْضَسَ الْمَضْجَعُ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ
الْقِضَّةُ وَهِيَ الْحَصَى فَيَمْنَعُ الْمَضْطَجِعَ مِنَ النَّوْمِ ، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ سَاهِرٍ قَدْ أَقْضَسَ
مَضْجَعَهُ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ عَلَى فَرْشٍ وَطِيءٍ . [ص] « وَرَاحَةُ الْمَكْرُمَاتِ » وَصُولُهَا إِلَى
مُسْتَحَقِّهَا ، وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا رَأَى أَعْرَابِيًّا جَالِسًا عَلَى مَاءٍ يَسْرِي فِيهِ بَدَنَانِيرٌ يُوَلِّعُ
بِذَلِكَ فَقَالَ : لَقَدْ أَرَا حَتَّكَ النِّعْمَةَ وَأَتَعَبْتَهَا !

٢٩ تِلْكَ بَنَاتُ الْمَخَاضِ رَاتِعَةٌ وَالْعَوْدُ فِي كُورِهِ وَفِي قَتَبِهِ
يَقُولُ : مَنْ أَهَمَّهُ الْمَكَارِمُ أَتَعَبَ نَفْسَهُ فِي طَلَبِهَا وَتَحَمَّلَ الْمَشَقَّاتِ ، وَصَبَّرَ عَلَى
النَّائِبَاتِ فِي ابْتِنَاءِ الْمَعَالِي ، وَالصَّغِيرِ الْهَمَّةَ لَا يَهْمُهُ ذَلِكَ ، وَضَرَبَ بَنَاتِ الْمَخَاضِ
مَثَلًا لِلْأَغْرَارِ ، وَالْعَوْدُ لِلْمَجْرِيِّينَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْمَشَاقِّ . [ص] يَقُولُ : مَنْ
كَانَ غَرًّا لَا يُعْنَى بِالْمَكَارِمِ فَهُوَ مُسْتَرِيحٌ كِبَنَاتِ الْمَخَاضِ ، وَالْعَوْدُ هُوَ الَّذِي قَدْ
جَرَّبَ الْأُمُورَ فَهُوَ مُحْتَمِلٌ لِلْكَلَافِ .

٣٠ مَنْ ذَا كَعْبَاسِهِ^(٢) إِذَا اضْطَكَتِ

أَحْسَابُهُ^(٣) أَمْ مَنْ كَعْبِدِ مُطْلِبِهِ ؟

أَيَّ مَنْ يَفَاخِرُهُ بِشَرَفِ النَّسَبِ ؟

(١) فِي ظ وَيُرَوَّى « يَرُوحُ قَدَمًا » ، وَيُرَوَّى « قَرِيحُ قَوْمٍ » وَقَالَ الْخَارِزْنَجِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ :
« الْقَرِيحُ » الْفَحْلُ لِأَنَّهُ مَقْرَعٌ مِنَ الْإِبِلِ أَيْ مُخْتَارٌ .
(٢) م ، ل ، س ، ظ ، ه ب « لَعْبَاسِهِ » . . . لَعْبِدِ مُطْلِبِهِ .
(٣) ه م « الْأَنْسَابِ » .

٣١ هَيْهَاتَ أَبْدَى الْيَقِينُ صَفْحَتَهُ

وَبَانَ نَبْعُ الْفَخَارِ ^(١) مِنْ غَرْبِهِ

[ص] أى بان الكريم من اللثيم ، وفضله كما يتفضل النبع وهو الشجر الذى تعمل منه القسي من الغرب وهو ضعيف ليس كالنبع * [خ] يقول ليس فى أبدى حاسديه شئ ، لأن حسبه ظاهر يعرفه كل أحد ويؤمن أنه لا حسب كثره إذ كان نسب النبى صلى الله عليه وسلم ^(٢) .

٣٢ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ بَنِ عَلِيٍّ

م بَنِ قَسِيمِ النَّبِيِّ فِي نَسَبِهِ ^(٣)

٣٣ أَلْبَسَهُ الْمَجْدَ لَا يُرِيدُ بِهِ بُرْدًا وَصَاغَ السَّمَاحَ مِنْهُ وَبِهِ ^(٤)

٣٤ لُقْمَانُ صَمْتًا وَحِكْمَةً فَإِذَا قَالَ لَقَطْنَا الْمَرْجَانَ ^(٥) مِنْ خُطْبَةٍ

٣٤ - «المرجان» صغار اللؤلؤ .

٣٥ إِنْ جَدَّ رَدَّ الْخُطُوبَ تَدْنَى وَإِنْ

يَلْعَبُ ^(٦) فَجَدَّ الْعَطَاءُ فِي لَعِبِهِ

[خ] جد العطاء كثرته وإقباله على العافى .

(١) من « نبع النجار » وروها ظ .

(٢) قال ابن المستوفى بعد أن أورد كلام الصول وكلام الحارزنجى هذا : والقول ما قال الصول أول .

(٣) س ، ظ : « فى حسبه » .

وشرح البيت فى ظ : أراد « عبد الملك » فأشبع الكسرة فى اللام فنشأت الياء ، كما قال الراعى فى عبد الملك بن مروان :

فأصبح اليوم فى دار مباركة عبد الملك إماماً نوره يقصد

(٤) وشرحه فى ظ : قال أبو يحيى : يقول ألبسه جده لبوس مجد وشرف ، وهو لا يريد به برداً

من الأبراد لأن المجد أشرف منه وأكرم ، وصاغ السباح من جده . وقال الحارزنجى ويروى « وصح السباح منه وبه » .

(٥) د : « الياقوت » . (٦) س : « يمزح » .

٣٦ يَتَلَوُ رِضَاهُ الْغِنَى بِأَجْمَعِهِ وَتُحَذَرُ الْحَادِثَاتُ فِي غَضَبِهِ

٣٧ تَزَلُّ عَنْ عِرْضِهِ الْعُيُوبُ ^(١) وَقَدْ

تَنْشَبُ كَفُّ الْغِنَى فِي نَشَبِهِ

ويروى « كف الثناء » ^(٢) . [ص] أى يُعْطَى مَنْ كَانَ مُسْتَغْنِيًا فَكَيْفَ مَنْ

كَانَ مُحْتَاجًا ؟ !

٣٨ تَأْتِيهِ فُرَاطُنَا فَتَحْكُمُ فِي لُجَيْنِهِ تَارَةً وَفِي ذَهَبِهِ

أصل « الفُرَاط » القوم الذين يَتَقَدَّمُونَ الْوُرَادَ ، وكلُّ مُتَقَدِّمٍ فَارِطٌ .

٣٩ بِأَيِّ سَهْمٍ رَمَيْتَهُ فِي نَضْلِهِ الْمَا

ضَى وَفِي رِيْشِهِ وَفِي عَقْبِهِ ؟ !

[خ] يخاطب الممدوح ، يقول : بأى مَادِح ظفرت منى فى ثنائه وفصاحته

ومحبته * ! ؟ وقيل يخاطب الخليفة أى بأى رجل ظفّر من هذا الممدوح ! ؟
والأول هو الوجه .

٤٠ لَا يُكْمِنُ ^(٣) الْغَدَرَ لِلصَّدِيقِ وَلَا

يَخْطُو ^(٤) اسْمَ ذِي وُدِّهِ إِلَى لَقْبِهِ ^(٥)

[ص] أى لَا يَغْدُرُ بِصَدِيقِهِ وَلَا يَسْعِيْبُهُ وَلَا يُلْقِبُهُ .

(١) م : « يداه » .

(٢) روتها ظ ، وقال الخارزنجي : عرضه أَمْلَسَ لَا يَمْلُقُ بِهِ الدَّم ، ولكن قد تنشب كف الثناء فى نشبه أى تأخذ من ماله ، يعنى المدح يأخذ من ماله ولا يأخذ العيب من عرضه .

(٣) فى ظ : ويروى « لَا يَضْمُر » .

(٤) فى ظ : ويروى « وَلَا يَخْطِي » وفسره بقوله : أخطاه حمله على الخطو ، أى لَا يَغْدُرُ بِصَدِيقِهِ وَلَا يَتْرَكُ اسْمَ ذِي وُدِّهِ إِلَى لَقْبِهِ الَّذِي يَكْرَهُهُ فَيَدْعُوهُ بِهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ « يَخْطِي » أَصْلُهُ اِهْمَزُ فَأَبْدَلَ وَيَكُونُ مِنْ أَخْطَأَ إِذَا أَرَادَ الصَّوَابَ فَصَارَ إِلَى غَيْرِهِ وَهُوَ أَلِيقٌ بِالْمَعْنَى .

(٥) جاء فى د بعد هذا البيت بيت لم يرد فى سائر الأصول :

أَهْدَى دَبَابِيْجِهِ إِلَيْكَ فَنَى أَضَافَ بِالْمَدْحِ مَجْتَبَى كَتَبَهُ

وهو ظاهر النحل .

٤١ يَأْبُرُ غَرْسَ الْكَلَامِ فِيكَ فَخُذْ

وَاجْتَنِّ مِنْ زَهْوِهِ ^(١) وَمِنْ رُطْبِهِ

يقال «زَهْوٌ» وزُهْوٌ، مثل ضَعْفٍ وضُعْفٍ، للْبُسْرِ إذا بَدَّتْ فِيهِ حُمْرَةٌ أَوْ صُفْرَةٌ.

٤٢ أَمَّا تَرَى الشُّكْرَ مِنْ رَبَائِطِهِ

جَاءَ ^(٢) وَسَرَّحَ الْمَدِيحُ مِنْ جَلْبِهِ ^(٣) ؟!

[خ] يقول: هو يرتبط لك الشكر ويحبب إليك سَرَّحَ المديح فيبيعه منك معروفاً .

(١) في ظ : ويروى « من زهره » بالراء .

(٢) س ، د ، هـ ب : « فيك » .

(٣) جاء في ظ : وفي نسخة قديمة :

لما رأى الشكر من ربائطه جاء وسرح المديح من جلبه

وقال يُخاطب علي بن محمّد ويستهلّيه قَرَوًا^(١):

١ دَنَا سَفَرٌ وَالِدَارُ تَنَآى وَتَصْقَبُ^(٢)

وَيَنْسَى سُورَاهُ^(٣) مَنْ يُعَافَى وَيُصْحَبُ

الثاني من الطويل والقافية متدارك .

ويروى « تنّى » يقول : إنّ الدار تُباعد مَنْ يَحْتَوِيهَا ويكرهها ، وتُقَرَّب مَنْ يَخْتَارُهَا ، ويَحْمَدُ العيش بها ، وينسى تعبَه بسفره مَنْ استقرّت به دارُهُ وسَلِمَ^(٤) .

٢ وَأَيَّامُنَا خُزْرُ الْعُيُونِ عَوَابِسُ

إِذَا لَمْ يَخْضُهَا^(٥) الْحَازِمُ الْمُتَلَبِّبُ

[ع] استعار خُزْرَةَ الْعُيُونِ لِلْأَيَّامِ لَأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْأَعْدَاءِ . و « الخُزْرُ » الذين يُضَيِّقُونَ أَعْيُنَهُمْ لِلنَّظَرِ ، وقيل الأَخْزَرُ الذى ينظر بناحية عينه التى تلى الأنف . و « المتَلَبِّبُ » المتَحَرِّمُ للقتال .

٣ وَلَا بُدَّ مِنْ فَرَوْ إِذَا اجْتَابَهُ أَمْرُو

كَفَى^(٦) وَهُوَ سَامٍ فِي الصَّنَابِرِ أَغْلَبُ

« الصنابير » شدة البرد ، الواحد صَنْبَرٌ .

(١) لم ترد هذه القصيدة في نسخة من .

(٢) د : « تنّى وتقرب » وشرح التبريزى هنا يدل على أنه روى الفعلين « تنّى » و « تصقب » رباعيين .

(٣) ظ : ويروى « وينسى سبأه من يقيم » .

(٤) قال ابن الجوزى : أما ما ذكره من الكراهية والاختيار فهو لا يصح لأن الدار قد تباعد من لا يكرها ، وتنفى من لا يختارها .

(٥) ظ : ويروى « وإذا لم يحصها » أى يحطها ، ويروى « العابس » .

(٦) ل ، د ، هـ : « غدا » .

- ٤ أَمِينُ الْقَوَى لَمْ تَحْصُصْ^(١) الْحَرْبُ رَأْسَهُ
وَلَمْ يَنْضُ عُمَرَا وَهُوَ أَشْمَطُ أَشْيَبُ
٥ يَسْرُكُ بِأَسَا وَهُوَ غِرٌّ مُغَمَّرٌ^(٢)
وَيُعْتَدُّ^(٣) لِلْأَيَّامِ حِينَ يُجْرَبُ

٥ - [ق] وصف الفرو الذي استهداه . فيقول : هَبْنِي لِي فِتْيَا عُمَرَا لَمْ يُمَارِسِ الْحُرُوبَ فَيَحْسِرَ الشَّعْرَ عَنْ رَأْسِهِ ، وَلَمْ يَسْتَقْدَمْ سِنَهُ فَيَشِيبَ ، وَهَذَا مِثْلُ ، أَيْ ابْعَثْهُ جَدِيدًا لَمْ يَسْتَحَاتَّ وَبَرُهُ لَطُولِ مَا لُبِسَ ، وَلَارَقَ جِلْدُهُ وَلَا ضَعُفَ خِرْزُهُ . وَقَوْلُهُ : « يَسْرُكُ بِأَسَا » أَيْ إِنَّمَا يُسْتَفْعَى بِهِ وَيُدْفَى فِي حَالِ فَتَاتِهِ ، وَلَمْ يَكْتَسَسْ وَلَمْ يَسْتَعْمَلْ .

- ٦ تَظَلُّ الْبِلَادُ تَرْتَمِي بِضَرِيئِهَا
وَتُشْمَلُ مِنْ أَقْطَارِهَا وَهُوَ يُجَنَّبُ
أَي إِذَا اشْتَدَّ الْبَرْدُ وَتَرَامَتْ الْأَرْضُونَ بِالصَّقِيقِ وَهَبَّتِ الرِّيحُ شِمَالًا فِي أَقْطَارِ
الْبِلَادِ ، فَهَذَا الْفَرَوُ يُجَنَّبُ ، أَيْ لَا يَسُهُ يَكُونُ دَفَانٌ كَأَنَّهُ فِي رِيحٍ جَنُوبٍ .

- ٧ إِذَا الْبَدَنُ الْمَقْرُورُ أَلْبِسَهُ غَدَا
لَهُ رَاشِحٌ مِنْ تَحْتِهِ يَتَصَبَّبُ
يُرِيدُ أَنَّ هَذَا الْفَرَوُ إِذَا أَلْبِسَهُ الْمَقْرُورُ عَرِيقَ فَرَشَحٍ عَرَقَهُ مِنْ جِسْمِهِ .

(١) كَذَا الرِّوَايَةُ فِي الْأَصُولِ كُلِّهَا ، وَانْفَرَدَتْ شِ بِرَوَايَةِ « تَحْصُدُ » . وَ « الْحَصْ » حَلَقُ الشَّعْرِ وَذَهَابُهُ . وَقَالَ الصَّوْلِيُّ فِي شَرْحِهِ : يَعْنِي أَنَّ الْفَرَوَ مِنْ سَمُورِ أَشْهَبَ ، فَكَأَنَّهُ شَابَ وَلَمْ يَطْلُ عَمْرَهُ .
(٢) م : « مَهْذَبٌ » - وَفِي ظ : وَيُرْوَى « وَهُوَ غَيْرُ مَعْمَرٍ » .
(٣) ق : « وَيَعْمُورُ لِلْأَيَّامِ » وَقَالَ الْمَرْزُوقِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ : فَإِنْ جَرَّبَ وَقَارَعَ الْأَيَّامَ أَعُورَ اللَّيْلِ وَلَمْ يَمْنِ فَيَأْخُذُ بِمَا عَلَيْهِ .
وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفِيِّ : وَرَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ « وَيَعْمُورُ لِلْأَيَّامِ » أَيْ إِذَا جَرَّبَ أَعُورَ مِنْ قَوْلِهِمْ أَعُورُ الْفَارِسِ إِذَا بَدَتْ مِنْهُ مَوَاضِعُ الطَّنِّ وَالضَّرْبِ .

٨ إِذَا عَدَّ ذَنْبًا ثِقْلَهُ مَنَكِبُ امْرِئٍ

يَقُولُ الْحَشَا : إِحْسَانُهُ حِينَ يُذْنِبُ

[ص] يقول إذا استقل منكب الرجل حمل هذا الفرو ، فعند هذا الثقل ذنباً ، يقول حشاً هذا الرجل : إحسانُ الفرو إلى حين يُذنب إليك ، كأنه يُخاطب المنكب ، أي كلما ثقل عليك أحسن إلى .

٩ أَثِيثٌ إِذَا اسْتَعْتَبَتْ مُعْصِفَةً بِهِ

تَمَلَّاتَ عِلْمًا أَنَّهَا سَوْفَ تُعْتَبُ

[ع] « أثيث » أي كثير الصوف الذي في باطنه . « والمعصيفة » الريح الشديدة وهي مثل العاصف . ومن روى « مصفعة ^(١) » أخذها من الصقيع وهو ما يسقط على الأرض في الشتاء من الندى . وقوله « تملأت علماً » مهموز لأنه من تملأت الإناء .

١٠ يَرَاهُ الشَّقِيفُ الْمُرْتَعِنُ فِينَنِي

حَسِيرًا وَتَغْشَاهُ الصَّبَا فَتَنَكِبُ

« الشَّقِيفُ » شِدَّةُ الْبَرْدِ ، قَالَ الرَّاجِزُ ^(٢) :

مَوْتِلُهَا إِنْ عَكَفَ الشَّقِيفُ

الزَّرْبُ وَالْعُنَّةُ وَالْكَنِيفُ

و « الْمُرْتَعِنُ » أَصْلُهُ الْمُسْتَرْخِي ، وَإِنَّمَا وَصَفَ الشَّقِيفَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَرَادَ بَرْدًا مَعَ مَطَرٍ ، لِأَنَّ السَّحَابَ يُوصَفُ بِالْمُرْتَعِنِ .

(١) هي رواية م ، ل ، د وروها ظ .

(٢) سقط اللام . ص ٤٣٣ ، وقال الميمني : الرجز في الجمهرة ١ : ٢٥٤ ونسبها في زياداته لسلمة بن الأكوع .

١١ إذا ما أساءت بالثياب فقولهُ^(١)

لها كُلَّمَا لاقتهُ أَهْلٌ وَمَرْحَبُ

١٢ إذا اليومُ أمسى وهو غَضَبَانُ لم يَكُنْ

طَوِيلَ مُبَالَاةٍ بِهِ حِينَ يَغْضَبُ

استعار « الغَضَب » لليوم وإنما أراد شدة البرد .

١٣ كَانَ حَوَاشِيهِ الْعُلَى وَخُصُورُهُ

وما انْحَطَّ مِنْهُ جَمْرَةٌ تَتَلَهَّبُ

« العُلَى » جمع العُلَيَا ، والواحدة الحاشية العُلَيَا ، وسَكَنَ الياء في « حواشيه » للضرورة .

١٤ فَهَلْ أَنْتَ مُهْدِيهِ بِمِثْلِ شَكِيرِهِ

مِنَ الشُّكْرِ يَغْلُو مُضْعِدًا وَيُصَوِّبُ؟

[ص] « الشُّكْرِ » صِغَار الرِّيش ، جعل الوَبَر فوقه كالرِّيش فقال : هل أنت مُهْدِيهِ وعلى شُكْرٍ يَكْثُر ككَثْرَةِ شَكِيرِهِ أَى وَبَرِهِ ؟

١٥ لَهُ زَنْبِيرٌ يُدْفِي^(٣) مِنَ الدَّمِّ كُلَّمَا

تَجَلَبَبَهُ فِي مَحْفِلٍ مُتَجَلِّبٍ

[ع] « لَهُ زَنْبِيرٌ » أَى للشُّكْرِ ، وَخَفَّفَ الهمزة في « يُدْفِي » وهى لغة جيدة^(٣) .

(١) ظ : « فقولها له » وقال « أساءت » يعنى الصبا .

(٢) وجاء فى ظ : قال الصول ويروى : « يحمى من الدم » وهى رواية د .

(٣) قال الصول : الهاء فى « له » للشُّكْرِ . أَى لهذا الشُّكْرِ زَنْبِيرٌ يُدْفِي ويحمى من الدم إذا حوىته ، ليس هو ما يدفى من البرد . و « الزَنْبِير » كفضيل ، وقد انضم الياء أو هو لحن ، ما يظهر من درز الثوب .

١٦ فَأَنْتَ الْعَلِيمُ الطَّبُّ أَيْ وَصِيَّةٌ

بها كَانَ أَوْصَى فِي الثِّيَابِ الْمُهَلَّبُ

[ص] يريد قول المهلب: ما رأيتُ أحداً قط بين يدي إلا أحببتُ أن أرى ثيابه عليه ، فاعلموا يا بني أن ثيابكم على غيركم أحسنُ منها عليكم .

وقال يمدح محمد بن الهيثم بن شُبَّانَةَ من أهل مَرَوْ ، ويهجو أبا صالح
ابن يَزْدَاد ويَعْرِضُ به ، وَكَتَبَ بها إليه :

١ سَلَامُ اللَّهِ عِدَّةَ رَمَلٍ خَبِتِ
على ابنِ الهيثمِ المَلِكِ اللَّبَّابِ

الأول من الوافر والقافية متواتر .

[ع] « خَبِتِ » ها هنا موضع بعينه ، وأصل الخَبِتِ كل موضع اطمأن
وهو مع ذلك سهل .

٢ ذَكَرْتُكَ ذِكْرَةً جَذَبَتْ ضُلُوعِي
إِلَيْكَ كَأَنَّهَا ذِكْرِي تَصَابِي

٣ فَلَا يُغِيبُ مَحَلَّكَ كُلَّ يَوْمٍ
مِنْ الْأَنْوَاءِ ^(١) أَلْطَافُ السَّحَابِ

٣ - « أَنْطَافُ » ^(٢) و « أَلْطَافُ » بالنون واللام جميعاً . « لَا يُغِيبُ » دُعَاءٌ
له أَنْ يَكُونَ سُقْيَاهُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَا يَكُونَ غَيْبًا .

٤ سَقَتْ جُودًا نَوَالًا ^(٣) مِنْكَ جُودًا
وَرَبْعًا غَيْرَ مُجْتَنَبِ الْجَنَابِ

قوله « سَقَتْ » أى أَنْطَافُ السَّحَابِ ، و « جُودًا » مفعول به ، و « نَوَالًا »

(١) س ، د : « من الأيام » .

(٢) هـى فى هـب ، هـش .

(٣) ل : « تولى » - م ، س ، د : « توالى » - وفى ظ : ويروى : « سقى جود توالى منك »

جودًا » .

مفعول ثان ، و « جَوْدًا » الثاني صفة لـ « نوالاً » ، و « رَبْعًا » عَطَفَ عَلَى « جَوْدًا » الأول .

٥ فَثَمَّ الْجُودُ مَشْدُودَ الْأَوَاخِي

وَنَمَّ الْمَجْدُ مَضْرُوبَ الْقِيَابِ

٦ وَأَخْلَقُ كَأَنَّ الْمِسْكَ فِيهَا

بِصَفْوِ الرَّاحِ وَالنُّطْفِ الْعَذَابِ

٧ وَكَمْ أَحْيَيْتَ مِنْ ظَنِّ رُقَاتٍ

بِهَا وَعَمَرْتَ مِنْ أَمَلٍ خَرَابِ

استعار « الرُقَات » للظن وإنما هو للعظام البالية ، يُقَالُ رُقَّتْهَا الْبِلَى رُقَّتًا إِذَا قَطَعَهَا ، وكذلك رُقَّتِ الْأَسَدُ الْفَرِيَسَةُ .

٨ يَمِينُ مُحَمَّدٍ بَخْرُ خِضَمٍ

طَمُوحُ الْمَوْجِ مَجْنُونُ الْعُبَابِ

[ص] تقول العرب جُنَّ النَّبَاتُ إِذَا تَسَكَّأَفَ وَحَسَّنَ ، وكذلك يقولون فِي كُلِّ شَيْءٍ حَسَّنَ مُفْرَطٌ ، فَأَرَادَ أَنَّ الْعُبَابَ - وَهُوَ أَرْفَعُ مَوَاضِعِ الْمَاءِ - مُتَزَايِدٌ ، شَبَّهَ جُودَ هَذَا الْمَمْلُوحِ بِهِ (٢) .

(١) م ، ل ، ب ، د : « بالنطف »

قاله الصولي في شرحه : « النطفة » الماء القليل والكثير ، قال علي رضي الله عليه يوم النهروان في الخوارج : والله ما جاوزوا النطفة . وقال الهذلي (معقل ابن خويلد) :

فلأنهما لجسوبا خروق وشرايان بالنطف الدواي

(٢) جاء في ظ قال المرزوقي في كتابه الانتصار : اعتسف (أي الصولي) في هذا التفسير ،

ولا أرى قوله « يصفون كل شيء حسن مفرط بالجنون » صواباً ، وإنما ذكر الجنون هنا في « العباب » يشير به إلى احتياج البحر واضطراب الماء وارتفاع الأمواج ، وهذا كما قال تأبط شراً .

حقى نجوت ولما ينزعوا سلبى بواله من قبيض الشد غيداق

فجعل العدو والها ، وهذا قريب كما ترى .

٩ تَفِيضٌ^(١) سَمَاحَةٌ وَالْمُزْنُ مُكْدٌ

وَتَقْطَعُ وَالْحُسَامُ الْعَضْبُ نَابٌ

[ص] و «المُزْنُ مُكْدٌ» أى لا مَطَرٌ فيه . يقول : تَقْطَعُ يَسْمِينُهُ كُلُّ خَطْبٍ تَنْبُو فِيهِ السُّيُوفُ بِقَلَمٍ تَكْتُبُ بِهِ ، أَوْ سِلَاحٍ تَعْمَلُ بِهِ .

١٠ فِدَاكَ أَبَا الْحُسَيْنِ مِنَ الرِّزَايَا

وَمَنْ دَاجَى حَوَادِثَهَا الْغَضَابِ^(٢)١١ حَسُودٌ قَصَرَتْ كَفَّاهُ عَنْهُ وَكَفَّكَ لِلنَّوَالِ^(٣) وَلِلضَّرَابِ

١١ - [ص] يعنى أبا صالح ، و «عنه» أى عن الحسود ، يقول : قَصَرَتْ كَفَّاهُ عَنْ أَنْ يَجُودَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَكَيْفَ يَجُودُ عَلَى غَيْرِهِ ، وَعَنْ أَنْ يَحْمِيَ نَفْسَهُ فَكَيْفَ يَحْمِيَ غَيْرَهُ !؟

١٢ وَيَحْسُبُ مَا يُفِيدُ بِلَانَوَالِ^(٤) وَتُعْطَى مَا تُفِيدُ بِلَا حِسَابِ

١٣ وَيَغْدُو وَيَسْتَشِيبُ بِلَانَوَالِ وَنَيْلُكَ كُلُّهُ لَا لِلثَّوَابِ

وَيُرَى :

وَيَغْلُو بِسْتَشِيبُ بِلَا نَوَالِ وَأَنْتَ فَقْدَ تُنِيلُ بِلَا ثَوَابِ^(٥)

[ص] وَيُرَى :

• وَأَكْثَرُ مَا تُنِيلُ بِلَا ثَوَابِ^(٦) •

قال الرَّادُّ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ : إِنَّ الْأَكْثَرَ كَذَا ، وَقَدْ تُنِيلُ لثَوَابٍ وَهُوَ قَلِيلٌ ،

(١) س ، د : « يفيض » ، و « يقطع » .

(٢) ظ ، ه ب : « الصواب » .

(٣) م ، ل ، د ، ظ ، ه ب : « العُطمان » .

(٤) س ، ل ، م ، د ، ظ : « بلا عطاء » .

(٥) هى رواية م ، ل .

(٦) هى رواية س ، د .

وهذا خطأ ، والصحيح الأول . (ق) : الذى يزعمه هَرَبَ منه فى رواية مَنْ يروى : « وأكثُرُ ما تُنِيلُ بلا ثَوَابٍ » هو حاصل فى رواية نفسه ، لأن قوله : « وأنتَ فقد تُنِيلُ بلا ثَوَابٍ » يقع منه فى النفس أنه ينيل للثواب كثيراً ، وقد يُنِيلُ بلا ثواب ، وهذا شرٌّ مما أنكره فى قوله : « وأكثُرُ ما يُنِيلُ بلا ثَوَابٍ » ، ولا أدرى ما الذى أحوجه إلى فَحْوَى الخطاب وهو يرى العرب يستعملون القلة ويريدون النى ، والكثرة ويريدون الدوام ، تقول فلما يفعل زيد كذا والمعنى أنه لا يفعل ذلك ، وهى تقول فى ضده كَشُرَّ ما يفعل زيد يريدون الاستمرار^(١) ، وإذا كان كذلك فالرواية الصحيحة : « وأكثُرُ ما تُنِيلُ بلا ثواب » وإنما يُفَضَّلُ المملوح وهو محمد بن الهيثم على أبى صالح بن يَزْدَاد فتعريضه به ، أى إذا كان ذلك يطلب الثواب بلا نائل فإنك تُنِيلُ ولا تطلب الثواب^(٢) .

١٤ ذَكَرْتُ صَنِيعَةً لَكَ أَلْبَسْتَنِي أَثِيثَ الْمَالِ وَالنَّعْمَ الرُّغَابِ

١٥ تَجَدَّدُ كُلَّمَا لُبِسْتُ وَتَبَقَّى إِذَا ابْتَدَلْتُ وَتُخْلِقُ فِي الْحِجَابِ
١٥ - [ص] يقول : كلما ذُكِرْتُ هذه النعم التى لك على وأظهرت
تَجَدَّدَ ذِكْرُهَا واستجرت مثلها ، وإذا سُرْتُ وحُجِبَتْ أخلقت .

١٦ إِذَا مَا أُبْرِزْتَ زَادَتْ ضِيَاءُ

وَتَشَعَّبُ وَجَنَّتَاهَا فِي النَّقَابِ

(١) أتى المرزوق هنا بشاهد كما جاء فى ظ ، قال : وقد فسر قول الشاعر :

فإن أك فى شراركم قليلا فإنى فى خياركم كثير

على أن المعنى إن لم أعدد فى شراركم فليس لكم خيار غيرى ، وإذا كان كذلك فالرواية الصحيحة . . . إلخ .

(٢) وبقيّة كلام المرزوق كما جاء فى ظ : على أن طلب الحمد من المنعم ليس بمعيب ، وإن كان يحسن التغميض فى استيفاء الشكر ، وترك تدقيق المحاسبة فيه ، وقد يعبد الله عز وجل بشكر نعمته ، وهو واجب فى عقل كل عاقل . ورد المرزوق هذا لم يرد فى كتابه الذى بين أيدينا ، والراجح أنه من كتابه الانتصار .

١٧ وليست بالعوان العننس عندى

ولا هى منك بالبكر الكعاب

١٧ - (ع) «العوان» التى قد ولدت بطنين أو ثلاثة ، وقد عاب بعض أهل العلم هذا البيت لقوله «العننس» وقال : لم نسمع العننس إلا فى صفة الناقة ، كأنه يذهب إلى أنه أراد العائس فتوضع العننس مكانها ، ويجوز أن يكون هذا غلطاً على الطائى ممن عابه ، إذ كان مثله مع أدبه لا يغيب عنه مثلى ذلك ، والعائس التى تحبس عن التزويج بعد البلوغ حتى تبلغ عشرين سنة أو أكثر ، ويستعمل هذا الوصف للرجال والنساء ، ويقال عُنَسَتِ المرأة تعنيساً ، و «العننس» الناقة الشديدة المسِنَّة . ويحتمل أن يكون أبو تمام أراد : ليست صنيعتك عندى مثل الناقة التى هى عوان قد أسنت إذ كنت تجددها فى كل حين ، «ولا هى منك بالبكر الكعاب» أى ليست أول صنائعك (١) .

١٨ فلا يبعد زمان منك عشنا بنضرتيه ورونقه العجائب

١٩ كأن العنبر الهندي فيه وفأر المسك مفضوض الرضاب

١٩ - يريد : بـ «الرضاب» ما فى داخله من المسك (٢) . و «مفضوض» مفكوك مشقوق . ويروى «العنبر العكنى» (٣) .

(١) فسر الصولى والمرزوق هذا البيت على ما تضمنه شرح أبى العلاء ، ولم يتعرض فيه للفظه «العننس» ، وإنما خالف الصولى فى تفسيره للعوان بقوله : (ويكون قوله «بالعوان» أى لم أمدح بها سواك) ، أما المرزوق فقد قال : ليست هذه العارفة عندى بالعوان العننس ، أى زفت وهى بكر عوارفك عندى ، فجاءت غضة لم تعنس ، أى لم أطل بها كالتى قعدت بعد بلوغ النكاح أعواماً لا تنكح ، وهى على ذلك ليست ببكر عطياتك وأولى منائحك ، ولكنك تأتى بأمثالها كل وقت . وقال ابن المستوفى : وكرر أبو تمام معنى بيته فقال :

وصنيمة لك ثيب أهديتها وهى الكعاب لعائد بك مصرم

حلمت محل البكر من معطى وقد زفت من المعطى زفاف الأيم

(٢) فى ظ : فى حاشية الكتاب العجمى : «الرضاب» الدقاق المنتشر ، يقال لتفارق الثلج المنتشر رضاب ، فإن صح هذا فهو أولى من الأول .

(٣) هى رواية م ، ل ، س ، د ، ظ ، هـ ب .

٢٠ لِيَالِيهِ لِيَالِي الْوَصْلِ^(١) تَمَّتْ بِأَيَّامِ كَيَّامِ الشَّبَابِ

٢١ أَقُولُ بِبَعْضِ مَا أَسَدَيْتَ عِنْدِي

وَمَا أَطْلَبْتَنِي قَبْلَ الطَّلَابِ^(٢)

٢١ - [ع] يقال «أُطْلِبْتُ» الرجل إذا بلغته مَطْلَبُهُ ، و «أُطْلِبْتُهُ» إذا أحوجته إلى أن يطلب ، ولذلك قالوا كَلَّأْتُ مُطْلِبٌ وماءٌ مُطْلِبٌ أى بعيد يحتاج إلى الطلب . وإنما يستحق الرجل أن يقال له أطلبتني إذا طُلب منه الشيء فمَكَّنْ منه ، وصَحَّ أن يقول الشاعر «أُطْلِبْتَنِي قَبْلَ الطَّلَابِ» لأنَّ الطلب قد يكون في النفس من غير أن يُواجه به المطلوب منه ، فكأنَّ المعنى : كنتُ أطلب شيئاً فبلغتني قبل أن أطلبه منك .

٢٢ وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ لَقَامَ عَنِّي

بِشُكْرِكَ مَنْ مَشَى فَوْقَ التُّرَابِ^(٣)

٢٣ إِذَا شَكَرْتَكَ مَذْحِجٌ حَيْثُ كَانَتْ

بَنُو دِيَّانَهَا وَبَنُو الضُّبَابِ

٢٣ - «مَذْحِجٌ» لقب امرأة ، واسمها مُدِلَّةٌ وقيل دَلَّةٌ ، وقيل سُمِّيَتْ مَذْحِجٌ لأنها وُلِدَتْ فوق أَكْمَةِ فاندَحِجَتْ من أعلاها إلى أسفلها . وقال قوم بل الأَكْمَةُ كان يُقال لها مَذْحِجٌ ، وطى من ولدها إلا أنهم لا يُنسَبون إليها ، وغلبَ عليهم اسمُ أبيهم ، ونُسِبَ إليها إخوتهم ، فذكرها الطائي ثم ذكر قُضَاعَةَ لما تدَّعاه من القُرْبَى إليهم ، وذكر غيرهم من العرب لأن الإصهار في القبائل وتزوّج بعضهم إلى بعض صير بينهم أسباباً من الخوالة والقرابة .

(١) من : «ليالي الحب» وبهامشها رواية الأصل .

(٢) في ظ : وروى قبل «أطلاي» وهي في ه ب .

(٣) س : «عظم من فوق التراب»

٢٤ وَجِئْتُكَ فِي قُضَاعَةٍ قَدْ أَطَافَتْ

بِرُكْنِي عَامِرٍ وَبَنِي جَنَابِ

٢٥ وَلَا سَتْنَجَذْتُ حَنْظَلَةً وَعَمْرًا

وَلَمْ أَعْدِلْ بِسَعْدٍ وَالرَّيَابِ

٢٥ - أَيْ لَمْ أَعْدِلْ بِهِمَا أَحَدًا ، يَعْنِي سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ مَسْنَاءَ بْنِ تَمِيمٍ ، وَ«الرَّيَابُ» مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ أَدَّ بْنِ طَابَخَةَ ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ تَحَالَفُوا عَلَى رُبٍّ ، وَقِيلَ إِنَّمَا سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ ضُرُوبٌ شَتَّى فَشَبَّهُوا بِالرَّبَّةِ وَهِيَ ضُرُوبٌ مِنَ النَّبْتِ .

٢٦ وَلَا سَتَرَفَذْتُ مِنْ قَيْسٍ ذُرَاهَا بَنِي بَذْرِ وَصَيْدَ بَنِي كِلَابِ

٢٧ وَلَا حَتَفَلْتُ رَبِيعَةً لِي جَمِيعًا بِأَيَّامِ كَأَيَّامِ الْكِلَابِ

٢٨ فَأَشْفَى مِنْ صَمِيمِ الشُّكْرِ نَفْسِي

وَتَرَكْتُ الشُّكْرَ أَثْقَلُ لِلرَّقَابِ^(١)

٢٩ إِلَيْكَ^(٢) أَثَرْتُ مِنْ تَحْتَ التَّرَاقِي

قَوَافِي تَسْتَدِيرُ بِلَا عِصَابِ

٢٩ - [ص] « الْعِصَابُ » أَنْ يُعْصَبَ فَيُخَذُ النَّاقَةُ إِذَا لَمْ تَتَّيَّنَ لِلْحَالِبِ . وَقَوْلُهُ : « أَثَرْتُ » أَيْ أَثَرْتُهَا مِنْ قَلْبِي وَنَطَقْتُ بِهَا لِسَانِي .

٣٠ مِنَ الْقِرْطَاتِ فِي الْآذَانِ تَبْقَى

بَقَاءَ الْوَحْيِ فِي الصَّمِّ الصَّلَابِ

[ع] وَيُرْوَى « مِنَ الْقِرْطَاتِ » بِضَمِّ الْقَافِ وَالرَّاءِ ، وَهُوَ جَمْعُ قِرْطٍ ،

(١) س : « فِي الرَّقَابِ » (٢) س : « وَقَدْ نَاكَ » ، وَرَوَايَةُ الْأَصْلِ بِهَا مَشْهُبَةٌ .

على حَدِّ قولهم حَمَامَ وَحَمَامَاتٍ وَسِجْلَ وَسِجَلَاتٍ ، وإِذَا رَوَى « قِرَاطَاتٍ » فهو جمع الجمع ، كأنهم قالوا قُرُطٌ وَقِرَاطَةٌ ثم جمعوا القِرَاطَةَ جمعاً ثانياً . و « الوحى » هنا الكتاب . ويعنى : « الصَّم الصَّلاب » الصَّخْر ، لأنهم كانوا ينقرون فيها ما يكتبون فهو أبقي لها :

٣١ عِرَاضِ الْجَاهِ تَجَزَعُ كُلُّ وَادٍ مُكْرَمَةٌ وَتَفْتَحُ كُلُّ بَابٍ

٣٢ مُضْمَنَةٌ كَلَالِ الرُّكْبِ تُغْنِي غِنَاءَ الزَّادِ عَنْهُمْ وَالرُّكَّابِ

٣٢ - [ع] يريد أن هذه القوافي مُضْمَنَةٌ لإزالة كلال الرُّكْب ، فحذف ، لأن المعنى مفهوم * كما قال المرقش ^(١) :

ليسَ على طُولِ الحَيَاةِ نَدَمٌ

وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرْءِ مَا يَعْلَمُ

يريد ليس على فوات طول الحياة . وكان أبو رِيَّاش والنَّمْرِي يذهبان في قول الخنساء :

يَا صَخْرَ وَرَادٍ مَاءٍ قَدْ تَنَازَرَهُ أَهْلُ الْمَوَادِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ

إلى أن المعنى ليس في تَرْكِ وَرْدِهِ عَارٌ ، وَيُسَبِّهَانِهِ بَيْتِ الْمَرْقَشِ . [ع] وإنما يريد الطائي أن المسافرين يستغنون بإنشادها عن الزَّادِ والرَّكَّابِ ويتعلَّلون بها في الإدلاج * وهذا كما قال الآخر :

بِهَا تُنْفَضُ الْأَحْلَاسُ وَالْدِيكُ نَائِمٌ وَتُعْقَدُ أَنْسَاعُ الْمَطِيِّ وَتُطْلَقُ

وكانوا يقولون لبعضهم في السفر : عَمَلْنَا ، فَيُنْشِدُهُمْ وَيُغْنِيهِمْ ، وذلك عَنِّي

خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ بقوله :

كَذَبْتُ عَلَيْكُمْ أَوْعِدُونِي وَعَمَلُوا بِي الْأَرْضَ وَالْأَقْوَامَ قِرْدَانِ مَوْظَبًا ^(٢)

وقال ذو الرمة :

بِمَى إِذَا أَدْبَحْتُمَا فَاطْرُدَا الْكَرَى وَإِنْ كَانَ آلَى أَهْلِهَا لَا تَنْطُورُهَا ^(٣)

(١) المفضليات ٢ : ٣٩ البيت ١٥ .

(٢) نوادر أبي زيد ص : ١٧ ، ولسان العرب مادة « وظب » وقال في معناه : عليكم بي وجهاتي يا قردان موطب إذا كنت في سفر فاقطعوا بي الأرض . و « موطب » كقعد أرض معروفة . و « قردان » جمع قراد . (٣) الديوان ص : ٣٠٤ .

٣٣ إِذَا عَارَضَتْهَا ^(١) فِي يَوْمٍ فَخْرٍ مَسَحَتْ خُدُودَ سَابِقَةِ عِرَابٍ
[ص] أى إذا فاخرت بها فى يوم فخر سبقت ، وهذا مثل .

٣٤ تَصِيرُهَا وَهَادُ الْأَرْضِ هَضْبًا وَأَعْلَامًا وَتَثْلِمُ فِي الرِّوَابِ
[ويروى] « وهادُ القوم » ^(٢) ، أى ترفع من ينشدها ^(٣) .

٣٥ كَتَبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ جَوَى وَشَوْقًا
إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي كِتَابِي ^(٤)

(١) س ، د : « وإن أجريتها » .

(٢) هى رواية س ، ه ب .

(٣) جاء فى ظ قال الصولى : « وتثلم فى الروابى » يريد أنها قواف شديدة . وقال ابن المستوفى : ولو قال قائل إنه أراد إذا أنشدت صارت الوهاد بالتثمل بها وبإنشادها فى سهولة قطعها أعلاماً وهضاباً ، يعنى قطعت بها الوهاد كما تقطع الهضاب والأعلام لسهولة قطعها ، وهذا نحو قوله « وتجزع كل واد » وكذا قوله « تثلم فى الروابى » أى تقطع أيضاً بإنشادها فكان الروابى تثلم بذلك .

(٤) م ، ل : - « الكتاب » - س ، د :

ولو أنى قدرت هوى وشوقاً لكنت إليك سطرًا فى كتابى

وقال يمدحه [محمد بن الهيثم بن شبانة] ^(١) :

١ دِيْمَةٌ سَمْحَةٌ الْقِيَادِ سَكُوبُ

مُسْتَعِيْثٌ بِهَا الثَّرَى ^(٢) الْمَكْرُوبُ ^(٣)

الأول من الخفيف والقافية متواتر .

٢ لَوْ سَعَتْ بِقَعَّةٌ لِإِعْظَامِ نُعْمَى

لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيْبُ

٣ لَذَّ شُوْبُوْبُهَا وَطَابُ ^(٤) فَلَوْ تَسَدَّ

طَبِيعُ قَامَتْ فَعَانَقَتْهَا الْقُلُوبُ ^(٥)

٤ فَهِيَ مَاءٌ يَجْرِي وَمَاءٌ يَلِيهِ

وَعَزَالِ تَنْشَى ^(٦) وَأُخْرَى تَذُوبُ

٥ كَشَفَ الرُّوْضُ رَأْسَهُ ^(٧) وَاسْتَسَرَّ

الْمَحْلُ مِنْهَا كَمَا اسْتَسَرَّ الْمُرِيبُ

(١) . لم ترد هذه القصيدة في س . وجاء في ظ : في نسخة ابن الليث : هذه الأبيات في أبي جعفر محمد بن آدم الرازي .

(٢) ظ : ويروى « البرى » أيضاً ، قال : ومنه اشتقت البرية وهو الخلق لأنهم من التراب .
(٣) شرحه ابن المستوفى قال : « الديمة » مطر أيام يدوم بالثرى . والمعنى أن الثرى المكروب ،
يعنى الذى يمحط ، يستغيث إليها من عطشه ليمطره . قال الخارزنجى : يقول جادت ديمة سمحة القياد
للجنوب تستدرها كيف شاءت ، ويستغيث بها المكان المستمطر فتغيثه .

(٤) ب ، م ، ل : « وطابت » .

(٥) د : « جاءت فصافحتها القلوب » ، وفوقها بين السطور « فعانقتها » .

(٦) د : « تهمى » .

(٧) د : « أبهى الروض وجهه » وفوقها بين السطور رواية الأصل .

٦ فإذا الرّىُّ بعدَ محلٍّ وجرجا نُ لدَيْها يَبْرِينُ أو مَلْحُوبُ

٦ - [ع] يريد أن الجَدَبَ أَصاب الرّىَّ وجرجان ، ثم جاءها المطر فأخصبتا فكأنهما يَبْرِين ومَلْحُوب ، وهما موضعان من أرض العرب ، ويحتمل أن يريد اجتماع الوفود إليهما في الخِصْب ، فكأنهما لكثرة مَنْ ينزلهما من العرب هذان الموضعان ^(١) . [ص] غيره يقول : من شدة هذه الدّيمة ودوامها صارت البلدان صحارى مما هَدَمَتْها ، وهذا مثل قوله أيضاً :

فَأَتَتْ بِمَنْفَعَةِ الرِّياضِ وَضَرَّها أَهْلُ المَنازِلِ ، ألسُنَ الوُصَّافِ ^(٢)
٧ أَيُّها الغَيْثُ حَيٌّ ^(٣) أَهْلًا بِمَعْدَا
لَهُ ^(٤) وَعِنْدَ السَّرى وَحِينَ تَوُوبُ

(ع) « أَيُّها الغَيْثُ حَيَّهَلًا » شَدَّدَ « حَيَّهَلًا » ولا تُعرف إلا مخففة اللام كما قال الشاعر :

بِحَيَّهَلًا تَزْجُونُ كُلَّ مَطِيَّةٍ أَمَامَ المَطايا سَيَرُها مُتَقَاذِفُ
وأصل هذه الكلمة في الدّعاء ، يُقال حَيَّهَلًا يَارِجِل ، قال لبيد :
• وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيَّهَلٌ ^(٥) •

ولأنما قال حَيَّهَلًا بالغَيْثِ أى أنه يجب أن يُفرَحَ به ويُرَغَّبَ في قُربِهِ ، ومن

(١) ذكر الحارزنجي في ظ الوجه الأول وهو غصب يبرين وملحوب بهذه الديمة بعد الجذب ، قال وهما موصوفان بكثرة العشب والكلأ فلذلك ألفهما الوحش .

(٢) في ظ تكلة لشرح الصولى هـ : وقال - « الرى » و « جرجان » لأنهما بلدان كثيرا المطر شتاء وصيفا .

(٣) في متن الأصول كلها « حى أهلا » وشرح التبريزى هنا الذى يبدأ برواية الملاء « حيهلا » يوسى بأنها الرواية ، غير أن التبريزى في شرحه لم ينف رواية المتن وهى « حى أهلا » .

(٤) قال الصولى : وروى الناس « حى أهلا ببغداد » و « بمفناك » أيضاً ، وهو تصحيف .

(٥) البيت :

يتبارى فى الذى قلت له ولقد يسمع قولى حيهل

(الديوان ص : ١٣)

ذلك الحديث : « إذا ذُكِرَ الصالحون فَحَيَّهِمْ لَا بِعُمَر » أى ينبغي أن يُذكر ويُقدّم . ويجوز أن يكون الطائي سمعها مُشدّدةً في شيء من شعر العرب ، ولو كانت في قافية لحرّت مجرى قوله :

* كَأَنَّ مَهْوَاهَا عَلَى الْكَلَمِ كَلَّ * .

« والمَعْدَى » من الغُدُو . و « المَسْرَى » من سُرَى الليل . و « تَتَوَبُّ » أصل الإياب أن يجيء الرجل مع الليل ، وكشُرَ ذلك حتى قيل للغائب إذا قدّم قد آب . ومن روى « حَيَّ أَهْلًا » فهذه كلمة مرفوضة إلا أن يجعل « حَيَّ » في معنى هَلُمَّ وَيَنْصِب « أَهْلًا » بفعل مُضَمَّر ، ويجوز أن تُكسر الياء في معنى التحية ، أى حَيَّ أَهْلًا حاضرين بمغداك ^(١) .

٨ لِأَبِي جَعْفَرٍ خَلَاتِقُ تَحْكِيَةٍ
بِهِنَّ قَدْ يُشْبِهُ النَّجِيبَ النَّجِيبُ

٩ أَنْتَ فِينَا فِي ذَا الْأَوَانِ غَرِيبُ
وَهُوَ فِينَا فِي كُلِّ وَقْتٍ غَرِيبُ

٩ - [ص] « أنت » يخاطب الغيث ، و « هو » يعنى المملوح ، و « غريب » لأنه لا يوجد له شبهة أبدًا .

١٠ ضَاحِكُ فِي نَوَائِبِ الدَّهْرِ ^(٢) طَلَقُ
وَمُلُوكُ يَبْكِينَ ^(٣) حِينَ تَنْوَبُ

(ق) يصفه بأنه لا يجمع المال ولا يحفظه بل هو نَهَبٌ ، إمّا للنائبات التى تنوب على العادة المألوفة فى الأزمنة ، وإمّا بأن يسلط عليه من النوال والإعطاء

(١) قال ابن المستوفى : وكسر الياء أحسن لعدم التمثل ، والباء فى « بمغداك » تتعلق بـ « حى » فعل الأمر لا بصفة « أهلا » المحذوف ، لأن الباء فيه ليست ظرفاً للأهل ، وإنما أراد حى بمغداك أهلا ، أى وقت مغداك ، ليوافق ما بعده ، ولم يرد حيه بمغداك ، أى اجعل تحيته بمغداك ، كما تقول حيه بالسلام .
(٢) د : « الخطب » - ق : « يحدث النائبات أو تعتريه » .
(٣) فى الأصول كلها « يبكون » عدا نسخى ب ، ش .

ما يجرى مسجري النواذب فيفرقه ، قال : والملك ليسوا على هذا بل يَضِجُونَ من الخطوب إذا حلت بساحتهم وأثرت في أحوالهم ، ويدل على هذا ما بعده وهو :

١١ فَإِذَا الْخُطْبُ رَاثٌ^(١) نَالَ النَّدَى وَالْ

بَذْلُ مِنْهُ مَا لَا تَنَالُ الْخُطُوبُ^(٢)

١٢ خُلِقَ مُشْرِقٌ وَرَأَى حُسَامٌ

وَوَدَاهُ عَذْبٌ وَرِيحُ جَنُوبٌ

[ص] « ريح جنوب » مثل ، أى ناحيته تُغْنِي كما أن الجنوب تأتي بالغيث وبها يكون الخِصْبُ ، وقيل : ريحه جنوب تجمع إليه المعفأة كما تجمع الجنوب السحاب^(٣) .

١٣ كُلَّ يَوْمٍ لَهُ وَكُلُّ أَوَانٍ خُلِقَ صَاحِكٌ وَمَالٌ كَثِيبٌ

[ص] هذا هو قول أبي نواس :

تَبَكَّى الْبُسْدُورُ لَضِحْكِهِ وَالسِّيفُ يَضْحَكُ إِنْ عَبَسَ

١٤ إِنْ تُقَارِبُهُ أَوْ تُبَاعِدُهُ مَا لَمْ

تَأْتِ فَخَشَاءٌ فَهُوَ مِنْكَ قَرِيبٌ

(١) م ، ل ، ظ ، د : « طال » .

(٢) قال الصولي في شرحه : إذا طال الخطب فبلغ كل مبلغ فال نداه وبذله وراء ذلك حتى يزيله ، فنال منه الندى أكثر من ذلك . وقال ابن المستوفى : والذي أراه أنه أراد أن هذا الممدوح كلما أطال عليه الخطب نال منه الندى والبذل في إنفاق ما له ما لا تنال الخطوب منه . ويجوز أن تكون الهاء في « منه » عائدة على ماله ويكون قد حذف المضاف إليه . وفي نسخة : أى هو أذهب ماله من الخطوب ، و « منه » أى من الممدوح . وقال الخارزنجي : ويروى « وإذا الخطب زال » .

(٣) بقية كلام الصولي كما جاء في شرحه : وهذا المعنى الأخير من قول الشاعر :

ليالى إذ سمع النواذب وطرفها إلى وإذا ريحي لهن جنوب

أى أجمعهن بحسن وشبابي ، كما تجمع الجنوب الغيم .

١٥ ما التَقَى وَفَرُهُ وَنَائِلُهُ مُذْ كَانَ إِلَّا وَوَفَرُهُ الْمَغْلُوبُ

١٦ فَهُوَ مُدْنٍ لِلْجُودِ وَهُوَ بَغِيضٌ

وَهُوَ مُقْصٍ لِلْمَالِ وَهُوَ حَبِيبٌ

١٦ - « مُدْنٍ لِلْجُودِ » من نفسه إكراماً له ، وهو بغِيضٌ عند غيره ،
و « مُقْصٍ » أى مُبْعَد [للمال] من نفسه وهو حبيب إلى الناس كلهم .

١٧ يَأْخُذُ الزَّائِرِينَ ^(١) قَسْرًا وَلَوْ كَفَّ

(م) دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَإِ ^(٢) خَصِيبٌ

١٨ غَيْرَ أَنَّ الرَّامِيَ الْمُسَدَّدَ يَخْتَا

ط مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُ سَيُصِيبُ

١٨ - [ص] يقول : يأخذ الزائرين قَسْرًا ولو كَفَّ لجأوه ، فثله كمثل
الراعى الحاذق ، يعلم أنه يصيب كيف رمى ، ومع ذلك يحتاط بأن يصنع
صَنِيعًا جَدًّا .

(١) ظ : ويروى « يأخذ المعتفين » وهى رواية د .

(٢) فى ظ : روى الحارزنجى « جزع خصيب » .

وقال يعقوب محمد بن عبد الملك الزيات في علته (١) :

١ لا عَيْشَ أَوْ يَتَحَامَى جِسْمَكَ الْوَصْبُ
فَتَنْجَلِي بِكَ عَنْ خُلْصَانِكَ (٢) الْكَرْبُ

الأول من البسيط والقافية متركب .

« الْوَصْبُ » دوام المرض ، وعَذَابٌ وَاصِبٌ أى دائم ، وأَوْصَبَ الحمارُ إذا دامَ على سَوْقِ أَتْنِهِ ، قال العجاج :

• إِذَا رَجَتْ مِنْهُ نَجَاءٌ أَوْ صَبَا (٣) •

٢ لَعَا أَبَا جَعْفَرٍ وَأَسْلَمَ فَقَدْ سَلِمَتْ
بِكَ الْمَرْوَةَ وَاسْتَعَلَى بِكَ الْحَسَبُ

« لَعَا » كلمة تقال للعائر ، معناها انتعش من عثرك ، واستعارها للمرض لأنه جعله كالعيار .

٣ إِنَّا جَهَلْنَا فَخِلْنَاكَ اعْتَلَلْتَ وَلَا
وَاللَّهِ مَا اعْتَلَّ إِلَّا الْمُلْكُ (٤) وَالْأَدَبُ

(١) قال الصولي : وقيل هي في غيره .

(٢) د : « عن إخوانك النوب » ورواية « الكرب » فوقها - ه ب : « إخوانك » .

(٣) ب ، ن : « إذا رجعت منه رجاء » .

(٤) ل ، م : ويروى : « إلا الظرف والأدب » .

وقال [فيه] ^(١) أيضًا :

- ١ يا مَغْرَسَ الظَّرْفِ وَفَرَعَ الْحَسْبِ
وَمَنْ بِهِ طَالَ لِسَانُ الْأَدَبِ ^(٢)
 - ٢ إِنَّا عَهْدُنَاكَ أَخَا عِلَّةٍ بِالْأَمْسِ نَالَتْكَ بِبَعْضِ الْوَصْبِ
 - ٣ فَكَيْفَ أَصْبَحْتَ وَلَا زِلْتَنِي عَافِيَةً أَذْيَالُهَا تَنْسَحِبُ ؟
- ٣ - كسرة الحاء سناد عند الخليل ، وعند الأخفش ليس بسناد .

(١) زيادة من د .

(٢) دل ، هـ ، م : « لسان العرب » .

وقال :

١ أبا جَعْفَرَ أَضْحَى بِكَ الظَّنُّ مُمَرَّعاً
فَعَمِلَ بِرَوَاعِيهِ عَنِ الْأَمَلِ الْجَذْبِ
« رَوَاعِيهِ » أوائله ومباده (١) .

٢ فَوَاللَّهِ مَا شَيْءٌ سِوَى (٢) الْحُبِّ وَحْدَهُ
بِأَعْلَى مَحَلٍّ مِنْ رَجَائِكَ فِي قَلْبِي
آخر البائيات في الأصل وفي نسخة المرزوقي .

(١) قال ابن المستوفى : أراد جمع راعيه ، إما للمبالغة في المذكر ، وإما على أصل المؤنث ، وجاء بذلك لقوله « ممرعاً » وهو الكثير النبات ولقوله : « الأمل الجذب » .
(٢) ظ : ويروى « سوى الود » ويروى « سوى أن تعيش لي » .

قافية التاء

وقال على قافية التاء يمدح حُبَيْشَ بنَ الْمُعَافَى قاضي نَصِيبِينَ ورأس عين^(١) :

١ نَسَائِلُهَا أَيْ الْمَوَاطِنِ حَلَّتْ وَأَيَّ دِيَارٍ^(٢) أَوْطَنْتَهَا وَأَيَّتِ
الثاني من الطويل والقافية متدارك .

« أَوْطَنْتَهَا » جعلتها وطنًا . (ع) : جَرَى في هذا البيت كلام في دار العلم ببغداد ، وكان ثَمَّ رجل يُعرف بِحمدِ بنِ الوليد الواسطي قد قرأ على أبي سعيد السيرافي وأبى على الفارسي ، فحكى عن أبي سعيد أنه كان يقول إنَّ أبا تمام أراد « أَيْتَهُ » بالوقف من قولهم أَيْ وَأَيْتَهُ ، ثم كسر كما قال عنتره :

* لَأَنْتَى امْرُؤُ سَامُوتُ إِنْ لَمْ أَقْتَلِ^(٣) *

وهذا قول ضعيف جدًا ، وقد حملَ بعضَ الناسَ الفرارُ من كسر التاء في « أَيْتَ » على أن رَوَى « وعن أي دار » لتكون الكلمة التي في القافية معطوفةً على « أَيْ » المخفوضة بـ « عن » . وكان الذي سأل عن هذا البيت أبا نصر أحمد بن يوسف المُنَازِي فقال : إنما أراد « أَيْتَ » في معنى تَأَيَّتُ مِنَ التَّأَيِّي ، وهذا قول حَسَنٌ ، وهو يُشبه مذهب أبي تمام في الصنعة ، إلا أن المعروف من كلام العرب تَأَيَّيْتُ ، ولم يَحْجِ في أشعارهم أَيْيْتُ^(٤) ويجوز أن يكون أبو تمام سمعها في شعر

(١) جاء في د بعد قوله (قاضي نصيبين) : وهي غريبة من شعره . وفي نسخة ك جاء : وكان أبو مالك لا يعرفها . (٢) في ظ : روى الآمدي « وأية دار » وهي في ه ب . (٣) صدر البيت : فاقني حياك لا أبالك واعلمي .

(العقد الثمين ص ٤٢)

(٤) قال الآمدي في ظ : ولم أسمع فيه أيا بالمكان إذا أقام به ، وإنما يقال تأيا وتأيت ، وتأيت بالمكان إذا تحبست فيه ، وأظنه أراد « أَيْتَ » على تكرير السؤال ، وهو من لفظه الرديء . وقال ابن المستوفى : ونقلت من خط يحيى بن محمد بن عبد الله الأرزقي ما كتبه على حواشي كتاب الآمدي : السؤال في هذا البيت عن « أَيْتَ » الذي هو القافية لم كسره وهو يستحق النصب إذا كان تكريراً ؟ فيقال : إنه قدر فيه السكون الذي يجوز في القوافي ثم أطلقه إلى الكسر كما يطلق الساكن .

قديم ، لأنه كان مستبحراً في الرواية . وطرح الناء الأولى في « تَأَيَّسْتُ » جائز في القياس ، كما قالوا غَنَيْتُ وَتَغَنَّيْتُ ، وَبَخَرْتُ وَتَبَخَّرْتُ وَرَهَيْتُ السَّحَابَةَ وَتَرَهَّيْتُ ، ونحو ذلك .

٢ وماذا عَلَيْهَا لَوْ أَشَارَتْ فَوَدَّعْتُ

إِلَيْنَا بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ وَأَوْمَتْ

[ع] فَرَّقَ بَيْنَ « أَشَارَتْ » وَ « إِلَيْنَا » بِقَوْلِهِ « فَوَدَّعْتُ » وَذَلِكَ جَائِزٌ .
و « أَوْمَتْ » جَاءَ بِهِ عَلَى تَرْكِ الْهَمْزِ ، وَقَدْ حُكِيَ أَوْمَاتٌ وَأَوْمَتْ وَوَمَاتٌ وَوَمَتْ ، وَأَنْشَدُوا بَيْتًا يُنسَبُ إِلَى الْعَرَجِيِّ :
أَوْمَتْ بِكَتْفَيْهَا مِنَ الْهُودَجِ لَوْلَاكَ هَذَا الْعَامَ لَمْ أَحْجُجْ
وقال آخر :

فَقَلْنَا السَّلَامُ فَاتَّقَتْ مِنْ أَمِيرِهَا فَمَا كَانَ إِلَّا وَمَثُهَا بِالْحَوَاجِبِ ^(١)

٣ وَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ تَوَلَّيْتُ بِهَا الذَّوَى

فَوَلَّى عَزَاءُ الْقَلْبِ لَمَّا تَوَلَّيْتُ

٤ فَأَمَّا عَيُونُ الْعَاشِقِينَ فَأَسْخِنَتْ

وَأَمَّا عَيُونُ الشَّامِتِينَ فَفَقَرَتْ

٥ وَلَمَّا دَعَانِي الْبَيْنُ وَلَّيْتُ إِذْ دَعَا

وَلَمَّا دَعَاها طَاوَعَتْهُ وَلَبَّتْ

٦ فَلَمْ أَرْ مِثْلِي كَانَ أَوْفَى بِذِمَّةِ

وَلَا مِثْلَهَا لَمْ تَرْعَ عَهْدِي وَذِمَّتِي

(١) البيت في اللسان مادة « وما » غير منسوب ، وقال : أنشده القناني .

٧ مَشُوقٌ رَمَتْهُ أَسْهُمُ الْبَيْنِ فَاثْنَى

صَرِيحاً لَهَا لَمَّا رَمَتْهُ فَأَصْمَتِ

٧ - يقال أصمى الرأى رميته إذا قتلها مكانها ، وأماها إذا تحاملت بسهمه فغابت عنه ، وفي الحديث : « كل ما أصميت ودع ما أنميت » .

٨ وَلَوْ أَنَّهَا^(١) غَيْرُ النَّوَى فَوَقَتْ لَهُ

بِأَسْهُمِهَا لَمْ تُضْمِ فِيهِ وَأَشَوَتْ

أى أصابت الشوى وأخطأت المقتل .

٩ كَأَنَّ عَلَيْهَا^(٢) الدَّمْعَ ضَرْبَةً لِأَرْبِ^(٣)

إِذَا مَا حَمَامُ الْأَيْكِ فِي الْأَيْكِ غَنَّتِ

« الأيك » الشجر الملتف ، وأكثر ما يقولون غنّى الحمام ، وحمام مغن ، والتأنيث جائز في كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء ، مثل نخل ونخلة ، وتتمر وتمرة ، إلا أن بعض جموع هذا النوع يغلب عليه التذكير ، وبعضها يغلب عليه التأنيث ، والوجهان جائزان في ذلك كله .

١٠ لئن ظَمِئَتْ أَجْفَانُ عَيْنِي إِلَى الْبُكَاءِ

لَقَدْ شَرِبْتُ عَيْنِي دَمًا فَتَرَوْتُ

١١ عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ أَنَّى اسْتَقَلَّتِ

وَأَنَّى اسْتَقَرَّتْ دَارُهَا وَاطْمَأْنَنْتِ

(١) ك ، ظ : « ولو أنه » وقال ابن المستوفى : وروى بهاء التأنيث ، ومن رفع « غير » جعل الهاء للشان أو القصة ، ورفعه بالابتداء ، ومن نصب « غيراً » أبدله من الهاء .

(٢) م ، ل : « كأن عليه » .

(٣) م ، ل ، ك ، د : « لازم » .

١٢ وَمَجْهُولَةُ الْأَعْلَامِ طَامِسَةِ الصُّوَى إِذَا اعْتَسَفَتْهَا الْعَيْسُ بِالرَّكْبِ ضَلَّتْ

١٢ - «الأعلام» جمع عَلَمَ ، وهو كل ما يُهتدى به من جبَلٍ وغيره .
و «الصُّوَى» جمع صُوءٌ ، وهى أعلام من حجارة تُنصب ليُهتدى بها . [ع] وقوله
«إذا اعتسفها العيس» هذه الرواية أثبت من الرواية الأخرى التى هى «الريح» ،
لأن قوله «بالرَّكْب» يشهد بأنه قال «العيس» .

١٣ إِذَا مَا تَنَادَى الرِّكْبُ فِي فَلَوَاتِهَا أَجَابَتْ نِدَاءَ الرِّكْبِ فِيهَا فَأَصْدَتْ

[ع] «أصدت» أفعلت من الصَّدَى ، والأشبه أن يكون من الصَّدَى
الذى هو طائر ، أى إذا نادى الرِّكْبُ أجابهم الصَّدَى ، ولا يمنع أن يكون من
الصَّدَى الذى يجب الإنسان إذا صاح^(١) .

١٤ تَعَسَّفَتْهَا وَاللَّيْلُ مُلْقٍ جِرَانَهُ وَجَوَزَاوُهُ فِي الْأَفْقِ حِينَ اسْتَقَلَّتْ

١٥ بِمُفْعَمَةِ الْأَنْسَاعِ مُوجَدَةِ الْقَرَا أَمُونِ السُّرَى تَنْجُو إِذَا الْعَيْسُ كَلَّتْ

١٥ - [ع] «الأنساع» جمع نِسْع وهو سَيْرٌ مضفور ، و «مفعمة»
مملوءة . يريد أنها ذات بُدْنٍ فهى تملأ الحبال والأنساع . و «المُوجَدَةُ» من
قولهم آجده الله أى قَوَّاه . و «الْقَرَا» الظَّهْر . و «أَمُونِ السُّرَى» أى يُؤْمَنُ
عِثَارُهَا عِنْدَ السُّرَى .

(١) فى ظ تكله لكلام أبي العلاء ، قال : والقول الأول أشبه .

١٦ طَمُوحٌ بِإِثْنَاءِ الزَّمَامِ كَأَنَّمَا
تَخَالُ بِهَا مِنْ عَدُوِّهَا طَيْفَ جَنَّةٍ

١٧ إِلَى حَيْثُ يُلْفَى الْجُودُ سَهْلًا مَنَالُهُ
وَحَيْرُ أَمْرِي شَدَّتْ إِلَيْهِ وَحُطَّتْ^(١)

١٧ - [ع] يروى « حَطَّتْ » بفتح الحاء وضمتها ، فمن فَتَحَ الحاء جعل الفعل للناقة ، كأنها إذا نَزَلَ الركب عنها فقد حَطَّتْهُ . « وَحُطَّتْ » يحتمل معنى آخر وهو من قولهم حَطَّتِ الناقةُ في زِمَامِهَا إذا اعْتَمَدَتْ فِيهِ ، ومنه قول النابغة :

فَا وَحَدَّتْ بِمِثْلِكَ ذَاتُ رَحْلٍ حَطُوطٌ فِي الزَّمَامِ وَلَا لَسَجُونُ^(٢)
وَإِذَا رُويت بضم الحاء فعناه أَنْيَخَتْ .

١٨ إِلَى خَيْرٍ مِنْ سَاسِ الرَّعِيَّةِ عَدْلُهُ
وَوَطَّدَ أَغْلَامَ الْهُدَى فَاسْتَقَرَّتْ

١٩ حُبَيْشُ حُبَيْشُ بْنُ الْمُعَافَى الَّذِي بِهِ
أَمَرْتُ حِبَالُ الدِّينِ حَتَّى اسْتَمَرَّتْ
١٩ - « حُبَيْشُ » مأخوذ من الحَبَشِش وهو الجَمْع .

٢٠ وَلَوْ لَا أَبُو اللَّيْثِ الْهُمَامُ لَأَخْلَقْتُ
مِنْ الدِّينِ أَسْبَابُ الْهُدَى وَأَرَثْتُ
يقال رَثَ الشَّيْءُ وَأَرَثَ ، وَأَرَثَ أَكْثَرَ .

(١) ك : « وحلت » وروتها ظ .

(٢) الديوان ص ٥٥ ، واللسان مادة « حطط » والأساس مادة « لجن » والرواية فيها : « ذات غرب » . والناقة الحطوط النجيبة السريمة واللجون الثقيلة المشي .

٢١ أَقَرَّ عَمُودَ الدِّينِ فِي مُسْتَقَرِّهِ
وَقَدْ نَهَلَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي وَعَلَّتْ

٢٢ وَنَادَى الْمَعَالِي فَاسْتَجَابَتْ نِدَاءَهُ
لَوْ غَيْرُهُ نَادَى الْمَعَالِي لَصَمَّتْ

٢٣ وَنَيْطَتْ بِحَقْوِيهِ الْأُمُورُ فَأَصْبَحَتْ
بِظُلِّ جَنَاحِيهِ الْأُمُورُ اسْتَظَلَّتْ
٢٣ - « الْحَقْوُ » مَعْقِدُ الْإِزَارِ . وَقَوْلُهُ « اسْتَظَلَّتْ » كَأَنَّهُ حَذَفَ
« قَدْ » مِنْهَا ، كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ :

أَمَسَتْ خَلَاءَ وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ (١)

٢٤ وَأَخِيَا سَبِيلَ الْعَدْلِ بَعْدَ دُؤُورِهِ
وَأَنْهَجَ سُبُلَ الْجُودِ حِينَ تَعَفَّتْ (٢)

٢٥ وَيُلَوِّى بِأَخْدَاطِ الزَّمَانِ انْتِقَامَهُ
إِذَا مَا خُطُوبُ الدَّهْرِ بِالنَّاسِ أَلَوَتْ

(١) المقدم الثمين ص : ٦

(٢) قال ابن المستوفى : « أنهج » بمعنى أوضح ، من قولهم طريق نهج أى واضح ، والمعروف نهجت الطريق بغير ألف إذا أوضحت ، ولعل « أنهج » لغة فيه . وقالوا فى تفسير قول يزيد بن خداق الشئى :

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت سبل المسالك والمهدي يعبدى

أنهج الأمر إذا اتسع ، قال الجوهرى فى تفسيره : أنهج الطريق أى استبان وصار نهجاً واضحاً بيناً ، فعل ما قالوه يجب أن يرفع « سبل الجود » بالفاعل ، ولم يأت فى « أنهج » بعلامة التأنيث لأنه غير حقيق ، ويكون قد حذف منه ما فيه ضمير عائد إلى الممدوح ، نحو « به » أو نحوه . وقد روى « وأنهج سبل الجور حتى تعفت » .

٢٦ وَيَجْزِيكَ بِالْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا

وَيَغْتَفِرُ الْعُظْمَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ

٢٦ - هذا مثل يضرب لمن قعد به الدهر وأصابته رزية ، وليس ثم نعل وإنما هو جار مجرى قولهم استقدمت راحلته ، وخفقت نعمته .

٢٧ يَلُمُّ اخْتِلَالَ الْمُعْتَفِينَ بِجُودِهِ^(١)

إِذَا مَا مُلِمَاتُ الْأُمُورِ أَلَمَّتْ

٢٨ هُمَامٌ وَرَى الزُّنْدِ مُسْتَحْصِدُ الْقَوَى

إِذَا مَا الْأُمُورُ الْمُشْكَلَاتُ أَظَلَّتْ

٢٨ - [ع] يقال ورى الزُّنْدُ إِذْ خَرَجَتْ نَارُهُ ، والزُّنْدُ وَارٍ وَوَرَى . و «مُسْتَحْصِدُ الْقَوَى» من قولهم أَحْصَدْتُ الْحَبْلَ إِذَا أَحْكَمْتُ فَتَلَّهُ .

٢٩ إِذَا ظُلُمَاتُ الرَّأْيِ أَسْدِلَ ثَوْبُهَا

تَطْلُعُ فِيهَا فَجْرُهُ فَتَجَلَّتْ

[ع] المعروف «سُدِلَ» وهى اللغة العالية ، ويجوز أسدِلَ .

٣٠ بِهِ انْكَشَفَتْ عَنَّا الْغَيَاةُ وَانْفَرَتْ

جَلَابِيبُ جَوْرِ عَمَّنَا فَاضْمَحَلَّتْ

«الْغَيَاةُ» مثل الْعِمَامَةِ ، ويقال : غايا على رأسه بالسيف إذا أشرف عليه . و «انفرت» أى انشقت ، يقال : فريت الثوب وغيره إذا شققته ، والفرى يكون على سبيل الإصلاح والإفساد ، والإفراء على سبيل الإفساد لا غير ، وقولهم فى المثل : هو يفرى الفرى ، أى يعمل عملاً محكماً .

(١) ل : «نواله» وبهامشها رواية الأصل .

٣١ أَغْرَرُ بِيْطُ الْجَاشِ مَاضٍ جَنَانُهُ

إِذَا مَا الْقُلُوبُ الْمَاضِيَاتُ ارْجَحَنْتُ

[ع] « ارْجَحَنْتُ » في معنى ثَقُلْتُ^(١) ، ووزن « ارْجَحَنْ » عند سيبويه « افْعَلَلَّ » ، وقال غيره : وزنه « افْعَلَلَنْ » كأنه عنده من الرّجحان ومن رَجَحَ ، وقال قوم : ارْجَحَنْ الشجر إذا سقط ثمره ، وهذا يرجع إلى معنى الثقل ، وكذلك قولهم ارْجَحَنْ إذا لم يَبْرَحْ من مكانه ، قال عدي بن زيد :
أَيْبُهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلُ بَدَدَنْ . إِنْ هَمَّيْ فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ
وشراب خُسْرَوَانٍ إِذَا ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغَنَّى وَارْجَحَنْ

٣٢ نَهَوْضٌ بِثَقْلِ الْعِبِّ^(١) مُضْطَلَعُ بِهِ

وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ

٣٣ تَطُوعُ لَهُ الْأَيَّامُ خَوْفًا وَرَهْبَةً

إِذَا امْتَنَعَتْ مِنْ غَيْرِهِ وَتَابَتْ

٣٣ - « تَطُوعُ » أخذه من طاعَ يَطُوعُ ، فإذا حُدِثَتِ الهمزةُ من « أطاع » جاءوا باللام فقالوا : طاع له ، ولا يقولون طاعته ، قال الراجز :
فَقُلْتُ لِلْقَلْبِ ذَرِ اتَّبَاعَهَا
فَطَاعَ لِي وَطَالَمَا أَطَاعَهَا
ويقولون : قد أطاع له المرء عني إذا أمكنه .

(١) قال ابن المستوفى : لا معنى لذكر الثقل في معنى بيت أبي تمام ، اللهم إلا أن يريد بذلك أنها ثقلت عن المضى فلم تَبْرَحْ . قال الجوهري : ارْجَحَنْ الشيء مال ، وارجحن الشيء اهتز ، فإذا أخذ معنى ارْجَحَنْتُ في بيت أبي تمام من الميل والاهتزاز كان أولى من أن يكون مأخوذاً من الثقل ، لأنه يريد : إذا القلوب الماضية مالت أو اهتزت خوفاً . . . و « ارْجَحَنْ » في بيت عدي بالميل والاهتزاز أليق به من قوله « إذا لم يَبْرَحْ مكانه » لأن الميل والاهتزاز مما تحدثه الخمر يشاربها غالباً ، وهما أحسن في وصفها من إقامة الشارب في مكانه ، ويؤيد ما ذكرته رواية من روى : « إذا ما القلوب الماضية ارتفعت » وقال « ارتفعت » زالت عن مواضعها . وقال الجوهري : الارتفعان الاسترخاء . ويروى : « إذا ما القلوب الرابطات » ويروى : « الراضيات » ، وهذه الرواية ليست بشيء . (٢) ك ، د : الخطيب .

٣٤ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ شَمْلٌ مَجْدٌ مُؤَلَّفٌ
وَشَمْلٌ نَدَى بَيْنَ الْعَفَاةِ مُشْتَتٌ

٣٥ أَبَا اللَّيْثِ لَوْلَا أَنْتَ لَا نَصْرَمَ النَّدَى
وَأَدْرَكَتِ الْأَخْدَاثُ مَا قَدْ تَمَنَّتْ

٣٦ أَخَافُ فَوَادَ^(١) الدَّهْرِ بِطُشْكٍ فَانْطَوَتْ
عَلَى رُغْبٍ أَحْشَاؤُهُ وَأَجَنَّتْ

٣٧ حَلَلْتُ مِنَ الْعِزِّ الْمُنِيفِ مَحَلَّةً
أَقَامَتْ بِفَوْدَيْهَا الْعُلَى فَبَاقَتْ

٣٨ لِيَهْنِي تَنُوخًا أَنَّهُمْ خَيْرُ أُسْرَةٍ
إِذَا أُحْصِيَتْ أُولَى الْبُيُوتِ وَعُدَّتْ

٣٨ - أصل « البَيْتِ » ما بُنِيَ مِنْ مَدَرٍ أَوْ شَعَرٍ أَوْ أَدَمَ ، وهذا اسم عام ، ثم قالوا : فلان من أهل بيت ، يريدون به الشرف ، فهذا تخصيص وقع بلفظ العموم ، كما يقال : فلان إنسان ، يُراد به المدح ، وقد علم أن بني آدم كلُّهم يقع عليه هذا الاسم .

٣٩ وَأَنَّكَ مِنْهَا فِي الدُّبَابِ الَّذِي لَهُ
تَطَاطَأَتِ الْأَحْيَاءُ صُغْرًا^(٢) وَذَلَّتْ

٤٠ بَنَى لِيَتَنُوخَ اللَّهُ عِزًّا^(٣) مُوبَدًّا
تَزَلُّ عَلَيْهِ وَطَاءُ الْمُتَثَبِّتِ

(١) د : « جنان » . (٢) « قسراً » .

(٣) م : « مجداً موبداً » . وها مشها رواية الأصل - ل : « عزا موطداً » . د : « عزا مؤيداً » .

- ٤١ إذا ما حُلُومُ النَّاسِ حِلْمَكَ وَازَنْتَ
رَجَحْتَ بِأَحْلَامِ الرِّجَالِ وَخَفَّتِ
٤٢ إذا مَا يَدُ الْإِيَّامِ مَدَّتْ بَنَانَهَا
إِلَيْكَ بِخَطْبٍ لَمْ تَنْذِكَ وَشَدَّتْ
٤٣ وَإِنْ أَزَمَاتُ الدَّهْرِ حَلَّتْ بِمَغْشَرِ
أَرْقَتْ دِمَاءَ الْمَحَلِّ فِيهَا فَطُلَّتْ
٤٤ إذا مَا امْتَطَيْنَا الْعِيسَ نَحْوَكَ لَمْ نَخَفْ
عِثَارًا وَلَمْ نَخْشَ اللَّتْيَا وَلَا الدَّتْيَا

٤٤ - أصل «التى» و «الذى» فى كلامهم أن يكونا اسمين ناقصين لا يتِمَّانِ إِلَّا بِصِلَةٍ ، وَشَدَّ قَوْلُهُمْ فى المثل : فعله بعد اللَّتْيَا وَالتَّى ، أى بعد الْمَشَقَّةِ وَالْجَهْدِ ، ولا يكادون يُفَرِّدُونَ : «التى» من «التى» ، وقال بعضهم : يريدون بـ «التى» ما صَغُرَ من الأمور ، و بـ «التى» ما عَظُمَ منها ، وكأنَّهم يَكُونُونَ بهذين الاسمين عن الدَّاهِيَةِ .

وقال يمدح مالك بن طوق^(١) :

١ أَقُولُ لِمُرْتَادِ النَّدَى عِنْدَ مَالِكٍ
تَعَوَّذُ بِجَدْوَى مَالِكٍ وَصِلَاتِهِ

الثاني من الطويل ، والقافية متدارك .
أصل « المرتاد » الذي طلب الكلاء .

٢ فَتَى جَعَلَ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ
سَرِيعاً إِلَى الْمُتَمَتَّاحِ قَبْلَ عِدَاتِهِ
« المتمتاح » الرجل الذي يطلب ما عند الرجل من النّيل ، وأصله من
المسيح ، وهو أن يتنزّل المائح إلى أسفل البئر فنأخذ ما فيها من الماء .

٣ وَلَوْ قَصَّرَتْ أَمْوَالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ
لِقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطَرَ حَيَاتِهِ
٤ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي قِسْمَةِ الْعُمْرِ حِيلَةً^(٢)

وَجَازَ لَهُ الْإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
٥ لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ
وَأَسَاهُمُ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

٥ - الصواب « وأساهم » لأنه من تصديره إليّاهم أسوته أى مثله ، إلا أن

(١) جاء في ك على رأس هذه القصيدة بعد قوله « وقال يمدح بن طوق » : ورويت لغيره .

(٢) د : « موضعاً » .

العامّة يقولون « واساه » ، وقد استعملوا مثل ذلك في مواضع كثيرة ، مثل آكلته
 وآخاه . وبعض أهل العلم يزعم أنه لا يجوز ، وإنما حملهم على إثبات الواو في
 الماضي أنهم قالوا في المضارع يُؤاسي ويؤاكل ، فحَسَّنْ تَخْفِيفُ الهمزة وكونها
 واوًا لأنها مفتوحة وقبلها ضَمَّةٌ وكانت الواو أخفَّ عليهم ، فلما ألفوها في المضارع
 واسم الفاعل إذ قالوا مؤاسٍ ومؤاكل جاءوا بها في الماضي كذلك .

قافية الثاء

قال يمدح مالك بن طوق ويستبطئه :

١ قِفْ بِالطُّلُولِ ^(١) الدَّارِسَاتِ عُلَاثَا
أَمَسْتُ ^(٢) حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاثَا

الثاني من الكامل والقافية متواتر .

[ع] أراد ترخيم « علّاثنة » . ويقال إنه كان مع أبي تمام غلام يقال له علّاثنة ، فيجوز مثل ذلك . وقد يحتمل أن يفتعل الشاعر أسماءً لغير موجودين فيستعين بها في القافية وحشّو البيت ، كقول النابغة :

* أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحُ أَوْ مُغْتَدِي ^(٣) *

وقوله :

* أَتَارِكَةٌ تَدَلُّهَا قَطَامٌ ^(٤) *

وقوله :

* عَفَا ذُو حُسَى مِنْ فَرْتَنَا فَالْفَوَارِعُ ^(٥) *

فيحتمل أن تكون هذه أسماء نساء موجودات ، ولا يمتنع أن يكنّ في العدم ،

(١) د ، ظ : « بالذيار » .

(٢) م ، ل ، س ، ظ ، ك : « أضحت » .

(٣) البيت :

أمن آل مية رائح أو مفتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

(الديوان ص ٢٧)

(٤) البيت :

أتاركة تدلّها قطام وضنّا بالتحية والكلام

(الديوان ص ٧٣)

(٥) البيت :

عفا ذو حسي من فرتنا فالقوارع فجنبأ أريك فالتلاع الدواقع

(الديوان ص ٤٨)

لأنَّ الشَّعْرَ بُنِيَ عَلَى ذَلِكَ^(١). فَأَمَّا رَوَايَةُ مَنْ يَكْسِرُ الْعَيْنَ فِيهِ رَدِيَّةٌ جَدًّا ،
لأنه يريد به العكث ، وإنما يأخذه مِنْ عَكَشْتُ الشَّعِيرَ بِالْحِنْطَةِ إِذَا خَلَطْتَهُ
بِهَا ، أَيْ اخْلِطْ فِي أَفْعَالِكَ وَقُوفَكَ بِهَذِهِ الْمَنَازِلِ^(٢). وَ « الْقَسْطَيْنِ » أَهْلُ الدَّارِ .
و « الرِّثَاثِ » جَمْعُ رَثَ .

٢ قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا

وَقَبُولِهَا وَدَبُورَهَا أَثْلَاثًا

قِيلَ فِي « الْقَبُولِ » إِنَّهَا هِيَ الصَّبَا ، وَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ : الْقَبُولُ
رِيحٌ بَيْنَ الصَّبَا وَالْجَنُوبِ ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْقَبُولُ كُلُّ رِيحٍ لَيْسَتْ طَيِّبَةً
الْمَسَّ تَقْبَلُهَا النَّفْسُ ، فَلَيْسَ لِلرَّدِّ عَلَى أَبِي تَمَامٍ وَجْهٌ^(٣) .

٣ فَتَأَبَّدَتْ مِنْ كُلِّ مُخْطَفَةٍ الْحَشَا

غَيْدَاءُ تُكْسَى يَارَقًا وَرَعَاثًا

[ع] « تَأَبَّدَتْ » خَلَّتْ وَأَوْحِشَتْ ، وَهُوَ مَاخُذٌ مِنَ الْأَبَدِ ، يَرِيدُ أَنَّ
الدَّهْرَ طَالَ عَلَيْهَا . وَ « الْيَارَقُ » ضَرْبٌ مِنَ الْحَلِيِّ ، أَعْجَمِيٌّ مُعَرَّبٌ .
وَ « الرِّعَاثُ » جَمْعُ رَعْنٍ وَرَعْنَةٌ وَهُوَ الْقُرْطُ * وَ « الْغَيْدَاءُ » الطَّوِيلَةُ الْعُنُقُ .
[ص] وَسُمِّيَتِ الْقِرَاطَةُ الرِّعَاثُ لِاسْتِرْسَالِهَا ، وَأَصْلُ الرِّعْنِ الْاسْتِرْسَالُ ،
وَرَعْنَاتُ الدِّيكِ مَا تَدْلِي تَحْتَ حَنَكِهِ .

٤ كَالظَّبْيَةِ الْأَدْمَاءِ صَافَتْ فَارْتَعَتْ

زَهَرَ الْعَرَّارُ الْغَضُّ وَالْجَشَجَاثَا

« الْأَدْمَاءُ » مِنَ الطُّبَّاءِ الَّتِي يَعْلُو لَوْنُهَا سُمْرَةٌ . وَ « صَافَتْ » أَتَى عَلَيْهَا

(١) قَالَ الصُّوْلِيُّ : وَيُرْوَى أَبُو مَالِكٍ « عَلَاثَا » وَفَرَسَهَا بِقَوْلِهِ أَيْ قَلِيلًا .

(٢) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفِيِّ يَرِدُ عَلَى أَبِي الْعَلَاءِ : قَوْلُ الْمَعْرِيِّ « أَيْ اخْلَطْتُ بِأَفْعَالِكَ وَقُوفَكَ بِهَذِهِ الْمَغَازِلِ »
لَا مَعْنَى لَهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ ، وَكَيْفَ رُوِيَ لَفْظَةُ « عَلَاثَا » فِيهِ رَدِيَّةٌ ، وَلَوْ أَنَّ عَلَاثَةً غَلَامَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ
لَوَجِبَ عَلَيْهِ تَجَنُّبُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَاطْرَاحُهَا لِفِرَاقِهَا .

(٣) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفِيِّ : الصَّحِيحُ أَنَّ الصَّبَا هِيَ الْقَبُولُ ، وَمَا الَّذِي مَنَعَ أَبَا تَمَامٍ أَنْ يَجْعَلَ مَوْضِعَ « قَبُولِهَا »
« جَنُوبِهَا » فَكَانَ يَسْلَمُ مِنْ هَذَا التَّشْنِيعِ عَلَيْهِ ؟

الصيف . و « العَرَّار » و « الجَشْجَاش » ضربان من التَّبَتُّ يُوصَفَانِ بِطِيبِ
الرائحة ، وذكر بعضُ أهلِ اللغة أنَّ العَرَّارَ لَا يَأْكُلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ^(١) .

٥ حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الْحَرِيفُ رِوَاقَهُ

سَافَتْ بَرِيرَ أَرَاكَةَ وَكَبَاثًا

(ع) « البرير » والكتبات صنفان من ثمر الأراك ، ويقال إن البرير
الغض منه ، والكتبات ما قد بدا فيه اليبس ، وقال قوم : البرير اليابس من
ثمره . وقوله « ضَرَبَ الْحَرِيفُ رِوَاقَهُ » مثل استعاره للخريف ، يقال : ضرب
فلان رواقه في المكان إذا أقام فيه ، و « الرواق » ما قُدَّامَ البيت . و « سَافَتْ »
شَمَّتْ ؛ فعبّر بمقدّمته عن الأكل لأنها تَشُمُّ أولاً ثم تأكل . والأشبه أن يكون
« سَفَّتْ » لأن الشعراء كذا يذكرون ، قال النابغة :

تَسَفَّتْ بَرِيرَهُ وَتَسْرُودُ فِيهِ إِلَى دُبُرِ الشَّهَارِ مِنَ الْقَسَامِ^(٢)
وقال آخر :

وَعَهْدِي بِحَوْمَلٍ فِيهِ الْخَلِي طُكَادِمِ الطُّبَاءِ تَسَفَّتْ بَرِيرًا
وإذا سَفَّتْهُ فَقَدْ سَافَتْهُ ، وكلا الوجهين حسن سائغ .

٦ سَيَافَةٌ^(٣) اللَّحْظَاتِ يَغْدُو طَرْفُهَا

بِالسَّحْرِ فِي عَقْدِ النَّهْيِ نَفَاثًا

٧ زَالَتْ بِعَيْنَيْكَ الْحُمُولُ كَأَنَّهَا

نَخْلٌ مَوَاقِرُ مِنْ نَخِيلِ جَوَاثَا

٧ - « جَوَاثَا » موضع يُوصَفُ بِكَثْرَةِ التمر والنخيل . و « الْحُمُولُ »
أَحْمَالُ الْقَوْمِ الْمُتَحَمِّلِينَ ، ويجوز أن يقال للقوم حُمُولٌ كَمَا يُقَالُ شُهُودٌ أَى

(١) المال : إذا أطلق عند أهل البادية أرادوا به الإبل .

(٢) العقد الثمين ص : ٢٨ ، والرواية فيه : « من البشام » .

(٣) قال الصولي : ويروى « حسافة اللحظات » يريد أن طرفها لحسنه يسبي ذوى العقول .

شُهَاد ، وهذا المعنى يتردد في الشعر كثيراً ، يُشبهون الحُمُول بالنخل المَواقِر
وهي الكثيرات الحَمْل ، إذا كانت مَواقِر فلنَّ بعضها يكون أصفر وبعضها أحمر
وبعضها أخضر . ويروى : « رَأَدَتْ بَعِينِكَ » .

٨ يَوْمَ الثَّلَاثَا لَنْ أَزَالَ لِبَيْنِهِمْ
كَدِرَ^(١) الْفُؤَادِ لِكُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَا

أصل « الثلاثاء » المدَّ ، وقصره جائز ، وكأنه من قولهم : صلوة الأولى ، وهم
يريدون الصلوة الأولى ، وكذلك هو اليوم الثلاثاء ، فأضيف اليوم إلى صفته أو
المبْدَل منه .

٩ إِنَّ الِهُمُومَ الطَّارِقَاتِكَ مَوْهِنَاً
مَنْعَتْ جُفُونَكَ أَنْ تَذُوقَ حَثَاثَا

[حَثَاثَا] أى نوماً قليلاً ، ولا تستعمل إلا في النوى^(٢) .

١٠ وَرَأَيْتَ ضَيْفَ الِهِمِّ لَا يَرْضَى قِرَى

إِلَّا مُدَاخَلَةَ الْفَقَارِ دِلَاثَا

[ع] « ضيف الهم » ما طرَّق منه ، شُبَّهَ بالضيف من بنى آدم . و « الْفَقَار »
خَرَزُ الظَّهْرِ ، و « الدَّلَاث » الناقة الجريئة على السير ، وهذا معنى يتكرر في
أشعار العريب ، يجعلون للهم قِرَى ، قال الشاعر :

وَأَقْرَى الِهُمُومِ الطَّارِقَاتِ حَزَامَةً إِذَا كَثُرَتْ لِلطَّارِقَاتِ الْوَسَاوِسُ
وقال آخر :

وإِنِّي لَأَقْرَى ضَيْفَ هَمِّي جَسْرَةً بَدَأَتْهَا الْقُصْرَيَيْنِ عُلُوبُ^(٤)

(١) س : « أصفى العداوة كل يوم ثلاثا » - هـ ك « أول العداوة » .

(٢) قال الصولي : يقال : ما ذقت غماضاً ولا حثاثاً أى ما نمت ، والحثاث (بفتح الحاء وكسرهما)

التلليل من النوم ، كذلك الغماض . (٣) ك : « لا يبغي » .

(٤) « الجسرة » الناقة الماضية . « والدأية » فقار الكاهل في مجتمع ما بين الكتفين من كاهل
البعير خاصة . و « القصريان » ضلعان يليان الترقوتين . و « علوب » جمع علب ، والعلب أثر الضرب
وغيره . يريد أنه إذا حل به الهم رحل بناقة هذه صفتها .

١١ شَجَعَاءُ^(١) جَرَّتْهَا الذَّمِيلُ^(٢) تَلَوْكُهُ

أُصْلًا إِذَا رَاحَ الْمَطِيُّ غِرَاثًا

(ق) : « الشَّجَعَاءُ » الطويلة وقيل : هي التي بها جنون من نشاطها .
و « الذَّمِيل » السير السريع ، و « الجِرَّةُ » ما تُخرجه الناقة من جوفها إلى فمها
وتَجْتَرُّ به ، و « تَلَوْكُهُ » تمَضُّعُهُ . و « الْأُصْل » العَشِيَّة ، و « الْغِرَاثُ »
الجِيَاع ، واحدها غَرَثَان . يصف ناقةً فيقول : هي نشيطة تَجْتَرُّ بالذَّمِيل إِذَا
جاءَ الوقت الذي تِكَلُّ فيه الإبلُ وهو العشيَّة متى سارت النهارَ كلَّهُ ، أى تسير
سيراً سريعاً . وجعل الاجترارَ مثلاً للحوق الكلال وانقطاع القوى والأشُر ،
يقول : هي تصل السَّيْرَ بالسَّيْرِ باقيةً نشاطها إِذَا حَسَرَت الإبلُ وكلَّتْ
قُوَّاهَا ، ويفسِّرُه البيت الذي بعده وهو :

١٢ أَجْدًا إِذَا وَنَتِ الْمَهَارَى أَرْقَلَتْ

رَقَلًا كَتَحْرِيقِ الْغَضَا حَثْحَاثًا^(٣)

١٣ طَلَبْتُ فَتَى جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ مَالِكًا

ضِرْغَامَهَا وَهَزَبَرَهَا الدِّلْهَاتَا

١٣ - يقال أسدُّ دِلْهَاتٍ ودُلَاهِثٌ أى جرىء . ولمن زعم أن الهاء في
« هِبْلَع » زائدة جاز أن يدعى أنها في « دِلْهَات » كذلك وأنه من الدَّلَّات .

١٤ مَلِكٌ إِذَا اسْتَسْقَيْتَ مُزْنَ بَنَانِهِ

قَتَلَ الصَّدَى وَإِذَا اسْتَعَثَّتْ^(٤) أَغَاثَا

(١) في ظ : روى الحارزنجي « سفعاء » .

(٢) قال الصولي : وروى « جرَّتْها الذَّمِيل » يريد ما في جوفها ، وهو تصحيف .

(٣) قال الصولي : قد بين البيت الأول بهذا البيت . وفاقه « أجد » صلبة وثيقة ، و « حثحات »

سريع .

(٤) س ، ك : « وَإِذَا اسْتَعَثَّت » .

١٥ قَدْ جَرَّبَتْهُ تَغْلِبُ ابْنَتُهُ وَائِلَ لَا خَاتِرًا^(١) غُدْرًا وَلَا نَكَاثًا

١٥ - [ع] « الخاتِرُ » مثل الغادر إلا أنه أشدّ مبالغة . ومن روى « غُدْرًا » بفتح الغين وإسكان الدال نَصَبَ « غُدْرًا » لأنه مفعول له ، ومن روى « غُدْرًا » بضم الغين وفتح الدال فهو من قولهم رجل غُدَر أَي غادر ، وَيَنْصِبُ « غُدْرًا » على الصفة ، ومن روى « غُدْرًا » بفتح الغين وكسر الدال فهو راجع إلى معنى الغُدَرُ أيضًا ، إلا أنه لا يُستعمل في مكان الغادر وإنما يكون مستعارًا له ، يأخذه من الليل الغُدَرُ والمُغْدِر وهو المظلم ، ومن المكان الغُدَر وهو الذي فيه حجارة وشقوق ويصعب الثبات فيه ، ومنه قولهم إنه لَشَبْتُ الغُدَر . و « النَكَاثُ » الذي يَنْكُثُ ما يَعْقِدُ مِنَ الْأُمُور .

١٦ مِثْلُ السَّبِيكَةِ لَيْسَ عَنْ أَعْرَاضِهَا بِالْغَيْبِ لَا نَدُسًا وَلَا بَحَاثًا

« مثل السَّبِيكَةِ » في صفائه ونقاؤه ، واسم « ليس » مُضْمَرٌ فِيهَا ، و « نَدُسًا » خبر ليس . أَي هو مثل السَّبِيكَةِ لَا يَشْتَغِلُ بِالْبَحْثِ عَنْ أَعْرَاضِ قَبِيلَتِهِ لِعَفْوِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى شَأْنِهِ . و « النَّدُسُ » الذي يكشف الأمور عن أخبار الناس ، وَيُسْتَعْمَلُ النَّدُسُ فِي الصِّفَةِ بِالطَّعْنِ ، يُقَالُ : نَدَسَهُ إِذَا طَعَنَهُ ، قال جرير :

نَدَسْنَا أَبَا مَسْنَدٍ وَسَةَ الْقَيْسِ بِالْقَسَا
وَمَا رَدَمٌ مِنْ جَبَارٍ بِسَيْبَةٍ نَاقِعٍ^(٢)
« بِسَيْبَةٍ » اسمُ إِنْسَانٍ . [ص] وَيُقَالُ تَدَسَّسَ أَي تَبَحَّثَ الْأَخْبَارَ^(٣) .

(١) ظ : ويروى « لا خاتلا عهداً » .

(٢) الديوان ص : ٣٧٢ .

(٣) تكله شرح الصولي : وقال ذو الرمة :

وقد توجس ذكراً مقفر ندس نبأ الصوت ما في سمعه كذب

١٧ ضَرَحَ الْقَدَى عَنْهَا وَشَذَّبَ سَيْفُهُ

عَنْ عَيْصِهَا الْخُرَابَ وَالْخُبَانَا

يُقَالُ : « ضَرَحَ » الْقَدَى إِذَا أزالَهُ ودَفَعَهُ ، وأصلُهُ من ضَرَحَ الدَّابَّةُ بِرِجْلِهِ ، وبالدَّابَّةِ ضِرَاحٌ إِذَا كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ . وأصل « التَّشْدِيدِ » التَّفْرِقَةُ . و « الْعَيْصُ » الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ . [ع] و « الْخُرَابُ » جَمْعُ خَارِبٍ وَهُوَ الَّذِي يَسْرِقُ الْإِبِلَ خَاصَةً * ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ فِي كُلِّ سَارِقٍ وَصَاحِبِ غَدْرٍ ، قَالَ الرَّاجِزُ :

وَالْخَارِبُ اللَّصُّ يُحِبُّ الْخَارِبَا
وَتِلْكَ قُرْبَى مِثْلَ أَنْ تُنَاسِبَا
أَنْ تُشْبِهَ الضَّرَائِبُ الضَّرَائِبَا

[ع] و « الْخُبَانَا » جَمْعُ خَابَثٍ ، وَالْمُسْتَعْمَلُ خَبِيثٌ * ، وَأَجْمَعْتُ الْقُرَاءَ عَلَى قِرَاءَتِهِمْ « وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا » بضم الباء ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُمْ خَبِيثٌ هُوَ الْمَشْهُورُ . [ع] وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ « خَابَثَ » عَلَى غَيْرِ الْفِعْلِ أَيْ ذُو خُبْثٍ ، كَمَا يُقَالُ « تَامَرٌ » وَ « لَابِنٌ » .

١٨ ضَاحِي الْمُحْيَا لِلْهَجِيرِ وَلِلْقَنَا

تَحْتَ الْعَجَاجِ تَخَالُهُ مِخْرَاثَا

أَي بَارِزٌ لِلشَّمْسِ ، وَكُلٌّ مُنْكَشَفٌ ضَاحٍ . وَ « الْمِخْرَاثُ » عَوْدٌ تَحْرُكُ بِهِ النَّارُ .

١٩ هُمُ مَزَقُوا عَنْهُ سَبَائِبَ حِلْمِهِ

وَإِذَا أَبُو الْأَشْبَالِ أُحْرِجَ عَاثَا

« السَّبَائِبُ » جَمْعُ سَبِيْبَةٍ ، وَهِيَ شُقَّةٌ مُسْتَطِيلَةٌ ، وَإِنَّمَا أُخِذَ مِنْ سَبَبَتْ

(١) د : « قد » .

الشيء إذا قطعتة . « وأحرج » أى ضيق عليه . [ص] يذكر قتله لما ولّى نصيبين جماعة من بنى تغلب .

٢٠ لَوْلا الْقَرَابَةُ جَاسَهُمْ بِوَقَائِعٍ^(١)

تُنْسِي الْكُلابَ وَمَلَهُمَا^(٢) وَبُعَاثًا

[ع] يقال « جاس » البلاد والقوم ، والجؤس التخلل . و « ملههم » موضع كثير النخل^(٣) . و « بُعَاث » موضع بالمدينة كانت فيه الحرب بين الأوس والخزرج ، وأكثر الناس يقولون بُعَاث بعين غير مُعْجَمَة * وذكره الخليل بعين معجمة ، وذكر بعض من اجتاز بيثرب أنه دخلها وسأل عن هذا الموضع فأروه إياه ، وأنهم يقولون فى اسمه « بُعَاث » بالغين .

[ص] و « ملههم » يوم بين تميم وحذيفة و « الكلاب »^(٤) بين عبد يغوث ابن وقاص الحارثي وبين قيس بن عاصم المنقري ، فأسرت تميم الرباب عبد يغوث وقتلته بالنعمان بن جساس التيمي ، وتولّى قتله عيصم بن أبير التيمي .

٢١ بِالْخَيْلِ فَوْقَ مُتُونِهِنَّ فَوَارِسُ مِثْلُ الصُّقُورِ إِذَا لَقِينَ بُعَاثًا

٢٢ لَكِنْ قَرَأَكُمْ صَفْحَهُ^(٥) مَنْ لَمْ يَزَلْ وَأَبُوهُ فَيْكُمْ رَحْمَةً وَغِيَاثًا

٢٣ عَفَّ الْإِزَارُ تَنَالُ جَارَةً بَيْتَهُ

أَرْفَادُهُ وَتُجَنَّبُ الْأَرْفَاثَا

٢٣ - [ع] يقال رجل عَفَّ الْإِزَارَ إِذَا وُصِفَ بِالْعِفَّةِ وَإِنَّمَا يُرَادُ مَا تَحْتَ

(١) س : « بكتائب » . (٢) م : « وماءها » .

(٣) قال ابن المستوفى : لا معنى لقول أبي العلاء فى هذا الموضع « ملهم موضع كثير النخل » وإن كان كذلك ، وإنما كان يجب أن يذكر اليوم كما ذكره الصولى لا الموضع .

(٤) هذا هو يوم الكلاب الثانى ، أما الكلاب الأول فقد كان بين الملكين شرحبيل وسلمة بن الحارث بن عمرو ، وكان مع أحدهما تميم ومع الآخر تغلب .

(٥) هـ : « عفو » .

الإزار * وهذا قولهم : هو ناصحُ الجَنِيبِ أى ناصحُ الصَّدْر ، ولا معنى لوصفهم الإزارَ بالعفةِ والجَنِيبَ بالنُّصْحِ إلاّ أن يُراد بهما ما تحتهما ، ولذلك قالوا : فِدَىّ لك إزارى ، أى ما تحته ، ونحو منه قول الشاعر :

ألاّ أبلغُ أبا حَفْصٍ رِسُولاً فِدَىّ لك من أخى ثِقَةٍ إزارى

[ع] ويجوز رَفَعُ الجارةِ ونَصَبُها ، والرفعُ أحسن ، وليس النصب بقبيح . و « الأرفاد » جمع رِفْد وهو العطاء ، ويقال للقدَح العظيم رِفْد . و « الأرفاث » جمع رَفَث وهو ذِكْر الجِماع والحديثُ به .

٢٤ عَمَرُو بَنُ كُلْثُومِ بْنِ مَالِكِ الَّذِي

تَرَكَ^(١) الْعُلَى لِبَنِي أَبِيهِ تَرَانَا

٢٥ وَزَعُوا^(٢) الزَّمانَ وَهُمْ كُھولٌ جِلَّةٌ

وَسَطُوا عَلَى أَحْدَاثِهِ أَحْدَاثَا

٢٦ أَلْقَى عَلَيْهِ نِجارَهُ فَاتَى بِهِ

يَقْظَانَ لَا وَرَعاً^(٣) وَلَا مُلْتَأَا

٢٦ - أى ألقى عمرو بنُ كُلْثُومٍ على مالك بن طوق نِجارَهُ ، و « النِّجار » الأصل ، وقيل إنه يُستعمل فى معنى اللون ، والأحسنُ ها هنا أن يكون فى معنى الأصل ، ومنه قولهم فى المثل : كل نِجارٍ إِبِلٍ نِجارُها^(٤) . و « الورع » الجبان ، ويقال الضعيف . و « يقظان » أى هو قليل النوم متيقظ للأشياء ، وهو يحملون الرجل بقلّة النوم ويذمّونه بكثرة و « مُلْتَأَا » أى بَطِىء ، يقال : التأت عليه الأمرُ أى أبطأ .

(١) من : « جعل العلى » .

(٢) م ، ل ، س ، ك ، هـ ب : « ردعوا » .

(٣) م ، ل : « لا فزعاً » .

(٤) جميع الأمثال ٢ : ٥٥ .

٢٧ تَزْكُو مَوَاعِدُهُ إِذَا وَعَدُ امْرِئٌ

أَنْسَاكَ أَحْلَامَ الْكَرَى الْأَضْغَاثَا^(١)

[ع] « أضغاث الأحلام » هو المختلط منها المشتبه ، وأصله من الضغث وهو أن يقبض الرجل ميلء كفه من الثبث فيكون منه ضروب مختلفة . وإذا روى « أنساك » من التسيان فالمعنى : وعده هذا المخلف يزيد على أضغاث الأحلام في البطلان والإلغاء ، وهذا مثل قولك للرجل إذا ذمته أو حمدته : قد أنسيتني أفعال فلان ، أى زدت عليها فيما فعلت فنسيت عجبتي منه وصرت أعجب منك ، وإذا روى « أمسى » من الإساءة فالمعنى مفهوم^(٢) .

٢٨ وَتَرَى تَسْحُبْنَا عَلَيْهِ^(٣) كَأَنَّمَا جِئْنَاهُ نَطْلُبَ عِنْدَهُ مِيرَاثًا

[ع] « تسحبنا » استطاللتنا كأنه من السحب ، والتسحب كلمة مُبْتَدَلَةٌ^(٤) .

٢٩ كَمْ مُسْهَلٍ بِكَ لَوْعَدْتِكَ قِلَاصُهُ

تَبَغَى سِوَاكَ لِأَوْعَثْتَ إِيْعَاثًا

[ع] « الإسهال » ها هنا و « الإيعاث » مُسْتَعَارَانِ لِتَسْهَلِ الحاجة وَتَعْدَرِهَا ، وأصل ذلك في السهل والوعث من الأرض ، يقال أسهلنا إذا وقعنا في السهل ، وأوعثنا إذا وقعنا في الوعث ، وهى أرض تسوخ فيها القدم * يقال لها الأوعث والوعشاء ، كما يقولون مكان وعس ثم يقولون الأوعس والوعساء ،

(١) م ، ل ، ك ، د « أضغاثا » .

(٢) قال ابن المستوفى : لم أجد رواية « أمسى » في نسخة من النسخ ، والذي يحتمل أن يكون نظمها : « إذا وعد امرئ أمسى كأحلام الكرى أضغاثا ويكون نصب « أضغاثا » على الحال .

(٣) ظ : وفي نسخة « وترى تصخبنا عليه » وهى فى ب .

(٤) قال الصولى : وأخذه من قول الفرزدق لعمر بن عتبة :

أعطاني المال حتى قلت يودعني أو قلت إعطاء مال قد رآه لنا
أى رآه لنا حقاً .

ومنه « اللهم إنا نعوذ بك من وعشاء السفر » . يقول : كم رجل أدّاه قصده إياك إلى السهل ، ولو قصّدت غيرك لأدّاه إلى الحزن والصعوبة .

٣٠ خَوَّلْتُهُ^(١) عَيْشاً أَغْنَى وَجَامِلاً دَثْرًا وَمَالًا صَامِتًا وَأَثَانًا

ويروى « أغرّ »^(٢) . [ع] « خَوَّلْتُهُ » جعلته خَوَّلَهُ ، وهو ما يملكه الإنسان . و « العيش الأغنى » يُراد به الطيب الحسَن ، ومنه قولهم قَرِيبة غَنَاءُ أى عامرة كثيرة الأهل . وإذا رويت « أغرّ » من الغرة فهو أجود وأشبهه بصفات العيش^(٣) . و « الدَثْرُ » الكثير ، وجمعه دُثُور . وفي الحديث : « ذَهَبَ ، أصحابُ الدُثُور بالأجور » . و « الصامت » من المال ما كان من فِضَّة أو ذَهَبَ ويجوز أن يعنى به كل ما لا ينطق ، إلا أن أعرف ما يُستعمل في الذهب ، والورق . و « الأثان » ما يملكه الرجل من فَرَش وبساط ، وقد زعم بعض الناس أن الإبل يقال لها أثان ، وإنما ذلك من قولهم أث الشيء إذا كثر ، فكل ما زادت فيه حال الإنسان بجائز أن يُسمى أثاناً .

٣١ يَا مَالِكَ ابْنَ الْمَالِكِينَ أَرَى الَّذِي

كُنَّا نُوَمِّلُ مِنْ إِيَابِكَ^(٤) رَاثًا

٣٢ لَوْلَا اعْتِمَادُكَ^(٥) كُنْتُ ذَا مَنْدُوحَةٍ

عَنْ بَرْقَعِيدٍ وَأَرْضٍ بَاعَيْنَا^(٦)

٣٣ وَالْكَامِخِيَّةُ^(٧) لَمْ تَكُنْ لِي مَنَزِلًا فَمَقَابِرُ اللَّذَاتِ مِنْ قَبَرَاتِنَا^(٨)

(١) م : « أعطيته » . (٢) هى رواية ك .

(٣) فى ظ من كلام أبى العلاء : و « الجامل » اسم للجمع كالباقر .

(٤) ظ : ويروى « من عطائك » وقال : تركه على أن يرجع إليه فأبطأ فكتب إليه هذا .

(٥) ظ : وروى « لولا هواك لكنت » و « لولا رجاؤك » .

(٦) فى نسخة « برقعيد » و « باعينا » موضعان بالجزيرة .

(٧) ظ : ويروى « والصالحية » - ك : « والمالكية » وفوقها رواية الأصل .

(٨) قال ابن المستوفى : وجدتها بفتح القاف وضمتها ، والفتح فى أكثر النسخ المصححة .

- ٣٤ لَمْ آتِهَامِنْ أَى وَجْهٍ^(١) جِئْتُهَا إِلَّا حَسِبْتُ بِيُوتَهَا أَجْدَاثًا
- ٣٥ بَلَدُ الْفِلَاحَةِ لَوْ أَنَا هَا جَرَوُلُ^(٢) أَغْنَى الْحُطَيْثَةَ لَاغْتَدَى حَرًّا ثَاثًا^(٣)
- ٣٦ تَصْدا بِهَا الْأَفْهَامُ بَعْدَ صِقَالِهَا
- وَتَرْدُ ذُكْرَانَ الْعُقُولِ إِنَاثًا
- ٣٧ أَرْضٌ خَلَعْتُ اللَّهُوَ خَلَعِي خَاتِمِي
- فِيهَا وَطَلَّقْتُ السُّرُورَ ثَلَاثًا

(١) ك : « قطر » وفوقها رواية الأصل .

(٢) قال ابن المستوفى : فى حاشية النسخة المعجمة بخط الفقيه رحمه الله : قلت : طعن بعض الناس عليه فى تخصيصه الحطيثة بهذا المعنى دون الناس ، ونال منه الأمدى لذلك ، ولم ينفوا على غرضه فى ذلك ، وعندى أنه إنما خص الحطيثة لبيت قاله لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو إليه .
والحسرة القدى وأن عشيرتى زرعوا الحروث وأنى لا أزرع .
ولا أرى هذا القول يقوم بعذر أبى تمام . وفى حاشية : لو كان الحطيثة مع لطافته فى الشعر وحذقه لما كان إلا حراثاً لقلة أهل الفضل بها . وهذا نحو قول الفقيه .

وقال يمدح أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي^(١) :

١ صَرَفُ النَّوَى لَيْسَ بِالْمَكِثِ يَنْبِثُ مَا لَيْسَ بِالنَّبِثِ

من سادس البسيط والقافية متواتر .

[ع] « مَكِث » في معنى ماکث ، يُقال : مَكَّثَ فهو مَكِثٌ ، ومَكَّثَ فهو مَكِثٌ . و « يَنْبِثُ » أى يَسْتَخْرِجُ ، يقال نَبَّثْتُ الشَّيْءَ فهو مَنبُوثٌ ونَبِثٌ * . [ص] كأنه قال : صَرَفُ النَّوَى لَيْسَ بِمَبْطُيٍّ يَسْتَخْرِجُ وَجَدًّا وَقَلْبَقًا .

٢ هَبَّتْ لِأَحْبَابِنَا رِيَّاحٌ غَيْرُ سَوَاهٍ وَلَا دُبُوثٍ

يروى « رُبُوث » . (ع) : « سَوَاهٍ » من الشَّيْءِ السَّهْوُ وهو السَّهْلُ . و « رُبُوث » من الرِّبْثِ وهو الإبطاء ، ويجوز أن يكون « رُبُوث » من التَّربِثِ وهو الإبطاء ، والمعنى متقارب . و « دُبُوث » جمع دَبِثَ وهو اللَّيِّنُ . أى هَبَّتْ لَهُمْ رِيَّاحٌ هَذِهِ صِفَتُهَا فَهَجَرُونَا . والرواية الجيدة « رُبُوث » بالراء .

٣ بُدُورٌ لَيْلِ التَّمَامِ حُسْنًا عَيْنٌ حُقُوفٌ ظِبَاءٌ مِثْ

« عَيْن » جمع عَيْنَاءَ وهى العظيمة العينين ، وأصل ذلك فى بقر الرحش ، ثم استعمل فى بنى آدم . و « الحُقُوف » جمع حَقْفٍ ، وهو الدَّعْصُ من الرمل فيه انحناء . و « المِثْ » جمع مِثْنَاءَ ، وهى الأرض السهلة ، ويقال للمَسِيلِ الأعظم فى الوادى : مِثْنَاءُ .

٤ بَيْنَ الْخَلَاخِيلِ وَالْأَسَاوِيرِ وَالْذَّمَالِجِ وَالرُّعُوثِ

يقال : خَلَخَلَ وَخَلَخَلَ ، فإذا ثَبَّتَ الألفُ فى الواحدِ ثَبَّتَتْ الياءُ فى الجمعِ ، وإذا حُدِفَ الألفُ من الواحدِ حُدِفَتْ الياءُ من الجمعِ . و « الأساوير »

(١) جاء على رأس هذه القصيدة فى نسخة ك : لم يروها أبو مالك . وهى لم ترد فى نسخة س .

يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ أُسُورَةٍ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ إِسْوَارٍ لِأَنَّهُمْ قَدْ حَكُوا
سِوَارًا وَإِسْوَارًا ، وَكَذَلِكَ دُمْلُجٌ وَدُمْلُجٌ ، مَنْ قَالَ دُمْلُجٌ قَالَ دَمَالِجٌ ، وَمَنْ
قَالَ دُمْلُجٌ قَالَ دَمَالِجٌ وَ «الرَّعُوثُ» مِثْلُ الرَّعَاثِ وَهِيَ الْقِرَاطَةُ .

٥ مِنْ كُلِّ رُعْبُوبَةٍ تَرَدَّى بِثَوْبٍ فَيَنَانُهَا الْأَثِيثُ
«تَرَدَّى» أَيْ يَكُونُ لَهَا كَالرَّدَاءِ . وَ «الْفَيْثَانُ» الشَّعَرُ الطَّوِيلُ ، وَكَأَنَّهُ
أَخَذَ مِنَ الْفَيْثَنِ وَهُوَ الْغَصَنُ الْمُتَشَعَّبُ ، أَيْ لَهُ غَدَائِرُ كَثِيرَةٌ . وَ «الْأَثِيثُ»
الْكَثِيرُ النَّبْتُ .

٦ كَالرَّشَاءِ الْعَوْهَجِ اطِّبَاهُ رَوْعٌ إِلَى مُغْزِلِ رَغُوثٍ
[ع] «الرَّشَاءُ» وَلَدُ الظَّبْيَةِ ، وَيُقَالُ ظَبْيَةٌ «عَوْهَجٌ» إِذَا كَانَتْ طَوِيلَةً
الْعُنُقُ . وَقَلَّمَا يَسْتَعْمَلُونَهُ فِي صِفَةِ الْمَذَكَّرِ . [ص] وَ «اطِّبَاهُ» دَعَاةُ .
وَ «رَوْعٌ» فَرْعٌ . وَ «الْمُغْزِلُ» الَّتِي مَعَهَا غَزَالٌ . [ع] وَ «رَغُوثٌ» أَيْ
مُرْضِيعَةٌ ، وَهِيَ فِعْعُولٌ فِي مَعْنَى مَفْعُولَةٍ ، يُقَالُ : رَغَشَهَا الْوَلَدُ يَرْغَشُهَا إِذَا
أَلَحَّ عَلَيْهَا فِي الرِّضَاعِ .

٧ رَعَتْ جَنَابِيَّ عُوَيْرِضَاتٍ مِنْ خَزَمَاتٍ وَمِنْ شُثُوثٍ
[ع] «خَزَمَاتٍ» جَمْعُ خَزَمَةٍ وَهِيَ شَجَرَةٌ يُفْتَلُ مِنْ لِحَائِهَا الْحَبَالُ .
وَ «عُوَيْرِضَاتٍ» مَوْضِعٌ . «شُثُوثٍ» جَمْعُ شَثٍّ (١) .

٨ وَلَا حِبِّ مُشْكِلِ النَّوَاحِي مُنْخَرِقِ السَّهْلِ وَالْوُعُوثِ
[مُنْخَرِقٌ] أَيْ وَاسِعُ السَّهْلِ وَالْحَزْنِ ، وَيُقَالُ طَرِيقٌ «لَا حِبِّ» إِذَا
لَحَبَّتْهُ الْإِبِلُ بِأَخْفَافِهَا أَيْ دَاسَتْهُ .

٩ لَمْ تَزُجِرِ الْعَيْسُ فِي قَرَاهُ مُذْ عَصِرِ نُوحٍ وَعَصِرِ شِيثِ
١٠ كَانَ صَوْتُ النَّعَامِ فِيهِ إِذَا دَعَا صَوْتُ مُسْتَغِيثِ

(١) تَكْلَةُ كَلَامِ أَبِي الْعَلَاءِ كَمَا فِي ظ : «وَالشُّثُوثُ» جَمْعُ شَثٍ وَهُوَ النَّبْتُ الَّذِي تَرْعَاهُ الظَّبْيَاءُ .

١١ قَلَّصْتُهُ بِالْقِلَاصِ تَهْوِي بِالْوَحْدِ مِنْ سَيْرِهَا الْحَثِيثِ
 ١١ - [ع] « قَلَّصْتُهُ » مِنْ قَلَّصَ الظِّلَّ إِذَا قَصُرَ ، وَمَنْ قَوْلُهُمْ قَلَّصْتُ
 الْإِزَارَ إِذَا شَمَّرْتَهُ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ طَوَيْتُهُ . وَ « تَهْوِي » تَنْصَبُّ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلِ .
 وَمَنْ رَوَى « سَرَّيْتُهُ بِالْقِلَاصِ تَسْرَى » فَالْمَعْنَى أَنَّ بَعْضَهَا فِي لَأْثَرِ بَعْضٍ ، وَقِيلَ
 إِنَّ أَصْلَ « تَسْرَى » أَنْ تَجِيءَ أَفْرَادًا .

١٢ مِنْ كُلِّ صُلْبِ الْقِرَاءِ مَعُوجٍ وَكُلِّ عَيْرَانَةٍ دَلُوثٍ
 [ع] « مَعُوجٌ » مِنَ الْمَعْنَجِ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَهْلٌ . وَ « الْعَيْرَانَةُ »
 النَّاقَةُ الَّتِي تُشَبِّهُ الْعَيْرَ الْوَحْشِيَّ فِي صَلَابَتِهَا . وَ « دَلُوثٌ » مِثْلُ دِلَاثٍ ، وَهِيَ
 الْحَرِيْثَةُ عَلَى السَّيْرِ ، وَقَلَّمَا يَقُولُونَ فِي صِفَةِ النَّاقَةِ دَلُوثٌ ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ دِلَاثٌ .

١٣ ذِي مَيْعَةٍ مَشْيُهُ الدَّفْقَى وَذَاتِ لَوْثٍ بِهَا مَلُوثٌ
 [ع] « الْمَيْعَةُ » أَوَّلُ النَّشَاطِ * وَيُقَالُ : فَعَلَ ذَلِكَ فِي مَيْعَةٍ شَبَابَهُ أَيْ
 فِي أَوَّلِهِ وَنَشَاطِهِ . وَ « الدَّفْقَى » مِنْ قَوْلِهِمْ : هُوَ يَمْشِي الدَّفْقَى إِذَا مَشَى مَشْيًا
 وَاسِعَ الْخَطِّ كَأَنَّهُ يَسْتَدْفِقُ فِي السَّيْرِ . وَيُقَالُ : نَاقَةُ ذَاتِ لَوْثٍ إِذَا وُصِفَتْ
 بِالْقُوَّةِ . قَالَ الرَّاجِزُ :

وَقَدْ أَقْوَدُ بِالْكَرَامِ الْأَزْوَالَ
 مُشَمَّرًا بِذَاتِ لَوْثٍ شِمْلَالُ

وَ « مَلُوثٌ » مِنْ قَوْلِهِمْ : لُثْتُ الْعِمَامَةَ عَلَى رَأْسِي إِذَا أَدْرَجْتُهَا مِرَارًا . أَيْ
 الْقُوَّةُ قَدْ لَيْثَتْ بِهَذِهِ النَّاقَةِ * وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ فِي الدَّفْقَى :

تَمْشِي الْعُجَيْلَى مِنْ مَخَافَةِ شِدْقَمِ تَمْشِي الدَّفْقَى وَالْحَتِيفَ وَيَضْبِرُ
 ١٤ يَطْلُبُنْ مِنْ عَقْدٍ وَعَدٍ^(١) مُوسَى غَيْرَ سَحِيلٍ وَلَا نَكِيثٍ
 « السَّحِيلُ » ضِدُّ الْمَبْرَمِ . وَ « النَّكِيثُ » الْمُنْكَوْثُ .

١٥ بَنَانُ مُوسَى إِذَا اسْتَهَلَّتْ لِلنَّاسِ نَابَتْ عَنِ الْغِيُوثِ

(١) د : « عهد » هي بين السطور في ك .

١٦ حَيْثُ النَّدَى وَالسَّدى جَمِيعاً وَمَلْجَأُ الْخَائِفِ الْكَرِثِ
١٦ - [الكريث] الذى كثرته الهم أى أثقله .

١٧ حَيْثُ لَبُونُ النَّوَالِ تَهْمِي غَيْرَ شَطُورٍ وَلَا ثَلُوثٍ
[ع] « اللَّبُونُ » ذاتُ اللَّذَن ، وأصله فى النُّوقِ والشَّاءِ . و « الشَّطُور » التى يَبْسُ خِلْفَانِ من أخلافها ، وهو من الشَّطَرِ أى النِّصْفِ (١) ، و « الثَّلُوثُ » التى يَبْسُ ثَلَاثَةُ أَخْلَافٍ من ضَرَعِهَا ، وقيل الثَّلُوثُ التى يَبْسُ لها خِلْفٌ واحدٌ وَبَقِيَتْ ثَلَاثَةٌ .

١٨ وَالْمَجْدُ مِنْ تَالِدٍ قَدِيمٍ ثُمَّ وَمِنْ طَارِفٍ حَدِيثٍ

١٩ إِنْ تَسْتَبِثُهُ تَحْذِرُ عَرَاماً مِنْ مُسْتَبَاثٍ لِمُسْتَبِثٍ

[ع] « تَسْتَبِثُهُ » تَسْتَخْرِجُ ما عنده ، استَبَاثٌ استَخْرَجَ واستَنْبَطَ . و « العَرَامُ » ما يظهر من شدة الرجل فى الحرب والخصومة ونحوها * ويقال للسنين الشَّدَادُ عَوَارِمٌ ، فإذا أدخلوا الهاء فتحوا العين فقالوا عَرَامَةٌ ، هذا المعروف من كلامهم ، وقد حُكِيَ عَرَامَةٌ بضم العين والهاء ، ويقع فى النسخ « غِرَاماً » ، ويكون معناها اللزوم ، من قوله تعالى : « إِنْ عَذَابُهَا كَانَ غَرَاماً » ، والرواية الأولى تفسير أبى العلاء ، ويروى « تستره » .

٢٠ وَحِيَّةٌ أَفْعُوَانٌ لِصَبٍّ يَعْيْثُ فِي مُهْجَةِ الْعِيْثِ (٢)

[ع] جَرَتْ عادةُ الشعراءُ بأن يُشَبِّهُوا الرجلَ الشديدَ بالحيَّةِ . و « اللَّصْبُ » الشَّقُّ فى الجبلِ الضَّيِّقِ * و « يَعْيْثُ » يَفْسِدُ .

(١) زيادة فى ظ من كلام أبى العلاء بعد قوله النصف : « لأن لها أربعة أخلاف » .

(٢) يل هذا البيت بيتان أوردهما ابن المستوفى فى ظ ولم يردا فى سائر النسخ ، وهما فى صفة

الناقة ، قال : وفى نسخة بعده :

تبرز حزان كل أرض علت رباها على الدميث
تغرق آباطها انتجاداً بالوخد فى رملها الوعيث

٢١ تَغْدُو المَنَايَا مُسَخَّرَاتٍ وَقَفَاءً عَلَى سَمِّهِ النَّفِيثِ
« النَّفِيثُ » أى المنفوث ، يقال : نَفَثَ الرجلُ رِيْقَهُ ، والحِيَّةُ سَمَّهُ ،
والجُرْحُ دَمَهُ .

٢٢ وَصَارِمَ الشَّفَرَتَيْنِ عَضْبًا غَيْرَ دَدَانٍ وَلَا أُنَيْثٍ
« الدَّدَانُ » الكَهْمَامُ ^(١) .

٢٣ لَيْثًا وَلَكِنَّهُ حِمَامٌ صَبَّ انتِقَامًا عَلَى اللَّيْثِ
٢٤ أَنْكِدَ بِأَرَى النَّوَالِ مَا لَمْ يَخْلُ مِنَ الْعُشْبِ وَاللَّيْثِ
و « مَا لَمْ يَخْلُ » ، وَيُرْوَى « يَخْلُ » أى يُؤْخَذُ مِنَ الْخَلَايَا وَهِيَ بَيْوتُ
النَّحْلِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : الْعَسَلُ لَا يَكُونُ جَيِّدًا مَا لَمْ يَخْلُ مِنْ أَزَاهِيرِ الْعُشْبِ ،
هَكَذَا عِنْدَهُ . (ع) : « الْأَرَى » الْعَسَلُ ، وَيَقَالُ لِمَاءِ السَّحَابِ أَرَى ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْأَرَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمَنْ الَّذِي يَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ لِأَنَّهُ يُؤْخَذُ
مِنْ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ وَمِنْ فَوْقِ النَّبْتِ فَيَكُونُ فِيهِ أَشْيَاءٌ تَفْتَقِرُ إِلَى تَهْدِيدٍ وَإِزَالَةٍ ،
و « اللَّيْثُ » مَنْ لَثَمَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ إِذَا أَدْرَتْهُ حَوَالِيَهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لَوَثَهُ
بِالطَّيْنِ إِذَا أَصَابَهُ مِنْهُ شَيْءٌ وَمَنْ رَوَى « الْجُثُوثُ » فَإِنَّ الْمَعْنَى يَخْلُصُ لِعَسَلِ
النَّحْلِ ، لِأَنَّ الْجَثَّ مَا يَكُونُ فِي مَوْضِعِ النَّحْلِ مِنَ الشَّمْعِ الَّذِي لَا عَسَلَ فِيهِ
وَمَا يَمُوتُ مِنَ النَّحْلِ وَيَجْتَمِعُ مِنْ أَوْسَاطِهَا . وَعَلَى هَذَا تَكُونُ الرَّوَايَةُ « مَا لَمْ يَخْلُ
مِنَ الْعُشْبِ » ^(٢) وَقَدْ رَوَى :

أَنْكِدَ بِأَرَى النَّوَالِ مَا لَمْ يَخْلُ مِنَ الْمَنْ وَاللَّيْثِ

٢٥ مَا الْجُودُ بِالْجُودِ أَوْ تَرَاهُ لَيْسَ بِنَزْرِ وَلَا لَيْثٍ
أى لَا يَكُونُ جَوْدًا إِلَّا إِذَا لَمْ يَمُطَلْ فِيهِ ، فَإِذَا أُعْطِيَ أُعْطِيَ كَثِيرًا .
و « لَيْثٍ » أى مَبْطُئٍ عَنْكَ .

(١) « الْأُنَيْثُ » الذى حديدته ليس يذكر ، وقيل هو نحو من الكهام .

(٢) وهى رواية الصولى .

٢٦ طَالَ الْمَدَى فَاغْتَرَاكَ عَتَبٌ^(١) مِنْ صَادِقٍ^(٢) الْوُدُّ مُسْتَرِيثٌ

٢٧ خُذْهَا فَمَا نَالَهَا بِنَقْصٍ مَوْتُ جَرِيرٍ وَلَا الْبَعِيثُ

٢٧ - أى ما أذى بها أن لم يحضرها جرير ولا البعيث . [ع] أى ما دمت باقياً فكأن غيرى من الشعراء لم يمت . وذكر البعيث للقافية .

٢٨ وَكُنْ كَرِيماً تَجِدْ كَرِيماً فِي مَدْحِهِ يَا أَبَا الْمَغِيثِ^(٣)

(١) لك بين السطور : « قول » .

(٢) ك : « من عجل الملاح » وهى فى ه ب .

(٣) جاء فى ظ : قال الآمدى : حكى أبو عبد الله محمد بن داود أن أبا تمام أنشد أبا المغيث موسى بن إبراهيم هذه القصيدة وعنده يوسف بن المغيرة القشيري ، وكان شاعراً عالماً أديباً ، فقال لأبي المغيث : قد هجأك أبو تمام بقوله لك « وكن كريماً » وهذا لا يقال للكريم وإنما يقال للثيم . فهجا أبو تمام يوسف بن المغيرة فقال : « أيوسف جئت بالعجب العجيب » الأبيات ، ورض أبي تمام معروف ، وإنما أراد وكن كريماً فى أمرى . ولو قال :

وعجل بمجود تجد عجولا بشكره يا أبا المغيث
كان أحسن وأجمل .

قافية الجيم

وقال على قافية الجيم يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف ويذكر وقعته بالخرمية :

١ فلا شنباً يهوى ولا فلجاً
ولا احوراراً يراعيه ولا دعبجاً
الأول من البسيط والقافية متراكب .

[ع] « الدَّعَج » سواد العين ، وليلة دَعْبَاء مُظْلِمَة . و « الفَلَج » أراد به تَفْلُجَ الأسنان ، وقلما يقولون ثغر أفلج ، وإنما يقولون مُفْلَج . و « الاحورار » من قولهم احورَّت العين إذا صارت حوراء .

٢ كُفِّي فَقَدْ فَرَجَتْ عَنْهُ عَزِيمَتُهُ
ذَلِكَ الْوُلُوعَ وَذَلِكَ الشَّوْقَ فَانْفَرَجَا

وَصَفَ مَا وَصَفَ مِنْ حُسْنٍ مَنِ شَبَّ بِه فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَازِلَتِهِ فَقَالَ : كُفِّي عَنْ مَلَامِكِ وَتَوْبِيخِكَ ، فَقَدْ أَلْهَاهُ عَمَّنْ تَلُمِينَهُ عَزِيمَتُهُ عَلَى السُّلُوكِ عَنْهُ ، وَكَشَفَتْ مَا بِهِ مِنَ الْغَرَامِ وَالْعِشْقِ فَانْفَرَجَ ، أَيْ انْكَشَفَ وَذَهَبَ ^(١) .

٣ كَانَتْ حَوَادِثُ فِي مُوقَانٍ مَا تَرَكَتْ
لِلْخُرْمِيَّةِ لَا رَأْسًا وَلَا ثَبَجًا

تَرَكَ مَا تَتَقَدَّمُ وَأَخَذَ فِي وَصْفِ مَا حَدَّثَ فِي مُوقَانٍ . و « الثَّبَج » الظهر ، وَثَبَجُ كُلِّ شَيْءٍ مُعْظَمُهُ . وإنما يريد أنهم استَوْصَلُوا . [ع] و « الخُرْمِيَّة » الذين

(١) بعد أن أورد ابن المستوفى هذا الشرح منسوباً للخطيب التبريزي قال عقبه : وهذا قول الحارزنجي بلفظه إلا ألفاظاً زادها لا حاجة إليها .

لا يُراعون دينًا ولا يحظرون على أنفسهم شيئًا مما حَظَرَهُ الشَّرْعُ * ويقال : عَيْشٌ خُرْمٌ أى واسع ، ويجوز أن تكون الكلمة غير عربية في الأصل .

٤ تَهَضَّمَتْ كُلُّ قَرَمٍ ^(١) كَانَ مُهْتَضِمًا
وَفَتَّحَتْ كُلُّ بَابٍ كَانَ مُرْتَبَجًا
[مرتبجا] مُنْغَلَقًا ، أُرْتَبِجُ البابَ فارتج .

٥ أَبْلَغُ مُحَمَّدًا الْمُلقَى كَلَاكِلَهُ
بِأَرْضِ خُشٍّ أَمَامَ الْقَوْمِ ^(٢) قَدْ لُبِجًا
[ع] جَمَعَ الكَلَكِلُ ، والتوحيدُ لو أمكن أحسن ، ولكن مثل ذلك يُحْتَمَلُ ، لأنَّ كُلَّ جزءٍ من الكَلَكِلِ يجوز أن يُسَمَّى كَلَكِلًا ، ولا يمتنع أن يُريد بالكلاكل [ها هنا] كلاكِلَ أصحابه ، لأنه إذا أَلْقَى كَلَكِلَهُ فلا بدَّ أن يتشَبَّه به قوم منهم ، ولا يبعد أن يعنى بالكلاكل صَدْرَهُ وَغَيْرَهُ من الثَّقَلِ ، لأنه سائغ أن يقال : أَلْقَتْ عليهم الحربُ كَلَكِلَهَا ، وألقى عليهم الشرَّ كَلَكِلَهُ . وقوله « قَدْ لُبِجًا » من قولهم لُبِجَ بالرجل إذا أَلْقَى نفسه إلى الأرض من تعب أو مرض . وأصحابُ الأخبار يزعمون أن محمد بن يوسف في هذه الحرب أوقد العلوَ في طريقه نارًا وكان طريقًا ضيقًا يريدون أن يَصْدُوهُ بذلك ، وأنه رَمَى بنفسه على النار وَلَبِسَ ثِيَابَ النَّفَّاطِينَ على الحديد .

٦ مَا سَرَّ قَوْمَكَ أَنْ تَبْقَى لَهُمْ أَبَدًا
وَأَنْ غَيْرَكَ كَانَ اسْتَنْزَلَ ^(٣) الكَذَجَا

[ع] يعنى : « الكَذَج » مَوْضِعًا بعينه ، أى استنزل أهل الكَذَج ، وهذا على حَذَفِ المضاف ، وهو شائع في كلامهم كثير . [خ] أى أبلغ

(١) س ، د : « كل قرن » .

(٢) س ، ظ « أمام الموت » وهى بين السطور فى ك .

(٣) س : « استفتح » .

محمداً أن قومك على حبهم لك وعزك فيهم لا يسرهم أن تخلد فيهم وأن غيرك كان يتولى هذا الفتح .

٧ لما قرأ الناس ذاك الفتح قلت لهم

وقائع حدثوا عنها ولا حرجاً

[ع] أراد قرأ الناس ، من قراءة الكتاب ، فخفف الهمزة ، ولا يحسن أن يحتمل على غير هذه اللفظة من قرى الضيف ولا من قرأ الشيء إذا تتبعه . وقوله « وقائع » أى هذه وقائع . [خ] حدثوا عنها [أى] فكل ما قلم فيه حق لا حرج عليكم .

٨ أضاء سيفك لما اجتث أصلهم

ما كان من جانبي تلك البلاد دجاً

أى لما قتلتهم وأزلت كفرهم وأثره أنارت البلاد .

٩ من بعد ما غودرت أسد العرين به^(١)

يتبعن قسراً رعاع الفتنة الهمجاً

« العرين » الشجر الملتف ، ويستعار ذلك فيقال عرين الكعبة أى فناؤها ، كأن الحرم لما كان يهاب ويستقى الظلم فيه جعل كعرين الأسد ، وجاء فى الحديث : « يهدفن فى عرين الكعبة رجل عليه رُبْعُ عذاب هذه الأمة » و « الرعاع » من الناس الذين لا خير فيهم ، شُبِّهوا بالرَّعَاع وهو صغار البعوض والذباب ، وكذلك الهمج . أى ترك قواد الكفار وكبراءهم أسرى أو باس المسلمين يتبعونهم .

١٠ لا تعدمن بنونبهان قاطبةً مشاهدالك أمست فى العلى سرجاً

(١) س ، و : « بها » .

١١ إِنْ كَانَ يَأْرَجُ ذِكْرٌ مِنْ بَرَاعَتِهِ

فَإِنَّ ذِكْرَكَ فِي الْآفَاقِ قَدْ أَرَجَا

١٢ وَيَوْمَ أَرَشَقَ وَالْأَمَالُ مُرْشَقَةٌ

إِلَيْكَ لَا تَتَبَغَّى عَنْكَ مُنْعَرَجًا

١٢ - «أرشق» موضع . و «مرشقة» من قولهم أرشقت المرأة والظبية إذا أدامت النظر ومدت عنقها^(١) . «ومنعرج» منعطف .

١٣ أَرْضَعْتَهُمْ خِلْفَ مَكْرُوهِ فَطُمْتَ بِهِ

مَنْ كَانَ بِالْحَرْبِ مِنْهُمْ قَبْلَهُ^(٢) لَهْجًا

استعار «الخلف» للمكروه وشفع ذلك باستعارة الفطام ، وأخذ لهج من لهج الفصيل إذا أغرى بالرضاع ، وأصل اللهج الولوع بالشئ ، يقال فصيل لهج ولاهج . أى فطمت بهذا الخلف عن الحرب من كان منهم لهجاً بها .

١٤ لِلَّهِ أَيَّامُكَ اللَّاتِي أَغْرَتْ بِهَا

ضَفَرُ الْهَدَى وَقَدِيمًا كَانَ قَدْ مَرَجَا

استعار «الإغارة» من أغرت الحبل إذا أحكمت فتله ، و «الضفر» فتل ليس يسبلُغ في القوة المغار ، ويسمى الحبل المصفور ضفراً ، سَمَوَهُ بالمصدر . و «مرج» الدين إذا اضطرب .

١٥ كَانَتْ عَلَى الدِّينِ كَالسَّاعَاتِ مِنْ قِصَرٍ

وَعَدَّهَا بِأَبْلَكٍ مِنْ طُولِهَا حِجَجًا

أى كانت هذه الأيام على الدين قصيرة كالساعات لما نال المسلمون من

(١) قال ابن المستوفى : «مرشقة» هنا من قولهم أرشق إذا أحد النظر ، ولم يوجد في الرمي «أرشق» بالآلف . (٢) ط : «قلبه» .

الظَفَر بالكُفَّار ، وكانت على بابك كالسنين لما نظم من القتل .

١٦ أَصْبَحْتَ تَدْلِفُ بِالْأَرْضِ الْفَضَاءَ لَهُ

نَضْبًا وَأَصْبَحَ فِي شِعْبِيهِ قَدْ لَحِجًا

[ع] « تَدْلِفُ » من الدَّلَف وهو المشي الروَيْد . و « نَضْبًا » من قولهم

نَضَبَ لِلشَّيْءِ إِذَا قَصَّدَ قَصْدَهُ ^(١) . و « لَحِجَ » في المكان الضيق إذا نَشَبَ فِيهِ .

١٧ عَادَتْ كِتَابِيهِ لَمَّا قَصَدَتْ ^(٢) لَهَا

ضَحَاضِحًا وَلَقَدْ كَانَتْ تُرَى لُجَجًا

١٨ لَمَّا أَبَوْا حُجَجَ الْقُرْآنِ وَاضِحَةً

كَانَتْ سُيُوفُكَ فِي هَامَاتِهِمْ حُجَجًا

أى لما امتنعوا من الإسلام وقبول القرآن .

١٩ أَقْبَلْتُهُ فَخْمَةً ^(٣) جَأَوَاءَ لَسْتُ ثَرَى

فِي نَظْمِ فُرْسَانِهَا أَمْنًا وَلَا عِوَجًا

« فَخْمَةً » كناية كبيرة ، وأصل الفَخْمَةُ في بني آدم عِظَمُ الْجِسْمِ وَكثرة اللحم ، و « جَأَوَاءَ » كناية بتعلُّوها صَدَأَ الْحَدِيدُ ، يُقَالُ سَجَأَوَاءُ بَيْسَنَةِ الْجُوْزَةِ ،

وهي غُبْرَةٌ إِلَى السَّوَادِ . و « الْأَمْنُ » أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ ارْتِفَاعٌ وَهَبُوطٌ ، وَيُقَالُ لَيْسَ فِي الْحَمْرِ أَمْنٌ أَيْ لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَافٌ أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ ، وَيُقَالُ فِي الْأَرْضِ عِوَجٌ ، وَكَذَلِكَ فِي الدِّينِ ، وَمَا لَا يَرَى مِنَ الْأَشْيَاءِ ، وَفِي الْعَصَا عِوَجٌ بفتح العين ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ الْمُنْتَصِبَاتِ . وَقَوْلُهُ « أَقْبَلْتُهُ » أَيْ اسْتَقْبَلْتُهُ بِهَا ، وَيُقَالُ أَقْبَلْتُهُ هَذَا أَيْ اسْتَقْبَلْتُهُ بِهِ .

(١) قال ابن المستوفى : « وَنَضْبًا » يجوز أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ : نَضَبْتُ الْفُلَانَ نَضْبًا إِذَا عَادِيَتْهُ .

(٢) د : « لَمَّا دَلَفْتُ لَهُ » هِيَ بَيْنَ السُّطُورِ فِي لُكْ .

(٣) م ، د ، ك : « وَأَقْبَلْتُ فَخْمَةً » .

٢٠ إِذَا عَلَا رَهَجٌ جَلَّتْ صَوَارِمُهَا

وَالذُّبْلُ الزُّرْقُ^(١) مِنْهَا ذَلِكَ الرَّهَجَا

٢١ بَيْضٌ وَسُمْرٌ إِذَا مَا غَمْرَةٌ زَخَرَتْ

لِلْمَوْتِ خُضَّتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْمُهْجَا

٢١ - أصل « الغمرة » في الماء الكثير ، ثم استعملت لكل أمرٍ شديد .

و « زَخَرَتْ » ارتفعت .

٢٢ نَزَالَةُ نَفْسٍ مَنْ لَاقَتْ وَلَا سِيَمَا

إِنْ صَادَفَتْ ثُغْرَةً أَوْ صَادَفَتْ وَدَجَا

ويروى « بَزَالَةُ »^(٢) أى نُسِيلُ دَمٍ مَنْ لَاقَتْ . وَعَنَى : « النَّزَالَةُ » السيوف والرماح .

٢٣ رَأَى الْحُمَيْدِينَ أَلْفَحْتَ الْأُمُورَ بِهِ

مَنْ أَلْفَحَ الرَّأْيَ فِي يَوْمٍ الْوَعَى نَتَجَا

[ص] يعنى حميد بن قحطبة وحميداً الطوسي ، وكلتهم طائيتون *

[خ] أى من أحسن التدبير في الحرب نَشَجَ الصواب * واستعار الإلقاح والنتاج للحرب ، وإنما جعله يُسْتَجَّهَ لأنه يغتم غيبها فيكون كمن نَشَجَ الناقة .

٢٤ لَوْ عَايَنَاكَ لَقَالَا بِهِجَةً^(٣) جَذَلَا :

أَبْرَحْتَ أَيْسَرُ مَا فِي الْعِرْقِ أَنْ يَشْجَا

[ع] « البهجة » و « الجَذَلُ » متقاربان ، وهما في معنى الفرح ، جمع

(١) م ، د : « السمر » وهى بين السطور فى ك .

(٢) هذه رواية الخارزنجى كما فى ظ . وفيها : وفى بعض حواشى نسخة قرأها أبو على « مسلوقة »

و « فزاعة » وضرب على « بزاله » .

(٣) د : « فرجة » وهى بين السطور فى ك . - ك : « بهجة وهوى » - وقال الصول : ويروى

« لهجة وهوى » وقال : أى لهجة بك ، وهوى لك .

بينهما اللفظ . و « أَبْرَحْتَ » أى جِئْتَ بِالْبَرْحِ وهو العَجَب ، ويُقال لكل مَنْ جاء بأمر عظيم : قد أَبْرَحْتَ . وقوله « أَيْسَرُ ما فى العِرْق أن يَشِجَا » يحتمل أن يجعله من قول الحُمَيْدَيْنِ لهذا الممدوح : أى أنك قد أَشْبَهْتَا وَزِدْتَا عَلَيْنَا فى النجدة والشجاعة ، ويجوز أن يكون من كلام الطائى ، والأول أشبه . ومعنى قوله : « أَيْسَرُ ما فى العِرْق أن يَشِجَا » أن الإنسان إذا كان له قريب فيه خُلِقَ محمود أو مذموم ، فأيسرُ ما يتأله من ذلك أن يَشِجَ العِرْق أى يتصل ، فيكون فيه شىء مما فى نسيبه ، وقد يجوز أن يَغْلِبَ عليه الشَّبه فيكون مثل ذلك الرجل أو فوقه .

٢٥ أَحَطْتُ بِالْحَزْمِ حَيْرُومًا أَخَا هِمَمٍ
كَشَّافَ طَخْنَاءٍ لَا ضَيْقًا وَلَا حَرَجًا

أى أحاط صدرك بالحزم . و « أَخَا هِمَمٍ » نداء مضاف^(١) . و « الطَخْنَاءُ » اللبلة المظلمة ، وإنما أراد الفتنة .

٢٦ فَالثَغْرُ وَالسَّاكِنُوهُ لَا يَوُودُهُمْ
مَا عِشْتَ فِيهِمْ أَطَارَ الدَّهْرُ أَمْ دَرَجًا

٢٧ سَمَّوْا حُسَامَكَ وَالْهَيْجَاءَ مُضْرَمَةً
كَرَبَ الْعُدَاةِ وَسَمَّوْا رَأْيَكَ الْفَرَجَا

٢٧ - « سَمَّوْا » أى ساكنوا الثغر .

(١) قال ابن المستوفى: الصحيح أن « أَخَاهُمْ » صفة لحيزوم ، وقول أبى زكريا « أى أحاط صدرك بالحزم » ضد ما ذكره أبو تمام ، وإنما أراد أحاط بالحزم الصدر ، أى أحذقه به .

(٢) لم يرد هذا البيت فى أصول التبريزى التى بين يدى ، وجاء فى نسخة ل من شرح الصولى ، وكذلك هو فى س ، د ، ظ ، والغالب أنه سقط من نسخ التبريزى ، بدليل قوله فى شرح البيت له « أى ساكنوا الثغر » .

٢٨ إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَصْرٍ فَعَنْ قَدَرٍ
تَنْجُوا الرُّجَالُ^(١) وَلَكِنْ سَلُهُ كَيْفَ نَجَا
« أبو نصر » قيل هو بابك ، وقيل من أصحابه ، أى نجا مسلوباً .

٢٩ قَدْ حَلَّ فِي صَخْرَةٍ صَمَاءُ^(٢) مُعْنِقَةٍ
فَانْحِتْ بِرَأْيِكَ فِي أَوْعَارِهَا دَرَجَا

[ع] « مُعْنِقَةٍ » مرفعة ، وأصل ذلك فى طول العُنُق . « وانحيت » بكسر
الحاء أفصح من فتحها ، وقد حُكِيَ الفتح ، وقرأ الحسن البصرى رحمه الله
« وَتَنْحِتُونَ »^(٣) . أى اجعل برأيك المصيب إليها سبيلاً .

٣٠ وَغَادِهِ بِسُيُوفٍ طَالَمَا شَهَرَتْ
فَأَخْلَفَتْ مُتَرَفًّا مَا كَانَ قَبْلُ رَجَا

أى اغد عليه . أى أخلفت السيف ما كان يرجوه من قبل . و « المُتَرَفِّ »
المنعم . ويروى « وعادة »^(٤) بسيف . [ص] أى يستعينون مما يخافون بهذه
السيف ، والمرزوق يردّ هذه الرواية .

٣١ وَشَرْبٍ مُضْمَرَاتٍ طَالَمَا خَرَقَتْ
مِنْ الْقَتَامِ الَّذِى كَانَ الْوَغَا نَمَجَا

(١) فى ظ : ويروى « ينجو العدو » ، وفيها : وفى نسخة « ينجى الرجال » . وهى بين السطور
فى ك .

(٢) م ، ل : « شماء » وروها ظ — وفى ك « تهاء » .

(٣) الآية : « وتنتحون من الجبال بيوتاً فارحين » الآية ١٤٩ من سورة الشعراء .

(٤) هى رواية الصولى . وقال : قال لى أبو مالك : قوله « وعادة بسيف » إلى آخر القصيدة
شئ لا أعرفه ، ولعله زاده بعدى .

٣٢ وَيُؤْسِفِينَ يَوْمَ الرَّوْعِ^(١) تَحْسِبُهُمْ

هُوجًا وَمَا عَرَفُوا أَفْنَا وَلَا هُوجًا

٣٢ - [ع] «ويؤسفين» يعنى قَوْمًا من رَهْط هذا الرجل ، وهو محمد بن يوسف . و «الهوجُ» فى ابن آدم أن يركب رأسه فى الأمور بغير أناة ولا روية * ، ويستعمل ذلك فى صفات الإبل والريح . يقول : لشدة انشغالهم على الحرب وبدأهم إليها تظنهم هُوجًا ، وذلك يُستحب فى الشجعان فى تلك الحال ، ثم بين أن ذلك لقوة قلوبهم وشدة حرصهم على الحرب ، لا لاضطراب خلقت ولا قلة عقل .

٣٣ مِنْ كُلِّ قَرْمٍ يَرَى الْإِقْدَامَ مَادُبَةً^(٢)

إِذَا لَحَدًا مُعْلِمًا بِالسَّيْفِ أَوْ وَسَجًا

[ع] «يرى الإقدام مَادُبَةً» يحتمل أن يكون من المَادِبَةِ التى هى تأديب ، أى يرى إقدامه من الأدب الذى ينبغى أن يُستعمل ، ويجوز أن يكون من المَادِبَةِ إلى الطعام فهو يَسِيرُ عليه ، و «الوَخْدُ» و «الْوَسْجُ» ضَرْبان من السير ، وأكثر ما يُستعملان فى الإبل والنعام ، وقد يستعاران لغيرهما .

٣٤ تَنْعَى مُحَمَّدًا الشَّاوى^(٣) رِمَاحَهُمْ

وَيَسْفَحُونَ عَلَيْهِ عَبْرَةً نَشَجًا

(أبو عبد الله) : ظاهر البيت أن رِمَاح هؤلاء اليوسفيين تُخبر بموت محمد ، وهو رجل منهم قُتل فأدركوا بثأره^(٤) . ومعناه أن رِمَاحهم أدرك بها ثأره فانصبَّت

(١) م : «ويوسفين حميديين» بإسقاط ياء النسبة فى «يوسفين» ، وقال فى ظ أنها رواية الخارزنجى .

(٢) فى أصول التبريزى «مكرمة» ولكن شرح البيت يدل على أن الرواية «مادبة» . وجاء فى ظ : وفى نسخة أبى على مسكويه «مأربة» بالراء . وروى فى ظ : «مكرمة» وقال : والرواية «مادبة» .

(٣) فى ظ : قال الصولى : ويروى «الملقى» .

(٤) وقال الصولى : يريد أن أصحاب أبى سعيد أخذوا بثأر محمد بن حميد ، لأن أبى سعيد ومحمداً من طى فهم أهل .

عليها الدماء وسُمع منها الصَّريْفُ ، فصار ذلك الصَّريْفُ منها بمنزلة البكاء على الميت والعويل عليه والإخبار بموته [ص] و « النشيج » أن يهْمُ بالبكاء ولا يبكي فيردّد له صوت (١) .

٣٥ قد كان يَعْلَمُ إِذْ لاقَى الحِمَامَ ضَحَى

لا طالباً وَزَرّاً مِنْهُ ولا وَحَجّاً

(ع) « وَزَرّاً مِنْهُ ولا وَلَجّاً » و « الْوَلَجُ » الموضع الذي يُتَوَلَّجُ فيه أى يُدْخَلُ [ص] و « الْوَحَجُ » الملجأ وهو الْوَجَحُ قَقْلِبَ * . و « طالِباً » حال من المضمر في « يعلم » .

٣٦ أَنْ سَوْفَ تُهْدَى إِلَى أَثَارِهِ بِهِمَا

يُمْنِي الرَّدَى مُسْرِيّاً فِيهَا وَمُدْلِجاً

[ع] « الْأَثَارُ » جمع ثَار . والمعنى أن هذا المقتول قد علم أنك ستُهدى إلى القوم الذين قتلوه جيشاً يطلب ثأره (٢) . ويجوز أن يكون « تُهدى » من الهدية ، و « تُهدى » بفتح التاء من هديتُ القوم إذا تقدّمتمهم ، وإذا كان من الهدية فهو من باب قولهم عتابه الضرب وتحيته السيف ، أى قد أقام هذه الكتيبة مقام الهدية وإن كانت تأتيمهم بشر ، كما قال عمرو بن معدى كرب .

وخيل قد دَلَقَتْ لها بخيل تحيةً بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ

(١) في ظ : قال الخارزنجي : وروى « نشجا » بضم النون والشين ، وقال : هو جمع الناشج وهو الباقي ، وروى « نشجا » بفتحهما . وقال ابن المستوفى : « النشج » واحد الأنشاج وهو مجارى الماء ، فيكون صفة العبرة ، أى عبرة سائلة ، و « نشجا » بضمهما نصب على الحال . وقال : وفي النسخة العجمية « نشجا » جمع نشيج ونشوج وهو البكاء .

(٢) في ظ من كلام أبي العلا : و « البهم » جمع بهيمة وهو الفارس الذي لا يدرى كيف يؤتى له ، كأنه قد أبهم أمره . والمعنى : أن هذا المقتول علم أنك سوف تهدي إلى القوم الذين قتلوه جيشاً يطلب بثأره . ومثله :

فإن يهلك جوين فإن حرباً كظنك كان بمذك موقدوها
كأنك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلق سالبوها

و « الإدلاج » السير من آخر الليل ، و « المُسْرِي » الذى يَسْرِى من أول الليل إلى آخره .

٣٧ لَوْ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا هَذَا لَدَيْهِ إِذَا

ما مات مُسْتَبْشِرًا بِالْمَوْتِ مُبْتَهَجًا

أى لو لم يعلم هذا ما أسلم نفسه إلى الموت مع قُدرته على النجاة .

٣٨ لَوْ أَنَّ فِعْلَكَ أَمْسَى صُورَةً لَثَوَى

بَذَرُ الدُّجَى أَبَدًا مِنْ حُسْنِهَا سَمِجًا

وروى المروزقى : « مِنْ نُورِهَا سَبَّجًا » (١) .

(١) فى ظ : وروى الخارزنجى : « لَوْ أَنَّ فِعْلَكَ أَمْسَى صُورَةً لَثَوَى » .

قافية الجاء

وقال على قافية الجاء يمدح أبا سعيد، ويقال نوح بن عمرو السكسكي الحمصي^(١).

١ قل لِلْأَمِيرِ لَقَدْ قَلَّدَتْنِي نِعَمًا
فَتَ الثَّنَاءَ بِهَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ

٢ يَا مَا نَحَى الْجَاهَ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهِ
شُكْرِيكَ مَا عِشْتُ لِلْأَسْمَاعِ مَمْنُوحُ

٣ لَمْ يُلْبِسِ اللَّهُ نُوحًا فَضْلَ نِعْمَتِهِ
إِلَّا لِمَا بَثَّهُ^(٢) مِنْ شُكْرِهِ نُوحُ

الثاني من البسيط والقافية متواتر .

٣ - [ص] يريد قوله عز وجل: «إنه كان عبدًا شكورًا» . [ع] هذا من الإلجاء الذي تقدم ذكره في حرف الثاء عند قوله «البعيت» لأن القصيدة لو كانت على السين لصلح أن يجعل مكان «نوح» «موسى» ، ولو كانت على الدال لصلح أن يجعل مكانه «هودًا» ، وقد قال أيمن بن خريم بن فاتك القصيدة التي يندم فيها أهل العراق :

أبي الجبنةاء من أهل العراق على الله في الحرب إلا قسوطًا

(١) لم ترد هذه القصيدة في س ، وفي نسختي ب ، ن من التبريزي جاء أنها قيلت في أبي سعيد أو في عمرو بن نوح السكسكي كما أثبتناه ، وفي نسختي م ، ل من الصولي لم يذكر فيهن قبلت ، وفي د جاء : وقال يمدحه - أى الممدوح - بالقصيدة السابقة - وهو أبو سعيد ، وفي ك : وقال يمدح بعض الأمراء .

(٢) د : «بثته» .

وجاء فيها بقوله :

ولو أنَّ لوطًا بنى لكم
لأسلمتم حين تلقونَ لوطًا
فأما قول النابغة :

أتيتك عارياً خلعاً ثيابي على خوف تُظنُّ بي الظنونُ
فألفيتُ الأمانة لم تحتها كذلك كان نوحٌ لا يخونُ
فليس من هذا النحو إذ كان البيت لا يفسد بتغير الاسم .

٤ ذمت ساحتُهُ الدنيا إليه فما

يُمنى ويُصبحُ إلا وهو ممدوحُ

٥ ولِلأُمُورِ إذا الآراءُ ضيقنَ بها

يَوْمَ التَّجَادُلِ^(١) مِنْ آرائِهِ فَبِحُ

٥ - [ع] « فَبِحُ » جمع أَفْبَحَ وفَبَحَ وهو الواسع والواسعة ، يقال :
مكان أَفْبَحَ وأَرْضُ فَبِئْحاء .

٦ لَمْ يُغْلِقِ اللهُ بَابَ العُرْفِ عَنْ أَحَدٍ

بَابُ الأَمِيرِ لَهُ المألوفُ مَفْتُوحُ

٧ لَنْ يَعدَمَ^(٢) المَجْدُ مَنْ كانتْ أوائلُهُ

مِنْ آلِ كَسرى البَهالِيلِ المَرَّاجِيعِ

٧ - [ع] « البهاليل » جمع بُهْلُول ، والرواة يفسرونه الضحاك ،
والاشتقاق يدلُّ على أن البُهْلُول الذى أبْهَلَ وشأنه لا يُعْتَرَضُ عليه ، فيجوز
أن يؤدِّيه ذلك إلى الضحك والفرح ، يُخَذُّ من الناقة الباهل وهي التي لا صِرَارَ
عليها^(٣) .

(١) ل : « والتجادل » . (٢) ل ، ظ : « لم يعدم » .

(٣) في ظ كلام متصل بشرح أبي العلاء هذا كأنه منه في تفسير « المراجيع » ، قال : و « المراجيع »
الثقال في مجالسهم ، يوصفون بالهلم ، لا يكادون يقولون للواحد مرجاح .

٨ مُورِي^(١) الْفُؤَادِ فَلَوْ كَانَتْ بِعِزِّمَتِهِ
تُذَكِّي الْمَصَابِيحُ لَمْ تَخْبُ الْمَصَابِيحُ
٩ كَأَنَّهُ لاجْتِمَاعِ الرُّوحِ فِيهِ لَهُ
مِنْ كُلِّ جَارِحَةٍ فِي جِسْمِهِ رُوحُ

(١) ه ب ، ه ن : « مذكى الفؤاد » .

وقال يمدح إسحق بن إبراهيم ، وهذه قدّمها قبل قصيدته :

• أصغى إلى البين مُفْتَرًّا فلا جَرَمًا •

١ أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُعَلَّى إِذْ أَبْعَضُ الْمُلُوكِ ^(١) غَدَا مَنِحَا

الأول من الوافر والقافية متواتر :

[ع] « الْمُعَلَّى » الْقِدْحُ السَّابِقُ مِنْ قِدَاحِ الْمَيْسِرِ وَهُوَ أَعْظَمُهَا حِفْظًا ،

و « الْمَنِح » لَاحِظٌ لَهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَرَادَهُ الطَّائِيُّ هَا هُنَا ، وَقَدْ يَكُونُ « الْمَنِح »

فِي مَعْنَى الْمُسْتَعَارِ فَيَكُونُ لَهُ حِظٌّ .

٢ أَعِزُّ شِعْرِي الْإِصْبَاحَ مِنْكَ يَرْجِعُ

طَوَالَ الدَّهْرِ بَارِحُهُ سَنِحَا

٣ أَنِلُهُ بِاسْتِمَاعِكُهُ مَحَلًّا يَفُوتُ عُلُوَّهُ الطَّرْفُ الطَّمُوحَا ^(٢)

٤ فَلَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيمًا بِشِعْرِي ^(٣) وَلَكِنِّي مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا

(١) ظ : « بعض الرجال » .

(٢) « الجموحا » وهي بين الطورين كـ .

(٣) ظ ، ك : « لشعري » .

وقال يَمْدَحُ الْفَضْلَ بْنَ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ وَيُكَذِّبُ مَنْ قَالَ
إِنَّهُ قَتَلَ أَخَاهُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ حَتَّى تَنْزَوِجَ بِأَمْرَاتِهِ أَنْتَرَاكَ^(١) :

١ أَهْدِ^(٢) الدُّمُوعَ إِلَى دَارٍ وَمَا صِحْهَا
فَلِلْمَنَازِلِ^(٣) سَهْمٌ فِي سَوَافِحِهَا
الأول من البسيط والقافية متراكب .

[ع] « ما صَحَّهَا » من قولهم مَصَّحَ الشَّيْءَ إِذَا غَابَ فِي الْأَرْضِ^(٤) *
و « سَوَافِحِهَا » جمع سَافِحٍ ، يقال سَفَّحَ الدَّمْعُ فهو سَافِحٌ ، وَسَفَّحَهُ الْبَاكِيُّ
فهو مَسْفُوحٌ ، وكلُّ شَيْءٍ صُبَّ فهو مَسْفُوحٌ كَالدَّمِّ وَالْمَاءِ .

٢ أَشْلَى الزَّمَانُ عَلَيْهَا كُلَّ حَادِثَةٍ
وُفْرَقَةٍ تُظْلِمُ الدُّنْيَا لِنَارِجِهَا

[ع] جاء بـ « الإشلاء » في معنى الإغراء ، وكذلك تستعمله العامة يقولون :
أشليتُ الكلبَ إِذَا أَغْرَيْتَهُ ، ورواة اللغة يقولون أَشْلَيْتُ الشَّاةَ إِذَا دَعَوْتَهَا إِلَى ،

(١) قال الصولي : ولهذا خبر ذكرته في الرسالة (رسالة الصولي إلى مزاحم بن فاتك في أخبار
أبي تمام) وبالرجوع إلى كتاب « أخبار أبي تمام » لم نجد فيه ذكراً لقصة أنتراك هذه ، فالراجع أنها
سقطت من النسخة الوحيدة التي نشرنا منها الكتاب .
وجاء في ك أن أبا مالك كان لا يروى له هذه القصيدة .
(٢) في ظ : ويروى « أهدى » فعلاً ماضياً ، وقال ابن المستوفى : والأول أجود . ولها : ويروى
« أهدى » فعلاً مضارعاً .

(٣) لك بين السطور : « فللمنازل » .

(٤) قال ابن المستوفى في الرد على أبي العلاء : الأجود أن يكون « ما صَحَّهَا » من مصح الثوب أخلق
ودرس ، أو مصح الشيء مصحواً ذهب وانقطع ، قال :

• قد كاد من طول البلى أن يمصحها •

ولم أرهم ذكروا « مصح » إِذَا غَابَ فِي الْأَرْضِ .

وَأَسَدْتُ الْكَلْبَ وَأَوْسَدْتُه إِذَا أَغْرَيْتَهُ ، وَقَدْ جَاءَ « الْإِشْلَاءُ » فِي مَعْنَى الْإِغْرَاءِ
وَيُرْوَى لِبَلَالِ بْنِ جَرِيرٍ :

نَزَلْنَا بِخِلَادٍ فَأَشْلَى كِلَابَهُ عَلَيْنَا فَكَلَدْنَا بَيْنَ بَيْتَيْهِ نُوْكُلُ

وقال آخر :

خَرَجْتُ خُرُوجَ الْقِدْحِ قِدْحِ ابْنِ مُقْبِلٍ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تِلْكَ النَّوَابِجِ وَالْمُشْلَى

٣ حَلَفْتُ حَقًّا لَقَدْ قَلْتُ مَلَاَحَتَهَا

بِمَنْ تُخَرِّمُ عَنْهَا مِنْ مَلَانِحِهَا

٤ إِنْ تَبَرَّحَا وَتَبَارِيحِي عَلَى كَبَدٍ

مَا تَسْتَقِرُّ فِدْمَعِي غَيْرُ بَارِحِهَا

أى إن تفارقاني ولن تساعداني فإن دمعي لا يفارقي .

٥ دَارُ أَجَلِ الْهَوَى عَنْ أَنْ أَلِمَّ بِهَا^(١)

فِي الرُّكْبِ إِلَّا وَعَيْنِي^(٢) مِنْ مَنَايِحِهَا

(١) رَوَاهُ الْآمَدِيُّ : « إِنْ لَمْ أَلَمْ بِهَا » وَعَابَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ فِي فَقْدِهِ : وَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَبَا تَمَامٍ عَلِ
هَذَا نَظْمَ الشَّعْرِ ، وَأَنْ غَلَطًا وَقَعَ عَلَيْهِ فِي نَقْلِ الْبَيْتِ ، حَتَّى رَجَعْتُ إِلَى النُّسخَةِ الْعَتِيقَةِ الَّتِي لَمْ تَقَعْ فِي يَدِ
الصُّوْلِيِّ وَأَخْبَرَاهُ ، فَوُجِدَتِ الْبَيْتُ فِي غَيْرِ نَسْخَةٍ مُثَبَّتًا عَلَى هَذَا الْخَطِّ (الموازنة ص ٨٩) . وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ
الْمُسْتَوْفَى كَلَامَ الْآمَدِيِّ هَذَا وَغَيْرَهُ مِنْ كِتَابِ آخِرٍ لَهُ سَمَاءُ « شَرْحُ مَعَانِي أَبِي تَمَامٍ » قَالَ
الْآمَدِيُّ مِنْهُ : فَقَوْلُهُ « إِنْ لَمْ أَلَمْ بِهَا إِلَّا وَعَيْنِي مِنْ مَنَايِحِهَا » عَكْسُ الْمَعْنَى الَّتِي أَرَادَهُ ، وَكَذَلِكَ لَوْ قَالَ :
« أَجَلُ الْهَوَى أَوْ أَلَمْ بِالْدارِ إِلَّا وَعَيْنِي بِأَكِيَّةٍ » مِثْلُهُ سَوَاءٌ ، فَإِنَّهُ يَجَلُّ الْهَوَى عَنْ أَنْ يَلِمَ بِهَا وَهُوَ يَبْكِي ،
وَهَذَا ضِدُّ مَا أَرَادَهُ . . . إلخ . وَقَالَ الْآمَدِيُّ أَيْضًا : وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ النُّسخِ مُصْلَحًا قَدْ أَصْلَحَ هَذَا الْبَيْتَ
فَجَعَلَهُ « دَارُ أَجَلِ الْهَوَى عَنْ أَنْ أَلَمْ بِهَا » ، فَالرواية ما ذكرته لأنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَوْجُودُ فِي الْأَصُولِ الْعَلِيِّ مِنْ
نَسْخِ شَعْرِهِ بِخَطِّ السُّكْرِيِّ وَغَيْرِهِ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ : وَفِي حَاشِيَةِ كِتَابِهِ هَذَا (كِتَابُ الْآمَدِيِّ) بِخَطِّ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ الْأَرْزَنِيِّ : « الْروايةُ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهَا مُصْلَحَةٌ هِيَ :

دَارُ أَجَلِ الْهَوَى عَنْ أَنْ أَلَمْ بِهَا فِي الرُّكْبِ إِلَّا وَعَيْنِي مِنْ مَنَايِحِهَا

مَعْنَاهَا ظَاهِرٌ مُصَحِّحٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَجَلُ الْهَوَى عَنْ أَنْ أَلَمْ بِالْدارِ إِلَّا وَأَنَا بِأَكٍ ، أَيْ إِذَا أَلَمْتُ بِهَا
بِكَيْتٍ ، وَلَا أَدْرِي مَنْ أَيْنَ زَعَمَ أَنَّ هَذَا ضِدُّ مَا أَرَادَهُ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فُسَادِ تَصَوُّرِهِ .

٦ إذا وصفتُ لِنَفْسِي هَجْرَهَا جَنَحَتْ^(١)

وَدَائِعُ^(٢) الشَّوْقِ فِي أَقْصَى جَوَانِحِهَا^(٣)

٧ وَإِنْ خَطَبْتُ إِلَيْهَا صَبْرَهَا جَعَلَتْ

جِرَاحَةً الْوَجْدِ تَذْمِي فِي جَوَارِحِهَا

٧ - «إليها» بمعنى النفس^(٤)، وقوله «جعلت» . . . «أى سقمت» ،

فكل عضو من أعضائي موهون مجروح يذم منى .

٨ مَا لِلْفِيَاقِ وَلِتِلْكَ الْعَيْسِ قَدْ خُرِمَتْ

فَلَمْ تُظَلِّمْ إِلَيْهَا مِنْ صَحَابِصِهَا^(٥) ؟

(ع) - «العيس» خُفِضَ لِأَنَّ الْمَعْنَى : مَا لِلْفِيَاقِ وَلِتِلْكَ الْعَيْسِ ، ويجوز أن

= وقال ابن المستوفى أيضاً : الذى تكلم عليه الآمدى ورواه إنما هو على ما روى عن هذا البيت :

دار أجل الهوى إن لم ألم بها في الركب إلا وعينى من منائحها

وأما ما ذكر الآمدى أنه رآه في بعض النسخ مصلحاً فقد وجدته في عدة نسخ على ما روى من الإصحاح «عن أن ألم بها» ولم أجده في نسخة على ما رواه الآمدى .

(٢) [من الصفحة السابقة] قال ابن المستوفى : في نسخة بإزاء قوله «إلا وعينى» «إلا ودعنى» ،

وأكثر النسخ «إلا وعينى» .

(١) لك بين السطور : «جمحت» .

(٢) ل : «دوافع الشوق» .

(٣) لم يرد البيت في نسخة د .

(٤) قال ابن المستوفى : في نسخة التبريزي «إليها» يعنى النفس : قال الآمدى : في قوله «وإن

خطبت إليهما صبرها» البيت «وإن خطبت إليهما» أى إلى الدار صبرها أى إلى أن تهدي لى صبراً كصبرها

عن أهلها ، جعلت جراحة الوجد تدمى في جوارحها ، فأضاف الجوارح إلى الجراحة ، وقال في جوارحها

ولم يقل في جوارحى ، لأن جراحة الوجد وإن كان القلب مخصوصاً بها إلا أنه إنما أراد في كل جوارحه

فجعلها كلها دامية ، ويكون «فى» بمعنى «مع» أى مع جوارحها أى جراحة القلب مع سائر الجوارح .

هذا كلام الآمدى الذى أورده ابن المستوفى ، وقال عقبه : أظن الآمدى لتعصبه على أبي تمام كان

يضع في شعره آياتاً مفسودة ليردها عليه ، وهذا البيت الذى ذكره إنما يصح تأويله له إذ لم يرو قبله «إذا

وصفت لنفسي هجرها جنت» البيت ، ولعله لم يروه ، وقد وجدته ملحقاً في غير نسخة ، فأما إذا كان

موجوداً قبل قوله «وإن خطبت إليهما صبرها جعلت» البيت لم يحتج إلى هذا التعسف في تفسيره .

(٥) وفى ظ أيضاً قضية أخرى لهذا البيت فقد رواه الآمدى «ولم تظلم إليهما لى صحابهما» وقال =

يُنصَّب على أن يُجعل « تلك » في موضع نصب على المفعول معه . و « خُزِمَتْ » أى جُعِلَتْ الخِزَامُ في أنوفها . ويجوز أن يُجعل « تلك » في موضع رفع وما بعدها خبر لها ، كأنه قال : وتلك العيس مخزومة . و « الصحاصيح » جمع صَحْصَحَ وهو الأرض الواسعة المستوية . نسخة العبدى :

ما للقيافى رأتها العيسُ قد خُزِمَتْ .

و « قد خُزِمَتْ » حال للعيس ، و « رأت » من رؤية العين . وقوله « لم تظلم » أى لم تشك إليها من صحاصيحها .

٩ فُتِلْ إِذَا ابْتَكَرَ الْغَادَى عَلَى أَمَلٍ^(١)

خَلْقَنَهُ يَزْجُرُ الْحَسْرَى بِرَائِحِهَا^(٢)

« فُتِلْ » أى فُتِلَ المرافق . و « الْحَسْرَى » جمع حَسِير وهو المُنْعِيى من الإبل . [ع] والمعنى : أن هذه الإبل تُسرِع فتُتعب الحادى وتسبقه . والعرب تصف الإبل بذلك ، قال الأخطل :

حَمِيْنُ الْعَرَاقِبِ الْعَصَا فْتَرْكَنَهُ بِه نَفْسٌ عَالٌ مُخَالِطُهُ بُهْرُ^(٣)
يقول : يَبْكُرُ الحادى وهو يُؤْمَلُ أن يَبْلُغَ مرحلةً فتزيد على ظنّه ، فتركه مع الرائح يزجر الحسرى ، وهو يناسب قول الآخر :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا وَرَدُّهُنَّ ضَحَى غَدٍ تَوَاهَقْنَ حَتَّى وَرَدَهُنَّ مَسَاءُ

== « محاصمها » مخفوض بدل من القياى وهو بدل البعض من الكل ، فيقول : ما للقيافى محاصمها . . . ، « ولم تظلم إليها » يعنى إلى محاصم القياى ، وآخر قوله « لى » عن موضعها فقبح نبح البيت وتأليفه ، والمعنى بالصحاصح القياى ، لا تتظلم إليها العيس وقد خزمت لى ، يقول : لأنى أتعجبها بإغذاذى السير وإسراعى وطول دأبى فى طول الصحاصح وبعدها . وتظلمها إلى القياى ما يظهر من جزعها منها إلى ، فهذه لقوتها لم يظهر ذلك فيها . ثم قال الأمدى بعد هذا : كذا لفظ هذا البيت فى النسخ المتق بخط أبى سعيد السكرى وغيره ، ورأيت بعضهم أصلحه .

ما للقيافى وتلك العيس قد خزمت ولم تظلم إليها من محاصمها

أى ولم تتظلم العيس إلى القياى من محاصمها ، والمعنى واحد ، واه أعلم بما قاله الرجل .

(١) : قال المرزوق فى كتابه : وروى بعضهم « على إبل » بالباء ، وقال : ومن روى « على

أمل » فقد صحف .

(٢) ل ، ك : « ببارحها » وقال فى ل : ويروى « برائحها » .

(٣) الديوان ص ١٩٨ .

١٠ تَضَعِي إِلَى الْحَدَوِ إِصْغَاءَ الْقِيَانِ إِلَى
نَعْمَ إِذَا اسْتَغْرَبَتْهُ مِنْ مُطَارِحِهَا

[ع] أى هذه العيس يعجبها الحداء فيشتد سيرها عليه ، وهم يقولون
الحداء غناء الإبل ، قال الراجز :

غَتَّى لَهَا عَبْدٌ يَزِيدَ بِالرَّمْلِ
فَانْبَعَثَ كَأَنَّهَا الرِّيحُ الشَّمْلُ
وَيُرَى « بِالزَّمْلِ » وهو أصح . و « النَّعْمِ » والنَّعْمِ واحد . قال الشيباني :
يَا رَبِّ مِثْلِكَ غَيْرَ فَاحِشَةٍ مَحْبُوبَةٍ الْأَلْفَاظِ وَالنَّعْمِ
و « مُطَارِحُهَا » الذى يُعَلِّمُهَا الْغِنَاءَ وَيُطَارِحُهَا إِيَّاهُ .

١١ حَتَّى تَوُوبَ كَأَنَّ الطَّلَحَ مُعْتَرِضٌ
بِشَوْكِهِ فِي الْمَاقَى مِنْ طَلَائِحِهَا

[ع] « الْمَاقَى » جمع مَاقٍ العين وهو جانبها الذى يلقى الأنف . و « الطَّلَح »
شجر له شوك ، وهم يصفون الإبل إذا أَعْيَتْ بِأَنْ عَيَّرَتْهَا تَدْمَعُ فَكَأَنَّهَا قَدْ
أَصَابَهَا شَوْكُ الطَّلَحِ ، وهذا كما قال الشماخ :
قَدْ وَكَلَّتْ بِالْهُدَى إِنْسَانَ سَاهِمَةً كَأَنَّ إِنْسَانَهَا بِالشَّوْكِ مَسْمُولٌ (١)

١٢ إِلَى الْأَكَارِمِ أَفْعَالًا وَمُنْتَسِبًا
لَمْ يَرْتَعْ الدِّمُّ يَوْمًا فِي طَوَائِحِهَا
ويروى « لَمْ يَرْتَعْ الدِّمُّ فِي أَدْنَى مَسَارِحِهَا » (٢) .

(١) الديوان ص : ٨١ .

(٢) جاءت هذه الرواية في ب ، هـ ن . وفي ظ قال : ويروى « صوالحها » . وفسر « طوائحها »
بنواحيها . وفي د : « يوماً في مسارحها » .

١٣ آسَاسُ مَكَّةَ وَالدُّنْيَا بَعُذَرْتِهَا

لَمْ يَنْزِلِ الشَّيْبُ فِي مَثْنَى ^(١) مَسَائِحِهَا

[ع] يقول : هؤلاء القوم كانوا آساس مكة والدنيا شابة مثل الجارية العذراء التي لم تفتن . و « مسائح الرأس » جانباه ، ويقال للشعر الذي فيهما المسائح ، وقيل إنما سُمي بذلك لأنه يُمسح في الوضوء وغيره .

١٤ قَوْمٌ هُمُ أَمِذُوا قَبْلَ الْحَمَامِ بِهَا

مِنْ بَيْنِ سَاجِعِهَا الْبَاكِي وَنَائِحِهَا

إنما قال « قبل الحمام بها » لأن بها وبتألفها فيها علم الناس أنها مأمن . يقول : فهؤلاء آمنوا بها قبل حصول الحمام بها . [ع] . « والساجع » الذي يأتي بصوته على طريقة واحدة ولذلك سُمي السَّجْعُ من الكلام * . ويجوز « آمنوا قبل الحمام » بمد « آمنوا » وضم « قبيل » على الغاية ونصب « الحمام » لأنه مفعول به ^(٢) .

١٥ كَانُوا الْجِبَالَ لَهَا قَبْلَ الْجِبَالِ وَهُمْ

سَالُوا وَلَمْ يَكُ سَيْلٌ فِي أَبَاطِحِهَا ^(٣)

١٦ وَالْفَضْلُ إِنْ شَمِلَ الْإِظْلَامُ سَاحَتَهَا

مِصْبَاحُهَا الْمُتَجَلَّى مِنْ مِصَابِحِهَا

(١) د : « مثنى في مسائحها » .

(٢) قال ابن المستوفى : وهذا وجدته يروى في بعض نسخ شعره .

(٣) جاء في ظ : قال أبو العلاء : يصفهم بقدم السودة والشرف ، والعرب تمدح بذلك ، وتقدم بالأحدث القريب ، وقوله « سالوا ولم يك سيل » يحتمل أن يكون مراده أن يكونوا فزلوها وسالوا بها ، أى كثروا ، فيكون قريباً من قول الآخر :

ونحن بنو الشيخ الذى سال بوله بكل بلاد لا يبول بها فعل

يعنى كثر ولده فبالوا فى البلاد . ويجوز أن يعنى بقوله « سالوا . . . » أنهم جادوا فكان عطاؤهم كالسيل .

قال ابن المستوفى : لم يرد أبو تمام إلا القول الآخر .

- ١٧ مِنْ خَيْرِهَا مَغْرَساً فِيهَا وَأَوْسَعِهَا
شُعْباً تُحِطُّ إِلَيْهِ عَيْرٌ مَادِحِهَا
١٨ لَا تَفْتُ^(١) تَزْجِي فَتَى الْعَيْسِ سَاهِمَةً
إِلَى فَتَى سِنَّهَا مِنْهَا وَقَارِحِهَا

« فَتَى سِنَّهَا » المملوح ، أى هو حديث السن ، لكن عقله عقل الشيوخ .
ويقع في النسخ « لَا تَفْتُرْنَ تَزْجِي الْعَيْسِ »^(٢) والمرزوقي يردّه ، وقال : الرواية
« لَا تَفْتُ تَزْجِي فَتَى الْعَيْسِ سَاهِمَةً » وفي البيت تجنيس في ثلاثة مواضع و « تَفْتُ »
مُخَفَّفَةٌ مِنْ فَتَى بِفَتْناً .

- ١٩ حَتَّى تُنَاوِلَ تِلْكَ الْقَوْسَ بَارِيَهَا
حَقّاً وَتُلْقَى زِنَاداً عِنْدَ قَادِحِهَا
٢٠ كَأَنَّ صَاعِقَةً فِي جَوْفِ بَارِقَةٍ
زَيْيرُهُ وَاعِلاً فِي أُذُنِ نَابِحِهَا

[ع] جعل علوه مثل الكلب النابح ، وهذا كلام يُسْتَعْمَلُ كَثِيراً فَيُشَبَّهُ
الرَّجُلُ الْخَاسِيسَ بِتَكْلُمِ فِي الشَّرِيفِ بِالْكَلْبِ النَّابِحِ ، قَالَ :
وَهَلْ كَانَ الْحَطِيبَةُ غَيْرَ كَلْبٍ رَمَاهُ اللَّهُ أَنْ نَسَبَحَ النُّجُومَا ؟

- ٢١ سِنَانُ مَوْتٍ ذُعَافٍ مِنْ أَسَنَّتِهَا
صَفِيحَةٌ تُدَحَامَى مِنْ صَفَائِحِهَا

(١) ظ : « لَا يَفْتُ » .

(٢) هي رواية م ، ل ، د ، ك ، وهي رواية أبي العلاء كما جاء في ظ . وفي ظ أيضاً : ويروى
« تَزْجِي فَنَاءَ الْعَيْسِ » كَأَنَّهُ جَمَعَ فَتَى ، وَقَالَ : يُخَاطَبُ نَفْسَهُ .

٢٢ ذُو تَدْرٍ وَإِبَاءٍ فِي الْأُمُورِ وَهَلْ

جَوَاهِرُ الطَّيْرِ إِلَّا فِي جَوَارِحِهَا !

٢٢ - يقال : فلان ذو تَدْرٍ ، إذا كان ذا حِدٍّ يُدْفَعُ به العدو والخَصْم ، وهو مأخوذ من دَرَأْتُهُ أى دفعته ، قال الشاعر :

وَذُو تَدْرٍ مَا اللَّيْثُ فِي أَصْلِ غَابِيهِ بِأَشْجَعِ مِنْهُ عِنْدَ قِرْنٍ يُنَازِلُهُ

٢٣ هَشَمًا لِأَنْفِ الْمَسَامِي حَيْنَهُ فَسَمَا

لِهَاشِمٍ ، فَضَّلَهَا فِيهَا ابْنُ صَالِحِهَا^(١)

أى هَشَمَ اللهُ أَنْفَ مَنْ سَامَى حَيْنَهُ وَهَلَكَ ، وَتَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ بِأَنْ ارْتَفَعَ لِمُبَارَاةِ هَاشِمٍ ، وَفِيهَا وَمِنْهَا فَضْلُ بْنُ صَالِحٍ هَذَا الْمَمْدُوح .

٢٤ يَا حَاسِدَ الْفَضْلِ لَا أَعْرِفُكَ مُحْتَشِدًا

لِغَمْرَةٍ أَنْتَ عِنْدِي غَيْرُ سَابِحِهَا

أى يَا مَنْ يَحْسَدُ هَذَا الرَّجُلَ كَيْفَ مِنْ حَسَدِكَ لِيَأْهُ ، وَلَا تَشْرَعْ فِي بَحْرِ لَا أَرَاكَ سَابِحًا فِيهِ ، بَلْ تُغْرِقُكَ أَمْوَاجُهُ .

(١) يقع هذا البيت في ل بعد البيت ١١ « حتى تؤدب . . . » وروايته فيها :

هَشَمًا لِأَنْفِ الْمَسَامِي هَاشِمًا فَسَمَا هَاشِمَ فَضَّلَهَا الْفَضِيلُ بْنُ صَالِحِهَا

وهو في م بعد البيت ١٢ « إلى الأكارم » . . . وروايته فيها :

هَشَمًا لِأَنْفِ الْمَسَامِي هَاشِمًا أَبَدًا وَقَدْ رَأَى فَضْلَهَا فِيهَا ابْنُ صَالِحِهَا

وفي ظ روى أبو العلاء البيتين مجموعاً أحدهما إلى الآخر :

إذا العِلَّ نَسَبْتُ يَوْمًا إِلَى أَحَدٍ فَأَخْصَصْتُ بِأَفْضَلِهَا الْفَضْلُ بْنُ صَالِحِهَا

هَشَمًا لِأَنْفِ الْمَسَامِي هَاشِمًا أَبَدًا وَقَدْ رَأَى فَضْلَهَا هَذَا ابْنُ صَالِحِهَا

ثم قال : هذان البيتان [لا] ينبغي أن يجمع بينهما في الرواية ، وإنما أحدهما نائب عن الآخر ، ولا يمكن أن يكون الطائي جاء بهما إلا على سبيل الاتساع ، إذ كان أحدهما يغني عن الآخر ، وليس بينهما تباعد ، وكلاهما فيه ذكر « الفضل » و « صالح » ، وليس لهما معنى مختلف فيصرفان إليه . وقال ابن المستوفى : لم أر في عدة نسخ من شعر أبي تمام هذين البيتين مجموعاً أحدهما إلى الآخر ، لكن وجدت في النسخ رواية الأول وإسقاط الثاني ، أو رواية الثاني وإسقاط الأول ، وكيف ينبغي على أبي تمام هذا الإبطاء القبيح مع تقارب البيتين وتكرار ما فيهما من الاسمين ؟ .

٢٥ لِكَوْكَبٍ نَازِحٍ مِنْ كَفِّ لَامِسِهِ

وَصَخْرَةٍ وَسَمَهَا فِي قَرْنٍ نَاطِحِهَا

العرب تجعل المملوح كالصخرة والجبل ، وإنما يريدون عزه وثباته .
و « وَسَمَهَا » أثرها .

٢٦ وَلَا تَقُلْ إِنَّنَا مِنْ نَبْعَةٍ فَلَقَدْ

بَانَتْ نَجَائِبُ إِبْلِ مِنْ نَوَاضِحِهَا

أى لا يحملنك على حسده ومُباراته أنكما من هاشم ، فإن بينكما من
التفاوت ما بين النجائب والنواضح وإن كانت من جنس واحد^(١) .

٢٧ سَمِيدْعُ يَتَغَطَّى مِنْ صَنَائِعِهِ

كَمَا تَغَطَّى رِجَالُ مِنْ فَضَائِحِهَا

أصحاب اللغة يختلفون فى تفسير « السَّمِيدْع » إلا أنه مَدْح لا اختلاف

(١) فى ظ : قال المرزوق : أنكر بعضهم قوله (وأشدد الأبيات الثلاثة : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦)
فقال : أخطأ فى قوله « أنت نجائب إبل من نواضحها » لأنه كأنه قال إن أبانا واحد فالشيم قد يلد الكريم ،
والذى يليق بالمعنى ويصح الفرض به : « بانَتْ نجائب إبل من نواضحها » انتهى كلامه .

قال المرزوق : قد ظلم هذا الإنسان أبا تمام ظلماً مبيهاً ، وصحته فيما رواه وبدل . [فالرواية عند
المرزوق إذن هى « أنت نجائب إبل من نواضحها »] ثم أخذ يحمل عيب نفسه عليه ، والمعنى أن الاشتراك
فى الجنس لا يوجب التساوى ، ألا ترى أن الإبل جنس واحد ثم منها النجائب ومنها نواضح ، وقد بان
بعضها من بعض ؟ ! وأعاد أبو تمام هذا المعنى على وجه آخر فى موضع آخر فقال :

غريبتى العلى على كثرة لنا من فأضحى فى الأقرب بين جنيننا

ومن هنا مرق المتنبنى هذا المعنى فأخرجه فى معارض ، فرة قال :

فإن يكن تغلب الغلباء عنصرها فإن فى الحمر معنى ليس فى العنب

وقال فى أخرى :

فإن تقف الأنعام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

قال ابن المستوفى : راجعت أكثر من خمس نسخ من شعر أبى تمام فلم أجد فى نسخة ما رواه المرزوق
من قوله « فلقد أنت نجائب إبل من نواضحها » ولعل هذه الرواية وقعت إليه كما وقع غيرها من الزيادات
التي تتبعها الأمدى وغيره عليه ، والذي شرحه العلماء هو مطابق لقوله « فلقد بانَتْ نجائب إبل من
نواضحها » .

فيه ، فيقولون : السَّمِينِدَعُ الشَّجَاعُ الكَرِيمُ ، وقال المُسْتَجْعُ بنُ نَبَّهَانَ : هو السيد الموطأ الأكناف ، وهذا مُؤَدٍ بمعنى الحِلْمِ .

٢٨ وَفَارَةُ الْمِسْكِ لَا يُخْفِي تَضَوُّعَهَا

طُولُ الْحِجَابِ وَلَا يُزْرَى بِفَائِحِهَا

٢٩ لِلَّهِ دُرُّكَ فِي الْخَوْدِ الَّتِي طَمَحَتْ

مَا كَانَ أَرْقَاكَ يَا هَذَا لِطَامِحِهَا ١٤

٢٩ - « طَمَحَتْ » أى يبصرها إلى السماء تكبراً . ويقال : طَمَحَتْ فى الشرف أى ارتفعت . أى تزوجت بهذه المرأة التى ما كانت تتواضع للزوج . يقول : فَرَقِيتَ طَامِحَهَا ، أى ما طَمَحَ منها ، فأزلت نخوتها ، وقيل : ما أَشَدَّ ارتقاءك إلى طامحها ومُرتفعيها حتى تزوجت بها ، يعنى جارية كانت لأخى المملوح ومات عنها ، وكان مشغولاً بها ، ولها أخبار كثيرة فى نجابتها وحُسن فِطنتها وأدبها ، قالت بعده ألاّ تتزوج ، فلم يزل بها فضل بن صالح مُتَلَطِّفًا بها حتى أجابته بعد خطوب طالت (١) .

٣٠ نَقِيَّةُ الْجَيْبِ لَا لَيْلٌ بِمُدْخِلِهَا (٢)

فِي بَابِ عَيْبٍ وَلَا صُبْحٌ بِفَاضِحِهَا

٣١ أَخَذَتْهَا لَبْوَةٌ الْعَرِيسِ مُلْبَدَةً

فِي الْغَابِ وَالنَّجْمُ أَدْنَى مِنْ مَنَاكِحِهَا

٣١ - يقال لَبْوَةٌ عَلَى مِثَالِ سَبْعَةٍ ، فهذه اللغة الفصيحة ، ويجوز أن تجعل همزتها واوًا لأنها مفتوحة وقبلها ضمة فتقول : لَبْوَةٌ ، ويجوز أن تُسَكَّنَ

(١) وقال الصول : ويعنى بذلك أن أترك جارية عبيد الله بن صالح بن عبد الملك بن صالح ، وكان أعتقها وتزوج بها ، أبت أن تتزوج بالفضل بن صالح أخى عبيد الله بن صالح لأنه قتل أخاه عبيد الله بن صالح من أجلها .

(٢) د : « بمدخلها » .

بعد ذلك على لغة ربعة فيقال : لَبَنَوَة ، والغامة تستعملها على هذا اللفظ ، فإن
سَكَنْتَ في حال الهمز قلت لبناء ، فإن ثَقُلْتَ حركة الهمزة إلى الباء وحُدِفَتْ
قيل : لَبَنَة* .

٣٢ لَوْ أَنَّ غَيْرَ أَبِي الْأَشْبَالِ صَافِحَهَا

شَكَّتْ بِمَخْلَبِهَا كَفَى مُصَافِحَهَا

٣٣ جَاءَتْ بِصَفْرَيْنِ غَطْرِيفَيْنِ لَوْوُزَنَا

بِهَضْبِ رَضْوَى إِذَا مَالَا بِرَاجِحِهَا^(١)

٣٤ بِهَاشِمِيِّنِ بَذَرِيَّيْنِ إِنْ لَحَجَتْ

مَغَالِقُ الدَّهْرِ كَانَا مِنْ مَفَاتِحِهَا

٣٤ - ويروي : بهاشميين كالبدرين . ويقال : لَحَجَّتِ الأبواب
إِذَا انْعَلَقَتْ .

٣٥ نَصْلَانِ قَدْ أَثْبَتَا فِي قَلْبِ شَانِيَّهَا^(٢)

نَارَيْنِ أَوْقَدَتَا فِي كَشْحِ كَاشِحِهَا

٣٦ وَكَذَّبَ اللَّهُ أَقْوَالَا^(٣) قُرِفَتْ^(٤) بِهَا

بِحُجَّةٍ تُسْرِجُ الدُّنْيَا بِوَاضِحِهَا

٣٦ - قيل في سعاية سَعَى به إلى المعتصم فلم تَشَبَّتْ .

٣٧ مُضِيَّةٌ نَطَقَتْ فِينَا كَمَا نَطَقَتْ

ذَبِيحَةُ الْمُصْطَفَى مُوسَى لِذَابِحِهَا

(١) هي رواية م ، ل ، ك .

(٢) ل : « شَانِيَّهَا » .

(٣) م ، ل ، ك : « أَخْبَارًا » .

(٤) م : « قَذَفَتْ » .

٣٨ لَيْنٌ قَلْبُكَ جَاشَتْ بِالسَّاحَةِ لِي
لَقَدْ وَصَلْتُ بِشُكْرِي حَبْلَ مَاتِحِهَا

٣٩ وَقَدْ رَأَتْنِي قُرَيْشٌ سَاحِبًا رَسْنِي
إِلَيْكَ عَنْ طَلْقِهَا وَجْهًا وَكَالِحِهَا
٣٩ - أَيْ قَصَدْتُكَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَتَرَكْتُ بِخِيَلِهِمْ وَجُودَهُمْ .

٤٠ إِذَا الْقَصَائِدُ كَانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ
فَأَنْتَ ^(١) لَا شَكَّ عِنْدِي مِنْ مَدَائِحِهَا ^(٢)
يقول : كما يفتخر هؤلاء بالقصائد تفتخر بك القصائد .

٤١ وَإِنْ غَرَائِبُهَا أَجْدَبْنَ مِنْ بَلَدٍ
كَانَتْ عَطَايَاكَ أُنْدَى مِنْ ^(٣) مَسَارِحِهَا
ويروى « أَجْرَيْنَ » . و « غَرَائِبُهَا » الَّتِي تَسْتَرْعُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ .

(١) م ، ل ، ك : « يَوْمَا فَأَنْتَ لِعَمْرِي مِنْ مَدَائِحِهَا » .

(٢) فِي ظ : وَيُرْوَى « مِنْ مَدَائِحِهِمْ » وَ « مَدَائِحِهَا » وَقَالَ : قَالُوا : هُوَ أَجُود .

(٣) م ، ل ، ك ، ظ ، ه ب : « مِنْ أُنْدَى مَسَارِحِهَا » .

قافية الدال

وقال يمدح أبا عبد الله أحمد بن أبي دُوَاد^(١) :

١ سَعِدَتْ غَرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادٍ فَهِيَ طَوَّعُ الْإِنْهَامِ وَالْإِنْجَادِ
الأول من الخفيف والقافية متواتر .

« غَرْبَةُ النَّوَى » بُعد النِّية . [خ] أى سعدت النوى بموتة سعادٍ إياها
في وجوهها ، فتصير بها مرة إلى تهامة ومرة إلى نجد .

٢ فَارَقْتَنَا^(٢) وَلِلْمَدَامِيعِ أَنْوَا سَوَارِعِ الْخُدُودِ^(٣) غَوَادِ

٣ كُلَّ يَوْمٍ يَسْفَحْنَ دَمْعًا طَرِيفًا يُمْتَرِي مُزْنُهُ^(٤) بِشَوْقٍ تَلَادٍ^(٥)

٤ وَاقِعًا بِالْخُدُودِ وَالْحَرَّ مِنْهُ وَاقِعُ بِالْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ
(ق) « والبرد منه »^(٦) . يعنى أن الدمع يسيل على الخدود ويرده في القلب
والكبد ، لأنه ينقع الغلّة ويشقى الحرقّة ، كما قال^(٧) :

(١) قال الصول عقب القصيدة السابقة وقبل هذه القصيدة : ولم نجد له مدحاً على قافية الخاء .

(٢) س : « غادرتنا » .

(٣) س : « على النحور » - ك بين السطور : « على الصدور » .

(٤) ك بين السطور : « ودقة » .

(٥) شرحه الصول بقوله : « طريفاً أى مستطرفاً » ، يريد محدثاً في وقته و « يسفحن » يعنى الأنواء .

و « يمتري » يحلب ، (أى) مزناً يحلب بشوق قديم .

(٦) هي رواية س ، ل ، ك .

والرواية التي في أصول التبريزي « والحر منه » غير أن الشاهد الذي أتى به ، وهو بيت ذى الرمة ، وما أورده من كلام المرزوقي واقتصاره على ذلك ، يدل على أن الرواية « والبرد منه » ، وإنما أثبتنا رواية « والحر منه » هنا في الأصل لأن أصول التبريزي كلها أثبتتها في المتن . وفي م من الصول « والحر منه » وفي ل « والبرد منه » .

(٧) البيت لذى الرمة (الديوان ص ٤٩٢) وليس مما أتى به المرزوقي شاهداً ، وإنما هو من كلام

التبريزي كما جاء في ظ . أما المرزوقي فقد استشهد ببيت أبي تمام ، قال : ومثله قوله :

لقد أحسن الدمع الحمامة بعدما أساء الأسى إذ جاور القلب داخله

٥ وَعَلَى الْعَيْسِ خَرْدٌ يَتَبَسَّمُ نَعْنِ الْأَشْنَبِ الشَّتِيتِ الْبُرَادِ^(١)

٦ كَانَ شَوْكُ السَّيَالِ حُسْنًا فَأَمْسَى

دُونَهُ لِلْفِرَاقِ شَوْكُ الْقَتَادِ

٦ - « السَّيَالِ » ضَرْبٌ مِنَ الْعِضَاهِ يُشَبَّهُ بِشَوْكِهِ الثَّغْرِ ، وَ « الْقَتَادِ » مِنْ أَكْثَرِ الْعِضَاهِ شَوْكًا ، يُقَالُ لِلْأَمْرِ إِذَا اسْتُصْعِبَ : دُونَهُ شَوْكُ الْقَتَادِ ، وَدُونَهُ خَرَطُ الْقَتَادِ . [ق] وَ « شَوْكُ الْقَتَادِ » اسْمُ أَمْسَى ، وَ « دُونَهُ » فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ . وَالْمَعْنَى : كَانَ ذَلِكَ الثَّغْرُ نَقِيًّا حَسَنًا فِي عَيْنِ الْحَبِّ كَشَوْكِ السَّيَالِ ، فَلَمَّا وَقَعَ الْفِرَاقُ حَالَ دُونََ هَذَا الْعَاشِقِ وَدُونَهُ شَوْكُ الْقَتَادِ^(٢) .

٧ شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّأْسِ

سِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ^(٣) شَيْبِ الْفُؤَادِ

أَي مَا شَبَّتُ لِلْكِبَرِ ، إِنَّمَا ذَلِكَ لِلْهُمُومِ .

(١) جَاءَ فِي ظ : قَالَ الْحَارِزِيُّ : « الْبَرَادِ » الْبَارِدُ ، وَقَالَ أَيْضًا : الْبَرَادُ جَمْعُ الْبَارِدِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الثَّغْرَ . وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : وَلَمْ يَسْمَعْ أَنَّ الْبَرَادَ جَمْعُ الْبَارِدِ .

(٢) جَعَلَ الصُّوْلَى فِي شَرْحِهِ وَجْهَ الشَّبهِ بَيْنَ السَّيَالِ وَالثَّغْرِ الْبَيَاضِ وَالصَّغْرِ ، إِذْ قَالَ : شَبَّهَ ثَغْرَهَا بِشَوْكِ السَّيَالِ لِصُغْرِهِ وَبَيَاضِهِ ، فَلَمَّا فَارَقَتْهُ صَارَ هَذَا الثَّغْرُ شَوْكُ الْقَتَادِ عَلَيْهِ ، قَالَ الْأَعْشَى :

بَاكَرَتْهَا الْأَعْرَابُ فِي سَنَةِ النَّوْمِ فَتَجَرَّى خِلَالِ شَوْكِ الْقَتَادِ

وَقَالَ الْمَرْزُوقِيُّ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ : وَرَوَى هَذَا الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَوْلَهُ : « كَانَ شَوْكُ السَّيَالِ ... » الْبَيْتِ « بِنَصَبِ شَوْكِ الْقَتَادِ » وَقَالَ فِي تَفْسِيرِهِ ، (وَذَكَرَ مَا ذَكَرَهُ الصُّوْلَى هُنَا) ثُمَّ قَالَ : أَمَّا ذَكَرَهُ الصَّغْرَ فِي تَشْبِيهِهِ الثَّغْرَ بِشَوْكِ الْقَتَادِ فَلَا فَائِدَةَ فِيهِ ، لِأَنَّ الْأَسْنَانَ إِذَا كَانَتْ كَالشَّوْكِ فِي الصَّغْرِ فَإِنَّهَا لَا تَسْتَحْسِنُ ، وَقَدْ كَفَى الْغُرُضُ فِي التَّشْبِيهِ بَبَيَاضِهَا قَوْلَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

مَنَابِتُهُ مِثْلُ السَّدُوسِ وَلَوْنُهُ كَشَوْكِ السَّيَالِ فَهُوَ عَذِبُ يَغِيصُ

وَأَمَّا نَصَبُهُ لـ « شَوْكِ الْقَتَادِ » فَلَيْسَ بِجَيِّدٍ ، وَلَوْ قَصِدَ ذَلِكَ لَكَانَ قَوْلُهُ « دُونَهُ » لَا فَائِدَةَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا الرِّوَايَةُ بَرَفِ « الشَّوْكِ » عَلَى أَنَّ يَكُونُ اسْمُ « أَمْسَى » ، وَ « دُونَهُ » فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ .

(٣) فِي ظ : وَرَوَى الْحَارِزِيُّ : « مِنْ فَرَطِ » .

٨ وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُؤْسٍ

وَنَعِيسٍ طَلَانَعُ الْأَجْسَادِ

[خ] أى كل ما يحدث بالجسم فاعلم أنه قد بدأ بالقلب أولاً .

٩ طَالَ إِنكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عُمُرُ

تُ شَيْئاً^(١) أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ

(المرزوقي) يحتمل هذا وجوهاً : أحدها : ما قال الأعرابي لما استوصف حاله فقال : كنت أنكر الشعرة البيضاء فصرت الآن أنكر الشعرة السوداء ! والثاني : إن عُمُرْتُ شيئاً أسوداً من جلدي ولوني ما كان مبيضاً فأنكرته ، وهذا كما قال العريانُ بن الهيثم لما سأله عبد الملك عن حاله فقال : ابيض مني ما كنت أحب أن يسود ، وأسود مني ما كنت أحب أن يبيض . . . في كلام طويل ، ثم قال :

وَكُنْتُ شَبَابِي أبيضَ اللونِ زاهراً فَصُرْتُ بُعِيدَ الشَّيْبِ أَسْوَدَ حَالِكا

والثالث : إن عُمُرْتُ شيئاً أبيضاً فصرت بالبياض وسكنت إليه حتى أكون منكراً للسواد كإنكارى الساعة للبياض^(٢) .

١٠ نَالَ رَأْسِي مِنْ ثُغْرَةِ الْهَمِّ مَا لَمْ

يَسْتَنْلَهُ مِنْ ثُغْرَةِ الْمَيْلَادِ

(١) في ظ : ويروى : « وإن عمرت حيناً » .

(٢) قال ابن المستوفى : قالوا إنه عيب على أبي تمام قوله « شاب رأسي » البيت ، فزاد في القصيدة « وكذلك القلوب . . . » البيت التالي له ، وأنكر أبو العباس عبد الله بن المعتز هذا البيت على أبي تمام ، وقال : فيا سبحان الله ما أقيح شيب الفؤاد ، وما كان أجراه على الأسماع في هذا وأمثاله ! قال الحسن ابن بشر الأمدى : وليس هذا عندى بمعيب ، لأنه أراد أن الشيب عاجله لكثرة هموم فؤاده ، فلما جعل منشأ الشيب إنما هو من قبل فؤاده نسب الشيب إلى الفؤاد ، وهذه فلسفة حسنة . قال : وإن شئت أن تقول : إنه إنما قابل لفظاً بلفظ ، كما قال الله عز وجل « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ، فالسيئة لا تكون من الله عز وجل ، فسمى جزاء السيئة سيئة ، وقال عز وجل : « ومكروا ومكر الله » والمكر لا يكون من الله ، فسمى جزاء المكر مكرًا ، والمعنى الأول أصح وأثبت وأوضح ، وهذه الأبيات الثلاثة (٧ ، ٨ ، ٩) من فلسفته الحسنة الصحيحة المستقيمة ومن مشهور إحسانه .

ويروى :

نال رأسي من ثغرة الهم هم لم ينلته من ثغرة الميلاد^(١)
(الشيخ)^(٢) : المراد بـ « ثغرة الهم » الثلثة التي فتحتها الله لورود الحوادث
من يوم ولادته إلى أن يتوفى ، فكأنه قال : نالني من الحوادث فشيبني ما لم ينلني
من الشيخ والكبير^(٣) .

١١ زارني^(٤) شخصه بطلعة ضيم عمريت^(٥) مجلسي من العواد
أى أتاني قبل حينه فأسقمى وأبدل من الزوار عواداً^(٦) .

١٢ يا أبا عبد الله أوريته زندا في يدي^(٧) كان دائم الإصلا
يقال : أوري القادح الزند إذا ظهرت ناره ، وصلد الزند وأصلد إذا لم

(١) ورواية في ل :

نال رأسي من ثغرة الهم لما لم ينلته من ثغرة الميلاد

وفي م : « ما لم يشتمله » وفي ك ، د : « من ثغرة الهم داء » .

(٢) « الشيخ » هنا هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ، وتقدمت إليه الإشارة
بالشيخ أبي عبد الله .

(٣) في ظ كلام الشريف المرتضى جاء فيه : أى وجد الشيب فرجة دخل على رأسي منها ، لأن
الهم شيب لا محالة . وأراد بـ « ثغرة الميلاد » الوقت الذي يهجم فيه عليه الشيب من عمره ، لأنه يجد السبيل
في ذلك الوقت إلى الحلول برأسه ، فيجمله ثغرة من هذا الوجه .

(٤) في ظ : روى الخارزنجي : « فأرى شخصه » . (٥) م ، د : « أعمرت » .

(٦) قال ابن المستوفى ، قال الشريف المرتضى : ورأيت الأمدى يظعن على قوله « عمريت مجلسي
من العواد » ، ويقول : لا حقيقة لهذا ولا معنى ، لأننا ما رأينا ولا سمعنا أحداً جاءه عواده يعودونه من
الشيب ، ولا أن أحداً أمرضه الشيب ، ولا عزاء المعزون عن الشباب ، . . . إلخ .

قال الشريف : وهذا من الأمدى قلة فقد للشعر ، ولم يرد أبو تمام بقوله « عمريت مجاشي من العواد »
العبادة الحقيقية التي تغشى العواد فيها مجلس المراضى وذوى الأوجاع ، وإنما هذه استعارة وتشبيه ، وإشارة
إلى الغرض خفية ، فكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارني كثير المتوجعون والمتأسفون على شبابي فكأنهم
في مجلسي عواد لي ، لأن من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع ، وعنى بقوله « عمريت مجلسي من العواد »
كثرة من تفجع له وتوجع من شبيهه ، وهذا من كلام أبي تمام في نهاية البلاغة والحسن ، وما المعيب إلا من
عابه وطقن عليه .

وقال ابن المستوفى عقب هذا : ذكر الشريف رضى الله عنه ذلك في كتابه « درر القلائد » وغرر
الفرائد في جملة أبيات أنشدها في الشيب لجماعة من الشعراء .

(٧) في ظ : روى الخارزنجي : « في قد كان دائم الإصلا » . وقال : ويروى : « في ندى

كان دائم الإصلا » .

يُورِ نَارًا . [ص] يقول : صَدَقْتَ أُمْلَى بَعْدَ أَنْ كَانَ يُكْذِبُهُ غَيْرُكَ .

١٣ أَنْتَ جُبْتَ الظَّلَامَ عَنْ سُبُلِ الْآ
مَالٍ إِذْ ضَلَّ كُلُّ هَادٍ وَحَادٍ

ويروى « حادٍ وهادٍ » . [خ] أى أنت بينت للناس طُرُقَ آمالهم .

١٤ فَكَأَنَّ الْمُغْذَّ فِيهَا مُقِيمٌ وَكَأَنَّ السَّارِيَ عَلَيْهِنَ « الْغَادِ

(المرزوقي) : « الإغذاذ » الإسراع في السير . يصف الآمال ، وأنها كانت كاسفةً قبل هذا الممدوح ، لا تَتَعَلَّقُ بخير ولا تَتَلَحُّقُ طائلاً ، فالمغذَّ فيها مقيم لأنه لم يكن ينفعه إغذاؤه . والساري الذي قد أخذ المهلة وتقدّم في الطلب كان كالغادي إذ لم يُصَبَّ خيراً ولم ينل معروفاً . ويجوز أن يكون المراد أن هذا الممدوح كَشَفَ الظلام عن طُرُقِ الرجاء ، فكأنَّ المغذَّ مُقِيمٌ لا يلحقه تعب لتحقيق رجائه ، وكأنَّ مَنْ يسرى ليلاً يسير نهاراً لا هتدائه ، والدليل على هذا قوله : « أَنْتَ جُبْتَ الظَّلَامَ . . . » البيت :

١٥ وَضِيَاءُ الْآمَالِ (٢) أَفْسَحُ فِي الطَّرِّ

ف وَفِي الْقَلْبِ مِنْ ضِيَاءِ الْبِلَادِ

١٦ كَانَ فِي الْأَجْفَلَى وَفِي النَّقَرَى عُرٌّ

فُكَ نَضَرَ الْعُمُومَ نَضَرَ الْوَحَادِ

« الْأَجْفَلَى » أَنْ يُدْعَى الْقَوْمُ كُلُّهُمْ ، و « النَّقَرَى » أَنْ يَخْتَصَّ بَعْضُهُمْ [ع] و « الْوَحَادِ » كَأَنَّهُ جَمْعٌ وَحِيدٌ ، مِثْلُ كَرِيمٍ وَكَرَامٍ . يقول : كَانَ عَرَفَكَ نَضَرَ فِي الْعُمُومِ وَالْآحَادِ ، وَكَأَنَّهُ قَابِلٌ بِهِذَيْنِ « الْأَجْفَلَى » وَ « النَّقَرَى » ، لِأَنَّ الْعُمُومَ كَالْبَيَانِ الْأَجْفَلَى ، وَالْوَحَادَ بَيَانٌ لِلنَّقَرَى .

(١) س : « عَلَيْهَا كِفَادٌ » .

(٢) س : « وَضِيَاءُ الْأُمُور » .

١٧ ومنَ الحَظِّ في العُلَى خُضْرَةُ المَعْرُ

ف (١) في الجَمْعِ مِنْهُ والإِفرادِ

[ص] مَن ذهب إلى أنَّ الجمعَ في معنى المصدر قال « والإفراد » ، ومَن ذهب إلى أنه في موضع الجماعة قال « والأفراد » * ، وإنما أراد بـ « خضرة المعروف » زكاهه ونماءه ، وأن يصيرَ بِحَيْثُ يُشْمَرُ الشُّكْرَ والأَجَرَ تشبيهاً له بالنبات إذا اخضرَّ ، فيقول : مَن حظَّ المُعْطَى في العُلَى أن يكون إعطاؤه نَصِيرًا خَضِرًا ، واحدًا كان مَن وصل إليه مَعْرُوفُهُ أو جماعةٌ .

١٨ كُنْتُ عَنْ غَرْسِهِ بَعِيدًا فَأَذْنَتْ

نِي إِلَيْهِ يَدَاكَ عِنْدَ الْجِدَادِ

[ع] ضَرَبَ غَرْسُ النخل وجِدَادُهُ مثلاً للعُرْفِ ، و « جِدَادُ النخل » صرامُهُ . يقول : لم أتعِب في هذا المعروف كما يتعب الفارسُ ، وأحضرتني لوقت الجِدَادِ . وهو وقتُ الفائدة .

١٩ سَاعَةٌ لَوْ تَشَاءُ بِالنَّصْفِ فِيهَا

لَمَنْعَتْ (٢) الْبِطَاءَ خَصَلَ الْجِيَادِ

(المرزوقي) : يصفُ نفسه ، وأنه اتصل به حديثاً ولم يتقدّم له به حرمةٌ ، ولا سَلَكْتُ مِنْهُ خدمةً ، ومع ذلك أعطاه ولم يحرمه وألحقه بأولى المواتِ القديمة وأرباب الوسائل ولم يؤخره . فيقول : منحتني في وقت لو منعتني لكان ذلك منك إنصافاً ، إذ كنتُ أَبْطَأْتُ وسَبَقْتُ غَيْرِي ، ويدُلُّ على هذا قوله : « كنتُ عن غَرْسِهِ بَعِيدًا . . . » (البيت) .

٢٠ لَزِمُوا مَرْكَزَ النَّدَى وَذَرَاهُ وَعَدْتْنَا عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ الْعَوَادِي

(١) في ظ : ويروى :

ومن الحظ في العلل فوز سهم المر . في الجمع منه والإفراد

(٢) س ، د : « لمنحت » .

٢١ غَيْرَ أَنَّ الرَّبِّيَّ إِلَى سَبِيلِ الْأَنْوَا ۖ أَذْنَى وَالْحَظُّ حَظُّ الْوَهَادِ

٢١ - (المرزوقي) : يقول : كانوا إليك أقرب ، ولك ألزم ، وقد خُصِّصْتُ بمَعْرُوفِكَ ، كما أَنَّ الرَّبِّيَّ إِلَى الْمَطَرِ أَقْرَبُ ، وَمَقَرَّةُ الْوَهَادِ .

٢٢ بَعْدَ مَا أَصْلَتِ الْوُشَاةُ سُيُوفًا قَطَعَتْ فِيَّ وَهْيَ غَيْرِ حِدَادِ

وَسَبَبُ هَذَا أَنَّ أَبَا تَمَامٍ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا تَمَامٍ ! أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْيَمَنِ ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو تَمَامٍ : مَا أَحَبُّ أَنْ يُغَيَّرَ الْمَوْضِعُ الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ لِي ، فَمِمَّنْ تُحِبُّ أَنْ أَكُونَ ؟ قَالَ : مِنْ مُضَرٍّ . قَالَ أَبُو تَمَامٍ : إِنَّمَا شَرَفْتُ مُضَرَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَيِسُوا بِمُلُوكِنَا ، وَفِينَا كَذَا وَكَذَا ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ عَابَ بِهَا نَفَرًا مِنْ مُضَرٍّ . وَنَمِىَ الْخَبَرُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ ، وَزَادُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا أَحَبُّ أَنْ يَدْخُلَ عَلَىَّ أَبُو تَمَامٍ ، فَلْيُحْجِبْ عَنِّي ، فَقَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ وَيَمْدَحُهُ . وَقِيلَ طَالَ غَضَبُ ابْنِ أَبِي دُوَادٍ عَلَيْهِ ، فَمَا رَضِيَ عَنْهُ حَتَّى شَفَعَ فِيهِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِيُّ ، فَقَالَ قَصِيدَةُ يَمْدَحُ فِيهَا ابْنَ أَبِي دُوَادٍ ، وَذَكَرَ شَفَاعَةَ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ إِلَيْهِ ، وَأَغْمَضَ مَوَاضِعَ مِنْهَا فِي اعْتِذَارِهِ ، وَأَوَّلَهَا .
* أَرَأَيْتَ أَيُّ سَوَافٍ وَخُلُودٍ (١) *

٢٣ مِنْ أَحَادِيثَ حِينَ دَوَّخَتْهَا (٢) بِالرَّأْيِ

يَ كَانَتْ ضَعِيفَةً الْإِسْنَادِ

« دَوَّخَتْهَا » ذَلَّلَتْهَا ، وَكَذَلِكَ دَوَّخْتُ الْبِلَادَ . وَ « الْإِسْنَادُ » مَنْ أَسْنَدْتُ الشَّيْءَ إِلَى الْجَبَلِ وَالْحَائِطِ ، اسْتَعِيرَ ذَلِكَ فِي إِسْنَادِ الْحَدِيثِ ، لِأَنَّهُ يُرَدُّ إِلَى مَنْ رَوَاهُ ، كَمَا يُسْنَدُ الشَّيْءُ إِلَى مَا يُمَسِّكُهُ .

(١) القصة في كتاب « أخبار أبي تمام » ص : ١٤٧ .

(٢) في ظ : ويروى « حين زوجتها » وقال : أى لما قرنت الرأى بها . ويروى « بالسمع » .

٢٤ فَنَفَى عَنْكَ زُخْرُفَ الْقَوْلِ سَمْعٌ

لَمْ يَكُنْ فُرْصَةً لِّغَيْرِ السَّدَادِ

« فُرْصَةٌ » مَشْرُوعَةٌ وَمَعْبَرٌ ، أَيْ لَمْ يَكُنْ مَعْبَرًا لِلْكَذِبِ . وَفِي أَصْلِ الْعَبْدِي :
« لَمْ يَكُنْ فُرْصَةً » ^(١) أَيْ نَهْزَةً ، وَالْفُرْصَةُ مَا افْتَرَصَ وَاقْتَطَعَ وَاسْتَلْبَ مِنْ
الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ ، وَالْمِفْرَاصُ حَدِيدَةٌ تُقَطِّعُ بِهَا الْفِصَّةُ . يَقُولُ : سَمِعَكَ لَا يَفْتَرِصُ
وَيُحْصَلُ إِلَّا سَدِيدَ الْقَوْلِ وَكَرِيمَهُ .

٢٥ ضَرَبَ الْحَلْمُ وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ دُونَ عُورِ الْكَلَامِ بِالْأَسْدَادِ

« عَلَيْهِ » أَيْ عَلَى السَّمْعِ ، وَ « الْعُورُ » جَمْعُ عَوْرَاءٍ وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْقَبِيحَةُ .
وَ « الْأَسْدَادُ » جَمْعُ سَدٍّ ، قَالَ الْأَسْوَدُ :

وَمِنَ الْحَوَادِثِ لَا أَبَالُكَ أَنِّي ضُرِبْتُ عَلَى الْأَرْضِ بِالْأَسْدَادِ ^(٢)
يُرِيدُ أَنَّهُ كُفِّ بَصَرُهُ فَلَمْ يَهْتَدِ لِلْمَسِيرِ فِي الْأَرْضِ . وَ « عُورُ الْكَلَامِ » قَبَائِحُهُ ،
وَلِنَّمَا اسْتَعِيرَ ذَلِكَ مِنْ عُورِ الْعَيْنِ لِأَنَّهُ يُسْتَقْبَحُ فِي الْوَجْهِ .

٢٦ وَحَوَانٍ أَبَتْ عَلَيْهَا الْمَعَالِي أَنْ تُسَمَّى مَطِيَّةَ الْأَحْقَادِ

[ع] « حَوَانٍ » أَيْ عَوَاطِفَ مِنْ مَوَدَّاتٍ ، أَخَذَ مِنْ حَسَنَتِ الْأُمِّ عَلَى
الْوَلَدِ ، وَلَوْ قِيلَ إِنَّهُ عَنَى بِ « حَوَانٍ » هَا هُنَا الْأَضْلَاعَ لَمَا بَعُدَ ، وَيُقَوَّى ذَلِكَ
قَوْلُهُ « مَطِيَّةَ الْأَحْقَادِ » لِأَنَّهُمَا تَكُونُ بَيْنَ الضُّلُوعِ ، فَكَأَنَّهَا مَطِيَّةٌ لَهَا ، وَإِنْ
رَوِيَ « مَطِيَّةٌ » فَجَائِزٌ ^(٣) .

٢٧ وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ أَصْخَتْ لَأَقْدَمْتُ لِحْتَفَى ضَغِينَةَ الْحُسَادِ

وَيُرْوَى « لَأَقْلَلْتُ لِحْتَفَى » ^(٤) وَ « أَمْنِيَّةَ الْحُسَادِ » ^(٥) وَ « صَبِيئَةَ الْحُسَادِ » ^(٦)

(١) هِيَ رَوَايَةُ س ، ل ، ك ، د - وَفِي ظ : وَيُرْوَى « لَمْ يَكُنْ نَهْرَةً » وَ « عَرْضَةً » .

(٢) الْمَفْضَلِيَّاتُ ٢ : ١٦ .

(٣) : قَوْلُهُ « وَإِنْ رَوِيَ فُطْنَةُ فَجَائِزٌ » غَيْرُ مُوجُودٍ فِي ش وَأُبَيَّنَاهُ مِنْ ب .

(٤) وَفِي ظ : وَيُرْوَى « لَأَقْرَرْتُ لِحْتَفَى سَخِينَةً » . (٥) هِيَ رَوَايَةُ ظ .

(٦) هِيَ رَوَايَةُ س ، ك ، د . وَهِيَ بَيْنَ السُّطُورِ فِي ب .

« الصبينة » سوق الفاكهة . بخط العبدى : ما أراد بقوله « صبينة الحساد » إلا قول العامة قد جاءت فلاناً صبينته ، ومنه قولهم : صبينة الرأس خير نثار ينشتر على المملوك والحدق ، ومثل هذا مما يذكر في كلام الشعراء من كلام العامة ، قول ابن الرومي : « لكننا تحت العراء » وإنما أراد ما يتعارفه الناس من لعب الشطرنج ، وكان ينبغي أن يقول « الإعراء » لأنه يقال أعريته إذا جعلته عرياً ، وذا تسميح من ابن الرومي . وقال أبو الغلاء : هذا البيت يروى على وجوه ، ولا شك أن بعضها تصحيف ، ومن أجود الروايات « لأقدمت لحنى صبينة الحساد » ، وكذلك هو في كثير من النسخ ، فيكون « أقدمت » من قديم الغائب وأقدمته ، و « صبينة الحساد » أى من بالصين منهم ، أى حسادى كثير قد انتشروا في الأرض ، فلو قبلت هذه الوشاية لتقدم عليك حسادى من الصين يكثر في القول ، ويصوبون ما فعلت . ومن روى « أمنيّة الحساد » فالمعنى مفهوم ، أى قرّبت ما كانوا يستمنون ، وكذلك إذا قيل « أقدمت » يكون من القلوم ، ويروى « لأقرمت لحنى ضبينة الحساد » ، و « أقرمت » جعلتهم مثل القروم من الإبل وكانوا مثل الضبينة من الشاء ، من قولهم : سقاء ضبني إذا كان قد عميل من جلود الضأن ، ويجوز أن تكون مصحفة من « ضبينة الحساد » ينسبون إلى الضب وهو الحقد^(١).

٢٨ حمل العبد كاهل لك أمسى لخطوب^(٢) الزمان بالمرصاد

[ع] « الكاهل » مركب العنق في الظهر ، وهذا مثل استحسنته العرب على ممر الدهور ، وأصله لغير الآدميين ، لأن الأثقال تحملها الإبل وما جرى مجراها ، وقوله « لصروف الزمان بالمرصاد » أى يرصدها فإذا كانت حمل ثقلها .

(١) رواية ل : « ضبينة الحساد » وذكرتها ط وقال في تفسيرها : من الضب وهو الحقد ، فهو كالفضيلة من الفضل ، والرديلة من الرذل .

(٢) ك : « لقطوب الزمان » وقوفها بين السطور رواية الأصل .

٢٩ عَاتِقٌ مُعْتَقٌ^(١) مِنَ الْهُونِ إِلَّا مِنْ مُقَاسَاةٍ مَغْرَمٍ أَوْ نَجَادٍ

[ع] « العاتق » يُذَكَّرُ وَيؤنث ، والأكثر التذكير ، وجمعه عواتق ، و « الهون » الهوان . وقوله « إِلَّا مِنْ مُقَاسَاةٍ مَغْرَمٍ أَوْ نَجَادٍ » يجوز أن يدخل هذا في المستثنى الذي ليس من جنس الأول ، إذ كان حَمَلُ المغارم والنجاد لا يُعَدُّ مِنَ الْهُونِ ، وهو نحو قول الآخر :

فَتَى كَلَّمْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَسَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

٣٠ لِلْحِمَامَاتِ وَالْحِمَائِلِ فِيهِ كُلُّ حُبِّ الْمَوَارِدِ الْأَعْدَادِ

[ع] « الحِمَامَاتِ » جمع حِمَامَةٍ وهو ما لَزِمَ مِنْ غُرْمٍ دِيْنَةٌ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، و « الحِمَائِلِ » جمع حِمَالَةٍ السيف . و « لُحُوبٍ » جمع لَحَبٍ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : طَرِيقَ لَحَبٍ أَيْ وَاضِحٍ ، وَهُوَ فِي مَعْنَى لَا حَبَّ ، أَيْ كَأَنَّهُ قَدْ قُشِرَ لِكثَرَةِ الطَّوْءِ . و « الْمَوَارِدِ » جمع مَوْرَدٍ ، وَهُوَ هَا هُنَا الْمَاءُ الَّذِي يُورَدُ ، جَعَلَهُ مَوْضِعًا لِلْوَرْدِ ، و « الْأَعْدَادِ » جمع عِدَةٍ وَهُوَ الْمَاءُ الْقَدِيمُ الَّذِي لَهُ أَصْلٌ لَا يُخْشَى فَنَائُهُ ، وَهَذَا الْمَعْنَى فِيهِ مِبَالِغَةٌ لِأَنَّ الْحِمَامَاتِ وَالْحِمَائِلِ لَا تَوَثَّرُ فِي الْعَاتِقِ ، وَلِنَّمَ وَصَفَهُ بِمَعَانَاةِ الْحَرْبِ وَحَمَلِ الْمَغَارِمِ فَتَنَاهَى فِي الصِّفَةِ .

٣١ مُلْكُتِكَ الْأَحْسَابُ أَيْ حَيَاءٌ^(٢) وَحَيَا أَرْزَمَةٌ وَحَيَّةٌ وَادٍ !

[ع] المعنى : أَيْ حَيَاءٌ فَيْك ، فَحَذَفَ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى التَّعَجُّبِ . وَأَيْ حَيَا أَرْزَمَةٌ أَنْتَ ! و « الْحَيَا » الْمَطَرُ الْعَامُ ، و « أَرْزَمَةٌ » سَنَةٌ شَدِيدَةٌ . وَأَيْ حَيَّةٌ وَادٍ أَنْتَ ! وَيُسَبِّهُونَ السَّيِّدَ الشَّجَاعَ بِالْحَيَّةِ .

٣٢ لَوْ تَرَاخَتْ يَدَاكَ عَنْهَا فَوَاقَاً أَكَلَتْهَا الْأَيَّامُ أَكَلَ الْجَرَادُ

[ص] « عَنْهَا » أَيْ عَنِ الْأَحْسَابِ . يُقَالُ : لَوْلَاكَ لَذَهَبَتِ الْأَحْسَابُ .

(١) في ظ : روى الخارزنجي : عاتق عاتق من الهون وقال « العاتق » عاتق العتق و « العاتق » الآخر من العتق ، يقول : عاتق خالص من أن يلحقه ذل ، ومصون عن أن يذل أو يهان بجمل شيء ، إلا مغرم يحمله عن أهله ، وسيف يقاتل به الأعداء فيقلعه .

(٢) في أصول التبريزي « أَيْ حَيَاءٌ » وفي سائر الأصول « أَيْ حَيَاةٌ » .

[ع] و « الفواق » ما بين الحسبتين ، بضم الفاء وفتحها .

٣٣ أَنْتَ نَاضَلْتَ دُونَهَا بِعَطَايَا عَائِدَاتٍ^(١) عَلَى الْعُئْمَةِ بَوَادٍ

٣٤ فَإِذَا هُلْهِلَ النَّوَالُ أَتَتْنَا ذَاتَ نَيْرَيْنِ مُطَبَقَاتُ الْإِيَادِي

٣٤ - يقال : هُلْهِلَ النَّسْجُ وَلُهِلَ إِذَا رُقِقَ . [ع] ويقال : ثوب ذو نَيْرَيْنِ إِذَا كَانَ مُحْكَمًا قَوِيًّا ، وَيُسْتَعَارُ ذَلِكَ فِي الْإِبِلِ وَالنَّاسِ ، قَالَ الْهَلَالِي :

عَلَى كُلِّ مَنْسُوجٍ بَيْنَيْرَيْنِ كَلَفَتْ قُوَى نِسْعَتَيْهِ مَحْزَمًا غَيْرَ أَهْضَمَا
وقال آخر :

أَيَا حُبٍّ لَيْلَى عَافِنِي قَدْ قَتَلْتَنِي وَكَيْفَ تُعَافِنِي وَأَنْتَ تَزِيدُ ؟ !

أَرَاكَ عَلَى نَيْرَيْنِ وَالْحُبُّ كُلُّهُ عَلَى وَاحِدٍ يَبْلَى وَأَنْتَ جَدِيدُ

وقال آخر يصف امرأةً وأنها ذات بقية :

ضَبَّاكَ^(٢) عَلَى نَيْرَيْنِ أُمَسْتَ لِدَاتِهَا بَلَيْنَ بِلَى الرِّبَطَاتِ وَهِيَ جَدِيدُ

و « ذات نيرين » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَلَوْ كَانَ فِي غَيْرِ الشَّعْرِ لَاحْتَمَلُ : ذَاتَ

نَيْرَيْنِ ، وَذَوَاتِ نَيْرَيْنِ ، وَهَذَا مِنْ بَابِ قَوْلِهِم : الْمَرْأَةُ قَالَتْ وَالنِّسَاءُ قَالَتْ .

و « مُطَبَقَاتُ الْإِيَادِي » الَّتِي قَدْ أَطْبَقَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَ « الْإِيَادِي » النَّعَمُ .

٣٥ كُلُّ شَيْءٍ غَثٌّ إِذَا عَادَ وَالْـمَعْرُوفُ غَثٌّ مَا كَانَ غَيْرَ مُعَادٍ

أَصْلُ « الْغَثِّ » مِنْ قَوْلِهِمْ لَحْمٌ غَثٌّ إِذَا لَمْ يَكُنْ سَمِينًا ، وَحَدِيثٌ غَثٌّ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ طَلَاوَةٌ ، فَاسْتَعَارَ الْغَثَّائَةَ هَاهُنَا فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ، وَإِنَّمَا الْمَعْرُوفُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي الْحَدِيثِ ، يُقَالُ : أَغَثَّ الْحَدِيثُ إِذَا صَارَ غَثًّا ، وَالْقِيَاسُ لَا يَمْنَعُ أَنْ يُقَالَ غَثٌّ يَغِثُّ .

(١) ظ ، هـ س : « رائحات على العفاة غوادي » وذكرت ظ رواية الأصل .

(٢) الضنك ، بكسر الضاد وتخفيف النون : المكتنزة اللحم .

٣٦ كَادَتِ الْمَكْرُمَاتُ تَنْهَدُلُو لَا أَنَّهَا أُبِدَتْ بِحَيٍّ ^(١) إِيَاد
 ٣٧ عِنْدَهُمْ فُرْجَةٌ ^(٢) اللَّهُيْفُ وَتَصْ دِيقُ ظُنُونٍ ^(٣) الزُّوَارِ ^(٤) وَالرُّوَادِ
 ٣٨ بِأَحَاطِي الْجُدُودِ لَا بِلْ بَوْشْ لِكَ الْجَدْلَا بَلْ بِسُودَدِ الْأَجْدَادِ

٣٨ - [ع] « الأحاطي » جمع حظ على غير قياس ، كأنهم جمعوا حَظًّا على أَحَظَّ ، وجمعوا « أَحُظًّا » على أَحَاطَ ، ثم أبدلوا الياء من الحرف المضعَّف لأنها أخف ، وفروا مع ذلك من جمع بين ساكنين . ولو قيل إنَّ « أَحَاطَ » مأخوذ من الحِظْوَةِ لكان قولاً حسناً ، لأنه يجوز أن يقال حِظْوَةُ وَأَحُظَّ عَلَى الْقِيَّاسِ ، كما قالوا نِعْمَةٌ وَأَنْعَمَ ، ثم تَجْمَعُ « أَحُظَّ » عَلَى أَحَاطَ ، قال :
 وليس الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَقِي وَلَكِنْ أَحَاطَ فَسَمَتْ وَجُدُودُ
 وأضاف « الْأَحَاطِي » إِلَى الْجُدُودِ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ . وهذا يهت فيه نظير ،
 لأن القائل إذا قال جاءني زيد بل عمرو فكأنه قد أَضْرَبَ عَنْ الْأَوَّلِ ، فإذا قال
 « بل يوشك الجِدَّة » فقد تَرَكَ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ ، فإذا قال « بل بسودد الأجداد » فقد
 أَضْرَبَ عَنِ الْمَعْنَى الثَّانِي . ويُحْتَمَلُ أَنْ يَقَالَ أَخْبَرَ عَنْ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَشْيَاءِ
 لِهَوْلَاءِ الْمَدْحِينِ ، كما يقال للرجل إذا كان قد جمع خيلاً كثيرة : هو كريم ،
 بل هو حَسَنُ الْخُلُقِ ، بل هو حَسَنُ الْوَجْهِ ، يُرَادُ أَنَّهُ قَدْ جَمَعَ الثَّلَاثَةَ الْأَشْيَاءَ ،
 وَالْقَوْلُ يُضْمَرُ كَثِيرًا فِي الشَّعْرِ وَالْقُرْآنِ ، فكأنه مُضْمَرٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، أَيْ
 يَقُولُ قَوْمٌ كَذَا وَقَوْمٌ كَذَا ، وَإِنْ لَمْ يُحْمَلْ قَوْلُ الطَّائِي عَلَى هَذَا انْتَقَلَ إِلَى وَصْفِ
 الْقَوْمِ بِأَنَّهُ السُّودُّ لِأَجْدَادِهِمْ ، فَيَكُونُ ضِدُّ قَوْلِ الْآخَرِ :
 إِنَّا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ لَسْنَا عَلَى الْأَحْسَابِ نَشْكَلُ ^(٥)
 نَبِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَسْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

(١) هـ : « بخير إِيَاد » .

(٢) ظ ، هـ ب : « فرجة اللهيف » وذكرنا في رواية الأصل .

(٣) س ، د بين السطور : « وتصدق رجاء » .

(٤) س ، ك : « الرواد والرواد » . - د : « الرواد والوراد » . - هـ ب : « الزوار والوراد » .

(٥) روايته في ب ، ن :

لنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الآباء نتكل

٣٩ وَكَأَنَّ الْأَعْنَاقَ يَوْمَ الْوَعَى أَوْ لَى بِأَسْيَافِهِمْ مِنَ الْأَغْمَادِ
 ٤٠ فَإِذَا ضَلَّ السَّيُوفُ غَدَاةَ الرُّوْعِ كَانَتْ هَوَادِيًا لِلْهَوَادَى^(١)
 ٤٠ - يقول : إِذَا تَحَيَّرَتِ الْأَبْطَالُ ، وَلَمْ تَهْتَدِ سَيُوفُهُمْ لَضَرَائِبِهَا مِنَ
 الْأَقْرَانِ ، كَانَتْ سَيُوفُهُمْ مُهْتَدِيَةً لِلْأَعْنَاقِ وَضَرْبِهَا . وَقَوْلُهُ « هَوَادِيًا » مِنْ قَوْلِهِمْ
 هَدَاهُ الطَّرِيقَ وَهَدَاهُ إِلَيْهِ .

٤١ قَدْ بَشَّشْتُمْ غَرْسَ الْمَوَدَّةِ وَالشَّحْذِ نَاءً فِي قَلْبِ كُلِّ قَارٍ وَبَادٍ
 [ص] يُقَالُ : قَرَى فَهُوَ قَارٍ إِذَا نَزَلَ الْقُرَى ، كَمَا يُقَالُ : مَدَنَ فَهُوَ
 مَادَنَ إِذَا نَزَلَ الْمُدْنَ .

٤٢ أَبْغَضُوا عَزَّكُمْ وَوَدُّوا نَدَاكُمْ
 فَقَرَوْكُمْ مِنْ بَغْضَةٍ وَوَدَادٍ
 ٤٣ لَا عَدَمْتُكُمْ غَرِيبَ مَجْدٍ^(٢) رَبَقْتُمْ^(٣)

فِي عُرَاهُ نَوَافِرَ الْأَضْدَادِ

٤٣ - (المرزوقي) : هَذَا دُعَاءُ لَهُمْ ، وَ « رَبَقْتُمْ » شَدَدْتُمْ . وَيَعْنِي
 بِ « نَوَافِرِ الْأَضْدَادِ » مَا قَالَهُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ « فَقَرَوْكُمْ مِنْ بَغْضَةٍ وَوَدَادٍ » يُرِيدُ
 مَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنَ الْحَسَدِ لَشَرَفِهِمْ وَارْتِفَاعِ مَنَزَلَتِهِمْ ، وَمِنْ الْحُبِّ وَالْوَدِّ لِحُودِهِمْ
 وَإِفْضَالِهِمْ ، وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا عَلَامَةُ السَّيِّدِ فِيكُمْ ؟ فَقَالَ : الَّذِي إِذَا غَابَ
 جَدَّ بَنَاهُ ، وَإِذَا حَضَرَ خَلَمَنَاهُ .

(١) س : « بالهوادي » .

(٢) د : « غريب عز »

(٣) ل : « عبقتم » .

وقال يَسْمُدُحه ويعتذر إليه :

١ سَقَى عَهْدَ الْحَمَى سَبْلُ^(١) الْعَهَادِ
وَرَوْضَ حَاضِرٍ مِنْهُ^(٢) وَبَادِ

الأول من الوافر ، والقافية متواتر .

[ع] « الْعَهْدُ » يجوز أن يعنى به المنزل ، ويجوز أن يعنى به الزمان الذى عهدهم فيه . و « سَبْلُ الْعِهَادِ » مطر من أمطار يحيى بعضها فى إثر بعض ، يقال قد أصابتهم عَهْدَةٌ أى مَطَرَةٌ على أثر أخرى . « وَرَوْضَ حَاضِرٍ » يعنى المكان الذى فيه الحاضر ، وكذلك المكان الذى فيه البَادِى ، سُمِّىَ المكان باسم الناس لأنَّ القوم إذا حضروا الماء قيل لهم حَاضِرٌ ، ولا يمتنع أن يعنى فى هذا البيت الإنسان ، إذ كان يمكن أن يُقال قد رَوْضُوا إذ نَبَتَ لهم الرَوْضُ .

٢ نَزَحْتُ بِهِ رَكْبِي الْعَيْنَ لَمَّا^(٣) رَأَيْتُ الدَّمْعَ^(٤) مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ
٣ فَيَا حُسْنَ الرُّسُومِ وَمَا تَمْشَى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فِي صُورِ الْبِعَادِ^(٥)

٣ - [ع] « وَمَا تَمْشَى » أى لم يَتَمَشَّ . [ق] يقال : ما كان أحسن تلك الرسوم حين كان الدهر لم يَتَمَشَّ إليها فى صُورِ الْبِعَادِ ، أى لم يَتَسَكَّرْ لها كَتَسَكَّرِ الْبِعَادِ . أى كانت وأهلها مجتمعين متواصلين حَسَنَةً ، فلمَّا تَفَرَّقُوا وانتَشَرُوا قَبَّحَتْ .

(١) هـ : ويروى « صوب المهاد » .

(٢) ظ : ويروى « منها » ، وهى رواية جيدة .

(٣) فى سائر الأصول عدا التبريزى « إني رأيت » .

(٤) هـ : « وجدت الدمع » .

(٥) قال الصولي : ويروى « فى صور العناد » والأول أجود . وفى ظ : وروى الآملى « فى صور النقاد » وقال : أى ويا حسن الرسوم ولم يَتَمَشَّ إليها الدهر فى صور النقاد ، أى فى صور الذهاب والفساء .

وفى س بين السطور فوق « صور » « حال » رواية أخرى .

٤ وَإِذْ طَيْرُ الْحَوَادِثِ فِي رُبَاهَا سَوَاكُنُ وَهِيَ غَنَاءُ الْمَرَادِ

[ع] استعار للحوادث طيرا كما استعاره في غير ذلك ، فقالوا فلان واقع الطير إذا كان وادعا ، قال الشاعر :

فَمَا نَقَرْتُ جَنِّي وَلَا فُلَّ مَيْرَدِي وَلَا أَصْبَحْتُ طَيْرِي مِنَ الْخَوْفِ وَقَعًا
وقد عَلِمَ أَن لَيْسَ هُنَاكَ طَيْرٌ ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ أَنِي لَمْ أَذَلَّ كَمَا تَذَلُّ الطَّيْرُ
الوَاقِعَةُ إِمَّا فِي الشَّبَكَةِ ، وَإِمَّا أَن يَكُونَ أَصَابَتْهَا صَاعِقَةٌ فَأَلْقَتْهَا إِلَى الْأَرْضِ ، لِأَنَّ
بَعْضَ الطَّيْرِ إِذَا سَمِعَ رَعْدًا قَاصِفًا وَقَعَ وَضَعُفٌ وَرَبْعًا مَاتَ . و «سواكن»
من السكون لا من السكنى التي هي الإقامة في الموضع ، على أَنَّ الْأَصْلَ وَاحِدٌ .
و «الغَنَاءُ» الْكَثِيرَةُ الْأَهْلُ ، و «المراد» الموضع الذي يُرَادُ فِيهِ ، أَيْ يَذْهَبُ
وَيُجَاءُ فِيهِ .

٥ مَذَاكِى حَلْبَةِ وَشُرُوبِ دَجْنٍ وَسَامِرُ فِتْيَةٍ وَقُدُورُ صَادٍ

[ع] يَقُولُ : كَانَتْ هَذِهِ الدِّيَارُ فِيهَا مَذَاكِى حَلْبَةِ ، وَهِيَ جَمْعُ مُذَكٍّ
مِنَ الْخَيْلِ ، أَيْ الَّذِي قَدْ تَمَّ ذِكَاؤُهُ وَسَنُّهُ . و «الحَلْبَةُ» الْجَمَاعَةُ مِنَ
الْخَيْلِ تَرْسَلُ لِلرَّهَانِ ، و «شُرُوبٌ» جَمْعُ شَرِبَةٍ . و «الدَّجْنُ» الْبَاسُ الْغَيِّمُ
السَّمَاءِ . وَالشُّعْرَاءُ تَذْكُرُ الدَّجْنَ وَالشَّرْبَ فِيهِ ^(١) «وَسَامِرُ فِتْيَةٍ» أَيْ قَبُومٍ
يَسْتَحْدِثُونَ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ، وَيُسَمَّى حَدِيثُهُمُ الْبِسْمَرُ ، وَيُقَالُ لِلْقَوْمِ هُمُ سَامِرَةٌ
وَسُمَارٌ . و «قُدُورُ صَادٍ» أَيْ نُحَاسٌ ، فَأَمَّا الصَّيْدَانِ الَّذِي فِي شَعْرِ
أَنَّى ذُوئَيْبٍ فَهُوَ حَجَارَةٌ تَعْمَلُ مِنْهَا الْقُلُورُ ^(٢) ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ :

وَسُودَ مِنَ الصَّيْدَانِ فِيهَا مَذَاكِى نُصَارُ إِذَا لَمْ نَسْتَغْفِدْهَا نَعَارُهَا ^(٣)

٦ وَأَعْيُنُ رَبِّ رَبِّ كُحِلَتْ بِسُحْرِ
وَأَجْسَادُ تَضَمَّخُ بِالْجَسَادِ

(١) فِي ظَ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْعَلَاءِ شَاهِدٌ لَمْ يَذْكُرْهُ التَّبْرِيزِيُّ هُنَا ، وَهُوَ قَوْلُ طَرَفَةٍ :

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالْدَّجْنِ مَعْجَبٌ بِهِ كُنْزٌ تَحْتَ الطَّرَافِ الْمُدَدِ

(٢) جَاءَ فِي ظَ : قَالَ أَبُو عَمْرٍو : سَأَلْتُ بَعْضَهُمْ عَنِ الصَّيْدَانِ ؟ فَأَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ حِجْرًا كَفِيهِ
شَيْءٌ يَبْرِقُ ، فَقَالَ : هَذَا الصَّيْدَانِ ، وَيُقَالُ هُوَ حَجَرُ الْفَضَّةِ . (٣) دِيْوَانُ الْمَذَلِيِّينَ ١ : ٢٧٠ .

٧ بزهرٍ والحُذاقِ وآلِ بُرْدٍ وَرَتْ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ زِنَادِي
[ع] هؤلاء قَبَائِلُ مِنْ إِيَادَ ، وَحُذَاقَةُ رَهْطُ أَبِي دُوَادَ الشَّاعِرُ ، وَهُوَ حُذَاقَةُ بْنُ زُهْرٍ بْنِ إِيَادَ ، وَقَالَ « الْحُذَاقُ » لِأَنَّهُ بَنَاهُ عَلَى النِّسْبِ ، يُقَالُ رَجُلٌ حُذَاقِيٌّ فَيُسَبِّهُ بِقَوْلِهِمْ رُؤْيَى وَزَنْجِيٌّ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْجَمْعِ الزَّنَجُ وَالرُّومُ ، فَتُحَذَفُ الْيَاءُ ، وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ قَوْلُهُ « الْحُذَاقُ » لِمَا قَالُ فِي الْوَاحِدِ « الْحُذَاقِي » قَالَ الشَّاعِرُ :

وَدَارٍ يَقُولُ لَهَا الْمُدْبِلُو نَ وَيَلُ أُمَّ دَارِ الْحُذَاقِي دَارًا^(١)
وَنَحْوُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ لِلْقَبِيلَةِ تَيْيَمٌ بِنَ عَبِيدِ مَنَاءَ ، ثُمَّ يَقُولُونَ قَالَتِ التَّيْمُ
وَفَعَلَتِ التَّيْمُ ، كَأَنَّهُ جَمَعَ تَيْيَمِيَّ^(٢) . وَبُرْدٌ هَؤُلَاءِ ذَكَرَهُمْ أَمْرِي الْقَيْسُ
فِي قَوْلِهِ :

قَوْمٌ تَفَرَّعَ مِنْ إِيَادٍ بَيْتُهَا بَيْنَ الصَّرِيحِ الْأَكْرَمِينَ وَبُرْدٍ^(٣)

٨ وَإِنْ يَكُ مِنْ بَنِي أَدَدَ جَنَاحِي

فَإِنَّ أَثِيثَ رِيثِي مِنْ إِيَادٍ^(٤)

٩ غَدَوْتُ بِهِمْ أَمَدٌ ذَوِي ظَلَا^(٥) وَأَكْثَرَ مَنْ وَرَأَى مَاءَ وَادٍ
٩ - (ع) كَانَ أَبُو الْفَتْحِ عُمَانُ بْنُ جَنْثِيٍّ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ « أَكْثَرَ » فِي

(١) الْبَيْتُ فِي السَّانِ مَادَّةُ « حَذَقَ » ، وَرَوَاتُهُ فِيهِ : « تَقُولُ لَهَا الرَّائِدُونَ » .

(٢) أَوْرَدَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى قَوْلَ أَبِي الْعَلَاءِ هَذَا وَأَعْقَبَهُ بِقَوْلِهِ : هَذَا الْقَوْلُ الْآخِرُ لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ فِي

شَيْءٍ .

(٣) الْبَيْتُ فِي دِيوَانِ أَمْرِي الْقَيْسِ ، يَشْرَحُ أَبُو سَهْلٍ خَرَابَنْدَاذُ ، وَرَوَاتُهُ فِيهِ :

قَرَمُ تَفَرَّعَ مِنْ إِيَادٍ بَيْتُهَا بَيْنَ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِينَ وَبُرْدٍ

وَشَرَحَهُ فَقَالَ : الْقَرَمُ : الْجَمْلُ الْكَرِيمُ الَّذِي يَتَّخِذُ الْفَحْلَةَ . وَتَفَرَّعُهُ : اِعْتِلَاؤُهُ .

وَالنَّبِيْتُ وَبُرْدٌ : بَطْنَانُ مِنْ إِيَادَ بْنِ نَزَارَ بْنِ مَعَدَ بْنِ عَدْنَانَ .

(٤) جَاءَ فِي ظ : أَوْرَدَهُ الْأَمْدِيُّ وَقَالَ : قَوْلُهُ « وَإِنْ يَكُ مِنْ بَنِي أَدَدَ » . الْبَيْتُ ، فَإِنَّهُ يَرِيدُ

أَدَدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ ، أَيْ إِنْ يَكُ جَنَاحِي فِي هَؤُلَاءِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ رَاشِقُونَ ، يَعْنِي إِيَادَا ، لِأَنَّ إِيَادَا هُوَ إِيَادُ بْنُ مَعَدَ بْنِ عَدْنَانَ ، وَيُقَالُ إِيَادُ بْنُ نَزَارَ بْنِ مَعَدَ بْنِ عَدْنَانَ .

(٥) م : « أَجَلَ ذَوِي قَدْرًا » .

هذا البيت غير مُضَاف إلى « مَنْ » ويجعل موضع « مَنْ » نصيباً بفعل مُضَمَّر ، وإنما قرئ من أن يضيف « أَكْثَر » إلى « مَنْ » لأنَّ موضوع النحويين المتقدمين أن « أَفْعَل » لا يُضَاف إلَّا إلى ما هو بعضه ، كقولك فلان أفضلُ الناس ، وحسنَ ذلك لأنه بعضهم ، ولو قيل العقاب أشدَّ الناس لاستحال ؛ لأنَّ العقابَ ليست من الناس ، ولهذا أحالوا قولَ من يقول : فلان أفضلُ إخوته ؛ لأنه ليس منهم ، وإنما ينبغي أن يُقال فلان أفضلُ بني أبيه ، وهذا قول مُتَقَدِّم ، وقد أجاز المتأخرون فلان أفضلُ إخوته ، أي أفضلُ الإخوة الذين هو منهم ، والإضافة يُتَّسَع فيها جداً ، وإلى قول من أجازَه أذهب ، وأبو الفتح كرهه أن يضيف « أَكْثَر » إلى « مَنْ » لأنَّ الرجل إذا كان في موضع فليس هو مِنَّ وراءه ، إذ كان قد حَصَلَ أمامهم ، فالمعنى الذي أرادَه الطائي إضافة « أَكْثَر » إلى « مَنْ » كأنه قال : وأكثر القوم الذين رَأَى إذا كنتُ فيهم ، ففهم الغرض ، وفيه حدف . وقوله « ذَوَى » أضاف « ذَوَى » إلى المُضَمَّر (وذلك قابل ، فأما النحويون فيذكرون أنه لا يجوز ، وقد قالوا في الشعر ذوين ، قال الكهيت : وما أعنى بذلك أسفلكم ولكن عسيبتُ به الذوينا
يعنى قولهم : ذو جدن وذو يزَن وذو رُعَيْن ، ونحو ذلك . وقد أضافوا « ذوى » إلى الهاء كما قال الشاعر :

صَبَحْنَا الْخَزْرَجِيَّةَ مُرْهَفَاتٍ أَبَادَ ذَوَى أَرْوَمَتِهَا ذُووُهَا^(١) .
ومعنى البيت : أى غدتُ بهم أطولَ أصحابي ونظرائي وأكثرهم مالاً وعِزاً .

١٠ هُمُ عُظْمَى^(٢) الْأَثَانِي مِنْ نِزَارِ

وَأَهْلُ الْهَضْبِ^(٣) مِنْهَا وَالنَّجَادِ

[ع] « الْأَثَانِي » كثيرٌ من البصريين يرونها مُحَقَّقَةٌ في الجمع ، وينشدون قولَ زُهَيْر :

« أَثَانِي سَفْعًا فِي مُعْرَسِ مِرْجَلٍ^(٤) » .

(١) البيت لكعب بن زهير . (انظر تاج العروس في : ذو) والديوان ص ٢١٢ .

(٢) س ، م ، ظ ، ك : « عظم » . (٣) م ، ك : « وأهل الفضل » .

(٤) البيت في الديوان ص ٧ .

أثافي سفعا في معرس مرجل ونؤيا كمحوض الجد لم يتشلم

بشخيف الباء ، و «عُظْمَى الأثافي» هي التي يقال لها ثالثة الأثافي ، أي الداهية التي لا تُطيقُها ، وأصل ذلك أنهم يجيئون بإنقيصين فيجعلونهما إلى أصل جبيل أو قُفَّ ، كذلك فَسَّرَه المتقدمون ، ويجوز أن ينعنوا كَوْنَ الحجر الذي يعتمد عليه القيدُ عظيمًا ، ثم يُتَّهَوْنَ بالحجرين الآخرين ويكونان أصغرَ من الآخر^(١) . وقوله : «أهل الهَضْب منها والنَّجاد» أي يترلون بالأماكن العالية لتعرفَ أماكنهم ويُفَصِّدوا ؛ ويجوز أن يكون ضَرْبُ المثلِّ بالهَضَاب والنَّجاد لأعلى القوم^(٢) .

١١ مُعَرَّسٌ كُلُّ مُعْضَلَةٍ وَخَطْبٍ وَمَنْبِتٌ كُلُّ مَكْرُمَةٍ وَآد

[ص] «المُعَرَّس» الموضع الذي ينزله القومُ ليلًا ليرجعوا فيه .
فيريد أن المعضلات والخطوب يُفْزَع فيها إليهم ، ومنهم تنشأ المكارم .
و «آد» القوة .

١٢ إِذَا حُدَّتِ الْقَبَائِلُ سَاجِلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ بَنُو الدَّهْرِ النَّلَاد

٢٣ تُفَرِّجُ عَنْهُمْ الْغَمَرَاتُ بَيْضُ جِلَادٍ تَحْتَ قَسْطَلَةِ الْجِلَاد
١٣ - [ق] أي تكشفُ التَّوَابِ والشَّدَائِدُ عَنْهُمْ رجالٌ كرامٌ أَجْلَادُ
تَحْتَ غُبَارِ الْحُجَالِدَةِ ، وهي المضاربة .

١٤ وَحَشَوْ حَوَادِثَ الْأَيَّامِ مِنْهُمْ مَعَاقِلُ مُطَرْدٍ^(٣) وَبَنُو طِرَادٍ

[ع] «مُطَرْد» من قولك أطردت الرجل إذا جعلته طريدًا ، و «بنو طِرَاد» أي مُطَارِدَةٌ في الحرب ، وهم إذا فَعَلَ الإنسانُ شَيْئًا وَأَكْثَرَ مِنْهُ جعلوه

(١) قال ابن المستوفى : والقول الشائع هو الأول ، ولهذا يضرب به المثل فيقال : رماه بثالثة الأثافي إذا أرادوا الأمر العظيم والداهية التي لا تعمل كالجليل .

(٢) في ظ : وفي حاشية النسخة العجمية : «أثافي نزار» : مضر وربيعة وإلياد وأماز ، لأنهم أصغرُ وعليهم تفرعت العرب . وفيها أيضاً : و «النجاد» هو من المناجدة ، وقيل من نجاد السيف ، وقيل جمع نجد ، أي هم طلاع أنجد .

(٣) جاء في الصل : وهروى «مطرد» أي موضع يحمله .

ابنائه له ، فيقولون هو ابنُ حرب إذا وصفوه بِشُهودها ، وهو ابنُ أرض إذا كان يَسْرَى فيها * قال الشاعر :

دَعَانِي ابْنُ أَرْضٍ يَتَغَى الزَّادَ بَعْلَمَا تَرَامَتْ حَلِيمَاتُ بِهِ وَأَجَارِدُ^(١)
ومعنى البيت : أنه يَتَوَسَّطُ النَوَائِبَ مِنْهُمْ رِجَالٌ هُمْ مَعَاقِلُ الْمُطَرِّدِينَ وَبَنُو الطَّرَادِ .

١٥ لَهُمْ جَهْلُ السَّبَاعِ إِذَا الْمَنَايَا تَمَشَّتْ فِي الْقَنَا وَحُلُومُ عَادَ جَرَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ يَصْفُوا عَادًا بِالْحَلِمِ ، قَالَ زُهَيْر :

وَإِذَا وَرَزَتْ بَنِي أَبِيهِ بِمَعَشَرٍ فِي الْحَلِمِ قَلَّتْ بَقِيَّةُ مَنْ عَادَ^(٢)

١٦ لَقَدْ أَنَسْتُ مَسَاوِيَّ كُلِّ دَهْرٍ مُحَاسِنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ

١٧ مَتَى تَحُلُّ بِه تَحُلُّ جَنَابًا رَضِيْعًا لِلسَّوَارِي وَالْعَوَادِي^(٣)

١٨ تُرَشِّحُ نِعْمَةَ الْآيَامِ فِيهِ وَتَقْسُمُ فِيهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ

١٨ - أَصْل « التَّرْشِيحُ » تَرْبِيَةُ الْوَحْشِيَّةِ وَلِدَهَا . وَتَعْلِيمُهَا لِنَآه الْمَشْيِ ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

١٩ وَمَا اشْتَبَهَتْ طَرِيقُ الْمَجْدِ إِلَّا هَذَاكَ لِقِبْلَةِ الْمَعْرُوفِ هَادٍ

٢٠ وَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

٢١ مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَقْتُ^(٤) رِكَابِي فِي الْبِلَادِ

(١) البيت للعين المنقري ، كما في تاج العروس ، في « أرض » . والخليات : أنقاء الرمل . وفي الأصل « حَلَامَات » . تحريف .

(٢) البيت غير موجود بديوانه المطبوع بدار الكتب المصرية .

(٣) قال ابن المستوفي في شرحه : جعل فاحيته التي ينزل بها قد أرضعها السوارى والعوادي ، و « السوارى » هي السحب التي تسرى ليلا ، و « العوادي » التي تغدو بكرة ، وإذا كان جنباه رضيعا لهما فعل فطهما .

(٤) هـ س : ويروى « وإن جالت » .

٢٢ مَعَادُ الْبَعَثِ ^(١) مَعْرُوفٌ وَلَكِنْ نَدَى كَفَيْكَ فِي الدُّنْيَا مَعَادَى
 ٢٣ أَتَانِي عَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ تَسْرِي عَقَارِبُهُ بِدَاهِيَةِ نَادٍ
 « عَائِرٌ » مِنْ قَوْلِهِمْ عَارَ الْفَرَسُ يُعِيرُ إِذَا ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ ، أَيْ هَذَا
 النَّبِيُّ قَدْ سَارَ فَيَلْغِي ^(٢) .

٢٤ نَشَأَ ^(٣) خَبَرَ كَأَنَّ الْقَلْبَ أَمْسَى يُجَرِّبُهُ عَلَى شَوْكِ الْقَتَادِ
 ٢٥ كَأَنَّ الشَّمْسَ جَلَّلَهَا كُسُوفٌ أَوْ اسْتَتَرَتْ بِرِجْلِ مَنْ جَرَادٍ
 ٢٦ بِأَنِّي نَلْتُ مِنْ مُضَرٍّ وَخَبْتُ إِلَيْكَ شَكَيْتِي خَبَبَ الْجَوَادِ
 ٢٧ وَمَا رُبْعُ الْقَطِيعَةِ لِي بِرَبْعٍ وَلَا نَادَى الْأَذَى مَنَّى بِنَادٍ
 ٢٨ وَأَيْنَ يَجُورُ عَنْ قَصْدٍ لِسَانِي وَقَلْبِي رَائِحٌ بِرِضَاكَ ^(٤) غَادٍ !
 ٢٩ وَمِمَّا كَانَتْ الْحُكَمَاءُ قَالَتْ لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَلَمِ الْفُؤَادِ
 ٢٩ - [ق] لَأَنَّهُ يَتَرَجَمُ عَنْهُ ، أَيْ عَمَّا فِيهِ ، وَيَسْخَرُ مِنْهُ فِي إِبَانَةِ
 مَا يَكْتُمُهُ وَيَطْوِيهِ .

٣٠ فَقَدْ مَّا كُنْتُ مَغْسُولَ الْأَمَانِي ^(٥)

وَمَادُومَ الْقَوَائِي بِالسَّدَادِ

« مَادُومَ الْقَوَائِي » مِنْ قَوْلِهِمْ أَدَمْتُ الطَّعَامَ إِذَا خَلَطْتَهُ بِالْأَدَمِ . [ص]

(١) س : « طريق العرف » وبهامشها « سبيل المجد » ، وفي ك بين السطور : « معاد العرف » .
 (٢) جاء في ظ : وقالوا « النّاد » الداهية ، ثم وصفوا بها الداهية ، وإذا كان كذلك ففيها زيادة جاز لها أن توصف بها الداهية ، وإلا فإن وصف الشيء بنفسه غير جائز .
 (٣) زشوت الحديث نثوا أي ذكرته ونشرته . (٤) ب بين السطور : « بهواك » .
 (٥) س : « المعاني » ، وهي بين السطور في د ، وهي رواية الخارزنجي كما جاء في ظ . وقال ابن المستوفى : وهي رواية حسنة تطابق قوله ، وقال في تفسير قوله « ومادوم القوائى بالسداد » أي أن معاني أشعاري فيك قديماً لم أخلطها بما يؤذي فيتكون مرة ، ولم أجعل لإدام قوائى غير السداد فابلقك عنى فهي كذب .

يقول : كيف أذكرك وأثلبُ مُضِرَّ وأنا في نعمكم تحلو لي أماني وقواف مخلوطة بالسداد غيرُ جائزة ، فكيف أقول هذا الذي ذكرك عن زورا ؟

٣١ لقد جازيتُ بالإحسانِ سوءاً إذا وصبتُ عُرفك بالسوادِ

٣٢ وسرتُ^(١) أسوقُ غيرَ اللؤمِ حتى أنختُ الكُفْرَ في دارِ الجهادِ

٣٢ - « العيرُ » إبلٌ تُنقلُ عليها الميرةُ ، أي اُمتِرتُ اللؤمَ وحزنتُ .
[ص] يقول : لو فعلتُ هذا لكان ذنبي كذنبِ لئيم من المسلمين المجاهدين دلَّ على ثغور المسلمين ، واحتمال للكفار حتى أخذوها وظفروا بها . وقال المرزوقي : ليس هذا بشيء ، ومن دلَّ على الثغور وسلمها للكفار حتى تسكنوا من المسلمين بها لا يُقنع في صفته بأن يقال هو لئيم ، بل يقال هو كافر مُتَبَرِّأ منه ، ومعنى البيت : إن أقدمتُ على ذكرك وثلبتُ قبيلتك وأصلك فقد سَوَدَتْ وجهَ معروفك ، وامتِرتُ اللؤمَ من أصله ومعدنه ، وسقتُ غيرَه حتى أنختُ كُفْرانَ النعمة في دار مجاهدتها ، واستبدلتُ بواجبِ حفظها مُوجبَ تنضييعها .

٣٣ فكيف عتبتُ يومَ منك فذُّ

أشدُّ على من حَرَبَ الفساد ؟!

[ع] « فذُّ » أي فترَد ، و « أيام الفساد » كانت بين طيبي في الزمن الأول ، فمنهم من أسهلَ وخرج من الجبلين ، فلذلك قال بُرْج بن مُسْهِر :
فإن نترجِعْ إلى الجبلين يوماً نصلح قومنا حتى الممات^(٢)

(١) ق : « وصرت » .

(٢) في ظ من كلام أبي العلاء وقال حاتم :

جارتهم زمن الفساد فلم أذهبهم في العير والهر

وقال الحارثي : هي حرب كانت لإياد على طي . وقال المرزوقي : سميت بذلك لأن هؤلاء عصفوا نعالهم بأذان هؤلاء ، وهؤلاء شربوا الشراب بأقحاف هؤلاء ، وما أصاب أسلافهم كان يشد عليه .

٣٤ وَلَيْسَتْ رُغْوَتِي مِنْ فَوْقِ مَذْقٍ

وَلَا جَمْرِي كَمِينٌ فِي الرَّمَادِ

[ع] هذا مثل ضربه . و « الرُّغْوَةُ » أصلها اللبن ، يقال رَغْوَةٌ ورُغْمًا ،

قال الشاعر :

وَأَكْلُهُمُ الْفَرَاسِينَ وَهِيَ شَعْرٌ وَشُرْبُهُمُ الرِّغْمَا تَحْتَ الظَّلَامِ (١)

يقول : ليس ما يظهر مني عن نفاق ومُخادعة . و « المَذْق » اللبن المزوج بالماء وهو المَذْق . « وَلَا جَمْرِي كَمِينٌ فِي الرَّمَادِ » أي أني سالم الجانب لا يظهر مني غير ما بطن (٢) ، لأن الرَّمَادَ ربما ظن أنه لا نار فيه فوطئ فأحرق قدم الواطئ (٣) ، و « كَمِين » أي مستور .

٣٥ وَكَانَ الشُّكْرُ لِلْكَرْمَاءِ خَصْلًا وَمِيدَانًا كَمِيدَانِ الْجِيَادِ

٣٦ عَلَيْهِ عَقْدَتٌ عَوْذَى (٣) وَلَاحَتْ مَوَاسِمُهُ عَلَى شَيْمَى وَعَادَى (٤)

٣٧ وَغَيْرِي بِأَكْلِ الْمَعْرُوفِ سُحْنًا وَتَشْحُبُّ عَنْدَهُ بَيْضُ الْأَيْدَى

٣٧ - [ع] « السُّحْنُ » ما لا بركة فيه ، ولذلك سَمَوُا الْمُحْرَمَ مِنَ الْمَكَاسِبِ سُحْنًا ، لأنه لا يَشُبُّ خَيْرُهُ وَلَا تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ ، أراد أني أشكر على المعروف فأخذه كما يَجِبُ وهو مُبَارَكٌ لِي فِيهِ ، وَغَيْرِي يَأْخُذُ وَيَنْدُمُ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْهِ . و « تَشْحُبُّ » أي يَتَغَيَّرُ لَوْنُهَا . يقول : بَيْضُ الْأَيْدَى عِنْدِي مُحْفُوظَةٌ لَا أُغَيِّرُهَا وَلَا يَشْحُبُّ لَوْنُهَا .

وَالشَّحُوبُ تَغْيِيرُ اللَّوْنِ وَالْهَزْأَلُ .

(١) لم يرد هذا الشاهد ضمن كلام أبي العلاء في ظ .

(٢) جاء في ظ : قال الخارزنجي : هذا مثل قولم إنه يسر حسوا في ارتقاء ، أي يظهر أمراً

ويريد غيره فيعتل به .

(٣) ك ، هـ س : « عَلَيْهِ عَقْدَتٌ عَقْدَى » .

(٤) « عاد » جمع عادة ، وأراد عاداتي ، كما في الصول .

٣٨ تَثَبَّتْ إِنْ قَوْلًا كَانَ زُورًا أَتَى النُّعْمَانُ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادٍ
زياده النابغة الذبياني ، وحديثه مع النعمان بن المنذر مشهور^(١) ، وهو زيادُ
ابنُ صَمْرُو بن ضباب بن معاوية أحدُ بني يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرَّة بن
عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيَان .

٣٩ وَأَرَّثَ بَيْنَ حَيٍّ بَنِي جُلَاحٍ

سَنًا^(٢) حَرْبٍ وَحَيٍّ بَنِي مَصَادٍ
يقال : أَرَّثَ النَّارَ إِذَا حَرَّكَتْهَا لِتُوقَدَ ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ ذَلِكَ فِي الْحَرْبِ ،
قال الشاعر :

فَمِنَّا لَقَيْطٌ وَابْنُ مَاهٍ وَقَعَنْبٌ مُؤَرَّثُ نِيرَانِ الْمُكَارِمِ لَا الْمُخْبِي
[ع] و « بنو جُلَاح » الذين ذكروهم المعروفون ببني الجُلَاح من كُلبِ
ابنِ وَبَرَّة^(٣) ، حَذَفَ مِنْهُمْ الْأَلْفَ وَاللَّامَ ، وَقَدْ ذَكَرَهُمُ النَّابِغَةُ فِي قَوْلِهِ :
بَقِيَّةٌ قَلْدَرٍ مِنْ قُلُودٍ تَوَرَّجَتْ لَالِ الْجُلَاحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرٍ^(٤)
يمجد بهذه الأبيات النعمان بن جبلة بن الجُلَاح ، وكان النعمانُ أَعَارَ
على رَهْطِ النَّابِغَةِ فَأَسْرَبَتْهُ عَقْرَبٌ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهَا ابْنَةُ النَّابِغَةِ أَطْلَقَهَا لَهُ ،
وَقَالَ فِيهِ خَيْرًا وَهُوَ غَائِبٌ . و « بنو مَصَاد » من بني عَلَسِيم بن جَسَنَاب ، وَهُمْ
يَرْجِعُونَ إِلَى كُلبٍ أَيْضًا^(٥) . يَقُولُ : إِنَّ أَقْوَالَ النَّاسِ لَمْ تَزَلْ تُفَرِّقُ بَيْنَ بَنِي الْأَبِ
الوَاحِدِ وَتُغَيِّرُ الْأَوْدَاءَ .

٤٠ وَغَادَرَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ قَتْلَى بَنَى بَدْرٍ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ
[ع] ضَرَبَ الْمَثَلَ بِقِصَّةِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ وَإِخْوَتِهِ مَعَ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ
الْعَبْسِيِّ . و « ذَاتِ الْإِصَادِ » يَقَالُ إِنَّهَا عَيْنُ مَاءٍ ، وَالْإِصَادُ جَمْعُ أَصِيدَةٍ ،

(١) الرواية المشهورة أنه بلغه عنه أنه يشب بامراته أو غير ذلك ، فاعتذر إليه ، فقبل عذره :
وبان له براءته .

(٢) د ، ك : « شباحرب » .

(٣) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٨ من ٧ - ٩ .

(٤) ذكره صاحب العقد الثمين فيما نسب إلى النابغة ص ١٦٨ .

(٥) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٧ من ٥ - ٦ .

وهي حَظِيرَة من الشجر ، وذات الإصَاد هي الموضع الذي أُجْرِي فيه داحس والغبراء ولُطِمَ عليها دَاحِيس ، فقال بِشْر بن أَبِي الْعَيْسَى :
لُطِمْنَ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ وَجَمَعَكُمْ يَرُونَ الْأَذَى مِنْ ذَلَّةِ وَهَوَانِ
والموضع الذي قُتِلَ فِيهِ حُذَيْفَةُ وَأَخُوهُ حَمَلٌ هُوَ جَفَرُ الْهَبَاءَةِ ،
ويجوز أن يكون قريباً من ذات الإصَاد ، وإن كان يَبْعُدُ منها فجائز أن يكون
جَعَلَ الْقَتْلَى كَأَنَّهَا عَلَى ذَاتِ الْإِصَاد ، لأن ابتداء الشرِّ كان عندها .

٤١ فَمَا قَدْ حَاكَ لِلْبَارِي وَلَيْسَتْ مُتَوْنُ صِفَاكَ مِنْ نُهَزِ الْمُرَادِي^(١)

[ع] هذا مثل ضربه . يقول للمملوح : ما قَدْ حَاكَ للباري ، أى أنك لا تعطيهما باريّاً غيرك فيصنع بهما ما لا تُريد . أو يَقْتَضِيهِمَا من شجرة لا ترضاها ، بل أنت تلى أمرك بنفسك ، فهذا وجه . ويحتمل أن يريد بقوله : « ما قَدْ حَاكَ للباري » أى أنك لا تترك قَدْ حَاكَ لمن يَبْرِيهِ فيُفْسِدُهُ بِالْبَرَى الزائد على الحدِّ ، كما قالوا في المثل هو مُغَرِّى بنَحْتِ أَثْلَتِهِ إِذْ كَانَ يَنْقُصُهُ وَيَبْعِيهِ . و « المتون » جمع متن وهو ظهر الشيء ، وأصله في ابن آدم لأسفل الظهر . و « الصفا » جمع صفاة وهي الصخرة . و « النهز » جمع نهزة وهي مثل الفرصة . و « المرادى » الذى يُرَادَى بالصخر ، يقال رَدَاه يَرُدُّهِ إِذَا رَمَاه ، وراداه إِذَا كَانَتِ الْمَفَاعِلَةُ مِنْ اثْنَيْنِ ، ويقال للصخرة التى يُمْكِنُ أَنْ يَرْمَى بِهَا مِرْدَاةً وَرَدَاةً ، قال الشاعر :

وَنَاجِيَةٌ مِثْلُ الرَّدَاةِ بَعَثَتْهُمَا عَلَى ظَهْرِ عَادَى مُبِينِ السِّلَاقِ
وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ كُلِّ ضَبٍّ مَعَهُ مِرْدَاةٌ^(٢) ، يُرَادُ أَنْ كُلِّ ضَبٍّ يَكُونُ عِنْدَ
بَيْتِهِ صَخْرَةٌ يَجُوزُ أَنْ يَرْمَى بِهَا بَيْتُهُ فَيَنْهَدِمُ ، يقول : لَيْسَتْ مَكَارِمُكَ وَعِزَّتُكَ
مِمَّا يَسْتَهْزُهُ الطَّامِعُ إِذْ كَانَ لَا يَبْؤُثَّرُ فِيهَا * كَمَا قَالَ الْيَشْكُرِيُّ :
وَكَأَنَّ الْمَنُونَ تَسْرُدِي بِنَا أَصَحْمَ صُمًّا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ

٤٢ وَلَوْ كَشَفْتَنِي لَبَلَوْتَ خَرْقًا^(٣) يُصَا فِي الْأَكْرَمِينَ وَلَا يَصَادَى

[ع] « صَادَيْتِ » الرجل إِذَا لَا يَسْتَنْتَهُ وَدَافَعْتَهُ . و « الخرق » الذى

(١) فى س بفتح الميم ، وفى ك بالفتح والضم معا . (٢) جمع الأمثال ٢ : ٥٢ .

(٣) ك « حرا » وفوقها بين السطور رواية الأصل . وقال ابن المستوفى : هي أولى بهذا الموضع .

يَسْتَحَرِّقُ بِالْمَعْرُوفِ • يَقُولُ : لَوْ خَبَرْتَنِي لَخَبَرْتَ كَرِيماً ذَاهِباً بِنَفْسِهِ عَنِ الْمَطَامِعِ الدُّنْيَا .

٤٣ جَدِيرًا أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفَ شَزْرًا . إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ صَادِي [ع] يَقُولُ : إِنِّي لَا أَرِدُ كُلَّ مَاءٍ ، وَإِنَّمَا أَتَخَيَّرُ الْمِيَاهَ ، فَأَتْرَكُ بَعْضَهَا وَأَنَا مُحْتَاجٌ إِلَى الْوَرْدِ لِأَنِّي وَرَدْتُ مِثْلَهَا لَا بِرُضِيئِي . وَ« شَزْرًا » مِنْ قَوْلِهِمْ نَظَرُوا إِلَيْهِ شَزْرًا إِذَا أَحَدًا إِلَيْهِ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ ، وَهُوَ نَظَرُ الْغَضَبَانِ (١) .

٤٤ إِلَيْكَ بَعَثْتُ أَبْكَارَ الْمَعَانِي (٢) يَلِيهَا سَائِقُ عَجَلٍ وَحَادِي

٤٥ جَوَائِرَ عَنْ دُنَابِي الْقَوْمِ حَيْرِي (٣)

هَوَادِي لِلْجَمَاجِمِ وَالْهَوَادِي

٤٥ - وَيُرْوَى « عَنْ دُنَابِي الْقَوْمِ زُورًا » ضَرَبَ الدُّنَابِي وَالْجَمَاجِمَ وَالْهَوَادِي أَمْثَالًا ، فَجَعَلَ الدُّنَابِي لِحَسَّاسِ الْقَوْمِ ، وَالْهَوَادِي لِرُؤْسَاتِهِمْ ، وَالذُّنَابِي مِثْلَ الذَّنَبِ ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الطَّيْرِ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ فِي غَيْرِهَا (٤) .

٤٦ شِدَادُ الْأَسْرِ سَالِمَةُ النَّوَاحِي مِنَ الْإِقْوَاءِ فِيهَا وَالسِّنَادِ أَصْلُ « الْأَسْرِ » فِي شِدَّةِ الشَّيْءِ بِالْقِدِّ ، وَلِذَلِكَ سَمَّيْتُ الْأَسِيرَ أُسِيرًا لِأَنَّهُمْ

(١) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْدِقِ : يَتَمَلَّقُ « إِلَى » بِقَوْلِهِ « شَزْرًا » لَا بِقَوْلِهِ « يَكُرُّ » ، لِأَنَّهُ فِي قَوْلِهِ « يَكُرُّ » مَعْنَى التَّرَدُّدِ ، وَلَا مَعْنَى لَتَرَدُّدِ طَرَفِهِ إِلَى سُورِدٍ لَا يَكُونُ كَرِيماً ، وَإِنْ ذَهَبَ ذَاهِبًا إِلَى أَنْ نَفْسُهُ تَنَازَعَهُ الْوَرْدُ فَهُوَ يَكُرُّ طَرَفَهُ لَذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ نَظَرُهُ إِلَى الْمَوْرَدِ نَظَرُ شَزْرٍ . وَقَالَ : وَفِي قَوْلِهِ « بَعْضُ الْمَوَارِدِ » نَظَرٌ ، وَلَوْ قَالَ « إِلَى كَدْرِ الْمَوَارِدِ » أَوْ نَحْوِهِ كَانَ أَوْضَحَ .

(٢) م ، ل : « أَبْكَارُ التَّوْفَى » . وَفِي ظ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ : « وَأَبْكَارُ الْمَعَانِي » يَتَنَبَّأُ مَا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ ، وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْدِقِ : وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ الْمَعَانِي الَّتِي لَمْ يَفْتَرِعْهَا غَيْرُ الْمَمْدُوحِ ، أَيْ لَمْ يَمْدَحْ بِهَا غَيْرَهُ .

(٣) م : « حِيدَا » .

(٤) وَقَالَ الصَّوْلِيُّ : يَقُولُ : تَجُورُ - أَيْ تَعْدِلُ - عَنِ الذَّنَابِي وَهِيَ السَّفَلَةُ ، وَهَذِهِ التَّوْفَى عَالِمَةٌ

بِرُءُوسِ النَّاسِ مَهْدِيَةٌ لَطَرَقِهِمْ .

وَعَقِبَ ابْنُ الْمُسْتَوْدِقِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : « عَالِمَةٌ بِرُءُوسِ النَّاسِ مَهْدِيَةٌ لَطَرَقِهِمْ » غَيْرَ مَا أَرَادَهُ أَبُو تَمَامٍ .

يربطونه بالقدّ ، ثم كثر ذلك حتى قالوا هو شديد الأسر أى الخلق .
و « الإقواء » مختلف فيه ، وهو مُجمّع على أنه عيب ، فأظهر الأقوال وأكثرها :
أنه اختلاف الإعراب فى القافية . وقال قوم : هو الإكفاء . وقال آخرون الإقواء
كلّ عيب يجرى فى آخر البيت . ورؤى عن أبى عبيدة أنه كان يحمل الإقواء
مثل قول الشاعر :

لَمَّا رَأَتْ ماءَ السَّلَى مَشَرُو بِهَا وَالْفَرَسُ يُعَصِّرُ بِالْأَكْفِ أَرْنَيْتَ ^(١)

و « السناد » عيب كانوا يذكرونه قديماً ، قال عدى بن الرقاع :
وقصيدة قد بيت أجمع شملها حتى أقوم ميسلها وسنادها

وقيل : كلّ عيب فى القافية فهو سناد . فأما المحققون من أهل العلم فيجعلون
السنادَ ضرباً ، وهو تغيّر حركة أو حرف ، مثل أن يجرى « سالم » مع
« آدم » أو « جميل » مع « جميل » فى الشعر المقيّد ، أو « يورى » مع
« شكرى » ، ونحو ذلك .

٤٧ يَذُلُّهَا ^(٢) بِذِكْرِكَ قَرْنُ ^(٣) فَكْرُ

إِذَا حَرَنْتَ فَتَسْلُسُ فِي الْقِيَادِ

يُقَالُ : حَرَنْتَ الْفَرَسَ وَحَرَنْتَ إِذَا وَقَفَ فَلَمْ يَسِرْ ، وَفَرَسٌ سَلِسٌ الْقِيَادِ
إِذَا كَانَ سَهْلَةً .

٤٨ لَهَا فِي الْهَاجِسِ الْقَذْحُ الْمُعَلَّى

وَفِي نَظْمِ ^(٤) الْقَوَافِي وَالْعِمَادِ

« الهاجِس » ما يتهجِسُ للإنسان ، أى ما يعرض فى خاطره ، و « الهَجَسُ »

(١) البيت ، كما فى اللسان ، لحجل بن فصلة . والرواية فيه : « يعصر فى الإناء » .

(٢) س : « يهيجها » ، وبهامشها رواية الأصل .

(٣) فوقها بين السطور فى س : « كل » . والبيت فيها جاء بعد البيت : « منزّه عن السرقة ... »

(٤) فى الأصول كلها عدا نسخة د « نظم القوافى » وشرح البيت يدل على أن الرواية عند أبى العلاء

« كتب القوافى » وهى رواية الأمدى كما جاء فى ظ .

الصوت الخفي ، واستعار القِدْحَ المَعْلَى . [ع] و « كُتِبَ القَوَافِي » ما يُكْتَب منها كما يقال هذا في كُتِبَ النَّسَبِ أى في الكُتُبِ التى يُذكر فيها النسب ، وكذلك الكتب التى تُثَبَّت فيها القوافي ، وهى الأبيات والقصائد ، والمعنى بها فى هذا الموضع دواوين الشعراء ، فديوان امرئ القيس من كُتِبَ القوافي ، وكذلك ديوان الطائي وغيره . و « العِمَاد » مَرْدُودٌ إلى القَوَافِي ، كأنه قال فى كُتِبَ القوافي وَعِمَادُها ، ويجوز أن يعنى : « العِمَاد » جمع عمود ويُحتمل أن يكون العِمَادُ واحداً من قولهم هو عِمَادُ الشئ إذا كان يُعَمَدُ به ويُقِيمُهُ ^(١) ؛ وإن رُوِيَتْ « نَظَمَ القَوَافِي » فعناه مفهوم .

٤٩ مُنْزَهَةٌ عَنِ السَّرَقِ الْمُورَى مُكْرَمَةٌ عَنِ الْمَعْنَى الْمُعَادِ

[ع] يقال سَرَقَ وسَرَقَ قوم يختارون كَسَرَّ الرءاء ، وقوم يختارون الفَتَح . و « الْمُورَى » من قولهم ورَّى عن الشئ إذا أظهر غيره . يقال : ورَّى عن سَفَرِهِ إذا كان يريد أن يسير إلى نجد فأظهر أنه يريد المسير إلى تهامة ، قال الشاعر :

ولو كنت صُلْبَ العود أوكابن مَعْمَرٍ
لَوَرَّيتَ عَنْ مَوْلَاكَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ ^(٢)

٥٠ تَنْصَلُّ رَبُّهَا مِنْ غَيْرٍ ^(٣) جُرْمٍ إِلَيْكَ سَوَى النَّصِيحَةِ وَالْوِدَادِ

٥١ وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاشِينَ تُسَلِّقُ مَسَامِعُهُ بِالسَّنَةِ حَدَادِ

٥١ - [ع] « أَذِنَ » للشئ إذا أَمَالَ إليه أذُنَهُ و « تُسَلِّقُ مَسَامِعُهُ » من قوله تعالى : « سَلِّقُوا السَّنَةَ حَدَادِ » أى ضربوكم بالسَّنَةِ ، يُقال : سَلِّقْ بصوته إذا رفعه . وَخَطِيبٌ مِسْلَقٌ ومِسْلَاقٌ إذا وصفوه بالبلاغة .

(١) فى ظ قال الأمدى : أى ولما فيها يعمدها ويقويها القدح الملل . كأنه يريد إقامة الوزن ، يعنى العروض .

(٢) البيت ، كما فى اللسان والناج مادة « ورى » للفرزدق . والشرط الأول منه ، فهما : « فلو كنت صلب العود أو ذا حفيظة » .

(٣) لك بين السطور : « من كل » .

وقال يمدحه :

- ١ أَيْسَلُبُنِي ثِرَاءَ الْمَالِ رَبِّي وَأَطْلُبُ ذَاكَ مِنْ كَفِّ جَمَادٍ؟
 - ٢ زَعَمْتُ إِذَا بَانَ الْجُودُ أَمْسَى لَهُ رَبٌّ سِوَى ابْنِ أَبِي دُوَادٍ!
- من أول الوافر ، والقافية متواتر .

« جَمَادٍ » : أى لا عطاء عندها ، أخذت من السنة الجماد ، وهي التي لا مطر فيها . ويروى : « زَعَمْتُ إِذَا بَانَ الْعِلْمُ . . . »

وقال يملحه ويعتذر إليه ، ويستشفع بخالد بن يزيد :

١. أَرَأَيْتَ أَيَّ سَوَالِفٍ وَخُدُودٍ عَنَّتْ لَنَا بَيْنَ اللَّوَى فَزَرُودِ!
الثاني من الكامل ، والقافية متواتر .

« السالفة » : صفحة العنق ، ومن أمثالهم : أقصر من سالفه الذباب ، كما يقولون : أقصر من إبهام القطاة ، وإبهام الحبارى . و « عنت » : عرّضت .

٢. أَتَرَابُ غَافِلَةِ اللَّيَالَى أَلْفَتْ عُقْدَ الْهَوَى فِي يَارِقٍ ^(١) وَعُقُودِ
[ص] « اليارق » الدّستينج العريض ، ويسمى أيضاً الجبيرة ^(٢) .
[ع] « غافلة لليالى » يحتمل وجهين : أحدهما أن يريد أن المرأة غافلة في الليالى ، يتصف أنها قليلة الهم ، لا تشعر بما الناس فيه ، كما قال الأول :
شهورٌ يتقصين وما شعرنا بأنصاف لهنّ ولا سِرَارِ
والآخر أن يريد : غافلة لياليتها ، فيكون من قولهم ليل نائم ، والمعنيان متقاربان . (المرزوقي) : يقول : هؤلاء النسوة أمثال هذه المرأة الغريرة الغافلة عن الليالى وأحداثها ، وهى موضوعة الهوى والعشق ، فكانتها جمعت قلائد الهوى في يارقها وقلائدها ، لأن من نظرت إليها هوىها وصبا إليها .

٣. بَيْضَاءُ يَصْرَعُهَا ^(٣) الصَّبَا عَبَثَ الصَّبَا

أَصْلًا ^(٤) بِخُوطِ الْبَانَةِ الْأَمْلُودِ

نصبه على المصدر ، أى الصبا يصرعها ويعبث بها عبث الصبا بخوط البان أصلاً .

(١) قال الصولي : وروى قوم : « في يارق » ، وهو تصحيف .

(٢) قال ابن فارس : « الجبيرة » السوار ، والجبارة ، وجمعها الجبائر .

(٣) قال ابن المستوفى : لفظه « يصرعها » ، وقد روى « يشنها » ، وهو ألفت وأحسن .

(٤) ظ : « سراً » .

ويروى :

بَيْضَاءُ يَصْرَعُهَا الصَّبَا مِنْ نَعْمَةٍ ^(١) خَوْذُ كَخُوطِ الْبَاةِ الْأَمْلُودِ
و « الْخُوطُ » : الْفُضْنُ . و « الْأَمْلُودُ » : النَّاعِمُ الْأَمْلَسُ .

٤ وَحَشِيَّةٌ تَرْمِي الْقُلُوبَ ^(٢) إِذَا اغْتَدَت ^(٣)

وَسَنَى فَمَا تَصْطَادُ غَيْرَ الصَّيْدِ

(المرزوقي) « وَحَشِيَّةٌ » : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّهَا فِي حُسْنِهَا كَالْوَحْشِيَّةِ ،
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّهَا تَنْفِرُ عَنِ الرَّيِّبِ ، فَكَأَنَّهَا وَحْشِيَّةٌ . وَقَوْلُهُ « فَمَا تَصْطَادُ
غَيْرَ الصَّيْدِ » : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَقَّقَى أَنَّهُ لَا يَرْمِيهِمْ وَلَا يَهْمُ بِهِمْ إِلَّا الْكِبَارُ
مِنَ الرِّجَالِ ، الْمُتَكَبِّرُونَ ، لِعِزَّتِهِمْ وَجَلَالَتِهِمْ فِي النُّفُوسِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
أَرَادَ أَنَّهُمْ لَا يَتَوَاضَعُونَ إِلَّا لِرَمَى الرِّجَالِ الْمُعْجِبِينَ بِأَنفُسِهِمْ ظَرْفًا وَحِزَّةً .
[ص] « وَسَنَى » : كَأَنَّهَا نَاعِسَةٌ مِنَ النَّعْمَةِ .

٥ لَأَحْزَمَ عِنْدَ مُجْرِبٍ فِيهَا وَلَا جِبَارُ قَوْمٍ عِنْدَهَا بَعِيدُ

[ع] أَيْ أَنَّ الْحَازِمَ الْمَجْرِبَ يَضِلُّ لُبُّهُ إِذَا رَأَاهَا ، وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِ

الناطقة ^(٤) :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ عَبْدَ الْإِلَهِ ^(٥) صَرُورَةٍ مُتَعَبِدٍ
لَرَنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلِخَالَاتِهِ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرَشُدْ
وَقَوْلُهُ « وَلَا جِبَارُ قَوْمٍ عِنْدَهَا بَعِيدُ » : « الْعَنِيدُ » مِنْ صِفَاتِ الْجِبَارِ ،
وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ : عِنْدَ الْحَقِّ إِذَا مَالَ عَنْهُ ، وَهَذَا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ
يَكُونَ الْغَرَضُ أَنَّ الْجِبَارَ الْعَنِيدَ إِذَا قِيمَ تَجَبَّرَ بِتَجَبُّرِهَا فَلَيْسَ بِجِبَارٍ ،
لَأَنَّهُ يَصْغُرُ وَيَسْدَلُ ، كَمَا تَقُولُ كُلُّ بَحْرٍ إِذَا قِيمَ إِلَى بِحْرٍ فَهُوَ ثَمَدٌ ، أَيْ
أَنَّكَ تَزِيدُ عَلَيْهِ ، وَالْآخَرُ أَنْ يَرِيدَ : وَلَا الْجِبَارُ إِذَا حَضَرَ عِنْدَهَا بِجِبَارٍ ، لَأَنَّهُ
يَسْدَلُ لَهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا تَجَبَّرَ .

(١) هذه رواية الصولي ، وقال : وروى قوم : « يصرعها الصبا حبث الصبا » .

(٢) ل : « الفؤاد » . (٤) هـ : « إذا غدت » .

(٣) مختار الشعر الجاهل ١ : ١٨٦ . (٥) ظ : « يثنى الإله » .

٦ مَالِي ^(١) بِرَبْعٍ مِنْهُمْ مَعْهُدٌ إِلَّا الْأَسَى ^(٢) وَعَزِيمَةُ الْمَجْلُودِ ^(٣)

[ص] «الأسى»: الحزن، و «الأسى» الصبر، من الأسوة. و «مجلود» أى جلادة، من قولهم ليس لفلان معقول، أى عقل. [ق] أى ليس من ربهم الذى عقاً وتغسير إلا الصبر، أى ليس الرأى إلا الصبر وإيثار التعزى والجلادة.

٧ إِنْ كَانَ مَسْعُودٌ سَقَى أَطْلَالَهْمُ

سَبَلَ الشُّوْنِ فَلَسْتُ مِنْ مَسْعُودٍ

[ق] قيل: يعنى مسعود بن عمرو الأزدى، وكان يندب الأطلال ويكيها، فيقول: إن كان ذلك قضى أيامه بالبكاء على الأطلال، فلست أنا بمقتد به. وقيل: مسعود: هو أخو ذى الرمة. [ص] يقول: لست منه، لأنه لا دمع لى فأبكى، إذ قد نرفته قبل ذلك. [ع] وقوله «فلست من مسعود» أى لست ممن يفعل فعله، كما تقول للرجل: ما أنا منك ولا أنت منى، أى أنتى برىء منك. وذكره «مسعوداً» هنا من الإلحاء الذى تقدم ذكره ^(٤).

(١) م: «من لى»، وهى رواية المرزوق كما فى كتابه، وكما فى ظ نقلا عنه. وكذلك هى رواية الأمدى كما جاء فى ظ. ورواية الصولى كالأصل، وقال: مالى بما عهدت منهم يدان إلا الأسى.

(٢) رواية المرزوق: «الأسى» بضم الهمزة.

(٣) فى ظ: روى أبو العلاء: «وعزيمة التجليد»، وقال: مصدر جلد صاحبه: إذا صبره على شيء، وإنما يعنى تجليده، فهذه، لا أن صاحبه يحمله على ذلك.

(٤) فقل ابن المستوفى فى كتابه كلاماً كثيراً للأمدى فى نقد هذا البيت، بعضه من كتابه الموازنة، وبعضه من كتابه الذى سماه «معاني أبيات أبي تمام المفردة»، نذكر منه قوله: ما زال شيوخ البغداديين يرون هذا البيت من معانيه، ويزعمون أنهم لا يعرفون شاعراً يقال له مسعود غير مسعود أخى ذى الرمة، وليس له بيت يبكى فيه على الديار، ولا فى آباء أبي تمام وأجداده المذكورين فى نسبته الموصومة أول ديوانه، من يقال له مسعود، فكان يقال: إن كان مسعود أبى بكى على الديار فلست منه. وكنت أسميهم دائماً يقولون: فأين مسعود هذا؟ أى السماء هو أم فى الأرض؟ ويزعمون أنه إنما جاء بمسعود من أجل القافية. فلم تك نفسى تقبل هذا من قوطم، ويقع أنه ما أراد إلا شاعراً بعينه من شعراء طى المغمورين ممن بكى على الديار، فخرجت كل شاعر من شعراء القبائل من طى وغيرها، ممن يقال له مسعود، فلم أجد فيهم أحداً بكى على الديار. (ثم فقل ابن المستوفى أسماء المساعيد الذين خرجهم الأمدى وذكر أشياء من أشعارهم =

٨ ظَعَنُوا فَكَانَ بُكَائِي حَوْلًا بَعْدَهُمْ
ثُمَّ ارْعَوَيْتُ وَذَاكَ حُكْمٌ لِبَيْدٍ

يريد قول لبید :

* وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ ^(١) .

٩ أَجْدَزُ بِجِمْرَةِ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُهَا
بِالدَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ
أى : جمرة لوعة تطفأ بالدَّمْعِ حَقِيقٌ بأن تزدادَ التَّهَابًا وَتَوْقُودًا . يعنى

= فى «كتابه معاني أبيات أبي تمام المفردة» . ثم أورد ما قاله بعد ذلك . فأعيانى معنى البيت مدة طويلة ، حتى قرأت فى شعر ذى الرمة قوله :

عشية مسعود يقسوه وقد جرى على لحيتى من واكف الدمع قاطر
أفى الدار تبكى إذ بكيت صباية وأنت امرؤ قد حليتك العشائر
فعلمت أن أبا تمام إنما أراد مسعوداً هذا أخا ذى الرمة ، لأنه كان ينهى ذا الرمة عن البكاء على الديار ، فكأنه أراد : إن كان مسعود بكى على الديار ورجع عن مذهبه فى ترك البكاء وتقنين من بكى ، فلست منه ، وكان هذا عنده (أبى تمام) أبلغ من أن يضرب المثل بمن بكى على الديار ، والمثل قد يضرب بالشئين المتضادين ، ألا ترى أن قاتلاً لو قال : إن كان خالد بن الوليد غدر بمالك بن نويرة ، فلست من خالد ، أى فأنا برىء من خالد ، ولو ضرب المثل بأوفى الناس فقال : إن كان السموي قد غدر فلست منه ، وكذلك إن كان أبو سفيان بن حرب بخيلاً فلست على دينه ، وإن بخل عبد الله بن جعفر برئت منه ، وقال الشاعر :

لئن ضمن البخیل بما لديه فلست من البخیل وليس منى
ولو بخل الجسود أقول أيضاً إليك إلیک قدنى منك قدنى
وإنما ضرب المثل بمسعود الذى كان ينهى عن البكاء على الديار ، وكان ذلك أبلغ من أن يضرب المثل بمن بكى . . . إلى أن قال الأمدى : وقد أتيت بكل ما وقع إلى فى معنى هذا البيت إلى أن يتحقق مسعود كان معروفاً بالبكاء على الديار والدين .
ثم قال ابن المستوفى بعد أن ذكر ما قاله الأمدى والصولى وأبو العلاء والخارزنجى فى هذا البيت : ولا أعلم ما الذى دعاهم إلى ألا يكون مسعود إلا أخا ذى الرمة ، وأن لا يكون له صاحب اسمه مسعود على عادة العرب فى الإخبار عن أصحابهم ؟ .

(١) بيت لبید :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعطر

(الديوان ص ١) .

أنّ البكاء لا ينفع ، بل التعزّي وعزيمةُ المجلود تُغني عن ذلك . وهو ضدّ المعنى الذي في مثل قوله :

* وإنّ شِفائي عبّرةٌ مُهرّاقةٌ *

وليس للرّد عليه سبيل ، فإنّ هذه الأبيات يُفسّر بعضها بعضا . وقوله :
مالي يربع منهم معهود إلاّ الأسى وعزيمةُ المجلود
يدل على أنّ المعنى في الأبيات التي بعدها هو الإعراض عن البكاء على الرّبع ،
والتسلي عنه بالصبر^(١) .

١٠ لا أفقرُ الطّربَ القلاصَ ولا أرى

مَعَ زِيرِ نِسْوانٍ أَشدُّ قُتُودِي

« قُتُودٌ » : جمع قَتِيد ، وهو خشب الرّجل . (المرزوقي) : يعنى أنّه لا يُعمل إبله في الطّرب . و « الإفقار » أن يُغيّرَ ظَهْرَ البعير ليُرْكَبَ أو يُحمَلَ عليه . و « لا أرى مع زير نِسْوان » أى لا أصاحب مَنْ يُغازل النساء ، ويُعجبه مُحادِثُهن ، فأرتحلَ معه .

١١ شَوْقُ ضَرَحْتُ قَدَّاتِهِ عَن مَشْرِبِي

وَهَوَى أَطَرْتُ^(٢) لِحَاءَهُ عَن عُودِي

« اللحاء » : قِشْرُ الشَّيْءِ ، ومن أمثالهم : هو يدخل بين العصاء ولحائها ، أى يدخل فيما لا يجب أن يدخل فيه . [ص] يقول : هذا الشوق قد عدلتُ عنه إلى مدح مَنْ أريد مدحه . و « أطرتُ لحاءَه عن عُودِي » : مثلُ ضَرَبَتِهِ لَتَرْكِهِ إِيَّاهُ .

(١) في ظ : وهو ضد ما قاله ذو الرمة :

لعل انحدار الدمع يمتقب راحية من الوجد أو يشفى نجيّ اللبلاب

(٢) قال ابن المستوفى : وفي الطّرة بإزاء قوله « أطرت » : « عطف » ، وله وجه ، والأول أجود .

١٢ عَامِي وَعَامُ الْعَيْسِ بَيْنَ وَدِيقَةٍ

مَسْجُورَةٌ وَتَنُوفَةٌ صَيْخُودٌ^(١)

[ع] «الوديقة» شدة الحر، ودنو الشمس من الأرض. و«مَسْجُورَةٌ» أي مملوءة بالسراب. ويجوز أن يعنى بمسجورة: من سَجَرَ التَّنُورَ، يصفها بشدة الهجير. و«التنوفة»: القفر من الأرض. و«صَيْخُودٌ»: يجوز أن يعنى به صلابة الأرض، من قولهم صخرة صَيْخُودٌ؛ ويجوز أن يعنى به شدة الحر من قولهم: ضَحِيتُهُ الهاجرة إذا آلمت دماغه.

١٣ حَتَّى أَغَادِرَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْفَلَاحِ لِلطَّيْرِ عِيدًا مِنْ بَنَاتِ الْعِيدِ

[ع] «أغادر» أي أترك للطير عيداً، أي شيئاً تعتاده، و«العِيد»

(١) س: «صهرد»، ويلزائها في إمامش: «وحجارة صيخود». قال وأصلها حجارة، فخفض ضرورة، ويقال: صهده الشمس، لغة في صخذته. وقال ابن المستوفى: قال الأمدى: «الوديقة» شدة الحر، وقد ذكر بعضهم أنها تكون نصف النهار. وحجارة القيط بالتشديد: أشد ما يكون من الحر أيضاً، والصيخود الشديد الحر؛ يقال: أصابنا هندان الحر ولهبانه، أي شدته. وقال (أبو تمام): حجارة، وخفض؛ وذلك قبيح، لأن العرب نطقت بها بالتشديد، فقالوا حجارة القيط. وقال: «بين وديقة مسجورة وحجارة صيخود»، وتلك قسمة رديئة أيضاً، لأن الوديقة المسجورة معناها كمنى الحجارة الصيخود، وكان ينبغي أن يأتي بمعنيين مختلفين لا متفقين، كما تقول: إنما نحن الدهر بين حل ومرتل، ومقام وظعن، وراحة وتعب؛ أو إن أراد أن يجعلها جميعاً شدة يقول: ما نحن إلا بين فراق وهجرة، ولا يقول بين صدور وهجرة، لأن معناها واحد، وما نحن إلا بين بخل ومطل، ولا يقول بين بخل ومنع، والقوم بين خوف وقتل، ولا يقول بين خوف وفرق. ولو لم يأت بـ«بين» ثم قال: «في وديقة مسجورة وحجارة صيخود»، لكانت الحجارة الصيخود مؤكدة للوديقة المسجورة. وهذا كقوله عز وجل: «يسمع سرهم ونجواهم». وكقول الشاعر:

* وهند أتى من دونها النأي والبعـد *

لأن النأي: هو البعد، والسر: هو النجوى، فجاءت كل لفظة مؤكدة للأخرى، وإذا جئت بـ«بين» مع هذه الألفاظ لم يصلح أن تقول: أنا مع زيد بين مناجاة وسرار، وأنا مع عمرو بين صدور وهجرة، لأن «بين» إنما هي واسطة بين لفظين معناها واحد. وقال ابن المستوفى في التحقيق عليه: فأما رواية غير الأمدى من العلماء فإنهم رَوَوْا: «بين وديقة مسجورة وتنوفة صيخود»، وفسروا «الصيخود» بشدة الحر، وفسروه بالصلابة، فعل كلا القولين من روايتهم و«تنوفة صيخود»، لا تكون القسمة فاسدة.

ما يُعْتَاد ، ومن ذلك قيل لليوم عيد ، لأنه يعود ويُعْتَاد ، والأجود أن يكون « عيد » في بيت الطائي يُرَاد به العيد الذي هو الفطر أو الأضحى ، ونحو ذلك من أعياد الأئمة ، لأنه جعل الطير تفرح بما يُلْقِيه لها من الركائب ؛ فتعاده ، أى تَجِيئه للأكل . و « العيد » : قبيلة من مَهْرَة بن حَيْدَان . وبعض الناس يَقلون : العَيْدُ فَحْلٌ من فُحُول الإبل . و « بنات العيد » : يحتمل وجهين : أحدهما أن يعنى أن هذه الإبل مما يُنسَب إلى هذه القبيلة ؛ والآخر أن تكون منسوبة إلى الفحل المذكور .

١٤ هِيَهَاتَ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَحْمُودَةٌ حَتَّى تُنَاخَ بِأَحْمَدَ الْمَحْمُودِ

أى حينئذ تنصل إلى الروض . ويروى :
« هيهات منها مرتفع وإراحة » حتى تُنَاخَ ^(١)

١٥ بِمُعْرَسِ الْعَرَبِ ^(٢) الَّذِي وَجَدَتْ بِهِ
أَمَّنَ الْمَرْوَعِ وَنَجْدَةَ - الْمَنْجُودِ

« النجدة » القوة ، نجدة على عدوه أى قوّاه ، و « مَنْجُودٌ » مكروب .
[ص] أى عنده نجدة لمن استنجد ، وأمن لمن خاف .

١٦ حَلَّتْ عِرَا أَثْقَالَهَا وَهُمُومَهَا أَبْنَاءُ إِسْمَاعِيلَ فِيهِ وَهُودٌ

[ع] « إسماعيل » : يعنى به إسماعيل النبي عليه السلام ، وهو من ولد هُود النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأنه أومأ بأولاد هُود إلى اليمن ، لأنهم يُنسَبون إلى قحطان بن هود ، ولم يرد الطائي إلا ذلك ، إذ كان إسماعيل ترجع إليه معاً بأنسابها . وهذه القسمة التى قَسَمَهَا فيها تداخل ، إذ كان إسماعيل يَشْرِكُ اليمنَ فى هُود * يعنى رَهْطَ ولد معد بن عدنان وولد هُود اليمانية . أى هو مُنَاخ كل مُجْتَمِدٍ من كل قبيلة .

(١) رواها الصولي في شرحه .

(٢) وقال الصولي : « ومعرس العرب » : أى محط رحالهم .

١٧ أَمَلُ أَنَاخَ بِهِمْ^(١)، وَفُودًا فَاغْتَدُوا مِنْ عِنْدِهِ وَهُمْ مُنَاخُ وَفُودِ
 ١٨ بَدَأَ النَّدَى وَأَعَادَهُ فِيهِمْ وَكَمْ مِنْ مُبْدَىٍ لِلْعُرْفِ غَيْرُ مُعِيدِ!
 ١٩ يَا أَحْمَدَ بْنَ أَيْ دَوَادِ حُطَنِي بِحَيَاطَتِي وَلَدَدْتَنِي بِلَدُودِي
 ١٩ - أَيْ حُطَنِي بِحَيَاطَةِ مِثْلِي ، وَدَاوَيْتَنِي بِدَاءِ مِثْلِي . وَ « اللَّدُودُ »
 مَا يُوجِرُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي أَحَدٍ شَقِيٍّ فَسَمِهِ^(٢) .

٢٠ وَمَنْحَتَنِي وَدَّاحِمَيْتُ ذِمَّارَهُ^(٣) وَذِمَامَهُ مِنْ هَجْرَةٍ وَصُدُودِ
 ٢١ وَلَكُمْ عَدُوٌّ قَالَ لِي مُتَمَثِّلًا كَمْ مِنْ وَدُودٍ لَيْسَ بِالْمُودُودِ!
 ٢١ - أَيْ كَانُوا يَقُولُونَ : أَنْتَ تَوَدُّ هَذَا الْمَدْمُوحَ وَهُوَ لَا يَتَوَدُّكَ .

٢٢ أَضَحَّتْ إِيَادُ فِي مَعْدٍ كُلِّهَا وَهُمْ إِيَادُ بِنَائِهَا الْمُنْدُودِ
 « الإِيَادُ » : مَا حَوْلَ الشَّيْءِ ، وَلَا يُقَالُ إِلَّا لِمَا هُوَ مَرْتَفِعٌ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ
 التَّأْيِيدِ ، أَيْ هُوَ يَقْوَى الْبِنَاءِ ، وَيُقَالُ لِمَا يَجْعَلُهُ الظِّلْمُ خَوْلَ بَيْتِهِ إِيَادَ ، وَإِيَادُ
 الْبَابِ مَا يُؤَيِّدُ بِهِ . قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ : إِيَادُ بْنُ نِزَارٍ بْنُ مَعْدٍ بْنِ عَدْنَانَ ، يَعْنِي أَنَّ
 إِيَادًا تَشِيدُ مَأْتَرًا مَعْدً ، وَتَرْفَعُ بُنْيَانًا شَرْفَهَا ، فَهِيَ لِمَعْدٍ كَالِإِيَادِ لِلْبِنَاءِ .

٢٣ تَنْمِيكَ فِي قُلَلِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى زُهْرٌ لَزُهْرٍ أَبُوقٍ وَجُدُودِ
 ٢٤ إِنْ كُنْتُمْ عَادَى ذَاكَ النَّبْعِ إِنْ نَسَبُوا وَفَلَقَةً^(٤) ذَلِكَ الْجُلْمُودِ
 ٢٤ - (ع) « الْقُلَلُ » جَمْعُ قُلَّةٍ ، وَهِيَ أَعْلَى الشَّيْءِ . وَ « زُهْرٌ » الْأَوَّلَى :

(١) فِي أَصْلِ التَّبْرِيزِيِّ نَسْخَةُ ش ، ن ، ب : « بَه » ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْخَطَأِ . وَفِي بَقِيَّةِ أَصُولِ
 الدِّيَوَانِ : « بِهِمْ » .

(٢) هـ س : يَرِيدُ : حُطَنِي بِمَا يَصْلُحُ لِي مِنَ الْحَيَاطَةِ ، وَلَدَدْتَنِي بِمَا يَصْلُحُ لِي مِنَ الدَّوَاءِ ، وَهُوَ
 أَنْ يَصُبَّ فِي أَحَدٍ شَقِيٍّ الْقَيْمَ . وَاللَّدِيدَانِ : جَانِبَا الْعُنُقِ . وَفِي الْقَامُوسِ : الْوَجُورُ : الدَّوَاءُ يُوجِرُ فِي الْقَيْمِ ،
 وَيَضُمُّ ، وَتَوَجَّرَ الدَّوَاءُ : بَلَعَهُ ، وَالْمَاءُ : شَرِبَهُ كَارَهَا .

(٣) س : وَجَزَيْتَنِي وَدَّاحِمَيْتُ ذِمَامَهُ وَذِمَّارَهُ

(٤) ب بَيْنَ السُّطُورِ : « وَقَلَّةٌ » .

اسم قبيلة المملوح . و « زُهر » الثانية : جمع أزهر ، وهو الأبيض . و « أبوة » جمع أب ، وقد وافق لفظ المصدر ، من قولهم أبٌ بَيِّنُ الأبوة . و « العادي » القديم من كل شيء : وصل ذلك أنهم نسبوا ما قدَّم إلى عاد ، لأنها قديمة ؛ يُقال يثر عادية ، وطريق عادي ، وسودَ عادي ، قال ذو الرمة^(١) :

لعل ابن طُرثوث عتيبة ذاهبٌ بعاديّتي تكذابه وجمعائله
زعم الرواة أنه أراد « بعاديّتي » بثرًا عادية . و « التبع » شجر صلب
يَنبُت في الجبال . ويقال : هو من نَبْعِه كثرَم : أى من أصل شريف . يقول :
إن كنتم شركاءَ غيرنا من القبائل في النسب ، فأنتم شركاؤنا في الجود ، لأنَّ
كعب بن مامة بضرب به المثل في ذلك ، لحديثه مع النَمَرِيّ ، لما آثره
بالماء على نفسه في السَّفر ، حتى هلك وسليم النَمَرِيّ ، وضرب المثل « اسقى
أخاك النَمَرِيّ »^(٢) يضرب مثلاً لمن ألحف ، لأنهم كانوا يتقاسمون الماء بالحصاة
فإذا قسموا لكعب حصته قال النَمَرِيّ : اسقى أخاك النَمَرِيّ ، فيسقيه ويبقى
على ظمئه والنَمَرِيّ : منسوب إلى النمر بن قاسط .

٢٥ وشركتموهم دوننا فلأنتم شركاؤنا من دونهم في الجود

٢٦ كعب وحاتم اللذان تقسما خطط العلى من طارف وتليد

٢٧ هذا الذي خلف السحاب ومات ذا

في المجد^(٣) ميتة خضرم صنديد

٢٧ - [ع] « الخضرم » : الكثير العطاء . يقال : بخر خضرم
أى كثير الماء ، وكل كثير عندهم خضرم . و « الصنديد » : السيد الشجاع .
ويجوز أن تكون النون فيه زائدة ، ويكون منه : صددت الأمور إذا دفعتها .

٢٨ إلا يكن فيها^(٤) الشهيد فقومه

لا يسمحون به بألف شهيد

(١) الديوان ص : ٤٧٣ (٢) مجمع الأمثال ١ : ٢٢٤ (٣) س : في الجود .

(٤) ظ : ويروى « فيه » : أى في الفعل الذى فعله ، « وفيها » : أى في النية .

٢٩ ما قَاسِيَا فِي الْمَجْدِ إِلَّا دُونَ مَا

قَاسَيْتَهُ فِي الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ

٢٩ - [ع] يقول : ما قاسي حاتم وكعب من المجاهدة في طلب المكارم إلا دون ما قاسيت في نصرة العدل والتوحيد . وكان ابن أبي دؤاد يرى رأى المعتزلة ، وهم يُسمُّون أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد ، ويكونون عن مذهبهم بهذين الاسمين .

٣٠ فَاسْمَعْ مَقَالَهَ زَائِرٍ لَمْ تَشْتَبِهْ

أَرَاوَهُ عِنْدَ اشْتِبَاهِ الْبَيْدِ^(١)

٣١ يَسْتَأْمُ بَغْضَ الْقَوْلِ مِنْكَ بِفَعْلِهِ

كَمَلًا وَعَفْوَ رِضَاكَ بِالْمَجْهُودِ

٣١ - [ص] يقول : اسمع مقالة رجل يشتري أيسر قول منك في تقريظه وتحسين أمره عند السلطان ، بكل فعل يطيقه من خدمة وشكر ومدح ، ويطلب عفوَ رضاك بجهته وبمجهوده .

٣٢ أُسْرَى طَرِيدًا لِلْحَيَاءِ مِنَ الَّتِي

زَعَمُوا ، وَلَيْسَ لِرَهْبَةٍ بِطَرِيدِ

[ق] يعنى نفسه ، ويعتذر إلى ابن أبي دؤاد فيقول : أُسْرَيْتُ طَرِيدًا ، أى مطرودًا ، حياءً وخجلًا ، ولم أكن طريدًا رهبة ، لأنى برىء الساحة ميمًا قُرِفْتُ بِهِ^(٢) .

(١) شرحه الخازن جى كما جاء في ظ بقوله : يقول : اسمع ما قاله زائر قصدك فلم يشته عليه من يقصد حين اشتهت المذاهب في عينه ، وحين قابله المفاوز .
(٢) في ط زيادة من كلام المرزوق : « هو ابن الطائي هجا مضر وقال عنها بقوله (ه) تزعمى عن طريق المجد يا مضر » .

٣٣ كُنْتُ الرَّبِيعَ أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ قَمَرُ الْقَبَائِلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ

٣٤ فَالْغَيْثُ مِنْ زُهرٍ سَحَابَةٌ رَأْفَةٌ

وَالرُّكْنُ^(١) مِنْ شَيْبَانَ طَوْدُ حَدِيدٍ

٣٤ - [ص] يقول : أنتَ لى سَحَابَةٌ رَحِمَةٌ ورَأْفَةٌ ، وخالد بن يزيد شقيقى إليك جبلُ ألتجى إليه . و « زُهر » : قبيلة أحمد .

٣٥ وَغَدًا تَبِينُ مَا بَرَاءَةٌ سَاخَتْ لَوْ قَدْ نَفِضْتَ تَهَاوَمِي وَنَجُودِي

[ع] يقال : نَفِضْتُ الطريقَ : إذا نَظَرْتَ هل فيه أَحَدٌ أم لا . يقول : لو نَفِضْتَ أَرْضِي الَّتِي أَسْلَكْتُهَا ، أَى لَوْ فَتَشَّشْتَ مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَّنَ مِنْ أَمْرِي ، لَعَلِمْتَ أَنَّ الَّذِي قِيلَ لَكَ مُخَالٍ . وهذه أمثال ضَرَبَهَا على معنى الاستعارة .

٣٦ هَذَا الْوَلِيدُ رَأَى التَّثَبُّتَ بَعْدَمَا

قَالُوا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ مُودٍ

كان الْحَجَّاجُ اعتقل يزيد بن المَهْلَبِ في أيام الوليد بن عبد الملك ، فَهَرَبَ يزيد من حَبْسِهِ ، فلاحق بسليمان بن عبد الملك وهو ببيت المقدس ، فأكرمه سليمان ، وَأَنْفَذَ معه أَيُّوبَ ابْنَهُ إلى حضرة الوليد أخيه ، وأمر أَيُّوبَ أَنْ يَكُونَ في السُّلْسَلَةِ مع يزيد بن المهلب ، فلمَّا دَخَلَ على الوليد عَفَا عن يزيد ، ووجَّهه إلى سليمان ، فحَظِيَ عنده وأكرمه لإكرامًا عظيمًا .

٣٧ فَتَزَحَّزَحَ^(٢) الزُّورُ الْمُوسَّسُ عِنْدَهُ

وَبِنَاءُ هَذَا الْإِفْكُ غَيْرُ مَشِيدٍ

(١) س : « والطود من شيبان ركن حديد » ، وبهامشها رواية الأصل .

(٢) س : « فتززعزع » ، وفي ظ : ويروى « فتضعضع » . وقال ابن المستوفى : وهى أجود ، لأنه بمعنى هدمه ، وهو أشبه بقوله « المشيد » .

٣٨ وَتَمَكَّنَ ابْنُ أَبِي سَعِيدٍ مِنْ حَجَا

مَلِكٍ بِشُكْرِ بَنِي الْمُلُوكِ سَعِيدٍ

٣٨ - [ع] يعنى « بابتى سعيء » : يزيء بن المهلَّب ، لأن كنيئة المهلَّب أبو سعيء . وإذا رويت « حجا » فالمراد بها العقل ، وإذا رويت « حجا » بالفتح فالمراد الملجا ، وجمعه أحجاء ، قال ابن مقبل : لا يحزيرُ المرءَ أحجاءُ البلادِ ولا يبئنى له فى السمواتِ السَّلامُ و « الملك » ها هنا : سليمان بن عبد الملك ، سعد بشكر بنى الملوك : يعنى آل المهلَّب .

٣٩ ما خالِدُلى دُونَ أَيُّوبَ وَلَا عَبْدَ العَزِيزِ ، وَلَسْتَ دُونَ وَلِيدٍ

« أَيُّوب » : ابن سليمان بن عبد الملك ، و « عبد العزيز » : ابن الوليد بن عبد الملك . و « خالد » : ابن يزيد الشيبانى ، شفيح الطائى ، و « وليد » : يعنى به الوليد بن عبد الملك ، فحذف الألف واللام وهو جائز . وقد استعمل ذلك الطائى كثيرًا فى مواضع ، وهو جائز ، إلا أن تركه أحسن . [ص] يقول : اعفُ عني إذ كنت أكرم من الوليد ، والشفيحُ إليك أجل من الشفيح إلى الوليد ، فاستغن فى بسنته فيه .

٤٠ نَفْسِي فداؤُكَ أَيَّ بابِ مُلَمَّةٍ لَمْ يُرَمَّ^(١) فِيهِ إِلَيْكَ بِالْأَقْلِيدِ ؟!

٤١ لِمُقَارِفِ الْبُهْتَانِ غَيْرُ مُقَارِفِ^(٢)

وَمِنْ الْبَعِيدِ الرَّهْطِ غَيْرُ بَعِيدٍ

يقول : هذا المملوح غير مقارف للقوم الذين يقارفون البهتان ، أي لا يقرب منهم ؛ وهو ناصر لمن بعد رهطه ، قريب إذ كان الحق معه .

(١) س : « لم يلق » ، وهامشها رواية الأصل .

(٢) ظ : « مقارب » .

٤٢ لَمَّا أَظَلَّتْنِي غَمَامُكَ ^(١) أَصْبَحْتَ

تلك الشُّهُودُ على وهى شُهُودى
[ص] يقول : أصبغت إلى قولى ، وتَحَقَّقْتَ أمرى ، فكفَّ أعدائى
فعلُك معى .

٤٣ مَنْ بَعْدَ أَنْ ظَنُّوا بِأَنْ سَيَكُونُ لى

يَوْمٌ بِبَغْيِهِمْ ^(٢) كَيَوْمِ عَبِيدِ
[ع] يُقال : ظنَّ أن سيكون ، وظنَّ بأن سيكون ، وحذفُ الباء
أكثر * و «عبيد» : هو عبيد بن الأبرص الشاعر ، قتله عمرو بن هند .

٤٤ أُمْنِيَّةٌ مَا صَادَقُوا ^(٣) شَيْطَانَهَا

فيها بِعَفْرِيتٍ وَلَا بِمَرِيدِ
يقال : ما صادفتهُ حاضراً ، وما صادفتهُ بِحَاضِرٍ ، فيدخلون الباء إذا كان
فى أوّل الكلام نَقْيَ أو شَيْءٌ يُشَابِهُ النَّقْيَ . و «العَفْرِيت» والعَفْرِية : الذى
أعيا خُبْنًا .
[ص] أى ما تَمَتَّتْ لَهُ هذه الأُمْنِيَّةُ لِأَنَّهُمْ تَمَنَّوْا أُمْنِيَّةَ شَرٍّ وَكَذِبَ ، ولم
تكن وثيقة التأسيس .

٤٥ نَزَعُوا بِسَهْمٍ قَطِيعَةً يَهْفُو بِهِ

رَيْشُ الْعُقُوقِ فَكَانَ غَيْرَ سَدِيدِ
يُقَال : نَزَعَ لَهُ بِسَهْمٍ ، إِذَا رَمَاهُ بِهِ . وَأَصْلُهُ مِنْ نَزَعَ فِى الْقَوْسِ إِذَا
جَذَبَ وَتَرَّهَا ، وَيُسَمَّى السَّهْمُ مَنَزَعًا ، و «تَهْفُو بِهِ» : أى تطير به .

(١) ظ : « ساءوك » .

(٢) ظ : « بسعهم » .

(٣) ب ، ن : « ما صادفت » .

٤٦ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودٍ

٤٧ لَوْلَا اشْتَعَالُ النَّارِ فِيهَا جَاوَرَتْ

مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ

٤٨ لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ

لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

٤٨ - [ع] هذا البيت متعلق بما قبله من ذكره الحسود . يقول : أراد بي الحسادُ شراً ، فصار حسدهم نعمة لهم على ، لأنه أدانى إلى رضاك وعلمك أنهم ظالمون ، وكذلك كل حاسد تنقلب شرته فتصير خيراً للمحسود ، إلا أن الذى يحسد يتخوف من عواقب ما يجزه الحسد ، لأن الطائى كان خائفاً من عاقبة حسدهم الذى حملهم على السعاية به ، فكان الحسد نعمة على المحسود ، إلا أنه قد يجوز أن يجبر هلاكه . قال المرزوقى : يقال : لولا أن عاقبة الحسد مذمومة معيبة ، لكان للحاسد النعمة على المحسود ، لأنه يظهر من فضله ما كان مستورا ، ومن كرمه ما كان خافياً ، ثم إن المحسود متى علم بحسد الحاسد ازداد فى اكتساب المكارم ، وابتناء المعالى ، فكان حسده سبباً له .

٤٩ خُذْهَا مُثَقِّفَةَ الْقَوَافِي رَبُّهَا لِسَوَابِغِ النِّعَمَاءِ غَيْرُ مُكْنُودِ

« مُثَقِّفَةٌ » : مقومة . وأصل الثَّقِيف لما رآته العين كالقناة والصعدة ، ثم استعير للكلام .

٥٠ حَدَّاءُ تَمْلَأُ كُلَّ أُذُنٍ^(١) حِكْمَةً وَبِلَاغَةً وَتُدْرِ كُلَّ وَرِيدِ

[ع] « حَدَّاءُ » خفيفة السير ، من قولهم قَطَاةٌ حَدَّاءٌ ، وقيل هى القصيرة الذنب . أراد أنها تسير فى البلاد ، يقال : قَوَافٍ حَدَّاءٌ ، وعزيمة

(١) ظ : ويروى : « كل قلب » .

حَدَاء : ماضية . وقوله « تَمْلَأُ كُلَّ أذن حِكْمَةً » : يعنى كلَّ أذن سَمِعَتْهَا إِذْ كان لا يمكن أن تَمُرَّ بِأَذَانِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ ، وقد يجوز أن يَسْمَعَهَا مَنْ لا يفهم اللسان العربى ، فتكون عنده كَالْهَذْيَانِ . وقوله « وَتُدْرِ كُلٌّ وَرِيدٍ » : يعنى مَنْ يَحْسُدُهَا أو يُعَانِدُهَا ، وإدراج الوريد : كناية عن الذَّبْح ، وهو من قولهم : هو يَدْرِ العُرُوقَ بِالسَّيْفِ ، أى يَغْقِرُ الإبلَ للضَّيْفَانِ^(١) .

٥١ كَالطَّعْنَةِ النَّجْلَاءِ مِنْ يَدِ نَائِرٍ بِأَخِيهِ أَوْ كَالضَّرْبَةِ الْأَخْدُودِ

[ع] يقول : هذه القصيدة قد اجتهد قائلها فى تجويدها ، لأنه حَنِيقٌ عَلَى الَّذِينَ وَشَّوْا بِهِ ، كما أَنَّ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ — أى الواسعة — يَجْتَهِدُ فِيهَا النَّائِرُ بِأَخِيهِ ، وكذلك الضربة الأخدود ، التى هى كَالشَّقِّ فى الأرض .

٥٢ كَالدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ أَلْفَ نَظْمِهِ بِالشَّدْرِ فى عُنُقِ الْفَتَاةِ الرُّودِ

[ع] أكثر الناس يَذْكُرُ أَنَّ المَرْجَانَ صِغَارُ اللُّؤْلُؤِ . وبعضهم يقول : هو شَيْءٌ أَحْمَرٌ يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ وَيَكُونُ طَوِيلًا . و « الشَّدْرُ » : ما يُصْبَغُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فيُفَصَّلُ بِهِ اللُّؤْلُؤُ . « والرُّود » : الناعمة .

٥٣ كَشَقِيقَةِ الْبُرْدِ الْمُنْمَنِمِ وَشَيْءٍ

فِي أَرْضِ مَهْرَةٍ أَوْ بِلَادِ تَزِيدٍ

[ع] أى كما شَقَّ مِنَ الْبُرْدِ ، ويحتمل أن يكون كَشَقِّ الْبُرْدِ ، لا أَنَّهُ يُرِيدُ نِصْفَهُ ، إِذْ كَانَ اسْتِثْقَا الشُّقَّةِ مِنَ الشَّقِّ . و « مَهْرَةٌ » تسكن فى بلاد اليمن ، والعَصَبُ يُعْمَلُ هُنَاكَ . و « بَنُو تَزِيدٍ » مِنْ قُضَاعَةَ ، وإليهم تُنسَبُ البرود التزيديَّات . و « الْمُنْمَنِمِ » : المنقوش .

(١) قال الصول : « وتدر كل وريد » أى يمتد إليها كل عنق . وقال الخارزنجي فى ظ : من يشدها لجزالة ألفاظها ينتفع وريده .

(٢) س : « فى جيد » ، وفوقها بين السطور : رواية الأصل .

٥٤ يُعْطَى بِهَا^(١) الْبُشْرَى الْكَرِيمُ وَيَخْتَبِي

بِرِدَائِهَا فِي الْمَحْفَلِ الْمَشْهُودِ

[ع] إن رويت «يُعْطَى» على ما لم يُسَمَّ فاعله، فالمعنى: أن الكريم يُعْطَاهَا، لأنها مَوْهَبَةٌ له، يُوَثَّرُ بِهَا مَجْدُهُ وَشَرَفُهُ. وإذا رويت «يعطى» فالمعنى أن الكريم إذا بُشِّرَ بقلوبها أعطى من يُبَشِّرُهُ بشراه، أى عَطِيَّةَ الْبَشَارَةِ.

٥٥ بُشْرَى الْغَنِيِّ أَبِي الْبَنَاتِ تَتَابَعَتْ

بُشْرَاوَهُ بِالْفَارِسِ الْمَوْلُودِ

٥٦ كَرُفَى الْأَسَاوِدِ وَالْأَرَاقِمِ طَالَمَا

نَزَعَتْ حُمَاتِ سَخَائِمِ وَحُقُودِ

«الْأَسَاوِدُ» و «الْأَرَاقِمِ» : مِنَ الْحَيَّاتِ . و «الْأَسَاوِدُ» : جَمْعُ أَسْوَدَ . و «الْأَرَاقِمِ» : جَمْعُ أَرَقَمَ ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ نُقْطَةُ سَوْدٍ . و «حُمَاتِ» : جَمْعُ حُمَةٍ ، وَهُوَ السَّمُّ ، وَيُقَالُ : فَوَعَةَ السَّمَّ^(٢) .

(١) م ، م : « يعطى لها » .

(٢) قال الخازن في ظ : هذه القصيدة في فقهها الكذب والزور المنقول عن ، ونزعه ونزع سخائم هذا المدح من قلبه وشحنائه ، كالرقى التي ترقى بها الحيات ، فتخضع وتلين ، وتذهب سيرة السَّم .

وكان أبو تمام لمّا عمل هذه القصيدة [القصيدة السابقة] حرّص على أن يُسمِعها ابن أبي دُوَادَ ، فتأخّر ذلك ، فكتّبت بهذه الأبيات (١) :

- ١ أأَحْمَدَ إِنَّ الْحَاسِدِينَ حُشُودُ وَإِنْ مَصَابَ الْمُزْنَ (٢) حَيْثُ تُرِيدُ
 - ٢ فَلَا تَبْعُدَنَّ مِنِّي قَرِيبًا فَطَالَمَا طُلِبْتَ فَلَمْ تَبْعُدْ وَأَنْتَ بَعِيدُ
 - ٣ أَصْخَ تَسْتَمْعُ حُرَّ الْقَوَافِي فَإِنَّمَا كَوَاكِبُ إِلَّا أَنَّهُنَّ سُعُودُ
 - ٤ وَلَا تُمْكِنُ الْإِخْلَاقُ مِنْهَا فَإِنَّمَا يَلْدُ لِبَاسُ الْبُرْدِ وَهُوَ جَدِيدُ
- فدعا به واستمعها منه ورضى عنه .

٤ - [ع] : استعمل « اللباس » في معنى المصدر ، والمعروف أن اللباس هو اللبوس ، يُقال : عليه لباسٌ حسنٌ ، وقد يستعرون الأسماء ، فيقيمونها مقامَ المصادر ، ومن أعجب ما رُوي في ذلك بيت أنشده القراء :

فإن كان هذا المَطلُ منك سَجِيَّةً فقد كنتُ في طُولِي رجائيك أشعبا
أى في إطالتي رجاءك .

(١) هذا الخبر منقول عن الصول حدثه به أبو مالك .

(٢) ظ : ويروى : « وإن محل المزن » .

وقال يمدح علي بن الجهم القرشي الشاعر ، وقد جاءه يودعه ليسفر
أرادته ، وكان أصدق الناس له :

١ هي فرقة من صاحب لك ماجد
فقدأ اذابة كل دمع جامد
أول الكامل ، والقافية متدارك .

٢ فافزع إلى ذخري الشئون وغربه^(١)
فالدمع يذهب بغض جهد الجاهد
٢ - هذا ترك لما قال في التي قبلها ورُجوع عنه .

٣ وإذا فقدت أخاً ولم تفقد له
دمعاً ولا صبراً فلست بفاعد

٤ أعلي يا بن الجهم إنك دفت لي
سماً وخمراً في الزلال البارد

٤ - إذا رويت « سماً وخمراً » فالمعنى : أنك سقيتي ودادك فكان
كالخمر بالزلال البارد ، ثم جاء الفراق فكان كالسم . فالمعنى صحيح على هذه
الرواية . [ق] يقول : خلطت مودتك وقربك ببعذك وفراقك ، فكانك جمعت
لي بين ما يُحِبُّني ويُسِمِّني ، ومن روى « جمرأ » بالجم فقد صحف^(٢)

(١) س : « وعونه » - م ، ه ب : « وعذبه »

(٢) س ، م ، ل : « جمرأ » ، وقال الصولي في شرحه : ويروى « خمرأ » وليس بشيء ، وهو
تصحيف ، وإنما يريد خلطت مودتك وقربك ، فكانا جمرأ وسما مع زلال بارد عذب ، وفي ظ : وروى
غيره : « سما وشهدا » . ودفنت : أي أذبت .

٥ لَا تَبْعَدَنَّ أَبَدًا وَلَا تَبْعُدْ (١) فَمَا

أَخْلَاقُكَ الْخُضْرُ الرَّبَا بِأَبَاعِدِ

يقال : بَعُدَ يَبْعُدُ مِنْ بُعْدِ الْمَكَانِ ، وَبَعِدَ يَبْعُدُ فِي مَعْنَى الْهَلَاكِ .
وجعل أخلاقه خُضْرَ الرَّبَا ، لأنه شبهها بالرياض .

٦ إِنْ يُكْدُ مُطَّرَفُ الْإِخَاءِ فَإِنَّنَا

نَغْدُو وَنَسْرَى فِي إِخَاءِ تَالِدِ

أى إن لم يُشمر حَدِيثُ الْإِخَاءِ فَإِنَّ إِخَاءَنَا قَدِيمٌ مُشْمَرٌ .

٧ أَوْ يَخْتَلِفُ مَاءُ الْوِصَالِ فَمَاوَنَّا

عَذِبُ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدِ

٨ أَوْ يَفْتَرِقُ نَسَبٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا

أَدَبُ أَقْمَنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ

٩ لَوْ كُنْتَ طَرْفًا كُنْتَ غَيْرَ مُدَافِعٍ

لِلْأَشْقَرِ الْجَعْدِيِّ أَوْ لِلذَّائِدِ

٩ - [ع] « الْأَشْقَرُ الْجَعْدِيُّ » : فَرَسٌ كَانَ يُعْرَفُ بِأَشْقَرِ مَرْوَانَ . وَهُوَ
مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْسُبَ
الْفَرَسَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ الشَّعْرُ ، فَجَعَلَ الْأَشْقَرَ جَعْدِيًّا . وَكَانَ مَرْوَانُ يُقَالُ
لَهُ : مَرْوَانُ الْجَعْدِيُّ ، نُسِبَ إِلَى الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ الْجَعْدُ مُؤَدِّبَهُ ،
فَقَتَلَهُ يَوْمَ عِيدٍ ، فَقِيلَ لَهُ : مَرْوَانُ الْجَعْدِيُّ . وَيُقَالُ : إِنْ أَشْقَرَهُ كَانَ
مِنْ نَسْلِ الذَّائِدِ ، وَكَانَ الذَّائِدُ فَرَسًا عِنْدَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَأَسَنَّ الذَّائِدُ ،

(١) ل : « إِنْ تَنَأَى أَبَدًا وَلَا تَبْعُدْ » وَرَوَاهَا ظ . وَقَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْفَى : وَالْأَوَّلُ الْمَشْهُورُ .

حتى بان فيه العَجَز والتَّقْصِير . وقوله « الذائد » في هذه القافية من الإلحاء ، لأنها لو كانت على الباء لقال « المذهب » أو نحو ذلك .

١٠ أَوْ قَدَمَتِكَ السَّنُّ خَلْتُ بِأَنَّهُ^(١)

مَنْ لَفْظُكَ اشْتُقَّتْ بِلَاغَةُ خَالِدٍ

يعنى خالد بن صفوان التَّمِيمِي ، وقد كان يُوصَف بالبلاغة ، وحضر بين يَدَي أَبِي العباس السَّفَّاح ، وحديثه مشهور مع أم سَلَمَةَ امرأة أَبِي العباس .

١١ أَوْ كُنْتُ يَوْمًا بِالنُّجُومِ مُصَدِّقًا

لَزَعَمْتُ أَنَّكَ أَنْتَ بِكْرُ عَطَارِدٍ

الْمُنْجَمُونَ يزعمون أَنَّ عَطَارِدًا يَتَوَلَّى الشُّعْرَاء والكتاب^(٢) . يقول : لو كنتُ أَصْدَق بالنُّجُوم لقلتُ إِنَّكَ بِكْرُ عَطَارِد ، أى أَوَّل أولاده ، وبِكْرُ الرجل يَفْضَلُ على مَنْ بعده مِنْ ولده .

١٢ صَعْبٌ فَإِنْ سُومِحْتَ كُنْتَ مُسَامِحًا

سَلَسًا جَرِيرُكَ فِي يَمِينِ الْقَائِدِ

« الجرير » : حَبْلٌ يُضْفَر من أَدَم ، ويكون في عُنُق البعير ، وجعلته سَلَسًا لأنه أَمْلَس لا عَقْدَ فيه ، وذلك أنهم يقولون هو مَضْرُوس الجرير ، إذا كانت فيه كالأضراس من العَقْد ، وكأنهم يستعملون ذلك لإرادة لتذليل البعير ، فيقولون قد انقاد فلان كأنه بعير مَضْرُوس الجرير ، قال الشاعر :

تَبِعْتُ الهَوَى يا طَيْبَ حَتَّى كَأَنَّنِي مِنْ أَجْلِكَ مَضْرُوسُ الْجَرِيرِ قَشُودُ

١٣ أَلْبَسْتُ فَوْقَ بَيَاضِ مَجْدِكَ نَعْمَةً

بَيَضَاءَ حَلَّتْ فِي سَوَادِ الْحَاسِدِ

(المرزوقي) : يجوز أن يكون في شخص الحاسد ، لأن سواد كل شيء

(١) س : « قلت بأنه » .

(٢) قال الصول : إن المنجمين يقولون : من تولاه عطاردا كان بليغا .

شخصه ، أى أنها تتلفه ، إذ صارت غصّة في صدره ، ويجوز أن يكون أراد سويداء قلبه ، والمعنى : أن ذلك صار كمدّ في قلبه . ويروى « تُسرّع في سواد الحاسد » ^(١) . ويروى « تُسرّع في يمين الحاسد » أى في قوّة الحاسد ، من قوله :

• تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ ^(٢) •

١٤ ومودّة لا زهدت في راغب

يوماً ولا هي رغبَت في زاهدٍ

يقول : الناس يودّونك كأنك ألبست المودّة ، وتلك الخلّة التي ظهرت منهم لا تزهدك في مودّتهم .

١٥ غنائك ليس بمنكرٍ أن يغتدي

في روضها الراعى أمام الرائد

(المرزوقي) : أى مودّتك خِصيّة نَصرة ، لا يُنكر - لاشتهار أمرها - أن يتقدّم الراعى على الرائد فيها ، لأنّ الرائد هو الذى يتقدّم القوم فيطلب الماء والمرعى لهم ، وإنما يُحتاج إليه إذا التبس الأمر في ذلك ، فيقول : مودّتك أشهر من أن يكون الراعى لروضتها يحتاج إلى رائد . أى أنك تُسرّع التفضّل على من يودّك ، فودّتك مثل الروضة يرهاها الراعى قبل أن يرودها الرائد ، أى أنت قريب ممن يُريدك .

١٦ ما أدعى لك جانباً من سُوددٍ

إلا وأنت عليه أعدل شاهد

(١) هى رواية الصولى ، وقال : ويروى : « تسرع في يمين الحاسد » .

(٢) هذا عجز بيت للشماخ ، وهو :

إذا ما راية رفعت المجد تلقاها عرابة باليمين

وقال يمدحُ خالدَ بنَ يزيدَ بنِ مَرْزُوقِ الشَّيبَانِي :

١ طَلَلَ الْجَمِيعَ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا
وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بِذَاكَ شَهِيدًا

الثاني من الكامل ، والقافية متواتر .

[خ] أى عَفَوْتَ محموداً لما كنتَ نَجْدَهُ مِمَّنْ كان يَسْكُنُكَ من المساعدة ،
وَكَفَى عَلَى رُزْئِي شاهدًا بعَفْوِكَ ، أى عَفْوِكَ يَكْفَى من أن أَسْتَشْهَدَ عَلَى رُزْئِي
فِيكَ بفراقِ أَهْلِكَ . [ق] أى إذا أَثَّرَ هذا الأثرُ (١) فى الجُمادِ الذى لا يَعْقِلُ
ولا يُمَيِّزُ ، فكيف تأثيرُهُ فى معِ عِلْمِي وتُمَيِّيزِي ؟ ! وموضع « بذاك » رَفَعَ بفعله ،
والباء دخلت للتأكيد (٢) .

(١) فى كتاب المرزوقى : « هذا الأمر » ، وفى أصول التبريزى وفى ظ : « هذا الأثر » .
(٢) قال الصولى فى شرحه : يقول شدة رُزْئِي ، أى وجدى ومصيبتى ، تدل على أنك عَفَوْتَ عن
حمد منى لك .
وذكر المرزوقى ما قاله الصولى ثم قال : إنما استشهد أبو تمام على رزئه بحال الطلل ، فعكسه هذا .
المفسر ، ولم يعرف المراد . والمعنى : درست أيها الطلل وأنت محمود ، لأنك من أجل من فارقك حقيق بالدروس
ثم قال : « وكفى بذاك » أى بما رُؤى من تغير حال الطلل شهيداً على رُزْئِي . ثم ذكر المرزوقى بعد ذلك
ما أورده التبريزى هنا من كلامه وقال : وقال أبو تمام على هذا المعنى حين قال :
قد أقسم الربيع أن البين فاضحه . إن لم تحل به عقروا من جعفر .
وقال من أخرى :

لو قيل ما كان مزوراً بها إذا لسر الربيع بالربيع

وقد شرحنا نظائر هذا البيت فى المشكلات .

وذكر ابن المستوفى ما قاله الأمدى فى فقد هذا البيت (الموازنة ص ٨٩) . قال الأمدى : ووجه
الكلام أن يكون : وكفى رُزْئِي شاهدًا على أنه مضى حميداً لأن حمد أمر الطلل قد مضى ولين بشاهد ولا
معلوم ، ورزؤه بما ظهر من تفجعه شاهد معلوم ، فلأن يكون الحاضر شاهدًا على الغائب أولى من أن
يكون الغائب شاهدًا على الحاضر . . . إلخ .

وقال ابن المستوفى أيضاً : ونقلت عن خط أبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان فى كتابه « سر
القصة » عند قوله « ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون الكلام مقلوباً ، فيفسد المعنى ، ويصرف
عن وجهه » ، وذكر لذلك أمثلة ، وقال : على هذا حمل أبو القاسم الأمدى قول الطائي الكبير (وذكر
البيت) . ثم قال : فإذا كان أبو تمام على عادته فى صناعة الشعر أراد أن يقيم حال الطلل شاهدًا على =

٢ دِمْنٌ كَأَنَّ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالِباً

دِمْناً لَدَى آرَامِهَا وَحُقُوداً

«الدِّمْن» الأول : جمع دِمْنَةٍ ، وهي آثار القوم في الديار ، ثم يُسَمَّى المنزل دِمْنَةً لكون الدِمْنَةِ فيه . و «الدِّمْن» الثاني : جمع دِمْنَةٍ ، وهي الحُقُود وبقيته في القلب ، وعَنَتِي «بالآرام» النساء ، شبهها بالطباء البيض . يقول : كأنَّ الفراق طلب عند طباء هذه الدِّمْنِ آثاراً .

٣ قَرَّبْتُ تَارِخَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَوَى

وَتَرَكْتُ شَأْوَ الدَّمْعِ فَيْكَ بَعِيداً

[ص] يخاطب الفراق ، يقول : قَرَّبْتُ إِلَى الْجَوَى قُلُوباً كَانَتْ بَعِيدَةً مِنْهُ ، وَتَرَكْتُ شَأْوَ الدَّمْعِ أَيْ طَلَقَهُ بَعِيداً^(١) .

٤ خَصِيلاً إِذَا الْعَبْرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا

وَطَناً سَرَى قَلْقَ الْمَحَلِّ طَرِيداً

أى لا يتركه الحزن أن يَفْرَحَ . [ص] يقول : إِذَا كَانَتِ الْعَبْرَاتُ لَا تَبْرَحُ ، أى لا تزول عن أوطانها ، وهى العيون ، فَإِنَّ دَمْعِي عَلَى مَنْ ذَكَرْتُ يَسْرَى قَلْقَ الْمَحَلِّ ، أى يَتَحَدَّرُ وَلَا يَسْقَى فِي مَحَلِّهِ ، وَيَفِضُ كَأَنَّهُ طَرِيدٌ . و «خَصِيلاً» أى رَطْباً .

سأله فليس هناك في الكلام قلب . وذكر ابن سنان البيتين الآنفين اللذين وردا في كلام المَرْزُوقِ مستشهد بهما على أن الكلام ليس فيه قلب . وانظر كلام ابن سنان الحفاسي هذا في كتابه «سر الفصاحة» طبعة الخانجي بمصر سنة ١٣٥٠ ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(١) في ظ : قال الخارزنجي : يخاطب طلل الحى الجميع ، يقول : يَا طَلَلُ الْحَى الْجَمِيعِ ، لِمَا عَفَوْتَ وَبَلِيتَ قَرَبْتَ مِنَ الْجَوَى وَالْحَزْنَ الْقُلُوبَ النَّازِحَةَ . . . وقال ابن المستوفى : وفي النسخة المعجمة يخاطب الطلل .

٥ أَمَوَاقِفَ الْفَتَيَانِ تَطْوِي لَمْ تَزُرْ

شَرَفًا ^(١) وَلَمْ تَنْدُبْ لَهْنٌ صَعِيدًا؟!

ويروي : « الفَتَيَاتِ » ، ويروي : « لم تَزُرْ » ، و « لم تَنْدُبْ » .
و « تَطْوِي » : أى تَمَرَّ فيها ، و « شَرَفًا » : أى مُرْتَفَعًا .

٦ أَذْكَرْنَا الْمَلِكَ الْمُضِلَّ فِي الْهَوَى

وَالْأَغْشِيَيْنِ وَطَرْفَةً وَلَيْدًا ^(٢)

يعنى « بالملك المضلل » امرأ القيس . و « الأغشيان » : أعشى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وأعشى باهلة ، وهو من قيس عيلان . وأكثر الرواية و « طَرْفَةً » يعنى طَرْفَةً بن العَبْد ، والرواية كالأصمعي وغيره يقولون « طَرْفَةً » بتحريك الراء ، يجعلونه مُسَمًى بالواحدة من الطرَفَاء ، ولا ينبغى أن يُحْمَل على أن الطائي سَكَنَ الراء ، إذ كان ذلك مستنكرًا ، لأنهم لا يقولون في شَجَرَةٍ شَجْرَةٌ ، ولا في حَجَرٍ حَجَرٌ ، لأن تسكين الفتحه عندهم مرفوض ، وإنما يُسَكِّنُونَ الضمة والكسرة فيقولون في عَصْبُد : عَصْبُد ، وفي نَمَر : نَمَر . وذكر بعض الناس أن اسم طَرْفَةَ بن العَبْد : عمرو ، وأنه سُمًى بقوله :

لَا تَعْبُدُ لِي فِي الْيَوْمِ مَطْرَفًا وَلَا أُنَا عَوْلَةً فِي الدَّارِ أَنْ يَقِفَا
فَكَانَ الطَّائِي جَعَلَهُ مُسَمًى بِطَرْفَةٍ مِنْ « طَرْفَتِ عَيْشُهُ » . وقد استعمله
البحرئى بتسكين الراء ، فهذا يدل على أن أبا تمام قاله كذلك ، لأن البحرئى

(١) س : « شوقًا » ، وقال ابن المستوفى : قال أبو القاسم الأدمي : ورأيت في نسخة « أَمَوَاقِفَ الْفَتَيَانِ تَطْوِي لَمْ تَزُرْ شَوْقًا » ، والأول أصح ، أى تطويها ولم تزر حزنًا منها ولا سهلاً ، لأنه جعل « الشرف » ما علا وعُشِن ، وجعل « الصعيد » ما انحدر وسهل ، أى لم تزر منها شيئاً . ورواية الصولي : « تطوى لم تزر شرفًا » ، وقال : ويروي : « تطوى لم تزر شوقًا ولم تندب » .

(٢) فوالأصل نسخ التبريزي « وجرولاً وليدًا » غير أن الشرح يدل على تفصيله لرواية « وطرفة » ، ورواية الصولي : « وبالكا وليدًا » ثم قال : ويروي « وجارثًا وبيدًا » ، ورواية « وطرفة » وبها شها : ويروي « وبالكا وليدًا » و « جرولاً وليدًا » وقال ابن المستوفى : ورواية « وطرفة وليدًا » هي أكثر الرواية .

بأنه قد ورد في نسخة « وجرولاً وليدًا » ، وهو الأرجح .

كان يتبعه في كل طَرَفه ، وذلك قوله :
وكذا طَرَفَةٌ حِينَ أَوْجَسَ ضَرْبَةً في الرأسِ هان عليه قَطْعُ الأكحلِ
أى ذكرتنا هؤلاء الذين كانوا يصفون مثلها من المواقف البالية .

ومن روى « جَرَوْلًا » وليبدا ، فقد خلص من هذه الشبهة ، وكذلك روى
قول البحرى :

وكذا عبيدٌ حين أوجس . (البيت)

٧ حُلُّوا بِهَا عُقْدَ النَّسِيبِ وَنَمَنُوا

من وشيها حُلًّا لها وقصيدًا
ويروى « نثرًا لنا وقصيدًا » ويروى « رَجَزًا لنا وقصيدًا ^(١) » . و « نمنوا » :
أى زخرفوا .

٨ رَاحَتْ غَوَانِي الْحَيِّ عَنْكَ غَوَانِيًا

يَلْبَسُنْ نَأْيًا تَارَةً وَصُدُودًا

« الغانية » : هى الشَّابَّة التى قد غَنَّت بحسنها عن الحلى ، وقيل : التى
غَنَّت بجمال أبيها عن الأزواج ، وقيل : هى مَنْ غَنَّت فى بيت أبيها إذا أقامت ،
يقال : غَنَّتْنا بالمتزل ، إذا أقمتنا به ، وكثر ذلك حتى قالوا : غَنَّتْ دَارُهُمْ
تَهامة ، ونحو ذلك ، قال الشاعر ^(٢) :

غَنَّتْ دَارُنَا تَهَامَةً فى الدَّهْرِ وفيها بنو معدٍ حُلُولًا

وقيل : الغانية : التى غَنَّت بزوجها عن الرجال . والأصل فى ذلك كله من
غَنَّت عن الشيء إذا استغنت عنه ، إلا أنهم صاروا يكتون بالغوانى عن النساء
التي يرغب فيهن الرجال .

(١) هى رواية الصولى ، وقال : ويروى « نثراً لنا وقصيداً » ، وذكر رواية الأصل . س :
« من وشيها رَجَزاً لها وقصيداً » وبهاشبا رواية الأصل .

(٢) البيت للمهلل بن ربيعة يذكر لاجتماع ولد معد فى دارهم تَهامة وما وقع بينهم من الحرب .
اللسان مادة « غى » ومعهم ما استعجم المقدمة ١ : ١٩ وفى صفة جزيرة العرب للهمداني : « عمرت » .

٩ من كل سَابِغَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ

تَرَكَتْ عَمِيدَ الْقَرِيَتَيْنِ عَمِيدَا

[ع] «سَابِغَةُ الشَّبَابِ» : أى قد جَرَى شَبَابُهَا فى جميع جسدِها ، ولمَّا كَانَ الشَّبَابُ يُسْتَعَارُ لَهُ البُرْدُ والقَمِيصُ والرِّدَاءُ استعارَ لَهُ السَّبُوغُ . و «عَمِيدُ الْقَرِيَتَيْنِ» : رَئِيسُهُمَا . و «عَمِيدَا» : من قولك عَمِدَهُ الحُبُّ إِذَا ذَهَبَ بقلبه . ولَمَّا بَنَى الطَّائِي هَذَا الكَلَامَ عَلَى الآيَةِ وهى قوله عزَّ وجلَّ : (وقالوا لولا نَزَّلَ هَذَا القرآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيَتَيْنِ عَظِيمٍ) . وقد اسْتَعْمَلُوا فى صدر الإسلام نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : لَيْسَ فُلَانٌ بِعَظِيمِ الْقَرِيَتَيْنِ ، أَى لَيْسَ هُوَ بِرَئِيسٍ ، وَانَّمَا أَخَذَ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى مَا مَضَى ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ عَسَى بِالرَّجُلِ الْعَظِيمِ مِنَ الْقَرِيَتَيْنِ حَبِيبَ بَنِ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ ، أَوِ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ الْخَزَوِجِيَّ ، وَقِيلَ بِلِ الثَّقَفِيِّ عُرُوءَةٌ ابْنِ مَسْعُودٍ . و «الْقَرِيَتَانِ» : مَكَّةُ وَالطَّائِفُ .

١٠ أُولِغْنِ بِالْمُرْدِ الْغَطَارِفِ بُدْنًا

غِيدًا أَلْفَنَهُمْ لَدَانًا غِيدَا

[ع] : إِذَا رُوِيَ «لُدْنًا» فَهُوَ جَمْعُ لَادَنَةٍ ، وَذَلِكَ لَفْظٌ لَا يُسْتَعْمَلُ ، وَانَّمَا يُقَالُ : غَضَّ لُدْنٌ ، وَشَبَابٌ لُدْنٌ ، وَهُوَ النَّاعِمُ الْمُتَعَطِفُ . وَيُقَالُ : تَلَدَّنَتِ النِّسَاءُ فى الدَّارِ إِذَا تَأَخَّرَتْ فِيهَا بَعْدَ تَرَحُّلِ الْقَوْمِ ، وَهُوَ مَاخُذٌ مِنَ التَّعَطُّفِ ، قَالَ كُشَيْرٌ (١) :

تَلَدَّنَ حَتَّى قَلْتُ لِسْنِ بَوَارِحًا مِنْ الدَّارِ وَاسْتَقْلَلَنْ بَعْدَ طَوِيلِ

وَإِذَا رُوِيَ «بُدْنًا لُدْنًا» فَهُوَ أَعْرَفٌ ، لِأَن قَوْلَهُ : امْرَأَةٌ بَادَنٌ ، كَلَامٌ

(١) البيت الذى رواه التبريزى مركب من شطرى بيتين فى الديوان ، وهما :

تأطرن حتى قلت لسن بوارحا رجاء الأمانى أن يقلن مقيل

فلأيا بلأى ما قضين لبانة من الدار واستقلن بعد طویل

افظر الديوان ٢ : ٢٥٠ البيتين رقم ٣٠ ، ٣٢ .

معروف ، ويكون « لُدُنَّا » جمع لَدُنْ وَلِدْنَة ، كما يقال : رَهْنٌ وَرُهْنٌ ،
وَفَرَسٌ وَرَدٌّ ، وَخَيْلٌ وَرَدٌ ، وَيُرَوَّى : « أَرَبِينَ » (١) .

١١ أَحَلَّى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعًا
مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُدُودًا (٢)

١٢ فَاطْلُبْ هُدُوءًا بِالنَّقْلِ قَلِيلٍ وَاسْتَشِرْ
بِالْعَيْسِ مَنْ تَحْتَ السُّهَادِ هُجُودًا

أى اطلب بالحركة فى الأسفار سُكُونًا وَدَعَةً فيما بعد ، وبالأرق نومًا .
[ق] وقوله « بالعيس » : أى بركوب العيس . و « من تحت السُّهاد » : أى
من تحت الصبر على السُّهاد (٣) .

(١) هى الرواية عند الصولى . وقال فى شرحه : يقول زدن على المرد الذين ألفهم لداناً غيدا ...
وهى كذلك رواية س ، ظ ، وفى هـ س : ويروى « أردين » . وفى هـ م : « أبدلن » . وجاء فى ظ :
روى الحارزنجى « أربين » وقال : أى لازمن المرد من الفتية . . . وقال المرتضى : قوله « أربين بالمرد »
من أرب بالشئ إذا لزمه فأقام عليه ، يقال : أرب وألب بالمكان إذا أقام عليه ، ورواه قوم « أربين
بالمرد » من الربا الذى معناه الزيادة ، يقال : قد أربى الرجل إذا ازداد ، فيقول : أربين بالمرد إذا ازداد
عليهم .

(٢) قال المرتضى فى ظ : يقال إنه أخذ قوله « أحلى الرجال من النساء مَوَاقِعًا » البيت من قول
الأعشى :

وأرى الغواف لا يواصلن الذى فقد الشباب وقد يصلن الأمرار
ولمنصور النمى مثله :

كرهن من الشيب الذى لو رأيته بهن رأيت الطرف منهن أزورا
رفحوه قول الآخر :

أرى شيب الرجال من الغواف كوقع شيبهن من الرجال
(٣) فى كتاب المَرْزُوقِ وفى ظ نقلا عنه : وهو مثل قوله فى أخرى .

• أرى العفو لا يمتاح إلا من الجهد • وقال ابن المستوفى فى الحاشية : « استشر » أى استخرج ،
وقريب منه قوله (أى قول من قال) :

جئت طليحا راكبا طليحا
تعبت فى السير لأستريحها

١٣ من كل مُعْطِيَةٍ عَلَى عِلَلِ السَّرَى

وَحَسَدًا يَبِيتُ النُّومُ مِنْهُ شَرِيدًا

« عِلَلِ السَّرَى » يعنى إسرائاً بعد إسرائ ، أخذه من عِلَلِ الشَّرْبِ . [ص]
وَمِنْ رَوَى « عَلَى عِلَلِ السَّرَى » أى ما يُحْدِثُهُ السَّرَى مِنْ هُزَالِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ .

١٤ تَخْدَى بِمُنْصَلَتٍ يَظَلُّ إِذَا وَنَى

ضُرْبَاوَهُ حِلْسًا لَهَا وَقُتُودًا

« الْمُنْصَلَتِ » : الْمَاضِى فِي الْأَمْرِ . يَقُولُ : هَذَا الرَّجُلُ قَدْ أَلْفَ ظُهُورَ الْعَيْسِ فَكَأَنَّهُ قُتُودٌ لَهَا ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : بَنُو فَلَانٍ أَحْلَاسُ الْخَيْلِ .
و « ضُرْبَاوَهُ » : نَظَرَاوَهُ .

١٥ جَعَلَ الدُّجَى جَمَلًا وَودَّعَ رَاضِيًا

بِالْهُونِ يَتَّخِذُ الْقُعُودَ قَعُودًا

[ق] « رَاضِيًا » : انْتَصَبَ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ امْتَنَى اللَّيْلَ ، وَخَلَّفَ مَنْ كَانَ يَرْضَى بِالْهُوَانِ وَيُلْزِمُ بَيْتَهُ ، وَلَا يَسْعَى فِي كَسْبِ الْمَالِ وَتَحْصِيلِهِ ، بَلِ اتَّخَذَ جُلُوسَهُ قَعُودًا لَهُ ، أَيْ اقْتَعَدَهُ وَرَضِيَ بِهِ مَرْكَبًا . وَ « الْقُعُودُ » : مَا يُقْتَعَدُ مِنَ الْإِبِلِ ، أَيْ مَا يُرْكَبُ ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ ^(١) ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا كَانَ فِي السَّنِ قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالرَّكُوبِ .

١٦ طَلَبَتْ رَبِيعَ رَبِيعَةَ الْمُمَهِّيَ لَهَا

فَوَرَدَنَ ظِلَّ رَبِيعَةَ الْمَمْدُودَا ^(٢)

وَيُرْوَى « فَتَفَيَّاتٌ ظِلًّا لَهُ مَمْدُودَا » . وَلَمَّا كَانَ الرَّبِيعُ مِنَ الْأَزْمَةِ يُحْمَدُ

(١) يبدأ من هنا خرم في نسخة ب ، ن ، ويستمر إلى البيت ٣٣ من هذه القصيدة .

(٢) رواية الصول : « فَتَفَيَّاتٌ ظِلًّا لَهَا مَمْدُودَا » ، وهى الرواية فى س ، ورواية الخارزنجى : « فوردن ظل ربيعة المهدودا » ، وفسرها بالمهد لها الموطأ للطالبيين المتتبعين .

على كل حال - إن كان الربيع الأول - أو الثاني - جعل المملوح ربيعاً .
والأحسن أن تكون الإضافة هاهنا على معنى « من » . لأنها إذا كانت بمعنى اللام
جاز أن يتوهم السامع أنه ربيع لربيعه دون غيرها من القبائل . و « الممنهى
لها » أى المحسن الكثير الماء ، ويجوز أن يكون من قولهم أمهيتُ الفرس إذا
طولت له فى الرسن^(١) . ويحتمل أن يروى « ظل ربيعة » على الإضافة
إلى الماء ، ولا يمتنع « ربيعة » على اسم القبيلة .

١٧ بكرِها علويها صغبيها إل حصنى شيبانيها الصنديدا

١٨ ذهليها مريها مطريها يُمنى يديها خالد بن يزيدا

١٨ - نَسَب المملوح إلى هذه القبائل وهى على ما ثَبَتَتْ . وفى النسخ
تقديم وتأخير فى النسب ، وصناعة الشعر يجب فيها ذلك ، لأن هذا المملوح من
بنى مَطَر . ومَطَر أدنى هؤلاء الآباء إليه ، فينبغى أن يروى « بكرِها علويها
صغبيها » ، وكذلك ينبغى أن يروى « ذهليها مريها مطريها » لأن بنى
مَطَر رَهْط هذا المملوح من مُرَّة بن ذُهَل بن شيبان بن ثعلبة ، وثعلبة هو
الذى يُلَقَّب الحِصْن بن عَكابة بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل . وإذا
نُسب الرجل وكان نَسَبُه مشهوراً فَبَدِئَ بالأب الأقرب ، ثم جِئَ بعده
بالأب الأكبر، كان ذلك كالفَضْلَة من الكلام الذى لا يُحتاج إليه ؛ وإذا ذُكر
الأب الأكبر ثم تلى بمن بعده كان ذلك مفيداً للسامع ، مُبيناً عن المنسوب ؛
وتمثيل ذلك أن يقول الرجل لرجل من ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه : هو
رجل علكوى ، ثم يقول : مُطَلَّبى هاشمى قرشى ، والسامع قد استغنى بعلوى
عن ذكره هذه الأسماء ، لأنك بدأت بالجَدِّ الأقرب وهو مشهور ، وقد أغنى
عن ذكره من بعده . وإذا قلت فلان قرشى فقد أفدت السامع أنه من قریش ،
فإذا قلت إنه هاشمى فقد زدته فى الفائدة ، لأنه يجوز أن يكون من غير بنى
هاشم ، ثم على هذا الترتيب .

(١) قال ابن المستوفى : وإذا روى الممهى (بفتح الهاء) كان من أمهيت الحبل : إذا أرغيته .

١٩ نَسَبٌ ^(١) كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى

نورًا وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودًا

٢٠ عُرْيَانُ لَا يَكْبُؤُ ^(٢) دَلِيلٌ مِنْ عَمَى

فِيهِ وَلَا يَبْنَى ^(٣) عَلَيْهِ شُهُودًا

٢٠ - جعل النسب عريانًا لأنه لا يستر بشيء لشهرة الآباء ، ولذلك

قالوا : هو كعريان النجوم ، أى كالنجم الذى لا يستره غيم ، قال الشاعر :

وإني كفاني الذمَّ جندٌ مُهذَّبٌ وخَالٌ كعريانِ النجوم رفيعٌ

وترك صرف عريان للضرورة ، كأنهم شبهوه بالصفات على فعْلان ، إذ

كان في عِدتها من الحروف والحركات ، وإنما يخالفها بالضمّة .

٢١ شَرَفٌ عَلَى أَوَّلَى الزَّمانِ وَإِنَّمَا

خَلَقُ الْمَناسِبِ أَنْ يَكُونَ ^(٤) جَدِيدًا

لأن ما كان حديثًا جديدًا كان خَلَقًا لا يُتفكر فيه .

٢٢ لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ نَبْعَةِ نَجْدِيَّةٍ

عَلَوِيَّةٍ لَطَنَنْتُ عُدُوكَ عُدَا

(ع) : « نجدية » : نسبة إلى نجد ، لأن آباءه كانوا يتحلون

(١) س : « نسباً » وهى رواية الخارزنجى فى ظ ، وقال : نصب « نسباً » لأنه لما قال « ذهلها

مر بها مطريها » صار المعنى كأنه قال : المنتسب إليهم نسباً ، فنصبه على المصدر بهذا المعنى ، ولو رفع على إضمار الابتداء جاز ، كأنه قال : هذا نسب ، أو الذى ذكرت ونسبت نسب هذه حالة .

(٢) رواية الخارزنجى فى ظ « لا تحبو دليلاً » ، وفسرها بقوله : أى لا تحتاج أن تحبو حايه

من يدلك عليه وترشوه .

(٣) م ، ل ، س : « ولا تبني » .

(٤) م ، ل ، س ، ظ « ما يكون جديداً » ، وهى رواية الخارزنجى فى ظ ، وقال ابن المستوفى :

وروى غيره : « أن يكون جديداً » .

بها . وعلوية : يعنى من على بن بكر بن وائل . وقوله « لظننتُ عودك عودا » : أصل العودين واحد ، وإنما فترق بينهما كثرة الاستعمال ، لأنهم يريدون هذا عود طيب ، فيحذفون « طيبا » ، فصار ذلك كالاسم المحالف لهذا اللفظ ، فكانه قال : لظننتُ عودك قُطُورًا أو ألُورَةً أو يَلَسَنُجُوجًا ، أو غير ذلك من أسماء العود . وقال المرزوقي : لولا أنى أعرف أصلك ، وأنه من عتقه كالنبيع فى الأشجار - وهو شجر يتخذ منه القسي ، وجعله نجدياً لأنه إذا كان منبته الجبال والمضاب كان أصدق وأصلب - لظننتُ أصلك من طيبه العود الذى يتبخّر به .

٢٣ مَطَرُ أَبُوكَ أَبُو أَهْلَةٍ وَائِلٍ
مَلَأَ الْبَسِيطَةَ عُدَّةً وَعَدِيدًا

أى أبوك كأنه أبو أهلة فى شرفهم .

٢٤ أَكْفَاءُهُ تَلِدُ الرُّجَالَ وَإِنَّمَا

وَلَدَ الْحُتُوفُ أَسَاوِدًا وَأُسُودًا

يقول : الرجال تلد رجالاً مثلها ، وجعل رَهْطَ الممدوح حُتُوفًا يلدون أساوِدَ وأُسُودًا ، وهذا فن من المدح خُصَّ به هؤلاء الناس دون غيرهم لأنه جعلهم حُتُوفًا ، وإنما يريد أنهم حُتُوفُ الأعداء دون غيرهم ^(١) .

٢٥ رُبْدًا وَمَأْسَدَةً عَلَى أَكْتَادِهَا

لِبَدٍّ تَخَالُ فَلِيلَهُنَّ لُبُودًا

وقوله « رُبْدًا » جعله بدلًا من « أسود » ، لأن الأربد من صفة الحية لا من صفة الأسد ^(٢) . و « مأسدة » : أراد بها جماعة الأسد ، وحقيقتها أن

(١) قال ابن المستوفى : وفى نسخة « ولد الحتوف » بنصب الفاء ، ويعود الضمير فى « ولد » إلى الهاء فى « أكفاء » ، ونصبه بالمفعول له ، وأبدل « أسود » و « أسود » منه . وهى رواية من .

(٢) فسر الصولي « الربد » بالعواشى ، قال : أى هم دواء ، وهم مأسدة . وفى ظ : « ربدًا بمأسدة » ، وفيها « يخال فليلهن » .

تكون الموضع الذى فيه الأسد ، كما يقال أرض مَسْبُعة ، أى ذات سباع ، ثم
جَعَلَ سَاكِنَ الموضع يُسَمَّى باسمه^(١) . و « الفليل » : الشعر المجتمع ، واحده
فَلِيلَة .

٢٦ وَرِدُّوا الْأَبُوَّةَ وَالْحُظُوظَ فَأَصْبَحُوا

جَمَعُوا جُدُودًا فِي الْعُلَى وَجُدُودًا

« الجُدُود » الأول : آباء الآباء ، والثانى : الحظوظ . [ق] يقول : حصل
لهؤلاء القوم ورائة شرف النسب ومساعدة القَدَر ، فأصبحوا قد جمعوا آباءً
أشرافاً وحظوظاً ضخاماً .

٢٧ وَقُرُّ النُّفُوسِ إِذَا كَوَاكِبُ قَعَضَبٍ

أَرْدَيْنَ عَفْرِيَتَ الْوَعَى الْمَرِيدَا

[ص] « قَعَضَب » رجل كان يعمل الأسنّة فى الجاهلية ، وقد ذكره
امرؤ القيس فى شعره^(٢) .

٢٨ زُهْرًا إِذَا طَلَعَتْ عَلَى حُجُبِ الْكُلَى

نَحَسَتْ وَإِنْ غَابَتْ تَكُونُ سُعُودَا

٢٧ ، ٢٨ - (المرزوقى) : « الوُقُر » جمع وَقُور ، وصفهم بالرزانة
وسكون الجأش فى الحرب . وأراد بـ « كواكب قَعَضَب » الأسنّة تُهلك بهم
الحرب وشياطينها . و « الزُّهْر » : البيض تلمع ، إذا طَلَعَتْ على الأكباد
والكلّى ثم لم تَنفذ فيها فقد لاقت نَحْسًا ، لأنها قد أخطأت ، وإن نَفَدَتْ

(١) قال الخارزنجى : « المأسدة » : أراد الأسود ، كما يقال مشيخة للشيخ .

(٢) تكلّة الكلام من شرح الصولى : قال امرؤ القيس :

[وَأَوْتَادُهُ مَازِيَّةٌ وَعِمَادُهُ رُدَيْنِيَّةٌ فِيهَا أَسْنَةُ قَعَضَبٍ

ولم يدر قوم كانوا يدعون العلوم ولا يرضون أحدا ، فرووا : « إذا الكواكب أقصدت » .

فيها وغابت فقد لاقت سَعْدًا ، لأنها أصابت ^(١) .

٢٩ ما إِنْ تَرَى إِلَّا رَئِيسًا مُقْصِدًا

تَحْتَ الْعَجَاجِ وَعَامِلًا مَقْصُودًا

(ق) : يَصِفُ المعركة . و « الْمُقْصِدُ » : المقتول ، رماه فأقْصَدَهُ : إذا قتله مكانه ، « والمقصود » المكسور . و « العامل من الرمح » : ما دون السَّنان بقدر ذراع . يقول : لا تَرَى في هذا المزدحم إِلَّا رَئِيسًا مقتولاً تُرك تحت غبار الحرب ، ورمحاً مكسوراً تُرك في المطعون ، ويحمد من الطعن ما يُكسِر له الرمح ^(٢) . ويروى : « ما إِنْ تَرَى إِلَّا بِئِيسًا » ^(٣) .

٣٠ فَرَعُوا إِلَى الْحَلَقِ الْمُضَاعَفِ وَارْتَدَوْا

فِيهَا حَدِيدًا فِي الشُّنُونِ حَدِيدًا

هو مثل قوله : « لَطَنْتُ عُودَكَ عُودًا » ، لأن هذا الجوهر الذي يسمَّى الحديد ، إنما قيل له ذلك لحدته ، وقد يجوز أن يجعل « الحديد » الأول من الامتناع ، والثاني من المضاء . و « الحلق المضاعف » : الدروع .

٣١ وَمَشَوْا أَمَامَ أَبِي يَزِيدَ وَخَلْفَهُ

مَشْيًا يَهْدُ الرِّاسِيَّاتِ وَثِيدًا

« أبو يزيد » : كنية خالد بن يزيد . و « الوئيد » : الذي يُسمع له صوت لثقله .

(١) قال الحارثي في ظ : هذه الأسماء ، التي كأنها كواكب زهر ، إذا باشرت الكل في حجبها من الخوف ، وظلمت عليها وأصابها صارت نحساً عليها ، وإن غابت عنها ولم تصبها فهي سعد لها .

(٢) قال المرزوقي في كتابه : ويسمى الإجرار ، قال :

• أجسره الرمح ولا تهاله •

(٣) « البئيس » : الشجاع ، كما ذكره المرزوقي .

٣٢ يَغْشَوْنَ أَسْفَحَهُمْ مَذَانِبَ طَعْنَةٍ

سَيْحٍ^(١) وَأَشْنَعَ ضَرْبَةٍ أَخْلُودًا

[ق] أراد أن قومه يَغْشَوْنَ هذا المملوح ، وهو أصبَّهَم مسایل طعنة ، أى أوسَعَهُمْ طَعْنًا ، وجعل للطعنة مسایل لكثرة خروج الدم منه . و « السَّيْحُ » : الماء الذى يجرى على وجه الأرض . وتخفِضُ « سَيْحٌ » بجعله صفةً للطعنة ، وإن شئتَ نصبتَه على تقدير يَسِيحُ سَيْحًا ، والأحسنُ خَفَضُ « ضَرْبَةٍ » ، لأنه عَطَفَهُ على قوله « أسفحهم » ، فوجب أن يكون على تقدير قولك . وأشنعهم ضربةً ، ولا يمكن ذلك إلا فى المعنى ، والنصب جائز ، ولكن هذا الوجه أئين وأحسن ، وإنما قبح النصب لأجل حذف المضاف ، كما قَبِحُ فى قولك مررتُ بأشرف القوم وأحسن وجهًا ، وأنت تريد وأحسنهم وجهًا^(٢) .

٣٣ مَا إِنْ تَرَى الْأَخْسَابَ بَيْضًا وَضَحًا

إِلَّا بِحَيْثُ تَرَى الْمَنَائِبَا سُودًا

[ع] أى مَنْ لَمْ يَصْبِرْ فى معركة الأبطال لم يُدَكَّر .

٣٤ لَبِيسٌ^(٣) الشَّجَاعَةُ إِنَّهَا كَانَتْ لَهُ

قَدْماً نَشُوعًا فى الصُّبَا وَلَدُودًا

« النشوغ » مثل السعوط ، نشغْتُ الصبي نشغًا .

(١) س : « سفحا » ، وبهامشها رواية الأصل . وفى ظ : ويروى « سحا » أى صبا .

(٢) فى ظ : قال بعضهم « أسفح » : رجل منهم كان يحارب خالد بن يزيد فقتل . وقال ابن المستوفى : وتوجيه قول من قال : « أسفح رجل منهم » أن يروى : « يغشون أسفحهم مذائب طعنة » ، فهنصب « أسفحهم » مفعولاً أول ، و « مذائب طعنة » مفعولاً ثانياً ، والبحر فى « ضربة » مع هذه الرواية أولى من النصب .

وفى كتاب الصول وكذلك فى ظ نقلاً عنه : لم يعرف أبو مالك هذا البيت .

(٣) قال ابن المستوفى : فى نسخة « ألف الشجاعة » . وقال : وهى أجود من « لبس » لقوله « نشوغا » و « لدودا » . وقال : و « النشوغ » بالعين والغين معاً : دواء يتجرعه الصبي جرعة بعد جرعة . و « اللود » : دواء يصب فى أحد شق النعم . وقال الخارزنجى فى ظ : « النشوغ » : الوجور فى النعم كله ، و « اللود » فى أحد شق النعم .

٣٥ بَأْسًا قَبِيلِيًّا وَبَأْسَ تَكْرُمٍ جَمٌ^(١) وَبَأْسَ قَرِيحَةٍ مَوْلُودًا

(ق) يقول : اجتمع فيه البأس من وجوه ، فنه ما ورثه عن قبيلته وذويه ، لأنهم شجعان ، ومنه ما يتكلفه ليزداد عن الذكر به كرما ، ومنه ما هو طبع منه وقريحة ، وُلِدَ معه ونشأ فيه ، وأصل القريحة : أول ما يخرج من البشر إذا حُفِرَتْ ، وقريحة كل شيء : أوله .

٣٦ وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ فِي نَدَى

وَوَغَى^(٢) وَمُبْدَى غَارَةٍ وَمُعِيدَا

٣٧ يَقْرَى^(٣) مُرْجِيهِ مُشَاشَةً مَالِه

وَشِبَا الْأَسْنَةِ ثُغْرَةَ وَوَرِيدَا

٣٧ - « المُشَاشَةُ » : العَظْمُ الَّذِي يُمكن مَضْغُهُ وربما أَكَلَ . ويجوز أَن يَعْنيَ « بِالْمُشَاشَةِ » مَا عَلَى الْعَظْمِ الْمُتَشَبِّهِ مِنَ اللَّحْمِ ، وَإِنَّمَا عَنَى أَنَّهُ يُبَالِغُ فِي الْعَطِيَّةِ ، فَيُمْكِنُهُ مِنْ مَالِهِ حَتَّى يَمْتَشَّتَهُ^(٤) .

٣٨ أَيْقَنْتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً

تُدْمِي وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودَا

(المرزوقي) : يقول : يَتَسَخَّى فِي الْحَرْبِ بِنَفْسِهِ ، وَيَتَبَذَّلُ لِلسَّلَاحِ وَلَا يَصُونُهَا ، فَإِنْ حَضَرَتْهُ الزُّوَارُ وَالْعُقَاةُ فَإِنَّهُ يَتَنَدَّى بِأَمْوَالِهِ عَلَيْهِمْ ، وَيَبْذُلُهَا وَلَا يَحْضَنُ بِهَا ، فَمَنْ تَأَمَّلَ حَالَتَيْهِ عِلْمَ التَّنَاسُبِ بَيْنَ السَّمَاحِ وَالشَّجَاعَةِ ، إِذْ كَانَ لَا تَسْخُو

(١) م ، س ، ظ : « جشم » - ق : « جشما » وقال ابن المستوفى : فن نصب جملة صفة « بأس » ، ومن جر جملة صفة تكرم . ومعناه ما يتجشم ، أى يتكلف .

(٢) م ، س ، م : « في وغي وئدى » .

(٣) م ، س ، ظ : « يعطى » ؛ وفي ظ ، م رواية الأصل .

(٤) في ظ قال الحارزنجي : « الثغرة » : ثغرة النحر ، « والوريد » : حبل العائق ، و « شبا الأسنه » : حدها ، يقول : يعطى آلميه خيار ماله ، وأعداءه شبا أسنته في ثغورهم .

نفسه إلا بشجاعته ، ولا يشجع إلا بعد أن يسخو بنفسه ، وقد بيّن هذا فيما قبل^(١) فقال :

وإذا رأيت أبا يزيد في نددي ووغى (البيت)

٣٩ وإذا سرخت الطرف حول قبابه^(٢)

لم تلق إلا نعمة وحسودا

أي نعمة أفضل بها على ولي من أوليائه^(٣) .

(١) قال ابن المستوفى : وإل هذا المعنى ذهب ابن الرومي في قوله :

وما في الأرض أكرم من شجاع وإن أعطى القليل من التوال

وذاك لأنه يعطيك مما تنوء عليه أطراف العوال

شرى دمه به حتى إذا ما حواء حوى به حمد الرجال

وقال أبو الفتح : ما أحسن ما ساند أبو تمام ألفاظ بيته ، وأقام وزنه بقوله « تدى » ، وهي حشو البيت إلا أنها في غاية الظرف ، وهذه طريق الخذاق بهذه الصناعة ، وقل من يعرفها ، فأما مدعها فكثير . ولذلك جهل قدر المبرز التحرير . . . ثم قال ابن المستوفى : وقد بين هذا المعنى مسلم بن الوليد حيث يقول :

يجود بالنفس إذ ضمن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(٢) م ، ظ : « فنائه » ، وذكرت ظ رواية الأصل .

(٣) قال ابن المستوفى : قوله « على ولي من أوليائه » غير محمود في المدح ، إنما المحمود أن يعطى الجواد من كان وليه أو لم يكن وليه ، ما عدا أعداءه ، فإذا فعل ذلك استوى الناس في عطائه غير أعدائه ، وهذا هو الغاية في الجود . . . وقال أبو تمام في موضع آخر :

لن ينال العلى خصوصاً من الآء وام من لم تكن يداه عموماً

وزاد البحرى فأحسن :

وأنفق في العلياء حتى حسبته من الدهر يعطى أو من الدهر ينفق

عطاء كضوء الشمس عم فمغرب يكون سواء في سناه ومشرق

وهذا باب واسع جداً يطول ذكره ، وقال أبو تمام :

فنول حتى لم يجد من ينيله وحارب حتى لم يجد من يحاربه

وقال على بن جبلة :

أعطيت حتى لم تجد لك سائلا وبدأت إذ قطع العفاء سؤالا

وأخذه البحرى فقال :

جاد حتى أفنى السؤال فلما باد منا السؤال جاد ابتداء

٤٠ مَكَارِمًا عُتِقَ النُّجَارُ تَلِيدَةً

إِنْ كَانَ هَضْبُ عَمَائِتَيْنِ تَلِيدًا

« عَمَائِيَّة » : جبل ، وربما ثَنُوهُ فقالوا عَمَائِيَّتَانِ ، كما يقولون مرة :
أَبَان . مرة : أَبَانَان ، قال الشاعر :
لو أَنَّ هَضْبَ عَمَائِتَيْنِ وَيَدْبُلُ سَمْعَا حَدِيثُكَ أَنْزَلَا الْأَوْعَالَ (١)
يقول : مكارمكم تليدة قديمة إن كان هذا الجبل قديماً تليداً ، فاستعار التليد
للهضْب ، وإنما هو في المال ، إذْ كان مُشْتَقّاً من الولادة في الأصل ، ثم
صَرَّفُوا منه الفعل فقالوا : تَلِيدَ فهو تالِد ، وهذا مثل قولهم : إنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ
فَأَنْتَ كَرِيمٌ .

٤١ وَمَتَى حَلَلْتَ بِهِ أَنْالَكَ جُهْدَهُ

وَوَجَدْتَ بَعْدَ الْجُهْدِ فِيهِ مَزِيدًا

٤٢ مُتَوَقِّدٌ مِنْهُ الزَّمَانُ وَرُبَّمَا كَانَ الزَّمَانُ بِآخِرِينَ بَلِيدًا

٤٠ - يقول : يُوَلِّي وَيَعْزِلُ ، وَيُعْطَى وَيَسْحَرِمُ ، فهذا تَوَقُّدُهُ . وَأَمَّا
بَلَادَتُهُ فَالْأَنَّهُ تَكُونُ عَنْهُ هَذِهِ الْأُمُورُ ، فَيَكُونُ كَالْبَلِيدِ الَّذِي لَا حَرَكَتَ بِهِ ، وَيَكُونُ
مُتَحَبِّراً فِيمَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ (٢) .

٤٣ أَبْقَى يَزِيدُ وَمَزِيدُ وَأَبُوهَا

وَأَبُوهُ رُكْنُكَ (٣) فِي الْفَخَارِ شَدِيدًا

(١) البيت لحرير كما في الديوان ص ٤٥٠ ونقائض جرير والأخطل ص ٨٧ والرواية فيهما :

لو أَنَّ عَصَمَ عَمَائِتَيْنِ وَيَذْبُلُ سَمْعَتَا حَدِيثُكَ أَنْزَلَا الْأَوْعَالَ

وافظر معجم ما استمعتم للبكري ومعجم البلدان لياقوت مادة عماية .

(٢) في ظ : وفي حاشية : أى الزمان حذر منه . و « ربما كان الزمان بآخرين بليداً » لأنه

كان لا يحفل بهم ، علماً بقلة غنائهم .

(٣) ط : « ركننا » .

٤٤ سَلَفُوا يَرُونَ الذُّكْرَ عَقْباً صَالِحاً
وَمَضَوْا يَعُدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُوداً

٤٥ إِنَّ الْقَوَائِيَّ وَالْمَسَاعِيَّ لَمْ تَزَلْ
مَثَلُ النُّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيداً^(١)

٤٥ - [ص] يقول : القوافي نظام يتيم بشرف هذا المملوح ، فيكون كالفرید لهذا النظام .

٤٦ هِيَ جَوْهَرٌ نَشْرٌ فَإِنْ أَلْفَتْهُ
بِالشَّعْرِ صَارَ قَلَائِداً وَعُقُوداً
[ص] أى كرم هؤلاء جوهر نثر حتى ينظمه الشعر ويُحصِيه ، فيستحلى به المملوح .

٤٧ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَكُلِّ مَقَامَةٍ
يَأْخُذْنَ مِنْهُ ذِمَّةً وَعُهُوداً
[ص] يقول : إذا ذُكرت المكارم في المجالس ومواضع الحرب ، التجأت إلى ما ينظمه الشعر منها ، فكأنما تأخذ منها ذمّة وعهداً بإحصائه إياها .

٤٨ فَإِذَا الْقَصَائِدُ لَمْ تَكُنْ خُفَرَاءَها^(٢)
لَمْ تَرْضَ مِنْهَا مَشْهُدًا مَشْهُودًا

[ص] يقول : هذه الجواهر والمكرّمات إذا لم تحفظها القصائد كما تحفظ الخفراء لم تشيع ولم تشتهر .

(١) يبدأ بعد هذا البيت خرم في نسخة ب .

(٢) ص : « حَقْلًا لها » .

٤٩ من أجل ذلك كانت العربُ الألى

يَدْعُونَ هذا سُودْدًا مَحْدودًا

الألى : يريد الأول ، فقلب .

[ص] : أى من أجل ذلك كانوا يقولون : فلان محدود السُّوددُ ، أى لم
يكثر مدحه ، لأنه يكون مقصُورًا عن كماله إذا لم يُقل فيه شعر .

٥٠ وَتَنَدَّ عِنْدَهُمُ الْعَلَى إِلَّا عَلَى جُعِلَتْ لَهَا مَرَرُ الْقَصِيدِ^(١) قُيُودًا

تنَدَّ : أى تنفر : يقول : إن المكارم إذا لم تُقيّد بالشعر تنفرق وتتبدّد .

(١) ص : « القريض » .

وقال بمدحه^(١):

١ ما لِكَيْبِ الْحِمَى إِلَى عَقْدِهِ ما بَالُ جَرْعَائِهِ إِلَى جَرْدِهِ؟!

الأول من المنسرح ، والقافية مُتْرَاكِب .

يقال : عَقْدُ الرَّمْلِ وَعَقْدُهُ ، وهو ما يُعَقَّدُ منه ، والذين يسكنون نجدًا ونحوها يقولون عَقْدُ الرَّمْلِ ، قال الشاعر :

أَتَذْكُرُ أُمَّ تَنْسَى لِيَالَيْنَا الَّتِي بَعَقْدِ الدَّوَى سَقَيْنَا لَهَا لِيَالَيْنَا!

و « الجِرْعَاء » : أرض فيها رمل^(٢) . وقوله « جَرْدِهِ » إذا فتحت الرَّاء

احتمل وجهين : أحدهما أن يكون اسم موضع بعينه ، وهو الذى ذكره النابغة فى

قوله : « كَالْفَزْلَانِ بِالْجَرْدِ »^(٣) . والآخر أن يكون المصدر من قولهم مكان

جَرْدٍ : إذا لم يكن فيه نبات . ومن روى « جَرْدِهِ » بكسر الراء ، فهو من

المكان الجَرْد .

٢ ما خَطْبُهُ ما دَهاهُ ما غَالَهُ^(٤) ما نَالَهُ فى الْحَسَنِ مِنْ خُرْدِهِ!

« فى الحسان » : أى فى مُفارقة الحسان . يستنكر حاله ، لتغير حاله عما كن عهد عليه .

(١) يبدأ من هنا خرم فى نسختي ب ، ن .

(٢) قال الصول : « الجرعاء » : ما انحدر من معظم الرمل إلى الوادى .

(٣) بيت النابغة هو :

والرا كضات ذبول الریط فانقها برد الهواجر كالغزلان بالجر

مختار الشعر الجاهلى ١ : ١٥٢ .

(٤) س : « ما باله ما غاله » - ظ : وروى أبو يحيى « عاله » بالعين غير المعجمة ، وذكر أنها الصحيح من الرواية ، وقال : لا يقدم الأيسر على الأكثر ، لأن قولك « غاله » بالعين المعجمة ناقص لقولك « ما دهاه » و « ما خطبه » ؟ إذ ليس بعد أن غالته غول خطب أجل منه وأقطع ، فلا يقدم ما هو أيسر منه عليه . على أن هذه المواضع التى ذكرها باقية لم تغلها غائلة ، وإنما نكرها إليه زوال أهلها عنها ؛ والدليل على حقيقة ذلك قوله : « ما ناله فى الحسان من خرده » ، أى : أى شيء ألم به ، فأزال بهاءه لمكان هؤلاء فيه .

٣ السَّالِبَاتِ أَمْرًا عَزِيْمَتُهُ^(١) بِالسُّحْرِ وَالنَّافِثَاتِ فِي عُقْدِهِ
« السالبات » : بَدَل من « خُرْدِهِ » . [ق] : و « عَزِيْمَتُهُ » في النُّسْك
وغيره من الأشياء الصَّادَّة عن اللّهُو والصَّبَا . و « بالسُّحْرِ » أى بكلامهن
اللطيف ، وظَرْفِهِنَّ البارِع ، وحُسْنُهُنَّ الدَّقِيق . و « في عُقْدِهِ » : أى في
عُقْد حِلْمِه فيَحْلُلْنَه .

٤ لَيْسَنَ ظِلِّينِ ظِلٌّ أَمِنَ مِنَ الدَّهْرِ وَظِلٌّ مِنْ لَهْوٍ^(٢) وَدِدِهِ
أى هن من بنات الملوك ، آمِنَاتٌ من حوادث الدهر ، مُتَنَعِمَاتٌ مُتَوَفَّراتٌ
على اللّهُو واللَّعِب ، فقد جَمَعْنَ ظِلَّ الأَمْنِ وَظِلَّ اللّهُو ، وَغَيْرُهُنَّ قَلَمَا يَجْمَعُهُمَا ،
إذ ليس كل آمن مشغلا باللّهُو ، ولا كل مشغل باللّهُو آمناً من الدهر .
وجعل للأمن ظِلًّا لانه يَحْجُزُ صاحبه من الخوف ، وللّهُو ظِلًّا لانه يَحْجُزُه
عن الحزن . وإذا جُعِلَ « الدَّدُ » في معنى اللّهُو فهو من نحو قوله :
• وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَنَدٍ بَا وَمَيْنَا •

وإذا جُعِلَ على خلاف الباطل جاز أن يُحْمَلَ على خلاف اللّهُو . وفي
« دَد » لغات : « دَد » مثل دَم ، و « دَدَى » مثل رَحَى ، و « دَدَن »
مثل شَطَن ، تكون نُونُهُ أَصْلِيَّة . ولو سَمَّيْتُ رجلاً بَدَدَ ثم صغرته ، قلت على
قول مَنْ قال دَدَا : دَدَى ، ومن قال دَدَن : دَدَيْن ، ومن قال دَدَ رَدَه إلى
أحد الوجهين ، لأن التصغير لا يقع إلا على ثلثي ، فيجب أن يُرَدَّ الثَّنَائِي
إلى الأصل .

٥ فَهَنْ يُخْبِرُنَ عَنْ بُلْهَنِيةِ الْعَيْشِ وَيَسْأَلُنَ مِنْهُ عَنْ جَحْدِهِ
أى هُنَّ لم يعرفن سوى الرَّغْدِ من العيش ، لأنهن تَرَبَّيْنَ فيه ، فهنَّ

— وقال ابن المستوفى في الرد عليه : الظاهر أن يقدم ما هو يسير على ما هو كثير ، فيقال : ما لفان
مثلاً ، ما له محمواً ؟ وقوله : على أن هذه المواضع باقية لم تغلها غائلة ، يحتمل أن يكون الأمر بضده ،
وأنها دراسة لم يبق إلا رسومها . وهذه هي الطريقة التي بنوا عليها أشعارهم ، فشبهوا آثار الديار بالخط ،
وذكروا أنها لم يبق منها إلا الود والأتاف ، إلى سوى ذلك مما هو مشهور ؛ ولهذا كرر أبو تمام السؤال
عن حال الكتيب بما ذكره ، تعجباً من سرعة بلاء ، وهذا أيضاً مذكور في أشعارهم .

(١) س : « صريمته » . (٢) س : « من عيشه وده » ، وبها مشها رواية الأصل .

يُخبرن الناس عنه ، لعلهم به ، ويسألن عن البؤس والضّر ، لأنهن لا يعرفنه .
و « بُلْهنية العيش » : سَعَتُهُ وَرَغَدُهُ ، وهو من قولهم : عِشْ أَبْلَه ، إذا كان
صاحبُهُ رَخِيًّا البال ، لا يهتم لشيء ، والنون والياء في « بُلْهنية » زائدتان ،
قال الراجز :

يا حَبَّذا الشَّرُّخُ وَعَيْشُ أَبْلَهُ
لا ذُو المَشْيَبِ والكَبِيرُ الأَجْلَهُ

« لا ذو » : بمعنى لا صاحب الشَّيْب . و « الجَحْد » : بؤس العيش
وشِدَّتُهُ ، يقال : عَيْشٌ جَحْدٌ ، ورجل مُجَحَّدٌ ، وهو الجَحْدُ أيضًا ،
قال :

لئن بَعَثْتُ أمَ الحُمَيْدِ بْنِ رَائِدًا لَقَدْ غَنَيْتُ فِي غَيْرِ بؤسٍ ولا جَحْدٍ (١)

٦ وَرُبَّ أَلْمَى مِنْهُمْ أَشْنَبَ قَدْ رَشَفْتُ مَا لَا يَذُوبُ مِنْ بَرْدِهِ

« الأَلْمَى » : الأسمر الشفتين ، يُقال : ظِيٌّ أَلْمَى ، وظِيَاءٌ لُئْمَى .
وكنى « بالبرْد » عن الأسنان ، وإنما أصل ذلك التشبيه ، ثم تُحذف آله ،
ولأنما يُسْتَحَبُّ سُمْرَةُ الشَّفَتَيْنِ ، لأنَّ بياض الثغر به يَتَبَيَّنُ ويظهر أكثر .

٧ قَلْتَا مِنَ الرِّيقِ نَاقِعَ الذُّوبِ إِلَّا أَنَّ بَرْدَ الْأَكْبَادِ فِي جَمَدِهِ

أصل « القَلْتُ » : نَقْرَةٌ فِي صَخْرَةٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا ماءُ السَّمَاءِ ، والغالب عليها
التأنيث ، قال الشاعر :

لَسَحَى اللَّهَ أَعْلَى تَلْعَةٍ (٢) حَفَشْتُ بِهِ (٣) وَقَلْتَا أَقَرَّتْ ماءَ قَيْسٍ بنِ عَاصِمٍ

(١) البيت في اللسان مادة « جعد » ، وقال : أنشدني بعض الأعراب . والرواية فيه : لئن بعثت
أم الحميدين مائرا

(٢) ظ : « قلت » وهي : رواية الخارزنجي ، قال : « قلت » بالخفض أعجب إلى ،
على البذل من « ألى » .

(٣) التلعة : أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ، ثم يلغ منها إلى تلعة أسفل منها : والتلعة .
مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض . (اللسان : مادة تلغ) .

(٤) حفشت به : يقال : حفشت الأرض بالماء من كل جانب : أسالته قبل الجانب (اللسان :
مادة حفش) .

ويقال : إن بعض العرب يجعل « القلّت » البئر كثيرة الماء . وقال بعضهم :
« القلّت » تصغر وتكبر ، فربما غرق فيها الإنسان ، قال الراجز :

إن دلاتي أيما دلاتي
قاتلها^(١) وملؤها حياتي
كأنها قلّت من القلات
ولما أراد الطائي ما صغر من القلات ، وعنى به الفم .

وأراد « بالذؤب » : الرقيق^(٢) ، و « بالجمد » : الأسنان . و « الناقع » :
المروى . وأراد وصف الثغر فقال : هو من كثرة ريقه كالقلّت ، والقلّت :
مستنقع الماء ، والفم إذا كثرت رضابه طاب ، كما أنه إذا قلّ خلفه وتغير ،
ثم جعل الثغر ذائبا وجامدا ، وزعم أن ذائبه مروى لمن ترشقه ، ويريد بذلك
الرضاب ، وأن جامده يبرد الكبد ، ويعنى به الأسنان ؛ كأنه جعل الرقيق في
الفم كالماء بالجمد ، على عادتهم في وصف الثغر بالبارد والخصر ، لتردده
بين الأسنان ، وبيضاض الشنايا وكثرة ظلمها . وإذا كان كذلك فالهاء في
« جمده » لا تعود إلى « الرقيق » ، بل يعود إلى « القلّت » ، الذي هو كناية
عن الفم . وسقط قول العائيب « ما معنى جمده الرقيق ؟ » إذا كان الجمد
كناية عن الأسنان . وهذا ظاهر حسن ، وليس لأحد أن يقول : « الجمود »
يُستعمل فيما كان سائلا قبل ، لأنهم توسّعوا في استعماله واستعمال الذؤب ،
ألا تراهم يقولون فيمن لا يبكي عند الرزايا : هو جماد الحاجبين ؛ قال
الأعشى :

• وكان حريث عن عطائي جامدا^(٣) •

(١) في النوادر لأبي زيد ص ٥٧ : قاتلتى .

(٢) قال الصولي : إنه أول من أن يكون مصدر ذاب ذوبا . وفي ظ : قال الخازنعي :
« الذؤب » : هو العسل . وقال ابن المستوفى : هذا طباق لفظي ، ومثله :

أبي حري سليبي أن يبيدا وأمسى حبلها خلقا جديدا
(٣) بيت الأعشى :

أتيت حريثا زائرا عن جنابة وكان حريث عن عطائي جامدا
(الديوان : ص ٤٩)

٨ كَالْخُوطِ فِي الْقَدِّ وَالْغَزَالَةِ فِي الْبَهْ

جَةِ^(١) وَابْنِ الْغَزَالِ فِي غَيْدِهِ^(٢)

«البَهْجَةُ» : الإشراق والحُسن . «الخُوط» : الغُصْن ، وجمعه : خِيطَان .
وكشُر ذلك حتى قالوا : رجل خُوط ، إذا كان شاباً قوياً . و «الغزالة» من
أسماء الشمس . وقيل : إن ذلك إنما هو من قولهم جِئْتُهِ غَزَالَةَ الضَّحَى ، أى
ارتفاعها ، قال ذو الرِّمَّة :

فَأَشْرَفْتُ الْغَزَالَةَ رَأْسَ حَوْضِي أَرَأَيْبُهُمْ فَمَا أَغْنَى قِيَالَا^(٣)
وقال الراجز :

قَالَتْ لَهُ وَارْتَفَعْتُ أَلَا فَتَنَى^(٤)

يَسُوقُ بِالْقَوْمِ غَزَالَاتِ الضَّحَى ؟

و «الغزال» : ولد الظبي . وقال ها هنا : «وابن الغزال» لِيُتِمِّمَ الْوِزْنَ ،
والمعنى صحيح إذ كان الغزال إذا سَلِمَ فلا بُدَّ أن يلدَ غزالاً ، وهذا يدخل في
باب تسميتهم الرجلَ طفلاً وقد صار ابنَ أربعين سنةً أو أكثر ، فيُقَالُ : هذا
الطفل فلان .

٩ وَمَا حَكَاهُ وَلَا نَعِيمَ لَهُ فِي جِيدِهِ بَلْ حَكَاهُ فِي جِيدِهِ

يقال : ظيُّ أَجْنَيْدَوظْبِيَّةٍ جَيْدَاءَ ، أى طويل الجيد ، وَمَنْ أُنْثُ الْعُنُقُ
قال : عُنُقُ جَيْدَاءَ ، وَمَنْ ذَكَرَهُ قال : عُنُقُ أَجْنَيْدَ ، واصطلحت الشعراءُ
على تشبيه جيد الإنسان إذا استُحْسِنَ بجيد الغَزَالِ ، وقد أعْرَبَ الطائيُّ عن
حقيقة ذلك ، لأنهم قالوا : جيدٌ كجيد الرِّثَمِ ، يَعْنُونَ فِي الطَّوْلِ لَا غَيْرَ ،

(١) م : «والغزالة في الإشراق» .

(٢) هنا ينتهي خرم نسختي ب ، ن .

(٣) الديوان ص : ٤٣١ وفي اللسان مادة «غزل» : رأس حزوى .

(٤) هكذا في أمالي الزجاجي ص ٩ . وفي النوادر لأبي زيد ص ١٢٨ واللسان مادة غزل :

دعت سليبي دعوة هل من فقى

يسوق بالقوم غزالات الضحى

فقام لا وان ولارث القوى

ولو كان لابن آدم جيدٌ كجيد الرِّثم في الحقيقة ، لكان مُثْلَةً ومَسْخَا . وقوله « ولا نَعِيمَ لَهُ » : أى لا كَرَامَةَ لَهُ ، أى ما حكاه في جِيده ولا كَرَامَةَ لَهُ (١) ، وقيل : الواو في قوله « ولا نعيم له » للحال ، أى ما حكاه ابنُ الغزّالة في جِيده ولا نعيم له وعلى جِيده شَعْرٌ ، وإنما حكاه في جِيده ، أى حُسْنَ العُنُق وطُوله .

١٠ فالرُبُعُ قد عَزَّنِي على جَلْدِي ما مَحَّ مِنْ سَهْلِهِ وَمِنْ جَلْدِهِ

« مَحَّ » الرِّيعُ : إذا خَلَقَ ، وأصلُ ذلك في الثَّوبِ ، أى ما مَحَّ مِنْ الرُّبْعِ قد غَلَبَنِي على تَجَلْدِي وقُوَّتِي ؛ فجمع بين « جَلْدِي » ، الذى هو الجَلْدَةُ ، و « جَلْدِهِ » الذى هو الحَزَنُ . و « على » ما هنا : ليست بمعنى « مع » ، وإنما هي من صلة « عَزَّنِي » ، لأنه يقال : عَزَّنِي فلان على كذا ، أى غَلَبَنِي عليه .

١١ لَمْ يُبْقِ شَرٌّ الْفِرَاقِ مِنْهُ سِوَى

شَرِّهِ مِنْ نُؤْيِهِ وَمِنْ وَتْدِهِ (٢)

« شَرِّهِ » : تَشْنِيَةٌ شَرٌّ ؛ فإن كان قد جَلَدَهُ مثل قوله في أوّل البيت « لم يُبْقِ شَرَّ الْفِرَاقِ » فلا كلام فيه ؛ وإن كان أراد « بَشَرِّهِ » تَشْنِيَةٌ شَرٌّ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : هذا شَرٌّ مِنْ هذا ، فإن باب « أَفْعَلْ » الذى للتفضيل يَتَقَعُ واحِدُهُ على الآحاد والجموع ، والمذكَّرين والمؤنَّثين ، فيقال : هذا أَفْضَلُ مِنْكَ ، وهؤلاء أَفْضَلُ مِنْكَ ، وهذان أَفْضَلُ مِنْكَ ، وكذلك المرأةُ والمرأتان والنِّسَاءُ . وقولهم : هذا شَرٌّ مِنْ هذا وخَيْرٌ مِنْ هذا ، هو من باب أَفْعَلْ ، لأنَّ أصلَهُ أَشَرُّ مِنْ هذا وأَخَيْرٌ ، إلّا أنَّ الهمزة قد حُدِفَتْ لكثرة الاستعمال ، ولكنهم لما فقدوا

(١) قال الأملئ في معاني أبي تمام : يقال لا ، ولا نَمَى لك ، ولا نعيم لك .

(٢) ل : « وشك الفراق » . وروثها ظ . وقال ابن المستوفى : والأول أشبه بمنهج أبي تمام .

(٣) قال الصولي : لم يرو أبو مالك هذا البيت ولم يعرفه .

المهزة اجترعوا على إدخال الهاء في خَيْرَة وشرَة ، قال الراجز .

• تَأْبِرِي يَا خَيْرَة الْفَسِيل (١) •

وقال آخر :

لستُ أعْنِي كُونِي الْعِرَاقِ وَلَكِنْ شَرَّةَ الدَّوَرِ دَارَ عَيْبِدِ الدَّارِ
وَلِقَائِلِ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ « خَيْرَة ؟ » و « شَرَّة » أَخْرَجْنَا مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ ،
لأنك إذا قلتَ : هذان أفضلان بنى سُلَيْم ، فإنما تريد هذان الفضلان منهم ،
ولا تريد تفصيل الرجلين عليهم أجمعين . و « النوى » حفيرة تحفر حول
البيت لتدفع عنه السَّيْل . ويجوز أن يكون الطائي جعل « النوى » و « الوتد »
شَرَى الرَّبْع ، لأنهما يَهَيِّجانَ الْأَسْفَ والبُكَاء ، ولا يمتنع أن يكون قال
ذلك إذ كانا لا يَشْتَفِعُ بهما ، فالوتد يَشْرِكُ في الدِّيار ، لأنَّ الْعِوَضَ منه
موجود ، ولأنهم أَيْنَا حَلَّوْا قَدْ رَوَا عَلَى اتِّخَاذِ ذُوِي (٢) .

١٢ سَأَخْرُقُ الْخَرْقَ بَابِنِ خَرْقَاءَ كَالْ

هَيْتَقِ إِذَا مَا اسْتَحَمَّ فِي نَجْدِهِ (٣)

« الْخَرْقُ » : مَا اتَّسَعَ مِنَ الْأَرْضِ . و « ابْنِ خَرْقَاءَ » : يَرِيدُ بِهِ جَمْعًا
مِنْ وَلَدِ نَاقَةٍ خَرْقَاءَ تَلْعَبُ بِيَدَيْهَا مِنْ سُرْعَتِهَا فِي السَّيْرِ ، كَقَوْلِهِ « ابْنِ الْغَزَالِ »
وإنما جاء « بَابِنِ » لِإِقَامَةِ الْوِزْنِ ، وَمَقْصِدُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ :
وَأَقْطَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ قَدْ جَعَلْتُ بَعْدَ الْكِلَالِ تَشَكِّيَ الْأَيْنِ وَالسَّامَا (٤)
وإنما قيل للناقة خَرْقَاءَ تَشْبِيهًا بِالرَّيْحِ ، وَهِيَ الَّتِي تَهْبُبُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ،
وذلك أحد الوجهين اللذين فُسِّرَ عليهما قول الشاعر :
هَيْتَقُ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُؤُجُوهَ بَيْتِ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءُ مَهْجُومُ

(١) أنشده صاحب اللسان في « أبر » ، وقال : قال الراجز ، وذكر بيتاً بعده ، وهو : « إذا
ضن أهل النخل بالفعول » .

(٢) جاء في ظ : قال الأمدى : جعل « النوى » و « الوتد » شري الريح ، لأنهما قد يوجدان
في الربيع ولا أنيس به ، ويغرب ويمح وهما باقيان ، وكذلك الأثافي ، وليس سائر الآلات كذلك التي
لا توجد إلا بوجود أهلها ، فإذا رأيتهما علمت أن القوم حضور ، مثل خيمة أو خباء أو سقاء أو دلو
أو حبل أو جفنة ، أو ما سوى ذلك من الآلات التي إذا ارتحلوا احتملوها معهم .

(٣) م ، ل ، س ، ظ : « من نجده » .

(٤) غنثار الشعر الجاهلي ١ : ١٧٠ .

« هَجِيمَ » : أى سَقَطَ — قيل : أراد « بالخرقاء » الريح ، وقيل : بل أراد « بالخرقاء » امرأة لا تُحَسِّنُ العمل . وقال قوم : وُصِفَتِ الناقة بالخرقاء ، لأنها مُشَبَّهَةٌ بالمرأة التى ليست بالصَّنَاع ، ولا يجب أن يكون ذلك والله أعلم . وقد قالوا فى الشعر :

* إِلَّا صَنَاعَ الرَّجُلِ خَرَقَاءَ الْيَدِ (١) *

وقال آخر :

كفَلْتُهَا رَحْلِي لِإِيْنِكَ فَضُئْتُ لِبِلَاغِهِ خَرَقَاؤُهَا وَصَنَاعُهَا
ولما بُنِيَ الْبَيْتُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهَا لَا تُحَسِّنُ الْعَمَل . و « الْهَيْئَةُ » :
ذَكَرَ النَّعَام . و « النَّجْدُ » : الْعَرَق . و « اسْتَحَمَّ » : مِنْ الْحَمِيمِ وَهُوَ
الْعَرَق . وَالْأَجُودُ أَنْ يَكُونَ « الْحَمِيم » هَا هُنَا الْمَاءُ الْحَارُّ ، أَيْ كَأَنَّهُ قَدْ اسْتَحَمَّ
مِنْ كَثْرَةِ عَرَقِهِ .

١٣ مُقَابِلُ (٢) فِي الْجِدِيلِ صُلْبِ الْقَرَا

لُوحِكَ مِنْ عَجَبِهِ إِلَى كَتَدِهِ

مُقَابِلُ : أَيْ أَبُوهُ وَأُمُّهُ مِنْ وَلَدِ الْجَدِيلِ ، وَهُوَ فَحْلُ (٣) . و « لُوحِكَ »
أَيْ لَزَّ خَلْقُهُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، يُقَالُ : تَلَا حَكَ الْبِنَاءُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ .
و « الْقَرَا » : الظَّهْرُ ، و « الْعَجَبُ » : أَصْلُ الدَّئِبِ ، وَيُقَالُ لِلْمُوْخِرِ
الْكَشِيبِ : عَجَبٌ . و « الْكَتَدُ » : مُجْتَمَعُ الْكَتَفَيْنِ ، يُقَالُ بِكَسْرِ التَّاءِ
وَفَتْحِهَا .

١٤ تَامِكِهِ نَهْدِهِ مَدَاخِلِهِ مَلْمُومِهِ مُخَزْنِلُهُ أَجْدِهِ

« التَّامِكُ » : السَّنَامُ الطَّوِيلُ و « النَّهْدُ » : الضَّخْمُ الْمَرْفُوعُ . و « مَلْمُومٌ » :
مَنْ لَمَمَتْهُ الشَّيْءُ إِذَا جُمِعَتْ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ و « مُخَزْنِلٌ » : مُنْتَصِبٌ .

(١) قَالَ ابْنُ الْمُسْتَوْدِي : وَالْإِنْشَادُ الصَّحِيحُ قَوْلُهُ :

* فَهِيَ صَنَاعُ الرَّجُلِ خَرَقَاءُ الْيَدِ *

(٢) يَعُودُ غَرَمٌ فِي نَسَقِ ب ، ن يَنْتَهَى عِنْدَ الْبَيْتِ « ٣٠ » .

(٣) فِي الصُّوْلِ : وَهُوَ فَعْلٌ كَرِيمٌ .

و «أجد» : مؤنثة الخلق . والهاء في «تامكه» وما بعده راجعة إلى «القرأ» .
وأكثر ما يستعمل «الأجد» في صفات الإناث ، وربما استعمل في المذكر ،
قال النابغة :

هل تبسلغنيهم حَرْفٌ مُضَرَّبَةٌ أَجْدُ الْفَقَارِ وَإِذْلَاجٌ وَتَهْجِيرٌ^(١) ؟
كأنه قال : أجد فقارها ، فإذا حمل «الفقار» على التذكير دلَّ
على أن «الأجد» يستعمل للمذكر .

١٥ إلى المُفْدَى أَبِي يَزِيدَ الَّذِي يَضِلُّ غَمْرُ الْمُلُوكِ فِي ثَمَدِهِ
أى سَأْخِرُ الْفَلَاةَ إِلَى أَبِي يَزِيدَ بَعِيرِ هَذِهِ صِفَتُهُ . و «الْثَمَدُ» : الماء
القليل . أى يَقِلُّ كَثِيرُ الْمُلُوكِ فِي قَلِيلِهِ .

١٦ ظِلُّ عَفَاةٍ^(٢) يُحِبُّ زَائِرَهُ حُبَّ الْكَبِيرِ الصَّغِيرِ مِنْ وَلَدِهِ
١٧ إِذَا أَنَاخُوا بِبَابِهِ أَخَذُوا حُكْمَيْنِهِمْ^(٣) مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ
١٧ - أى يستفيدون من ماله وأدبه حُكْمَيْنِهِمْ^(٤) .

١٨ مِنْ كُلِّ لَهْفَانٍ زِدَتْ^(٥) فِي أَوْدِ الْ
أَمْوَالِ حَتَّى أَقَمْتَ مِنْ أَوْدِهِ
«أوده» : اعرجاه . أى إذا أناخوا ببابه من كل حزين . وقوله «زِدَتْ فِي
أَوْدِهِ» أى زِدَتْ فِي فساد مالك بالتبديد والتفريق بإصلاح حاله به .

(١) مختار الشعر الجاهل ١ : ٢١٨ .

(٢) في ظ : في الكتاب العجمي : «ظل نداء» أو «حياة» ، لأن تنكير «عفاة» غير
مستحب . وقال ابن المستوفى : الرواية «عفاة» ، ولم أجد ما ذكره في نسخة ما ، ولا بأس بتنكير
«عفاة» وإن كان التمرير أجود .

(٣) م ، ظ : «حكهم» .

(٤) قال ابن المستوفى : الصحيح أنه مثل قوله :
ترى بأشباحنا إلى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه

(٥) قال الصولي : ويروى : «زاد في أود الأموال حتى أقام من أوده» .

١٩ مُسْتَمَطَّرٌ حَلٌّ مِنْ بَنِي مَطَرٍ بِحَيْثُ حَلَّ الطَّرَافُ مِنْ عَمَدِهِ
«مُسْتَمَطَّرٌ»: أى يُطَلَّبُ فَضْلُهُ وَجُودُهُ كَمَا يُطَلَّبُ الْمَطَرُ مِنَ السَّحَابِ^(١).
و «بنو مطر»: قوم الممدوح . و «الطراف»: قُبَّةٌ مِنْ أَدَمَ . يُرِيدُ أَنَّهُ
أَعْظَمُ قَوْمِهِ شَرَفًا ، وَأَنَّهُ قَدْ فَضَّلَهُمْ بِمَكَارِمِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ جَعَلَهُمْ يُقْلُونَهُ
وَيَحْمِلُونَهُ ، إِذِ الطَّرَافُ لَا ثِيَابَاتَ لَهُ إِلَّا بِالْعَمَدِ .

٢٠ قَوْمٌ غَدَا طَارِفُ الْمَدِيحِ لَهُمْ وَوَسْمُهُمْ لَائِحٌ عَلَى تُلْدِهِ
«تُلْدٌ»: بِجَمْعِ تَلَسِيدٍ ، وَهُوَ الْقَدِيمُ . [ق] أَيْ مُدَحِّحًا قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، إِذْ
كَانُوا يَتَنَافَسُونَ فِي ابْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ ، وَيَتَشَابَهُونَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي ، فَحَدِيثُ الْمَدْحِ لَهُمْ ،
وَقَدِيمُهُ ظَاهِرٌ عَلَيْهِ أَثَرُهُمْ ، غَيْرُ غُفْلٍ مِنْ عِلَامَتِهِمْ * وَ «وَسْمٌ» بِالسَّيْنِ
غَيْرُ مُعْجَمَةٍ : أَيْ عِلَامَةٌ بِالْمَيْسَمِ ، وَهُوَ أَشْبَهُ مِنَ الْوَسْمِ بِالشَّيْنِ فِي هَذَا الْبَيْتِ ،
لَأَنَّ الْوَسْمَ يُسْتَعْمَلُ فِي الْأَكُفِّ وَالْأُذُنِ .

٢١ فَهُمْ يَمِيسُونَ الْبَخْرِيَّةَ فِي بُرُودِهِ^(٢) وَالْأَنَامُ فِي بُرْدِهِ^(٣)
«يَمِيسُونَ»: أَيْ يَخْتَالُونَ . وَ «الْبَخْرِيَّةُ»: مِنَ التَّبَخُّرِ ، وَنَصَبِهَا عَلَى
الْمَصْدَرِ ، نَحْوُ اشْتِمَالِ الصَّمَاءِ وَفَرَّقَ فِي هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ «الْبُرُودِ» وَ «الْبُرْدِ» ،
لَأَنَّ «الْبُرُودَ» تَكُونُ مُثَمَّنَةً ، وَ «الْبُرْدَ» فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ مِنَ الصَّوْفِ ، يَقُولُ :
فَهُمْ فِي حُلُلِ الْمَدِيحِ ، أَيْ مُهَذَّبَةٍ وَجِيدَةٍ ، لَأَنَّ مَنَاقِبَهُمْ وَفَضَائِلَهُمْ تُثْمَلَى عَلَى
الشُّعْرَاءِ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالذِّكْرِ الْجَمِيلِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُمْ . وَ «النَّاسُ
فِي بُرْدِهِ»: أَيْ أَكْسَبَتْهُ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَحِقُّوا مِنَ الشُّعْرِ إِلَّا هَذَا الْقَدْرَ^(٤) .

(١) رَوَى الْخَارِزْمِيُّ : «مُسْتَمَطَّرٌ» بِكَسْرِ الطَّاءِ ، وَقَالَ : مِنْ صِفَةِ السَّائِلِ الْهَفَانِ ، وَهُوَ
طَالِبُ الْمَعْرُوفِ ، وَمَنْ فَتَحَ الطَّاءَ فَهُوَ مِنْ صِفَةِ الْمَدْحِ ، أَيْ هُوَ مُشَوَّلٌ . وَقَالَ الْمَرْزُوقِيُّ : «مُسْتَمَطَّرٌ» :
مُسْتَمَطَّى مُسْتَجْدِي ، حَلٌّ فِي قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ فِي ذُرَّةِ الْمَجْدِ وَأَعْلَى شَوَاحِجِهِ كَمَا يَحِلُّ الطَّرَافُ - وَهُوَ الْبَيْتُ مِنَ
الْأَدَمِ - مِنْ عَمَدِهِ أَعْلَاهَا ، إِذْ كَانَ يَفْشَاهَا وَهِيَ تَحْتَهُ ، وَ «الْعَمَدُ» جَمْعُ عَمُودٍ أَوْ عِمَادٍ ، وَهَذَا الْجَمْعُ
يَقُلُّ ، وَعَلَى قَلْتِهِ فَقَدْ جَاءَ مِثْلُ إِهَابٍ وَأَهَبٍ وَأَدِيمٍ وَأَدَمَ .

(٢) ظ : «أَبْرَادُهُ» .

(٣) قَالَ الصَّوْلِيُّ : وَيُرْوَى : «فِي جَدِيدِهِ وَالْأَنَامُ فِي جَرْدِهِ» ، وَكَذَلِكَ يَرُودُهُ أَبُو مَالِكٍ .

(٤) قَالَ الصَّوْلِيُّ : هُمْ يَخْتَالُونَ فِي ثِيَابِ الْمَدْحِ جَدِيدَةٍ ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا فِي ثِيَابِ خَالِدَةٍ .

٢٢ لَا يَنْدُبُونَ الْقَتِيلَ أَوْ يَأْتِي الْحَوَّ

لُ لَهُمْ كَامِلًا عَلَى قَوْدَةٍ

هذا معنى يُوصَف به الممدوحون . يقول : هؤلاء القوم إذا قُتِل منهم قتيل لم يبكوه حتى يأخذوا بثأره ، وبالبخ في صفتهم بالصبر ، فجعلتهم لا يكون القتل ، حتى يأخذوا بثأره ويمضى على أخذهم بالثأر سنة . وأصل « القود » : من أن يُقاد القاتل إلى رهط المقتول ، فيقتلوه به .

٢٣ إِنَاءٌ مَجْدٍ مَلَانٌ بُورِكَ فِي صَرِيحِهِ لِلْعَلَى فِي زَبَدَةٍ^(١)

لمّا جعله ملان من المجد جعله إناء . أى بورك للعلى في خالصه وزبدته ، لأنها تزيد بهما كرمًا وفخراً .

٢٤ وَهَضْبٍ عِزٍّ تَجْرَى السَّاحَةُ فِي

حُدُورِهِ وَالْإِبَاءُ فِي صُعْدَةٍ^(٢)

(١) روى الخارزنجي : « في زبدته » بضم الزاي والياء ، وقال : وهى ثمرته ، وهذا مثل . ومن روى « زبدته » « يفتحهما » يعنى رغوته ، وهذا جيد .

(٢) ترك التبريزي شرح هذا البيت على كثرة القول فيه . قال الصولي : « صعدة » : جمع صمود مثل جزور وجزر ، يقول : من ساجهم وأتام من جانب اللين لانوا له ، وضرب لم مثلاً من الحدور ؛ ومن عازم - أى غاليهم - غلبه ، ومثله الصمود ، و [يقال] وقع في صمود وهبوط وحدور . وقال المرزوقي : يقول : هو جبل عز ، سماعته في حدور : أى في سهلة المنازل ، تنصب على طالبها ، فتجيئه عفواً ، كالماء إذا كان في انحدار . وفى « صعدة » أى أعلاه بحيث لا يرام ولا ينال . وقال الخارزنجي : « في صعدة » بفتح العين والصاد . وقال ابن المستوفى : ولو جعلت « الساحة » من العطاء لكان قولاً ، وجعلها تجرى في الحدور لتقرب من المستعيج وتسهل ، وجعل « الإباء » في الصمود ، لأنه ارتفاع عما لا يرضونه .

قال : وبعد أن كتبت ذلك وجدت في كتاب الخارزنجي : هم هضب عز ثابت ، تجرى سماعته السهلة في حدوره من أعلاه ، أى سماعته سهلة تجرى من الارتفاع إلى الحدور ، وإبائه صعب ، كأنه يجرى من الحدور إلى الصمود ، وذلك ما لا يكون .

٢٥ يَزِيدُ وَالْمَزِيدَانِ فِي الْحَرْبِ وَالْ

زَائِدَتَانِ الطَّوْدَانِ مِنْ مُصْدَةٍ

٢٥ - [مُصْدٌ] : جمع مَصَاد ، وهو أعلى الجبيل ، أى هؤلاء كلهم معاقله ، يتحصن بهم وبمجدهم فى الحروب والمواقع الصعبة .

٢٦ نِعَمَ لِيَوَاءِ الْخَمِيسِ أَبْتَ بِهِ يَوْمَ

مِ خَمِيسٍ عَلَى الضُّحَى أَفِدَةٍ

ذكر «الضحى» والغالب عليها التأنيث ، وإنما بان تذكيره فى قوله «أفده» ، لأنه لو أنث لقال «أفدها» . وأصل «الأفد» : العَجَل ، وقد يجوز أن يقال : أفد الرجل ، إذا أشرف . أى نِعَمَ لِيَوَاءِ الْخَمِيسِ «الجيش» ، اللواء الذى رجعت به يوم الخميس ، وكان عقيد له على أرمينية .

٢٧ خِلْتَ عُقَاباً بَيْضَاءً^(١) فِي حُجْرَاتِ الْ

مُلْكٍ طَارَتْ مِنْهُ وَفِي سُودَةٍ

يعنى الراية ، يشبها بالعقاب ، وقد تسمى الراية نفسها عقاباً ، ولم يرد ها هنا إلا التشبيه . وإذا قيل «حجرات الملك» فهو جمع حجرة ، ويجوز ضمّ الحاء والجيم معاً ، ويجوز فتح الجيم ، والضم أجود . ومن روى «حجرات» أراد جمع حجرة ، وهى الناحية . و «السُدَّة» : جمع سُودَةٌ وهى الباب ، وقيل : بل السُدَّة كالظُلَّة^(٢) .

٢٨ فَشَاغَبَ الْجَوَّ وَهُوَ مَسْكَنُهُ وَقَاتَلَ الرِّيحَ وَهِيَ مِنْ مَدَدَةٍ

«شَاغَبَ» فاعلٌ ، مِنَ الشَّغَبِ . يعنى اللواء .

(١) س : و يروى : «خلت العقاب البيضاء» .

(٢) روى الخازن فى «طارَتْ به» . وقال : إذا نظرت إلى هذا اللواء فى الهواء حسبت أن عقاباً بيضاء طارت ، فعملته فى الهواء .

٢٩ وَمَرَّ تَهْفُو ذَوَابَّتَاهُ عَلَى أَسْمَرَ مَتْنًا^(١) يَوْمَ الْوَغَى جَسَدَهُ
 أى قد لَصِقَ الدَّمُ فهو كالجساد . « يَهْفُو » : يضطرب . و « ذَوَابَّتَاهُ » :
 ما أسبَلَ منه من الجانبين ، ويعنى « بالمتن » : ما ظهر منه من جوانبه كلها ،
 من أوله إلى آخره ، لأنَّ كلَّ ذلك يُسَمَّى مَتْنَهُ .

٣٠ مَارِنِهِ لَدْنِهِ مُثَقَّفِهِ عَرَّاصِهِ فِي الْأَكْفِ مُطْرِدِهِ
 هذه الهاءات كلها : تعود على « لَدْنِ » في البيت الذى تقدمه .

(ع) : « المارن » : الذى قد مرَّ ، أى لان . و « العرَّاصُ » : الذى
 يَهْتَزُّ . وهذه الهاءات التى فى قوله « مارنه » ، « لدنه » ، « مثقفه » ،
 وما بعدها من الهاءات راجعة إلى « لَدْنِ » . وإذا صحَّحت الرواية على ما نُسبت
 فالأجود أن يُضَافَ إلى « لَدْنِ » . وذلك أشبهه من أن تكون الهاءات فى « جَسَدِ »
 راجعة^(٢) على « يَوْمَ الْوَغَى » وإن كان ذلك جائزاً ، إذ كان الأحسن أن يُقال :
 مررت برجل حسن الوجه جميله ، فيكون أوجه من قولهم : مررت برجل حسن
 وجهاً جميله ، والأجود أن يكون « أسمر » منعوتاً بشئ مُضَافٍ إلى « يوم الوغى » ،
 مثل أن يكون أسمر دامى يوم الوغى ؛ ويدلُّ على ضعف الرواية الأولى تكرير
 « لَدْنِ » ، على أن ذلك جائز . وفى بعض النسخ « أَسْمَرَ مَتْنِ »^(٣) وهو
 أصح وأوجه .

٣١ تَخْفِقُ أَفْيَاؤُهُ^(٤) عَلَى مَلِكٍ يَرَى طِرَادَ الْأَبْطَالِ مِنْ طَرْدِهِ

٣٢ نَالَ بِعَارِي الْقَنَا وَلَا بَيْسِهِ مَجْدًا تَبَيَّتْ^(٥) الْجَوَزَاءُ عَنْ أَمْدِهِ

٣٢ - (خ) : أى تَبَيَّتْ قَاصِرَةً عَنْ غَايَتِهِ ، أى مجداً عالياً .

المعنى : أنه نال المجد بالقنا الذى لا ريات عليه ، وهو العارى عنده ،

(١) فى ظ : روى أبو العلاء : « أسمر لدن » . وعليها شرح التبريزى .

(٢) ينهى هنا خرم نسخته ب ، ن .

(٣) هى رواية س ، م ، ل .

(٤) س ، م ، ل : « أثناؤه » ، وروتها ظ ، وقال : أى أصطافه . وقال المرزوق : أى أفياء

هذا العلم ، فقاتلة الشجمان عنده صيد .

(٥) ش : « تبين » . وقال الصولى : ويروى : « تدانى الجوزاء » .

و «لابسه» : ما كان عليه رايات . وقيل : أراد «العاري» الرّمح ، و «باللابس» القلسم ، لأنّ المدّاد الذي يَخْضِبُ أعلاه به كاللباس له ^(١) ، وقيل : «العاري» : ما يُحَارَبُ به ، و «اللابس» : ما جُعِلَتْ عليه الرعوس ذوات الشعور ، لأنّ شعورها تكون له كاللباس . وقيل : «العاري» : ما كان خاماً لا يُعْمَلُ به ، للغنى عنه بغيره ، و «اللابس» : ما يُسْتَعْمَلُ ، فيكون مستوراً بيد مُسْتَعْمِلِهِ ^(٢) .

٣٣ يَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ لِلْعُلَى لَقَمٌ قَصْدٌ لِمَنْ لَمْ يَطَأْ عَلَى قِصْدِهِ

«اللقم» : الطريق الواضح . و «قصد» : أى قاصد : و «القصد» : جمع قِصْدَةٍ ، وهى الكيسرة من القنا وغيره ، يقال : قَصَدْتُ الْعَصَا من الشجرة ، إذا قَطَعْتُهَا مِنْهَا . والهاء ، فى «قِصْدِهِ» راجعة إلى «القنا» ^(٣) .

٣٤ يَا فَرَحَةَ الثَّغْرِ بِالْخَلِيفَةِ مِنْ يَزِيدِهِ الْمُرْتَضَى وَمِنْ أَسَدِهِ!

كان ليزيد بن مزّيد ولدٌ يُقال له «أسد» ، وقد ذكرته الشعراء وأصحاب اللغة ينشدون شعراً يجب أن يكونوا أخذوه عن شاعر من أهل البادية مدح به يزيد بن مزّيد ، وهو :

دَعَيْتَ إِلَى سَبَبِ الْإِمَامِ رِكَابُنَا حَتَّى تَخَوَّنَ نَيْبَهَا الدَّعِقُ ^(٤)
عِنْدَقْتُ يَزِيداً بِالسَّاحَةِ قَوْمَهُ وَعَلَى ابْنِهِ أَسَدٌ لَمْ عِنْدَقُ ^(٥)
«والخليفة من يزيد» : خالد ابنه ، ونسبهم إلى الثغر لأنهم أمراؤه .

(١) هذا الوجه هو ما قال به المرزوق .

(٢) روى الصولى «من أمده» ، وقال : أى مجدا غايةته الجوزاء ، وقال : ويروى : «يدانى الجوزاء عن أمده» ، و «عارى القنا» : ما قاتل به . و «لابسه» : ما لبس الأولوية التى عقدت له . وقول ابن المستوفى : أجود هذه الوجوه أن يراد بـ «العاري» : ما لا رايات عليه ، وبـ «اللابس» : ما عليه الرايات ، ويجوز أن يريد بـ «العاري» : الذى لم يتلبس بالدم ، وهو الذى ذكره فقال :

«أسر متن يوم الوغى جسده»

(٣) قال الصولى : يقول : من لم يطأ على قصد الرماح ، وهو ما تكسر منها ، لم يكن فى طرق الهجد .

(٤) الدعق : وطء الدابة الأرض بشدة (اللسان : مادة دعق) .

(٥) عذق : وصف الرجل بخير أو شر حتى عرف به (اللسان : مادة عذق) .

٣٥ تَضَرَّمُ نَارَاهُ فِي قِرَى وَوَعَى مِنْ حَدِّ أَسْيَافِهِ وَمِنْ زُنْدِهِ
أى ناره في الوعى من حدِّ أسيافه ، وفي القرى من زنده ، جمع زناد .

٣٦ مُمْتَلِئُ الصَّدْرِ وَالْجَوَانِحِ مِنْ رَحْمَةِ مَمْلُوءِيهِنَّ مِنْ حَسَدِهِ
أى من رحمة رجل مملوء الصدر والجوانح من حسده .

٣٧ يَأْخُذُ مِنْ رَاحَةٍ لِشُغْلٍ وَيَسَّ تَبْقَى لِيُبْسِ الزَّمَانِ مِنْ ثَّادَةٍ
(ع) : لِيُبْسِ الزمان . وه : الثَّاد : التَّدى . ومكان تَشِيد : أى نَد .
يقول : هذا الممدوح يذكر في الرخاء حاله في البؤس ، وفي الراحة ما ينتظر من
الشغل .

٣٨ فَهُوَ لَوَاسِطَاعَ عِنْدَ أَسْعُدِهِ ^(١) لَحَزَّ عُضْوًا مِنْ يَوْمِهِ لِغَدِهِ
أى يَتَّخِذُ الصنائع عند الأحرار إذا أقبلت الدنيا عليه ، لتبقى له ذخائر
الشكر إذا أدبر عنه ، حتى لو قدّر أن تكون صنيعته من بعض أعضائه لتفعل .

٣٩ إِذْ مِنْهُمْ مَنْ يَعُدُّ سَاعَتَهُ الْطَلْقَ عَتَادًا لَهُ عَلَى أَبَدِهِ
[خ] ويروى « عِيَارًا » ^(٢) . « إِذْ مِنْهُمْ » : أى من الناس . ومن روى
« عِيَارًا » ، فعناه أنه يُقَدَّرُ أَنْ سَائِرَ أَيَامِهِ الْبَاقِيَةِ عِيَارُهَا مَا هُوَ فِيهِ ، فيكون
أبدًا مثل ما يُشَاهِدُهُ . ومن روى « عَتَادًا » ، فعناه : أَنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعُدُّ
أَنْ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الدَّعَةِ وَالْخِصْبِ عُدَّةٌ لَهُ عَلَى بَاقِي أَيَامِهِ ، حتى لا يقدر
الدهر على أن يَتَنَكَّرَ لَهُ وَيَتَبَدَّلَ فِيهَا بَعْدَهُ .

٤٠ أَلْوَى كَثِيرَ الْأَسَى عَلَى سُودَدِ الْ

عَيْنِ قَلِيلِ الْأَسَى عَلَى رَغَدِهِ

يقول : هو كثير الاهتمام بالسُّودد في أيام عَيْنِشِهِ ، وقليل الاهتمام برَغَدِهِ

(١) قال الصولي : ويروى : « في توسمه » .

(٢) هي رواية س ، م ، ل ، وجاءت في ه ب ورواها الخارزنجي في ظ . وقال : أى وفاء ،

والمعيار : الذى تستوى به المكاييل ، لأنه واف صحيح .

وخصبته ، أى إنما يتهمه أمرُ السُّودد ، لا أمرُ المال وكثرته . فإذا سلّم له ذلك لم يُبَسَّالَ بغيره . فى الأصل : « ألوى كثيرَ الأسى على سَوْرَةِ العيش » : أى شدّته . قال الشيخ : وفيه أربعةُ أوجه : « الأسى » بفتح الهمزة فى الأوّل والثانى ، و « الأسى » بضمهما فيهما ، وبضمهما فى الأوّل وفتحها فى الثانى ، وفتحها فى الأوّل وضمّها فى الثانى . فأما الأوّل فعناه : هو كثيرُ الحزن على شدّة الزمان ، لما يفوته لأجلها من الصنائع عند الأحرار ، وقليلُ الصبر على رَغَدِ العيش ، لأن ما يَحْصُلُ فى يده من المال يَبْدُو له لقلة صبره عليه . ومعنى الثانى : أنه كثيرُ الصبر على شدّة الزمان ، لقلة مبالاته بها ، وهو قليلُ الصبر على رَغَدِ العيش ، لحبة البَدَل . فإذا علّم هاتان الروايتان علّم الأخریان ^(١) .

٤١ قَرِيحَةُ الْعَقْلِ مِنْ مَعَاقِلِهِ وَالصَّبْرُ فِي النَّائِبَاتِ مِنْ عُدَدِهِ ^(٢)

٤٢ يَامُضْغِنًا خَالِدًا لَكَ التُّكْلُ إِنْ خَلَدَ حَقْدًا عَلَيْكَ فِي خَلَدِهِ

٤٣ إِلَيْكَ عَنْ سَيْلٍ عَارِضٍ خَضِلَ الشَّ

وُبُوبٍ يَأْتِي الْحِمَامُ مِنْ نَضْدِهِ

٤٣ — انجُ بنفسك عن سَحَابِ هذه صِفَتِهَا . الرواية . « يَأْتِي الْحِمَامُ مِنْ نَضْدِهِ » ^(٣) .

(١) وقال المرزوق : ويروى :

« قليلُ الأسى على سورة العيش ش كثيرُ الأسى على رَغَدِهِ »

فتكون « السورة » بإزاء الرغد ، ويكون المعنى : أنه قليلُ الحزن والصبر بما يلحقه من شدائد العيش ، ويطرقه من نوائب الدهر ، كثيرُ الأسى — أى الصبر — على ما يؤديه إلى رَغَدِهِ ، ويفضى به إلى سعته وطيبه . وروى الخارزنجي : « يلنى كثيرُ الأسى » ، وقال « الأسى » الحزن . وقال الصولى : يحزن على السُّودد ، ولا يحزن على الرغد والنعمة .

وقال ابن المستوفى معقباً على شرح التبريزي : فسر « الأسى » الآخر المفتوح فى الوجه الأوّل بما فسر به « الأسى » فى النصف الثانى المضموم الهمزة ، وهذا بين لم تأمله .

(٢) قال الخارزنجي : « القريحة » : القطنة ، و « المعاقل » : الحصون ، يقول : الروية فى الأمر والتدبير المصيب من حصونه التى يتحصن بها من الزلل وسوادر الدهر ، والصبر فى النائبات من عدده التى اعتدت له . وقال ابن المستوفى : ويجوز — وهو الأليق — أن يريد : أن تدبيره يدفع عنه كما تدفع عنه المعاقل ، ولا حاجة إلى أن يريد بذلك أنه يتحصن به من الزلل ، ويقويه النصف الأخير .

(٣) ب ، ن ، هـ : « دافى الحمام » — وفى ظ : روى أبو زكريا « دافى الحمام مرتصده » .

٤٤ مُسِفَّهُ ثَرَّهُ مُسَحْسِحِهِ وَاِبِلِهِ مُسْتَهْلِهِ بَرِدَهُ
 «مُسِفَّهُ» : قَرَّبِيهِ مِنَ الْأَرْضِ . و «مُسَحْسِحِهِ» : مِنْ سَحَّ الْمَطَرِ .
 و «المُسْتَهْلِ» : الْمُصَوَّت . و «بَرِدَهُ» : فِيهِ الْبَرْدُ .

٤٥ وَهَلْ يُسَامِيكَ فِي الْعُلَى مَلِكٌ صَدْرُكَ أَوْلَى بِالرَّحْبِ ^(١) مِنْ بَلَدِهِ
 ٤٤ ، ٤٥ - (ع) : الهاء في «مُسِفَّهُ» : راجعة إلى «الشُّؤْبُوبِ» .
 ويقال : سَحَابٌ ثَرٌّ ، أى كثير الماء . ، وكذلك الْفَرَسُ إِذَا وَصِفَ بِكَثْرَةِ
 الْجَرَى . و «مُسَحْسِحِ» : كثير الصَّبِّ . وبعض الناس يذهب إلى أن
 «مُسَحْسِحًا» مأخوذ مِنَ السَّحَّ ، وأصحاب القياس من أهل البصرة يزعمون أن
 «سَحْسِحَ» من غير لفظ «سَحَّ» . ووزن «مُسَحْسِحِ» على رأى سيبويه
 «مُفْعَلِيلٍ» ، وعلى رأى غيره من أصحاب النظر «مُفَعْفِيلٍ» ، وعلى ما ثَبَتَتْ
 فِي كِتَابِ الْعَيْنِ «مُفَعْفِيعٍ» . والمعنى : أن هذا الممدوح إِذَا غَضِبَ كَانَ سَحَابُهُ
 بَرْدًا ، وهو مَذْمُومٌ عِنْدَ عَدُوِّهِ كَمَا يَذَمُّ السَّحَابُ الْبَرْدُ ، لِأَنَّهُ مُهْلِكٌ .
 [خ] : وقوله «صَدْرُكَ أَوْلَى بِالرَّحْبِ مِنْ بَلَدِهِ» : أى قَلْبُكَ أَوْسَعُ
 مِنْ بَلَدِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ . وقيل : أراد «بِالْبَلَدِ» : الصَّدْرُ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ
 كَأَنَّهُ قَالَ : صَدْرُكَ أَوْسَعُ مِنْ صَدْرِهِ ^(٢) .

٤٦ أَخْلَقَكَ الْغُرْدُونَ رَهْطَكَ أَثَرُ

رَى مِنْهُ فِي رَهْطِهِ وَفِي عَدَدِهِ

[خ] : أى كَيْفَ يُسَامِيكَ مَلِكٌ أَخْلَقَكَ وَحْدَهَا أَكْثَرُ مِنْهُ وَمِنْ
 رَهْطِهِ وَمِنْ عَدَدِهِ ؟ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ لَكَ خُلُقًا كَرِيمًا وَاسِعًا .

٤٧ وَمَشْهَدٌ صَيَّرَ الْكُمَاةُ بِهِ خُطْبَانَهُ سُلَمًا إِلَى شُهِدِهِ
 «الْخُطْبَانِ» : الْحَسَنُظَلُّ الَّذِي فِيهِ خُطُوطٌ خُضْرٌ ، يَقَالُ : أَخْطَبَ

(١) ل : «فِي الرَّحْبِ» .

(٢) قال ابن المستوفى : وأحسن من هذا قوله :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسع لم يضق عن أهله بلد

الحنظل : إذا صار كذلك . يقول : صَيَّرَتِ الكُصَاةُ صَبْرَهَا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ
— وهو مُرٌّ — سُلْمًا إِلَى مَا تَرْجُوهُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَهُوَ حُلُو كَأَنَّهُ الشُّهْدُ .

٤٨ كَأَنَّمَا مُبْرَمُ الْقَضَاءِ بِهِ مِنْ رُسُلِهِ وَالْمَنُونُ مِنْ رَصَدِهِ
« به » : أى المشهود المتقدم ذكره .

٤٩ أُرْثَ مِنْ خَالِدٍ مُنْصَلِتِ الْإِقْدَامِ يَوْمَ الْهَيَاجِ^(١) مُنْجَرِدَةٍ
« أُرْثَ » : أى ذلك المشهد .

٥٠ كَالْبَدْرِ حُسْنًا وَقَدِيدُ عَاوِدُهُ عُبُوسُ لَيْثِ الْعَرِينِ فِي عَبْدِهِ !
« فِي عَبْدِهِ » : أى أَنْفِهِ .

٥١ كَالسَّيْفِ يُعْطِيكَ مِلْءَ عَيْنَيْكَ مِنْ
فِرْنْدِهِ تَارَةً وَمِنْ رَبْدَةٍ
[ص] : جمع « رَبْدَةٍ » ، وهى كالكَلَفِ فيه^(٢) .

٥٢ تَاللَّهِ أَنْسَى دِفَاعَهُ الزُّورَ مِنْ عَوْرَاءِ ذِي نَيْرَبٍ وَمِنْ فَنْدِهِ
أَرَادَ : « تَاللَّهِ لَا أَنْسَى » ، فحذفَ لَعْلَمِ السَّامِعِ ، وَ « لَا » تُحذفُ
كثيراً فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . وَ « الْعَوْرَاءُ » : الْكَلِمَةُ الْقَبِيحَةُ . وَ « النَّيْرَبُ » :
النَّمِيمَةُ ، وَ « الْفَنْدُ » : أَصْلُهُ ذَهَابُ الْعَقْلِ مِنَ الْكِبَرِ ، وَأَنْ يَسْتَكَلِّمَ الشَّيْخَ
بغَيْرِ الصَّوَابِ ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى سُمِّيَ كُلُّ قَوْلٍ بِمَحْمُودٍ فَتَنَدًا . وَتَقْدِيرُ
الْكَلَامِ : دِفَاعَهُ الزُّورَ الَّذِي هُوَ مِنْ عَوْرَاءِ ذِي نَيْرَبٍ — أى نَمِيمَةٍ — وَمِنْ
فَنْدِهِ .

٥٣ وَلَا تَنَاسَى أَحْيَاءَ ذِي يَمَنِ مَا كَانَ مِنْ نَصْرِهِ وَمِنْ حَشْدِهِ

(١) م : « يَوْمَ الْهَيَاجِ » .

(٢) قَالَ الْخَارَزَمِيُّ : تَرَى فِيكَ الْخَيْرَاتِ وَالشُّرُورَ ، كَمَا يَرَى فِي السَّيْفِ صَفَاءَ الْفِرْنَدِ وَسَوَادَ

الرَّبْدِ .

٥٤ جِلَّةُ أُنْمَارِهِ وَهَمْدَانِهِ وَالشُّمُّ مٌ مِنْ أَزْدِهِ وَمِنْ أُدْدِهِ

٥٣ ، ٥٤ - « الحَشْدُ » و « الحَشْدُ » : أن يجتهد الإنسان في جمع جيش أو كلام ، وهو هنا من الكلام . وقوله « ذِي يَمَن » : أراد صاحبَ يَمَن ، وهم يستعملون « اليمن » بالالف واللام ، ويحذفونها مع « ذِي » ، وفي حديث النبي صَلَّى الله عليه وسلم : « يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ السَّاعَةُ خَيْرُ ذِي يَمَن » يعني جرير بن عبد الله البجلي . ويجوز أن يكون حَذَفُهم الألف واللام من أجل أنهم أرادوا النكرة ، كأنه قال : خيرُ رجلٍ من أهل اليمن ، ويكون « يَمَن » نكرة . فأما الطائي فالأجودُ أن يكون « يَمَن » في بيته معرفة . والهاء في « أُنْمَارِهِ » يحتمل أن تكون راجعة إلى « ذِي » وإلى « يَمَن » ، وهذا على مذهب مَنْ زَعَمَ أَنَّ أُنْمَارًا من اليمن ، وَمَعْدٌ تَدَّعِيهم ، ولذلك قال الكميت :

فَأُنْمَارٌ وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْفُ مَعْدِي الْعُمُومَةِ وَالْخُشُولِ
وَنُسَابُ الْيَمَنِ يَقُولُونَ : هُوَ أُنْمَارُ بْنُ إِرَاشٍ ، وَنُسَابُ مَعْدٍ يَقُولُونَ : هُوَ أُنْمَارُ بْنُ نِزَارٍ أَخُو مُضَرٍّ .

٥٥ آثَرَنِي إِذْ جَعَلْتُهُ لَجَأً^(١) كُلُّ امْرِئٍ لَاجِئٌ إِلَى سَنَدِهِ

٥٦ فِي غُلَّةٍ^(٢) أَوْقَدْتُ عَلَى كَبِدِهَا سَائِلِ^(٣) نَارًا تُعْجِي^(٤) عَلَى كَبِدِهِ

أى أوقدت الغُلَّةُ التى آثرنى فيها نَارًا على كَبِدِ العَطِيَّةِ بَأَن حَوَّلَتْهُ إِلَى وَنَقَسَتْهُ عَنْ صَاحِبِهِ ، تِلْكَ النَّارُ كَانَتْ أَعْيَتْ عَلَى كَبِدِ الشَّاعِرِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجِدُ مَا يَشْفِيهِ مِنْهَا ، يَقَالُ : آعَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ ، إِذَا لَمْ يَهْتَدِ إِلَى إِصْلَاحِهِ^(٥) :

(١) س ، م ، ل : « سِنْدًا » .

(٢) رواية الصولى : « فى حِلَّة » ، وقال : ويروى « فى غِلَّة » ، ورواية س : « فى حِلَّة » ظ « فى سَاعَةِ » .

(٣) رواية الخارزنجي : « على كبد الثائر » . ظ : ويروى « على كبد السائل » .

(٤) م ، ل : « قَتْلَى » .

(٥) قال الصولى : الهاء فى « كَبِدِهِ » لأبى تمام ، يقول كان أمل وما آخذه من ابن أبى داود

قد بطل وفعب .

٥٧ إِيْثَارَ شَرْزٍ الْقَوَى يَرَى جَسَدَ الـ

مَعْرُوفٍ أَوَّلَى بِالطُّبِّ مِنْ جَسَدِهِ

يقول : آثرني إيثار رجل قوى في رأيه وحزمه . و « الشَّرْزُ » : المُحْكَم من الفِئَل ، واستعار للمعروف جَسَدًا .
يقول : هذا الرجل يتداوى المعروف ليُزيل مرضه ، وهو على شِفائه أحرص منه على شفاء جسده إذا اغتَلَّ .

٥٨ وَجِئْتُهُ زَائِرًا فَجَاوَزَ بِي الـ
أَيُّ أُعْطَانِي طَارِفَ مَالِهِ وَتَالِدَهُ .

٥٩ فَرُخْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَلِي رِفْدٌ^(١)

يَنَالُهَا الْمُعْتَفُونَ مِنْ رِغْدَةٍ

قد وردَّ الطائي هذا المعنى في مواضع ، ولا يُستعمل « الرِّفْدُ » في معنى الرِّفْد ، كأنها جمع رِفْدَةٍ ، وإنما تُستعمل الرِّفْدُ في الجماعات من الناس ، وما يترافد من القول ، كما قال النابغة :

لَا تَقْدُفُنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأْتَفَتِ الْأَعْدَاءُ بِالرِّفْدِ^(٢)

وإذا حُمِّلَ الكلام على الاستعارة دخل فيه هذا وغيره . وإذا رويت « ولي رِفْدٌ » بفتح الراء والفاء فله وجه ، يجعل « الرِّفْدُ » ما رُفِدَ به ، كما أن القَبِضُ ما قُبِضَ ، والنَقْصُ ما نُقِصَ .

٦٠ وَهَلْ يَرَى الْعُسْرَ عِذْرَةَ رَجُلٍ

خَالِدٌ الْمَزِيدِيُّ مِنْ عُدْدَةٍ ! !

كأنه يقول : هل يحسن بي أن أعذر إلى من يقصِدني بالإعسار ، وهذا

(١) روى الخارزنجي : فأبت من عنده ولي نعم تناول المعتفين من رِفْدِهِ

وهي رواية الآملي كافية .

(٢) مختار الشعر الجاهل ١ : ١٥٤ .

للمدح مِّنْ غَدَايٍ؟ وروى أبو العلاء هذا البيت :

وهل يَرَى العَيْشَ تَرْحَةً أَحَدٌ خالداً الشَّيْبَانِي مِنْ عَقْدِهِ ؟ (١)

استعار « العُقْدَ » ، فجعل خالداً بعضها ، وهو من قولم قد اعتَقَدَ فلانٌ مالا ، واشتَرَى ضَيْعَةً فجعلها عُقْدَةً ، كأنها مأخوذةٌ من عُقْدِ الخيط ، لأنها بطيئة الانحلال . يقول : إذا جعل الإنسانُ خالداً أو جُودَةً عُقْدَةً ماله ، لم يَرِ العَيْشَ تَرْحَةً ، أى لم يَحْزَنْ ، لأن ماله يَكْثُرُ بَعَاءِ خالداً . قال : رَوَى « وهل يَرَى العُسْرَ عِذْرَةً أَحَدٌ » فهو مَرْدُودٌ على البيت الذى فيه ذِكْرُ الرِّفْدِ ، أى إن المُتَكَلِّ على خالداً لا يَتَعَذَّرُ إلى سائله بالعذر .

المصنف رحمه الله تعالى

المصنف رحمه الله تعالى

(١) رواية الصَّوْلِي : « خالداً المزيدي من عقد » .

